عسير والتاريخ وانحراف المسار

منصور بن أحمد بن منصور العسيري

دار الطنانى للنشر

عسير والتاريخ وانحراف المسار

تأليف

منصور بن أحمد بن منصور العسيري



عسير والتاريخ وانحراف المسار
المؤلف: منصور بن أحمد بن منصور العسيري
الناشر: دار الطناني للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ٢٠١٢



٢ شارع شريف عمارة اللواء - عابدين - القاهرة
رمز بريدي ١١١٢١
تليفون: ٢٣٩١٣٦٢٢ - فاكس: ٢٣٩٢١٥٩٠
www.tanany.com
processing@tanany.com

العسيري، منصور بن أحمد بن منصور
عسير والتاريخ وانحراف المسار/ تأليف منصور بن أحمد بن منصور العسيري.
القاهرة: دار الطناني للنشر والتوزيع، ٢٠١٢.
٧٥٣ص، ١٧×٢٤سم
تدمك: ٩٧٨-٩٧٧-٦٢١٧-٣٥-٤
١- التأريخ
٢- عسير - تاريخ
٣- اليمن - تاريخ
٩٠٧,٢
رقم الإيداع: ٢٠١٢/٩٢٢٥
ISBN: 978-977-6217-35-4

المحتويات

المقدمة

ليس بخاف على كل من سيقرأ هذا الكتاب أن من أهم الأسباب التي دعت إلى كتابته ما طفى على الساحة في منطقة عسير من تلاعب بالتاريخ والأعراق والهوية وتوازن الروابط الاجتماعية الموروث في هذا الجزء الهام من الوطن من قبل مصادر مجهولة أوقعت الكثير من الأثر في ذاكرة المجتمع، وأصبحت مرجعاً للكثير من المؤلفات، ومن ثم فقد حمل هذا الكتاب أسلوباً جديداً وجريئاً إلى حد ما في التعاطي مع التاريخ العسيري، في محاولة للفت الانتباه لحجم الضرر، والتحفيز على البدء في دراسة التاريخ بطريقة منهجية علمية مقبولة، تنزع إلى استنطاق التاريخ وافتراض وجود الخطأ حسب المنهج العلمي، ولجم العبث المستمر بحقيقة شخصية هذه الأرض من قبل هذه المصادر التي تبزغ من الظلام والتي أثرت على المفاهيم المتوارثة حول التاريخ والجغرافيا والصلات بين أجزاء هذا الإقليم وبينه وبين الأقاليم الأخرى في الجزيرة العربية.

ولأن معارضة السائد دون التعريف بالهدف ومحاولة إيضاح الصورة المطلوب وصولها للقارئ، وتهيئته لتقبل الفكرة، وتقبل التغيير في مفاهيمه البسيطة في ظل شعوره بفقد الكثير مما كان يعده من الثوابت لردحة من أثر العبث بتاريخه وبهويته قد يؤدي إلى ردة فعل خاطئة حول الهدف، لذا كان لا بد من طرح وجهة نظر الكاتب من خلال مقدمة وضعتها في باب كامل وهو الباب الأول، ثم محاولة إعادة تقييم المفاهيم السائدة وعرض المفترض حول كل قضية تتعلق بالحقائق التاريخية المطروحة.

ولأن من يحمل النقد والرفض للمستفيض حول التاريخ فعليه أن يجد البديل، كي لا يتجه إسقاط السائد إلى التجهيل فقط، لذا كان من الضروري طرح البديل الذي يمكن أن يمثل مفتاحاً للوصول إلى الحقيقة التاريخية، وبالتالي فلا بد من السرد التاريخي، وهو ما استدعى كتابة رؤية مختصرة في البابين الأخيرين لتاريخ إقليم عسير من خلال استقراء شخصي لما ورد في المصادر التاريخية المعروفة، معتمداً فكرة الشك والتمحيص والاستقراء الجاد واستنطاق ما ورد في المصادر التاريخية بدرجة تتجاوز الأفق المعتاد، مع محاولة تفادي الاعتماد على الذاكرة الشفهية قدر الإمكان نظراً لحساسية الكثير من المعلومات التي حصلت عليها بالحديث المباشر مع أولي الشأن، ناهيك عن أن الاعتماد عليها قد يفسر بالانتقائية، خاصةً وأن الكتاب يوجه نقداً للذاكرة الشعبية المحلية بوضعها الحالي نظراً لما طرأ عليها من تشويش شديد خلال المرحلة السابقة.

وقد نتج عن ذلك طرح رؤية جديدة على الأقل بالنسبة للقارئ المحلي في عسير حول هذا

الإقليم وانتمائه الجغرافي والتاريخي والعرقي، وتسلسل أحداث تاريخه في العصر القديم وتداعي أحداثه في العصر الحديث، والأهم في طريقة تتبع أخباره وكتابة تاريخه.

وقد اعتمدت في الحصول على المعلومة على النقل المباشر لآراء بعض المؤرخين في العصر الحديث من خلال الوثائق والكتب المدونة وخاصة المعاصرة للأحداث، بالإضافة إلى ما ورد لدى المؤرخين والجغرافيين العرب في المراجع القديمة فيما يخص التاريخ القديم، وفي جانب آخر اعتمدت على اقتباس بعض الإشارات التاريخية والتي ربما نجد أن بعضها وردت من خلال سرد مختلف عما حملته الفكرة هنا، وهو أمر لم ألق له بالاً، لأن ما أضعه هنا هو دراسة نقدية لما هو مطروح في الساحة، ومحاولة لكتابة تاريخ الإقليم بطريقة أدق تخصيصاً وأوسع أفقاً، ومن ثم فتفسير التعارض الذي قد نلاحظه في بعض الإشارات بين طريقة عرضها في المصادر وبينه هنا معلل ضمن الفكرة التي حملها الكتاب.

وقد استفدت أيضاً من معرفتي الشخصية الدقيقة للكثير من أقاليم الجزيرة العربية وتنقلي بينها خلال حياتي الدراسية والعملية ومقارنة ذلك بالإرث التاريخي المدون في بطون الكتب وهو ما وصل بي إلى تكوين الفكرة الأولية منذ وقت مبكر، حتى قمت بجمعها ومن ثم طرحها هنا في سبيل الوصول إلى بعض الحقيقة التاريخية.

لذا كان الكتاب خروجاً عن المألوف في منطقة عسير في طريقة تتبع الأخبار ومن ثم في معلوماته بالرغم من إيجاز السرد، بما آمل أن يكون مفتاحاً لطريقة أخرى في تتبع أخباره التاريخية في المراحل اللاحقة.

فهذا الإقليم الذي عني الكتاب بدراسته هو إقليم عامر في التاريخ العربي، بل أرى أنه كان يمثل ثقل الوجود القبلي في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي وكان مسرحاً للكثير من الأحداث التاريخية القديمة، ويحمل جزءاً كبيراً من ذاكرة المجتمع العربي القديم وأساطيره.

ولا شك أن من أصعب الأمور التي يواجهها الباحث في كتابة التاريخ في هذا الإقليم تلك الحساسية المفرطة في تقبل الكتابة عن التاريخ والأنساب في هذا الإقليم القبلي جداً، وهو ما جعلني أعيد صياغة المحتوى عدة مرات في محاولة لتلافي سوء الفهم الذي قد يؤدي إلى المواجهة الكاملة مع المجتمع المحلي وذاكرته البسيطة التي لا تقبل خسارة أي المكاسب القبلية والتاريخية الوهمية التي وزعت على بعض أجزائه لتحقيق أغراض المتبرعين مما قد يفقد الكتاب هدفه الأول، وهو إعادة الذاكرة الشعبية في عسير إلى وضعها الصحيح، وتحريك الماء الآسن قبل سكبه في بالوعة التاريخ لتندلق معه رواسب التزوير والعبث من الرؤوس المحنطة، وفي نفس الوقت محاولة الإمساك بسلامة اتجاه الخط الأساسي في الكتاب، وهو تعرية الجهات المتلاعبة،

التي تحاول العبث بماضي وحاضر ومستقبل الإنسان في هذا الإقليم، بالإضافة إلى طرح فكرة الكاتب حول الحقيقة التاريخية بشكل مبسط ومفهوم.

ولا أدعي بأنني وصلت لكل الحقيقة التاريخية، إذ لا مجال إلى الوقوف على الحقيقة كما هي، ولكنني على يقين بأن هنالك أفكاراً تحمل حقائقاً طرحت لأول مرة في هذا الكتاب، وأن هوامش العبث بالتاريخ ستكون أضيق نطاقاً بعده.

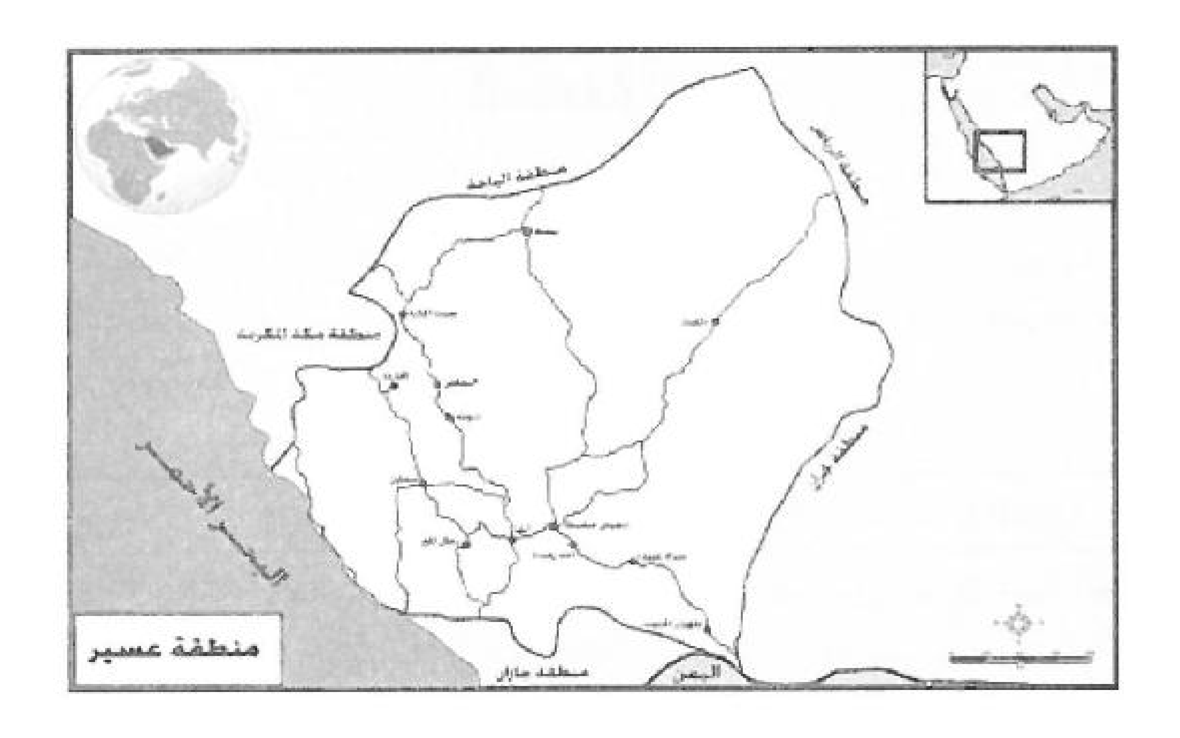
وأسأل الله التوفيق والسداد أولاً وآخراً.

منصور أحمد منصور العسيري

الاختصارات

يلاحظ في سرد النص الأساسي أو في الحواشي السفلية استعمال بعض الرموز، وهي اختصارات للدلالة على بعض المصادر الخاصة التي عني الكتاب بنقدها، وهي مجموعة الكتب التي أطلق عليها هنا "مجموعة إمتاع السامر" وهي كالتالي:

الرمز	اسم الكتاب	المؤلف المنسوب له الكتاب
ن د	إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر (النسخة المنشورة عن دارة الملك عبدالعزيز)	شعيب الدوسري، تعليق محمد الحميد، وعبدالعزيز الرويشد
ن أ	إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر (النسخة الأصلية)	شعيب الدوسري
ن د، ق٢ج١	إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر القسم الثاني من الجزء الأول	شعيب الدوسري، تعليق محمد الحميد، وعبدالعزيز الرويشد، وفايز البدراني
ت ع	تاريخ عسير	محمد بن مسلط
ع م	عسير	محمود شاكر
أ ع	أخبار عسير	عبدالله بن مسفر
س م	السراج المنير في سيرة أمراء عسير	عبدالله بن مسفر
د ث	الدر الثمين	الحسن الضمدي تحقيق: عبدالله بن حميد
ع ك	عسير في مذكرات سليمان الكمالي	سليمان شفيق باشا تحقيق: أحمد بن حسن النعمي





إقليم عسير حسب مفهومه التاريخي في العصر الحديث ويشمل -حسب التقسيم الإداري الحالي- مناطق: عسير، والباحة، ونجران، وجازان

الباب الأول

التاريخ والتزوير

الفصل الأول

أهمية العناية بكتابة التاريخ

١. لماذا يجب أن نكتب التاريخ

التاريخ علم يروي أخبار وقصص الماضي والتي قد لا يرى فيها البعض إلا مجاميع من الروايات التي تحمل على المفاخرة بالذات الإقليمية أو العرقية أو الطائفية، أو قد يستحسن بعضهم التجرؤ على إعادة صياغته بما يتلاءم مع مفاهيمهم للدور المناط به للوصول إلى تحقيق أهدافهم الآنية، أما ذوي النظرة الثاقبة المتفحصة لإرهاصات تداعي أحداث الأمم وإفرازاتها عبر التاريخ المستوعبين لما يحمله هذا العلم من خطورة، فيرون في التاريخ مفتاحاً للحاضر والمستقبل، فالتاريخ سجل زمني يحمل بين طياته الهوية، والعبرة، والإلهام، والحافز، ومداد حروفه قد يمتد إلى الكثير من الأحداث في المستقبل، فبقدر ما نتعمق في معرفة الماضي ونستوعبه ونتفهمه فإننا نرسم خطوطاً واضحة محددة لمسيرة المستقبل.

والتاريخ أيضاً قاموس مفتوح للتراكم المعرفي تستمد البشرية منه الخبرات السابقة التي يبدأ منها تكوين المعارف اللاحقة، كما أن المحافظة على الرواية التاريخية من التلاعب هي جوهر الوفاء في النفس البشرية الصادقة التي تحرص على إيفاء الأموات حقهم، فتمنع عنهم التشويه والغمط.

وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأهمية رواية وتدوين التاريخ في كتابه الكريم ضمنياً من خلال السرد القصصي لما آلت إليه الأمم السابقة، وأمرنا بالتفكر والاعتبار في حال تلك الأمم وما حل بها، وكذلك كانت كل الكتب السماوية تحمل الإيحاء الضمني عبر سردها للأحداث للاعتبار والتحفيز ولحفظ أثر من ذهبوا بأجسادهم إلى الأرض بينما لا زالت تحمل سيرتهم فوقها عبر الدهر.

فالحاضر ثمرة الماضي، ويذهب بعض المفكرين مثل بنديتو كروتشي - Benedetto Croce إلى اعتبار التاريخ كله تاريخاً معاصراً[١]، فالإنسان لا يستطيع فهم حاضره المعاصر إلا بفهم ماضيه،

---

(١) عثمان، حسن، منهج البحث التاريخي، دار المعارف، الطبعة السادسة، ١٤١٨هـ، ١٣.

والأقوام الذين لا يعرفون لهم ماضياً محدداً مدروساً بقدر المستطاع. لا يعدون من شعوب الأرض المتحضرة كما يقول الباحث حسن عثمان[١]، بينما يرى آلان بيرفيت أنه "لا يمكن النظر في جوهر الحاضر بدون النظر في جوهر التاريخ"، ويقول آخر "وفي التاريخ يكمن أصل الحاضر وتوجد أسبابه ومنه ينطلق الطريق المؤدي إلى معرفته، والحاضر من جهته يشكل بداية المستقبل"[٢].

ومن ثم فنحن لا نستطيع مواجهة حاضرنا وبناء ما بعده دون أن نستوعب ما قبلهما من إرهاصات تولد عنها هذا الحاضر القادم بكل ما فيه، ولا يمكننا تحديد هوية الإنسان فوق الأرض دون التعمق في تاريخه، لذا نجد الكثير من الفلاسفة والمفكرين الأقدمين والمحدثين في كل مكان قد أوفوا هذا العلم حقه من الاهتمام، بل إن الإنسان نزع إلى نقش أسماء ملوكه وأعمالهم لتخليد ذكرهم تاريخياً، وإلى توثيق أساطيره وعقائده منذ ابتكاره الأبجدية، ثم بدأ في النقاش حول فلسفة القراءة التاريخية وتحديد أطر عامة لها وما زال كذلك حتى اليوم.

فالتاريخ بالإضافة إلى أنه ملهم وحافز متجدد فإنه مرتبط بالهوية بكل أبعادها، وبالإرث الثقافي والمعرفي والقيمي للإنسان فوق الأرض، لذا فلا زال البشر يحثون السير في نبش الماضي ومعرفة مسيرته وتواشج مراحله المختلفة زمانياً ومكانياً ويخضعون مدوناته وقصصه للمنطق العقلي والعلمي ولأحدث وسائل التقنية لفتح المزيد من الآفاق للوصول إلى حقيقة مسيرة الكائن البشري عبر العصور بل ومسيرة الكون كاملاً، ويضعون النظريات والفرضيات حول ذلك ويتجادلون حولها.

وتحرص الأمم المتحضرة في عصرنا الحاضر على الرواية التاريخية وتضع قوانيناً صارمة لكتابته لا تضعها على سواه من العلوم، بل كثيراً ما نجدها تتخذ مواقفها السياسية على أساس الخلفية التاريخية، فليس بعيداً عنا عندما أعلن قيام دولة مقدونيا على إثر تفكك المنظومة الشيوعية ومنها دولة يوغوسلافيا في نهاية القرن الماضي احتجاج اليونان على المسمى نظراً لما يحدثه الاسم من أثر على المدى البعيد في الذاكرة البشرية حول تاريخ الشعوب المقدونية التي خرج منها الإسكندر المقدوني، والتي تمثل جزءاً من الشعب اليوناني وبالتالي من تراثه، وفي الجانب الآخر تخوفها مما قد يحمله المستقبل من إشكاليات في حال استخدام هذا الاسم لدولة مجاورة في ظل حمل جزء من الشعب اليوناني لنفس المسمى العرقي، وهو ما تماهت مع مضمونه دول المجموعة الأوربية التي لم تحاول الضغط على الحكومة اليونانية للتراجع عن استخدام حق النقض فعلقت دخول مقدونيا في دول المجموعة الأوروبية بحل هذه المشكلة التي لا زالت قائمة.

---

(١) عثمان، حسن، منهج البحث التاريخي، دار المعارف، الطبعة السادسة، ١٤١٨هـ ص١٣.

(٢) ولد داده، محمد، جزيرة العرب مصير أرض وأمة، مطابع الفرزدق، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ص١٠.

كما أننا نلمس تلك الحساسية المفرطة والجدية التي اتخذتها قضية الخلاف العربي الإيراني حول مسمى "الخليج العربي" أو "الخليج الفارسي" وكيف اتخذ النزاع وضعاً جدياً يتجاوز كل الحدود المتوقعة، لدرجة إمكانية قطع العلاقات مع الجهات التي تستخدم المسمى الغير معترف به من هذا الطرف أو ذاك، ويحث كل طرف عن أدلة تاريخية في كل المراجع القديمة لدعم حجته، مع أن كلا الاسمين لهما أصول تاريخية.

وليس بخافٍ أن هذا التصلب في المواقف ليس مرده إلى مجرد محاولة فرض اسمٍ على بحرٍ مجاور، وإنما هو خشية كل طرفٍ من تحقيق الطرف الآخر لمكاسب فعلية على الأرض في المستقبل في حال تمكنه من فرض مفهومه حول المسمى التاريخي.

ولعلنا أيضاً نرى لب المشكلة العربية الإسرائيلية وكيف أنها تعتمد على ذرائع تاريخية اتكأت الصهيونية بتأييد غربي على مفاهيمهم حولها لإقامة دولة إسرائيل وطرد الفلسطينيين من بلادهم، وكيف يحاول الصهاينة وأنصارهم في الغرب الاستفادة من حادثة المحارق النازية لليهود في أوروبا (الهولوكوست) لاستدرار تعاطف العالم مع دولة إسرائيل ضد حقوق الشعب الفلسطيني، مع أن أفران الغاز كانت ذات عيون زرقاء ورقبة حمراء، ولم يكن الشعب الفلسطيني ملزماً بالتكفير عنها، فسنوا قوانيناً تمنع التشكيك في حقيقتها أو حتى في صحة أرقامها، مهما كان الطرح منطقياً.

بل يكفي أن نشهد كيف أن كل المشاكل الحدودية والنزاعات الإقليمية أو النزعات الانفصالية تتكئ على التاريخ في الدرجة الأولى في مادة خصومتها، وكيف أن التحكيم الدولي في مثل هذه الأحوال عندما تحال القضايا إليه بين الدول المتنازعة حول الأحقية بجزء من الأرض سواءً كانت حدودية أو غير حدودية يبدأ أولاً بدراسة التاريخ وما يقدمه كل جانب من وثائق تاريخية، ثم إذا تعذر الفصل الكامل في المسألة تاريخياً يتجه لبقية الاعتبارات التي تعتبر ثانوية كالجغرافيا وغيرها للوصول إلى الفصل في موضوع الخلاف، ومن ذلك مثلاً ما حدث في قضية التحكيم الدولي حول مشكلة الصحراء الغربية بين المغرب وموريتانيا والجزائر، فقد اتجهت الجمعية العامة للأمم المتحدة عند مناقشة المسألة فوراً إلى النظر في الوضع التاريخي وما لدى كل طرف من وثائق[1]، ومثله ما حدث في قضية التحكيم الدولي حول مشكلة النرويج مع الدانمارك حول جزيرة "جرين لاند" عندما اعتبرت إثبات واقعة الاكتشاف سنداً قوياً لسيادة

---

(١) الوجيه، عبدالرحمن محمد محمود، انفصال جزء من إقليم الدولة، جامعة صنعاء، ٢٠٠٥م، ص٣٤٢ - ٣٤٣.

النرويج على "جرين لاند" لا يؤثر عليه انقطاع الصلة لفترة طويلة، ومن ثم فقد خلصت المحكمة إلى أن جرين لاند ظلت من حيث القانون تابعة للنرويج[1]، ومثل ذلك ما حدث في نزاع دولتي قطر والبحرين حول جزر حوار عام ٢٠٠١م، فقد قامت الدعوى من قبل الجهتين على أساس الوثائق التاريخية، وحتى المحكمة الدولية استندت إلى الوثائق التاريخية التي كان لها الأولوية قبل النظر إلى غيرها عند تلاوة حيثيات الحكم الذي بث عبر وسائل الإعلام، فالوضع القانوني تفرضه الاعتبارات التاريخية والتاريخ السياسي بالدرجة الأولى في معظم الحالات.

ولنتعرف أكثر على عواقب الاستهتار بأثر كتابة التاريخ على ذاكرة المجتمع وما قد يجره ذلك من آثار مدمرة للوطن كاملاً، فعلينا الرجوع قليلاً إلى ما حدث في الخليج العربي في بداية فترة التسعينات الميلادية ونبحث عن إرهاصات تلك الأحداث في مرحلة الثمانينات.

إن ملابسات الأحداث السياسية التي سبقت عملية غزو الكويت معروفة لدى كل من عاصرها، ولكن خفايا هذه الملابسات قد تكون حقيقتها مجهولة علينا حتى الآن، ولست هنا في صدد الحديث عن مدى مصداقية كل طرف فيما سبق هذه الحادثة، ولكن ما أستطيع تأكيده أنه قبل غزو الكويت بسنوات قليلة بدأت حملة إعلامية في صحف المهجر الصادرة في الدول الأوروبية وبعض الصحف العربية الحزبية حول تاريخ الكويت والعراق، فكتبت العديد من المقالات التي كانت تضرب على وتر عراقية الكويت، باعتبارها تاريخياً جزءاً من العراق فصله الاستعمار البريطاني، وهي نغمة عراقية قديمة منذ طالب النقيب ثم أعيدت في عهد عبدالكريم قاسم، ولكنها تراجعت منذ عقود قبل أن تعود بعد نهاية حرب العراق إيران، وقد أثرت تلك الكتابات على العاطفة والذاكرة العربية التي ترى أن الاستعمار الأوروبي سبب رئيسي للمشاكل العربية، لذا فعندما حدث الغزو كان الرأي العام في الوطن العربي كاملاً قد هيئ لاعتبار القضية ليست أكثر من إعادة تصحيح تاريخي لوضع سياسي وجغرافي خاطئ فرضه الاستعمار لتمزيق الأمة، مع أن المصادر التاريخية لا تحمل دلالة قطعية على تبعية الكويت للعراق تاريخياً حيث تفيد بعض الوثائق التاريخية بأن الكويت كانت تعرف بـ"الكرين" وكانت تتبع لأمير القطيف والأحساء[2] حتى عام ١٧٥٢م حيث استقل أمير الكويت الشيخ صباح بن سالم بإمارة الكويت عن أمير القطيف في حينه سليمان بن عريعر[3]، إلى أن ظهرت المشكلة بين الدولة العثمانية وبريطانيا منذ بداية القرن

---

(١) الوجيه، عبدالرحمن محمد محمود، انفصال جزء من إقليم الدولة، جامعة صنعاء، ٢٠٠٥م، ٣٤٤، ٣٤٥.

(٢) الأعظمي، وليد حمدي، الكويت في الوثائق البريطانية، رياض الريس للكتب والنشر، لندن - قبرص، الطبعة الأولى ١٩٩١م، ص٢٣.

(٣) الأعظمي، نفس المصدر، ص٢٤.

العشرين مع بدأ فكرة مشروع سكة الحديد الألمانية العثمانية (برلين ـ الخليج العربي) والذي كان ميناء الكويت يمثل المحطة الأخيرة المقترحة له على الخليج العربي فبدأ الخلاف بين الدولة العثمانية من جانب وأمير الكويت وبريطانيا التي كانت وقعت اتفاقية حماية مع أمير الكويت عام ١٨٨٩م من الجانب الآخر حول تبعية الكويت[1]، وأنا لست هنا بصدد الاسترسال في تقييم عدالة أو موضوعية الفكرة من عدمها ولا معنياً بذلك في هذا الكتاب، ولكن ما يهمني هنا هو الإشارة لما حملته تلك المرحلة السابقة للأحداث من إنشاء قاعدة معرفية في الذاكرة العربية واستدراج الجماهير للتعاطف مع إعادة الحق لأهله وبالتالي تقبل الأحداث اللاحقة. وقد ظهر أثر ذلك في تفاعل الرأي العام الذي عكسته وسائل الإعلام العربية، وحتى المواقف السياسية المصاحبة للحدث، رغم أن الجميع لا يعرف الكثير عن الخلفية التاريخية سوى من خلال تلك المقالات.

ومن ذلك يجب أن نستوعب خطورة ما يدون عن تاريخ الوطن، وندرك أن ما يكتب حوله على الورق اليوم قد يترجم على الأرض كواقع مفروض بالقوة غداً، والأيام دول.

وليس الأمر بالنسبة لأثر الرواية التاريخية على حاضر ومستقبل الأمم متعلق بالنزاعات السياسية والحدودية فقط، فالأحداث والروايات والمفاهيم والقيم والمعارف والتي تمثل إرثاً تاريخياً قد تفعّل لتكريس مركزية الأمة حالياً ومستقبلاً، وقد تهمل فتفقد الأمة هويتها الثقافية.

فالتاريخ بالإضافة إلى أنه يحمل بين طياته الهوية فهو يحمل إلى جوار ذلك الإرث الثقافي والمعرفي للأمة والذي عندما تتمكن من استثمار مكامن القوة فيه، فهي تفرض شخصيتها كأمة لها قيمتها، وتحافظ على توازنها المعنوي، ومن ثم المادي، بينما التفريط به يعني التفريط بأحد أهم ممتلكاتها الذي بني على أيدي الأجيال المتعاقبة، ومن ثم فقد صلتها بهويتها بكل أبعادها.

٢. حتمية كتابة التاريخ الوطني بين مسلك الحذر ومخاطر العبث

في ظل التواصل الكوني والتبادل اللحظي للمعلومة في هذا العصر، وتوفرها بشكل يتيحها للجميع دون الكثير من الجهد، فإن التاريخ أصبح ملكاً مشاعاً لكل باحث ودارس وكل قارئ بل وكل متطفل، فالكتب التي كانت شبه نادرة أو غير مقروءة أصبحت تتقاطر على مواقع الشبكة، ومن ثم فإن كل من يملك الرغبة والقدرة على سبر أغواره فله ركوب بحره والغوص في أعماقه لاستخراج الدر من مكامنه دون أن يبلل شعرةً أو يذرف جسده قطرة من عرق، فلم يعد بمقدور أي جهة إخفاء أي معلومة تاريخية، كما لم تعد القراءة والكتابة عن تاريخ الوطن

---

(١) الأعظمي، نفس المصدر، ص٥٨.

حكراً على أهله، فلم يعد بإمكان أحد ـ فرداً كان أو مجموعة أو سلطة ـ أن يفرض وجهة نظره حول التاريخ مدعياً الكمال، أو أن يخفي شيئاً من المدونات التاريخية، فكل الأخبار التاريخية عنك إن لم تكتبها سيكتبها سواك وإن لم تقرأها فسيقرؤها سواك، وإن لم تتفهم أهمية أن تكتب التاريخ بالطريقة الصحيحة، فقد تركت للآخرين أن يؤصلوا مصدرية تحريف روايته للوصول لغاياتهم، فالتاريخ أمر غير محسوس في الواقع ومن ثم فعلينا أن لا نتوقع أن تكون هنالك حقيقة كاملة ناصعة جلية في الرواية التاريخية، فقد يحمل التاريخ على رواية خاطئة أو عدة روايات متناقضة تشوش كل منها على الأخرى رغم أن الحقيقة واحدة.

لذا فمن الحماقة أن نتبنى مغامرات العابثين ونوقف تاريخ الوطن على نهجهم، أو نتغاضى عما يقومون به من عبث، بينما نراهم يسيئون لكل شيء فيه، فنعطي الفرصة لكل طامع ومزايد للتلاعب بهويته وتشويهه وتحريف مساره، حتى ولو حملوا ظاهرياً دعوى إخلاص النية والسعي لتحقيق المصالح، لأن سلبيتنا ستعني ابتعادنا عن تمحيص ما كتبوا بشكل متزن يضمن بقاء الحقيقة واضحة جلية ويكشف الخطأ قبل استفحال أثره، فالتغاضي عن الرواية التاريخية الخاطئة ستعني تاريخياً المصادقة عليها، فما كتب قد كتب وإما أن نتجاهله بينما الزمن لن يتجاهله، أو أن نضع الإصبع على مكامن الخطأ ونشير إليه في حينه، ونقبل ما صح منه ونرفض ما لا يصح، ونبرئ أنفسنا والتاريخ من العبث.

كما يجب أن نستشرف أثر ما يكتب على القادم من الزمن وما يمكن أن ينضح به من آثار، فكتابة تاريخ الأرض والإنسان لها أبعاد آنية وأخرى مستقبلية كما أن لها آثار محلية وأخرى خارجية في المدى المنظور وغير المنظور، وإذا لم نحط بكل هذه الجوانب واعتقدنا بأن التاريخ يمكن أن لا يقرأ إلا من خلال وجهة نظر واحدة تبنيناها أو تبناها لنا خلف الجدار من توهمنا أنه يلبس ثوبنا وتوسمنا وهماً فيه إخلاص النية، فسلمنا ذقوننا لحكمته التي تخفى علينا، فلن يدفع الثمن سوانا أو بعضنا في زمن آخر.

وعندما نكتب التاريخ أو نحاول أن نفرض قراءة له فيجب أن نتفهم أن التاريخ سلسلة من المدونات والآثار التي يجب البناء عليها لما بعدها، لا محاولة القفز عليها وعزل الرواية التاريخية الحالية عن الأصول المدونة، فالاعتقاد بأن ما يُبتدع في عدد من الصفحات الصفراء هنا وهناك سيجب ما قبله على مدى الزمن، ليس سوى محاولة لإسناد الجدار المائل بينما الزمن كفيل بإسقاطه على رؤوسنا عندما تكلُّ أيدينا ونحن نقاوم ضيق الزاوية المتعاظم أمام أرجلنا، وعندها قد تفرض الحقيقة التي تعامينا عن رؤيتها خلف ذلك الجدار نفسها ناصعةً بعد أن يكون الخطأ قد أوقع كامل أثره على المجتمع داخل الجدار.

والإشكالية الأكبر حينها هي في أنك ستجد كل بوابات المرور إلى حصاد الأسوأ في هذه الرواية الخاطئة قد تم الولوج من خلالها لتوثيق ما يرمي إليه الآخرون. فلا شك أن توثيق وترويج الروايات الخاطئة سيتولد عنه على مدى الزمن كم من المدونات ذات الأهداف غير المحلية المستندة إلى بعضها، بينما سيتم محاصرة كل ما يصب في خانتك لإسقاطه. لأن يداك من أوكتا. والمنطق يقول أن ليديك أن تكتب عنك لا لك، وهنا تكون قد تركت لمصادر مجهولة أن تتحدث باسمك منساقاً خلف أضغاث الأحلام فكتفت نفسك بينما أيدي الآخرين طليقة في استثمار أخطائك.

فالركون إلى أن مجرد كتاب أو كتابين أو عشرة كتب أو أكثر تحاول أن تلوي عنق التاريخ في عصرنا الحالي ستتمكن من استغفال الآخرين على مدى الزمن وإقناعهم بحقيقة جديدة متكاملة فرضناها بطريقة غير منطقية، وسترمي كامل النظرة إلى هوية الوطن في اتجاه آخر هو في حقيقته وهم، فنحن بذلك لا نستغفل سوانا، بل إننا بذلك نترك لأصحاب الأهداف الأخرى مهمة تحقيق غايتهم المرحلية من خلال التلاعب بتاريخنا وهويتنا والتشويش عليها، بينما هم وسواهم لن ينسوا الحقيقة على مر الزمن، والتي ستظل ماثلة فيما بين أيدي الأجيال من مدونات تاريخية سابقة لما أحدث من تحريف وتلفيق تحمل في متونها الحقيقة، وربما أعادوا الأمور إلى اتجاه آخر بعد أن تكون حقائق جديدة استندت إلى التزوير قد فرضت نفسها على الأرض.

كما أن ترك أيدي ذوي الأهداف الشخصية والأحلام الفارغة تعبث وتبعثر كل إرث المجتمع التاريخي لتحقيق غاياتها الخاصة على حساب أمة كاملة هو جريمة في حق الأجيال القادمة والتي ستسدد ثمن هذه المغامرات من أمنها ومن قيمتها المعنوية ومكتسباتها التاريخية. فما يكتب الآن سيظل يقرأ على مر التاريخ حتى بعد أن نرحل نحن ومن كتب، لذا يجب تذكر ذلك جيداً عندما نكتب أو نتعامل مع ما يكتب، فعندما نبحث عن الحقيقة بطريقة منطقية واضحة المعالم فلن نشعر بالندم أياً كانت الحقيقة، ولكن عندما يلوى عنق التاريخ لتحقيق مصالح شخصية أو سياسية أو عرقية لطرف ما على حساب الأمة، فهنا تكمن الخطورة في الموقف المحايد، فالتاريخ ملك للأمة بكل امتدادها المكاني والزماني وتشويهه والمجاملة أو التعامي عن العبث به لتحقيق المآرب الشخصية يقع ضرره عبر الزمن، فالتلاعب بالرواية التاريخية قد يشوش على شخصية المجتمع وحقيقة هويته ودوره التاريخي، فغيرك لن يهبك جزءاً من وطنه أو من تاريخه أو يترك لك التلاعب بهويته حتى وإن وهبته وطنك أو تاريخك أو تركت له القيام بذلك، فكل ما هنالك أنها ستسقط المعادلة العادلة، وتلوى دورة التاريخ لانتقاص قيمتك المعنوية والمادية مقابل القيمة المعنوية للآخرين والقيمة المادية لأوطانهم التي تعاظمت على حساب وطنك، كما أن تمزيق ذاتك التاريخية وتشتيت هويتك في سبيل الوصول إلى هذا الهدف هو جريمة كبرى في حق أبنائك. فرغم أن هذا التبرؤ من الذات والهوية

قد لا يرتبط بأكثر من فترة محددة أو إطار جغرافي محدد أو على مستوى ثقافي محدود فإن فيه الكثير من الخطورة، فالتأثير على الذاكرة الشعبية قد يكون أثره أكبر من أن يدارى بمحاولات تصحيح تتخذ في مراحل لاحقة، فلا شيء قد تندم عليه أكثر من أن تجد أنك لا تستطيع التبرؤ مما خطته يداك أو ما كتب على مرأى ومسمع منك وأنت تراك تدفع ثمنه، ولن يلعن جيل من قبله على جريمة أكبر من بيع الوطن، فلا ذنب أكبر من ذلك تجنيه على أبنائك وأحفادك، فصمتك بمثابة ضعف يجرئ الآخرين على المزيد من الإيغال في العبث، عندما تتعامى عن التجاوب مع ما وضعوه من تشويه لتاريخهم وهويتهم والوقوف أمامه بحزم.

وقبل المرور إلى الخانة الأخرى فلا بد أن نتفهم أن حرية أي طرف في الكتابة لا تمنع حرية غيره في المداولة حول ما كتب خاصةً إذا كان يملك أدواتها، أما عندما نتحاشى النقاش حول ما خطت أيدينا، أو خطته أيدي الآخرين، ونتجه إلى مهاجمة من يخالفنا خارج إطار المنهج العلمي، فلا شك أن ذلك لن يحمل إلا على يقيننا بهشاشة ما وضع خيالنا من أكاذيب على الورق في جنح الليل، والتي ستجعل عجلة التاريخ الحتمية تمر من فوقنا.

كما أن حرية الكتابةِ لا شك لا تعطي أي شخص الحق في استغلال التاريخ لتصفية حسابات تاريخية مع الخصوم، ولكن عندما نكتب عن قصة أو نمط الحكم في موقع ما، فإن هذا أمر مشروع في حدود ما تقتضيه الضرورة، ولا يحق لأي إنسان أن يعتبر نفسه معنياً بشكل شخصي بما كتب، لأن السلطة ببساطة جزء أساسي من التاريخ السياسي للوطن، كما أنه يملك حق الرد وإظهار الحقيقة إذا كانت توافق ما يراه، فعندما نستسلم مثلاً لمصدر مجهول طارئ على التاريخ يخبرنا بأن هنالك من كان يملك كل ذرة من الوطن وتدين له كل رقابها وتنحني أمام عظمته كل قمم هذه الأرض منذ الأزل، وأن ثوراتها وحروبها وفنونها وتراثها وعاداتها وأنماطها الاجتماعية وقيمها وشيمها كلها من صنع يديه، وأن الوطن لا شيء بدونه، ويجير زوراً كل الدماء التي أهرقت والأرواح التي أزهقت لصالح شخص ما أو أسرة، ويعبث بهويته وتاريخه ويستثمر دماء شهدائه، ويهيئه لمستقبل مظلم بإعطاء حقوق تاريخية للآخرين في أرضه، ويعمم تاريخه ومفاخره على أمم شتى في سبيل تعظيم ذاته الحقيرة، ثم يطلب من الجميع التأميم ويجمع التكتلات لرمي كل من يخالف ذلك دون أن يجد من يوقفه، فهنا نجد أننا بين أمة ساذجة خاملة سلبية فقيرة الفهم لمعنى وقيمة التاريخ وإدراك ما يدور حولها، ونصادق بذلك على عدمية قيمة الإنسان وسذاجته وهامشيته في تاريخ أرضه الأم التي أنجبته، ونصادق على التظليل في الهوية، ونقدم الوطن هدية لطموح الآخرين.

الفصل الثاني

تزوير التاريخ أبعاد وصور

١. مخاطر التزوير في الرواية التاريخية

تزييف وتحريف الرواية التاريخية هو أمر قديم، بل هو أقدم الجرائم التي عرفها البشر، وآثاره لا زالت هي الأكثر تأثيراً على الحياة البشرية، فمنذ الإنسان الأول كان أول وأكبر خطأ ترتكبه هذا المخلوقات الجديدة كما يخبرنا كتاب الله هو نتاج استسلامه لأول جريمة تحريف منظمة للحقيقة التاريخية حبلها له عدوه الأزلي، عندما زين له الشيطان عصيان أمر ربه فأكل وزوجه من الشجرة التي نهاهما الله عنها، قال تعالى:

﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (البقرة: ٣٥).

ولم يكن لإبليس على سيدنا آدم وزوجه من مدخل إلا بتزوير الحقيقة التاريخية عندما أظلهما عن حقيقة تلك الشجرة فأوهمهما وهو الأقدم وجوداً منهما بأنها شجرة الخلد، وأن من يأكل منها يكتسب صفة الخلود فظنا أنهما أمام عالم بالتاريخ أمين على نقل الحقيقة فأكلا منها قال تعالى:

﴿ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ (طه: ١٢١-١٧١).

فكان عقاب الله لهما بإنزالهما إلى هذه الأرض بدلاً من الجنة، وكان على بنيه أن يدفعوا ثمن خطأه عندما انطلى عليه التزوير إلى يوم الدين.

وظل تزوير التاريخ عبر الزمن سبباً للكثير من الكوارث والانحرافات البشرية، فهو الدليل

لعبادة الأوثان من دون الله والتي أقيمت أساساً لتخليد ذكرى الصالحين، وهو معول الدكتاتوريات والبطش عبر الزمن لعبادة الحاكم، وخطوات الطريق إلى الشرك، وتفرق المذاهب والطوائف.

فلتحريف الحقائق التاريخية الكثير من الآثار السلبية المعلومة وغير المعلومة على المجتمع البشري كافة عبر الزمن منها:

أولاً: عزل التاريخ عن دوره كمنارة للحكمة وحافز للحراك الإنساني.

ثانياً: التضليل في هوية الأرض والإنسان.

ثالثاً الإخلال بالدورة الفطرية لتداول الأدوار عبر الزمن.

رابعاً: غمط حقوق الأموات وسرقة جهدهم وجهادهم.

خامساً: باب لاستمراء العبث بالرواية التاريخية.

وسادساً، وسابعاً... الخ.

فهو مجموعة من السلبيات التي لن تستطيع يد واحدة أن تحيط بها، ولكننا سنعرج على ما أوردنا في الفقرات السابقة بإيجاز لتوضيح بعض الصورة.

أولا: عزل التاريخ عن دوره كمنارة للحكمة وحافز للحراك الإنساني

قام ويقوم علم التاريخ في حياة البشرية بدور رئيسي لم يحمل أعباءه علم آخر عبر الدهر فهو الملهم للحكم والمنهل للعبر والمداد للخبرات، كما أنه حافز للمنافسة البناءة بين الأمم والشعوب والدول لمواكبة ما وصل له الغير عبر الزمن مما يحث الخطى البشرية لمزيد من الإنتاج والإبداع. فهو وسيلة التواشج بين الأمم المتباعدة زمانياً ومكانياً كحامل للأخبار التي تحمل إثراء المعلومات البشرية، وهو الناقل لخبر الحوادث التي استمد منها الإنسان الحكم ومداد الخبرات التي دائماً ما يبدأ منها لبناء حضارته القادمة حتى وصل إلى ما وصل إليه، وبه سادت أمم على أمم، لذا فإهمال أو تحريف روايته سيحرم الأمة حق الاستفادة منه كباعث ومحفز، والاعتبار من حكمته بالطريقة الصحيحة، ويحوله من دليل صادق إلى مضلل.

ويكفي أن نرى كيف أنه كان منهل الخبرات التي انتقلت بين الأمم عبر صفحاته ونمت حتى نضجت بين أيدي أولئك الذين أدركوا أهميتها فحرصوا على جمعها من تواريخ الشعوب الأخرى وأحداثهم بموضوعية وضعوا لها قوانيناً ونظماً صارمةً جعلتهم يسبرون أغواره دون أهله، فأسسوا المدارس المتخصصة لذلك وشد الرحالة رحالهم ليطوفوا بين شعوب الشرق

الأدنى والأقصى حتى تمكنوا من جمع خبرات الشعوب وأحداثهم ومكامن قوتهم وضعفهم عبر الزمن، ودخلوا بهذه الخبرات عصر النهضة التي غيرت معالم الكون ومكنتهم من السيادة على تلك الشعوب التي سبروا مكامن الإمساك بنواصيها من خلال تاريخها الذي لا زالت تتعامل معه كوسيلة للنفاق والتكسب والتملق والتحريف والتعصب والمفاخرة، فشوهت معالمه مما حرمها الاستفادة من فضاءاته الواسعة، بينما استقرأ فيه غيرُها ما فتح له آفاقاً لم تتمكن من بلوغها عندما تهربت من أداء حقوقه المفروضة.

ثانياً: التضليل في هوية الأرض والإنسان

إن لكل مجموعة من المجموعات البشرية تقطن رقعة من الأرض انتماء صغير وانتماء أكبر وأكبر يحددها معرفة تسلسل أحداث التاريخ ومعرفة الشعوب والأعراق التي قطنت وتقطن فوق هذه الأرض وصلاتها مع بعضها ومع الآخرين وتبعيتها السياسية وتداخل أحداثها مع المجاورين أو قيام الدول والولايات فوق ترابها، وتحديد خصوصية العوامل المشتركة مع المجاورين بدقة.

ومعرفة هذه الانتماءات من أصغرها إلى أشملها له أهمية كبرى في تحديد مستقبل هذه الأرض والإنسان الذي يقيم فوقها تحديداً عادلاً يمنع عنها الاحتواء في الغير مهما كانت العوامل المشتركة معه، لذا فإن عملية التضليل في رواية الأحداث وفي تتبع حركة الإنسان فوق الأرض عبر التاريخ سيقود إلى تغيير حقيقة انتماء الأرض مما قد يعرضها لإشكالات التبعية في المستقبل، وهو ما قد يهضم قيمة الإنسان الذي يعيش فوقها، فمثلاً عندما نورد أخباراً غير حقيقية تدل على تبعية الأرض أو إنسانها إلى المجاورين ونحاول أن نفرض تقارباً عرقياً أو سياسياً تاريخياً ذا خصوصية بشكل خاطئ، فنفرض بذلك تبعية هذه المجموعة والأرض لمجموعة أكبر مجاورة لها من خلال محاولة مسح ذاكرتها، فإننا نمهد الطريق لضم هذه الأرض وساكنيها إلى غيرها في المستقبل، وفي ذلك ظلم لها ولإنسانها، لأن التبعية للغير فيها انتقاص لقيمة الإنسان واستقلاليته وخصوصية شخصيته ونديته للآخرين، وفيها إلغاء لهوية الوطن وهضم لتاريخه وإزاحته من النور إلى الظل، كما أن عملية الذوبان في المجتمعات الأخرى والتي لا توجد حقيقة واضحة للانتماء لها هو أمر متعذر ولن يكون إلا في ظل دونية ستفرض على كل من ينتمي إليها حتى ولو كان هنالك عوامل مشتركة بين الطرفين، ولنا في التاريخ وفيما نرى من محاولات الانفصال المستمرة للأقليات والشكوى من الاختزال الثقافي والسياسي لهذه الأقليات خير عبرة.

ونحن هنا لا نحاول أن نفترض الفصل السياسي أو العرقي بين المجاميع أو الأقاليم التي لها

نفس الانتماء الشامل في العرق واللغة والثقافة والدين كما هو الحال بين أقاليم الجزيرة العربية مثلاً، والتي انضوت معظمها في دولة واحدة، أو كل الوطن العربي، ولكن حرية تحديد الهوية التاريخية لكل جزء مهما كانت صغيرة فإنها تميز إنسان هذا الإقليم أو المنطقة وتبقي له الحق في المفاخرة بخصوصيته كما هو حال سواه، وحق الاختيار لتحديد مستقبله عبر الزمن، وهذا لا يمنع حدوث الوحدة بين الأقاليم المتجاورة التي تجمعها أصول وهوية واحدة أكبر بل هو أمر مطلوب، ولكن ذلك يجب أن يكون في ظل وحدة متكافئة تحصل فيها كل الأطراف على المواطنة الكاملة فيكون ذلك داعماً حقيقياً لبقاء واستمرار وثبات هذه الوحدة، ورسوخ القواسم المشتركة كموحد للهوية.

فعملية الضم التي تحمل بين ثناياها إلغاء هوية وذاكرة أحد الأطراف لا تستطيع الاستمرار أبداً، وهنالك الكثير من الأمثلة لما أفرزه هذا النوع الاختزالي من الوحدة كوحدة باكستان وبنغلادش واللتان تنتميان لعرق شامل واحد ودين واحد، فقد كان لسيطرة الثقافة والهوية الجزئية الباكستانية دوره في اتجاه البنقلاديشيين إلى الانفصال، ومثلها كانت وحدة مصر وسوريا ذات العرق والدين واللغة الواحدة، وبين أيدينا الآن وحدة اليمن الشمالي والجنوبي وإفرازاتها على الأرض، وحتى في أوروبا كانت وحدة يوغوسلافيا ذات السيادة الصربية سبباً في تلك التصفيات العرقية التي انتهت بها تلك الوحدة، بينما نجحت وحدات تحترم خصوصية وحرية كل جزء منها كما في الولايات المتحدة أو في ألمانيا أو الاتحاد الأوروبي.

لذا فمن المهم تحديد الهوية مهما كانت صغيرة لكل جزء من الأرض يسكنه شعب ينتمي إليه بشكل واضح صادق لا يقبل اللبس، فتحديد الهوية الصغيرة لا ينفي الهوية الأكبر ولا يمنع أن تكون هنالك وحدة مع المجاورين على أساس هوية شاملة للأطراف الموحدة لا تختزل جزءاً منها في الآخر.

ثالثا: الإخلال بالدورة الفطرية لتداول الأدوار عبر الزمن

عندما نفتش بين حلقات التاريخ المتواصلة فإننا نجد أن هنالك توازن وتداول للأدوار على مدى الدهر، فمراكز القوى والبروز التاريخي تنتقل من موقع إلى آخر بين عصر وعصر كما أن الطفرات الوراثية الإيجابية ليست حكراً على جهة دون أخرى، فبقدر ما تنتج كل أمة من الأمم أو مجموعة من المجموعات المتصلة على أي المستويات تنتج الأخرى في زمن آخر، وعندما تتفوق مجموعة ما في عصر ما فإننا نجد أن تلك تتحرك في فترة أخرى وهكذا، ونجد أثر هذه الدورة جلياً عندما نرى كيف أن معظم مناطق الاستقطاب الحضاري الحالية في العالم كشمال أوروبا وأمريكا واليابان كانت مناطق ضعف في العصور السابقة وعلى الجانب الآخر فإن مراكز

الحضارات القديمة التي تداولت مركزية الحضارة العالمية كالهند ومصر وأثينا والعراق وبلاد الشام لم تعد مراكز قوة، ولكأن الشعوب التي كانت في المقدمة تراجعت وتركت مراكزها لسواها، ومثل هذه النظرية يمكننا أن ننزلها حتى على المستوى الإقليمي أو المناطقي أو ما هو أقل من ذلك، حيث تجد لكل مجموعة دور محوري خلال مرحلة ما من التاريخ ذهب واستلمت الراية أخرى ثم أخرى وهكذا، مما يجعل عملية التداول عادلة ومقبولة على امتداد الزمن.

وعملية التداول هذه يكمن خلفها تداول أهم وهو تداول الحافز، والذي عادة ما يجعل من الشعوب الأقل حظاً في هذه المرحلة لا شعورياً تسير لأخذ زمام مرحلتها في الدورة، وهنا فنحن أمام توازن حقيقي يصنع نفسه تلقائياً إذا لم تتدخل فيه عوامل خارجية.

وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٤٠)، وهنا نجد من الله سبحانه وتعالى الإشعار بتداول الأدوار عبر الزمن بين البشر بإرادة إلهية محكمة النسق، وهو ما يبعث على القناعة والاطمئنان والتسليم بأدوار الآخرين كجزء من هذه الدورة المنظمة، لذا فإننا عندما نتلاعب بالرواية التاريخية فإننا نخل بدورة التوازن التاريخية فنغمط حق مجموعة في الاحتفاظ بدورها التاريخي في مرحلتها كأختها ونعارض سنة الله في خلقه ونخل بانسيابية دورة التاريخ المتصلة، بل قد نظلم من أردنا رفع مقامه بعزله عن مرحلته في تداول الحافز، فنؤجل دوره المستحق تحت تأثير المهدئات المؤقتة والتي لا بد أن سيلغى مفعولها يوماً ما.

فالمحافظة على الموضوعية في نقل التاريخ واستقرائه يحفظ للأمم والشعوب حقها في الذكر التاريخي كباعث يحقق التعويض النفسي عن التراجع المرحلي الذي قد ينتاب المجموعة إلى حين عودتها إلى الواجهة في مرحلتها القادمة من الدورة، كما أنه يحمل في متونه الدافع اللاإرادي لتلك التي لم يصل دورها بعد، لحفز همتها للتعويض وتحقيق التوازن لأفرادها مع بقية المجاميع.

لذا يجب أن نتفهم أهمية حرص المجموعات البشرية الكبيرة أو الصغيرة أمم كانت أو دول أو أقاليم أو شعوب أو قبائل أو مدن أو قرى أو ما هو أقل من ذلك على المحافظة على إرثها التاريخي كما هو أياً كان وضعه.

رابعا: غمط حقوق الأموات وسرقة جهدهم وجهادهم

عندما نترك المجال لكل من رغب أن يكتب التاريخ على طريقته دون تمحيص ولا تحقيق، فلا شك أن هنالك الكثير ممن سيسعى من خلال تحريف وتغيير ملامح الرواية التاريخية بما يحقق ذاته المذهبية أو العرقية أو السياسية، ومن ثم فإننا سنجد أنفسنا أمام تناقضات وتباينات في رواية التاريخ تجعل الأجيال القادمة في حيرة من حيث تمييز حقيقة مسار الأحداث، ودور كل

فيها وما يستحقه من الذكر، ومن هنا فإن هنالك الكثير ممن أزهقت أرواحهم في سبيل عقيدتهم أو حرية وطنهم سيحرمون الذكر الذي كان سيظل محفوظاً لهم على مدى الدهر، والكثير من المبدعين سيحال جهدهم إلى غيرهم ظلما، بينما هنالك الكثير ممن سيذكرهم التاريخ كأبطال ومبدعين بينما هم أبعد ما يكونون عن ذلك، ولعل التاريخ العربي بل البشري كافةً واجه من خلال إخضاعه للمنهج العلمي في البحث والتقصي الكثير من الأسئلة حول حقيقة الكثير من الأحداث والأبطال والأساطير والشعر والروايات المتناقضة والمنسوبة لغير أهلها مما يدل على تجذر أثر الأسطورة والتحيز في الأخبار التاريخية منذ القدم، فهنالك شخصيات لا زالت تتداول على مدى الزمن يحف قصصها الكثير من المبالغات محلياً على مستوى الملوك كأسماء ملوك اليمن التي أوردها الهمداني والكلبي، وشعرهم العربي الفصيح الذي ابتدعه الإخباريون كدعبل الخزاعي والهمداني وغيرهم، بينما كشفت النقوش عن أسماء أخرى مختلفة[1]، أو من الشخصيات الأسطورية كمجنون ليلى وأبو زيد الهلالي وغيرهم، أو حتى عالمياً كشكسبير أو غيره من الأسماء التي تركت أثراً في الكثير من المدونات التاريخية بينما هي شخصيات دار الشك حول وجودها أو دورها عندما أخضعت تفاصيلها للبحث الموزون، فالمنهج العلمي في كتابات المتابعين لأثر هؤلاء يكشف عن وجود الكثير من المبالغات فيما روي عن الكثير من الأسماء التاريخية بل ويثير السؤال حول وجود شخصيات بعضهم من الأساس فقصة أبو زيد الهلالي مثلاً لم ترد في عصرها كما يتناقلها العامة، بينما أفردت لها صفحات الكتب في العصر الحديث معتمدة على ما يتداوله العامة عن قصة عمرها عدة قرون، وبالمثل نجد أن الشاعر الإنجليزي الكبير شكسبير هنالك من النقاد من أنكروا نسبة عدد من الروايات المسرحية التي نسبت له إليه، بل إن هنالك من يشكك في وجوده[2]، فإذا كانت مثل هذه الشخصيات المشهورة جداً والمؤثرة تدور حول وجودها وإرثها الثقافي الأسئلة فكيف بأخبار الكثير من الملوك والشعراء، والأساطير التي لا تدين للمنطق السليم بفضل.

وفي استمرار مثل هذه الطريقة في كتابة التاريخ في هذا العصر الكثير من الانحراف عن مسار الموضوعية، وأي ظلم هو عندما نهيئ الوضع ليظل التاريخ يرفع وضيعاً أو يقزم رفيعاً على مدى الدهر، وتظل الأجيال تصف وفياً إلى جانب الخونة والأفاقين، وتثني على متسلقاً متملقاً وتضعه في مصاف العظماء.

---

(١) الأكوع، محمد، اليمن الخضراء مهد الحضارة، مكتبة الإرشاد صنعاء، الطبعة الاولى، ١٤٢٩هـ ص٢٩٩ - ٣٢٢.

(٢) عبده، سمير، صناعة تزييف التاريخ، ٣٤، ٣٥.

خامساً: باب لاستمراء العبث بالرواية التاريخية

إن استمرار عملية تمرير التلاعب بالرواية التاريخية، سيفتح باباً للوصول إلى تحقيق المصالح والأهداف على الساحة من خلال استخدام التاريخ بطريقة خاطئة في ظل المناكفات المستمرة سواءً السياسية أو المذهبية أو الإقليمية أو العرقية حول الحقوق السياسية أو الأدوار التاريخية لكل طرف، فيكون ذلك باباً لإخضاع الرواية التاريخية للتوجهات والرغبات البشرية الآنية، لتتحول هذه المواجهات إلى تطاول وتلاعب وعبث بتاريخ أمة في ضوء معاينة الأطراف وملاحظتها لما يوضع على الساحة من أخبار متناقضة ومناقضة للمنطق تجرأ من قبلهم عليها، مما سيشجع على اتخاذ التحريف والتزوير في رواية التاريخ وسيلة للظهور على الساحة كسلاح تديره المماحكات الآنية في كل زمان، وذلك بدون شك سيجر إلى المزيد من الجرأة على التدخل غير المحايد في السرد التاريخي، فيتحول تدوين التاريخ إلى مسرح للصراع السياسي والمذهبي والعرقي، مما سيجعل عملية الغربلة لاحقاً أكثر صعوبة بعد أن تطفو على الساحة أعداد من الوثائق والكتب والروايات الشفهية التي تلوي عنق التاريخ لمصلحة كل فئة، بما سيشوه التاريخ، ويجعله باباً للسخرية بالمجتمع، ويثير الكثير من الإشكالات في تحديد الهوية والانتماء الثقافي والسياسي للأمة.

واعتقاد أي جهة بأنه يمكنها أن تنفرد بإدارة عملية العبث بالتاريخ خلف الكواليس وتسييره لما يحقق مصلحتها غباء محض، والتصديق بأنه لا يوجد من يقرأ الحبر السري على الورق الأصفر حمق مكتمل البنية، ففتح باب العبث بالتاريخ سيعني تجرد آخرين للقيام بنفس المهمة في مواجهة ما وضعته الأيدي المبادرة بالتزوير، ومن ثم فعلى الجميع حينها أن يدفعوا ثمن سلبيتهم.

الفصل الثالث

تزوير التاريخ وبعض صوره

أخذ التزوير وتحريف الرواية عبر التاريخ أشكالاً متعددة وله وجوه كثيرة، ولعل أبسطها والتي يقترفها البشر عامةً التزوير التلقائي، وهو ما يتناقله الناس مشافهة من قصص وروايات يختلقونها أو يضيفون إليها أثناء تناقلها الكثير من التهويل والإثارة كما هي سمة النفس البشرية حتى تصبح أسطورة تتلاقفها أيدي المدونين.

فلو أمعنا النظر فيما وصل له العلم حتى هذه اللحظة وما وصلت له وسائل الاتصال والإعلام المقروء والمسموع وما تبثه الشبكة الإنترنتية من أخبار ونقل الأحداث أولاً بأول ثم تفكرنا في عدد الروايات المتناقضة رغم ذلك حول حادثة ما، كضرب أبراج التجارة العالمية في نيويورك مما لا يزال الجدل يدور حوله حتى هذه اللحظة حتى خارج الإطار العربي بين من يحيل الأمر إلى جماعة القاعدة كما هو معروف بصورة رسمية وبين من يدعي أن المخابرات الأمريكية كانت وراء الحدث لتنفيذ مخططات اليمين الأمريكي في العالم وتفكرنا فيما يطرحه كل طرف من استدلالات لأدركنا من خلال هذا اللغط كم هو حجم الأخطاء التي ارتكبت في رواية الأحداث التاريخية عبر التاريخ في ظل انعدام تام للتواصل إلا عبر الرواة الذين يصلون بالخبر بعد زمن، وربما اختلقوه أو أضافوا إليه أو حرفوه بما يتناسب مع أهوائهم أو رغبةً في الإثارة، فيصل الخبر محمولاً على رأي أي الأطراف دون أن يسمع للجانب الآخر، بينما لم تكن هنالك كاميرات للهواة تنقل الحدث كما كان في نيويورك، ولا كان هنالك قنوات إخبارية ولا شبكة انترنت.

وهنالك تزوير آخر من نفس الطبقة ولكنه متعمد، وهو الذي يتناقله الرواة من ألسنة بعضهم البعض من الروايات المختلقة الهادفة إلى تحقيق غاية ما، سواءً التفاخر أو إثبات العمق التاريخي في الموقع أو محاولة ضرب الخصوم وتشويههم أو بدافع العصبية فيتحول إلى مدونات تخلد هذا التزوير كمراجع يستند إليها، ولا شك مثلاً في أنه منذ بداية العصر الأموي شهد التاريخ العربي صراعاً قبلياً عربياً - عربياً ثم دخل على الخط بزوغ الروح الشعوبية في العصر

العباسي ثم ردة الفعل العربي تجاهها، فأوجدت هذه المراحل نوعاً من الفوضى في الرواية والتدوين ووثقت أخباراً وأنساباً لا أساس لها.

ومن أكثر الأمور أيضاً التي شوهت معالم التاريخ وأخلت بموثوقية الكثير من رواياته في التاريخ العربي سوء التقدير، فقد يقحم الكاتب بعض العبارات الافتراضية حول أمر ما على أساس المقاربة أو التخمين والاجتهاد الشخصي دون أن يشير إلى أنه يقوم بعملية ترجيح ومقاربة، فيوقع لبساً كبيراً على مدى الدهر حول حقيقة الرواية أو مفهوم الحالة خلال عصر معين، ونتصور حجم الإشكال في ذلك عندما نتصور أن الفرضية غير المعللة قد تكون بنيت على فرضيات أخرى تشابهها وهكذا، مما يجعل قارئ التاريخ يدخل في دوامة محاولة فك الطلاسم والمفارقات والتناقضات التي بين يديه، فتاريخنا العربي يحوي الكثير من التناقضات التي أوقعنا فيها من كتبوا التاريخ مكترثين بالكم لا بالكيف دون التحقق مما يضعون على الورق الذي بقي بين أيدينا بينما ذهبوا هم، فالافتراض والكتابة عن بعد في رواية التاريخ العربي ظل هو السائد في أكثر المدونات، وحتى عندما بدأ الرحالة العرب يجوبون الفيافي لكتابة التاريخ والجغرافيا من فوق الأرض ذاتها فإن أولئك الرحالة القليلون بدأوا طوافهم بعد أن تكرست الكثير من المفاهيم الخاطئة والمشوشة حول الجغرافيا والتاريخ والأحداث والصلات العرقية، والتي تسرب الكثير منها إلى ذاكرة المجتمع، فكان لذلك أثره على ما نقلوه ودونوه من تناقضات، فلا شك أن للمدونات أثرها على ذاكرة المجتمع ومفاهيمه منذ القدم، فقد تتحول هذه الافتراضيات المدونة إلى مسلمات ينقلها الرواة والمدونون من بعضهم، وهذا أسوأ ما يعاني منه تاريخنا العربي، وكثيراً ما نقرأ لمؤرخينا عندما ينقلون عن بعضهم قول أيهم "وهم فلان عندما قال كذا"، وجل ذلك الوهم ناتج عن محاولة الربط بين الأخبار أو بين المواقع والأحداث بإعمال الخيال الشخصي أو الهوى دون التوضيح حول حقيقة مصدر ما ينقلونه، أو عرض رأيهم بطريقة واضحة، فالشك أو الاستقراء أمر مشروع في الكتابة التاريخية ولكن المضي في ربط الروايات وسردها اعتماداً على الخيال الشخصي أمر خاطئ، ما لم يكن من خلال عملية طرح تحليلي أو نقدي واضح الصورة.

وهنالك أيضاً الحماس والمبالغات في الرواية التاريخية من قبل المدونين بدافع الإثارة أو التحيز والتي قد يكون أثرها بالغ السوء على أمم كاملة فقد يروي المؤرخ نقلاً عن حالة ما، لم يعايشها، أو ربما عايش حالة خاصة فيعممها على المجتمع فيرمي من خلالها شعباً من الشعوب بالجهل والتخلف والغباء ليظل مثار سخرية عبر التاريخ بينما ليس لها حقيقة على الإطلاق، وهنالك الكثير من هذا النوع الذي دبجه الرواة عن قصد أو دون قصد، فقد تداول المؤرخون

مثلاً رواية كولومبوس مع الجامايكيين عندما وصل لبلادهم فهمّوا بقتله فأوهمهم بأنه يستطيع أن يفعل أي شيء كأن يخسف بالقمر، وكان قد علم بموعد الخسوف عن طريق الفلكيين في ذلك اليوم، فخسف القمر حسب تحديده فانبهر الجامايكيين واستسلموا لطاعته، بينما كشف الفلكيون أن القمر لم يخسف في تلك الليلة التي ذكرت في الرواية[١]، ولعل هذه الرواية التي كشف العلم كذبها واحدة من الكثير من الروايات التي ابتدعها المؤرخون أو أتموا حبكتها الناقصة ثم تركوها ككرات ثلج متدحرجة يضيف كل منهم إلى ذاته من خلالها حتى أصبحت مسلمة، بينما هي في الحقيقة أكذوبة، ومن الطريف أن في تاريخنا العربي واحدة شبيهة بهذه الرواية، فقد ذكر النهروالي في أحداث اليمن عام ٩٧٧هـ أن لطف الله ابن شرف الدين المطهر تمكن من تجييش القبائل اليمنية إلى جانبه ضد جيش حسن باشا في "ثلا" بعد أن مني بهزائم ثقيلة فتفرقت عنه القبائل، وكان له ذلك بحيلة شبيهة بما ورد عن كولومبوس مع الجامايكيين، حيث أورد النهروالي أن المطهر عندما رأى تفرق القبائل عنه أرسل رسله إليهم مدعياً بأنه رأى النبي ﷺ في المنام وأنه أخبره بأنه سينتصر على الروم بعد أن ينصره أهل اليمن وستدوم دولته ويذعن له كل الملوك، وأوصاه بالخير في أهل اليمن والعفو عن مخطئهم وإكرامهم لأن لهم منزلة عنده، وأخبره بعلامة ذلك وهي أن يخسف القمر في يوم ١٤ شوال من تلك السنة، وكان قد علم بذلك من الفلكيين، فخسف القمر في نفس اليوم، فعادت القبائل التي تخلت عنه إليه[٢]، وقد قارنت التاريخ الموضوع مع ما ورد في إحدى نشرات "وكالة ناسا" عن مواعيد خسوف القمر الموثقة تاريخياً فوجدت أن أقرب موعد لخسوف القمر كان في يوم الثلاثاء الموافق ١٣ شعبان لعام ٩٨١هـ، وإن صح ما نقلته من ناسا فهنا تبدو لنا جلية عملية التلاعب بالتاريخ من مؤرخ يمني حاول تحريف حوادث تاريخ بلده عن حقيقتها لرمي من ناصروا خصمه بالغباء والاستسلام لمكره وخبثه، مع أن ما أورده كان من الناحية المنطقية بعيد المنال عن المجتمع اليمني في تلك المرحلة من التاريخ بما فيه القيادات القبلية المتنفذة والتي لم تكن على اتصال قوي مع العالم الخارجي يتيح لها الوصول إلى مثل هذه المعلومات العلمية كما كان حال النهروالي الهندي من أصل يمني الذي سكن مكة مقرباً من القيادات العثمانية العليا وتنقل بينها وبين مصر وبلاد الشام وتركيا.

وهنا تبرز لنا أهمية دراسة توجهات الكاتب وولائه ومدى ملائمة مادة كتابه لطبيعة البيئة

---

(١) عبده، صناعة تزييف التاريخ، دار الكتاب العربي، ص٤٨.

(٢) النهروالي، قطب الدين، البرق اليماني في الفتح العثماني، ص٣٧٨، ٣٧٩.

التي يكتب عنها، فالنهروالي كان موالياً بشدة للدولة العثمانية التي كان المطهر من خصومها في اليمن، ومن ثم كان لذلك أثره على كتابته، ومن البديهي أن نستنتج من التجرؤ على تلفيق هذه القصة ما يشي بالكثير من الأخطاء في كتابه، ومثله في ذلك الكثير من الكتب التاريخية التي بين أيدينا.

وهنالك أيضاً **التزوير المنظم**، كالذي يقوم به الكتّاب تزلفاً لذوي السلطة في محاولة لتغيير وجهة الأمور، أو تمجيد الحاكم، وإعطائه عمقاً تاريخياً وهالة من الذكر تخدم موقعه من احكم، أو بدافع التعصب للمذهب أو لوجهة النظر أو للعرق أو غير ذلك، وقد اتخذ هذا النوع من التزوير الكثير من الصور، فمن ذلك **التزوير العمدي المباشر** عن طريق المؤرخين الذين يروون القصص ويدبجون القصائد من خيالهم ومنه التدليس وإخفاء كل الأخبار التي لا تخدم الحاكم.

وقد نجد من أمثلة الرواة الذين أثروا على مسار التاريخ المدونين الأول لأساطير التاريخ العربي القديمة التي تناقلها من أيديهم الرواة في كل مصر وعصر أمثال الكلبي والمسعودي والهمداني والجرجاني، ولو أمعنا النظر قليلاً في الكثير من الروايات والأساطير التي أوردها هؤلاء وغيرهم لظهر لنا دور الخرافة والأساطير والتحيز فيما رووا من أخبار وهو ما أشار له ابن خلدون[1]، وهنالك الكثير غيرهم عبر التاريخ العربي الذي نجد فيه العصبية والطائفية والأهداف السياسية قد أخذت مأخذها منه، فعندما تقرأ لدعبل الخزاعي أو الهمداني مثلاً تجد أن التعصب قد أخذ مأخذه من كتاباتهم، بينما تجد الطائفية تفوح من روايات آخرين كأبي مخنف الذي نقل عنه الطبري، أما التمجيد والتطبيل للحاكم فحدث ولا حرج فما زالت موجات التطبيل والتمجيد والتزوير التي يقودها كتبة الولاة تسير بالحقيقة إلى غياهب الوهم منذ الأزل وحتى الآن، وهذا لا شك مما أساء للتاريخ وظلل الإنسانية وأفقدها فرصة الاستفادة من هذا العلم الرفيع.

ومن ذلك التزييف في الوثائق، وهذا يعد من أسهل أنواع التزوير في العصر الحديث خاصةً مع توفر وسائل التزييف ووصولها ليد الجميع من العامة، سواءً بتزييفها كاملة أو بتحريف وثائق حقيقية لتحقق أهداف المزور، أو بعدم الحيادية في تحقيق أو ترجمة الوثائق أو الكتب الأجنبية التي قد تحمل بعض جملها أكثر من احتمال، فيختار المترجم ما يحقق غايته مشوشاً على الحقيقة، وحتى الوثائق التاريخية المعروفة فإنها لا تخلو من الأخطاء المتعمدة أو غير المتعمدة، فالوثائق القديمة جداً التي بين أيدينا الآن ليست قديمة قدم تاريخ تأليفها، بل هي مجرد

---

(١) ابن خلدون، عبدالرحمن، مقدمة ابن خلدون، مكتبة لبنان، ص٣، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦.

نقل عن مخطوطات يأخذ منها الزمن زاده فيعيد النساخ كتابتها بأيديهم، ولا يمر جيل إلا وقد كتبت نسخ أخرى مع ما قد يحدث فيها من أخطاء النقل حتى وصلت إلينا وقد نمت بينها أخطاء النقل بصورة تراكمية، فهذا كتاب "أنساب معد واليمن" مثلاً لابن السائب الكلبي المحقق بين أيدينا رغم أهميته التاريخية إلا أنه تعرض للكثير من التحريف والتصحيف من النساخ حتى أن المستشرق بيكر (C.H.Becker) تراجع عن رغبته في تحقيقه عندما اطلع على نسخته المخطوطة الوحيدة الموجودة في دير الإسكوريال لما فيها من الأخطاء والتصحيف والتحريف، وتركه بعد أن تجشم عناء البحث للوصول إليه[١].

وحتى **النقوش الأثرية** ليست في منأى عن التزوير بل لعلها أقدم ما وقعت يد الإنسان عليه من كشف لعمليات التزوير، فقد كشف أحد علماء الآثار في معبد الكرنك أن أحد الملوك الفراعنة في القرن السادس عشر قبل الميلاد وهو تحتمس الثالث قام بعملية تزوير لإخفاء أثر ما قامت به إحدى أسلافه وهي الملكة حتشبسوت عندما أمر أتباعه أن يقوموا بطمس ما كان مدوناً على إحدى المسلات في ساحة المعبد والذي كان عبارة عن نقش يسرد أعمال هذه الملكة لصالح المملكة وكتب بدلاً منه تمجيداً له[٢]، ولا زال احتمال التزوير في النقوش وارداً حتى في هذا العصر، وقصة حجر سليمان المزيف في فلسطين المحتلة على يد الإسرائيليين دليل على أمكانية حصول التزوير في النقوش وحتى في الآثار التاريخية ومراوغة وسائل التحقيق العلمية، فقد سقطت كل وسائل الكشف العلمي في كشف التزوير فيما وضعه المزور "أوديت جولان" من نقش على الحجر حتى تم فحص ظهر الحجر الذي غفل عنه المزور فكشف حقيقة التزوير، ولكن في المرة القادمة سيكون المزورون أكثر دقة واستفادةً من أخطاء جولان، فالعقل البشري ذو آفاق وتطلعات وابتداعات ليس لها حدود.

وليس التزوير في النقوش هو المشكلة الوحيدة التي تواجه استثمار هذه الآثار بالطريقة الصحيحة، بل حتى قراءة النقوش قد تتعرض للتشويه فقد روى الهمداني أنه ترجم بعض نقوش المسند في اليمن، ووجد أن قراءته كانت فيها الكثير من الإشكاليات اللغوية، كما لوحظ أن بعض النصوص الحميرية التي ادعى أنه وجدها في بعض الأحجار تشذ في طابعها عن طابع الكتابات الحميرية التي كشف عنها في العصر الحديث على وجه العموم[٣]، وكان هنالك أخطاء

---

(١) الكلبي، هشام بن محمد، نسب معد واليمن الكبير، الجزء الأول، تحقيق د. ناجي حسن، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، ص١٢.

(٢) عبده، سمير، صناعة تزييف التاريخ، دار الكتاب العربي، ص٥٧.

(٣) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، ج١/ ص٩٦، ٩٧.

لا تخلوا من التضليل فقد انساق الكثير من الإخباريين خلف ما أورده من قراءات لفك طلاسم التاريخ العربي القديم في جنوب الجزيرة العربية وتسلسل القبائل العربية غير المعدية ممن نسبها لقحطان بن يعرب فأحدث ذلك خطأ في فهم تاريخ أولئك الملوك وتاريخ القبائل العربية، وحتى في العصر الحديث فإن دلالات النقوش تظل في الكثير من الأحيان محل نقاش وجدل لاستنطاق مضامينها وربطها مع غيرها.

وهنالك أيضاً من المؤرخين من يتخذ من التدليس والتلبيس طريقة لتحريف التاريخ فقد يتلبس المؤرخ بثوب الصدق والنزاهة التي لا تمت له بصلة، وهو من أخطر وأكثر أنواع التزوير شيوعاً في تاريخنا العربي، فالمؤرخ قد ينتقي مما يقرأ ما يوافق هواه ويدعم فكرته التي يكتب من أجل إثباتها لا من أجل التحقق من صحتها، فيلتقط شاردة من هنا وواردة من هناك ليكوّن فكرة أو أفكاراً جديدة بعيدة عن الواقع، ويتحاشى ما لا يوافق هواه.

كما لم يخل جهد الرحالة من الخطأ في تدوين التاريخ سواءً من الرحالة العرب والمسلمين أو المستشرقين، فرغم أن ما تركوه من إرث رائع كشهود على العصر نقل إلينا الكثير من الأحداث والأحوال وكناقلين لأساطير ومفاهيمهم وروايات الأمم حول أحداثهم، ولأحوالهم وأخبارهم مما لا شك أن له فائدة كبرى لو لم يكن إلا باعتبار مؤلفاتهم في حد ذاتها آثاراً تاريخية تمكننا من الوصول إلى المستفيض من الأخبار والأحوال وفهم ثقافة المجتمع في تلك المرحلة، إلا أن فيما نقلوا من الأحداث والأخبار الكثير من الأخطاء، ما أوقع أثراً بالغاً في فهم مسار التاريخ، فعادة ما يكون الرحالة أقل إلماماً بالماحكات المحلية أو بمدى تمكن أو حيادية الرواة فيما يدلون به من أخبار، فنقلوا عنهم مبالغاتهم وميلهم إلى الإثارة وتناقل الأساطير أو تحيزهم ودونوه في أوراقهم فنسبت حياديتهم المفترضة إلى أخبارهم، وهذا أمر يفتقد إلى الإنصاف، فحتى لو عرفنا عن الكاتب الحيادية، فالرحالة عادة ما يستند إلى جهة واحدة لا يعرف الكثير عن خلفيتها الثقافية والأخلاقية وتحيزها لتروي له أخبار وحال أمم كثيرة يجهلها فيكون في ذلك الكثير من الزيغ عن الجادة الصحيحة في تلمس الدرب الموصل إلى الحقيقة، كما أن التمايز الثقافي أو اللغوي بين الرحالة وبين المجتمعات المحلية قد يؤدي إلى ارتكاب أخطاء في استقبال المعلومة وهو ما نراه في الأخطاء والتناقضات الكثيرة التي ارتكبها الرحالة الغربيون في سردهم حول واقع الحال في الجزيرة العربية في العصر الحديث، وحتى المشاهدات الجلية للرحالة قد لا تكون بريئة في ذاتها حتى في حالة صحتها من الانتقائية ومن تعليقات الكاتب المتحيزة والتهويل ولي الإسناد، فقد يتجه الرحالة إلى البحث في المجتمع الآخر رغبة في تشويه صورته، فقد تنبه بعض التنويريين العرب في بدايات القرن الماضي إلى نشر الصحف والكتب الغربية بعض

الغرائب حول جهل المجتمع الشرقي العربي وانتشار الشعوذة والجهل بين أبنائه معتمدة على الرحالة القادمين من هنالك ليجوبوا هذه البلاد والذين يتجهون إلى أسوأ ما يرون لتعميمه على كافة المجتمع، فنشر الشيخ محمد رشيد رضا في مجلة المنار انتقاداً لاذعاً لهذه الحالة يجدر بنا نقلها لالتقاء دلالتها مع ما نرمي الوصول إليه وهذه مقالته:

كلنا في الهوى سوا

لدينا قصة نقصها على إخواننا الغربيين الذين يستوقفهم عند أرصفة الأزبكية اجتماع بعض الجهلاء على أحد الدجالين أو العرافين فيقفون ساخرين منهم مستهزئين بالأمم الشرقية كلها، حاسبين أنها على شاكلة أولئك الجهلاء.

ذلك أن رجلاً دجالاً سيق إلى المحاكمة في إحدى عواصم أوروبا لإقدامه على التطبيب بلا رخصة من الحكومة، ولما وقف أمام المحكمة سأله القاضي بصرامة: ما حملك أيها الرجل على مخالفة القانون؛ أما علمت أن العقاب مفروض على كل طبيب لا يكون في يده شهادة قانونية؟ فلم يحر الدجال جوابًا، ولكنه مد يده إلى جيبه وأخرج منها ورقة كبيرة ثم قال: إليك شهادتي القانونية أيها القاضي، فإنني ممن أتموا دروسهم الطبية في كلية باريس، وقد نلت منها لقب دكتور في الطب كما ترى في هذه الشهادة، ولما أن أنهيت دروسي خيل لي أني بلغت أوج السعادة، فاستأجرت منزلاً ونقشت على نحاسة وضعتها على بابه هاته الكلمة: (دكتور في الطب)، ثم لبثت أنتظر وفود الناس علي للمعالجة، فمرت الأسابيع والشهور ولم يأتني أحد مستشفيًا، فصرت إلى الفقر المدقع وعلمت أن تمسكي بتلك الشهادة لا يغني عني فتيلاً، فألقيت بها إلى جانب، وكسرت الأمارة النحاسية، وتحولت إلى منزل صغير، وتظاهرت بمظهر الأطباء الدجاجلة، فتقاطر عليَّ الناس للاستشفاء من كل الجهات، ووفد عليَّ ذوو العلل فعالجتهم وربحت أموالاً عظيمة، ومازلت على ذلك حتى ألقى الشرطي القبض عليَّ ظنًا منه أنني من الدجالين.

وقد علمتم أن الذي ألجأني إلى إخفاء شهادتي ولقبي رغبتي في اكتساب ثقة الشعب، فأطلب الآن إلى المحكمة أن تحكم ببراءتي، فأدهَشَ السامعين هذا الحديثُ وبرأت المحكمة الرجل بالحال ! قالت الجريدة - التي نقلنا عنها هذه القصة -: إن هذه الحادثة عار على العلم وعلى الشعب.

قلنا: عار على العلم؛ لأنه قد عجز إلى الآن عن تنوير أذهان العامة واكتساب ثقتهم، وعار على الشعب؛ لأنها تدل على جهله وإيثاره أوهام الدجاجلة على الحقائق

العلمية الثابتة، وإلا فما معنى إعراض الشعب عن ذلك الرجل دكتورًا، وإقبالهم عليه دجالاً؟ ! هذا، ولا يبعد أن يفقد الرجل ثقة الشعب فيه حين يظهر لهم أنه من الأطباء القانونيين، وإذا وقع ذلك كان منتهى الجهل والغباوة.

ونتيجة ما تقدم أنه لا يصح إطلاق القول في ذم شعب أو مدحه استنادًا على اختبار بعض أفراده.

وإن لنا أن نعير الغربيين بأولئك الأغمار الذين لا يثقون إلا بالدجاجلة، إذا عيّرونا بالأغمار الذين يجتمعون في أرصفة الأزبكية لضرب الرمل واستنطاق الحصى، فلا يسخرن أحد من بسطائنا وجهلائنا، فإن لهم في الأمم الأوروبية أقتالاً وأمثالاً من البسطاء (وكلنا في الهوى سوا)[1].

وهنا **فمن المهم لذي العقل الفطن دائماً قراءة الكاتب ومصادره جيداً قبل قراءة الكتاب** فمعرفة ميول الكاتب وانتمائه السياسي والمذهبي والعرقي أو مصادر خبره ستقود إلى تمحيص مقنن ومتزن لما يكتب، كما أن معرفة تاريخ كتابة الكتاب وسنة وفاة الكاتب والأحداث والسلطات السياسية التي عاصرها خاصة في مرحلة الكتابة أو ما قبلها، وافتراض السائد والمتنحي الآني في مرحلة الكتابة من الأخبار والأحوال السابقة تحت تأثير الأحداث اللاحقة أو تأثير السلطة يجب أن يوضع في الحسبان، فدراسة الوضع السياسي في موقع كتابة الكتاب يحمل أهمية كبرى أيضاً لإدارة عملية التمحيص، إذ أن المؤرخين على امتداد التاريخ ذوي صلة قوية بالسلطة بل يعتمدون عليها غالباً في الإمداد المستمر لتكاليف رحلاتهم ومكتباتهم وكتاباتهم، وعادة ما يكون لهم الحظوة لدى الحكام، لذا فمن النادر أن تجد أي إشارة سلبية قد تطال الحاكم بأي وجه من أحد معاصريه من المؤرخين، فقد جرت العادة في الكثير من الحالات أن كل مؤرخ هو لسان السلطان المعاصر له حتى يتغير، ولكنه قد لا يتورع عن التطاول على خصومه أو حتى أسلافه وتشويههم، فكما يقال بأن التاريخ يكتبه المنتصر، ولكن هذه العبارة وإن كانت تحمل الكثير من المصداقية إلا أننا يجب أن نعي أن المنتصر قد لا يكون فقط المنتصر في ساحة المعركة، فالخلف قد يكون في موقف المنتصر على سلفه، والحي منتصراً على الميت، والحاضر على الغائب، وقس على ذلك، كما يجب أن لا ننظر للمنتصر من خلال عصرنا الحالي فقط، فالتاريخ نقل إلينا عبر الزمن على أيدي الكثير من المنتصرين من شاكلة من ذكرنا فكتبوا انتصاراتهم على طريقتهم حتى وصل إلينا بشكله الحالي، كما أنه في العصر الحديث لم يعد المنتصر وحده من يكتب التاريخ، إذ لم يعد التزوير يحتاج للكثير

---

(١) رضا، محمد رشيد، مجلة المنار، المجلد ١، العدد ٣، ٧ ذوالقعدة ١٣١٥، ١مارس ١٩٨٩.

من المال لتوفير الورق والحبر ومصادر المعلومات والنشر مما لا يتوفر إلا في بلاط السلطان، فالتزوير أصبح أسهل بكثير من ذي قبل، فقد يمارس شخص خلف الظلام أفظع أنواع التزوير وأجرؤها وأكذبها وأكثرها إتقاناً.

أيضاً فإن من الأمور التي قد تؤدي إلى تشويش كبير في المستقبل على قراءة واستقراء التاريخ والأحداث، التدخل غير المبرر في أسماء المواقع على الأرض خاصةً في عصرنا الحاضر، فقد تم تغيير أسماء عدد من المواقع التي عرفت بهذه الأسماء منذ الأزل بقرارات رسمية، بينما هذه الأسماء ربما تحوي الكثير من الذكر التاريخي والدلالات التي يمكن سبر عمقها وارتباطها بالأحداث التاريخية عبر استنطاق الروايات التاريخية، ولكن كل ذلك سيندثر مع إحلال الأسماء الجديدة محل القديمة، ومن أهم الأخطاء في هذا الخصوص الانسياق وراء الرؤى والقناعات الشخصية مهما كانت هذه الرؤى متجردة إلى محاولة تغيير الواقع على الأرض بإطلاق المسميات التاريخية على المواقع استجابة للقياس والمقاربة مهما كانت واضحة لدى الباحث، لأننا قد نطلق الأسماء بشكل قسري على المواقع، ويكون في ذلك تظليلاً للأجيال القادمة، فالحقيقة أنه لا يمكننا الوصول إلى صورة واضحة لا تقبل الشك حول الأحداث التاريخية القديمة ودلالاتها، وحتى لو توصلت قناعاتنا إلى الجزم فإننا لا نملك أكثر من تدوينها ورقياً مع تعليلاتنا، وترك الأمر عند هذا الحد، لفتح المجال للمزيد من الدراسات التي ربما تصل إلى قناعات أخرى.

ولا شك أن التزوير عادة ما يكون أكثر إتقاناً عندما ترعاه جهات تمتلك الإمكانيات المادية والعدة والعدد والحماس، ولديها هدف محدد ترمي الوصول إليه، ما يوفر لها العصف الذهني وتلاقح الأفكار وتضاعف المعلومة مع الإمكانيات، والعمل الدؤوب، وخاصةً إذا كان الهدف ذا طابع سياسي، وفي مثل هذه الحالة فإن التزوير قد يمتد إلى ما لا يتخيله العقل بما يمكن أن يجعل الجميع في دوامة كبيرة، فاختراق الذاكرة الشعبية الهشة عادةً، وتسطير الروايات، وكتابة الكم الكبير من الوثائق، بل حتى اختراق دور الوثائق وإيداع المزورات بها، والتحريف في الوثائق المشهورة أمر وارد في ظل وجود المال الذي تنحني له الكثير من الذمم واللمم، والذي استطاع أن يخترق المحاكم في بعض الأوطان ويعبث في أحكامها بل ويصدر أحكاماً قضائية قديمة في عصور متأخرة، فما بالك بموظفي إحدى دور الوثائق محدودي الدخل، ممن هم بحاجة إلى اللقمة الكريمة التي لا تتوفر بين كم الوثائق التي يقومون على إدارتها.

ولكن ورغم كل ما ذكر فإن المصادر التاريخية الحقيقية الموجودة على علاتها لا يمكننا الوصول إلى الحقيقة التاريخية بدون الاستفادة منها، ولكن المهم هو تحقيق التوازن في القبول والرد، فمثلاً الهمداني كان متعصباً جداً ليمنيته وهمدانيته، ومهتماً بتكريس فكرة الفصل العرقي

الكامل بين العرب على أساس انفصالهما عرقياً بين قحطان وعدنان، والضرب على وتر وجود النزاع الأزلي بينهما[١]، ولكننا لا نستطيع الاستغناء عن كتابه صفة جزيرة العرب ولا الإكليل ولا غيرها من كتبه التي تعتبر من أهم مصادر تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها، ولكننا نستطيع أن نقيس أثر ميوله وأهواءه على كل خبر ورد في كتبه فنقبل ما قد يصح مما لا يرى أن لميوله أثر فيه ونرد ما سواه، ومثله مثلاً مخطوط كتاب "الدر الثمين" للحسن عاكش الضمدي، فسرد المؤلف الذي لم يخف أنه يكتب امتناناً وعرفاناً بجميل الممدوح، كان عبارة عن خطبة في مدح محمد بن عايض وأسرته، ولكنه يمثل وثيقة حقيقية أشار لها الكثير من المؤرخين، لذا فهو مصدر تاريخي حقيقي رغم أنه متحيز، ومن ثم فإنه يمكننا أن نستفيد منه في دراسة الأحداث المعاصرة له ومفاهيم عصره إذا تجاوزنا تحيزه ومبالغاته في مدح وشكر الممدوح وأثر ذلك على رواياته وقس على ذلك الكثير من المؤرخين سواهما.

ولكن لا شك أنه لا فائدة يمكن أن نرتجيها من كتاب مزور أو وثيقة يتضح لنا أنها مزيفة، كما أن أي كتاب استند إليها أو إلى أي معلومة فيها فإنه يعتبر شبيه بها.

---

(١) انظر مثلاً تعليق الشيخ حمد الجاسر على ما قاله محب الدين الخطيب حول تعصب الهمداني في مقدمة كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني، تحقيق الأكوع، ص١٢.

الباب الثاني

تاريخ عسير وضعف المصادر
ومجموعة إمتاع السامر

الفصل الأول

المصادر التاريخية العسيرية والمواجهة في الظل

١. مشكلة المصادر في التاريخ العسيري

اشتهرت عسير في العصر القديم والتي كان يطلق عليها مسمى "جرش" بكثرة العاديات بها[١]، وقد أشار العديد من الرحالة الذين مروا بها إلى العديد من المواقع الأثرية والنقوش القديمة التي شاهدوها في هذه الأرض[٢]، ولكن كل ما تم الكشف عنه من تاريخها القديم بعد ذلك كان فقط من خلال ما وجد في الكتب التاريخية القديمة التي حققت حديثاً، فأظهرت الكثير من خفايا تاريخ الجزيرة العربية ومنها بلاد السراة، أو ما كشفت عنه بعض النقوش اليمنية من إشارات لوجود مملكة مستقلة في جرش[٣]، ولكنه لم يلاحظ اتجاه جاد لدى معظم مؤرخي المنطقة لاستنطاق ما في هذه الكتب والنقوش بشكل أدق وأعمق وتتبع المخطوطات القديمة على الجانب الآخر لسبر أخبار هذه الأرض.

فرغم وجود قلة ممن اهتموا فعلاً بالنبش في التاريخ القديم إلا أن الملاحظ عليهم دراسة التاريخ القديم للمنطقة من خلال تتبع ذكر أسماء القبائل الحالية دون الاهتمام بالبحث في ذكر أسماء المواقع المحلية في الأحداث والأخبار القديمة بصفتها تمثل العنصر الثابت في مفهوم الأرض ذاتها.

وعلى الجانب الآخر فقد عني البعض بتكريس الأفكار الخاطئة التي أوردتها بعض المصادر المجهولة حول التاريخ السياسي لعسير في العصر الإسلامي، أو التنافس على الدور التاريخي في أحداث العصر الحديث، فأتخموا هذه المرحلة بالكتابات والرؤى المتناقضة.

---

(١) ابن خلدون، عبدالرحمن، تاريخ ابن خلدون، نفس المصدر السابق، ج٤/ ص٢٨٩.

(٢) فيلبي، هاري سانت جون (عبدالله)، مرتفعات الجزيرة العربية، ص٢٦٥، ٢٦٩، ٢٨٦.

(٣) شرف الدين، أحمد حسين، المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ص٦٨.

أما على جانب المتواتر في الذاكرة الشعبية حول تاريخ عسير القديم، فهنالك بعض الأخبار القديمة المتوارثة التي لا زالت تتداول بين الناس بشكل متواتر منذ القدم وحتى العصر الحديث كقبر ذي القرنين[١] الذي ذكره الهمداني في بداية القرن الرابع للهجرة[٢] في الدارة الواقعة في الجهة الشرقية من مدينة أبها، والذي هدمه جماعة الأخوان في بداية وصول القوات السعودية إلى عسير عام ١٣٣٨هـ، وكموقع مدينة جرش التاريخي الذي لا زالت تدور حوله الأساطير حتى عهد قريب، والواقع في أحد رفيدة على بعد ٢٧كم من مركز مدينة أبها، كما يتداول الناس بعض الروايات الأسطورية حول بعض المواقع الأثرية، كهضبة العروس على وادي أبها وجبل حمومة في أحد رفيدة وغيرها.

لذا فإن تاريخ عسير القديم كما هو تاريخ المناطق الوسطية من الجزيرة العربية كاملة لم يزل بكراً يعوز فقط المزيد من جهود المؤرخين وعلماء الآثار على أكثر من صعيد لاستنطاق ما تنضح به الذاكرة المدونة والنقوش والآثار من تفاصيل لتاريخها القديم، ومن الخطأ الظن بأن التاريخ الذي يستحق أن يكتب هو التاريخ السياسي والمدني فقط، فالتاريخ القبلي وأحداثه على درجة من الأهمية لإشباع ذاكرة المجتمع حول تاريخه، فهنالك الكثير من الإشارات التي حملها الشعر العربي إلى أجزاء كثيرة في هذه المنطقة مما يدل على أن جزءاً كبيراً من التاريخ العربي الجاهلي وأحداثه كانت فوق هذه الأرض، والتعرف عليها بشكل أشمل يحتاج إلى تضافر الجهود للخروج بصورة متكاملة حول تاريخها فيما قبل الإسلام وما بعده، كما أن هنالك الكثير من الأساطير الشعبية حول أحداث المنطقة تستحق أن توثق بعد التحقق من أصالة طريقة سردها، وعدم تأثرها بالروايات الحديثة.

أيضاً فإن تاريخ عسير في العصر الحديث يعاني في جانب منه من فقر حقيقي في مصادر هذا التاريخ، ولم ينتج هذا النقص من عدم وجود من يكتب هذا التاريخ إذ أن هنالك ازدحام حقيقي في كتابة التاريخ الحديث لعسير من قبل مؤرخيها في عصرنا الحالي، ولكن الفقر الحقيقي هو في الوثائق العسيرية المتاحة التي ينقل منها هذا التاريخ، حيث أن اختفاء جزء كبير من الوثائق التي كتبها مؤرخو عسير أخفى الكثير من تفاصيل هذا التاريخ، مما فتح المجال لبروز وثائق مشبوهة إلى الساحة تحمل أخباراً لا تصح، ولا يقبل كونها كتبت بأيدي من نسبت إليهم.

---

(١) حمزة، فؤاد، في بلاد عسير، مطبعة دار الكتاب العربي - القاهرة، ١٣٧١هـ ص٩٥.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد - صنعاء، الطبعة الأولى - عام١٤١٠هـ ص٢٣٠.

فبالرغم من أن التاريخ العسيري الحديث معروف من حيث العموم في الكتب التاريخية المتفرقة خارج منطقة عسير ما يجعلنا قادرين على فهم بدايته وتدرج مراحله وأحداثه الكبرى، إلا أن هنالك الكثير من التفاصيل المهمة والأسرار التي ظلت مجهولة لدى العسيريين حتى وجدنا بعضها في بعض المصادر التاريخية غير المحلية التي عاصرت هذه الأحداث، مما يثير الحيرة والسؤال حول أسباب اختفائها في الوثائق العسيرية، بل واحتواء جل ما يظهر إلى العلن من هذه الوثائق المفترضة على الكثير من الأخطاء التاريخية مما يطرح السؤال حول مصداقيتها، وصلاحية اعتمادها كمصادر تاريخية حقيقية.

ولعل النقص الكبير في مصادر التاريخ العسيري وما تعرضت له الوثائق التاريخية من عبث هو ما أدى لهذه الحالة من التشويش في فهم التاريخ، فمعظم المصادر المدونة والتي نقل عنها مؤرخو العصر الحديث كانت إما غير محلية أو غير معاصرة أو وثائق محلية غريبة الخبر والمصدر، ومن الملاحظ أن الوثائق التي ورد ذكر لها في بعض المصادر خلال القرن الماضي[١] قد اختفت تماماً، رغم كثرة من كتبوا عن تاريخ عسير الحديث، بينما ظهرت وثائق قليلة وفقيرة وتحمل الكثير من الأخطاء منسوبة لبعض آل الحفظي أو غيرهم يظهر من نمط صياغتها أنها كتبت بعد تلك المرحلة بكثير، كوثيقة زين العابدين الحفظي (المزعومة) التي نقل عنها عبدالله بن حميد[٢]، ووثيقة إبراهيم زين العابدين الحفظي (المزعومة) التي يتداولها بعض المؤرخين في عسير والتي يبدو أنها عبارة عن وثيقة محرفة من وثيقة "عبدالرحمن الحفظي"[٣]، حيث تتفق معها في بعض الإشارات ولكن تم تغيير اسم الكاتب وبعض عباراتها بما يتوافق مع الرواية الحديثة، وكان قد ظهر ديوان شعر لشعراء آل الحفظي منسوب إلى ابنه محمد بن إبراهيم الحفظي طبع عام ١٣٩٣هـ تحت إشراف أخيه عبدالرحمن[٤] وقد أورد فيه إنتاج والده (إبراهيم زين العابدين الحفظي) بقوله:

---

(١) شفيق باشا، سليمان، مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير، تحقيق محمد العقيلي، نادي أبها الأدبي ١٤٠٥هـ، ص٩٣ وقد أشار إلى وثيقة محمد حسن الحفظي ؛ فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص١٥٤ وقد أشار فيه إلى وثيقة كتاب الديوان المرضي.

(٢) ابن حميد، عبدالله بن علي، أديب من عسير، جمعه وأشرف على نشره ابنه محمد، الطبعة الأولى عام ١٤٠٠هـ، ص٣٨، ٣٩.

(٣) النعمي، هاشم، تاريخ عسير..، طبعة المثوية - ١٤١٩هـ، ص١٦، ١٣٦.

(٤) الحفظي، محمد إبراهيم زين العابدين، ديوان شعر نفحات من عسير، نسقه وأخرجه للطبع عبدالرحمن بن إبراهيم الحفظي، مطابع عسير، ١٣٩٣هـ.

"كانت حياته كلها جهاد لم يتفرغ للتأليف ولو أنه قد ألف تأليفات مبسطة في الفقه والنحو وكتب الشعر في مناسبات مختلفة منها الدينية البحتة والمراسلات مع أصحابه ومشائخه وبعضها في العمل للدار الآخرة"(١).

ولم يشر إلى أي وثيقة تاريخية، بالإضافة إلى وثيقة جعفر الحفظي وابنه موسى اللتان أشار لهما بعض المؤرخين دون أن تظهرا للبقية، ولعله من الملفت تقارب مصادر الوثائق الحديثة في تاريخ عسير فالوثائق والكتب المذكورة تنتمي لاسمين من آل الحفظي وابنيهما، لم يشرف أيهم على مرحلة ظهورها، وأسرة آل الحفظي أسرة علم قديمة في بلاد عسير ولكن هذا لا يعني قبول استغلال اسم هذه الأسرة، فقد تحدث محمد رفيع من خلال وجوده في قرية رجال عام ١٣٦٠هـ حيث موطن هذه الأسرة عن وضعها العلمي وما يحظى به أبنائها من تبجيل هناك لهذا السبب فيطلق على أيهم الفقيه حتى ولو كان أمياً(٢)، وهو ما يعطينا فكرة عن سبب اختيار بعض أسماء أبناء هذه الأسرة من قبل بعض المصادر لتمرير أفكارهم، فإبراهيم زين العابدين كان قاضيا في رجال ألمع حتى توفي رحمه الله وقد التقى المؤرخ محمد رفيع به وبابنه محمد الذي كان مدرساً في مدينة محايل وكان على علاقة قوية معهم واتصال وتواصل قوي ومستمر بهم أثناء عمله في التدريس في قريتهم "رجال" في بداية الستينات الهجرية وإقامته بها كما يذكر(٣) ومع ذلك لم يرد فيما نقله عن آل الحفظي شيئاً مما ورد في الوثيقة المنسوبة إلى إبراهيم الحفظي، فقد ذكر مثلاً عن عسير فيما قبل وصول الدعوة لها التالي:

"وفي هذه الأثناء كانت بلاد عسير كأمثالها من بقية بلاد شبه الجزيرة تحكم برؤساء ومشائخ محليين لا تربطهم رابطة ولا تجمعهم غاية. فلما أن شارفت مغازي آل سعود ما جاور عسير من البلاد الشرقية وترامي إلى بعض أهلها ورؤساء العشائر فيها أخبار دعوتهم الدينية هاجر إلى الدرعية من آل المتحمي من قبيلة ربيعة ورفيدة (إحدى قبائل عسير) محمد بن عامر المعروف بأبو نقطة وأخوه عبدالوهاب رغبة منهما في الأخذ بهذه المبادئ الجديدة وبالتالي استمداداً لما يجعل لهما السلطة والسيادة على قبائلهما في عسير".

---

(١) الحفظي محمد بن إبراهيم زين العابدين، المصدر السابق، ص٢٠٣.

(٢) رفيع، محمد، في ربوع عسير، ص٩١.

(٣) رفيع، المصدر السابق، ص٩١، ٩٢.

بينما نجد الوثيقة المنسوبة إلى إبراهيم الحفظي تحدثت عن وجود أمير لعسير اسمه محمد بن أحمد اليزيدي تم قتله على يد جيش الدولة السعودية عندما قدم ومعه محمد بن عامر أبو نقطة[١]، وفي الرأيين تناقض كبير جداً يجعلنا نؤكد أن الوثيقة المذكورة لا تنتمي للشيخ المذكور رحمه الله الذي كان ملازماً لرفيع أثناء إقامته في رجال كما يذكر.

وبالمثل نجد التقارب فيما بين مصادر كتابي "إمتاع السامر" الذي نسب إلى شعيب الدوسري في تحقيق الكتاب المزعوم "متعة الناظر ومسرح الخاطر" والمنسوب لوالده مع كتاب "تاريخ عسير" سالف الذكر المنسوب لمحمد بن مسلط، فالطرفان كانا من المقربين لحسن بن عايض الذي استلم السلطة من الدولة العثمانية وأسرته ثم تم نقلهما إلى الرياض مع حسن بن عايض وابن عمه محمد عام ١٣٣٨هـ، وبقيا هنالك حتى توفيا وانقطع خبرهما في المنطقة.

ومثل ذلك نجد تقاربا من نوع آخر وهو مرحلة الكتابة فجل المؤلفات التي ظهرت مؤيدة لهذه الوثائق ظهرت بأسماء مؤلفين متوفين ومهر تاريخ نشرها بعد وفاتهم أو في آخر سنوات حياتهم، فشعيب كتب كتابه عام ١٣٦٥هـ بينما وفاته كانت حسب محضر بيع أملاكه عام ١٣٦٤هـ، ومحمد بن مسلط ظهر كتابه إلى العلن بعد وفاته بعشرات السنين، أما كتاب "الدر الثمين" فقد مهر نشره بتاريخ ١٣٩٨هـ وتوفي محققه عبدالله بن حميد بتاريخ العام الذي يليه.

وهذه الأخطاء والتقارب في المصادر وطريقة النشر والتناقض مع المستفيض والمدون في بقية المصادر المعروفة يجعلنا نثق أن هذه ليست الوثائق العسيرية التي يسعى الباحث الجاد للحصول عليها، فهي ناهيك عما تدلي به من غرائب وأخطاء واضحة حول ما أسمته الدولة اليزيدية المزعومة فيما قبل العصر الحديث، فإن أخبارها تكاد تكون موجهة لغاية ما، ولا تتوافق مع بقية المصادر التاريخية السابقة لها، فلم يرد في أي مصدر حقيقي وجود إمارة اسمها الإمارة اليزيدية في عسير.

لذا فعندما نفتش عن التاريخ العسيري في المصادر المعاصرة لأحداثه، فإننا نجد أن ما بين أيدينا من تفاصيل حول هذا التاريخ تكاد لا تفي بما يتوق لمعرفته والتحقق من مدى صحته كل من يرغب في دراسة هذا التاريخ، وكل ما وجدناه موثقاً بطريقة معقولة من وثائق عسيرية معاصرة ومشاركة هي فقط تلك التي تحدثت عن عهد محمد وعبدالوهاب بن عامر أبو نقطة المتحمي وما بعدهما بقليل، كوثيقة "الظل الممدود.." للعجيلي، و"نفح العود.." لمحمد الحفظي، ولكننا حتى هذه الساعة لم نجد وثائقاً عسيرية معاصرة كتبها أي مؤرخي عسير بطريقة واضحة

---

(١) انظر كتاب "تاريخ عسير" المنسوب لإبراهيم بن زين العابدين الحفظي والمنسوب تحقيقه إلى محمد بن مسلط، ص٧٥.

ترصد المراحل اللاحقة لهذه الحقبة بالسرد المفصل، فهنالك فترات في التاريخ العسيري تفتقر للسرد التاريخي المعاصر، فأصبحت روايتها مشوشة للغاية وخاصة فترة ما بعد سقوط طبب عام ١٢٣٠هـ مع أن فترات ما بعد سقوط طبب كانت فترات الاحتكاك بالعالم بشكل أوسع، فنحن نفترض أن العسيريين في عهد علي بن مجثل كانوا أكثر ثقافة وإدراكاً للعالم المحيط منهم في بداية عهد الإمارة العسيرية عام ١٢١٤هـ والتي قامت في بيئة قبلية دينية صرفة، فلا شك أن العسيريين قد تدربوا أكثر خلال مراحل الإمارة العسيرية على ممارسة السلطة بمفهومها السياسي بشكل أفضل وفهم الآخرين من خارج الوطن العربي، بل إن هنالك إشارات تاريخية تؤيد ذلك بالفعل، فقد وجدنا أنهم كانوا مثلاً يمارسون تكتيك حرب العصابات[١]، والحصار الكامل للعدو وقطع الإمدادات عنه بشكل متقن منذ عام ١٢٤٠هـ، بينما كانوا فيما قبل ذلك يخوضون الحروب التقليدية المباشرة مع الأعداء، حيث تشير الوثائق العثمانية إلى أن العسيريين قد مارسوا هذه الطريقة في صد الحملة العثمانية عام١٢٤٠هـ[٢]، كما كرروا نفس الخطة عام ١٢٥٠هـ[٣]، ويذكر موريس تاميزيه أنهم أثناء مواجهة الجيش العثماني في أبها كانوا يديرون حرباً نفسية بشكل جيد ضد جيش محمد علي ويحاولون التأثير نفسياً على جنوده[٤]، وقد نجحوا في هذه المهمة حيث يذكر أن بعض الجنود المصريين التحقوا بالجيش العسيري أثناء الحصار، وهو إجراء يدل على الاهتمام بالناحية الإعلامية وفهم أثرها الكبير على أرض المعركة، كما كانوا يديرون التحالفات والمناورات السياسية مع الإمارات المحيطة بشكل أفضل.

كما أن العسيريين ومنذ بداية تكوين كيانهم السياسي في بداية القرن الثالث عشر الهجري كانوا يتداولون الشعر الفصيح وبطريقة جميلة تدل على علو المستوى الثقافي لهم في تلك المراحل، بل إن عسير كانت تزخر برجال العلم منذ لحظة تكوين الإمارة العسيرية حتى نهايتها، فلماذا دونوا أحداثهم في بداية تكوين إمارتهم بشكل جيد ثم أحجموا عن تدوين ما بعد ذلك، فهل يعقل أنهم تجاهلوه، أم لعلهم قد كتبوه ولكنه لم يصلنا.

وفي المقابل فإن ظهور هذه الوثائق التاريخية المجهولة والممهورة بأسماء بعض رجال العلم في عسير أو أقاربهم، كلهم من غير المعاصرين للأحداث، ووجود دعم لها في الذاكرة الشعبية مع

---

(١) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، ص٣٣٣.

(٢) عسيري، علي، عسير دراسة تاريخية، ص١٤٦، ١٤٧.

(٣) تاميزيه، المصدر السابق، ص٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤١.

(٤) تاميزيه، المصدر السابق، ص٣٣٣، ٣٣٤.

شح المصادر الحقيقية جعل لروايتها أثراً قوياً على طريقة تدوين ورواية التاريخ العسيري، فقد أصبحت هي المستند الرئيسي لمعظم من كتبوا عن تاريخ عسير في العصر الحالي، وتحمل هذه الوثائق التي انفردت برواية أحداث الفترة الثانية من التاريخ العسيري المحلي الكثير من الأخبار الغريبة والمتناقضة مع ما تحمله بقية المصادر التاريخية المعاصرة خارج عسير من التهويل حول عمق تاريخ الإمارة العسيرية بل والتاريخ السياسي للإقليم كافة، ما جعل هذه الوثائق بل والتاريخ العسيري محل سخرية الآخرين، وحتى أخبارها المتعلقة بالتاريخ العسيري الحديث تحمل الكثير من الأخطاء، وعلى سبيل المثال فقد تواتر في بعض هذه الوثائق خبر وجود أمير اسمه محمد بن أحمد اليزيدي دخل في حروب مع الدولة السعودية الأولى قبل حكم الأمير محمد بن عامر أبو نقطة، وأيد ذلك معظم المؤرخين الحاليين، بينما لم تذكر الوثائق الحقيقية التي كتبها المعاصرون له (حسب المفترض) مثل الظل الممدود، ونفح العود، ولا حتى وثيقة عبدالرحمن الحفظي أي شيء عن ذلك، بل ولا حتى الوثائق الأخرى المعاصرة خارج المنطقة.

وحتى القليل المتاح الذي دوِّن في فترة حكم الدولة العثمانية وما بعدها لم يخل من الأخطاء الكبرى في روايته لمرحلة ما بعد عام ١٢٤٠هـ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ورد في بعض هذه الوثائق أن الأمير علي بن مجثل قد أوصى بالإمارة لعايض بن مرعي من بعده، ولكننا لم نجد من يشير إلى هذه المعلومة بين المصادر التاريخية المعاصرة سوى مصدر واحد أشار إلى ذلك بتشكك، وهو الحسن عاكش الضمدي في كتابه الذي كتبه في أواخر عهد محمد بن عايض لتقديم الشكر والثناء وامتداح محمد بن عايض ووالده، فذكر في معرض حديثه عن والده بأن الأمير علي بن مجثل أوصى له بالإمارة ولكنه أردف بعد ذلك بقوله "فيما بلغني"، بما يعني التبرؤ من مصدرية الخبر وإحالته لمجهول، وهو ما يعني أن كتاب عاكش الذي كتبه بعد عام ١٢٨٥هـ كان أول مصدر مدون للخبر، ولكننا وجدنا أن أحد الرحالة المعاصرين للحدث وهو الفرنسي "موريس تاميزيه" الذي عاصر بداية وصول عايض بن مرعي للسلطة قد أوضح من خلال المراسلين الذين كانوا يزودون الحملة بما يحدث في عسير أولاً بأول بأن العسيريين انتخبوا ابن علي بن مجثل (الطفل) خلفاً لوالده على إمارة عسير[١]، ووضعوا عايض بن مرعي حاكماً مؤقتاً لعسير[٢] (أي وصياً على الأمير الطفل)، وأشار إلى وجود معارضة محلية كبيرة لذلك في حينه[٣]، وحديث

---

(١) تاميزيه، المصدر السابق، ص١٦٣.

(٢) تاميزيه، المصدر السابق، ص٢٩.

(٣) تاميزيه، المصدر السابق، ص١٥٧.

تاميزيه يتسم بمعايشة صاحبه للحدث وبحياديته الكاملة، وهو ما يجعله الأقرب إلى الحقيقة، وقد أكد معلومته متصرف عسير سليمان شفيق باشا الذي أورد أن عايض كان في بداية عهده راعيا وليس له أي صلة بالإمارة العسيرية ولا بأمراء عسير، وأنه أول من وصل للسلطة في عسير من عشيرته[١]، مما يدل على وجود خطأ كبير أو سوء فهم في الوثائق المحلية حول المعلومة التي بنى عليها معظم مؤرخي العصر الحديث حول وصية علي بن مجثل بالإمارة من بعده لعايض بن مرعي، وهو ما يدل على اعتماد المصادر المحلية القليلة في هذا الخبر على ما أورده عاكش، وبالتالي نصل إلى أن الوثائق التي حملت الخبر قد كتبت في الغالب بعد وثيقة عاكش، فنقلت عنه، أي أنها ليست معاصرة للحدث، وكان من المفترض أن نجد الوثائق العسيرية قد صححت لنا معلومة عاكش وأوردت المعلومة على حقيقتها مطابقةً لوصف شاهد العيان، لا أن تتكئ على أحد مؤرخي المخلاف السليماني في تناقل معلومة خاطئة.

وإذا كنا قد نجد العذر لمؤرخي عسير المعاصرين في تلافي الحديث عن طريقة وصول عايض بن مرعي إلى السلطة وإيراد معلومة خاطئة في هذا الخصوص نظراً لما قد يرون من عدم أهميتها، وتفضيل دعم استقرار وضع السلطة المضطرب في حينه، فإننا لا نجد لهم عذراً في أن الوثائق العسيرية المتاحة حالياً جميعها لم تتطرق إلى كون عسير قد أصبحت تابعة للدولة العثمانية منذ وقت مبكر من وجود عايض بن مرعي على رأس السلطة، بينما ظهرت الوثائق العثمانية مفيدة أن عايض قد بدأ منذ عام ١٢٥٦هـ في مغازلة شريف مكة ووسط شريف أبي عريش لديه للتوسط له لدى الدولة العثمانية لتعيينه "شيخاً على عربان عسير"، فرفع شريف مكة إلى الباب العالي بذلك في شهر رجب من عام ١٢٥٨هـ[٢]، وتتابعت الرسل بعد ذلك من عايض إلى والي جدة للتوسط في ذلك[٣] إلى أن تمت الموافقة له أخيراً وصدر قرار بذلك عام ١٢٥٩هـ وأصبح تابعاً للدولة العثمانية منذ ذلك التاريخ[٤]، ولا شك أن إخفاء خبر بهذا الحجم يحدد علاقة

---

(١) شفيق باشا، مذكرات سليمان شفيق باشا، تحقيق العقيلي، ص٩٤.

(٢) مسألة مهمة - اليمن، وثيقة رقم (١٧٩٦)، بتاريخ ٢٣ رجب ١٢٥٨هـ، من الشريف محمد بن عون (أمير مكة) إلى الصدر الأعظم، إبلاغ السلطان بما تم بشأن قضية الشريف حسين حاكم مخا؛ نقلاً عن أ. د. إسماعيل البشري، إمارة أبو عريش، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ، ص٩١.

(٣) مسألة مهمة - اليمن، وثيقة رقم(١٧٩٧)، بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٥٨هـ، من عثمان باشا والي جدة، إلى الصدر الأعظم، عن مهمة أشرف أفندي في اليمن ورد الشريف حسين حاكم مخا. نقلاً عن أ. د. إسماعيل البشري، إمارة أبو عريش، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ، ص٩٥.

(٤) إسماعيل البشري، المصدر السابق، ص٦٤، ٦٥.

الحكم في عسير بالدولة العثمانية على مدى أكثر من ثلاثين عاماً في الوثائق العسيرية لا يمكن أن يكون مقبولاً، وهو ما يجعلنا نتساءل عن مصداقية الوثائق التي اختفت فيها هذه الأخبار الهامة، ومدى صحة الوثائق الموجودة وانتسابها لمن مهرت بأسمائهم.

بل لقد وجدنا تحريفاً واضحاً في بعض الوثائق الحقيقية من قبل بعض المصادر المحلية المشبوهة، مثل رسالة أحمد بن عبدالخالق الحفظي التي تم التلاعب بنصها في كتاب "أخبار عسير" المنسوب لعبدالله بن مسفر بطريقة موجهة رغم وجود أصل الوثيقة لدى أحد آل الحفظي، ما جعل أبو داهش في تحقيقه للوثيقة الأصلية يوجه انتقاداً لاذعاً لابن مسفر[١].

ومن الواضح أن هنالك الكثير من الوثائق العسيرية الحقيقية اختفت أو لم تظهر للعلن بعد، ومن الوثائق المختفية على سبيل المثال وثيقة "محمد بن حسن بن عبدالرحمن الحفظي" التي أشار لها سليمان شفيق باشا في نهاية العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجري[٢]، وذكر أنه وثق فيها تاريخ عسير منذ مراحله الأولى إلى دخول المصريين ثم خروجهم، وأشار إلى أنه حاول الاطلاع عليها، ولكننا حتى الآن لم نجد أي إشارة إلى هذه الوثيقة في العصر الحديث من أي مؤرخي عسير، مما يدل على أنها قد اختفت لسبب لم نعرفه حتى الآن، ومثله أشار فؤاد حمزة إلى أنه اطلع أثناء وجوده في عسير عام ١٣٥٢هـ على كتاب تاريخي اسمه "الديوان المرضي" تأليف أحمد الحفظي[٣]، ولكن لا يوجد أثر لاسم هذا الكتاب ولا المؤلف في العصر الحديث، كما أن محمد عمر رفيع قد أشار منذ أكثر من ستين عاماً إلى وجود وثائق لدى أسرة آل الحفظي في رجال ألمع نقل عنها تاريخ عسير في كتابه، وأشار إلى أن بعضها بدون اسم الكاتب، ولكنه لم يحدد اسم أي من أصحاب البقية، لذا فنحن لا نعلم ما هي هذه الوثائق التي نقل عنها.

وإذا كنا وضعنا أيدينا على تحريف واضح في وثيقة لا زال أصلها متداول في منطقة عسير، ولاحظنا اختفاء ذكر وثائق أخرى كانت موجودة حتى منتصف القرن الهجري الماضي، وعاصرنا ظهور العديد من الوثائق التي تحمل أخباراً غريبة وجريئة وتتعارض جذرياً مع ما تحمله بقية الوثائق المعروفة سواءً المحلية أو غير المحلية، فهذا يعطينا فكرة عن الوثائق المتاحة في هذه المرحلة، وحجم التصرف والعبث بالوثائق العسيرية في الظل، مما يجعلنا نؤكد على أن المصادر المحلية تعرضت للتحريف الجائر ممن يملكون صلاحية سياسيةً أو معنوية للوصول إليها خلال مراحل

(١) أبوداهش، عبدالله، خطبة الشيخ أحمد بن عبدالخالق الحفظي، ص٢٣.

(٢) شفيق باشا، سليمان، مذكرات سليمان شفيق باشا، تحقيق محمد العقيلي، النادي الأدبي بأبها، ١٤٠٥هـ ص٩٣.

(٣) حمزة، فؤاد، في بلاد عسير، ص١٥٤.

معينة، وربما حتى عهد قريب، ومن ثم فالوثائق العسيرية لم تعد مؤتمنة على التاريخ العسيري، ولم تعد مصدر موثوق لمن يرغب في كتابة التاريخ العسيري، فيما عدا عدد قليل جداً، وخاصة تلك التي أمكن التحقق من كتابتها فيما قبل عام ١٢٥٠هـ.

وفي مثل هذه الحالة من شح المصادر المعاصرة وحصول اليقين بحدوث التدخل في ما هو متوفر، فإن الاستقراء بين المصادر القليلة الموثوقة، بالإضافة لما يمكن أن نجده هنا أو هناك من إشارات هو الطريقة المثلى لرسم ملامح هذه الفترة المهمة جداً وربطها بالأحداث السابقة واللاحقة، بالإضافة لما وجد في الوثائق العثمانية التي تتحدث عن هذه الفترة، وما دونه الرحالة من خارج المنطقة مع الحذر الشديد من أثر الحالة السياسية في عسير على كتاباتهم، خاصةً في فترة ما بعد منتصف القرن الثالث عشر للهجرة.

ولا شك أن هذا العبث الذي كان سيحرمنا الكثير من التفاصيل الحقيقية للتاريخ العسيري، يطرح الكثير من الأسئلة المشروعة التي تتجاوز إلى الوثائق المحققة والمترجمة حتى الآن من المؤيدين لتوجه هذه الوثائق المتاحة، ممن عرف أن لهم صلة بهذه المصادر.

ولكن الجميل في هذا الصدد أن هذا التاريخ لا زال الكثير منه مدوناً في مصادر متعددة ومتفرقة حول العالم، وكل ما يحتاج إليه هذا التاريخ هو تحرك المخلصين فقط للكشف عما تحمله هذه الوثائق من أخبار بشكل صحيح وأمين، واستقراء ما تنطق به هذه المصادر من معلومات حول المنطقة بعناية بعيداً عن الميول والأهواء والمجاملات، لتكوين صورة كاملة حول وضعها وتفاصيل أحداثها عبر التاريخ، وعدم الاتكاء على ما قام ويقوم به الآخرون في هذا الخصوص، خاصةً وأن هنالك الكثير من علامات الاستفهام حول الكثير من الوثائق المحققة حتى الآن كما أسلفنا، وهو ما يجعل جميع الكتب والوثائق الأجنبية بحاجة إلى إعادة قراءتها بلغاتها الأم ودراستها واستقراء ما يمكن أن تضيفه من معلومات حول مسار تاريخ عسير الحديث إذا رغبنا في فك رموز التاريخ العسيري الحديث ومعرفة تفاصيله بشكلٍ أدق.

٢. مجموعة إمتاع السامر وتاريخ عسير

في ظل الفقر الكبير في الوثائق المحلية المتاحة حول تاريخ عسير منذ القرن الهجري الرابع وحتى العصر الحديث، وتمكن بعض الجهات ومنذ وقت مبكر من الوصول إلى الوثائق المحلية الخاصة بالعصر الحديث بسهولة والسيطرة عليها بشكل قوي، بالإضافة إلى ما أفرزته المراحل الأخيرة في تاريخ عسير خاصة ما قبل انضمام عسير للدولة السعودية الثالثة من حالة نفسية وتنافس عشائري وأسري، يبدو أن بعض الجهات قد وجدت في ذلك فرصة لملئ الفراغ بطريقتها، ظانة

أن ما بين أيديها هو كل ما يمكن الوصول إليه في المصادر التاريخية من أخبار حول هذه الأرض ومن ثم فبالإمكان تطويعه وتحريف مساره كاملاً دون أن يكتشف التاريخ ذلك.

فرغم أن مشكلة طريقة التعاطي مع التاريخ المحلي قديمة، إذ يبدو أنها بدأت منذ منتصف القرن الهجري الثالث عشر مع تكليف أحد الخدم في قصر الأمير الراحل علي بن مجثل بالوصاية على الأمير الجديد (الطفل) والإمارة ومن ثم بداية اضطراب السلطة والعلاقة بينها وبين المجتمع المحلي، إلا أن ما وصل إليه الحال مع نهايات القرن الهجري الماضي (الرابع عشر) وبدايات هذا القرن، يعد من أكبر عمليات التزوير التي عرفها التاريخ العربي بل وربما البشري، إذ بدأت تخرج للوجود وبنهم شديد مصادر جديدة ورواية جديدة حول تاريخ عسير توحي للوهلة الأولى بأننا أمام ثورة للوثائق العسيرية التي بدأت تخرج من الظل، فبدأت تكتسح الساحة نسخ من وثائق وكتب تحمل تاريخاً غريباً لم يسمع به من قبل، ولا يستند إلى المدونات التاريخية المعروفة، ويشير إلى مراجع أخرى غير معروفة إلا في هذه المصادر، فهي تتحدث عن اتصال للحياة السياسية في عسير بسقوط الدولة الأموية عام ١٣٢هـ، وارتباط الحالة السياسية والاجتماعية في إقليم عسير منذ ذلك التاريخ بوجود أمراء من نسل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان هاجروا إلى هذه الأرض وأقاموا فيها إمارة كبرى امتدت حتى العصر الحديث، ويشكل عايض بن مرعي وبنيه امتدادها الشرعي حسب الرواية، وتربط هذه المصادر أصول جميع الأسر الحاكمة المعروفة في عسير منذ عام ١٢١٥هـ بهذه الأصول اليزيدية الأموية، كما تربط كل الأحداث التاريخية في عسير والعادات والتقاليد والأعراف إلى نشاط هذه الأسرة وما رسخته في هذا الإقليم من قيم، كما أنها تحاول إعادة رسم خارطة التركيبة القبلية في المنطقة إلى حد كبير خاصةً لدى الجيل الجديد، وقد حققت في هذا الخصوص نجاحاً أزعم أن من يقفون وراءها لم يتصوروا أن يصلوا إليه بهذه السرعة.

كما أنها تورد أحداثاً مختلفة تتصل بالمناطق المجاورة وتحدد طبيعة علاقة عسير التاريخية بكل منها بطريقة لم يتطرق لها سواها، ونجد بين أفكارها وأخبارها الكثير من القواسم المشتركة بالإضافة لبعض التباينات الطفيفة التي لا تؤثر على التوجه العام، حتى أننا نجد أن بعضها يعارض صحة أخبار ثانوية لم ترد إلا في مصادر نفس المجموعة الأخرى[1]، ولكننا بين هذا الجدل المفتعل، ومن خلال التوجه العام لهذه المجموعة من الكتب وتوجهات بعض داعمي أفكارها، فإن من الواضح وجود عدد من الأهداف المراد الوصول إليها يمكننا إيجازها فيما يلي:

---

(١) على سبيل المثال ورد في كتاب إمتاع السامر (ص٧١) معارضة لصحة رأي من قالوا بأن الشيخ "محمد بن عبدالوهاب" من قبيلة رفيدة، بينما لم يرد هذا الخبر إطلاقاً سوى في كتاب تاريخ عسير المنسوب لابن مسلط (ص٤٢) من إنتاج نفس المجموعة.

أ- محاولة إحياء العصبيات القبلية القديمة واستثمارها سياسياً، ولعل أخطرها محاولة إحياء العصبية القحطانية مقابل العدنانية على مستوى كامل الوطن، وربط هذه العصبية بالأحداث التاريخية، وخاصة لدى قبائل منطقة عسير بالإضافة لقبائل البادية الأكثر تواجداً في منطقة الرياض حيث مركز الحكم، مثل عتيبة، ومطير، وبني خالد، والدواسر، وقحطان نجد.

ب- محاولة تحقيق أهداف سياسية على الأرض في المدى المنظور وما بعده من خلال عزل سكان المناطق الجنوبية تاريخياً وعرقياً عن بقية الوطن نفسياً.

ج- مصادرة كامل التاريخ العسيري لصالح أسرة آل عايض التي وصل اثنان من أبنائها للسلطة في عسير بشكل طارئ في آخر عهد الإمارة العسيرية، مع محاولة تهميش دور أمراء عسير الحقيقيين في التاريخ العسيري.

د- محاولة استبعاد أثر العصبية القبلية العسيرية عن تاريخ الإمارات العسيرية تماماً، لاستدراج الجميع إلى الحماس والمشاركة في تحقيق الأهداف السياسية المطلوبة.

هـ- محاولة تهميش دور القبائل المستقرة في الجزء الغربي من المنطقة في تاريخ المنطقة الحديث وإحلال قبائل البادية الشرقية التي لها امتداد في نجد، وبعض قبائل البادية النجدية والقبائل اليمنية كبديل لها في أحداثها التاريخية.

و- تصفية الحسابات التاريخية مع بعض الأسر والعشائر والقبائل المحلية.

٣. ولادة فكرة مجموعة إمتاع السامر وتطور مراحلها

إن المتابع للتاريخ العسيري يجد أن هنالك تغير جذري في مسيرة التاريخ العسيري منذ ما بعد منتصف القرن الثالث عشر للهجرة حيث كانت الإمارة في عسير فيما قبل ذلك تقوم على فكرة بسيطة أساسها الفكرة الدينية التي تدعمها العصبية القبلية المحلية لقبيلة عسير ثم تلى ذلك دخول بعض القبائل المجاورة التي اعتنقت نفس الفكرة.

ونستشف أثر الفكرة الدينية على المجتمع في خطب محمد بن عامر أبو نقطة الداعية إلى إتباع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[١]، وفي مفاوضات عبدالوهاب أبو نقطة مع الخصوم في غزواته حول الدخول في الإسلام قبل المعارك، مما يدل على حمل فكرة الدعوة السلفية والجهاد لنشرها في هذه الحملات، ونجد كل ذلك جلياً أيضاً في الخطب الدينية والروايات التلقائية غير

---

(١) انظر نص هذه الخطب في كتاب "درر نحور الحور العين.." للطف الله جحاف، تحقيق عبدالله القحفي، مكتبة الإرشاد بصنعاء، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٤٠٢، ٤٠٣.

المحسنة لمعاصري تلك الفترة أمثال محمد العجيلي في وثيقة "الظل الممدود..." ومحمد الحفظي في وثيقة "نفح العود..."، كما نجد ذلك أيضاً في اتجاه علي بن مجثل وسعيد بن مسلط إلى سرعة مراسلة الدولة السعودية والتواصل معها بعد الثورة مباشرة حيث مركز الدعوة السلفية الأول، أما أثر العصبية العسيرية في أحداث الإمارة العسيرية في تلك الحقبة فنجده جلياً في شعر محمد بن أحمد المتحمي، وشعر مداوي بن محمد المتحمي وما تحمله من مفاخرة قبلية وربط للتاريخ المحلي بالعصبية العسيرية[١].

أما فيما بعد وفاة الأمير علي بن مجثل، فقد تراجع أثر الدعوة الروحي في عسير وأصبحت الجيوش العسيرية تسير بلا هدف وترتكب أفظع الأعمال، وكانت تتعرض للهزائم الشنيعة على يد جيوش تقل عنها عددا بكثير حتى أنه في معركة رغدان عام ١٢٥٤هـ في بلاد غامد هزم الجيش العسيري الكبير الذي كان عدده عشرون ألفاً أمام عدة آلاف جندي تركي وأسر من العسيريين سبعمائة وخمسين مقاتلاً، ومثل ذلك حدث في معركة الحديدة عام ١٢٨٨هـ حيث هزم جيش الإمارة العسيرية الذي كان عدده أكثر من عشرين ألف بل واقترف الجيش الكثير من الأفعال الحقيرة في بعض القرى التي مر بها أثناء عودته مهزوماً، وهو ما يدلنا على المستوى الأخلاقي والروح الاستسلامية للجيش الذي كان قبل ذلك يحمل راية الجهاد ويحقق النصر بأعداد بسيطة على جيوش تفوقه عدداً وعدة كما حدث في السعدية عام ١٢١٨هـ والقنفذة عام ١٢٢٨هـ وغيرها.

كما يلاحظ أنه بدأ يظهر خلال هذه الفترة نمط جديد في رواية العلاقات القبلية والأحداث والصلات في عسير في المدونات المحلية خاصة المرتبطة بالسلطة في عسير من خلال الوثائق التي كتبت فيما بعد تلك الفترة رغم ندرة ما وصلنا منها، مما يدل على بدأ مرحلة جديدة من الاضطراب، وقد نجد ذلك من خلال الأخطاء الكثيرة في الروايات التاريخية التي وردت خلال هذه الفترة واختلافها عن المستفيض فيما قبل ذلك في الروايات التاريخية المعروفة حول تاريخ عسير والأنساب والصلات القبلية فيها والوضع السياسي والاجتماعي والقبلي في المنطقة، فقد تميزت هذه الفترة ببدء عملية التوجيه في الرواية العسيرية في ظل وجود ارتباك واضح في علاقة من يقوم على السلطة بها وارتباطه بالأرض، وقد استكملت الدولة العثمانية بعد دخولها لعسير هذا الدور بشكل مدروس، وتركت قبل خروجها جواً من المشاحنات القبلية المحلية داخل البيئة

---

(١) انظر نص بعض هذه القصائد في كتاب "تاريخ عسير" لهاشم النعمي، الطبعة الأولى عام ١٣٨١هـ، ص٦٣، ٦٤، ١٦٩، ٢٧٣.

وانظر هذه النصوص أيضاً في كتاب "اديب من عسير" لمحمد بن حميد نقلاً عن ما دونه والده عبدالله بن حميد، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ص٦٣ - ٦٧.

العسيرية، لذا فأثناء حكمها ثم بعد خروجها تطورت محاولات السلطة ومن يعملون إلى جانبها للتدخل في التركيبة السكانية والتاريخ السياسي المحلي مع الوقت، وكان تحقيقها لبعض النجاحات حافزاً لاستمرار السلطة فيما بعدها في التمادي إلى محاولة فصل السلطة السياسية تاريخياً عن العصبية القبلية المحلية التي كانت علاقتها بها في حينه مشوبة بشيء من عدم الوضوح، ولم تقف هذه المحاولات بسقوط السلطة المحلية ودخول الدولة السعودية، فقد استمرت المجموعة التي تمحورت حول السلطة العثمانية في أحلامها وواصلت عملية التدخل في التركيبة السكانية المحلية ومحاولة تهيئة الوضع لعودة أخرى لم تزل تحمل في أحلامها حتى وصلت إلى ظهور مجموعة كتب إمتاع السامر في العصر الحديث مع ما تحمله من فكرة متكاملة لإعادة صياغة التاريخ والجغرافيا والتوازنات القبلية المحلية ومحاولة إدخال المجاورين على الخط كآخر ما وصلت له هذه الحالة، فلا شك أن ظهور فكرة رواية إمتاع السامر لها جذور وإرهاصات خلال هذه الفترة تطورت إلى أن وصلت للأفكار التي طرحت في هذه المجموعة حول الإمارة اليزيدية المزعومة، ولكن متى بدأت هذه الفكرة بالذات؟

حيث أن فكرة الأصول اليزيدية الأموية للإمارة العسيرية هي الفكرة الأساسية في رواية مجموعة كتب إمتاع السامر التي ظهرت خلال الأربعين سنة الماضية، والتي تتمحور حولها بقية الأفكار التي ظهرت معها، لذا فإذا رغبنا في معرفة بداية انطلاق فكرة مجموعة إمتاع السامر فعلينا البحث عن بداية ولادة فكرة النسب اليزيدي الأموي في عسير، ومن ثم تتبع مسارها لنصل في النهاية إلى تاريخ بداية وتطور الفكرة وانبثاق أفكار جديدة معها.

ومن خلال تتبع بدايات بزوغ فكرة النسب اليزيدي الأموي فمن الواضح أنها قبل تطورها بدأت بما يشبه الرغبة في المفاخرة الأسرية الخجولة من خلال ربط نسب قبيلة آل يزيد في الشعف بيزيد بن معاوية ربما من قبل بعض أفراد أسرة آل عايض بن مرعي قبل صدور هذه المجموعة من الكتب بحوالي ستين عاماً، وهي مرحلة بداية ما يمكن أن نسميه فترة استعادة النفس في عسير، حيث مرت بلاد عسير قبل هذه الفترة بمرحلة شاقة من العداء مع الحكومة العثمانية والمواجهات المستمرة معها، وهو ما تراجعت معه الحالة الثقافية في المنطقة مع سبق التأثير والترصد من قبل الحكومة العثمانية التي حاولت ممارسة فرض عزلة على قبيلة عسير إلى أن وصلت الحالة في بلاد عسير السراة إلى أسوأ حالاتها، واستمر الوضع كذلك حتى عام ١٣٢٦هـ، حيث بدأ الوضع يتغير خاصة مع وجود سليمان شفيق باشا الذي كان له دوراً جيداً في تغيير مسار العلاقة بين الدولة العثمانية والمجتمع المحلي في بلاد عسير، فبدأت عملية فك العزلة عن المجتمع العسيري، وتحسن المستوى الثقافي للمجتمع فيما بعد تلك المرحلة إلى حد ما بإنشاء الدولة العثمانية لمدرسة ومستشفى وبلدية وإدارات حكومية أخرى في أبها، وابتعاث بعض أبناء الأسر العسيرية

إلى استانبول، مما أوجد احتكاكاً أكثر مع العالم الخارجي، في الوقت الذي كان يوجد فيه تنوع إقليمي وقبلي في مدينة أبها وما حولها نتيجة لتوفر الوظائف الحكومية.

وقد ظهرت أول الإشارات إلى النسب الأموي ما بين عامي ١٣٢٩ و١٣٣٠هـ كحديث في الظل لحسن بن عايض مع متصرف عسير سليمان شفيق باشا الرجل التركي الغريب عن المنطقة فنشره لاحقاً في مذكراته الشخصية[١]، ويبدو أن ما أغرى مبتدع الفكرة هو تشابه مسمى قرية آل يزيد التي يرجع أبناء محمد بن عايض بن مرعي أصولهم لها، مع اسم أحد أمراء بني أمية، وهو "يزيد بن معاوية بن أبي سفيان"، ثم تبعه حضور رجل المخابرات البريطاني كيناهان كورنواليس "kinahan Cornwallis" الذي حضر إلى عسير في آخر عهد الحكم العثماني على خلفية قراءته عنها في كتاب تاميزيه "رحلة في بلاد العرب" والتقى فيها ببعض الأعيان المحليين كان بينهم بعض أفراد أسرة آل عايض، ومن ثم نقل عن من التقى بهم نفس المعلومات في كتابه "عسير بعد الحرب العالمية الأولى".

وكانت تلك أول الإشارات إلى النسب الأموي لأسرة آل عايض بن مرعي بل وأول بدأ الفكرة، حيث نجد أن جميع من كتبوا عن عايض بن مرعي وابنه محمد قبل عام ١٣٢٩هـ لم يوردوا شيئاً عن النسب الأموي، حيث أورد سليمان بن سحمان الذي عاش في قرية السقا حتى أواخر عهد حكم محمد بن عايض نسب آل عايض فأرجعهم إلى آل يزيد ومن ثم إلى بني مالك ومن ثم إلى مغيد التي اعتبرها هي كل عسير السراة[٢]، مما يدل على عدم وجود أي أثر للحديث عن النسب الأموي في قرية السقا وما حولها من بلاد عسير حتى نهاية حكم محمد بن عايض، كما أن ما ذكره ابن سحمان يدلنا على ما كان من اضطراب في رواية نسب أسرة آل عايض وعلاقتها بالبيئة القبلية المحلية، ومحاولة التأثير على المفاهيم القبلية المحلية لتجاوز هذا الاضطراب، كما أن الحسن عاكش كتب بعد عام ١٢٨٥هـ كتاباً عن محمد بن عايض ووالده وأسرته[٣] ولم يورد فيه أي شيء عن النسب اليزيدي ولا الأموي بل إنه لم يتطرق على الإطلاق إلى نسبهم، وهو أمر نستبعد حدوثه لو كان هنالك أي ذكر لنسبهم الأموي في حينه، كما نجد في مصادر محلية أن أبناء وأحفاد عايض بن مرعي ذاتهم لم يكن لديهم مثل هذه المزاعم بما فيهم

---

(١) شفيق باشا، سليمان، المصدر السابق، ص٩٢، ٩٣، ٩٤.

(٢) الألوسي، محمود شكري، تاريخ نجد، تحقيق محمد بهجة الأثري، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، تعليق ابن سحمان، ص١٢٥.

(٣) الضمدي، الحسن عاكش، كتاب "الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين محمد بن عايض".

والد حسن بن علي بن عايض الذي كان ابنه أول مصدر لهذه المعلومة، فقد أورد أحد الكتب الحديثة نقلاً عن المصادر الشفهية إحدى القصائد الشعبية المتداولة التي يذكر أنها جاءت على لسان علي بن محمد بن عايض والتي قالها خلال مرحلة الحكم العثماني، وكان ذلك فيما قبل تعيين ابنه حسن وكيلاً للمتصرف، وكان فيها من المبالغة في المفاخرة بالنسب القبلي المحلي العسيري والمغيدي لأسرته ما يستبعد معه أن يكون لديه أو لدى أسرته أو لدى العامة أي ذكر للنسب الأموي القرشي أو أي نسب آخر غير محلي حتى ذلك الحين[١].

ويظهر لنا من كل ذلك أن من ابتدع فكرة النسب الأموي لاحقاً وأسر بها إلى المتصرف كان وكيله (حسن بن عايض)، حيث كان من المقربين إليه والمرافقين له في رحلاته وقد حدثه عن نسبه الأموي كما يبدو من سياق سرده، حيث صادق على ذلك بعض الذين أحضرهم لمقابلة الباشا كممثلين لآل يزيد في الشعف أثناء مرافقته له، ومن ثم أوردها المتصرف سليمان شفيق باشا في مذكراته التي نشرت في صحيفة الأهرام المصرية بعد ذلك[٢]، ولكن سليمان باشا أشار إلى أنه لم يجد أي أثر لوثيقة تشير إلى هذا النسب حتى لدى أهل الشأن عندما سألهم، كما ذكر أنه لم يجد في تاريخ عسير فيما قبله ما يدل على وجود شيء من ذلك **"وبحثت في تاريخ عسير فلم أجد"**[٣]، مما يؤكد لنا أن تلك كانت بداية انطلاق فكرة النسب الأموي.

وقد ظلت فكرة النسب اليزيدي الأموي ثابتة عند هذه الحدود الضيقة إلى ما قبل مرحلة التسعينات الهجرية، إذ يلاحظ بعد ذلك انطلاق مرحلة جديدة في تطور الفكرة، ومحاولة مجاراة أي معلومة جديدة يمكن أن يستفاد منها في دعمها بطريقة أو أخرى.

فمن خلال تتبع مراحل الرواية منذ بدايتها نجد أن الحديث عن النسب اليزيدي الأموي ظهر في البداية محصوراً في الإشارة إلى أسرة "آل عايض بن مرعي" وبقرية آل يزيد في الشعف التي قيل أنهم ينتمون إليها فقط ودون أي تفاصيل، ولم تكن تربط بين هذا النسب وبين الإمارة العسيرية - حسب ما تحمله المصادر التي نقلت هذه الدعوى - مع تشكك هذه المصادر في صحتها بطريقة غير مباشرة من خلال الإشارة إلى عدم وجود العمق التاريخي لهذه الفكرة وعدم وجود أي إشارات أو وثائق تدعمها، بالإضافة لعدم وجود صلة لأسرة آل عايض ولا حتى

---

(١) آل حامد، عبدالرحمن، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، نادي أبها الأدبي، ٢٩.

(٢) شفيق باشا، سليمان، جريدة الأهرام، ربيع الثاني - جماد الآخرة لعام ١٣٤٣هـ فبراير ١٩٢٤م - يناير ١٩٢٥م، انظر "مذكرات سليمان شفيق باشا" تحقيق محمد العقيلي، نادي أبها الأدبي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ص٩٤.

(٣) شفيق باشا، سليمان، مذكرات سليمان شفيق باشا، تحقيق محمد العقيلي، نادي أبها الأدبي، ص٩٣.

لقرية آل يزيد بالحكم في عسير قبل وصول عايض بن مرعي للسلطة نهاية عام ١٢٤٩هـ[١] مما اوجد ثغرة كبيرة في الفكرة تطرق إليها كل من دونها، وهو ما تسبب في فتور حماس أصحابها في الضرب على وترها بقوة، إلى أن وجدت هذه الفكرة ما تتكئ عليه في محاولة رتق هذا الصدع في كتاب موريس تاميزيه "رحلة في بلاد العرب" الذي يبدو أن بعض المؤرخين العرب المهتمين بتاريخ الدولة السعودية والجزيرة العربية قد اطلع عليه وقرأه بلغته الأم (الفرنسية)، فنقل أحدهم بعض ما ورد فيه من معلومات حرفياً وبنفس الطريقة المرتبكة والمتناقضة فيه إلى بعض كتبه[٢] فاطلع على المصدر بعض المتحمسين لفكرة النسب اليزيدي الأموي ممن تواصل معهم كمصدر شفهي لمعلوماته، وعرفوا مصدر خبره، مما أوصل هذه المجموعة إلى نسخة من ترجمة انجليزية للكتاب حصل عليها أحد المتخصصين في التاريخ الحديث قبل منتصف التسعينات الهجرية، فاتكأت مصادر مجموعة إمتاع السامر على ما حصل فيه من أخطاء حول صلة عايض بن مرعي بسلفه علي بن مجثل، حيث وجد المدَّعون في ذلك ما يقوي حجة الدعوى، فانفجر الحماس لدى هذه المجموعة لإعادة كتابة تاريخ المنطقة كاملاً بطريقة جديدة، ومحاولة الالتفاف على المصادر التاريخية الأقدم وما وجد فيها من أخبار ومعلومات حول تاريخ الإمارة العسيرية وساعدها على ذلك النفوذ المعنوي لها على مصادر الوثائق العسيرية المتفرقة، فانطلق الحماس للفكرة، وتمادى إلى ربط أسرة آل مسلط وآل مجثل بآل يزيد ومن ثم بيزيد بن معاوية، مستغلين قلة عدد وانزواء من بقي من نسل هذه الأسرة عن التفاعل مع الكتابة التاريخية، ثم ربطت هذه

---

(١) انظر:

١ - شفيق باشا، سليمان، مذكرات سليمان شفيق باشا، تحقيق محمد العقيلي، نادي أبها الأدبي، ص٩٤.

٢ـ الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث، ص٢٩٩ .

٣ـ النعمي، هاشم، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ، ص١٨٥.

٤ـ الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة ٢٠٠٢م، ج٣/ ص٢٤١، ٢٤٢.

(٢) نقل خير الدين الزركلي نفس الارتباك الذي ورد لدى تاميزيه في كتاب رحلة في بلاد العرب حول علاقة عايض بن مرعي بسلفيه سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل حرفياً في كتابه "الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز" و"شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز" فأشار له في المرة الأولى كابن عم لهما وفي الثانية أشار إلى أن علي بن مجثل كان عم عايض بن مرعي، وكان تاميزيه قد أشار لعلاقته بهما مرتين بنفس الارتباك، ولكن الزركلي في آخر طبعة من كتابه "الأعلام" والذي نشر بعد وفاته حرص على النقل عن مذكرات سليمان شفيق باشا فذكر أن عايض بن مرعي لا يمت بصلة إلى أسلافه من أمراء عسير وأنه أول من تولى عسير من عشيرته وأنه من قرية آل يزيد في الشعف، اقرأ التفاصيل في فصل "ما أورده المؤرخون حول نسب آل عايض".

الرواية بتاريخ المنطقة كاملة منذ القرن الهجري الثاني للوصول إلى الهدف، فقد ذكرت أحداثاً وأسماءً وحروبا وأمراءً وقادة ومواقعا وأنسابا لم يعرف لها وجود في جميع المدونات المعروفة ولا في الذاكرة العسيرية، وتتعارض مع الحقائق التاريخية التي ظهرت في الكتب والمخطوطات الأخرى، وحاولت إعادة رسم الخارطة القبلية والتاريخ السياسي للمنطقة بطريقة جديدة، ثم تطورت مع نجاح كتبها ووثائقها في التأثير على الذاكرة الشعبية إلى إدراج كل الإمارات المحلية والمجاورة إلى الفكرة كإمارات متفاعلة مع الإمارة اليزيدية المزعومة، مع محاولة إفراغ أهالي المنطقة من أي دور ريادي في تاريخهم، والتعامل معهم في هذه الكتب بفوقية واستعلاء واطمئنان تام إلى عدم وجود من سيعترض على الفكرة مهما كانت الخسائر.

وقد بدأت إرهاصات ظهور هذه الكتب المجهولة منذ وقت مبكر من خلال بدأ توزيع وثائق غريبة ورواية أخبار تتصل بمحتواها في منتصف التسعينات الهجرية، فظهر أولها إلى العلن من خلال مقالات في مجلة العرب حول إحدى الوثائق التي تم إطلاع الأستاذ عبدالله بن حميد[1] رحمه الله عليها من جهة لم يحددها تتوافق مع إشارات خير الدين الزركلي في كتاب "الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز[2]"، وتبعه بعد ذلك مباشرة نشر كتاب "عسير" لمحمود شاكر عام ١٣٩٦هـ، ثم ظهر الكتاب المحرف عن النسخة الأصلية للشيخ عبدالله بن مسفر "السراج المنير في سيرة أمراء عسير"، وتحقيق مخطوط "الدر الثمين" للحسن الضمدي والمنسوب إلى عبدالله بن حميد، وكانت هذه الكتب مهتمة بتكريس فكرة الدولة اليزيدية الأموية في عسير وربط الإمارة العسيرية بها ولم تبد اهتماماً كبيراً في التفصيل في الأنساب القبلية المحلية ومحاولة التأثير عليها رغم أنها وضعت إشارات تدل على بداية الأفكار وتأرجح المزور بينها، حيث يبدو أن من كان حول (إمبراطور الأحلام) في تلك المرحلة جلهم من خارج الوطن، إلا أن ما توالى بعد هذه الكتب في الإصدارات اللاحقة والتي اهتمت بالتدخل في الأنساب القبلية والتفصيل فيها بطريقة موجهة بعناية، ومحاولة إعادة رسم الخارطة القبلية في إقليم عسير يدل على تطور المزورين ودخول أعضاء محليين على خط كتابة التزوير إلى جانبه، فتلى ذلك ظهور أهم وأشهر هذه الكتب وهو كتاب "إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر" ما بين عامي ١٤٠٦هـ و ١٤٠٧هـ، بالإضافة إلى

---

(١) ابن حميد، عبدالله، مجلة العرب، ج١١، ١٢السنة التاسعة جاديان، ١٣٩٥هـ، ص٩٨٣.

(٢) الزركلي، خير الدين، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، الطبعة الخامسة - ١٩٨٨م، دار العلم للملايين، بيروت، ص٦٧.

مجموعة من الكتب المشابهة له والتي تدور في نفس الدائرة، مثل "أخبار عسير" المنسوب تأليفه لعبدالله بن مسفر، و"تاريخ عسير" المنسوب كتابة وثيقته إلى إبراهيم الحفظي وتحقيقه إلى محمد بن مسلط، و"عسير في مذكرات سليمان الكمالي" المنسوب تحقيقه لأحمد النعمي، والجزء الثاني من "إمتاع السامر" لنفس المؤلف، وكلها قديمة التاريخ ولكنها متأخرة الظهور للساحة عن تاريخ صدورها المزعوم، كما أن جميعها لمؤلفين فارقوا الدنيا قبل ظهور مؤلفاتهم للعلن، وتواكب مع ظهور هذه الكتب ظهور مجموعة من الوثائق المزورة التي تحاول دعم فكرة تجاوز التدرج القبلي المحلي وتوزيع المكاسب التاريخية على بعض العشائر مع ربط ذلك بالفكرة الرئيسية لمجموعة الإمتاع، وبدأت بعد ذلك حملات إعلامية إنترنتية ومجالسية تتحدث بنفس الطريقة، بل وتتمم ما ورد فيها بالروايات المختلفة، واندفع عدد من مؤرخي المنطقة إلى دعم هذه الروايات من خلال الاستناد لهذه الكتب، فمن لم يستند إلى كتاب "إمتاع السامر" فقد راوغ بالاستناد إلى كتاب محمود شاكر "عسير" بصفته صدر بطريقة رسمية، أو لكتاب عبدالله بن مسفر "أخبار عسير"، أو أي البقية، أو بالاستناد إلى الكتب التي نقلت عنها.

٤. خطورة أفكار مجموعة إمتاع السامر

كثيرة هي أضرار أفكار هذه الكتب التي تبزغ من الظلام، وبدون مبالغة فإنه قد لا يمكن حصرها، خاصة وهي قد أوقعت أثرها على المجتمع المحلي، وأصبحت مراجعاً تاريخية للكثير من المؤرخين، فناهيك عن حرفها لمسار الرواية التاريخية وتشويه صورتها الحقيقية، فإن ما بين السطور وما ينأى القلم عن الخوض فيه أكثر بكثير مما يمكننا أن نسرده هنا حول سلبيات هذه الكتب وأثرها السيئ على الهوية وحقيقة التاريخ وتوازن المجتمع، فهي مثلاً أفرغت هذه المنطقة من أي دور ريادي لأبنائها في تاريخها الحديث، عندما عزت جميع التحركات والمبادرات والأحداث التي تمت في عسير بما في ذلك ما هو معروف وتناقلته أيدي المؤرخين من كل فج في العصر الحديث إلى وجود النسل اليزيدي الأموي الذي ربطت به أسر الحكم في عسير وأحالت معظم الرموز التاريخية المحلية إلى مناطق أخرى، بالإضافة إلى أنها تتحدث عن تاريخ عسير بطريقة قبلية تعتمد على إثارة نعرات عرقية تعتمد على الأساطير القديمة التي لم تكن مثارة بين سكان الإقليم، كما أنها تدخلت في أنساب الكثير من الأسر والعشائر والقبائل المحلية وأعادتها إلى الصحابة وإلى قريش أو أرومات قديمة منقرضة لم تكن معروفة قبل ذلك في المنطقة أو إلى مناطق أخرى. ولاستدراجها لدعم الرواية فإنها أعطت عمقاً ودوراً تاريخياً محورياً في تاريخ عسير على غير

المتعارف عليه لهذه الأسر التي غربتها، بما يحول التاريخ العسيري الحديث إلى وسيلة لانتقاص من حملوا لواء هذا التاريخ فوق أرضهم وإثبات دونيتهم.

وقد أحدثت رواياتها أثرها على الذاكرة الشعبية المحلية بشكل كبير، فبدأت تنتشر في منطقة عسير ومنذ وقت مبكر الروايات الشعبية التي لم تعرف من قبل، ولكنها تدعم توجه هذه الكتب وما أوردته من غرائب، مع توزيع المكاسب على المستوى العشائري والأسري ما جعل البعض يتحمسون لها بقوة، ويدافعون عنها حرصاً على المكاسب الصغيرة المتحققة، كما أن بين طيات السرد تجد الكثير من العناية والدهاء مما يثير التساؤلات حول الهدف، فعندما تقوم بربط أخبار هذه الكتب المتفرقة تجد أن هنالك عناية جيدة في التأثير على القارئ بطريقة غير مباشرة، فهي تستند في بعض رواياتها إلى أخبار وردت في كتب تاريخية حقيقية ولكنها تلوي وتحرف في طريقة السرد دون الإشارة للمصدر للوصول إلى شحن الفكرة الجديدة في ذاكرة القارئ، بما يوحي أن القارئ أمام خبر مستقل ومتوائم مع ما في الكتب المعروفة حول الحدث، كما أنها تورد جزءاً من الخبر أو المعلومة المراد شحنها في هذه الصفحة أو الكتاب وتضيف له جزءاً آخر في صفحة أخرى أو كتاب آخر بطريقة غير مباشرة، مما يوحي بأنها بصدد استكمال الصورة في مراحل لاحقة، أو لوضع المصائد في طريق المؤرخين لربط الرواية على أيديهم، وفي سد هذه الثغرات المفتعلة يكمن الإشكال، كما سيأتي معنا.

كما أنها حاولت إعطاء دوراً محورياً في أحداث التاريخ العسيري لقبائل لم تكن معنية بتاريخ عسير مثل قبائل البادية في نجد والحجاز والقبائل اليمنية وبادية شرقي منطقة عسير الممتدة في نجد، بينما أفرغت القبائل المحلية والتي حملت بالفعل أعباء هذا التاريخ، وكانت بلادها مسرحاً لتلك الأحداث ومنطلقا لها من أي دور مهم فيه، بل حاولت إثبات هامشية دورها على غير المستفيض في ذاكرة المجتمع في كامل المنطقة وما تحمله المصادر التاريخية المعاصرة المعروفة في مقابل إعطاء مكاسب تاريخية وهمية هشة تتعلق بالتاريخ القديم تم توزيعها على أساس عشائري صغير لا تساوي شيئاً أمام الخسائر الكبيرة التي فقدتها هذه الجهة في عزلها عن تاريخها الحقيقي وعن هويتها، كما اتجهت إلى التعميم والتشتيت في الأنساب والأعراق في المنطقة، وإعادة هيكلتها بما لا يتوافق مع ما هو متوارث وما تحمله الذاكرة الجمعية في عسير.

وتحت تأثير المكاسب المتحققة على المستوى الأدنى فقد أثرت أخبار هذه الكتب على الذاكرة الشعبية البسيطة في المنطقة، حتى أصبحت محاولة كتابة التاريخ بالطريقة العلمية المنهجية ومحاولة إيضاح الحقيقة جريمة كبرى في عسير، لأن ذلك سيعني فقد المكاسب التي وزعتها هذه المجموعة على الجماهير للمصادقة على رواياتها، فيضطر كل من يدرك حقيقة هذه الأكاذيب إلى

مقايضة بعض ما يرفض صحته بالتسليم ببعض ما لا يرى في المصادقة عليه ما يثير حفيظته، بل لقد صدرت كتب من وزارة الإعلام تؤيد الأفكار التي بثتها هذه المجموعة من الكتب[1]، وحتى وزارة الإعلام[2] ومكتبة الملك عبدالعزيز صدر عنها مؤلفات استندت إلى هذه المصادر[3]، فأوقف التاريخ العسيري على ما يدعم هذه الروايات بشكل رسمي، وتخلى الجميع عن متابعة المصادر التاريخية التي تحمل حقيقة تاريخ هذه الأرض، وكأننا أمام عملية مقايضة ضمنية بين الأطراف المستفيدة من الجانبين، المتلقي والمرسل، بما في ذلك المتسببين للجهات الحكومية.

والأهم من كل ذلك هو محاولة فرض فكرة جديدة حول هوية كامل الإقليم وإعطاء حقوق تاريخية للغير فيه من خلال فصله عرقياً وتاريخياً ونفسياً عن بقية أقاليم الوطن السعودي وربط تاريخه السياسي باليمن الشقيق، واستثارة العداء التاريخي مع بقية أقاليم الجزيرة على أساس عرقي بين قحطان وعدنان، بصفة عسير صافية من العرق العدناني وتفاخر على القبائل النجدية بذلك بل وتحذرها من التعرض لمن ينتمي للأرومة القحطانية في نجد كما سيأتي معنا.

وقد أعادت بذلك الحياة لمشكلة كانت قد توارت خاصةً حين أشارت في الكثير من النصوص إلى عسير كجزء من اليمن[4]، وأوردت أخباراً مناقضة لكل ما ورد في الكتب التاريخية المعروفة تشير إلى تفاعل أمراء عسير المزعومين الذين أوردتهم مع الممالك اليمنية ومساجلة الحروب التوسعية المتتالية لأمراء عسير من آل يزيد مع هذه الممالك كبني زياد وبني رسول وآل الرسي وآل المهدي لضم عسير لممالكهم طوال التاريخ، وتمكن بعض الممالك اليمنية من تحقيق النجاح والتمدد على عسير بينما الأمراء اليزيديون يعودون لاحقاً ليستعيدوا ملكهم على حساب هذه

---

(١) أصدرت وزارة الإعلام كتاب، "عسير الإنسان والمكان"، وكان يستند إلى رواية كتب مجموعة إمتاع السامر حول الإمارة اليزيدية الأموية والأنساب في إقليم عسير، ص١١، ٢٣.

(٢) انظر: كتاب "عسير الإنسان والمكان والزمان"، بدون مؤلف، بدون تاريخ، الناشر وزارة الإعلام - الشئون الإعلامية - الإعلام الداخلي، ص١١.

(٣) موسوعة المملكة العربية السعودية، المجلد العاشر، منطقة عسير، تأليف مجموعة من المؤلفين، وقد استند المؤلفون إلى كتاب تاريخ عسير لابن مسلط، وأخبار عسير لعبدالله بن مسفر، انظر ص١٦٤، ١٦٨.

(٤) انظر كنماذج فقط:

١- أخبار عسير، المنسوب إلى عبدالله بن مسفر، المكتب الإسلامي، ص١٧.

٢- السراج المنير، المنسوب لنفس المؤلف، مؤسسة الرسالة، ص١٧.

٣- محمود شاكر، عسير، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٤هـ ص١٢، ١٤٥.

٤- تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص١١٨، ٢٥٦، ٢٧٩، ٢٨٢.

الممالك[١]، ثم أشارت إلى تنافس حسن بن عايض وأمام اليمن على النفوذ على كامل اليمن[٢]، وربطت عسير سياسياً بنفوذ الإمام اليمني فيما قبل الدولة السعودية الثالثة[٣].

ورغم معرفتنا بخطورة ذلك على مستقبل المنطقة وما قد يثيره من إشكاليات في فهم الهوية، فإنه لو كان لذلك أي درجة من الصحة لكان أمراً يقبل النقاش حوله والبحث في مصادره، فتحديد الهوية التاريخية الحقيقية للأرض وإنسانها هو الأساس الذي يجب أن لا يحمل المجاملة، فعندما نجد أن عسير جزء من أرض اليمن تثبته الأخبار التاريخية والكشوفات الأركيولوجية بما يقطع بخصوصية انتماء عسير لليمن، فمن المعيب والمثير للسخرية أن نرفض ذلك، بل يجب أن نكرس حقيقته كأمر تاريخي وبكل اغتباط، وسنقول عندها بأن عسير أصبحت جزءاً لا يتجزأ ولا يمكن فصله من هذا الوطن الكبير الذي يجمعه بكل جيرانه وحدة انتماء الجميع إلى جزيرة العرب، ناهيك عن وحدة العرق ووحدة الدين، وإن فرقتهم الحدود السياسية، ولكن ما أوردته هذه المصادر لا يتوافق مطلقاً مع ما هو مدون في الكتب التاريخية اليمنية والتي تحدثت بالتفصيل عن هذه الممالك التي كانت تتمدد عادةً فيما بين طلحة الملك وعدن[٤] بينما كان نصيب عسير في أحداثها "صفر" منذ البعثة النبوية، بل وحتى النقوش اليمنية التي كشف عنها حتى الآن، والتي تكشف عن الوضع في مراحل التاريخ القديمة جداً لا تؤيد ذلك، بل كلها تشير إلى استقلالية هذه المنطقة منذ العهود القديمة جداً بمملكتها وحضارتها الخاصة عن نفوذ ملوك اليمن في أقوى مراحل ملكهم[٥]، كما أن ذلك يناقض ما وجدنا مؤرخي اليمن ينطقون به فيما قبل الدولة السعودية الأولى وما بعدها، حيث كانوا يطلقون على بلاد عسير والسروات مسمى "الحجاز"[٦] وعلى قبائلها القبائل الحجازية[٧] وأحياناً يسمونها بالنجدية[٨] تمييزاً

---

(١) إمتاع السامر،*ن د،٣٦، ٥٠، ٦٣، ٤٨. *إمتاع السامر، ن أ، ١٥، ١٥٩، وللمزيد حول ذلك انظر باب "مقارنة أخبار مجموعة إمتاع السامر مع أخبار المصادر المعروفة".

(٢) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص١١٨.

(٣) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٢٥٦، ٢٧٩، ٢٨٢.

(٤) عمارة اليمني، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد الاكوع، ص٥٦.

(٥) شرف الدين، أحمد حسين، المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية، ص٦٨.

(٦) انظر:

١ـ جحاف، لطف الله، درر نحور الحور العين، ص٤٠٣.

٢ـ مؤلف مجهول، حوليات يمانية، تحقيق عبدالله الحبشي، دار الحكمة اليمانية، ص٦٣.

(٧) اليمني، عمارة، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد الأكوع، ص١٠٣.

(٨) مؤلف مجهول، حوليات يمانية، تحقيق عبدالله الحبشي، دار الحكمة اليمانية، ص٦٣.

لها عن اليمنية، بل كانوا يؤكدون وبقوة وحماس على عدم وجود أي علاقة لمنطقة عسير ببلادهم عبر التاريخ(١)، ولم يتحدث أيهم عن عسير كجزء من بلادهم فيما قبل عام ١٣٤٥هـ مع ظهور مشكلة الملك عبدالعزيز والإمام يحي حول بلاد الإدريسي التي أصبحت لاحقاً جزءاً من البلاد السعودية، كما تتعارض هذه الروايات مع أبجديات القراءة التاريخية لتاريخ اليمن وتاريخ إقليم عسير ومكة المكرمة(٢).

وكان قد تراجع المتحمسون لهذه الدعوى في اليمن، وعلت أصوات يمنية متعقلة متعمقة في فهم التاريخ اليمني تنفي صحة هذه الدعوى، حتى ظهرت مجموعة كتب إمتاع السامر لتعيد الأمور إلى النقطة الأولى ولكن بوجه جديد، فأصبح أهالي عسير هم من يحاولون إلصاق بلادهم باليمن وتاريخها، فازداد الحماس هناك وتصاعدت نبرة الحديث الإعلامي عن الأرض المسلوبة حتى وقعت اتفاقية الحدود بين البلدين!.

فلماذا نلوم الحوثيين إذا رفضوا هذه الاتفاقية!.

وكما أسلفنا فإننا لا نجد غضاضة مستقبلاً في الحديث عن كشف وجود علاقة ما لعسير بالتاريخ اليمني القديم، ولكن على أن يكون ذلك مستنداً إلى مرجعية تاريخية حقيقية وواضحة، فنحن مثلاً وإن كنا قد تيقنا من خلال تتبع جميع المصادر اليمنية ذاتها من عدم وجود علاقة لعسير باليمن منذ البعثة النبوية وحتى الآن، إلا أننا لا نستطيع ضمان أنه لم يحدث أن تمددت أي الممالك اليمنية القديمة جداً فيما قبل الإسلام على جرش أو غيرها، أو تمددت مملكة جرش على أي هذه الممالك، ولكننا نحتاج إلى إثبات ذلك بطريقة جلية أو من خلال استقراء واضح لمجريات التاريخ يستند إلى المراجع التاريخية والأركيولوجية، لا من خلال التطفل على تاريخ الآخرين، فحتى وإن كان هنالك قلة من مؤرخي اليمن في مرحلة ما بعد عام ١٣٤٥هـ حملوا فكرة يمنية عسير، فإن ذلك لم يتجاوز في مراميه دعم الموقف السياسي لبلادهم حول النزاع الحدودي في تلك المرحلة للحصول على مكاسب أدنى، وهو ما يجعل هذه الدعوى عرضة للنفي الكامل في مرحلة لاحقة من نفس المصادر لأسباب سياسية أيضاً، فما لم يكن هنالك دلالة تاريخية واضحة على أن منطقة عسير كانت جزءاً من الممالك اليمنية، فمن المعيب حديثنا

---

(١) محمود، صلاح رمضان، ذكريات الشوكاني، وزارة الثقافة بجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية - عدن ودار العودة - بيروت، ١٩٨٣م، ص٩٥؛ وانظر احمد آل فايع، دور آل المتحمي..، ص٤٩، وانظر محمد آل زلفة، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ص١٥٨، ١٦٠.

(٢) للمزيد من التفصيل حول ذلك اقرأ فصل "علاقة عسير باليمن" في هذا الكتاب.

عن ذلك بينما مؤرخي اليمن يشيرون إلى غير ذلك في كتبهم، بل ويشيرون بقوة إلى مجهولية تاريخنا بالنسبة لهم بما فيهم أولئك الذين تحمسوا لدعم الفكرة كموقف وطني سياسي خلال مرحلة سابقة[١].

٥. موقف العسيريين من هذه الكتب

لقيت كتب مجموعة إمتاع السامر خلال الخمسة والثلاثين سنة الماضية الكثير من اهتمام المجتمع العسيري والحديث المستمر عن أخبارها وما حوته من غرائب، وتراوح الموقف بين الاستغراب إلى الموافقة إلى الحماس لما فيها من أخبار، ولكنها في النهاية سيطرت على الذاكرة الشعبية في عسير، بل وحتى المثقفين في المنطقة لم يقفوا منها موقف التمحيص على الإطلاق فيما عدى الأستاذ محمد الحميد، بل تحمس الكثير منهم لها، وحتى القلة المتشككين منهم وقفوا موقفاً سلبياً أمام ما تبثه من روايات مستمرة، ولكن الأعجب أنه كان يقف في الظل لدعم هذه الكتب تكتل يحوي عدداً من القرويين الذين ربما استقطبت هذه الجهات معظمهم أثناء وجودهم بعيداً عن قراهم في مرحلة الدراسة أو العمل فأكبروا ما يبدو على مستضيفيهم من مظاهر البذخ والكلام المنمق مما لم يعرفوه سابقاً في قراهم، فلقيت تأييدهم والذي لا يحمل إلا على فرح أولئك القرويين الصغار بإعطائهم دور (أي دور) في عملية لا يعلمون ما هي أهدافها ولا عواقبها، بل ولا من يقف خلفها بالفعل، فبدأ التواصل مع المجموعات المختلفة ومحاولة التأثير على رواية التاريخ في كامل الإقليم، وتهيئة المناخ العام لتقبل أسرة آل عايض بالذات للعب دور محوري في المستقبل بصفتها الحاكم الشرعي للإقليم منذ القرن الثاني للهجرة حسب روايتهم، وجندوا لاستعداء كل من لا يعطي تصديقاً كاملاً للفكرة أو من يجادل حول مصداقية أي جزء منها، بل ومن لا يحمل معهم معول الحقد والكراهية والهدم للوطن من خلال الضرب على وتر العنصرية والإقليمية والقبائلية فيحمل معهم الحجارة لرمي "الغباريون" (كما أطلقوا على أهل نجد)، أو كل من يملك شعوراً وطنياً لكامل الوطن من أهالي عسير، والميل بشدة إلى العزل الثقافي والعرقي لكامل المنطقة عن بقية الوطن، وتكريس شعوراً بالكراهية والنقمة ضد الوطن، ويصرون على استخدام التاريخ وتحويره لتحقيق غايات من وظفهم للقيام بهذه المهمات دون أن يستوعبوا ما خلف الجدار وما بين السطور من دسائس حوتها هذه الرواية، وما يمكن أن تؤدي إليه، وكل منهم يحمل بين جنبيه نزعاته الضيقة ظاناً بأن عشيرته قد حصلت على

---

(١) محمد الأكوع الحوالي، اليمن الخضراء، ص١٥٨.

مكاسب كبرى يجب المحافظة عليها، ولم يعلموا أنهم إنما ساهموا في ترسيخ تبعية وتشتيت ودونية هذه الأرض، وأفرغوها من هويتها وتاريخها، وربطوا وجودها التاريخي بمن تنحني له رؤوسهم، وأحيوا النعرات الصغيرة على مستوى القرى المتجاورة والعشائر والأسر التي فرقوها على أساس عرقي وهم يظنون أنهم يحسنون لها صنعاً، فكانوا كالحمير تحمل أسفاراً خلف الحمار الأكبر وبئس المثل، فمن أشد العجب أن تجد من يقلم تاريخه كاملاً، ويفصل كل روح المبادرة عن أهله وينفي وجودهم، ويبيع دمائهم وتاريخهم، ويدخلهم في متاهة النزاع حول هويتهم مع المجاورين، ويشتتهم بدعوى أنه يريد تكريس مركزيتهم في المستقبل!.

أوبعد أن نفاهم من الوجود؟

وكنت أتوقع أن يكون هنالك جهد جماعي في عسير منذ البداية لتمحيص هذه الأخبار والتحقق من صحتها وإظهار حقيقتها، وإظهار خطأ ما لا يقبله العقل منها، وإيقاف العبث وكشف أكاذيبه منعاً لتحويل تاريخ عسير إلى سخرية، فلو كانت هذه الكتب عنيت بتاريخ مكة المكرمة أو بلاد اليمامة أو الأحساء بشكل رئيسي لانقلبت الدنيا هنالك حتى يتم كشف أكاذيبها ومنعها من التلاعب بتاريخهم، وتبرئة مناطقهم من تبنيها، ومعاقبة المزورين، ولكن للأسف ومع احترامنا لما يقوم به مؤرخو عسير من جهد لإجلاء تاريخ وطنهم، إلا أنه كان هنالك دعم قوي لأخبار هذه الكتب وتدافع لإثبات صحتها من جل مؤرخي عسير خلال الفترة الماضية، بينما كان الانتقاد خجولاً جداً، ولا نتهم أحداً منهم بعينه بالمشاركة في كتابتها والله أعلم، ولكن نقول أن ذلك كان إما لموافقة أجزاء مما كتب لأهواء الكثير منهم، أو بسبب نشاط المجموعة في استدراج المؤرخين وبناء علاقات جيدة مع كل منهم، خاصةً وأن مصادر التزوير يفترض أن بعضها تمثل مصدراً شفهياً لجزء من تاريخ عسير، بل لقد وقع كل مؤرخي عسير في فخ الاقتباس منها راغبين أو مرغمين بعد أن أصبحت حديث العامة، فلا يكاد يخلو كتاب عسيري كتب بعد صدور هذه المجموعة من الرجوع إلى أخبارها المزورة والتي لم ترد في سواها ولم تعرف قبلها في الكتب ولا الأفواه، وحتى أولئك الذين شككوا فيها ظاهرياً فقد استند معظمهم إليها في الكثير من كتاباتهم، فهذا يسرد منها مباشرة أو ممن نقلوا منها، وذاك يدون ما يتلقفه ممن قرأ لدى محمود شاكر في كتاب "عسير" أو يعيد عليه ما جاء في "إمتاع السامر" أو "تعليق الحفظي على مذكرات سليمان باشا" أو "تاريخ عسير" لابن مسلط أو "أخبار عسير" أو "السراج المنير" أو ما حشي باسم عبدالله بن حميد في "الدر الثمين" فيدونه المؤرخ، بل واستمرأ الحكواتية الكذب في رواية التاريخ والأنساب والأحداث للوصول إلى فرض أفكار إمتاع السامر على ذاكرة المجتمع، حتى أصبحت الذاكرة الشعبية العسيرية مشوهة جداً ولا تصلح للاعتماد عليها

إطلاقاً بين هذا الكم من الأكاذيب التي أثرت على مسار تدوين تاريخ المنطقة وعلى الذاكرة الجمعية للمجتمع بشكل كبير.

ومن الملاحظ أن بعض الكتاب قد اتجهوا إلى الاستشهاد فقط بما يدعم توجه كل منهم وإهمال البقية أو التشكيك فيها، وبعضهم شككوا في صحة أخبارها ظاهرياً ولكنهم تحمسوا لها وحاولوا دعمها ونقلوا رواياتها الرئيسية في كتبهم، بينما لم يرد ما اقتطفوه منها لدى سواها على الإطلاق.

ولكن مع هذا فلا زال الباب مفتوحاً لتدارك ما يمكن تداركه، بكشف المزيد حول أخطاء هذه الكتب وفضح تزويرها، وإن لم نفعل فإننا سنخسر الكثير من أهمية الذاكرة الجمعية لعسير ومن نصاعة تاريخها ووضوحه واستثنائيته واستقلاليته الذي أهرقت الكثير من الدماء والكثير من الجهود في سبيله، ليقابل ذلك من الأحفاد باللؤم، فيستمر استمراء الكذب الذي أخذ يطفو على صفحات كتب بعض مؤرخي منطقة عسير، ويتم التشويش على التاريخ الحقيقي لهذه الأرض عبر الزمن مما يجعله كاملاً مثار نقاش لمدى مصداقيته بالكامل، أو سبيلاً لمصادرة تاريخ المنطقة وهويتها.

الفصل الثاني

هل مجموعة إمتاع السامر مراجع تاريخية حقيقية

١. ترابط وتشابه روايات المجموعة ومحورية كتاب إمتاع السامر

عندما نركز هنا على كتاب "إمتاع السامر" ونطرحه بشكل رئيسي في عملية الفحص فذلك لأنه يشكل حالة "أنموذج" لبقية الكتب التي واكبته وحملت نفس الفكرة، بصفته الكتاب الأهم والأشهر والأكثر دقة وأغزر معلومة وأشمل نطاقاً، فمجموعة الكتب المزورة والتي نطلق عليها هنا مسمى "مجموعة إمتاع السامر" هي مجموعة من الكتب والوثائق المتشابهة والمتداخلة في أخبارها وطريقة ظهورها يجمع بينها أكثر من عامل مشترك، أهمها انتماؤها جميعاً إلى مؤلفين فارقوا الدنيا قبل أن يعرف عن كتبهم أو وثائقهم المزعومة، وتوالي ظهورها إلى العلن منذ التسعينات الهجرية فما بعد، كما يجمعها تشابه النمط ورواية الغرائب، ووحدة الفكرة المراد بثها من خلالها، وترابط أخبارها وتتميمها لبعض، وانفرادها بهذه الأخبار دون سواها، لذا فكل ما سنقوله عن إمتاع السامر يقع بالضرورة على كل ما صدر حتى الآن من الكتب والوثائق المنتمية للمجموعة وفي مقدمتها "إمتاع السامر" بجزأيه لشعيب الدوسري و "تاريخ عسير" لمحمد بن مسلط و "عسير في مذكرات سليمان الكمالي" تحقيق أحمد حسن النعمي و "أخبار عسير" لعبدالله بن مسفر و "السراج المنير" لعبدالله بن مسفر وحواشي كتاب "الدر الثمين" باسم عبدالله بن حميد والوثائق الأخرى المصاحبة مثل وثائق جعفر الحفظي التي أورد محمود شاكر أنه نقل عنها في كتابه "عسير"، وما نسب إلى ابنه موسى[١]، ووثيقة زين العابدين الحفظي، وإبراهيم زين العابدين الحفظي، والكثير غيرها من الوثائق التي وزعت على بعض ذوي الشأن من رجال العلم والمشايخ في بداية المرحلة.

---

(١) يقول علي عسيري في كتاب "عسير دراسة تاريخية" (ص١٥٨) أن عبدالله بن علي بن حميد يذكر أنه حصل على معلوماته من وثيقة موسى بن جعفر الحفظي، ولكنه (أي علي عسيري) لم يتمكن من الاطلاع على هذا المخطوط رغم اتصاله بآل الحفظي ومحاولته.

فإذا ثبت لدينا هنا أن أكبر وأشهر هذه الكتب وهو "إمتاع السامر" مع ما فيه من غزارة في المعلومات وجهد ودقة في انتقاء الخبر ومجاراة لبقية الكتب والوثائق الأخرى المعروفة هو كتاب مزور، فهذا سيسير بنا بداهةً إلى وجود مجموعة تزوير منظمة تقوم بجهد كبير لحرف مسار التاريخ عن اتجاهه الصحيح، وبالتالي أن كل هذه الكتب والوثائق المشابهة والتي خرجت في نفس المرحلة ليست سوى جزء من نفس الجهد المبذول في التزوير على جميع الأصعدة لأنه ينطبق عليها كل ما ينطبق على هذا الكتاب من حيث المجهولية والتأخر في الظهور للساحة عن تاريخ الصدور المزعوم، وكذلك التشابه والتداخل في الخبر وفي إيراد غرائب الأخبار مما لا يتوافق مع جميع الكتب المعروفة السابقة لها، مما يدل على قطعية انتمائها لمنظومة واحدة.

كما أن مثل هذه النتيجة تفرض علينا التدقيق في الكثير مما حملته الذاكرة الشعبية في عسير حول أحداثها وأخبارها وطريقة الرواية التي برزت حديثاً سواءً تلك التي تدار من وراء الظل، أو تلك المتأثرة بما يطرح من أخبار في بطون هذه الكتب والوثائق المزورة، والتي تعيد رواية التاريخ بشكل جديد، فلا شك أن المزورين ذوي صلة ونفوذ وتأثير على الذاكرة العسيرية، وأننا أمام نشاط منظم يتخذ عدة مسارات لإعادة صياغة تاريخ المنطقة وتوجيهه لما يخدم الوصول إلى أهداف هذه المنظومة.

وتركيزنا هنا وفي هذا الباب بالذات على كتاب إمتاع السامر أكثر من بقية الكتب المزورة المرافقة له يعود إلى أن إمتاع السامر نسب إلى مؤلف توفي عام ١٣٦٤هـ، وهو تاريخ قديم نسبياً بينما بقية الكتب المرافقة له نسب تأليفها أو نشرها إلى فترة التسعينات الهجرية وما بعدها، مما يجعل عملية القبض على اختلاف اللغة والمعلومات في إمتاع السامر وسيلة جيدة لكشف التزوير حيث أن مرحلة تأليفه ونشره كانت مرحلة مبكرة تختلف فيها لغة الكتابة والطباعة عن المراحل اللاحقة.

وهذا لا يعني أن بقية الكتب المرافقة خالية من الثغرات الواضحة أيضاً فيكفي لمن أراد التفكر في مسار عملية التزوير وتلفيق المؤلفات على الأموات أو التلاعب والتغيير في مدوناتهم وتحريفها لما يساير رغبات المجموعة المزورة أن نلقي نظرة على كتابي "السراج المنير في سيرة أمراء عسير" و"أخبار عسير" لنرى تدرج الأفكار بين المراحل وارتباك المزورين وتناقض المحتوى داخل كل من الكتابين، أو نفتش في كتاب الدر الثمين والذي هو في الأساس مخطوط حقيقي كتبه الحسن عاكش خرج تحقيقه باسم عبدالله بن حميد، رغم أن أبنائه يذكرون أن والدهم نقل الكتاب بخط يده وأعاده إلى عبدالله أبو داهش ولكن لا علم لهم بتحقيق والدهم

للدر الثمين[١]، حيث نجد أن نص المخطوط على طول صفحاته لا يوجد فيه أي إشارة إلى النسب الأموي ولا ليزيد بن معاوية ولا للإمارة اليزيدية الأولى ولا لوجود أي صلة لآل عايض بأمراء عسير، بل اتجه مؤلف الوثيقة (الحسن عاكش) لتبرئة نفسه من الجدل الذي يبدو أنه كان قائماً في حينه حول شرعية السلطة، بينما يسهب المحقق في المقدمة والحواشي في الحديث عن تسلسل حكام آل يزيد، ويشير إلى علي بن مجثل وسعيد بن مسلط كجزء من هذا التسلسل، ويسترسل في سرد الروايات بنفس نمط إمتاع السامر المنسوب لشعيب الدوسري في تحقيق ما أسموه "متعة الناظر ومسرح الخاطر " ونفس نمط "تاريخ عسير" المنسوب لابن مسلط في تحقيق ما أسموه "مذكرات ابراهيم زين العابدين الحفظي"، حتى أصبحت حواشي هذه الكتب تمثل نسخاً متشابهة، فقد كان كل من المحققين المفترضين في هذه الكتب يسترسل في المقدمة والحواشي وفي الخاتمة في الحديث عن أمر لا وجود له في الوثيقة التي يحققها حتى أصبحت حواشيه أطول من متن الوثيقة، ومنقطعة عنها، وكأنها كتاب آخر دمج معها، وهذا هو حال كل هذه التحقيقات المزعومة.

وحيث أن من أهم ما يميز هذه الكتب والوثائق أيضاً ويجمع بينها هو تعصبها الشديد لأسرة واحدة وهي أسرة "آل عائض" دون سواها، ومحاولة انتقاص دور كل أمراء عسير الحقيقيين، لذا فمن المهم أن نوضح أن ما نرمي الوصول إليه هنا من خلال عرض أدلة بطلان ما ورد في هذه المصادر حتى ولو لم يوافق هوى أي شخص، ليس مهاجمة أسرة آل عايض بذاتها والتي حظيت بعناية خاصة في هذه الكتب، فلا مجال للهجوم على "عايض بن مرعي" ولا حتى على ابنه "محمد" رحمهما الله، فهما جزء من التاريخ العسيري على أي حال وفترتهما كانت فترة امتداد للتاريخ العسيري الذي صنعه أمراء عسير وأبناؤها قبل وصولهما للسلطة وأثنائه وبعده، ولكننا هنا نحاول أن نظهر الحقيقة، ونبرئ عسير من هذه الترهات، فتاريخ عسير لا

---

(١) الغامدي، صالح بن عون، علم من عسير...، ص١١٨، يقول المؤلف: فوجئت أسرة المترجم له بنشر هذه الرسالة (الدر الثمين) بعد وفاته طبع دار الفكر بدمشق ١٣٩٨هـ على أنه قد قام بتحقيقها والتعليق عليها مع أنه رحمه الله لم يشر في حياته إلى أنه صنع شيئاً من ذلك، وإنما الذي قام به فقط هو نسخ الرسالة بخطه والاحتفاظ بها إلى أن اعادها للدكتور عبدالله أبو داهش. ورغم أن ابنه محمد قد أشار إلى أن والده حقق كتاب الدر الثمين في مقدمة كتابه "أديب من عسير"، إلا أن مجرد إصدار الابن لكتاب عن نشاط والده لم يذكر فيه تحقيقه للدر الثمين إلا من خلال إشارة مقتضبة في المقدمة تدل على أنه علم بذلك بعد البت في كتابة الكتاب، فأشار له وهو بين حالة الدهشة والغبطة، إذ الطبيعي أنه لو كان يعلم أن والده قد حقق مخطوطاً تاريخياً ونشره في كتاب لما احتاج إلى أن يعرف به من خلال كتاب يجمع فيه قصاصات مقالاته الصحفية بعد وفاته مباشرة.

يحتاج لسيل الأكاذيب وحواديت الأطفال والسخرية بالمجتمع العسيري وبالتاريخ وبالإنسان والأرض، ولن يحتاج كل من يجد فيما سيقال أكثر من أن يرد على ما أوردناه من دلائل ويثبت بطلانها، أو يعلن براءته من جميع كتب ووثائق وأخبار مجموعة إمتاع السامر واعتبارها مزورة مجهولة المصدر، وكل معلوماتها مكذوبة، فيخرج نفسه من مغبة ملاحقة الترهات التي أوردتها، وهو أمر سهل.

فكتاب إمتاع السامر وبقية مجموعته رغم ما وجه لها من نقد، إلا أنها تركت أثراً بالغ السوء على التاريخ وعلى المجتمع العسيري، فقد أصبحت أكاذيبها كما قلنا متداولة وبقوة في الذاكرة الشعبية البسيطة في عسير، مما أخل بالتوازنات في المجتمع المحلي بقوة، وتواتر النقل عنها في الكثير من المصادر وأصبحت هنالك كتبٌ تكتب لا لغرض إلا للمصادقة عليها، مما أوجد كما كبيراً من المراجع التاريخية التي ستبقى على مدى الدهر حاملة هذا السيل من الأكاذيب التي ستنمو على صفحات الكتب الناقلة عنها محرفة مسار التاريخ عن حقيقته الناصعة.

وكتاب إمتاع السامر ومجموعته لم يتعرض حتى اللحظة لدراسة منهجية تحمل سمة المحايدة في أعين المتابعين في عسير، وأنا هنا لا أقلل قيمة من عملوا على فحص هذا الكتاب من الأساتذة الذين استفدنا من جهدهم الكثير، ولكن ما أعنيه هو أن دراستهم للكتاب كانت في عيون القراء في عسير غير محايدة، مما اتكأ عليه المدافعون عن الكتاب ومجموعته، كما أنهم لم يتعرضوا لمفهوم ماذا يعني أن يكون الكتاب مزوراً، وما هي أهداف من زوره بشكل موضوعي من خلال التوجه العام للكتاب ومجموعته، وهل حاولوا أن يرفعوا قيمة تاريخ عسير كما قيل أم العكس، بل لقد اعتبر المحققون أن إمتاع السامر يهدف إلى دعم التاريخ العسيري، وهذا خطأ.

لذا فقد اتجه المتحمسون للكتاب ومجموعته إلى انتقاد القرار الحكومي باعتباره مزوراً، ودافعوا عنه بقوة على منتديات الإنترنت، واعتبر بعضهم أن الكتاب حتى لو كان فيه ضعفاً في نواحٍ معينة فإن ذلك حال الكثير من الكتب التاريخية الأخرى، وحاولوا أثارة النزعات الإقليمية والعنصرية ضد المحققين، في محاولة للالتفاف على النقد الحالي ليبقى الكتاب ومجموعته كمصادر تاريخية حقيقية قابلة للاتكاء عليها مستقبلاً، بينما حاولوا على جانب آخر قطع صلة هذا الكتاب ببقية الكتب المزورة وتخصيص النقد به دون سواه من خلال ما أوردوه في الجزء الثاني من الكتاب والذي ظهر متأخراً عن الجزء الأول بكثير.

لذا سأحاول هنا إضافة قراءة جديدة للكتاب ومجموعته من وجهة نظر عسيرية محضة هذه المرة، لمعرفة مدى مصداقية نسبته لكاتبه، وتبرئة الساحة العسيرية منها، وسنناقش مصداقية خبره من خلال إجابات الأسئلة الرئيسية التي تفرض نفسها ونقارنها بواقع الحال تاريخياً.

٢. طرق التحقق من صحة الوثائق التاريخية

عند التحقق من صحة الوثائق القديمة فإن أول ما يقوم به المحققون هو دراسة لغة الكتاب "أو الوثيقة" والمعلومات التي احتواها وطريقة كتابته ومقارنتها مع أسلوب الكاتب ومنهجه في الكتب الأخرى (إذا كان كاتباً معروفاً) ومع لغة عصره وبيئته، ورغم إمكانية قبول مجهولية اسم الكاتب[١] خاصةً إذا كانت الوثيقة قديمة جداً أو كتبت في بيئة قمعية أو تتحدث عن أمور لم يكن يقبلها عصره، أو تتناقض مع المصالح السياسية للسلطة المعاصرة، وفي حالات خاصة جداً، إلا أن مجهولية أو معلومية الوثيقة وتاريخ ظهورها أمر مهم في تحديد مدى صحة نسبتها إلى كاتبها وإلى عصرها خاصةً إذا كانت الوثيقة بحجم كتاب، إذ لابد أن يكون هنالك إشارات إلى هذا الكتاب في الكتب الأخرى ليحمل بذلك الدليل على مصداقية وجوده ومرجعيته إلى صاحبه وإلى عصره، كما أن طريقة ظهور الكتاب أو الوثيقة للعلن مهمة أيضاً في تتبع مصدره، ومن ثم يمكن أن يلجأ المحققون عندما تتجاوز الوثيقة هذه الاختبارات إلى المختبر لفحص الحبر والورق لكشف تاريخ الكتابة وعمر الورق، وهنا فإن سقوط الوثيقة في أحد هذه الاختبارات يسقط الحاجة إلى البقية، حيث أن ثبوت عدم مواكبة اللغة لتاريخ الوثيقة أو حتى عند ثبوت استخدام معلومات لا تنتمي لمرحلة الوثيقة التاريخية يعتبر مبرراً كافياً لرفضها، وحتى طريقة الكتابة أو الطباعة (إذا كانت مطبوعة) يعتبر دليلاً كافياً.

أيضاً فلابد من تواؤم النص الوارد في الكتاب أو الوثيقة مع ما عرف عن الكاتب من ميول وطريقته في الكتابة ومع مكانته العلمية المعروفة عنه.

وعند قراءة كتاب إمتاع السامر فسنجد أن شعيب الدوسري المجهول في الساحة العلمية والأدبية فيما قبل خروج هذا الكتاب قد استخدم مفردات ومصطلحات ومعلومات لا تنتمي لمرحلة كتابته المفترضة وهي فترة أوائل الستينات الهجرية للقرن الرابع عشر (أوائل الأربعينات الميلادية من القرن العشرين) حيث استخدم الكاتب كلمات كثيرة محدثة في اللغة العربية في فترة لاحقة، واستخدم معلومات لم تكن تعرف في عصره في بيئته، ناهيك عن حداثة تنسيق الطباعة فيه والتي تعد متقدمة بالنسبة لعصره، ولكنني أجد أن الكتاب يحوي أخطاءً في لغة عصره وفي سبقه إلى معلومات لم يعرفها أهل عصره هي من الوضوح بما ربما يغنينا عن البحث في بقية الأخطاء.

---

(١) عثمان، حسان، منهج البحث التاريخي، دار المعارف، الطبعة السادسة، ١٤١٨هـ، ص٩٠.

كما أن مقارنة ما ورد في هذه الوثائق بما ورد في سواها من المعروف من الكتب والوثائق القديمة له أهمية في معرفة حقيقة هذه الوثائق، ولكن يجب ملاحظة أن المزور عادة ما يكون ذا اطلاع جيد واهتمام كبير بالتاريخ، وإذا كان يتمتع بإمكانيات وعلاقات جيدة، فإنه سيحاول الاستفادة مما سبقه من مصادر تاريخية وربما بعضها لم تُعرف بعد مما لا زال يقبع في دور الوثائق المتفرقة، ومن ثم سيحرص على مواكبة خبرها والاستفادة منها بمجاراة أحداثها بطريقة تعطي مصداقية لما أورد، ناهيك عما يمكن أن يقوم به من تزوير الوثائق وربما إيداعها في دور الوثائق بطريقة أو أخرى، وفي مجموعة إمتاع السامر مثلاً مجاراة للكثير مما ورد من أحداث في المصادر الأخرى تتعلق بهذه المنطقة لصالح فكرتها التي تبنتها، فمن الملاحظ أنه تم تكييف الروايات الجديدة مع الروايات التاريخية المعروفة المختلفة لإنتاج روايات تتوافق معها جميعاً بقدر الإمكان، فالكثير من الروايات المبهمة في المصادر التاريخية والإشارات لأي جزء من أو حول جبال السروات أو ما يعرف حالياً بإقليم عسير تجدها قد وردت فيها ولكن برواية مختلفة تماماً تكرس مركزية الحكم والدور الهام للأسرة اليزيدية الأموية في تاريخ عسير بل وفي كافة الجزيرة العربية، فكل الحروب التي وردت أخبارها في المصادر التاريخية الحقيقية في هذا الإقليم لأشراف مكة مع قبائل المنطقة تم الإشارة إليها في مجموعة الإمتاع ولكن بصفتها حروباً بين أمراء بني يزيد في عسير وبين الأشراف دارت فوق أراضي تلك القبائل، ولكنهم قاموا بتحريف حقيقة الأسباب والقيادات والقبائل المشاركة في تلك الحروب، وبالمثل ما أورده جحاف من إشارة مبهمة عن حروب عسير مع الجيوش السعودية في بداية القرن الثالث عشر الهجري وردت في هذه الكتب كحروب مع أمراء آل يزيد، كما توجد إشارات تجاري ما أورده ابن غنام وابن بشر ومؤرخي نجد بحيث نجد أن كل الإشارات التي وردت لديهم عن الحروب مع من أطلقوا عليهم القبائل اليمنية في نجد والتي كان المقصود بها القبائل القادمة من الجنوب مثل العجمان، وبني مرة، والجحادر وردت مقاربات لها في مجموعة الإمتاع لتجييرها إلى حملات من آل يزيد في عسير على نجد، وحتى غزو قبيلة يام لنجد عام ١١٧٨هـ والتي وردت في هذه الكتب لم تكن إلا إحدى هذه الحملات، كما أن اي وجود لأي قبيلة من قبائل هذه المنطقة في أي إقليم آخر أو مسمى يشابهها هو نتاج إحدى الحملات اليزيدية، كما هو حال قبيلة الهواجر وبني مرة والعجمان في الأحساء، أو الظلالعة في بيشة، وهو ما سنخصص له جزءاً خاصاً في فصل: "التشابه الظاهري بين روايات الإمتاع والروايات التاريخية في الكتب المعروفة".

ولكن كل ذلك الجهد والعناية في نقل الأخبار هل يمكننا قبوله عندما نجد أنه لم يرد مطلقاً أي إشارة إلى هذه الإمارة اليزيدية التي زعموا وجودها في عسير في جميع الكتب التي أخذت منها

الأخبار، وعندما نجد أن تفاصيل تلك الأحداث المذكورة في المصادر الأساسية لا تمت لعسير بصلة وتناقض تماماً ما أوردته مجموعة الإمتاع؟.

وقبل أن نبدأ في الدخول في تفاصيل لغة إمتاع السامر فلا بد أن نتعرف على المؤلف المفترض للكتاب.

٣. من هو شعيب الدوسري مؤلف الكتاب

اختلفت الروايات حول شعيب ونسبه، وإن كان اليقين لم يتحقق حول كل الروايات التي دونت حتى الآن، إلا أننا سنبني الجزء الرئيسي من روايتنا على ما ورد في إحداها، والتي كانت نقلاً عن أحد معاصريه كما يذكر الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل (بتصرف) مما لا يختلف كثيراً مع ما أورده هو عن نفسه.

لم نجد خبراً واضحاً عن مولد شعيب حيث ذكر أبو عبدالرحمن عن أحد معاصريه أنه ولد في وادي الدواسر، ولكن هنالك إشارات ربما تدل على أن والده كان يقطن منطقة عسير[1] وهو ما يجعلنا لا نستطيع تأكيد هذه المعلومة أو نفيها، فهل ولد شعيب في وادي الدواسر ثم انتقل هو ووالده إلى عسير؟، أم أنه من مواليد عسير؟، أم أن إشارة سليمان بن سحمان في قصيدته إلى "عبدالحميد" (اسم والد شعيب حسب ما ورد عنه في كتاب إمتاع السامر) كانت بناءً على معرفته به عندما كانا في وادي الدواسر، أي قبل انتقال الثاني إلى أبها، أو لعل الإشارة لم تكن موجهة إلى والده، على كل حال فإن الأمر لا يفرق كثيراً في الحالتين، حيث البيئة في أبها ووادي الدواسر متشابهة إلى حد كبير من الناحية الثقافية، حيث تمثلان بيئة قبلية كمعظم أجزاء الجزيرة العربية في حينه، وهذا ما يهمنا، لذا سنبدأ ببداية حياته العملية على اعتبار أنه من وادي الدواسر أساساً وكان يقطن عسير، سواءً كان من مواليد عسير أو وادي الدواسر.

بدأ شعيب حياته العملية بعد عام ١٣٣٠هـ حيث التحق بالجيش العثماني لدى الآغا تركي قائد المدفعية في جدة (لم يذكر في كتاب إمتاع السامر هذه المعلومة) ثم انتقل عمله إلى أبها، وعندما رحلت الدولة العثمانية عن منطقة عسير عام ١٣٣٦هـ تحول شعيب مع مجموعة من الجنود والطوبجية الأتراك وغيرهم إلى العمل مع حسن بن عائض الذي سلمته الدولة العثمانية السلطة في أبها، واستمر شعيب في العمل والمشاركة في الحروب العسيرية حتى دخلت القوات

---

(١) ورد اسم عبدالحميد في قصيدة لسليمان بن سحمان والتي تحدث فيها عن انتصارات الملك عبدالعزيز، وعن بلاد عسير وذكراه فيها.

السعودية إلى أبها، حيث رحل شعيب مع من رحل مع آل عائض إلى مدينة الرياض ما بين عامي ١٣٤١ و ١٣٤٢هـ، فعمل على المدفعية في جيش الملك عبدالعزيز وشارك في حصار جدة، وكان له دور مهم جداً في قصف مواقع المدفعية في جيش الشريف وتدميرها، ثم عاد للعمل في القصر الملكي بالرياض وأصبح من رجال الملك عبدالعزيز، واستمر كذلك لمدة ثلاثة وعشرون عاماً حيث توفي عام ١٣٦٤هـ، وكان في آخر عهده قائماً على مدفع رمضان والأعياد[١].

وكان شعيب جيد الخط ويقول الشعر كما ذكر أحد من رووا عنه[٢]، ولكن لا نعلم ما نوع الشعر الذي كان يقوله وهل هو عربي فصيح أم عامي، فلم يظهر أي شيء من قصائده حتى الآن، ومن ثم فالبيئة التي عاش فيها شعيب هي جدة (لفترة قصيرة) ثم منطقة عسير حتى عام ١٣٤٢هـ، ثم الرياض حيث عاش حتى وفاته رحمه الله، ولا شك أن شعيب كشخص يجيد القراءة والكتابة، يعتبر شخصية جيدة لقبول أن تكون لها آثاراً كتابية على وجه العموم، ولكن من المهم أن نشير إلى أنه لم يعهد لشعيب أي نشاط علمي أو ثقافي فلم يظهر له حتى الآن غير ما ورد من أجزاء كتاب إمتاع السامر، كما لم يرد اسمه في أي المؤلفات فيما قبل ظهور كتاب إمتاع السامر.

والأمر المثير في شخصية شعيب هو أنه كان يعمل مدفعجياً بالجيش العثماني (أوردت مصادر إمتاع السامر بأنه كان ضابط مدفعية) ثم الجيش العسيري ثم لدى الملك عبدالعزيز وعاش حسب روايته في كتابه في مدن أبها والرياض حتى توفي قبل منتصف الستينات الهجرية (منتصف الأربعينات الميلادية) وهي فترة لم تكن فيها هاتان المدينتان تمتلكان أي نوع من المكتبات العامة أو المختصة ببيع الكتب، وكل ما هنالك هو مكتبات خاصة لأهل العلم وطلبتهم والذين لم يكن شعيب مؤهلاً عملياً لأن يكون أحدهم، فمن المستبعد أن يكون هنالك مجال لـ(مدفعجي) محترف في الجيش في تلك المرحلة لأن يكون من طلبة العلم الذين يجلسون يومياً بالساعات ليتلقفوا العلم من رجاله في دورهم الخاصة، فكيف به يكتب مثل هذه الكتب ذات الأفق الواسع المتبحر في مجال التاريخ والجغرافيا الشامل لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وفي الأنساب، والإطلاع على أسماء الأمكنة والقبائل والتاريخ في اليمن ونجد والحجاز والإحساء وعمان والقرن الإفريقي وشمال أفريقيا بهذا القدر من الدقة بالإضافة للاطلاع على كل المراجع القديمة التي ذكر وجودها بما لم يتسن لغيره من أهل جيله، فلم يكتب جميع علماء آل

---

(١) ابن عقيل، أبو عبدالرحمن (الظاهري)، ملحق بكتاب إمتاع السامر(ن د)، ص٥٢٥.

(٢) إمتاع السامر ن د، ص٥٢٦.

الحفظي أو غيرهم من رجال العلم في عسير أو المخلاف السليماني ولا في نجد ولا في اليمن ولا الحجاز خلال القرون الثلاثة الماضية أي مؤلف تاريخي يقارب هذا المؤلف في غزارته وشموليته وسعة ودقة معلوماته وحجمه، وهذه الحالة تستدعي الشك القوي في أن يكون هنالك من امتلك مثل هذه الشخصية العسكرية والعلمية الملمة بكل هذه الفنون في نفس الوقت، فكيف يمارس أحد العسكر المحترفين هواية طلب العلم والكتابة في تلك المرحلة وفي تلك البيئة شبه الأمية، وفي ظل عمله كطوبجي تحت قيادة عسكرية عثمانية عرفت بالصرامة، ثم في الجيش العسيري الذي لم يتوقف عن الحروب شهراً من الزمان، ثم في جيش الملك عبدالعزيز ثم في القصر الملكي حيث بقي بعيداً عن بلاد عسير التي كتب عنها حتى مات.

وعند مقارنة شعيب ببقية من كتبوا من العسكر في تلك المرحلة والذين كان جلهم من قادة الدولة العثمانية كسليمان شفيق باشا وعاطف باشا وغيرهم من ضباط الدولة العثمانية وهم المؤهلون للحصول على ثقافة أوسع وأشمل مما حصل عليه شعيب نظراً لمكانتهم المرموقة التي تمكنهم من التفرغ والحصول على الكتب، بالإضافة لانتمائهم لدولة أكثر تحضراً من بيئة شعيب الدوسري في تلك المرحلة، فإن ما كتبوه رغم ذلك لم يتجاوز المذكرات الشخصية عن أعمالهم وذكرياتهم في العمل العسكري والتي نشروها بعد تقاعدهم عن العمل، ولكنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه شعيب الدوسري من علم ولا حتى لجزء معتبر منه.

والمفارقة التي تثير التساؤل أيضاً هي أن شعيب عمل خلال حياته كعسكري محترف لدى عدة حكومات متناقضة، فهو جندي مدفعية لدى الدولة العثمانية في جدة ثم في أبها، ثم لدى حسن بن عايض، ثم ضابط مدفعية حربي ومسؤول عن مدفعية القصر الملكي لدى الدولة السعودية، أي أنه كان عسكرياً محترفاً مخلصاً لمهنته لا للأرض، فقد كان خلال وجوده مع الدولة السعودية مخلصاً في أداء عمله، وأدى دوراً بطولياً في فتح جدة حيث تمكن من قصف وتدمير مدفعية جيش الشريف، وقيل بأن ضابط المدفعية التي دمرت انتحر بعد ذلك، ثم عمل في قصر الملك عبدالعزيز لمدة ثلاثة وعشرون عاماً، وكان من رجاله وكان مسؤولاً عن مدفع رمضان والأعياد، وبقي مقرباً من الملك عبدالعزيز حتى توفي (رحمه الله) عام ١٣٦٤هـ مما يدل على إخلاصه لآخر محطات عمله وهي الدولة السعودية وثقة الملك عبدالعزيز في ذلك، بينما كان كتابه موجهاً بشدة لانتقاص تاريخ آل سعود بل ادعى أنهم كانوا مجرد ولاة وضعهم أمراء آل يزيد على الدرعية[1] وحملت القصائد التي انتحلها انتقاصاً لهم على ألسنة الآخرين، وهو ما يدل

---

(١) (ن د)، ص، ٣٦٦، ٣٨٦.

على حماس قوي ضد الأسرة السعودية، وهذا يتناقض تماماً مع تاريخه معها ودوره الذي كان إيجابياً ومهماً لدرجة عالية، واطمئنانها لولائه لها لدرجة أن يعين في قصر الملك عبدالعزيز[١]!!!.

كما أن من العجائب أن شعيب قد أورد في نهاية مقدمة الكتاب (الجزء الأول) تاريخ تحريره للمقدمة وهو عام ١٣٦٥هـ[٢]، بينما توفي شعيب حسب وثيقة حصر مخلفاته عام ١٣٦٤هـ بالرياض[٣]، أي أنه كتب المقدمة في العام الذي تلى عام وفاته !.

والمدهش أيضاً أن مؤلف كتاب "تاريخ عسير خلال خمسة قرون.. رؤية تاريخية" وهو: محمد بن مسلط والذي ظهر كتابه بعد وفاته أيضاً، هو كذلك من موظفي الدولة العثمانية، وممن حمل مع حسن بن عايض إلى الرياض عندما دخلت جيوش الدولة السعودية عسير كما ذكر سعود بن هذلول[٤] وبقي في الرياض أيضاً حتى توفي رحمه الله وانقطع خبره !.

قلت، لا شك أن تقارب المصادر المنسوبة لها الكتب من بعضها في ظروفها وبيئة حياتها خاصة في فتراتها الأخيرة، يدل أيضاً على تقارب المزورين مع أسرهم وبيئتهم، ومن ثم كانت معلوماتهم كاملة معلومة لدى المزور، لذا كان مطمئناً لعدم وجود من قد ينكر ما نسب إلى والده أو جده، كما يدل على وحدة مصدر هذه الكتب.

٤- لغة ومعلومات إمتاع السامر ومقارنتها بلغة ومعلومات عصره

لا جديد في أن نقول بأن اللغة الفصحى التي نستخدمها حالياً هي لغة قد يحتاج المبرد إلى مساعدة آخرين لفك بعض رموزها لو حضر بيننا، بل ربما احتاج حافظ إبراهيم الذي عاصر نهايات العقد الرابع من القرن الماضي إلى مراجعة بعض المفردات والمصطلحات لفهم مقاصدها في السياق، حيث من المعلوم أنه منذ بداية عصر النهضة العربية بعد دخول نابليون لمصر في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بدأت البلاد العربية تدخل مرحلة التفاعل مع النهضة الأوروبية ولكن بشكل بطيء وفي إطار ضيق جداً في ظل الحكم العثماني، وفي ظل صعوبة التواصل بين معظم أقطار العالم العربي، فكانت البداية في إطار النخب المتعاملة معها في مصر وبلاد الشام والعراق وبعض بلاد المغرب العربي، فبدأت تغزو اللغة العربية مفردات

---

(١) (ن د)، ص٥٢٤، ٥٢٥.

(٢) ن أ، ص٥.

(٣) جريدة الجزيرة، العدد١٠٦٢، بتاريخ ١٢/ ٨/ ١٤٢٢هـ.

(٤) بن هذلول، سعود، تاريخ ملوك آل سعود، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ١٢١.

غربية معظمها تقنية خلال الوجود الفرنسي ثم الإنجليزي في هذه البلاد ولكن ببطء شديد، بينما لم يكن هنالك تفاعل ثقافي مع الوجود البرتغالي ثم الإنجليزي في الخليج العربي وضفاف بحر العرب حيث كانت القبائل البدوية حوالي الخليج العربي بعيدة عن التواشج الثقافي مع القواعد العسكرية كما أن المحتلين لم يحاولوا إقامة حياة مدنية حقيقية في تلك الأنحاء فلا يوجد لهم أي أثر حضاري فوق الأرض كتلك التي نجدها في القاهرة أو دمشق أو في بلاد المغرب العربي لاختلاف الهدف هنا عنه هناك في تلك المرحلة، كما أن ابتعاد السواحل الجنوبية لليمن وعمان أضعف من تأثيرها على الحالة العربية أو البيئة المحيطة فكان تواشجها في ظل الوجود البريطاني مقتصراً على الاتصال بالسواحل الآسيوية في الهند أو مع الأراضي البريطانية ذاتها أكثر من اتصالها بالبيئات المحيطة، كما أنها لم تكن في مستوى الحالة الثقافية في مصر أو بلاد الشام أو المغرب العربي حيث لم تصدر بها أي صحف أو مطبوعات في تلك المرحلة، فانفردت العراق ومصر والشام والمغرب العربي كمصدر لما ينتج عن هذا التواصل بين العرب والغرب من تغير في المجتمع العربي فصدرت أولى الصحف المحلية في تلك البيئة منذ القرن التاسع عشر، وكانت محدودة الانتشار في مدنها، ثم بدأ إرسال البعثات الدراسية من الدول العربية للغرب بشكل بسيط في النصف الأول من القرن العشرين، ولكن رغم ذلك فقد ظل استخدام المفردات الجديدة - دون تعريب لها غالباً - بطيئاً وذا طابع نخبوي محدود، ومن ثم بدأ إنشاء مجمعات اللغة العربية في مصر وبلاد الشام في العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين لتعريب هذه المصطلحات، واستمر الوضع في هذا النطاق المحدود، ورغم وجود إذاعة لندن وأخرى أهلية في القاهرة منذ ما قبل هذه المرحلة بقليل إلا أن مرحلة انفجار وسائل الإعلام المسموع والمرئي في كامل أنحاء الوطن العربي حوالي منتصف القرن العشرين قبيل انطلاق الثورات العربية وأهمها المصرية التي حملت تغييرات سياسية واجتماعية وثقافية وتحولات في نمط الخطاب السياسي العربي اكتسح الشارع العام، ثم بدء نشاط التواصل الجوي بين الدول العربية عبر المطارات التي توالى إنشاء معظمها منذ ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، ثم تتالي إنشاء شبكات الطرق بين المدن داخل الدول أو بين الدول العربية بعضها البعض، مما جعل المعلومة متداولة عبر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية بين هذه الأقطار منذ تلك المرحلة، كان له الأثر الأكبر في بداية مرحلة التسارع التلقائي في تداول الكثير من المصطلحات الغربية التي أصبحت تنتقل بسهولة بين البلدان العربية والتي أدخلت إلى اللغة العربية عن طريق الترجمات المستمرة للكتب الغربية أو عن طريق الترجمات الفورية الحرفية للنشرات الإخبارية أو عن طريق الأدب الحديث ذي الصبغة العالمية في إعادة تشكيل اللغة أو ما يسمى بـ "تفجير اللغة" والذي يكتسب جزءاً كبيراً من مصطلحاته من الأدب الغربي، ومن ثم فإن اللغة العربية المتداولة منذ نهاية الأربعينات

الميلادية من القرن الماضي بدأت ولا زالت تشهد تسارعاً مضطرداً في اكتساب مصطلحات جديدة لم تكن موجودة من قبل، وبشكل مستمر، وهذه المصطلحات وإن كانت عربية المفردات إلا أنها في معظمها مصطلحات غربية تم تعريبها، ولم تكن تستعمل في مفاهيمها الجديدة إلا حديثاً، ولا تزال عملية التعريب تجري تلقائياً أو عبر المختصين وبتسارع أكثر على مر الزمن وانفتاح العالم على بعضه، فنحن لا زلنا نستقبل المزيد من المصطلحات الجديدة التي تستجد على اللغة حسب الحاجة، وعلى سبيل المثال فقد شاع خلال العقدين الماضيين استخدام مصطلح "ازدواجية المعايير" أو "المعايير المزدوجة" كمصطلح سياسي حديث في اللغة العربية نظراً لتوافق تعبيره عن حال العرب في محاولاتهم التأثير على الولايات المتحدة والغرب في تحيزهم لإسرائيل بعد حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١م، وهذا المصطلح لم يكن سوى ترجمة حرفية لمصطلح غربي وهو "double standards"، فلم يكن مثل هذا المصطلح شائعاً في وسائل الإعلام في الوطن العربي قبل حرب الكويت، وقبل ذلك كان هنالك الكثير من المصطلحات التي شاع استعمالها في اللغة العربية في العصر الحديث حتى أصبحت متداولة بشكل اعتيادي لدرجة تجعلنا نندهش عندما نعلم أن أصولها ليست عربية، فعلى سبيل المثال كلمة "تربة خصبة" "fertile soil"" بمعنى (بيئة مناسبة لنمو ظاهرة ما) أو كلمة "إيجابي" "positive" (بمعنى فعال أو متفاعل) أو "سلبي" "negative " (بمعنى غير فعال أو غير متفاعل)، وقس ذلك على اشتقاقاتها التراكيبية، فهذه المصطلحات والكثير الكثير غيرها نتداولها بشكل تلقائي كمصطلحات عربية، وهذا صحيح، ولكنها ليست باستخداماتها الحالية سوى مصطلحات غير عربية لا يوجد في العربية ما يقابلها فعربت بالمقاربة مع مرادفات عربية لإحدى معانيها في اللغة الأم ثم عممت كل مفاهيمها في اللغة الأم لتستخدم بنفس الطريقة في اللغة العربية، أو ترجمت كمصطلحات مركبة ترجمة حرفية، لتصبح عربية.

ولمعرفة مدى شيوع استعمال هذه الكلمات خلال فترة معينة فليس أمامنا إلا الرجوع للمعاجم القديمة للتأكد من مدى وجودها بها بنفس المعنى، وفي حالة عدم وجودها، نتجه إلى مراجعة لما كتب في تلك المرحلة من كتب ومقالات في بيئتها وفي نفس المجال ومن ثم التحقق من مدى شيوع استخدام هذه المصطلحات فيها من عدمه، والمصطلحات البديلة التي استخدمت هناك.

وعندما نقارن المصطلحات المستخدمة في "إمتاع السامر" مع معاصريه العرب ممن كتبوا في السياسة والتاريخ مثل مقالات محمد رشيد رضا في مجلة المنار، أو مصدر محلي لمن فاقوا كاتبه علماً وثقافة واطلاعاً واتصالاً بالعالم الخارجي كفؤاد حمزة في كتابه "في بلاد عسير" الذي كتبه بعد وفاة شعيب بسبع سنوات (عام ١٣٧١هـ)، أو مصدر مجاور ومعاصر ككتاب "فرجة الهموم

والحزن في حوادث وتاريخ اليمن" للمؤرخ اليمني عبدالواسع الواسعي الذي كتبه عام ١٣٦٧هـ، أو حتى مع كتب عرب المهجر والذين كانوا يتحدثون العربية بمصطلحات غربية ككتاب "الملوك العرب" لأمين الريحاني، أو حتى مع الكتب المترجمة ككتاب "لمحات من تاريخ العالم" لجواهر لآل نهرو الذي ترجم عام ١٩٥٧م من قبل لجنة من الأساتذة الجامعيين، فإننا سنلاحظ أن إمتاع السامر كان سباقاً في الالتزام باستخدام المصطلحات الحديثة عن هؤلاء رغم أنه سابق لهم ويتحدث على ألسنة أسماء يفترض أنها وجدت قبله بعشرات أو بمئات السنين، ورغم أن أولئك أكثر احتكاكاً بالعالم الخارجي وبالبيئة الثقافية الأكثر اتصالاً بالعالم في تلك المرحلة، بل إن بعضهم كان يقوم بترجمة مباشرة من كتب أجنبية تحوي مثل هذه المصطلحات بلغتها، ومن ثم افتراض تلقيهم للمصطلحات المستجدة في اللغة قبل "أبها" و"الرياض" (حيث عاش المؤلف المفترض حسب ما جاء في المؤلف المنسوب إليه) واللتان كانتا تعيشان حياة أقرب إلى البدوية والقروية، ولم تصدر بهما الصحف ولم تعرفا الإذاعة ولا التلفزيون حتى تاريخ وفاة المؤلف، وعلى هذا الأساس فعندما أجد أن كتاباً صدر قبل عام ١٩٤٥م (١٣٦٥هـ) أي قبل هذه الكتب بينما يحمل كمية كبيرة من المصطلحات التي لم يشع استعمالها بمعانيها التي وردت بها في عصره وبيئته وعلى ذاكرة سينمائية لم تولد في تلك المرحلة في بيئته بعد، فسأكون على ثقة أن الكتاب لم يكتب في تلك المرحلة بل في مرحلة لاحقة تفشى فيها استعمال مثل هذه المصطلحات، وسنعرض بعض ما ورد في كتاب إمتاع السامر مع تعليق مختصر.

مقتطفات من كتاب إمتاع السامر

١- ص ٩٦ يقول:

"وجاءت القوات التركية إلى عسير على ثلاث محاور"،

وفي ص ٤٣٧ يعيد الكاتب استخدام كلمة محاور فيقول:

بأن الجيش التركي دخل لعسير من "٣ محاور"؟..

- كلمة "محور" هي مفردة عربية وردت في معاجم اللغة العربية القديمة، وتطلق على العود الذي تدور عليه البكرة، وقد تستعمل فيما يشابه ذلك كمحور العجلة أو محور الكرة الأرضية أو خلافه من محاور الدوران، إلا أنها في المعاجم الحديثة أصبحت مرادفة لكلمة "axis" الإنجليزية والتي تحمل نفس المعنى بالإضافة لمعانٍ أخرى، فهي تعني أيضاً "خط

رئيسي" أو "خط دوران" أو "خط هجوم" أو "خط المنتصف" أو أي خط تتشتت حوله الوحدات أو القيم، وقد سبق المؤلف العسيري المفترض زمانه وبيئته باستخدام هذه المفردة للدلالة على خطوط الهجوم قبل سبعين عاماً.

٢- ص ١٢٩ أورد قصيدة نسبها إلى مسفر بن جعيلان الدوسري (١٢٤٣ - ١٣١٨هـ) يقول مطلعها:

تؤلبني أم الحسين لأنني   مدحت اليزيدي جهاراً على الملا

ثم في الحاشية يفسر المعاني فيقول:

"أم الحسين: فتاة أحلامه".

• شعيب العسيري (أو النجدي) في عام ١٣٦٤هـ يتجه في محاولته لتبسيط المعنى للقارئ في الحاشية إلى استخدام مصطلح "فتاة الأحلام" والذي ظهر في العربية مع الأدب الحديث كترجمة حرفية لكلمة "the girl of my dreams".

٣- ص ١٠٦ يروي عن ثابت بن سعيد بن محضي الوادعي قوله عام ٩٤٢هـ (أي قبل حوالي ٥٠٠ سنة) في قصيدة مدح بها الأمير عبد الله بن إبراهيم بن عائض ما يلي:

لم يقم غيره على سدة الحكم   إمامـاً كرائـد لمريـد

• كلمة "سدة الحكم" هي مصطلح استحدث بالترجمة الحرفية لمصطلح "helm of government" التي تعني كمصطلح مركب "الحكم" أو "الرئاسة"، فنقلت حرفياً للغة العربية حيث "helm" تعني "سدة" و"government" تعني "حكم"، وقد وردت كلمة "سدد الملوك" في أحد المصادر بمعنى بلاط الملوك أو مجالسهم التي يجلس فيها الناس إلى جوارهم، ولكن ليس بمعنى الحكم، أو كرسي الحكم ذاته.

كما أن "المريد" و"الرائد" مفردتان عربيتان ولكن الجمع بينهما لم يكن شائعاً في تلك المرحلة، فالأولى مرتبطة اصطلاحاً بالتابع حسب المنهج الصوفي، بينما الثانية مرتبطة لغة بالمتقدم لتتبع أثر المطر، ولكنها استعملت اصطلاحاً في اللغة العربية بمعنى السبَّاق أو المعتاد على الموقع، والجمع بينهما لحمل دلالة كالتي وردت لم يكن شائعاً في تلك المرحلة.

٤. ص ١٨٤ (ن أ) عطرة بنت سعيد آل عائض المولودة عام ١٢٣٦هـ (تقريبا ١٨٥٧م) كانت ترتاد نادي النسوة الأدبي بأبها.

- ترى هل كان مصطلح "نادي النسوة الأدبي" معروفاً في بداية القرن الرابع عشر الهجري في أبها، أو لدى شعيب الذي عاش ما بين الرياض وأبها حتى توفي عام ١٣٦٤هـ؟.

٥. ص ٢٠٣، ٢٠٤،٢٠٥،٢٠٦ في قصيدة الشيخ رشود المتوفي عام ١٢٥٨هـ (تقريبا ١٨٣٩م): يستخدم الكاتب كلمات مثل:

في بيت ٣٣: *لا تهاود*، وبيت ٣٥: *ورفعنا بالبيض لبس السواد*، وبيت ٥٤: *ركب الرأس*، وبيت ٥٧: *وتبدى حيران يرجو منفذاً*، بيت٥٨: *أنقذني نادى فلم*.

- الذاكرة السينمائية في هذه الجمل المكثفة في القصيدة غريبة على الشعر العربي حتى تلك المرحلة خاصةً في الجزيرة العربية، وواضح في مفرداتها التأثر بنمط المسلسلات والأفلام المصرية المسيطرة في مرحلة السبعينات والثمانينات الميلادية!.

٦. بيت ٧٠ في نفس القصيدة يقول الشاعر:

هاتي نشيد كؤوس النصر.

- كؤوس النصر "victory cups" هي جزء من التراث الغربي المسيحي، وقد دخل هذا المصطلح حديثاً للغة العربية واستخدم أدبياً أو في الرياضة كقولهم كأس النصر أو نخب النصر، ولا علاقة للنشيد بالكؤوس ولا للكؤوس بالنصر في التراث العربي ما قبل العصر الحديث، ومن العجيب أن يستخدمه رجل عسيري توفي قبل سبعين عاماً فكيف بنجدي مات قبل قرنين!.

٧. بيت ٧٢ يقول "تعيش بالأمن".

- "تعيش بالأمن" رغم أن مفرداتها عربية إلا أنها مصطلح مستحدث في اللغة العربية أخذ عن مصطلح (live in peace) والأصل في العربية قبل ذلك استخدام مصطلح "تعيش آمنة" وهو مصطلح مرتبط بما بعده كأن يقال تعيش آمنة في أوطانها أو على أبدانها أو غير ذلك !!.

٨- ص ٢٢٢ استخدم المؤلف المتوفى عام ١٣٦٤هـ الموافق لعام ١٩٤٤م كلمة "الخليج العربي" بنفس دلالتها المستخدمة حاليا أي الخليج الواقع شرق الجزيرة العربية !

- بالرغم من أنه ورد لدى أحد مؤرخي الرومان إطلاق مسمى "الخليج العربي"[(١)]، إلا أن هذا المسمى لم يخرج من حيز الكتاب بلغته الأم، ولم يشع استعماله كمصطلح عربي بديل لمسمى "خليج العجم" أو"الخليج الفارسي" أو "خليج البصرة"[(٢)] إلا بعد فترة تأجج الفكر القومي العربي الذي انطلق مع الثورة المصرية عام ١٩٥٢م الموافق ١٣٧٢هـ، وبداية النظر في توحيد التسمية لتتوافق مع الواقع على الأرض، وقد كان الشائع لدى الجغرافيين استخدام مسمى "الخليج العربي" للإشارة إلى "البحر الأحمر" قبل ذلك التاريخ.
- وللإيضاح أكثر فهذا عبدالواسع اليماني عام ١٩٤٧م (أي بعد وفاة المؤلف المفترض بثلاثة أعوام) يقول في كتابه تاريخ اليمن ص٣٢ما يلي:

> "*(حدود اليمن)*
> ***خليج العجم*** *من الشرق، وبحر العرب من الجنوب، والبحر الأحمر من الغرب، ويسمونه خليج العرب، ومن الشمال البادية، وهي بادية الشام والعراق*"[(٣)].

وهنا إشارة لما كان يدور من تسميات للبحار المحيطة بالجزيرة حيث كان مسمى "الخليج العربي" يطلق على "البحر الأحمر" لدى بعض أهل العلم بصفته يعرف بهذا الاسم لدى المصريين واليونانيين واللاتينيين[(٤)]، ولكونه يطل على جزيرة العرب، وقد أشار بعض العرب إلى هذه المعلومة قبل عبدالواسع مثل محمود شكري الألوسي في كتاب "بلوغ الأرب"[(٥)]، ولكن الخليج الواقع شرق جزيرة العرب استأثر بمسمى "الخليج العربي" لاحقاً بصورة رسمية.

---

(١) Pliny the Younger, Page 81, Translated by Henry Thomas Riley, John Bostock. Original form Stanford University

(٢) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج١/ ص١٠.

(٣) الواسعي، عبدالواسع اليماني، فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، ص٣٢.

(٤) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١/ ص١٤١.

(٥) الألوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، ج١/ ص١٨٤.

٩- ص ٢٦١ عبد الرحمن بن عائض بن مرعي المتوفي عام ١٣٠٥هـ (تقريبا ١٨٨٦م) يقول في البيت ١٢٨ و١٢٩:

غسان انظر إليه حل حبوته — كأنه في رحاب الأفق بركان
و(تهلل) أنت منه هالة رنقت — ودونها غوطة خجلى وأسوان
ثم فسر في الحاشية غسان بأنه الجبل الذي تقع على سفحه أبها!.

- رغم استغرابي من وجود اسم جبل غسان في عسير، فإن تعجبي من إيراد البركان خلال وصف جبل وبهذه الصورة الجميلة المتحركة في تلك المرحلة من رجل عسيري أو نجدي لم يشاهد تلفزيونا أو صحفا في منطقة لم تعرف فيها البراكين منذ أمد بعيد كان أكثر، ولكن الأجمل هو ذكره "الغوطة"، و"أسوان"، و"الجولان"، كمواقع في عسير، بل كلها في قرية "السقا" حيث رحل جد أسرة آل عايض عام ١٣٢هـ قادماً من بلاد الشام التي يوجد بها "غسان"، حاملاً معه من هناك أسماءً جديدة لجبالها وأوديتها ولقبائلها ولكل شيء فيها، ولكنه لم يخبر أحداً بها حتى أخبرنا بها شعيب؟.

١٠- ص ٢٧٨-٢٨٦ في قصيدة سعيد بن عائض المتوفي عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م

بيت ١٩ يقول: *ويل الشعوب أمتم روح عزتها*، بيت ٢١: *قصدهم حب الظهور*، بيت٢٨: *صاروا كأذنابه*، بيت٣١: *صرعى براثن أهل الغرب*، بيت٦١: *إن العروبة*،

بيت ٧١:

هبوا انظروا كيف ألقى الغرب أخيته — شركاً يشيد به في الأرض صهيونا،

بيت٨٣: *خذلتم كل من رام مكرمة لشعبه*، (ويكرر كلمة الشعب في البيت ١٠٦ والبيت١١٤ والبيت١١٦ والبيت١٢١ والبيت١٧٢)، البيت ١١١: *فهذه صفحة التاريخ تلفظكم*، بيت١١٦: *قيادتكم*، بيت ١٢٠: *تصدرون لنا شرعاً*، بيت١٣٧: *كما وهت بكم للعُرْبِ منزلة.*

- رغم أن الأوروبيين يطلقون على أنفسهم كلمة الغرب منذ وقت مبكر، إلا أنه لم يكن شائعاً وخاصةً في الجزيرة العربية استعمال كلمة الغرب كبديل لكلمة الفرنجة أو الأوروبيين أو الصليبيين، كما أن كلمة الصهيونية لم يبدأ استعمالها للإشارة لعدو أو ند للإسلام والعرب قبل عام ١٩٤٧م، بل حتى الإعلام العربي لم يكن معنياً بذلك في ظل فترة من الاستعمار الانجليزي والفرنسي لمعظم البلاد العربية حتى قامت الثورة السورية التي انتهت باستقلال

سوريا عام ١٩٤٦هـ ثم قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٧م وطرد الفلسطينيين من غرب فلسطين وحرب الدول العربية معها عام ١٩٤٨م، ثم الثورة المصرية عام ١٩٥٢م، حيث بدأت القضية الفلسطينية بعد ذلك تأخذ حيزاً من الإعلام العربي الذي بدأ مرحلة الذيوع على مستوى الوطن العربي، فمن أين لصاحبنا هذا الحدس وهذا العلم بما سوف يحدث، فكل هذه الأحداث كانت بعد وفاته، يبدو أن شعيب كان يستمع من قبره لخطب أحمد سعيد في صوت العرب في نهاية الخمسينات والستينات الميلادية، فأطلق على الأمة "شعب" والفرنجة "غرب" واليهود "صهاينة" والحاكم "قيادة" وأطلق على الابتداع "التصدير" والعربية "العروبة" والأتباع "الأذناب"، فكيف بنا والقصيدة نسبت في الكتاب إلى شخص توفي في القرن التاسع عشر الميلادي وقبل أن يعرف عن وجود المنظمة الصهيونية كمنظمة لها شهرتها، حيث كان أول مؤتمراتها في مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م الموافق لعام ١٣١٥هـ أي قبل وفاة شاعرنا بعام واحد وكانت بنوده سرية، فكيف وصل له نبأ وجودها وانتشارها وقوة سطوتها واحتلالها لفلسطين بعد ذلك ليعتبرها عدواً رئيسيا للإسلام وللعرب !.

ونعرض هنا للمقارنة بعض الإشارات المعاصرة بل واللاحقة لزمن شعيب، فهذا فؤاد حمزة ذو الثقافة الفرانكوفونية في كتابه "في بلاد عسير" عام ١٩٥١م أي قبل الثورة المصرية بعام واحد يقول في المقدمة (مقدمة الرحلة): "كنت أرى أنه مما يمس العزة القومية في الصميم ألا نقوم ونحن أبناء البلاد وأهلها بدرس أحوالها وكتابة جغرافيتها وتاريخها كما يفعل الإفرنج ممن تتاح لهم زيارتها[١]"

ثم يعيد استعمال كلمة "الإفرنج" في موقع آخر من الكتاب[٢] مما يدل على عدم شيوع الاسم البديل في تلك المرحلة التي كان شعيب خلالها في قبره.

وهنا نجد الأديب والمؤرخ والكاتب والسياسي فؤاد حمزة الذي قدم من لبنان والتي كانت أعلى نشاطاً ثقافياً من السعودية في تلك المرحلة وأكثر اتصالاً ببقية العالم، وتسنم مناصباً سياسية هامة في السعودية وانتدب لتمثيلها في الكثير من المحافل الدولية شرقاً وغرباً مما يفترض معه تميزه من الناحية الأدبية والسياسية في استخدام المفردات المعاصرة أكثر من غيره خاصةً في مجال السياسة، إلا أنه يستخدم عام ١٣٧١هـ كلمة "الإفرنج" بينما شعيب

---

(١) حمزة، فؤاد، في بلاد عسير، مطبعة دار الكتاب العربي - القاهرة، ١٣٧٠هـ، ص١٢.

(٢) حمزة، فؤاد، المصدر السابق، ١٣.

الدوسري العسيري (أو النجدي) قبله بستة أعوام يكرر استخدام كلمة "الغرب"!، فما بالك وهو يتكلم على لسان رجل عاش في القرن التاسع عشر الميلادي !.

وهذه أيضاً إشارة من أحد الأدباء اليمنيين وهو عبدالعزيز المقالح إلى غرابة استعمال كلمات مثل "الوطن" و"الشعب" و"الثورة" و"العروبة" التي لم تسمع من قبل، لدى الأديب والمؤرخ ورائد الكتابة الصحفية في اليمن / عبدالله عزب في كتابه الذي ألفه عام ١٣٦٥هـ والذي أطلق عليه الحبشي "تاريخ اليمن الحديث"، علماً بأن عبدالله عزب كان صحفياً، ومن ثم فهو على اتصال قوي بالأدباء والكتاب والصحفيين العرب، كما أن أدباء اليمن في تلك المرحلة كانوا أكثر اتصالاً بالوضع الثقافي العربي وأكثر حضوراً ثقافياً من نظرائهم في أبها والرياض التي عاش بها جندي المدفعية شعيب حتى مات إلى حد ما، وهذا نص ما جاء فيه :

"ومع أن الكتاب ألفه في حياة الإمام يحي فهو حينما يؤرخ يسند الأعمال في الغالب لأهل اليمن على خلاف العادة في مؤرخي ذلك الوقت ونجد عبارات تتردد في كلامه لا عهد لنا بها من قبل كالشعب والثورة والعروبة والوطن إلى غير ذلك[1]".

فإذا كان المقالح استغرب هذه الألفاظ من رائد الصحافة اليمنية، فماذا نقول عن شعيب الذي توفي قبل هذا الرجل دون أي نشاط صحفي أو كتابي غير ما ورد في هذا الكتاب ونحن نجده قد تجاوز إيراد مثل هذه المفردات التي أكثر من استخدامها في كتابه إلى ما هو أغرب وأعجب على لسان رجل عسيري توفي عام ١٣١٦هـ أي قبل وفاة عبدالله عزب بنصف قرن.

١١- في نفس القصيدة بيت ١٤١ يقول:

وقلتم زمن يدعو لمصلحة   من زاد في النقد زدناه مهلينا

- "النقد" و"المصالح" (السياسية) مصطلحات لا تنتمي لتلك المرحلة في الجزيرة العربية خاصةً في إطارها الذي وردت فيه.

---

(١) عرب، عبدالله، تاريخ اليمن الحديث، تحقيق عبدالله الحبشي، منشورات المدينة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ص١١.

١٢ـ بيت ١٨٣: *إن السلاح سلاح العلم يرهبه.*

- الغرب المسيحي يرهبه سلاح العلم !.

إذن فهذا الشاعر العسيري كان يدعو إلى ثورة علمية (تقنية) لمواجهة "الغرب" في القرن التاسع عشر الميلادي !!!.

١٣ـ ص ٣٠٧ قادت فاطمة آل عائض عام ١٣٢٢هـ (تقريبا ١٩٠٢م)مظاهرة نسائية في مدينة أبها ضد السلطات التركية بسبب اعتقال عدد من مناصري علي بن محمد آل عائض الذي كان يحاصر مدينة أبها، فاضطرت السلطات التركية إلى إطلاق سراح المعتقلين؟.

- إذن"women's demonstration" مفهوم انتقل لعسير قبل عام ١٣٦٤هـ والأجمل أن العسيريين يتفهمون أثر المظاهرات في الضغط على السلطة العثمانية، فأرسلوا نسائهم قبل ١٠٥ أعوام ليقوموا بمظاهرة !... ونسائية ! ونجحوا في الحصول على مطالبهم، طبعاً بسبب النظام الديموقراطي العثماني!.

١٤ـ ص ٣١٦ أورد منسوبا لمن أسماه "يحيى بن شيبان" عام ١٣٢٤هـ (تقريبا ١٩٠٤م) أثناء وجود بعض أهل عسير في الأسر قصيدة يطالب بقتل الأسرى فيقول:

فصفُّوهم قد أمكن الله منهم　　　فلا يبقى منهم أشمط ورضاع

- كلمة "تصفية" في العربية مرادفة لكلمة "غربلة" ولكنها تستخدم عادةً للسوائل فنحن نصفي الماء من الشوائب ونغربل الدقيق، وربما أسقطت على حالات مشابهة لعملية التصفية أو الغربلة كتصفية الجيش أو تصفية المجاميع بمعنى الحصول على النخب أو ذوي المواصفات الخاصة المطلوبة، ولكنها لم تستخدم للدلالة المباشرة على القتل في اللغة العربية إلا في مرحلة حديثة جداً، فهي بهذا المعنى إحلال حرفي لكلمة liquidation الإنجليزية والتي تحمل المعنين فهي تعني التسييل أو التصفية بمعنى التخلص من الشوائب في السوائل، وتعني في الوقت نفسه "القتل"، فالتصفية الجسدية مثلاً physical liquidation وقد تم إحلالها في اللغة العربية حديثاً، وهي لا تنتمي لعصر بن شيبان ولا لعصر شعيب.

١٥ـ ص ٣٤٢ يستخدم الكاتب مصطلح: "*وجهات نظر*"

- وهي تعريب حديث لمصطلح view points الغربي.

16. في ص 369 أشار إلى نسب قبائل عسير السراة الأربع إلى أنساب متفرقة من الأزد ومنها بني مالك عسير التي نسبها إلى "مالك بن كلاع" بن مالك بن النصر بن الأزد.

- هنا سقطة حادة، فشعيب هنا كعادته رائد سباق إلى الكشوفات العلمية، فلم يرد اسم "مالك بن كلاع" في جميع كتب التاريخ ولا كتب الأنساب حتى عام 1968م الموافق 1388هـ أي بعد وفاة شعيب بأربعة وعشرين عاماً، حيث اكتشف الباحث والمؤرخ اليمني "احمد حسين شرف الدين" عام 1377هـ نقشاً في مأرب يذكر تضامن أحد ملوك الأزد في جرش وهو "مالك بن الكلاع" مع الملك اليمني شمر يهرعش في غزو بلاد فارس، فنشر النص مع غيره من النقوش السبئية والحميرية مترجما في العام الذي ذكرناه[1]، بينما كان شعيب حينها في الأجداث، فكيف توصل شعيب إلى اسم هذا الملك قبل أن يكتشف النقش ليضع إشارته التي تنسب إحدى القبائل الملاصقة لجرش إليه، علماً بأن مثل هذه المعلومة لم تكن من المعلومات المعروفة في بلاد عسير على الإطلاق كما هو معلوم، مما يؤكد أن الكتاب لم يكتب إلا بعد عام 1388هـ، أي في فترة التسعينات الهجرية وما بعدها حيث انطلاق عملية تزوير مجموعة إمتاع السامر.

17. ص 438 عام 1337هـ أي عام 1917م (تقريبا) الشريف حسين يقول لمحمد بن عبد الرحمن آل عايض في محاولة إقناعه بالتفاوض مع بريطانيا: *"إنكم يا آل عائض متزمتون غير انفتاحيين"* ثم يقول له *"فيجب أن تنظروا لهذا العصر النظرة الواقعية"*.

- شعيب الدوسري في عام 1365هـ يقول بأن الشريف حسين كان انفتاحياً " open minded" ويطالبه بالنظر إلى الأمور نظرة واقعية "realistic look".

18. ص 445 يقول: *"نشأ في وقت كان الجو فيه متوتراً بين آل عائض والترك"*.

- "كان الجو متوتراً" هي ترجمة حرفية حديثة لمصطلح "The atmosphere was tense"

19. ص 364 (ن أ) أورد على لسان حسن بن علائض (بين عامي 1336 و 1338هـ) في قصيدة يزعم أنها موجهة للشيخ أحمد بن حامد لأنه كاد (كما يقول) أن يقع في حبائل الادريسي والمتهم من قبل المؤرخين بالعمل لمصلحة الايطاليين والانجليز قوله:

فلا تغترر بدخيل عميل وتحسبه داعياً للجهاد.

---

(1) شرف الدين، أحمد حسين، المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية، ص68.

- كلمة "عميل" هي مصطلح محدث في اللغة العربية، وتعني العميل التجاري أو الوكيل أو المتعامل وكان المستعمل في اللغة العربية قبل ذلك كلمة "عامل" أو "أجير" أو "صديق" أو "وكيل" وتحمل معانى مقاربة إلى حد ما، أما في مفهومها السياسي كما هي في سياقها هنا: فهي كلمة مخابراتية دخلت إلى اللغة العربية في زمن لاحق مع شيوع مفهوم الأعمال المخابراتية حيث أسقطت على كلمة "عميل" المخابراتية، فهي ترجمة حرفية للكلمة الإنجليزية "agent" والتي تحمل معنى "العميل التجاري" أو "الوكيل"، وتحمل في نفس الوقت معنى "الجاسوس" أو "العميل السياسي" أو "المرتزق" أو "الخائن" أو " المأجور"، وهذه المفردة بهذا المعنى لم تصل إلى الجزيرة العربية في عهد حسن بن عائض، ولا حتى في عهد شعيب، بل لم يشع استعمالها في العالم العربي، فكل المعاجم العربية القديمة والحديثة (حتى وفاة شعيب) لم توردها بهذا المعنى، وكمثال فهذه مجلة المنار التي اختصت بالمقالات السياسية الجريئة بشكل رئيسي وهاجمت بكثرة وبقوة بعض الحكام العرب واتهمتهم بالخيانة والولاء للغرب وبالعمل على تنفيذ مخططاتهم الاستعمارية للدول العربية، واتهمتهم بالجاسوسية والإخلاص لمصالح المستعمرين لم تستعمل على مدى أعدادها كلمة "عميل" للدلالة على الخائن أو الجاسوس أو الممالئ أو من يعمل لمصلحة الأعداء، رغم أنها وردت ترجمة لإحدى النصوص البريطانية والتي أشارت إلى أحد الحكام العرب واستخدمت كلمة "عميل" ولكنها وردت في سياق الترجمة الحرفية للنص بمعنى "صديق" للبريطانيين لا كتهمة.

كما أن من الغريب استعمال كلمات مثل "عميل" و"دخيل" في رسالة إلى "شيخ قبيلة" في تلك المرحلة بل ولا حتى في عهد شعيب الذي توفي عام ١٣٦٤هـ !.

٢٠- ص ٤٥ يقول:

"وكان الأمير علي بن إبراهيم بن سليمان قد اتخذ (الملحاء) مركزاً له، وعمر فيها السربة والجداير وجعلها قاعدة لحكمه عندما ثار على ابن عمه صقر بن حسان. وتقع الملحاء بين عضاضة والقرعاء، ولها عقبة تسمى (راعية)، وكانت فيها قلعة تسمى (خزام) جعل فيها الأمير صقر حراسة العقبة، فاستولى عليها علي بن إبراهيم وأنصاره من عنز، وبعد هزيمته وقتله عين الأمير صقر على هذه القلعة وما جاورها من قبائل قحطان وشهران أحمد بن يزيد بن أسعد بن معنف بن رافع من آل وهيبة أميراً عليها، وتعرف الملحاء بشعف بن اليزيد، وقد تناسلت فيه ذرية أحمد بن اليزيد، ويعرف أولاده الآن بآل ماشي وآل مجاهر وآل الدويح"؟.

ثم في نفس الصفحة (ص ١٨، ن أ) ذكر آل وهيبة التي نسب إليها "يزيد بن معنف" في ذكره للقبائل التي تنتمي إلى عنز بن وائل والقبائل التي دخلت فيها عندما قال:

"ومن بقي من عنز بن وائل فقد دخل في أعداد سرحان بن السبع بن حلوان القضاعي، ويعرفون بآل فروان، ومن بقي بين عسير ورفيدة تحالف مع شهران ويطلق عليهم بني بره، ومنهم عضاضة ودخلت في علكم، وآل الأزهر في بني سرحان، كما دخل بعضهم في معاوية في ببيشة، وآل مهيوم، وبني وهيبة وبني شيبان بالقرعاء، وآل رمضان... الخ"

- نلاحظ هنا أن هذه الإشارة تحمل ضمنياً تلميحاً يتناقض مع ما جاء به في (ص ١٣٦) من أن مسمى آل يزيد الشعف كان نسبة إلى علي بن إبراهيم اليزيدي (الأموي) الذي خرج من السقا واستولى على موقعها، فهنا يشير إلى أن جد البيوت الكبرى والتي تشكل معظم قبيلة "آل يزيد" اسمه "يزيد بن أسعد بن معنف بن رافع من آل وهيبة"، مما يدل على الرغبة في الإيحاء بأن هنالك "يزيد" آخر عنزي غير يزيد الأموي، تنتسب له قبيلة "آل يزيد الشعف" ومنه اتخذوا اسمهم، فلماذا اضطر المزور إلى وضع هذه المعلومة.

وقبل البدء في التعليق فإن آل يزيد هي القبيلة التي كان آل عايض ينسبون أنفسهم إليها في عهد محمد بن عايض كما هو معروف، كما ذكر ذلك سليمان بن سحمان[1]، والمقصود بها في حينه قرية آل يزيد الواقعة في الشعف كما يؤكد ذلك سليمان شفيق باشا عندما صحبه حسن بن عايض إليها، وهيأ حديثه مع بعض أبنائها بصفتها وطنه الأساسي[2]، ولا علاقة لآل يزيد بقرية "السقا" ولا بجبل تهلل إلا من خلال استيطان عدد من الأسر القادمة من الشعف لقرية السقا[3] في تلك المرحلة، ولم يعرف بين العامة في منطقة عسير أن مسمى قبيلة آل يزيد له علاقة بيزيد بن معاوية بن أبي سفيان فيما قبل صدور هذه الكتب[4].

ودون الحاجة إلى الإشارة إلى ما يقوله أي آل يزيد الذين يرفضون صحة النسب إلى يزيد بن

---

(١) الألوسي، محمود شكري، تاريخ نجد، تتمة تاريخ نجد (سليمان بن سحمان)، مكتبة الثقافة الدينية، ص١٢٥.

(٢) شفيق باشا، سليمان، مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير، تحقيق محمد أحمد العقيلي، نادي أبها الأدبي، ١٤٠٥هـ، ص٩٢، ٩٣.

(٣) حديث مباشر مع الشيخ علي بن مجثل نائب قرية السقا وحفيد الأمير علي بن مجثل.

(٤) النعمي، هاشم، تاريخ عسير، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ، ص١٨٥، ١٨٦.

معاوية، فيكفي أن نرى هنا كيف أن المزورين قد وقعوا في مشكلة مع البيوت الكبرى في قبيلة آل يزيد، وهي رفضهم المصادقة على ما ورد في مجموعة إمتاع السامر حول ربط نسبهم بيزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وإصرارهم على المحافظة على ما توارثوه من أجدادهم حول نسبهم المحلي مما اضطر المزورين لحل هذه المعضلة هنا، فذهبوا إلى إيراد نسب يزيدي آخر لهذه البيوت التي تمثل جزءا كبيراً من قرية آل يزيد، فأرجعوها إلى "يزيد بن أسعد بن معنف" حتى لا يقعون في مشكلة مع هذا الرفض، فأصبحت قبيلة آل يزيد الصغيرة والتي تسكن قرية واحدة تنتسب إلى يزيدين قديمين جداً، أحدهما يبدو من سياق السرد أنه من عنز بن وائل، والآخر قرشي أموي، وهذا الازدواج غير المنطقي في الرواية الرئيسية في هذه الكتب يعطينا فكرة عن علاقة الرواية بالمواقف على الأرض ومحاولة التماشي معها بعناية قدر الإمكان، وهو أمر لا يمكن أن يعتني شعيب الذي يفترض أنه يكتب في تلك المرحلة من مدينة الرياض بإخراجه إلى هذه الدرجة.

وقد أورد محققوا الجزء الثاني من إمتاع السامر الكثير من الإشارات لألفاظ حديثة وردت في نص الكتاب مثل:

"حرية الحوار الفكري" و"التجارة الحرة" و"تسويق البضائع" و"كونوا معارضة" و"بقاء الحكام على كراسيهم" و"التبادل التجاري" و"الرأي العام" و"ينددون" و"تحسين علاقاتهم" و"محط أنظار المسلمين"[1] *وغيرها من الألفاظ التي لا تتفق مع كون المؤلف توفي عام ١٣٦٤هـ أو حتى في العام الذي يليه كما تدعي مصادر الإمتاع، ولا شك أن وضوح التزوير في الجزء الثاني الذي صدر بعد صدور تحقيق الجزء الأول وغرابة الروايات ومبالغتها يدلنا على محاولة المزورين الالتفاف على النقد الذي وجه للجزء الأول، وتخصيصه بإمتاع السامر دون بقية مجموعة كتبها، وقد بدأ المؤيدون لأفكار المجموعة في الضرب على وتر تخصيص النقد بإمتاع السامر بالفعل.*

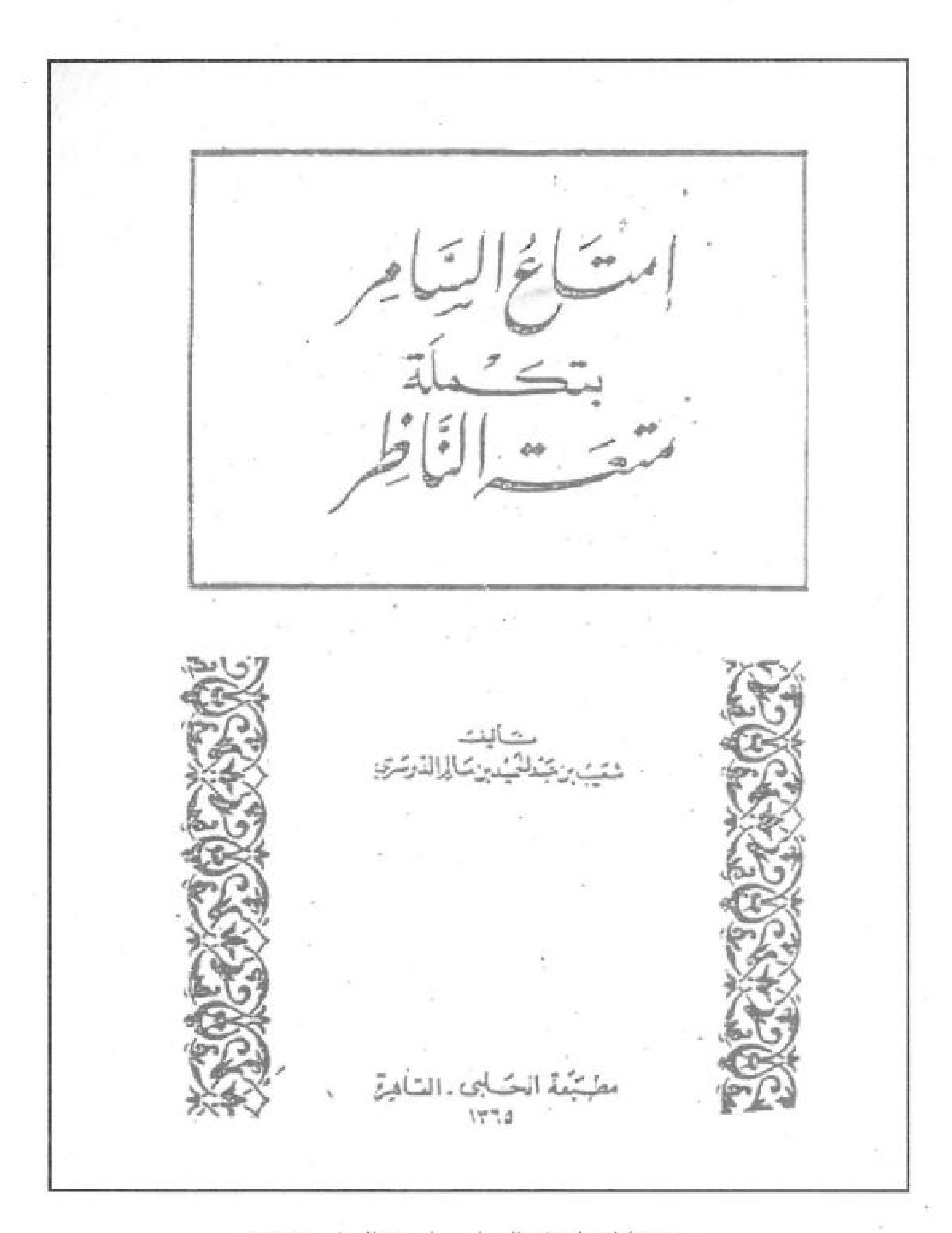
والكتاب رغم ما نقلناه لا شك يعج بالمصطلحات والمعلومات الأخرى التي لا تنتمي لعصره ولا بيئته، وتتناقض مع الحقائق التاريخية ومع بعضها والتي أغفلناها لكثرتها، حيث حرصت على التقاط بعض المصطلحات والمفردات، وبعض المعلومات كأنموذج لتتضح الصورة

(١) إمتاع السامر (ن د)، ج٢، ص٢١ - ٢٣.

للقارئ، وتوقفت عند هذا الحد لأنني لا أجد معنى لترديد الكلام حول كل الأخطاء التي وقع فيها المزور عندما جهل حداثة الكثير من المصطلحات التي استخدمها، فما ذكرناه يكفي لتحصل القناعة الكاملة بأنه مزور بالكامل حديثاً ولا يمت لشعيب المتوفى في عام ١٣٦٤هـ الموافق ١٩٤٤م بصلة.

٥- طريقة طباعة الكتاب وظهور نسخه

ظهرت للكتاب متزامنة نسختان في العقد الأول من القرن الهجري الخامس عشر، إحداهما كتب عليها "مطابع الحلبي ـ القاهرة ١٣٦٥هـ"، أي أن تاريخ الإصدار عام ١٣٦٥هـ والثانية كتب على صفحتها الأخيرة (دار النصر للطباعة الإسلامية) بدون تاريخ نشر، ولكن في الصفحة الأخيرة وضع رقم الإيداع وهو ١٩٨٧/٤٠٤٠ وهو ما يشير إلى أن الكتاب قد أودعت نسخة منه للنشر رسمياً قبل نشره بتاريخ ١٩٨٧م أي ما يوافق عام ١٤٠٧هـ والكتابان متطابقان في رقم الصفحة ورقم السطر وموضع الكلمة في السطر وحتى في الحركات ومواقع الفواصل والنقاط على امتداد صفحات الكتابين، أي أن الأخير صورة من الأول حسب المفترض، رغم أن دور النشر مختلفة والمرحلة مختلفة حيث هنالك فارق زمني قدره اثنان وأربعون عاماً اختلفت فيها طريقة الطباعة كثيراً، ورغم أن الأول طبع بخط متقطع بينما الثاني والذي يفترض أنه نسخ منه خطه متصل وأكثر وضوحاً، والسؤال هو: من طلب من دار النصر إعادة طباعة الكتاب تصويراً دون أن يضيف له ولا كلمة واحدة سوى تغيير الغلاف، فمن المفترض أن يعلن من أشرف على طباعته عن مسؤوليته عن إعادة الطباعة ويدافع عن مصداقية الكتاب إذا كان كتاباً حقيقياً، بينما لم يتبناه أي شخص بشكل رسمي حتى الآن رغم ما يثار حوله، أو على الأقل أن تضع دار النصر مقدمة عن الكتاب وأسباب إعادة نشره مع تغيير الغلاف إذا كانت فعلت ذلك من ذاتها.



إمتاع السامر

بتكملة

متعة الناظر

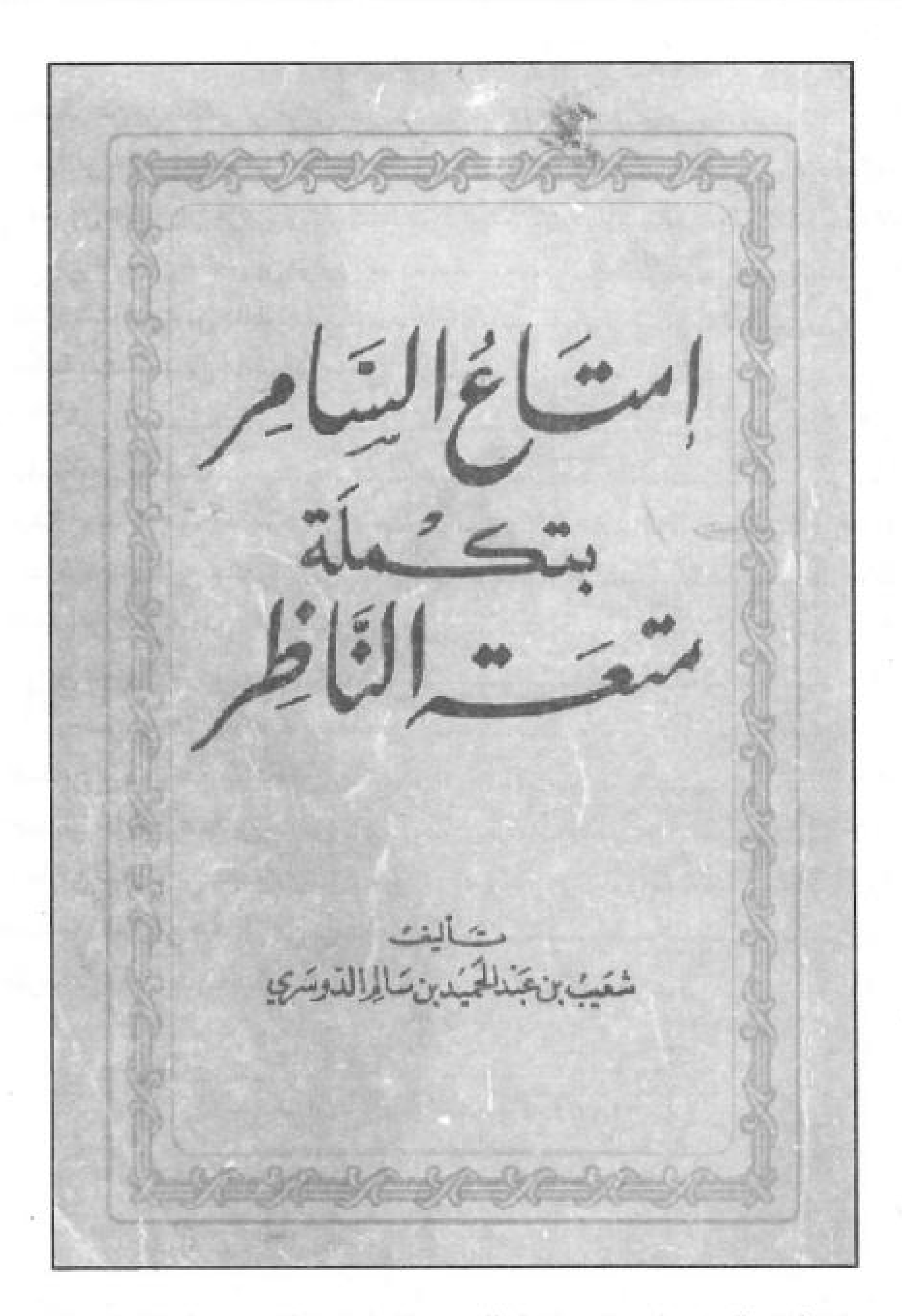
تأليف

شعيب بن عبد الحميد بن سالم الدوسري

مطبعة الحلبي . القاهرة

١٣٦٥

صورة غلاف إمتاع السامر طبعة الحلبي ١٣٦٥هـ



صورة غلاف الكتاب طبعة دار النصر للطباعة المودع عام ١٩٨٧م/١٤٠٧هـ

***

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٧/٤٠٤٠

الترقيم الدولي ٩ - ١٦٨ - ١٤٢ - ٩٧٧

دار النصر للطباعة الإسلامية

٢ شارع نشاطي شبرا مصر

الصفحة الأخيرة من طبعة دار النصر وعليها اسم الدار ورقم الإيداع والترقيم الدولي

وفي مثل حالة كتاب إمتاع السامر فإن المنطق يقول بأن آخر ما يمكن أن نقبض على خطأ المزور فيه هو طريقة الطباعة لكون آلات الطباعة القديمة والتي سادت خلال فترة الأربعينات الميلادية وما حولها لا زالت متوفرة، كما أن الورق المستخدم في حينه لا زال متوفراً، كما أن جزءاً ممن عاصروا مرحلتها وعملوا فيها لا زالوا أحياء في حينه مما يجعل عملية إعادة الطباعة بنفس الطريقة القديمة ممكنة جداً، ومن البديهي جداً أن نتوقع من المزور أن يلجأ إلى المحاكاة لما أنتج خلال تلك الفترة من حيث طريقة الطباعة والغلاف وغيرها، ولكن هذا لا يمنع أنه قد يغفل فيسقط في أي الأخطاء مما يكشف جريمته.

ولعل أول ما يمكن أن نلاحظه في كتاب "إمتاع السامر" أن المطبعة استخدمت حرف (ي) المنقوط في نهاية الكلمات في كل صفحات الكتاب، وهي طريقة لم تكن شائعة في مصر ـ حيث طبع الكتاب ـ في حينه، فقد عرف عن المطابع ودور النشر المصرية اختصاصها بطريقة طباعة الياء غير المنقوطة والتي تماثل الألف المقصورة، وكانت هي الطريقة السائدة في المطابع المصرية، أما في العصر الحديث ومع انتشار وسائل الطباعة الإلكترونية فلا زال عدد قليل منهم يتمسك بها كإرث مصري، بينما اتجه الأغلبية وخاصة الناشرين الجدد إلى التخلي عنها، وهذه المعلومة يبدو أنها غابت عن القائمين على طباعة نسخة إمتاع السامر الممهور نشرها بتاريخ ١٣٦٥هـ (أي ما بين عامي ١٩٤٥ـ ١٩٤٦م)، فأخرجوا نسخة شاذة عن بيئتها في تلك المرحلة.

كما يلاحظ في تنسيق الكتابة في كتاب إمتاع السامر الالتزام بضم الفواصل والنقاط بالجملة أو المفردة السابقة وفصلها عما بعدها، وهو نمط جديد في الطباعة شاع بعد مرحلة طباعة نسخة مطابع الحلبي التي صدرت عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م بسنين عديدة.

وسنعرض بعض الكتب التي طبعت في فترة الخمسينات الميلادية (السبعينات الهجرية) والتي يفترض أنها أكثر ارتباطاً بالمفاهيم الأحدث في تنسيق الطباعة بصفتها طبعت في فترة لاحقة كعينة عشوائية.

فهذا كتاب "في بلاد عسير" لفؤاد حمزة الذي طبع عام ١٣٧٠هـ في القاهرة، وكتاب "في ربوع عسير" لمحمد عمر رفيع الذي طبع عام ١٣٧٣هـ في القاهرة، وكتاب "لمحات من تاريخ العالم" لجواهر لال نهرو الذي طبعت نسخته المترجمة للعربية عام ١٩٥٧م/ ١٣٧٧هـ في بيروت نجد فيها أن الالتزام بضم الفواصل والنقاط لما قبلها لم يشع بعد، بل وحتى كتب مرحلة الستينات الميلادية (الثمانينات الهجرية) ككتاب "الرسول القائد" المطبوع عام ١٩٦٠م/ ١٣٨٠هـ في بيروت، والموسوعة الميسرة المطبوع عام ١٩٦٥م/ ١٣٨٥هـ في القاهرة، وكتاب جواهر الأدب المطبوع عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م بالقاهرة، وغيرها من إصدارات تلك المرحلة نلاحظ أنه لم يشع

فيها هذا النمط الغربي من التنسيق بعد، بينما كان شعيب دقيقاً في استعماله قبلهم بعشرين عاماً.

كما نلاحظ أن الطبعات المصرية من هذه الكتب جميعها كانت تلتزم بكتابة الياء غير المنقوطة (ى) في نهاية الكلمة بينما شذ كتاب إمتاع السامر عن هذه القاعدة.

كريسيع مانع بن علي الحمالي البشري
١١٦٦ - ١٢٥٦

في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري كان يحيى بن عبد الرحمن أميراً على منطقة عسير، وقد عمّر طويلاً، وتوفي في حياته ولداه أحمد ومحمد، كما توفي حفيده محمد بن أحمد، فلما توفي الأمير خلفه ابن حفيده مرعي بن محمد الذي ضمت إمارته إضافةً إلى عسير وادي الدواسر، والسليّل وما جاورها، وبيشة، ورنية، ومعظم قبائل نجران وهمدان.

وظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فبدأت تلك المناطق تتفكك عن إمارة عسير، فارسل الأمير مرعي بن محمد قوة للاستيلاء على نجد عام ١١٧٥ بإمرة أخيه يوسف بن محمد، ووصلت هذه القوة إلى وادي حنيفة بين الرياض والدرعية، وقد أضناها التعب فحطّت رحالها لأخذ قسطٍ من الراحة، ولتنظيم نفسها، ووضع خطةٍ لها، وقد عرفت تلك المنطقة التي حطت فيها باسم «محطة عسير»، وشُنّت عليها غارة ليلية على حين غفلةٍ منها من قبل القبائل التي انضمت للإمام محمد بن سعود، وهزمت القوة العسيرية، وقُتل حسن بن مرعي بن عبد الرحمن، وأسر قائد تلك الحملة يوسف بن محمد شقيق الأمير مرعي.

كتب الأمير مرعي إلى حسن المكرمي، وحسين بن عبدالله بن نصيب اليامي العاصمي خال الأمير مرعي يعمدهما غزو نجد، حيث كان هو في صراع مع أشراف مكة على بلاد غامد وزهران، وفكّ إسر يوسف بن محمد، فسارت تلك القبائل في مطلع عام ١١٧٦ إلى نجد، ولكن تمّ الصلح بينها وبين الإمام محمد بن سعود الذي أطلق الأسارى العسيريين الذين في حوزته.

- ٧٧ -

صفحة من كتاب إمتاع السامر، طبعة مطابع الحلبي، القاهرة، ١٣٦٥هـ

كريسيع مانع بن علي الحمالي البشري
١١٦٦ - ١٢٥٦

في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري كان يحيى بن عبد الرحمن أميراً على منطقة عسير، وقد عمّر طويلاً، وتوفي في حياته ولداه أحمد ومحمد، كما توفي حفيده محمد بن أحمد، فلما توفي الأمير خلفه ابن حفيده مرعي بن محمد الذي ضمت إمارته إضافةً إلى عسير وادي الدواسر، والسليّل وما جاورها، وبيشة، ورنية، ومعظم قبائل نجران وهمدان.

وظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فبدأت تلك المناطق تتفكك عن إمارة عسير، فأرسل الأمير مرعي بن محمد قوة للاستيلاء على نجد عام ١١٧٥ بإمرة أخيه يوسف بن محمد، ووصلت هذه القوة إلى وادي حنيفة بين الرياض والدرعية، وقد أضناها التعب فحطّت رحالها لأخذ قسطٍ من الراحة، ولتنظيم نفسها، ووضع خطةٍ لها، وقد عرفت تلك المنطقة التي حطت فيها باسم «محطة عسير»، وشُنّت عليها غارة ليلية على حين غفلةٍ منها من قبل القبائل التي انضمت للإمام محمد بن سعود، وهزمت القوة العسيرية، وقُتل حسن بن مرعي بن عبد الرحمن، وأسر قائد تلك الحملة يوسف بن محمد شقيق الأمير مرعي.

كتب الأمير مرعي إلى حسن المكرمي، وحسين بن عبدالله بن نصيب اليامي العاصمي خال الأمير مرعي يعمدهما غزو نجد، حيث كان هو في صراع مع أشراف مكة على بلاد غامد وزهران، وفكّ أسر يوسف بن محمد، فسارت تلك القبائل في مطلع عام ١١٧٦ إلى نجد، ولكن تمّ الصلح بينها وبين الإمام محمد بن سعود الذي أطلق الأسارى العسيريين الذين في حوزته.

- ٧٧ -

نفس الصفحة السابقة من نفس الكتاب

ولكن من طبعة دار النصر للطباعة عام ١٤٠٧هـ

— ١١٥ —

العسكرية طريق بارق ومحائل، وهي الطريق التي كانت تخترقها الجيوش العثمانية. ولذلك فإن «محيي الدين باشا» آخر متصرفي الأتراك في عسير قد مهد هذه الطريق من أعلى عقبة شعار إلى أبها لسير المركبات والمدافع، ولكن العقبة نفسها حاجز عظيم في سبيل المواصلات، وكذلك يقال عن الطريق من أسفل العقبة إلى بارق ومحائل. وقد بلغني أنه كان في نية محي الدين باشا إكمال تمهيد الطريق إلى القنفذة، غير أن احتلال الأشراف والإدريسي لتهامة والقنفذة حال دون تنفيذ عزمه. وتبعد شعار عن أبها مسافة ٢٨ كيلومترا.

رابعا — طريق الحجاز: عن كتف السراة مارة بقرب عقبة شعار ومتجهة إلى بلاد بالأحمر وبالأسمر وبني عمر حتى بلاد بني شهر فغامد فزهران إلى الطائف. وهي طريق المشاة، وخاصة أهل الجبال ممن لا يطيقون حر تهامة في الصيف.

خامسا — طريق شهران: وهي التي سلكتها في قدومي من خميس مشيط إلى أبها. وهي صالحة لسير السيارات، مهدها محيي الدين باشا أيام الحرب العامة، ويبلغ طولها من أبها إلى الخميس ٣٥ كيلو مترا كما سبق بيانه.

سادسا — طريق اليمن: تسير من بلاد عسير في اتجاهين: أحدهما عن طريق شهران ثم تنحدر إلى الجنوب حيث تدخل بلاد قحطان، والآخر من عسير رأسا إلى نجية ومنها إلى ديار قحطان ووداعة ظهران إلى صعدة، وهذه الطريق أصعب الطرق وأكثرها وعورة.

وقد اكتشف الجيش بقيادة ولي العهد طريقا لسير السيارات من أبها إلى خميس مشيط فطريب فوادي تثليث فوادي حبونة حتى نجران، كما اكتشف طريقا أخرى إلى ظهران كانت شديدة الوعورة بحيث إن السيارات اجتازتها بكل عناء.

والمواصلات التلفونية والتلغرافية مفقودة في عسير، لكن فيها مركزا لاسلكيا هاما يصل بين عسير وسائر أنحاء المملكة العربية السعودية.

صفحة من كتاب في بلاد عسير لفؤاد حمزة، مطبعة دار الكتاب العربي ـ القاهرة، ١٣٧١هـ، ويلاحظ فصل وتوسيط الفواصل والنقاط والالتزام باستخدام الياء في نهاية الكلمة غير منقوط حسب الطريقة المصرية في الطباعة في حينه.

— ١٩٩ —

البلدة . فلم يحفل به بما كاد معه أن يهم بالرجوع والنكول ، ولكنه تجلد وتقدم فبايع على الاسلام والتبرؤ من كل دين سواه ، وعلى السمع والطاعة لعبد العزيز بن سعود ومعادات من عاداه كما يقول صاحب سيرته .

تشعبت آراء من كان مع عبد الوهاب من رؤساء الجند وأمراء العشائر فى من يجعلونه أميراً على أبو عريش . وكان هوى كل واحد منهم مع من يتصل به ويرضاه من الأشراف ، فلم يسع عبد الوهاب إلا إسناد الامارة للشريف حمود وتأييده فيها تخلصا من عواقب هذا الاختلاف . إلا أنه اشترط فى ذلك موافقة الامام عبد العزيز ورضاءه به .

وجمع الأمير عبد الوهاب الأسلاب والمغانم وأخرج خمسها ثم وزع الباقى على جيشه ومن شاركه فى القتال وطوى خيامه وعاد أدراجه إلى السراة .

محاولة انتقاض فاشلة

لم يكن الشريف حمود صادق النية ولا سالم الطوية فى عهده ومبايعته ولا يزال يأمل فى معاونة حكومة صنعاء له وإغاثته وتخليصه فانتدب سراً صديقه وصفيه الشريف حسن بن خالد الحازمى وبعث به إلى الخليفة المنصور بصنعاء وأصحبه رسائل تتضمن حكاية الواقع ، فعل الشريف ذلك ، ولكنه نظر فوجد البلاد خراباً يباباً قد تفرق أهلها وذهب رجالها ، ولم يبق غير الخوانى من ذلك الريش ، فعزم على أن يتصيد بمن حوله من أهل القرى التى يرجع أمرها إلى حكومة اليمن ويدخلهم فى طاعته باسم الدعوة السعودية والإصلاحات الدينية ليعوض بذلك ما فقده .

أقام رسول الشريف فى صنعاء نحو ستة أشهر دون جدوى ولا فائدة فعاد أدراجه وكان الشريف قد توسع فى التسلط على بعض القرى والقبائل المجاورة وازداد نشاطه عندما رجع رسوله بالخيبة من صنعاء ، وتظاهر تظاهراً سافراً بموالاة الدعوة وولى وجهه شطر الدرعية وأمعن فى بلاد اليمن يغزو ويفتح مستعيناً بمن كان يفد عليه بين الفينة والفينة من الغزاة من أهل

صفحة من كتاب في ربوع عسير لمحمد رفيع، دار العهد الجديد للطباعة بالقاهرة، ١٣٧٢هـ. ويلاحظ فصل وتوسيط الفواصل والنقاط وكتابة الياء غير منقوط في نهاية الكلمة (ى) حسب الطريقة المصرية في الطباعة في حينه

الصين على فتح خمس موانيء (كانتون وشنغاي وآموي ونغبو وفوشوي) في وجه التجارة الأجنبية، أو على الأصح تجارة الافيون، وعرفت هذه الموانيء بـ «موانيء المعاهدة». واقتطعت بريطانيا ايضاً جزيرة هونغ كونغ القريبة من كانتون وابتزت قسماً كبيراً من المال كتعويض عن كمية الافيون التي أحرقت وعن تكاليف الحرب التي فرضتها على الصين.

وهكذا أمكن لبريطانيا ان تنتصر وان تفرض افيونها على الصين. وقد كتب امبراطور الصين كتاباً الى الملكة فكتوريا التي كانت تحكم بريطانيا ضمنه بكل لطف شرحاً لتأثير تجارة الافيون السيء على الصين، ولكن الملكة أصمت أذنيها ولم تجب. ولنتذكر ان سلفه شيين لنج كان قد كتب الى ملك انجلترا كتاباً قبل خمسين عاماً ولكنه كان يختلف تمام الاختلاف عن هذا الكتاب الضعيف.

وقد فتح هذا الحادث الباب للمتاعب التي انصبت على الصين على يد القوى الاستعمارية، وقضى على عزلة الصين وفتح أبوابها في وجه التجار الغربيين والمبشرين الذين لعبوا دوراً استطلاعياً للاستعمار المقبل. وقد كان سلوك المبشرين من الوقاحة والانحطاط بمكان، ولكن الصين لم تكن قادرة على محاكمتهم لأن المعاهدة الجديدة جعلت سلطة محاكمتهم تابعة لمحاكمهم الخاصة دون ان يخضعوا لقانون البلاد. واستغل المبشرون هذا الحق بصورة بشعة حتى ان الذين اعتنقوا النصرانية صاروا يطالبون بهذا الحق ايضاً. مع ان هذا الطلب لا يجوز منحه ابداً، إلا ان رئيس المبشرين الذي يمثل اكبر استعماري كان يؤازرهم في مطالبهم. وكثيراً ما ادى تدخل المبشرين الى النزاع بين قرية وأخرى والقتال المضني. وفي النهاية يثور القرويون على المبشر ويقتلونه أو يقوم غيرهم بذلك فتتدخل الدولة الاستعمارية وتطلب التعويض. والواقع ان قتل المبشرين قد أفاد الدول الاوروبية لأنه اعطاهم الفرص المناسبة للتدخل وكسب الامتيازات.

وقد نجم عن محاولة التبشير بالدين المسيحي ثورة من اخطر الثورات الصينية عرفت بثورة تايبنج التي اثارها عام ١٨٥٠ رجل مجهول اسمه (هنج هن شوان) الذي هب ينادي بقتل الكفار. وقد استفحل القتل وعم نصف الصين حتى بلغت

— ١٢٨ —

صفحة من كتاب لمحات من تاريخ العالم لنهرو، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٥٧م

ويلاحظ اعتماد الطرق القديمة في فصل وتوسيط الفواصل والنقاط

ولم يتخلف من أشراف قريش غير أبي لهب الذي أرسل مكانه رجلا آخر ، كما حشد هؤلاء كافة القادرين على حمل السلاح من قريش وحلفائهم .

وسبق أبو سفيان قافلته الحصول على المعلومات عن قوة المسلمين ومواضعهم، فلما ورد ماء بدر وجد عليه مجدي بن عمرو ، فسأله : « هل رأى أحداً من المسلمين ؟ » فأجاب مجدي : « لم أر الا راكبين أناخا الى هذا التل » ، واشار الى حيث أناخ الرجلان من المسلمين .

فحص أبو سفيان مناخهما ، فوجد في روث بعيريهما نوى عرفه في علائف يثرب فأدرك أن الرجلين من أصحاب محمد ، وأن جيشه منه قريب ، فرجع الى القافلة ليغيّر طريقها نحو الساحل ، تاركاً بدراً الى يساره ، وأسرع في مسيره حتى بعدت المسافة بين القافلة وبين قوات المسلمين ، وارسل أبو سفيان الى قريش يطلب منهم ان يعودوا أدراجهم الى مكة لنجاة قافلتهم من المسلمين .

وأرسلت قريش عمير بن وهب الجمحي ليستطلع لهم قوة المسلمين ، فرجع إليهم ليخبرهم أنهم ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون ولا كمين لهم ولا مدد، ولكنهم قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، فلا يموت منهم رجل قبل أن يقتل رجلا مثله . وتضاربت آراء قريش ، فمنهم من يريد الرجوع منهم بنو زهرة الذين رجعوا فعلا ، ومنهم من يريد البقاء ، ومعنى ذلك الاصطدام بالمسلمين .

قال أبو جهل زعيم الذين أرادوا البقاء لقتال المسلمين : « والله لا نرجع حتى نرد بدراً ، فنقيم عليه ثلاثة ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينـــا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها » .

وقصد حكيم بن حزام عتبة بن ربيعة فقال : « يا أبا الوليد ! إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها - هل لك الى ان لا تزال تذكر فيها بخير الى آخر الدهر ؟ » .

– ٧٥ –

صفحة من كتاب الرسول القائد، محمود شيت خطاب، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠م، بيروت

ويلاحظ توسيط الفواصل بين الكلمات السابقة واللاحقة وفصلها عنهما

٤١٧ بنيت

١١٧٣ ، ، أسـرة
بلاس ، ومن أفرادها
بن حاتم .
ت في سستعاء وجنه
بد ، وعبد القـادر
قحطان .

٤٠٠٠٠) . تقع على
شئت في القرن ١٤ ،
اتخذت عاصمة كمبوديا

د بالأيام المذنبة بالم يفيا
ره لنوع الخيل (بدرس
برنسة) ، وتغذى عنه

محافظة المنيا على شاطئ
أشهر جبانات الفراعنة .
بعضها لحكام الاقليم ١٦
حاتها رسوم وصور ملونة
يد . وما كان لامراء ذلك
اقبال الناس على ممارسة
يد ، وصيد الأنقال . هذا
ور تسجيل لحادث تاريخي
. يتقدمهم زعيم لهم يدعى
ة الى عرب بني حسن

كم٢ . وسكانها ٨٥٦٠٠٠
ى الجيزة والمنيا . عاصمتها

وضد روسيا (١٨١٢) . انتحر عقب معركة ليبزج .

بنيامين : أصغر أولاد يعقوب وراحيل ، جد أحد أسباط اسرائيل الاثنى عشر . عاش سبطه في المنطقة الشرقية الوسطى من فلسطين . عرف رجاله بالرماية . ومن أشهرهم شاؤول : سفر التكوين ٣٥ : ١٨ ، ٤٢ – ٤٦ ، ٤٩ : ٢٧ . أعداد ١ : ٣٦ الخ) .

بنيان ، جون : (١٦٢٨ – ١٦٨٨) . كاتب وواعظ انجليزي . تعلم صناعة السباكة التي ظل يمارسها في فترات متقطعة طوال حياته تزوج من سيدة متدينة ، وقرأ كتبها ، فتحمس لدينه . وأخذ يعظ الناس دون تصريح من الكنيسة بذلك ، فدخل في نزاع مع القسس أدى الى سجنه ، حيث مكث به ١٢ عاما . ألف خلالها تسعة كتب . أشهرها « المغفرة لزعيم الآثمين » (١٦٦٦) ، وهي ترجمة ذاتية نابضة بالايمان . وما كاد يترك السجن حتى عاد اليه مرة أخرى لفترة قصيرة ، كتب خلالها الجزء الأول من أشهر كتبه « رحلة الحاج من هذا العالم الى العالم الذى سيأتي » (١٦٧٨) . يصف فيه الانسان (وهو الحاج) اذ يلاقي الصعاب ، ويصادف العقبات الروحية في مدينة الدمار ، ووادى الخشية ، ووادى الموت ، حتى يصل الى المدينة السماوية . ثم ألف جزءا ثانيا يصف فيه « رحلة زوج الحاج كرستينا على نفس الطريق » (١٦٨٤) . تعد « رحلة الحاج » رواية عالمية ، لبساطة أسلوبها ، وحيوية شخصياتها وحوادثها ، وقد ترجمت الى لغات عدة وذاعت فيها . طل يعظ بعد خروجه من سجنه الثاني . ومن أهم آثاره في الفترة الأخيرة : « حياة الشر وموته » (١٦٨٠) ، و « الحرب المقدسة » (١٦٨٢) ، وهي كتب رمزية . ترجع شهرة بنيان الى أسلوبه الذى تمتزج فيه النشوة الدينية باليأس ، والتعبير الرفيع بالكلام الواقعي العادي . وعنده يبلغ صدق الرؤية ووضوحها مستوى عاليا رفيعا .

بنيت ، جيمس غوردن : (١٧٩٥ – ١٨٧٢) . صحفي أمريكي . عمل بالصحافة مراسلا ومساعدا للتحرير . ثم أصدر جريدة « الهرالد النيويوركية » (١٨٣٥) . واستطاع في أقل من سنة أن ... وبفضل تجديداته أصبحت الهرالد علما

صفحة من الموسوعة الميسرة ١٩٦٥م،

مطبعة مصر التابعة للدار القومية للطباعة والنشر

شفقة ونُصحاً ، فأنزل كتابى إليك كمداوى حبيبه ، يسقيه الأدوية الكريهة ، لما يرجُو له فى ذلك مِنَ العافية والصحة .

وصف عمرو بن العاص مصر لسيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

مصر تُربةٌ غبراء ، وشجرةٌ خضراء ، طُولها شهر ، وعرضها عشر[1] ، يخُطّ وسطها نهر ميمون الغَدَوات ، مُبارَك الروحات ، يجرى بالزيادة والنقصان كجرى الشمس والقمر ، له أوان تظهرُ به عُيون الأرض ويَنابيعها ، حتى إذا أصلح عجاجه ، وتعظمت أمواجه ، لم يكن وُصول أهل القرى إلى بعض إلا فى خِفافِ القَوارب[2] وصِغار المراكب ، فإذا تكاملت زيادته نكص[3] على عَقِبيه كأوّل ما بدأ فى شِدّته ، وطَما[4] فى حِدّته ، فعند ذلك يخرجُ القوم ليحرُثوا بُطُون أوديته وروابيه فيبذرون الحَبّ ، ويَرجُون الثمار من الرب ، حتى إذا أشرق وأشرف ، سقاهُ من فوقه النَّدى ، وغذاه من تحته الثّرى ، فعند ذلك يدرُّ حلابهُ ، ويغنى ذبابه — فبينما هى يا أمير المؤمنين درة بيضاء ، إذا هى عنبرةٌ سوداء ، فإذا هى زبرجدةٌ خضراء ، فتبارك الله الفعال لما يشاء .

وصف حرب لأبى منصور الثعالبى النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ

عند ما دارت رَحا الحرب ، صَمَتَت الألسنة ، ونَطقت الأسِنّةِ ، وخطبت السُّيوف على منابر الرِّقاب ، وأقلمت الرماح على الخطط الصِّعاب ، وتلاصقت القنا والقنابل[5] ، وتعانقت الصَّوارم[6] والمناصل ، وبلغت القلوب الحناجر وأدركت السيوفُ المناحرَ ، وضاقَ المجال ، وتحكَّمت الآجال ، فلا ترى

(١) أى عشر ليال ، لأن عادة العرب السير فى الليل .
(٢) السفن الصغيرة . (٣) رجع . (٤) ارتفع .
(٥) القنا : الرماح ، والقنابل : جمع قنبل ما بين الخمسين فصاعداً من الخيل .
(٦) السيوف القاطعة ، وكذا المناصل .

صفحة من كتاب جواهر الأدب ١٩٦٥م، المكتبة التجارية الكبرى بمصر

ويلاحظ في الصفحتين السابقتين، بالإضافة إلى توسيط الفواصل وفصلها استخدام الياء غير منقوطة في نهاية الكلمات (ى) بصفتها طبعت بمصر

٦- تزوير كتاب تاريخ عسير باسم محمد بن مسلط

إن القارئ لكتاب "تاريخ عسير خلال خمسة قرون... رؤية تاريخية" والممهور باسم محمد بن مسلط، والذي نشر عام ١٤١٣هـ كما ورد في المقدمة بدون تحديد دار النشر، عندما يقرأ ما ورد في مقدمة الناشر (المجهول) في الكتاب من أن الكتاب قد طبعت الطبعة الرابعة منه عام ١٤٠٢هـ بدار الأمان ببيروت قبل طباعة هذه النسخة، أي أن النسخة الموجودة هي الطبعة الخامسة، بينما لا يوجد أي أثر للكتاب في الكتب التاريخية التي كتبت عن عسير فيما قبل ظهور هذه النسخة كما لم يشر أحد إلى محمد بن مسلط كمؤلف أو مؤرخ قبل ورود اسمه في هذا الكتاب، وعندما يرى طريقة العرض في المقدمة ثم يرى المتن الذي يحمل نفس بصمات كتاب إمتاع السامر من حيث الأسلوب، وكثرة الاستطراد، والأخبار المتشابهة والمكملة لبعضها، والتجرؤ على رواية الغرائب، يدرك بما لا يدع مجالاً للشك أن اليد التي زورت إمتاع السامر هي ذاتها التي كتبت "تاريخ عسير".

فمنذ بداية الكتاب نجد أن المؤلف وهو "محمد بن مسلط" الذي هو شخصية حقيقية معروفة أشار لها ابن هذلول[١]، كما وردت إشارةٌ له في ترجمة أمير عسير من قبل الدولة السعودية (عبدالعزيز بن إبراهيم) عندما حمل رسالة طلب آل عايض تسليم أنفسهم إلى ابن إبراهيم[٢] مما يدل على أنه كان من المقربين للسلطة في حينه تجمعه الكثير من القواسم مع صنوه شعيب الدوسري مؤلف إمتاع السامر، فظروف حياة محمد بن مسلط مؤلف هذا الكتاب، وشعيب الدوسري مؤلف إمتاع السامر تكاد تكون متشابهة في آخر حياتهما، فقد كانا من المقربين للسلطة بعد تسليمها من قبل العثمانيين إلى حسن بن عايض، لذا فقد نُقِل الطرفين إلى الرياض عندما دخلت الدولة السعودية إلى عسير واستقرا هنالك حتى توفيا، ولم يعقبا، مما يدل على تواصل الطرفين وقرب مصدر التزوير منهما.

فقد نقل محمد بن مسلط مع آل عايض إلى مدينة الرياض كما يقول ابن هذلول[٣]، وهو ما يجعلنا نرجح وبقوة أنه من بقية أسرة آل مسلط التي ينتمي لها أمير عسير/ سعيد بن مسلط، وهو ما جعل ابن هذلول في الطبعة الثانية من كتابه يذكر أنه من أقارب حسن بن عايض (افتراضا،

---

(١) ابن هذلول، سعود، تاريخ ملوك آل سعود، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ، ١٢١.

(٢) أبو راس، عبد الله بن سعيد بن أحمد، رجال حول الملك عبدالعزيز ١ عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ص١٦٦.

(٣) بن هذلول، سعود، تاريخ ملوك آل سعود، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ، ١٢١.

أو نقلاً)، إلا أن المجموعة أوردت نسبه بطريقة ملتوية، فقد جاء نسبه بقلم الناشر المزعوم (والمجهول) كالتالي:

"هو: محمد بن مسلط بن عيسى الوصال من آل الوصال أحد بطون بني بشر بن حرب بن ربيعة بن عنز بن وائل، وهو قاسط بن هنب بن دعمي بن جديلة بن أكلب بن ربيعة بن نزار"[١].

وطريقة رواية نسب محمد بن مسلط هنا تماثل طريقة رواية الأنساب في إمتاع السامر من حيث محاولة خلط الأوراق مبدئياً، وإعطاء إيحاءات سفلية للعقل الباطن للمتلقي، وإبقاء الخيارات مفتوحة للمزور في المراحل القادمة، لاختيار النسب المناسب حسب المزاد.

فرغم أنه ومن خلال تسلسل النسب الذي أورده للمذكور إلى عنز بن وائل قد أورد انتسابه إلى "بني بشر بن حرب"، و"بشر بن حرب" كما هو متداول في كتب الأنساب هي إحدى بطون قبيلة مذحج والتي أوردت بعض المصادر الحديثة انتساب قبيلة قحطان التي تنتسب لها قبيلة بني بشر المعروفة في المنطقة إليها، إلا أن الناشر المفترض والذي لم يذكر اسمه قد أشار إلى أن بني بشر التي ذكرها في نسبه غير بني بشر القبيلة المعروفة، ومن ثم فإنه ينفي صلتها به ولكنه يورد إشارة خجولة ومتخفية تحمل التلميح لذلك، ويطلق عليه مسمى "البشري"، ولعلنا سنرى بقية القصة في المراحل القادمة والتي ستفيدنا إن كان الأمير سعيد بن مسلط من بني بشر بن حرب أو من عنز بن وائل، وهذا يعتمد على مدى الاستجابة هناك، أو على رغبات الداعمين.

وأخبار كتاب "تاريخ عسير" تكاد تكون تكملة حرفية لكتاب إمتاع السامر، وتسير على نفس الخط والطريقة والأسلوب وبنفس الجرأة، فقد وصلت الجرأة على الكذب في كتاب "تاريخ عسير" أنه روى أن دولة بني زياد ودولة بني الطاهر في اليمن هي دول متفرعة من إمارة آل يزيد المزعومة في عسير[٢]، كما أورد أسماء أمراء بني يزيد بن معاوية الذين حكموا إقليم عسير، فسرد ستين اسماً ادعى أنها أسماؤهم، وحدد بدقة فترة حكم كل منهم بحيث أثبت أنه لم يحدث أي فراغ في الحكم في عسير منذ عام ١٣٢هـ وحتى ١٢١٦هـ[٣]، بينما لم يأت ذكر أي الأسماء التي ذكرها عبر هذه الفترة في أي مصدر آخر من المصادر المعروفة.

---

(١) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٩.

(٢) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٣٥ - ٤١.

(٣) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٣٤، ٣٥.

والسرد في هذا الكتاب يسير في نفس سياق السرد الموجود في إمتاع السامر فقد أسهب في الحديث عن هروب علي بن محمد بن يزيد بن معاوية إلى عسير وإقامته لدولة يزيدية في عسير وتتابع أمراء آل يزيد من بعده[١] وأسترسل في سرد أحداث الحروب العسيرية مع بني رسول[٢] ومع الغز ومع خصومهم في الأحساء ونجد[٣] وغيرها، وامتداد نفوذهم إلى ما وراء البحار، ومن ذلك أنه ذكر أن أمير عسير عام ٩٢٣هـ اسمه إبراهيم بن عائض بن علي بن وهاس، وكان نفوذه يمتد على الخليج العربي وقاعدة جيوشه هنالك كانت في سلوى[٤]، وقد وجه قوات ضمنها بني مرحلة من بني عائذ من آل الصقر من مذحج عام ٩٢٩هـ إلى مقرن الجبري لدعمه ضد البرتغاليين، ثم ذكر أن أمراء آل يزيد أرسلوا في عام ٩٤٢هـ قوات من القبائل لحماية بحر فارس القرن ـ الكويت ـ إلى عمان من الغزو البرتغالي[٥]، كما ذكر أن عسير وقفت إلى جانب الدولة العثمانية عندما انطلقت للدفاع عن أرض الإسلام ضد الغزاة البرتغاليين في القرن العاشر[٦]، في إشارات متممة للسرد الذي ورد في إمتاع السامر لنفس الأحداث[٧]، وأشار إلى أن أمير عسير من عام ٩٨٩هـ إلى عام ٩٩٨هـ هو ثامر بن عبدالله بن إبراهيم اليزيدي ثم خلفه أخوه سالم بن عبدالله بن إبراهيم من عام ٩٩٨هـ إلى ١٠٠٥هـ وهو الذي جهز قوة تمكن بها من إخراج علي بن إبراهيم من تهامة عسير واحتلال إمارته[٨] التي كان مقرها "حلي"، وذكر بأن إمارة مكة كانت في تلك المرحلة تعتمد في وجودها على دعم أمراء آل يزيد في غالب الأحيان كما زعم، وكان آخر ذلك الدعم عام ١٠٧٨هـ حيث أقصوا شريف مكة وولوا الحرث بن حرق الأشدق الأموي[٩]، أما في عام ١٠٤٥ ـ ١٠٥٥هـ فيذكر أن أمير عسير اسمه عبدالرحمن بن علي من آل يزيد وكان يمتد نفوذه على حلي والقنفذة ويخوض حروباً متواصلة مع شريف مكة زيد بن محسن حول النفوذ عليهما، وأسهب في التفاصيل.

ولكننا عندما نقرأ ما ذكره المؤيدي في وثيقة "التحفة العنبرية.." عن الوضع السياسي في

---

(١) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٢٩، ٣٠، ٣٣، ٣٤، ٥٨.

(٢) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٤٧.

(٣) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٤٥، ٤٧.

(٤) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص١٤٥.

(٥) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص١٤٥

(٦) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص١١٩.

(٧) إمتاع السامر (ن د)، ج٢/ ص٣٢١، ٣٢٢.

(٨) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٢٠.

(٩) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٢٧.

عسير خلال هذه الفترة والذي يؤكد عدم وجود أي قوى سياسية سوى المشيخات القبلية المحلية المتفرقة بعد أن حضر تحت حماية أحد شيوخ قبيلة عسير وتوقف في مناظر "أبها"، في طريقه إلى ذهبان (الخميس)، فبويع هناك إماماً على بعض القبائل المحلية لمدة اثني عشرة عاما بين عامي ٩٩٤هـ و١٠٠٦هـ[١]، فإننا ندرك كيف أن كل ما ذكره المزورون من أحداثٍ تتقاطع مع فترة وجوده في عسير يثير السخرية، ناهيك عن عدم وجود أي ذكر لهذه الإمارة والأحداث في جميع كتب التاريخ.

ويسير هذا الكتاب على نفس خط إمتاع السامر في محاولة إثبات تفرد آل عايض في تسيير التاريخ العسيري، ومحاولة تهميش دور أهل الدار(عسير) ونفي تاريخهم بكل الطرق، ومن ذلك قوله:

"ثم انفرد المتصرفان السلف والخلف بعضهما مع بعض وأسر له بأهمية آل عائض في المنطقة وضرورة التعاون معهم والأخذ بإرشاداتهم، فإنهم بحقيقة الأمر أهل الحل والعقد فيها، ومن خالفهم لا يستطيع أن يجد في المنطقة من يتعاون معه، فعسير سراة وتهامة ممثلة في البيت العائضي، ومهما اشتد الضغط للفصل بين المكان وسادته فلن يجدي، فأهل عسير يدركون أن عز عسير إنما هو بآل عائض فعليك أن تصطفيهم"[٢].

ومنه ما نقله في خطبة زعم أنه قالها عايض بن مرعي عام ١٢٥١هـ موجهة إلى الناس في عسير، وتحمل تهديداً لمن يتقاعس عن المشاركة في الحرب ضد الدولة العثمانية من العسيريين فيقول:

"فمن شاء منكم أن ينضم إلينا وليعلم أنه ليس أمامه إلا الموت فأهلاً فنحن وإياه قوة واحدة، ومن رغب أن يخنع ويخلد إلى الراحة فهو وشأنه وليتحمل أهله تبعة تخاذله إن جاء العدو"[٣].

وأيضاً فإنه وبذات النَّفَس الموجود في إمتاع السامر يحاول تهميش دور أمراء عسير جميعاً

---

(١) محمد علي المؤيدي، التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية، ورقة ٣٢٢ - ٣٣٨، اقرأ النص في هذا الكتاب في فصل الحالة السياسية والاجتماعية في عسير فيما قبل إمارة محمد بن عامر أبو نقطة.

(٢) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص١٩٧.

(٣) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٩٤.

وإعلاء شأن عايض بن مرعي وابنه محمد ثم يورد أسماء بقية أبناء محمد بن عايض كأمراء لعسير على غير الحقيقة، فقد سرد تاريخ أمراء آل يزيد الذين زعم وجودهم في عسير قبل عهد آل المتحمي في ثمانية وأربعين صفحة[١] ثم سرد تاريخ أمراء آل المتحمي في الحواشي في ثلاث صفحات ونصف مع محاولة التقليل من شأنهم وأدخل معهم في القيادة من أسماه "يحي بن مرعي"[٢] وقال بأنه اخو عايض بن مرعي، ثم أفرد لحمود أبو مسمار والحسن بن خالد ثلاثة عشر صفحة[٣] بينما خصص لسعيد بن مسلط وعلي بن مجثل فقط خمس صفحات[٤]، ثم أفرد لسرد تاريخ عايض بن مرعي وابنه محمد خمسين صفحة[٥]، ثم أفرد لعدد من الأسماء من أبناء عايض بن مرعي وأحفاده ممن ادعى أنهم كانوا أمراءً لعسير أثناء وجود الدولة العثمانية أربعين صفحة[٦]، ثم أفرد لحسن بن علي بن عايض مائة صفحة[٧]، وهذا السرد الذي ليس سوى مجموعة من الأكاذيب الجريئة والأماني والأحلام التي نسجها الخيال الخصب الذي يدركه كل من قرأ هذا الكتاب بتمعن يؤكد على سيره على نفس خط إمتاع السامر بالضبط في محاولة إعطاء عمقاً وشرعية تاريخية لحكم عايض بن مرعي وابنه والتشكيك في شرعية وصول أمراء عسير الحقيقيين إلى السلطة.

وعلى نفس خط إمتاع السامر في مغازلة بعض القبائل الكبرى في المنطقة، نجده يروي الأحداث التاريخية بشكل مقلوب تماماً، فبينما ذكر المؤرخون وشهود العيان المعاصرين لآخر أحداث الدولة العثمانية وما بعدها انضواء قبيلة قحطان بقيادة ابن دليم إلى الإدريسي ضد العثمانيين ثم ضد السلطة في عسير التي استلمها حسن بن عايض من العثمانيين وانضمامهم إلى جيوش الإدريسي المحاربة لها في البطحاء ثم إلى جيوش الدولة السعودية في حجلا ثم في الخميس كما سيأتي معنا، فإن المزورين لا يخجلون من أن يوردوا القصة بشكل مقلوب ومناقض للحقيقة تماما، فقد أصبحت قبيلة قحطان هي التي كانت تحارب ضد الإدريسي في البطحاء وإلى جانبها فقط (بعض عسير) وهذا نص الرواية كما أوردوها في الكتاب:

---

(١) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٢٩ - ٦٦.
(٢) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٦٧ - ٧٠.
(٣) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٧٠ - ٨٢.
(٤) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٨٣ - ٨٧.
(٥) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٨٨ - ١٣٨.
(٦) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص١٣٩ - ١٧٩.
(٧) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٦٧ - ٧٠.

"ما أن حطت قوات الإدريسي رحالها في البطحاء بعد غروب الشمس حتى فوجئت بقوات عسير قد أحاطت بها بقيادة محمد بن عبدالرحمن بن عائض ومعه قبائل قحطان التي التفت حوله بسرعة مع بعض رجال عسير ممن جاء معه من أبها، وما هي إلا جولة حتى شعرت قوات الإدريسي بالضعف والخوار واستسلمت، وقد تأكدت أنه لا قبل لها بالقتال"(١).

أيضاً فإن محمد بن مسلط ذاته والذي ذكر الناشر أن تاريخ وفاته كانت في أول يوم من عام ١٣٧٣هـ، يستخدم في السرد عبارات حديثة لم يدرج استعمالها في مرحلته مثل:

"حرية الرأي"(٢)، *"يتقبل المجلس انتقادات المواطنين وآرائهم"*(٣)، *"مجلس رئاسة البلاد"*(٤) وغيرها كثير.

أما نصوص الرسائل والخطب ففيها العجب، فقد أورد رسالة باسم الإمام محمد بن سعود موجهة لمن أسموه "محمد بن أحمد اليزيدي" في عام ١١٧٩هـ، يشير فيها إلى نسب ابن سعود بقوله "المرادي" مصادقاً على ما انفرد به كتاب "إمتاع السامر" من روايات حول رحيل جد الأسرة السعودية الذي أسموه "محمد بن سنان المرادي" من تثليث بأمر أحد أمراء آل يزيد لمساعدة صلاح الدين في تحرير بيت المقدس، ومن هناك تنقل حتى انتهى به المطاف إلى الدرعية(٥)، ويشير أيضاً في الرسالة إلى نسب من سماه "محمد بن أحمد" (جد آل عايض المزعوم) بـ "اليزيدي"، ويطنب في مدح أسرة آل عايض والإشارة إلى دور أجدادهم (بني أمية) في التاريخ الإسلامي، منافساً بذلك شعراء "إمتاع السامر"، ومما جاء في الرسالة:

"من محمد بن سعود بن مقرن المرادي إلى محمد بن أحمد اليزيدي"

إلى أن يقول: *"وأنتم أهل بيت لهم قادمة في الإسلام، وجهوده في نشره، وباع طويل في الفتوحات الواسعة، وكان لهذا البيت منزلة عظيمة في الإسلام ومكانة جسيمة،*

---

(١) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٢٢٢

(٢) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٥٩

(٣) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٥٩

(٤) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٥٩

(٥) إمتاع السامر (ن د)، ص٥٣، ٥٤

هدى الله برجاله الأمم، وأنتم إن شاء الله فرع كريم من أصل كريم، تقتدون بسلفكم، وتوصون بذلك خلفكم.

لقد حافظتم على العقيدة في عسير، ووقفتم في وجه أصحاب البدع والظلال، وصرتم أقرب الناس إلينا، وأعزهم علينا، فوجب منا المذاكرة في أمور تهم المسلمين"[(١)].

ثم يرد عليه محمد اليزيدي في نفس العام بفوقية كبيرة وفلسفة قومية ودينية بعيدة المرام كما هي عادة أمراء آل يزيد في هذه الكتب، ويستخدم في رسالته عبارات بلاغية غريبة على مرحلته كقوله "فهموها بشكل خاطئ"، و"لما يطرق أسماعنا" و"نلبسها ثوب الدين"، و"لمد النفوذ"[(٢)].

بل ويكرر الإشارة لنسب الأسرة السعودية بنفس ما ورد في كتاب إمتاع السامر في نص الرسالة التي زعم أنه أرسلها حسن بن عايض إلى شريف مكة فيقول عن الملك عبدالعزيز فيها:

"فأكثر من حوله من قحطان، وهي قبائل ذات بأس ومنعة، ولها أخلاق، ودين تدافع في سبيله، وأما بنو حنيفة وبنو تميم فقد تفرقت في الآفاق، ولم يعد لها رابط القبيلة، ولم يكن ابن سعود من بني حنيفة، وإنما هو من قحطان دخلت عشيرته في عداد عنز بن وائل".

والأجمل أنه أورد نص رسالة مشفوعة بقصيدة على لسان عايض بن مرعي أرسلت في عام ١٢٥١هـ فاستخدم فيها بنفس طريقة إمتاع السامر كلمات كـ "العُرْب" و "الشعوب"[(٣)]، ثم يستخدم عايض في إحدى الخطب عام ١٢٥١هـ عبارات مثل: "قواتنا"، و"الاتجاهات"[(٤)].

كما أورد خطبة للشيخ عبدالله بن راشد عام ١٣٣٨هـ يقول بأنه ارتجلها على المنبر في صبيا أثناء زيارته للإدريسي، فامتدح ابن عايض وذم الإدريسي واستخدم في خطبته عبارة "على أهبة الاستعداد"

---

(١) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٥٦، ٥٧.

(٢) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٦٣ - ٦٥.

(٣) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٩٦، ٩٧.

(٤) تاريخ عسير، باسم محمد بن مسلط، ص٩٦، ٩٧.

ولا أعلم ماذا نحتاج إليه بعد كل هذا، لندرك جيداً وبما يقطع الشك باليقين أن هذا الكتاب مزور بالكامل ولا علاقة له بمحمد بن مسلط رحمه الله.

كما أن وثيقة إبراهيم الحفظي التي نشر باسم تحقيقها الكتاب هي وثيقة مزورة، لأنها انفردت بالإشارة إلى وجود أمير لعسير اسمه محمد بن أحمد اليزيدي، وحتى وإن سلمنا بأن هنالك نسخا من الوثيقة كما يقول البعض[١]، فتزييف الوثائق أو التحريف في الوثائق الحقيقية أسهل بكثير من تزوير الكتب.

وقد وجدت الكثير من المؤرخين في عسير لا زالوا يستخدمون كتاب "تاريخ عسير" كمرجع لمعلوماتهم، بما في ذلك كتب صدرت عن جهات رسمية[٢]، مع أنه كتاب مزور لا صحة لنسبته لمحمد بن مسلط رحمه الله. واستمرار هذه الحالة يعد خطأ كبيراً، إذ لا يصح اعتماد مثل هذه الكتب المزورة كمصادر تاريخية يأخذ كل منها ما يرغب لدعم توجهه، ففي ذلك إساءة لمصداقية الرواية التاريخية، وإعطاء الصبغة الشرعية للعبث بالتاريخ.

٧. تحريف كتاب عبدالله بن مسفر

إن القارئ لكتاب عبدالله بن مسفر رحمه الله المسمى "السراج المنير في سيرة أمراء عسير" لا يمكن أن تنازعه الحكمة في إدراك التحريف وإقحام الكثير من الحشو في المتن الذي يستوعب تناقضه مع السرد الأساسي كل من قرأه من حيث تكرار سرد الروايات بأكثر من وجه يناقض بعضها بعضاً في المقطع الواحد مما لا علاقة للشيخ به، فخرج الكتاب حاملاً كماً من التباينات في الرؤى، مما يجعل القارئ غير قادر على تحديد وجهة المؤلف أو رأيه حول الأحداث التاريخية والأخبار التي رواها بأكثر من وجه في كل صفحة، وقد صدر باسمه بعد وفاته كتاب "أخبار عسير" وقد حمل الكتابين نفس الفكرة ولكنها كانت أكثر تجرءاً في التحريف في كتاب "أخبار عسير"[٣].

---

(١) آل قايع، أحمد، دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية، الطبعة الأولى١٤٢٧هـ، مطابع الحميضي، ص٥٤.

(٢) كمثال، راجع الكتب التالية:

١ـ موسوعة المملكة العربية السعودية، المجلد العاشر، منطقة عسير، من منشورات مكتبة الملك عبدالعزيز، ١٤٣١هـ، ص١٦٤، ١٦٨.

٢ـ أبو داهش، عبدالله، تاريخ اليعسوب في فكر وأدب أهل الجنوب، مطابع الحميضي، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ، ص١٠٠٣، ١١٧٩، ١٢٠٤.

(٣) بن مسفر، عبدالله بن علي، السراج المنير في سيرة أمراء عسير، ص٢٩؛ وانظر أخبار عسير المنسوب لنفس المؤلف، ص٣٢.

فقد كتب الأول منهما حسب ما ورد فيهما قبل الثاني ومهر بتاريخ صدور ١٣٩٨هـ، ثم صدر الثاني وظهر بعد وفاته، والكتابين حسب ما ورد في المقدمة عبارة عن نسخة واحدة إلا أن المؤلف رأى أن في الأول "نقصاً وخطأً في بعض البحوث وتوزيعها" فأعاد نشره بصيغة جديدة وبحواشي سفلية وعنوان جديد وقد أورد في تعليل ذلك قوله: "على رأي بعض الإخوة الذين عاشوا بعض أحداث المنطقة" ـ على حد قوله ـ (قلت: ومن هنا نتفهم كيف وصلت مدونته الحقيقية إليهم وربما أوكل إليهم نشرها)، والمثير أنه أضاف أيضاً في مقدمة كتاب "أخبار عسير" تحت عنوان "هذا الكتاب" أنه استفاد في عمله هذا من الكتب المعروفة والمراجع المشهورة، وأسند الرواية إلى أصحابها للأمانة العلمية وشدة حرصه على التثبت في صحة النقل[1]، مما يفترض معه أن الشيخ رحمه الله كان يعرف منهج البحث التاريخي وأهمية الإسناد إلى المصادر في الرواية التاريخية وضرورته ومن ثم حرص على توخيه في الإصدار الثاني، ولكن الكتاب كان بعيداً تماماً عن إتباع هذا المنهج، فقد وضع مجموعة كبيرة جداً من الأخبار الغير مسندة لأي مرجع في كتاب "أخبار عسير"، كتاريخ جرش وأحداث أمراء آل يزيد[2] أو أسماء وأخبار حروب أمراء آل يزيد مع الدولة السعودية الأولى[3] أو سلسلة شجرة أمراء آل يزيد من عايض بن مرعي إلى يزيد بن معاوية التي أوردوها[4]، أو غيرها من الأخبار القديمة التي حشي بها معظم الكتاب دون ربط أخباره بمصادرها بينما لم ترد لدى غيره من قبل.

وهنا وكمثال بعض المقتطفات مما ورد في السراج المنير من تناقضات متتالية حول دخول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لعسير:

في ص ٢٥ (النقل مختصر بتصرف) وضع عنوان "أسماء أمراء مناطق عسير في عصر ظهور الدعوة السلفية" ثم قال:

"على إثر الخلافات التي كانت سائدة بين سكان التهائم وجبال اليمن وكذلك قبائل عسير السراة نشأت إمارات محلية أهمها:

---

(١) أخبار عسير (أ ع)، المنسوب لعبدالله بن مسفر، المكتب الإسلامي، ص٦.

(٢) المصدر السابق، ص٢٠، ٢١.

(٣) ابن مسفر، عبدالله، السراج المنير في سيرة أمراء عسير (س م)، مؤسسة الرسالة - بيوشران، الطبعة الأولى - ١٣٩٨هـ ص٢٧ـ ٣٠.

(٤) المصدر السابق، ص٨٥.

١ـ إمارة آل المتحمي التي نشأت على يد حمود بن هملان ومحمد بن عامر الرفيدي والمكنى بأبي نقطة وذلك على قبائل سراة عسير ورجال ألمع ومحائل وما يليها، وقاعدة هذه النواحي هي بلدة "طبب"..... الخ.

٢ـ إمارة آل شكبان في بيشة وقد أسسها سالم بن عبدالله بن شكبان.... الخ.

٣ـ إمارة عرار بن شار.... وقاعدة هذه النواحي (درب بني شعبة)... الخ.

٤ـ إمارة الشريف منصور بن ناصر الحسني على قبائل صبيا.... الخ.

٥ـ إمارة الشريف حمود بن محمد الحسني على قبائل "أبو عريش"... الخ.

٦ـ مشيخة صالح بن عبدالملك على قبائل وادي (مور).... الخ ".

٧ـ إمارة صالح بن يحي العلفي على قبائل "باجل"... الخ[١].

ثم في ص ٢٧ وما بعدها من باب " تاريخ المنطقة الحديث"، وتحت عنوان "ظهور السلفية في نجد"، يسرد قصة ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب وبدأ التحالف مع محمد بن سعود ثم انتشار الدعوة إلى أن يقول:

" انتقلت الدعوة إلى المناطق المجاورة لبلدة الدرعية ثم إلى سائر أطراف نجد، وحكم الإمام محمد بن سعود قبيل وفاته عام ١١٧٩هـ مملكة واسعة امتدت من أطراف بيشة والتحمت قواته مع قوات الأمير محمد بن أحمد اليزيدي أمير عسير حينذاك وهو من أولاد عمومة (عايض ابن مرعي) و(علي بن مجثل) و(سعيد بن مسلط)، وانهزمت، قوات عسير على الرغم من أن هذا الأمير العسيري قد جهز قوة وصلت إلى نجد ونزلت بمكان في وادي حنيفة إلا أن هذه القوة قد أبيدت، ولم ينج منها أحد، وسمي مكان نزول هذه القوة بمحطة عسير"[٢].

نلاحظ في ص٢٥ أنه عند بداية الدعوة السلفية في نجد كان محمد بن عامر أبو نقطة هو أمير عسير ولكن السرد ص٢٧ يناقض ذلك ففيه أن محمد بن أحمد اليزيدي كان هو أمير عسير وخاض حروباً كثيرة مع الدولة السعودية !.

ثم يسرد بقية غزوات محمد بن سعود في نجد إلى أن توفي ثم يبدأ بغزوات الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى أن يقول:

---

(١) المصدر السابق، ص٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧.

"كما سبق أن غزا ابنه سعود مقاطعة "الخرج" ومنطقة "الأفلاج" ووادي "الدواسر" حتى وصلت غزواته إلى مقاطعة "عسير" غرباً وساحل البحر الأحمر ثم "عمان" جنوباً، ولم يكتف بذلك فشرع في إرسال الرسائل إلى أمراء عسير السراة وتهامة وهم: (محمد بن عامر الرفيدي أبو نقطة) وأشراف "أبي عريش" و"صبيا" و"عرار بن شار الشعبي" و"سالم بن شكبان" أمير بيشة شهران، وأرسل كتاباً خاصاً إلى الأمير "محمد ابن إسماعيل الصنعاني"، وقد دعا المذكورين إلى الاتفاق والتعاون لإعلاء كلمة التوحيد....."

إلى أن يقول: *"ومازال يحث أمراء ووجهاء مقاطعة عسير على الدخول في الطاعة وتجديد معالم الدين. أما محمد بن عامر أبو نقطة فتلقى دعوة الإمام عبدالعزيز بالقبول وأجابه بالانقياد، كما بعث إليه قصيدة من نظم الشيخ العلامة احمد بن محمد الحفظي مؤيداً ظهور الدعوة السلفية. وكذلك أيدالدعوة السلفية كل من سالم ابن شكبان من رؤساء بيشة وذلك على يد أمير الدواسر حينذاك "ربيع بن زيد"، والأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني".*

ومن خلال السرد هنا فإن الكاتب يقول بأن محمد بن عامر أبو نقطة كان أحد أمراء المقاطعة الذين راسلهم الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، بصفته أمير عسير التي كانت على خلاف مع قبائل التهائم واليمن في عهده، ويؤكد ذلك بإيراد رد محمد بن عامر أبو نقطة على رسالته عندما يقول بأنه تلقى الدعوة بالقبول، وبعث إليه بقصيدة من نظم الشيخ العلامة (أحمد بن محمد الحفظي) مؤيداً لظهور الدعوة السلفية، مما يعني وبكل وضوح أن السلطة في منطقة عسير كانت بيد محمد بن عامر قبل تواصله مع الدعوة (حسب النص)، لذا فقد كلف الحفظي بكتابة قصيدة وبعثها رداً على رسالة ابن سعود إليه، وهذا النفوذ على رجال العلم ومراسلة الأمراء لا يكون إلا لأمير ذي نفوذ، مما يؤيد ما ورد في السرد، ولكنه عاد مرة أخرى ليرمي كل ذلك جانباً في نفس السرد فيقول بعد ذلك مباشرة:

وفي عام ١٢١٣هـ غزا أمير الدواسر "ربيع بن زيد" بأهل البوادي وبعض قبائل قحطان، ونازلوا بلدة "بيشة"، وحاصروها حصاراً شديداً ثم استولوا عليها بعد قتل الأمير "مرعي بن محمد" والد الأمير "عايض بن مرعي" أمير عسير في المستقبل ورأس أسرة آل عايض التي حكمت المنطقة فيما بعد، والذي نسبت إليه السراة فيقال "طور ابن مرعي" عند قبائل نجد. وقد دخلوا بعض نواحي المنطقة عنوة وبعضها الآخر صلحاً، وأصدر الإمام عبدالعزيز أمراً بتعيين "سالم بن شكبان" أميراً على مركز "بيشة" وما يجاورها لصلاح نيته وصدقه في نشر الدعوة. وفي هذه السنة انتشرت الدعوة السلفية في عسير وتلقاها محمد بن عامر أبو نقطة بعد قتله الأمير محمد بن أحمد اليزيدي، وقد بايع أهل عسير على السمع والطاعة".

وهنا نجد تناقضاً وتداخلاً في الرواية بيد واحدة وفي صفحة واحدة، فالمؤلف يخبرنا عن وجود أميرين لنفس المنطقة ونفس الأرض، فالأول وهو محمد بن عامر أبو نقطة والذي أورد اسمه كأحد أمراء المنطقة مع بداية ظهور الدعوة السلفية في نجد وذكر أن ابن سعود أرسل له رسالة بصفته أمير للمنطقة (أي قبل وصول الدعوة إليها) فأبدي القبول والانقياد لدعوتها، وأمر أحد العلماء بكتابة قصيدة على لسانه لتأييدها، ثم يقول أن هنالك أمير آخر لعسير، وهو محمد بن أحمد اليزيدي كان يخوض الحروب مع الدولة السعودية في بيشة، ويخبرنا عن مقتل والد عايض بن مرعي في هذه الحرب!؟.

من الواضح من خلال هذه الازدواجية في السرد أن هنالك مقاطع أصلية كتبت بيد الشيخ رحمه الله وهنالك مقاطع أقحمت بينها بيد المزورين، فنتج عنه ازدواجية في الرواية أشكل معها الوصول إلى رؤيا واضحة حول رواية المؤلف عن تلك المرحلة، وسنقوم هنا بمحاولة فرز بعض الإضافات الواضحة في المتن في استكمال نفس السرد للتوضيح، حيث يقول عقب ذلك:

"حكم الإمام محمد بن سعود قبيل وفاته عام ١١٧٩هـ مملكة واسعة امتدت إلى بيشة" فيضيف المزور ما يلي: *"والتحمت مع قوات الأمير محمد بن أحمد اليزيدي أمير عسير وانهزمت قوات عسير رغم أن هذا الأمير العسيري قد جهز قوة وصلت إلى نجد ونزلت بمكان في وادي حنيفة"*.

ثم يعود بعدها مباشرة مسترسلاً ليقول: *"وفي هذه السنة انتشرت الدعوة السلفية في نواحي عسير وتلقاها محمد بن عامر أبو نقطة"* ثم أقحم المزور بعدها: *"بعد قتله الأمير محمد بن أحمد اليزيدي..."*.

فالخبر هنا لا يتواءم مع بعضه ولا مع الحقيقة المعروفة في الكتب التاريخية ولا حتى مع كل ما أوردته بقية مصادر مجموعة إمتاع السامر والتي تشير إلى أن محمد بن عامر لم يكن أميراً قبل وصول القوات السعودية إلى عسير وعلى رأسها ربيع بن زيد وقتلها لمحمد اليزيدي، كما أن جميع مصادر الإمتاع تشير إلى أن محمد بن عامر تبنى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب منذ وقت مبكر فطرده الأمير اليزيدي فلجأ إلى الدرعية ولم تقل أيها انه كان أميراً أو أنه تقبل الدعوة بعد قتل اليزيدي، مما يجعلنا نقطع بأن هنالك جهتين بتوجهين مختلفين شاركت في تدوين هذا (الدويتو) التاريخي، والهراء الذي نجل الشيخ عن المشاركة فيه والله أعلم.

كما أن مراقبة التعديلات التي جرت في الكتاب الثاني وهو "أخبار عسير" (أ ع) توحي لنا بالتلاعب بالنص الأساسي من قبل المزورين الذين كانوا أقل حياءً في النسخة الثانية، فحاولوا

تكييفها مع بقيئة المصادر الأخرى التي كانت تكتب في الظلام حينها مع محاولة الإبقاء على شيء مما وضعوه من كلام الشيخ في النسخة الأولى قدر الإمكان فكان هنالك ارتباك في الرواية بين الكتابين، فمثلاً في نسخة "السراج المنير" (س م) جاء تحت عنوان "الفصل الثاني.. إمارة آل عائض... ١٢٣٣ ـ ١٢٨٨هـ" ما يلي:

"إن أمراء عسير الموضح بيانهم في هذا الفصل هم بطن من آل يزيد أو آل عايض بن مرعي، (وأضاف في "أ ع": "وقد حكموا المنطقة قرن ونصف القرن من الزمن") وبتسلمهم الحكم انتقلت قاعدة عسير من (طبب) إلى (السقا) ثم إلى (أبها) وأمراء هذه الأسرة هم: ١ـ سعيد بن مسلط، ٢ـ علي بن مجثل، ٣ـ عائض بن مرعي، ٤ـ محمد ابن عائض، ٥ـ علي بن محمد بن عائض (استبعد اسمه من "أ ع" ووضع بدلاً منه "ناصر بن عائض")، ٦ـ حسن بن علي، (في "أ ع" أضاف اسمين قبله وهما "عبدالرحمن بن عائض" و"علي بن محمد")".

ثم أورد في الصفحة التي تليها تسلسل أسرة آل عايض والتي بدأها بمحمد ثم ابنه مرعي ثم ابنه عايض بن مرعي ثم يليه بقية أسرة آل عايض بن مرعي حتى آخرهم[١]، ولكنه في (أ ع) بدأ سلسلة النسب بمعاوية بن أبي سفيان وسلسل النسب حتى وصل إلى عايض بن مرعي[٢].

ومن خلال هذا السرد نجد أن الكاتب في (س م) يتحدث من خلال العنوان عن آل عايض ثم يحددهم بآل يزيد أو آل عايض بن مرعي، ولكنه في تعداد أسمائهم يضيف لهم سعيد ابن مسلط وعلي بن مجثل، أما في الصفحة التالية حين يرسم شجرة سلسلة نسبهم فإنه يعود ليحصرها في آل عايض بن مرعي فقط دون آل مجثل وآل مسلط، وهنا نجد اختلالاً كبيراً في السرد، لذا حاول المزورون تلافيه في النسخة الثانية (أ ع) فأوردوا شجرة تضم ابن مسلط وابن مجثل إلى الشجرة ومدوا تسلسل النسب إلى معاوية بن أبي سفيان، ونقلوا شجرة آل عايض بن مرعي إلى فصل "الأمير عايض بن مرعي"[٣]، مما يدل على ازدواجية واضحة في المعلومة وأن أكثر من جهة وأكثر من رأي كتبت في الكتاب.

كما نلاحظ أن اسم "ناصر بن عايض" لم يرد في نسخة (س م) وهو الذي تنسب له هذه

---

(١) س م، ص٧٧، ٧٨، ٧٩.

(٢) أ ع، ص٨٣، ٨٤، ٨٥.

(٣) أ ع، ص١١.

المصادر إمارة تحت الحصار في مدينة أبها استمرت ست سنوات، لذا اتجه المزورون في (أ ع) إلى إضافة اسمه، مما يدلنا على أن الفكرة لم تكن قد نضجت بالفعل في تلك الفترة، بالإضافة إلى ضرورة وجود شيء مما كتبه الشيخ (الذي كان مريضاً في آخر حياته حينها) مع إضافة جمل بينها لفرض أفكارهم من خلالها ومن ثم وقعوا في عملية التخبط والتناقض الذي يكشف وجود تلاعب في النص.

وتحت عنوان "الأمير سعيد بن مسلط " جاء في (س م) مايلي:

"ينتسب سعيد بن مسلط إلى عشيرة آل يزيد الأموية، وهم فخذ من جماعة أهل (السقا)، وبطن من قبيلة بني مغيد المعروفين بالكرم والبسالة"[١]، ولكن في نسخة (أ ع) تراجع عن النسب المغيدي له فقال: *"ينتسب سعيد بن مسلط إلى آل يزيد الأموية، التي حالفت بني مغيد المعروفين بالكرم والبسالة"*[٢].

وهنا نجد أن المزورين كانوا أكثر جرأة في التحريف فجعلوا سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل حلفاء فقط وأزالوا الحديث عن النسب المغيدي العسيري لهم الذي كان في نسخة (س م).

ويكفي أن نقرأ هذا الانتقاد اللاذع الذي وجهه الأستاذ المؤرخ عبدالله أبو داهش لنقل عبدالله بن مسفر لخطبة الشيخ أحمد بن عبدالخالق الحفظي في كتابه "خطبة الشيخ أحمد بن عبدالخالق الحفظي"[٣] حين قال:

"ولقد اقتبس عبدالله بن مسفر شيئاً من خطبة الحفظي وضمنه كتابه السابق (أخبار عسير)، ولكنه وقع في كثير من: الزيادة، والنقص، والتحريف، مما دعا المحقق في هذا المقام إلى إظهار مواطن الخطل وعقد المقارنة، والمعارضة بين المخطوط الأصل، وما ورد في هذا الكتاب، ولعل ذلك اجتهاداً من المؤلف رحمه الله تعالى، فلقد حدثني الشيخ الحسن الحفظي رحمه الله تعالى بأن المؤرخ عبدالله بن علي بن مسفر حصل على ذلك الاقتباس من لدنه، وأنه زوده بها بعد مطالبة ملحة، فلا أدري هل تم النسخ من الأصل أم غير ذلك؟ مما أوجد هذا الواقع، فالحق أن الأصل المخطوط

---

(١) س م، ص٧٩.

(٢) أ ع، ص٨٦.

(٣) أبو داهش، عبدالله، خطبة الشيخ أحمد بن عبدالخالق الحفظي، ص٣٤.

الذي بين أيدينا لا يقبل الشك، ولا التخمين، وإنما هو اليقين، ولا أقول بأن للأهواء السياسية أثراً في تحريف النص؟."

فهل يمكن أن يكون الشيخ عبدالله بن مسفر رحمه الله مدلساً يغير في أصول المخطوطات بالزيادة والنقصان والتحريف بما يوافق أهواء مجموعة إمتاع السامر، فقد أشار أبو داهش إلى أكثر من ثمانين خطأً في نقل ابن مسفر للوثيقة يتضح فيها محاولة تحوير النص عن مساره لإعلاء مكانة محمد بن عايض وتجنب أي إشارة في النص إلى تبعية الإمارة العسيرية في عهده للدولة العثمانية[١]، بإسقاط بعض العبارات من النص أو إضافة عبارات إليه، مع وضع بعض الأخطاء الجانبية للتظليل على المقصد؟.

ويمكننا ملاحظة أنه حتى من لم يعارضوا مسار الرواية الرئيسية كما وردت في إمتاع السامر واستخدموا كتاب عبدالله بن مسفر كمصدر مشروع للمعلومة يبرؤون أنفسهم من اضطراب رواياته فهذا محمد آل زلفه عند نقله منه يقول:

"يبدوا أن عبدالوهاب أبو ملحة اشترك في المحادثات بين ابن إبراهيم وآل عايض، وقد وردت إشارة إلى ذلك في كتاب "أخبار عسير" تأليف عبدالله بن مسفر، ص١٦٧، بيد أن تلك الإشارة وردت في سياق لرواية مضطربة."[٢]

ولم يخل هذا الكتاب من الجرأة على التلاعب بالحقائق التاريخية المعروفة لاستدراج الحماس القبلي للمشاركة في التزوير، بنفس طريقة إمتاع السامر بالضبط، ففي روايته عن حصار أبها عام ١٣٤٠هـ قال:

---

(١) أبوداهش، عبدالله، خطبة الشيخ أحمد بن عبدالخالق الحفظي، في ص٢٣ يقول الحفظي في الخطبة "وادعيت دعوى عظيمة، مقعدة مقيمة بأنك الخليفة بعد المختار، وأنك متابع طريقته بلا تقصير أو استكبار، فنحن أيها الرعايا نقر لك بذلك بلا إنكار، وندعو لك آناء الليل، وأطراف النهار، تربى على ذلك الكبار وعلموه الصغار ومن عصاك فقد عصى الله، لقول سيدنا محمد ﷺ: عريض بجان من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني. وقد عرفت أن سيدنا محمد ﷺ أمر بإكرام العرب وأمر بالرفق من ولي كما وليت، وجعل الرفق أعظم القرب".

بينما أخفي هذا المقطع في كتاب السراج المنير الذي نقل نص الخطبة نظراً لما يحمل من الإقرار بتبعية الإمارة العسيرية في عهد محمد بن عايض للدولة العثمانية. وهنالك الكثير من المقاطع والعبارات المماثلة التي أخفيت من النص لنفس السبب.

(٢) آل زلفة، محمد، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ص٦٣.

"وبدأ الخلاف بين آل عائض والأمير الجديد، وبين القبائل وموظفي الحكومة، إضافة إلى تحريض الشريف حسين أمير مكة الرؤساء والأعيان ليعملوا ضد ابن سعود.

هاجم آل عائض وبعض القبائل مثل بني شهر قصر الإمارة الذي يقيم فيه العقيلي ومن معه من أهل نجد، واستمر الحصار مدة أسبوع ثم فك الحصار عنهم الأمير حسن بن علي آل عايض، وانسحب العقيلي ومن معه إلى حدود بلاد شهران وبيشة، واستولى الأمير حسن على أبها والقرى المجاورة لها بعد وقوع مناوشات حربية بسوق شهران وجهات قرى آل يزيد الشعف"[1].

والحقيقة أن القبائل التي حاصرت قصر شدا بأبها عام ١٣٤٠هـ كانت قبائل عسير السراة فقط[2]، ولا علاقة لقبيلة بني شهر بهذه الأحداث على الإطلاق، ولم تتداخل قبيلة بني شهر مع الأحداث إلا عام ١٣٤١هـ عندما قدمت حملة الشريف من مكة ومعها الحسن بن عايض فانضمت إليها قبائل تهامة والسراة الشمالية بما فيها بني شهر، بينما وقفت قبائل عسير السراة إلى جانب الدولة السعودية في مواجهة تلك الحملة[3].

ومما تقدم نجد أن كتاب الشيخ عبدالله بن مسفر تعرض إلى عمل مشابه لما فعله اليهود بالتوراة، ولكنه لم يكن بنفس الاحترافية، ونحسب أن الشيخ عبدالله بن مسفر رحمه الله كان أذكى من أن يورد رواياته بهذا الشكل المضطرب الذي لا يقبل أن يورده شخص عاقل ناهيك عن أن يكون أحد رجال القضاء وكاتب عدل أبها في عهد الدولة السعودية، ونحسبه أورع وأتقى من أن يبدل ويحرف في النصوص إرضاءً لفلان من الناس، أو دعماً لاتجاه سياسي، ونظنه يعلم ما في ذلك من خيانة للأمانة، ونرى أنه كان أعقل وأحكم من أن يأتي بهذه التناقضات والتباينات والتداخل في رواية التاريخ في كتاب واحد.

ولكن وعلى العموم ورغم يقيننا بأن كتاب عبدالله بن مسفر رحمه الله قد كتب بوجهتي نظر متباينتين مما يدل على أن عبدالله بن مسفر كتب جزءاً منه وأضيف له جزءاً آخر، فإننا حتى وإن سلمنا جدلاً بأن عبدالله بن مسفر رحمه الله، قد رضي بما أملي في هذه الكتب على كلامه مجاملة

---

(١) ابن مسفر، عبدالله، السراج المنير، ص١٣٤.

(٢) بن جريس، غيثان بن علي، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، (عسير إنموذجاً)، الطبعة الأولى الرياض، ١٤٢٦هـ، نص وثيقة ابن إلياس، ص٤٣٨.

(وهو أمر مستبعد)، فلا شك أن ذلك لا يغير شيئاً في كون كتابيه جزء من عملية تزوير كبيرة تم توريط أطراف كثيرة فيها بطريقة أو أخرى دون علمهم، فهذه الكتب تتشابه في طريقة السرد وفي الأحداث فيما بينها، كما تتشابه مع كتابي "إمتاع السامر" و"تاريخ عسير"، وتنفرد معها في الخبر دون بقية المصادر التاريخية المعروفة، كما أن مؤلفيها جميعاً عاشوا مرحلة بداية التزوير، كما أن معلوماتها مضطربة بشهادة من اعتمدوها كمراجع تاريخية، وتتشابه في اضطرابها، مما ينبئ عن نفس واحد وراءها، ومن ثم فكل هذه الكتب بما فيها كتب عبدالله بن مسفر رحمه الله لا تمثل مصادراً تاريخية حقيقية يمكن أن يستند إليها.

والعجيب ومع كل هذا الوضوح في تزوير وتحريف هذه الكتب وعدم صلاحيتها كمراجع تاريخية، إلا أن هنالك الكثير من المؤرخين في المنطقة وخارجها لا زالوا حتى هذه اللحظة ينقلون عنها كمصادر تاريخية، وبعضهم يكتب لحساب جهات حكومية رسمية[1] يفترض أنها إحدى الجهات المناط بها المحافظة على التراث الوطني من تطاول المزورين.

وهنا فمن حق كل غيور على الحقيقة التاريخية في عسير أن يتساءل عن دور الجهات المسؤولة في وزارة الثقافة والإعلام ودارة الملك عبدالعزيز وما يمكن أن تقوم به من جهود في إيقاف تداعيات هذا العبث على حقيقة تاريخ هذه المنطقة وحماية تاريخ الرجال الذين وقفوا مع هذا الوطن منذ لحظة بناء اللبنة الأولى وحتى هذه اللحظة، وكان لهم الفضل بعد الله في مد نفوذه على هذه الجهات الجنوبية والغربية من الوطن، فإنهم أيضاً يستحقون الدفاع عن سيرتهم وتاريخهم.

---

(١) اقرأ:

١- موسوعة البلاد السعودية، المجلد العاشر، منطقة عسير، من منشورات مكتبة الملك عبدالعزيز، تأليف مجموعة من المؤلفين، ١٤٣١هـ، فقد استند المؤلف في العديد من المواقع إلى هذه الكتب، ومنها على سبيل المثال تاريخ عسير لابن مسلط ص١٦٤، ١٦٨، وأخبار عسير لابن مسفر ص١٦٨؛

٢- عسير تراث وحضارة، إعداد وتصوير وهبي الحريري الرفاعي، بإشراف لجنة يرأسها الأمير بندر بن خالد الفيصل وعضوية مجموعة من الأكاديميين المختصين والأعيان، وقد صادق الكتاب على مجموعة الأخبار التي وردت في هذه المجموعة مثل انتصار عسير على القرامطة عام ٤٥٢هـ وعلى الغز عام٥٥١هـ بقيادة الأمير الذي أسموه / سليمان بن موسى، ص٢١؛

٣- عسير الإنسان والمكان والزمان، بدون مؤلف، بدون تاريخ، الناشر وزارة الإعلام - الشئون الإعلامية - الإعلام الداخلي، وقد روى الكتاب خبر قيام الدولة اليزيدية عام ١٣٢هـ إثر هروب أحد أحفاد يزيد بن معاوية إلى عسير واستمرارها في قيادة المنطقة خلال القرون الإسلامية الوسيطة مصادقاً على رواية مجموعة إمتاع السامر، ص١١.

الفصل الثالث

وسائل المجموعة في الالتفاف على مجهولية رواياتهم في كتب التاريخ المعروفة

١. مجموعة كتب إمتاع السامر ومراجعها المجهولة

استخدمت مجموعة الكتب مجهولة المصدر لدعم رواياتها الغريبة والمنقطعة أسماءً لمراجع تدعي بأنها موجودة وأنها نقلت عنها بعض أخبارها، وقبل النظر في صحة وجود هذه المراجع المزعومة ككتب حقيقية فإن كتاب إمتاع السامر ومجموعته التي خرجت مواكبة له وتحمل نفس الفكرة مثل "تاريخ عسير رؤية تاريخية خلال خمسة قرون" وكتاب "عسير في مذكرات سليمان الكمالي ـ تحقيق أحمد بن حسن النعمي ـ وغيرها، هي ذاتها لم يشر إليها قبل بداية مرحلة التزوير في منتصف فترة التسعينات الهجرية بل إنها لم تظهر للعلن قبل عام ١٤٠٦هـ، ولم يتم الإشارة لأيها كمرجع في أي كتاب آخر، فأين المؤرخين في عسير ونجد ومكة وجازان من هذه المصادر المهمة طوال هذا الوقت، ومن الملاحظات في هذا الخصوص أن كتاب "تاريخ عسير" حسب ما ورد بقلم الناشر المزعوم قد طبع أربع مرات قبل الطبعة التي ظهرت ممهورة بعام ١٤١٣هـ كان آخرها في دار الأمان ببيروت عام ١٤٠٢هـ[١]، بينما لم يعلم بكل هذه الطبعات ولا مؤلفها أحد ولم يشر إلى الكتاب أو مؤلفه في أي مصدر معروف.

وأيضاً فإن المراجع التي ذكرت في هذه الكتب مثل:

١- "الحلل السنية في تاريخ أمراء نجد والدرعية":

المؤلف/ "سالم آل حميد الدوسري" (جد شعيب)

---

(١) تاريخ عسير، المنسوب لمحمد بن مسلط، ص٥.

٢- "متعة الناظر ومسرح الخاطر"
المؤلف / عبدالحميد بن سالم الدوسري (والد شعيب)

٣- "أخبار بني أمية"
المؤلف / عبدالحميد بن سالم الدوسري

٤- "مزيل الشجن في أخبار اليمن"
المؤلف / السيد المطهر (جد آل الأهدل) عصره: مطلع القرن الرابع الهجري

٥- "البرق الوامض في سيرة أحفاد إبراهيم بن عائض"
المؤلف/ محمد بن زين العابدين الحفظي

٦- "التبصير بتاريخ عسير"
المؤلف / عائض بن أحمد الجهري.

٧- "الروض النضير في تاريخ أمراء عسير"
المؤلف / جعفر الحفظي

٨- "المستفيد"
المؤلف / موسى بن جعفر الحفظي

٩- "الرسائل والأجوبة"
المؤلف/ علي بن موسى بن جعفر الحفظي

١٠- "النجوم اللوامع من مختصر التواريخ الجوامع"
المؤلف/ المقداد الحرجي

١١- "المروج الحسان في تراجم الأمراء والأعيان"
المؤلف/ الحنظلي

١٢- "الوشي المحبوك"
المؤلف/ زين العابدين بن ابراهيم الحفظي

١٣- "السلوك إلى تاريخ الملوك"
المؤلف/ محمد بن ناصر آل موسى

١٤- "طبقات العلماء"
المؤلف/ موسى بن جعفر الحفظي

١٥- تاريخ الحرجي والناشري
المؤلفان/ الحرجي والناشري

١٦- شذا الزهر[١]
المؤلف/ ابن مياس

١٧- المقتضب في أخبار من ذهب
المؤلف/ المخضوبي

١٨- الاعتبار في الأخبار والآثار
المؤلف/ المشهوري

١٩- الغصون الدانية في أخبار الأمم الفانية
لم يرد إسم المؤلف

٢٠- الفضائل لما للعرب من شمائل
المؤلف/ المخضوبي

٢١- الخمائل النضيرة في حوادث وأخبار إمارات الجزيرة
المؤلف/ ابن صويري اليمامي الحجري

٢٢- نزهة اللطائف في تراجم الملوك والخلائف
المؤلف/ الشنبه

٢٣- الشامل النقي والوافي الصفي في أخبار بلدان نجد وقرى وادي الفقي والمحبر الشفي في أخبار بلدة أوشي
المؤلف/ قاضي أوشي: حسن بن صالح بن علي بن عثمان العنقري

٢٤- الإعلام بدولة الأعلام
المؤلف/ عبدالله بن غشيان

٢٥- الإعلام بتواريخ وأنساب وسير الأعلام
المؤلف/ حسين بن المطهر الجبلي المضبري الكحيلي

---

(١) من رقم ١٦ وحتى النهاية نقلاً عن إمتاع السامر (ن د)، ج٢/ ص٤٤ – ٤٧.

٢٦- الباج إلى معرفة تراجم من لبس المظلة والخلعة وتقلد السيف والخضرة والنبكة وحمل الريشة والتاج
المؤلف/ محمد بن عبدالهادي الحفظي

٢٧- فتح الرتاج إلى شرح ما تضمنه كتاب الباج
المؤلف/ صالح بن محسن بن محمد بن علي المسبلي الأحمري الحجري الأزدي

٢٨- عجائب القدرة فيما تقوم به القردة من عجائب القدرة
المؤلف/ سعيد الدحناني العكاسي

٢٩- الأسماط الزبرجدية في تاريخ الدولة النجدية
المؤلف/ ابن غيهب

كل هذه الأسماء مجهولة وغير موجودة وغير معروفة مطلقاً، ولم يشر لها أي مرجع آخر قبل ورود أسمائها لدى هذه المجموعة، رغم قدمها المفترض ورغم أنها تتحدث عن قرون متتالية، وعن أحداث متداخلة مع اليمن ومكة والتي تناولها الكثير من المؤرخين بالإضافة إلى أحداث اليمامة والأحساء وعمان ودول الخليج العربي كاملة.

قلت: وإن لم يوقف هذا العبث فستظهر لنا هذه الكتب وغيرها حاملة العجائب والغرائب والسخرية بالمجتمع وبالتاريخ.

ومن أجمل الإشارات التي تنبئ عن حقيقة مصادر الإمتاع، إشارات وجدتها في بعض الكتب رغم أن بعض مؤلفيها ممن استند إلى ما ورد في مجموعة إمتاع السامر من معلومات ومنها:

أ- ما ورد في كتاب "العادات والتقاليد في إقليم عسير" ص٢٤٤، ٢٤٥، حيث يقول المؤلف مايلي:

"وقد ذكر محقق رسالة ابراهيم بن علي بن زين العابدين الحفظي في تاريخ عسير، أن لعائض بن أحمد الجهري مخطوطاً تاريخياً اسمه: "التبصير بتاريخ عسير". وقد سألت الشيخ عبدالله بن عائض بن أحمد الجهري عن هذا المخطوط التاريخي وأين هو؟ فذكر أنه لا يعلم عنه شيئاً، وأضاف أنه كان في المسجد بقرية المخض، التي يسكنها آل الجهري، كثير من المخطوطات، وقد فقدت من ذلك المسجد"[1].

---

(١) آل حامد، عبدالرحمن، العادات والتقاليد في إقليم عسير، ص٢٤٤، ٢٤٥.

- هل يعقل أن ابناً لا يعرف عن كتاب ألفه والده، إلا إذا كان الكتاب لم يكتب بعد؟.

ب- ورد في كتاب "دراسات في تاريخ عسير الحديث" قول المؤلف عن مذكرات جعفر الحفظي في الهوامش عندما نقل أحد الأخبار التي انفردت بها هذه المجموعة ما يلي:

"٥ ـ جعفر الحفظي: نقلاً عن محمود شاكر الذي انفرد بالإطلاع على هذه المذكرات"[١]

- وهنا نجد إشارة من أحد أهم مؤرخي عسير لتفرد محمود شاكر برؤية مذكرات جعفر الحفظي وحجبها عن الجميع غيره حتى من يوافقون خط إمتاع السامر !.

والجميل هو أن حتى محمود شاكر الذي نقل عنه المؤلف قد اعترف بأنه نقل المعلومات مشافهةً من بعض أهالي عسير دون التحقق من وجود المذكرات ذاتها[٢].

ج- أورد علي عسيري نقلا عن عبدالله بن حميد في الدر الثمين قوله أن علي بن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية انتقل إلى عسير وأسس حكم الدولة اليزيدية الذي امتد حتى القرن الثالث عشر، ثم في الحاشية يقول:

"يذكر عبدالله بن حميد أنه حصل على المعلومات السابقة من مخطوط لموسى بن جعفر الحفظي، وللأسف فإني لم أتمكن من الاطلاع على هذا المخطوط رغم اتصالي بآل الحفظي ومحاولتي الحصول على تلك النسخة أو غيرها"[٣].

- وهنا إشارة مماثلة للوثائق (الجعفرية) التي لا تخرج إلا بخصوصية شديدة جداً، ثم تختفي.

د- يقول عبدالله أبو داهش بعد أن عدد مجموعة من الكتب التي وردت كمراجع في هذه المصادر أو من نقلوا منها ما يلي:

"وعلى الرغم من طرافة عنوانات هذه المؤلفات وحسنها يجد الباحث خيبة في العثور عليها، أو اتصاف بعضها بالتوازن الحقيقي مع مستوى الحياة العلمية بجبال السراة"[٤].

---

(١) آل زلفه، محمد، دراسات في تاريخ عسير الحديث، ص٤٣.

(٢) إمتاع السامر (ن د)، ج٢/ ص٣١.

(٣) عسيري، علي، عسير دراسة تاريخية، ص١٥٨.

(٤) أبو داهش، عبدالله، أهل السراة في القرون الوسيطة، مطابع الجنوب بأبها، فهرسة مكتبة الملك فهد ١٤١٧هـ، ص١٦٠

ورغم ذلك فإن جميع هؤلاء قد اعتمدوا هذه المصادر كمراجع في كتبهم بطريقة أو أخرى، فقد اعتمد عبدالرحمن آل حامد جميع كتب مجموعة إمتاع السامر كثيراً في كتابه "العادات والتقاليد في إقليم عسير.." بل وتحمس لأفكارها، بينما كان محمد آل زلفة أكثر حذراً في التعامل مع كتاب إمتاع السامر رغم أنه دافع عن صحة انتمائه للمؤلف الممهور اسمه على غلافه (شعيب الدوسري) وأيد وجود الدولة اليزيدية فيما قبل عام ١٢١٤هـ، أما عبدالله أبو داهش فقد تشكك في صحة أخبارها الرئيسية وفي وجود إمارة يزيدية فيما قبل دخول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ولكنه لم يسهب في ذلك، ولم يحدد موقفه بشكل واضح، رغم أنه نقل عنها في كتبه كمصادر تاريخية، بينما نقل عنها علي عسيري ونقل عن سواها كمصادر مقارنة، ولكنه اعتمد صحة أخبارها في سرده.

٢- التشابه الظاهري بين بعض ما ورد لدى مجموعة الإمتاع وبعض الأخبار التاريخية

أعتبر بعض الباحثين أن إمتاع السامر كغيره من الكتب التاريخية ولكنه يحوي ضعفاً في ما يخص العصر الحديث ومن ثم يمكن دراسة ما ورد فيه حول العصور الأقدم ومقارنته مع المصادر الأخرى لتحديد قيمة ما ورد فيه من الناحية العلمية[١]، وهنا أجد أن المقارنة قد لا تكون مجدية للوصول إلى النتيجة المرجوة إذا لم نعرض الكتاب ومجموعة الكتب المرافقة له ككل متكامل من حيث غرابة أخبارها وعدم وجود تطابق حقيقي مع أي كتاب تاريخي معروف ومجهولية الأفكار الأساسية التي تطرحها في كتب التاريخ الأخرى، فمجرد وجود تشابه بين ما وجد في هذا الكتاب أو بقية الكتب المواكبة له وما وجد في الكتب المعروفة لا يعني بالضرورة أننا أمام كتاب تاريخي حقيقي سواءً اعتبرناه قوياً أو ضعيفاً، لأسباب كثيرة لا تخفى على ذي الفطنة، فما يهمنا ليس إثبات صدق أو كذب شعيب الدوسري بل الأهم هو: هل كتب شعيب الدوسري إمتاع السامر أم لا، لأن هنالك فرق كبير بين الحالتين، أما المصادقة لمجرد أن نجد ما ورد هنا يجاري ما ورد هناك فهذا قول لا معنى له.

إن التشابه الظاهري لبعض الإشارات التي وردت لدى بعض المؤرخين مثل عمارة اليمني، ولطف الله جحاف، والعصامي، وابن فهد، ودحلان، وبعض أخبار كتاب تاميزيه (رحلة في بلاد

---

(١) اعتبر الأستاذ محمد آل زلفة في لقاء منقول على اليوتيوب مع أحد المنتديات أن "إمتاع السامر" كتاب فيه ضعف فيما يخص تاريخ العصر الحديث والذي هو مجال اختصاصه لذا فقد تحاشى الاستناد إليه، ولكن ذلك لا يعني أنه مزور حسب رأيه، فهو كغيره من الكتب التي تحوي ضعف، وطالب بمقارنة أخبار كتاب إمتاع السامر حول التاريخ القديم مع الكتب التاريخية المعروفة لتحديد قيمته العلمية وما إذا كانت أخبار الكتاب معقولة أم لا.

العرب)، وما قد تفضي به بعض المذكرات التي لم تحقق بعد أو التي لا تزال تحت التحقيق بيد أي الباحثين، أو غيرها ظاهرياً مع ما ورد في مجموعة إمتاع السامر وبقية الكتب المزورة قد توحي للقارئ للوهلة الأولى بمصدرية جيدة لمجموعة إمتاع السامر، فيعطي هذا التشابه أو الالتقاء في نقطة ما لبعض أخبار الكتب المعروفة المصدر مع ما وجد من أخبار في هذه الكتب المجهولة المصدر للوهلة الأولى إشارة خاطئة توحي بمصدرية جيدة بشكل أو آخر لما أوردت من أخبار، بينما الواقع أن الكتب الحقيقية كانت هي المتكأ الذي اعتمدت عليه المجموعة لتمرير التزوير، فكل ما هنالك أن الأخبار التي وردت في المصادر المعروفة استفاد منها المزورون واتكأوا عليها في نسج أكاذيبهم لإضفاء المصداقية على ما أوردوا من أخبار، وكان هنالك عنايةً خاصةً جداً في هذا الخصوص، مما يدل على أن كتاب إمتاع السامر وبقية مجموعته قد وضعت بدقة بالغة من قبل مجموعة كبيرة مطلعة على جزء كبير من الكتب والوثائق المختلفة التي تحدثت عن مناطق السراة وبقية مناطق الجزيرة العربية وما حولها كما أسلفنا، بالإضافة إلى اطلاعهم على التقسيمات القبلية الحالية في قبائل البادية في نجد بشكل دقيق ومعرفة الكثير من أساطيرها وحكاياتها، بالإضافة لتاريخ اليمن واطلاع جيد على القبائل اليمنية وتقسيماتها، وعلى تاريخ مكة، فكانوا يقومون بتحوير وربط كل شاردة وواردة من الإشارات والأساطير والأحداث التي اطلعوا عليها في المصادر المختلفة والتي تشير إلى أي جزء من بلاد السراة بما يحقق أهدافهم، فأخذوا من جحاف مثلاً الإشارة إلى حروب عسير مع الجيوش القادمة من نجد قبل دخول الدعوة لعسير والتي أشارت إلى مصاولات مع بعض القبائل واستفادوا منها في الإشارة لحروب مع الأمير الذي أسموه "محمد بن أحمد اليزيدي" وسابقيه ممن أطلقوا عليهم "أمراء آل يزيد"، وأخذوا من العصامي إشاراته لحروب قبيلة زهران مع شريف مكة[1] ومن ابن فهد حروب الشريف مع شهران في بيشة[2] ودحلان والموسوي في إشارتيهما لمشاركة أهل السراة إلى جانب الشريف سعيد بن سعد ضد الشريف عبدالكريم بن يعلى في حرب عام ١١١٧هـ[3] وجميع ما ورد من تداخل أشراف مكة مع أجزاء من إقليم السراة فيما بين القرن الخامس والحادي عشر، مثل هروب حميضة ورميثة ولجوءهم إلى جبال السراة في بداية القرن الثامن، وحروب الشريف المتعددة مع شهران وزهران وغامد وبجيلة وبني المنتشر، ومن بقية الوثائق اليمنية حروب الممالك اليمنية مع يام وبلاد وادعة

---

(١) العصامي، عبدالملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٤/ ٣٦٨

(٢) ابن فهد، عز الدين، غاية المرام بأخبار البلد الحرام، ٢/ ٤٨٣، ٣/ ١٢٠

(٣) الموسوي، نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، انظر حمد الجاسر، مع الموسوي في رحلته، مجلة الفيصل، عدد٢٢٥ السنة ٩، ٣٦

والمخلاف السليماني وفيفا، ثم قاموا بإعادة صياغتها في كتبهم وتكييف رواياتهم مع الأخبار في المصادر الأساسية بقدر المستطاع لإحالتها جميعاً إلى حروب مع الدولة اليزيدية المزعومة في عسير، واختلقوا بعض الأحداث المشابهة داخل العمق العسيري كحرب "مربة" و"الرهوة" و"دلغان" و"رجال" ضد غزو بني رسول والرسيين في اليمن لعسير مما لا أساس له على الإطلاق في التاريخ اليمني الذي عني أبناء اليمن في تدوينه بشكل جيد عبر تاريخهم.

ونجد من أمثلة هذا التزوير ما التقطوه من عمارة عندما قال عن قصة قيام حكم بني زياد في اليمن:

"فخرجوا في الجيش الذي جهزه المأمون إلى بغداد لمحاربة ابراهيم ابن المهدي وحج ابن زياد ومن معه في سنة ثلاث ومائتين وسار إلى اليمن ففتح تهامة بعد حروب جرت بينه وبين العرب بها، واختط زبيد في شعبان سنة ٢٠٤هـ أربع ومائتين"[١]

فاستفادوا من إشارة عمارة هذه والمصاغة بطريقة قابلة للَّي والتي تشير إلى حروب ابن زياد مع بعض أهل تهامة والتي كان المقصود بها تهامة اليمن في زبيد وما حولها، ليجعلوا الحرب موجهة من أمير عسير اليزيدي الذي زعموا أنه أمر قبيلة كنانة التهامية وبني عبدالجد في المخلاف السليماني بمحاربة ابن زياد عند وصوله في محاولة لإفشال جهود العباسيين في تطويق إمارة بني يزيد في عسير[٢].

وقد نجد مثل ذلك فيما ذكره عز الدين بن فهد من أن الشريف رميثة بن عجلان قاد جيشاً إلى بلاد الشرق فغاروا على شهران وعرب كثيرة فانكسر جماعته، وقتل هو وجماعة من القواد والعبيد في يوم الأربعاء سادس رجب سنة سبع وثلاثين وثمانمائة[٣]، فنجد أن مزور إمتاع السامر استفاد من هذه المعلومة وقام بإيراد قصصاً كثيرة مثل غزو الشريف عجلان لبيشة في نهاية القرن السابع، وقد وضع المزورون أسماء قادة كماعز الطياري وحنش الحنتوشي وعامر بن زياد والذين ذكر أنهم كانوا من ولاة الأمير المزعوم/ عبدالرحمن بن صقر اليزيدي، وداخلت مجموعة التزوير مع هذه الحوادث وادي الدواسر وتربة والحرجة التي ذكروا أنها كانت كلها تتبع لحكم الأمير اليزيدي، وتحدثت عن تمكن الشريف عجلان من الدخول لبيشة إلى أن تمكن عبدالرحمن بن صقر اليزيدي وولاته من إخراجه واستعادة بيشة[٤].

---

(١) اليمني، عمارة، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد تحقيق محمد الأكوع، ٤٥.

(٢) (ت ع، ٣٧).

(٣) ابن فهد، عز الدين، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم شلتوت ٢/ ٢٧٥، وانظر أهل السراة في القرون الوسيطة لعبدالله أبو داهش، ٥٤.

(٤) إمتاع السامر (ن د، ص٣٦) (ن أ، ١٥).

كما ورد لدى مؤرخي مكة أن حميضة ورميثة إبنا أبي نمي لاذا ببلاد السراة فراراً من أخيهما أبي الغيث مرتين الأولى عام ٧١٤هـ والثانية عام ٧٦٢هـ(١)، ثم نجد الخبر قد ورد في إمتاع السامر بأنه في عام ٧١٣هـ استجار الشريفان حميضة ورميثة بالأمير غانم بن صقر اليزيدي أمير عسير فجاء الشريف أبو الغيث بن أبي نمي فردته عسير وهزمته بعد معارك في "محمية" و"نفس" و"العرضية" وعاد خائباً(٢)..

ونجد مثل ذلك فيما أوردته الكتب اليمنية عن غزو المظفر والأشرف والإمام لنجران عام ٦٧٢هـ(٣)، وغزو الإمام شرف الدين لنجران عندما توجه إلى رمل يتصل بالبصرة ثم إلى نجران ومعه ولده المطهر فخرج أهل نجران عنها وطلبوا من الإمام الأمان فأمنهم ثم عاد إلى صعدة ثم صنعاء بعد أن أصاب جيشه المرض(٤)، فأعادت المجموعة صياغة الحادثة بطريقة أخرى مع تغيير طفيف في التواريخ فجاء في إمتاع السامر أنه في القرن الثامن منيت قوات بني رسول بهزيمة أمام عسير فغضب الأشرف الثاني فجهز قوة ضخمة ضمت الشجعان المعدودين عنده وجعل القيادة لابنه أحمد الذي توغل في صعدة، ونجران، وظهران الجنوب، واستولى عليها وتمركز في (الحرجة) ووصلت الأخبار إلى الأمير يزيد، فتوجه وعامر بن زياد ووضع واليا على وادي الدواسر حنش الحنتوشي، وجرت معارك بين الطرفين، فتراجع بنو رسول إلى الحمرة ولحقتهم قوات عسير، وعادت المعارك التي انتهت بمقتل الأمير يزيد وعامر، وتراجعت قواتهم إلى الحرجة حيث تمركزت هناك بقيادة ماعز الطيار وعاطف بن الهرمس اللذان طلبا نجدة من السقا فجاءهم الأمير حرب بن عبدالرحمن على رأس قوة، وكان قد بويع أميراً، وتجمعت قوات عسير، غير أن جيش بني رسول انسحب لإصابة قائده إصابة بليغة، واستعاد حرب منطقة صعدة ونجران وظهران الجنوب(٥) ونلاحظ هنا تشابه الأحداث والمواقع والنهاية، بل وأوردت خبر الكثير من الحروب مع الممالك اليمنية بنفس الطريقة حول الحرجة وبلاد سنحان وغيرها.

ومن طرائف تزويرهم أنهم استدعوا ما ورد في المصادر النجدية وغيرها عن حروب أجداد الأسرة السعودية كل من مانع ثم ربيعة ثم موسى مع "آل يزيد" في الدرعية، ووظفوها

---

(١) ابن فهد، محمد بن محمد، اتحاف الورى بأخبار ام القرى، تحقيق فهيم شلتوت ٣/ ٢٧٥، انظر أبو داهش، أهل السراة، ٥٢.

(٢) إمتاع السامر ص٤٧ (ن د).

(٣) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج١/ ص١٨٧.

(٤) ابن الحسين، يحي، غاية الأماني، ج٢/ ص٦٧٧.

(٥) (ن د)، ص٧٠.

توظيفاً ذكياً حذراً يحمل دلالة تاريخية خفية لخدمة أهدافهم حول تاريخ الدولة اليزيدية المزعومة في عسير، فمثلاً يقول الألوسي:

"وكان ما فوق المليد وغصيبة (لآل يزيد) من (آل دغيثر) من بني حنيفة الموجودين اليوم إلى ما دون (الجبيلة) ومن الجبيلة إلى (الأبكين) إلى (حريملة) لحسن بن طوق جد آل معمر. ثم ولد لمانع المذكور (ربيعة) وصارت له صولة واتسع ملكه وحارب (آل يزيد). ثم ظهر بعد ذلك ابنه (موسى) وصارت له شهرة أعظم من شهرة أبيه ربيعة واستولى على الملك في حياة أبيه وصارت له وقعة مع (آل يزيد)، وجرح جروحاً كثيرة، وضيقوا عليه" إلى أن يقول: "ثم إن موسى جمع جموعاً من (المبردة) وغيرهم ممن عنده من الموالفة، وأغار على آل يزيد صباحاً في (الدعيمة) و(الوصيل) وتحاربوا وصارت الغلبة لموسى فقتل من آل يزيد أكثر من ثمانين رجلاً، واستولى على ملكهم ومنازلهم، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك"[١].

ومن خلال هذا السرد نجد أن مسمى قبيلة "آل يزيد" الحنفية التي كانت مسيطرة على الرياض وما حولها حتى نهاية القرن التاسع كما أشار المؤرخون، حاول المزورون الاستفادة منه، فرموا بين خبرها خبراً آخر خلال فترة مجهولة من تارخ بلاد اليمامة وسابقة لذكر قبيلة بني يزيد فيها وهي النصف الثاني من القرن السابع وما قبله، فأوردت خبر سيطرة الأمير غانم بن صقر اليزيدي على نجد بما فيها الرياض وما حولها عام ٦٦١هـ وهذا نقل عن ما جاء في الإمتاع:

"الجرادية في الرياض سميت نسبة إلى جراد بن ابراهيم الزهيري أمير غانم بن صقر اليزيدي على نجد عندما دخلتها قواته عام ٦٦١هـ حيث كانت قصوره هناك وهي الآن دامرة للأمراء من آل جبر"[٢].

وقد بدأ المزورون في استكمال الخبر بإضافات جديدة في الجزء الثاني من إمتاع السامر حيث ورد فيه التالي:

"وكان قد تغلب بمن حوله من تلك العشائر على أكثر بلدان وادي العرض وقاوم رؤسائها الموالون لآل يزيد بعسير وقد تمكن من هزيمة جلال بن محرز بن سعيد بن

---

(١) الألوسي، محمد شكري، تاريخ نجد، ص٩١، ٩٢.

(٢) ن د، ص٣٨٦.

جراح الشباني رئيس عشائر بني عائذ التي وقفت في وجه نشاطه وقد وقف بهذه العشائر في وجه بني خالد وبني لام وبني عائذ كآل مزيد وآل يزيد الذي من عشائرهما ولاة حكام عسير على معظم بلدان نجد بما فيها حجر والخضرمة"[1]

وقال في موقع آخر:

"وكان في عام ٥٩٨هـ. حين وجهت قوة من عسير لاستعادة نفوذ آل يزيد على حجر والمجازة واليمامة من يد بني الأخيضر الذين يمثلون العيونيين حيث قام يوسف بن حاقان وهو لقب لعلي بن موسى بن الحسن الحسني الأخيضري، بقتل والي آل يزيد على حجر. سعيد بن ناصر بن عبدالله الجنوبي الحفصي الحنفي وكانت تلك القوة بقيادة سليمان بن محمد بن خالد ابن هشام بن إبراهيم بن جبر بن صبيح بن الفضل بن العوام الخالدي المخزومي البيشي، وقد استطاعت هذه القوة أن تعيد سلطة آل يزيد وتلحق بقوة العيونيين الهزيمة في عهد الفضل بن محمد بن الفضل الذي استنجد فيما بعد بالأمير صقر خوفاً من ظهور بني عامر بن حنيفة وأحلافها من بني عامر بن كلاب ومن قيس بن ثعلبة ومن بني ربيعة ومن بني سحيم من بني حنيفة ومن بني سلمة بن قشير بالخرج كما مر[2]".

ونلاحظ هنا الإشارات المتكررة عن نفوذ آل يزيد وحروبهم في بلاد اليمامة وتعيين الولاة لآل يزيد على حجر اليمامة وما حولها، في مرحلة سابقة لما هو معروف عن وجود وسيطرة قبائل آل يزيد، وهنا فللمؤرخين في المستقبل أن يتجادلوا حول صحة المقصود بآل يزيد في اليمامة ومن ينتسب إليهم، وهل المقصود بهم آل يزيد الأمويين حكام عسير الذين ينتسبون إلى يزيد بن معاوية أم أنهم من بني حنيفة، أو أنهم ولاتهم من آل عائذ كما حوت بعض الإشارات في مجموعة الإمتاع أيضاً، أو لعل المصادر القادمة من مجموعة الإمتاع ستحمل بقية الخبر بطريقتها المعتادة، وقد رأينا ما حدث لبعض بطون إحدى قبائل البادية عندما قرأت ما كتب في "مجموعة إمتاع السامر" عن نسبهم إلى أحد الصحابة المشهورين كيف تمسكت البطون المنسوبة إليه بهذا النسب، وأصبح من الصعب إقناعها بغيره ومن ثم نجحت المجموعة في إحداث الصدع

---

(١) إمتاع السامر (ن د)، تحقيق عبدالرحمن الرويشد ومحمد الحميد وفائز البدراني٢٠٠٦م، دارة الملك عبدالعزيز، ج٢/ ص١٤٣.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٣٤٢، ٣٤٣.

المطلوب والحصول على التأييد الشعبي، وبهذه الطريقة تُكرس الأفكار والأهداف التي ترمي إليها المجموعة من خلال توزيع المكاسب على المعنيين، ليدعموا صحة الروايات.

ومن حيلها استنباط بعض الأسماء التي وردت في كتب التاريخ القديمة المشهورة والتي لها ما يشابهها في عسير واستعمالها لحرف مسار الأخبار التاريخية بطريقة ذكية، فقد أورد الهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب خبر هجرة الأزد من اليمن إلى السراة إلى أن يقول:

"وكان من روادهم رجل من بني عمرو بن الغوث خرج لهم رائدا إلى بلاد إخوتهم همدان فرأى بلاداً لا تقوم مراعيها بأهلها وبهم فأقبل حتى وافاهم وقام فيهم منشداً" ثم أورد له قصيدة مما جاء فيها:

ألا يا للرجال لقد دهيتم	*بمعضلة ألا يا للرجال*
أبعد الجنتين لنا قرار	*بريدة أو أثافت أو أزال*
وإن الجوف واد ليس فيه	*سوى الربض المبرز والسيال*

ثم علق الهمداني على الأبيات بقوله:

"يريد بالطود ما قطع اليمن من جبل السراة الذي بين نجدها وتهامتها وسمي طوداً، ووجد في بعض كتب ذي مأذن كتاب بالمسند: من كريب ذي مأذنم إلى أهل تهامة وطودم"[(١)]

وهنا وجد المزورون بعض الأسماء المشابهة لأسماء مواقع في بلاد السراة وهي "ريدة" من بلاد عسير، و"الجوف" من بلاد آل معمر عبيدة قحطان فقرر صاحبنا أن يجمعهما في مسمى "طيدم" كتصحيف ذكي لـ "طودم" الذي ورد في الرواية، وجعل (طيدم) إسم جبال عسير بعينها، فقال:

"طيدم جبال عسير، وطيدم الاسم القديم لها وعليه نقوش تدل على وجود حلف بين أزد شنوءة ومذحج قحطان وسمي هذا الحلف (عسير)"[(٢)]

وعبر الزمن ستكون القصيدة والخبر لدى الهمداني مصداقاً لما ورد لدى شعيب، مع أن الأمر واضح جداً في مسميات المواقع التي ذكرها الهمداني فمواقع "ريدة" (والتي هي بلد

---

(١) الهمداني، الحسن، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٣٢٦، ٣٢٧.

(٢) (ن د)، ص٤٤٣.

الهمداني الأساسي) و"الجوف" و"أثابت" و"أزال" لا زالت مشهورة في بلاد همدان، ومعروفة بأسمائها حتى الآن كمدن ومحافظات يمنية مطابقة لما ورد في الخبر، كما أن كلمة "طودم" التي نقلها الهمداني عن أحد كتب المسند، تعني بالحميرية "طود"، وهو بمعنى (جبل) في العربية وفي الحميرية، حيث أن اللغة الحميرية تلحق حرف (ان) في نهاية الكلمة للتعريف بدلاً من (أل) التعريف العربية التي تقع في بداية الكلمة كما يلحقون (م) أو (ام) في نهاية الكلمة للتنكير[1]، ومن ثم فكلمة (طودم) الواردة عند الهمداني لا تعني اسم لموقع ما، بل تعني "الجبل" أو "الجبال" ولكنها بصيغة النكرة، أي: (إلى أهل تهامة والجبال)، إذ يقسم اليمنيون بلادهم إلى أهل تهامة وأهل الجبال إلى الوقت الحاضر، وهو ما غفل عنه المزورون.

وقد وجدت في كتاب صدر بعد ذلك عام ١٤٣٠هـ أن المؤلفين فسرا كلمة "طودم" التي وردت في النقوش اليمنية، والتي جاءت ضمن عبارة "ملك سبأ ومأرب وذي ريدان وأعراب طودم وتهامة" بأنها تعني جبال إقليم عسير، واستدلوا بهذه الإشارة لتأكيد امتداد ملوك حمير كل من "أب كرب أسعد" و "معد كرب يعفر"[2] عليها، رغم أنهم لم يوردوا أي إشارة تدعم تأكيد ذلك في بقية الأخبار أو النقوش، سوى هذه الافتراضية التي أرى أنه برغم أننا لا نستطيع تأكيد رفضها رفضاً مطلقاً، فإننا وبالمثل لا نستطيع تأكيدها بمجرد وجود مثل هذه الإشارة فاليمن في حد ذاتها عبارة عن مناطق الجبال (طودم) وتهامة، والأعراب هم البادية، وهو ما يذهب بنا إلى الترجيح بأن معنى العبارة "وأعراب طودم وتهامة" تعني "والبادية في الجبال وتهامة" على غرار سكان الحاضرة والذين هم أهل "مأرب وسبأ وذي ريدان" الذين وردت الإشارة إليهم في بداية العبارة، وهذا هو ما ذهب إليه جل المؤرخين في العصر الحديث حول هذا المفهوم[3].

ونجدها أيضاً تستفيد مما هو لازال قابعا في دور الوثائق في الدول المختلفة فهي تتماشى إلى حد ما مع بعض الوثائق العثمانية والمصرية التي لم تنشر بعد ومع الكتب الأجنبية التي لم تترجم بعد، ومنها مثلاً كتاب تاميزيه "رحلة في بلاد العرب" الذي قرأه جيداً كيناهان كورنواليس "kinahan cornwallis" واعتمد على معلوماته في كتابه "عسير بعد الحرب العالمية الأولى" الذي

---

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء٨/ ص٥٧٦.

(٢) الأنصاري، عبدالرحمن الطيب والأسمري، خالد بن فايز، عسير.. حصن الجنوب الشامخ، دار القوافل للنشر والتوزيع - الرياض، ١٤٣٠هـ، ص٢٧، ٢٨.

(٣) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١/ ص١٦ - ٢٣.

كان حول زيارته لعسير في فترة الدولة العثمانية حيث التقى بأعيانها وشيوخها وموظفي الدولة الذين كان منهم بعض أسرة آل عايض كوكيل المتصرف "حسن بن عايض"، كما نقلت عن نفس الكتاب "جاكلين بيرين" في كتابها "اكتشاف جزيرة العرب" (ترجمه إلى العربية قدري قلعجي عام ١٩٦٣م)، ووضعت فيه فصل تحت عنوان "اكتشاف عسير" والذي اطلع عليه الأستاذ محمد آل زلفة أثناء دراسته في المرحلة الثانوية في مرحلة الثمانينات الهجرية كما يقول، فبدأ بالبحث عن الكتاب المصدر إلى أن تمكن من ذلك عندما ابتعث لإتمام الدراسات العليا عام ١٣٩٤هـ فطلبه من جامعة كنساس كمرجع يحتاج إليه، فترجم الجزء الخاص بعسير من الفرنسية إلى الإنجليزية عن طريق بعض المترجمين في الولايات المتحدة[١]، ثم نشره في فترة لاحقه، ولكننا نجد أن خير الدين الزركلي من الراجح أنه قد اطلع على الكتاب بلغته الفرنسية الأم ونقل عنه في بعض مؤلفاته العربية قبل الفترة التي ذكرها الأستاذ محمد بن زلفة، خاصةً الإشارات المقتضبة التي وردت في كتاب تاميزيه عن صلة قرابة بين علي بن مجثل وسعيد بن مسلط وبين عائض بن مرعي، والتي تصل الأميرين ابن مجثل وابن مسلط بعائض بن مرعي بصفتهما مرة أبناء عمومته وفي الأخرى عماه، فورد لدى الزركلي في كتاب "الوجيز في تاريخ الملك عبدالعزيز" بأن علي بن مجثل "عم" عايض بن مرعي، بينما نقل شاكر عن الزركلي نصاً آخر يفيد بأنه "ابن عمه"، وتدل هذه الازدواجية المشابهة لما في كتاب تاميزيه على اطلاع الزركلي على كتابه الذي حمل كلتا الإشارتين المتناقضتين قبله بحوالي مائة وخمسون عاماً، فكان أول من أورد هذه المعلومة من المؤرخين العرب، ثم نجد المجموعة تستفيد من هذا الخبر وتعيد صياغته لاحقاً فتجمع علي بن مجثل وسعيد بن مسلط مع آل عايض نسبياً في مصادرها لأول مرة وبشكل مفصل وتضمهما إلى السلالة اليزيدية الأموية المزعومة قبل صدور ترجمة كتاب تاميزيه، كما نجدها تستفيد من نفس كتاب تاميزيه ومن مصدر آخر في الجمع بين بعض الوثائق المصرية التي وصل إليها علي عسيري قبل نشرها والتي تشير إلى لجوء بعض الأعيان في عسير في عهد الأمير سعيد بن مسلط ممن وضعتهم الإدارة العثمانية على مشيخة بعض القبائل خلال الفترة من ١٢٣٤ ـ ١٢٣٨هـ إلى شريف مكة[٢] بعد هجوم الأمير علي بن مجثل عليهم وتمكنه من تشتيتهم وبين إشارات تاميزيه إلى بروز معارضة قوية بين أبناء عسير على وضع عايض بن مرعي "حاكماً مؤقتاً" في عسير أثناء سير الحملة العثمانية على

---

(١) تاميزيه، موريس، رحلة في بلاد العرب، تحقيق محمد آل زلفه، ص١٧، ١٨.

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة رقم ٩بحريرا، نقلاً عن علي عسيري، مصدر سابق، ص٤٣٩.

عسير عام ١٢٤٩هـ[١]، لتشير مجموعة إمتاع السامر إلى الخبرين بطريقة غير مباشرة تراوغ الحقيقة وتستبق صدور كتاب تاميزيه باللغة العربية فتجمعهما ضمن إشارة واحدة لتضم إلى الثلاثة أسماء التي وردت في الوثيقة المصرية أسماءً أخرى كأطراف معارضة لاستقلالية عسير وموالية للدولة العثمانية منذ عهد سعيد بن مسلط استمراراً إلى عهد عايض بن مرعي لتغطية خبر معارضة جزء كبير من العسيريين لوجود عايض بن مرعي في السلطة منذ تكليفه بالوصاية على الأمير الصغير السن ومن ثم مقاليد السلطة في عسير كحاكم مؤقت كما ورد في كتاب تاميزيه[٢].

والاختلاسات التي أوردها المزورون محورة من أخبار في كتب تاريخية معروفة أكثر من أن نحصيها في هذا القسم مما لا نرى له ضرورة، فأوردنا بعض الأمثلة حول هذه الأكاذيب التي تقتنص رؤوس الأخبار من المصادر التاريخية ثم تحرفها وترويها بتفاصيل تخالف ما ورد في مصادرها لتتوافق مع أهدافها في حرف مسار التاريخ.

٣- علاقة مجموعة التزوير ببعض رجال العلم ومحاولة استغلال أسمائهم ونشاطهم

من خلال المحتوى والمعلومة وطريقة توزيع كتب ووثائق مجموعة التزوير فإن من الواضح أنه شارك في العملية عدد من ذوي النفوذ ومن ذوي العلاقات الجيدة بالأوساط العلمية، ومن ثم تمكنت هذه المجموعة من دس بعض مزوراتها بين أيدي الكثير من الأعلام المعروفة المخلصة ممن يبحثون عن أي مصدر تاريخي للوطن يمكن أن يضيف إلى معلوماتنا عن تاريخه، كالشيخ حمد الجاسر، ومحمود شاكر، والفريق يحي المعلمي، وعبدالله بن علي بن حميد، وعبدالله بن مسفر، ومحمد آل زلفة وخير الدين الزركلي وغيرهم، بطريقة غير مباشرة، فمثلاً تمكنت هذه المجموعة من إيصال كتاب أمتاع السامر لأيدي بعض رجال العلم كالشيخ حمد الجاسر والفريق يحي المعلمي رحمهما الله بطريقة أو أخرى، ولعل الشيخ حمد اعتبره مصدراً تاريخياً ولكنه متحيز، فنقل عنه في كتابه "أنساب الأسر المتحضرة" كما يقول الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل[٣]، علماً بأن الجاسر بعد ذلك انتقد كتاب إمتاع السامر وانتقص قيمته العلمية وشكك في مصدره وكذب معلوماته[٤]، أما الفريق يحي فقد اعتبره مصدراً تاريخياً مهماً وألقى عدداً من المحاضرات معتمداً على ما ورد

---

(١) تاميزيه، المصدر السابق، ص١٥٧.

(٢) تاميزيه، المصدر السابق، ص٢٩.

(٣) ن د، ص٥٣٣.

(٤) ن د، ص٥٢٧ - ٥٣٣.

فيه من معلومات، وفيما بين ذلك نجد إجابة للكثير من الأسئلة حول نسخ ومخطوطات أخرى من نفس الشاكلة تم إيصالها ليد الشيخ حمد الجاسر في وقت مبكر من نفس المصدر، فمثلاً في كتاب "عسير دراسة تاريخية" لعلي عسيري رحمه الله إشارة لنسخة في دارة الملك عبدالعزيز من مخطوطة "نفح العود" للبهكلي كتبت بالآلة الكاتبة نقل عنها معلومات حول دخول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لعسير تشير إلى حضور حملة من نجد إلى عسير بقيادة ربيع بن زيد وهي بذلك تجاري كتاب الإمتاع ومجموعته إلى حد ما(١)، مع أن معلوماته التي نقلها منه كلها لم ترد في نفح العود الذي حققه العقيلي، بل ورد الخبر بطريقة مناقضة لما أورده علي عسيري تماماً، وهذا يقودنا إلى تتبع ما ذكره المؤرخ محمد بن أحمد العقيلي رحمه الله، حيث أشار إلى وجود ثلاث نسخ لوثيقة "نفح العود"، اثنتان بخط اليد حصل عليهما ونقل منهما، والأخرى كانت لدى الشيخ حمد الجاسر يقال أنها (كتبت بالآلة الكاتبة) ولكنها فقدت(٢)، مع أن النسختين اليدويتين اللتين نقل عنهما العقيلي تحملان فكرة مغايرة تماماً لما ذكر علي عسيري أنه قرأه في النسخة الثالثة (المكتوبة بالآلة الكاتبة) حول دخول الدعوة إلى عسير، فالنسختان المحققتان توردان تفصيلاً لطريقة دخول الدعوة لعسير بدون أي معارك ولا جيوش نجدية ولا خلافه، بل وإلى نفي قاطع لوجود أي نوع من النشاط السياسي ذي البال في عسير السراة قبل عهد آل المتحمي(٣)، وهو ما يوافق بقية إشارات البهكلي في نفس الوثيقة(٤)، مما يجعلنا نقول بأنه لا يقبل أن تكون هذه النسخ الثلاث كتبت بيد شخص واحد، بل لا بد أن تكون هنالك نسخة أو نسختين محرفة، وفي إشارة العقيلي إلى هذه النسخة المفقودة (والتي يقول بأنها كتبت بالآلة الكاتبة) إجابة لما ذكره الأستاذ علي عسيري رحمه الله عام ١٤٠٧هـ، وقد وجدت أن مكتبة الملك عبدالعزيز في أحد إصداراتها عن منطقة عسير ضمن مجموعة المملكة العربية السعودية قد اعتمدت ما ورد في هذه النسخة المطبوعة والغير متوافقة مع بقية النسخ اليدوية وأوردتها كمصدر للمعلومة، مع أن من المفترض أن البهكلي لم يطبعها ولا حتى من عاشوا في عهده، ومن هنا يمكننا معرفة حكاية مذكرات جعفر الحفظي التي نقل عنها محمود شاكر في كتابه "عسير" ثم اختفت تماماً، وأيضاً الوثائق التي اطلع عليها عبدالله بن حميد، بينما لم يشر لها أحد سواه لا قبل ولا بعد ذلك، ويتناقض ما ورد فيها مع

---

(١) عسيري، علي عيسى، عسير دراسة تاريخية، ص١٢٤.

(٢) البهكلي، عبدالرحمن، و الضمدي، الحسن، نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود، تحقيق/ محمد بن أحمد العقيلي، ص٥٤.

(٣) البهكلي، المصدر السابق، ص١٢٨، ١٢٩.

(٤) البهكلي، المصدر السابق، ص١٦٤.

ما ورد لدى غيره[١]، ومثلها ندوات ومحاضرات ومقالات الفريق يحي المعلمي في المجلة العربية عن مسميات أحياء مدينة الرياض[٢] التي لا يؤيدها أي مصدر تاريخي إلا ما ورد في إمتاع السامر.

ويبدو أن هنالك الكثير من رجال العلم الأجلاء ربما قد وقعوا إلى حد ما مع هذه المجموعة في شبه ما وقع فيه العالم الفرنسي الكبير "ميشيل شال" وبقية علماء بلده مع مزور الوثائق "لوكاس فرين"[٣]، لتستند إلى مكانتهم العلمية في نقل هذه الأكاذيب والتلفيقات التي ابتدعتها، كما يبدو أن النشاط المحموم لهذه المجموعة لا زال قوياً في محاولة التأثير على المؤرخين بطريقة أو أخرى من خلال التظلم واستدرار التعاطف ولي الأخبار بكل الطرق، فقد استند الأستاذ عبدالله العثيمين إلى روايات كتاب "أخبار عسير" المزور، والمنسوب لعبدالله بن مسفر، في كتابه "تاريخ المملكة العربية السعودية" الصادر عام ١٤٣٠هـ كما أن مكتبة الملك عبدالعزيز أصدرت عام ١٤٣١هـ كتاباً عن منطقة عسير شارك فيه بعض أبناء منطقة عسير وقد استند الكتاب إلى كتابي "تاريخ عسير" لمحمد بن مسلط وكتاب "أخبار عسير" لعبدالله بن مسفر كمصدر للمعلومات حول تاريخ عسير[٤]، مع أن الكتابين يحملان نفس البصمة التي على إمتاع السامر، وقد أشار محققي إمتاع السامر إلى ذلك في تحقيقهم للكتاب، كما أشار عدد من الصحفيين والمؤرخين إلى ذلك.

ومن الملاحظات الهامة أيضاً في هذا الخصوص حصولهم على المعلومات من أيدي بعض المؤرخين قبل نشرها، فبمثل ما أشرنا لبعض الأمثلة عن استنادهم إلى أشخاص معينين في تمرير أكاذيبهم من خلال رمي الوثائق والكتب المزورة بيد بعض المؤرخين المشهورين من داخل المنطقة أو خارجها بطريقة غير مباشرة، والاتكاء من ثم على ما عرف عن هذه الأعلام من نزاهة وعلم وسمعة حسنة في تمرير المعلومة، فهنا نشير إلى أمر معاكس وهو التقاط المعلومة من بعض المؤرخين المرموقين قبل نشرها من خلال العلاقة المباشرة أو غير المباشرة معهم دون أن يتنبهوا لذلك، ونشير هنا مثلاً إلى خير الدين الزركلي الذي أشار إلى الإمارة العسيرية في ثلاثة من كتبه بطريقة

---

(١) ابن حميد، عبدالله بن علي، أديب من عسير، جمعه ابنه محمد، ٣٧، ٣٨، ٣٩، مجلة العرب، ج١١، ١٢ السنة التاسعة جماديان، ١٣٩٥هـ، ص٩٨٣.

(٢) المجلة العربية، ذي القعدة عام ١٤٠٨هـ، ص٢٠.

(٣) عبده، سمير، صناعة تزييف التاريخ، ص٣٦-٤١.

(٤) موسوعة المملكة العربية السعودية، المجلد العاشر، منطقة عسير، من منشورات مكتبة الملك عبدالعزيز، ١٤٣١هـ، ص١٦٤، ١٦٨.

مختلفة في كل واحد عن الآخرين، فقد نقل في الطبعة التي نشرت بعد وفاته من كتاب "الأعلام" ما ورد في مذكرات سليمان شفيق باشا المنشورة في جريدة الأهرام ومجلة العرب حول آل عايض فأشار إلى دعوى النسب اليزيدي وإلى أن عايض بن مرعي هو أول من حكم عسير من عشيرته وإلى عدم وجود صلة له بأمراء عسير السابقين وأسند خبره إلى المصدر، أما في كتابه "الوجيز في تاريخ الملك عبدالعزيز[١]" وأيضاً في مصدر النص الذي نقله عنه محمود شاكر[٢] فقد ورد رأيين مقتضبين مختلفين ولكنهما مطابقين بالتمام للرأيين المتناقضين الذين وردا في كتاب موريس تاميزيه "رحلة في بلاد العرب" حول صلة عايض بسلفه علي بن مجثل وفي عدم وجود أي إشارة للنسب الأموي، كما نجد أن في النص الذي أورده الزركلي في هذين المصدؤين محاولة للالتفاف على ما ورد في مذكرات سليمان باشا من أن عايض بن مرعي كان من الرعاة فأورد أنه "كان من أصحاب الإبل"، وهو ما يدل على أن الزركلي قد نقل جزءاً من معلوماته مشافهة من أهل الشأن والجزء الآخر من كتاب تاميزيه، وبعد ذلك نجد الشيخ محمود شاكر يستكمل الفكرة فيستشهد بأحد النصوص التي أوردها الزركلي للدفاع عن فكرة قدم الإمارة في أسرة آل عايض ورفض ما ورد لدى الريحاني ووهبه عن امتهان عايض بن مرعي للرعي في أول حياته، والإيحاء بأن المقصود بمفهوم الرعي الذي ورد في مذكرات سليمان باشا هو أنه كان من أصحاب الإبل كما ورد لدى الزركلي، وكان ذلك في كتابه "عسير"[٣]، الذي يعد أول كتاب حمل الأفكار الرئيسية حول الإمارة اليزيدية وتواصلها بالتفصيل منذ عام ١٣٢هـ، وارتباط أمراء عسير بها كما وردت لدى مجموعة إمتاع السامر، مما يدل على توافق ما أورده الزركلي مع ما يرغب المزورون في تدوينه حول هذه المعلومة، ومن الطبيعي أن يقبل الزركلي منهم ذلك خاصةً وأنهم أهل الشأن وأن الكتاب ذو صبغة محلية لا تحمل العالمية التي حملها كتابه "الأعلام" الذي يمثل واسطة عقد مؤلفاته، فحرص فيه على إتباع المنهج العلمي المتوازن والدقة في النقل والإحالة إلى المصدر، فابتعد عن كل هذا الكلام واستند إلى النقل المباشر من الكتب السابقة.

ومن خلال هذا التواصل يتضح لنا أن مصدر المعلومة التي نقل عنها خبر صلة عايض بعلي بن مجثل وصلت إلى محمود شاكر ومصادره التي كان يأخذ معلومات كتابه منها شفهياً كما

---

(١) الزركلي، خير الدين، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، الطبعة الخامسة - ١٩٨٨م، دار العلم للملايين، بيروت، ص٦٧.

(٢) موسوعة المملكة العربية السعودية، المجلد العاشر، منطقة عسير، منشورات مكتبة الملك عبدالعزيز، ص١٦٤، ١٦٨.

(٣) شاكر، محمود، عسير، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ، ص١٨٩.

يقول، ومن هنا استفادت المجموعة من المعلومة التي وفرها الزركلي، فبدأت الفكرة حول النسب اليزيدي تأخذ بعداً جديداً لدى مصادر التزوير، ولكنها كانت تحتاج إلى نسخة من المصدر الأساسي للتحقق من طريقة وصحة السرد، ونشره لاحقاً بعد تكوين صورة مبدئية لدى العامة من خلال المؤلفات المتتالية، ليعطي كتاب تاميزيه المصداقية لما أوردت هذه المصادر، وهو ما تحقق لهم في تلك المرحلة كما سيأتي.

ونجد مثل هذه الحالة مع الدكتور محمد آل زلفة الذي له باع طويل في كتابة التاريخ العسيري، وله نشاط لا يداني في جمع معلوماته من مختلف المصادر، ومن الطبيعي أن يكون للدكتور محمد وغيره من المؤرخين علاقة بهذه المصادر بصفة جزء منها يعد مصدراً تاريخيا شفهياً مشروعاً حسب المفترض لمن يريد الكتابة عن تاريخ عسير، لذا نلاحظ أن هذه المجموعة في بعض الحالات تستبق ما ينشره الدكتور محمد من وثائق مترجمة حول عسير يجمعها من الكتب الغربية والأراشيف المصرية والعثمانية ومنذ وقت مبكر، ومن ثم لا نستبعد أنها حصلت على بعض المعلومات التي بين يديه قبل نشرها واتكأت عليها في بناء أخبارها المزورة، فقد ذكر الدكتور محمد أنه كان قد قرأ قبل دخوله الجامعة (أي في الثمانينات الهجرية) كتاب لـ "جاكلين بيرين" وهو المسمى "اكتشاف جزيرة العرب" حول حياة الرحالة الأوروبيين، والذي ضمن محتوياته ملخص لكتاب موريس تاميزيه "رحلة في بلاد العرب" فحاول الحصول على الكتاب المصدر حينذاك ولم ينجح، ثم عندما ابتعث إلى الولايات المتحدة عام ١٣٩٤هـ حرص على الوصول إليه واستغل فرصة وجوده في الولايات المتحدة فطلب من جامعة كنساس تزويده بالكتاب بصفته أحد مراجعه في رسالته وتم له ذلك، ولكن الكتاب كان باللغة الفرنسية ومن ثم اضطر إلى دفع مبلغ مالي نظير ترجمته من الفرنسية إلى الإنجليزية بعد أن تحقق من صعوبة تحاشي ذلك من خلال التحاقه بدورة لدراسة اللغة الفرنسية[١]، والكتاب كان يحوي الإشارة الوحيدة والمبهمة إلى وجود صلة قربى لعايض بن مرعي بكل من سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل، وهو ما لم تورده أي المصادر العسيرية المعاصرة ولا ما بعدها، حتى مرحلة ما قبل التسعينات الهجرية، وفي المقابل نجد أن بداية انطلاقة عملية التزوير بشكل مكثف كانت في نفس المرحلة فبدأت بما نقله الأستاذ عبدالله بن علي بن حميد رحمه الله عام ١٣٩٥هـ من وثيقة زين العابدين بن جعفر الحفظي المزعومة[٢] والتي يذكر أنه أطلعه عليها "بعض

---

(١) تاميزيه، موريس، رحلة في بلاد العرب، تحقيق محمد آل زلفه، ١٧ - ١٩.

(٢) ابن حميد، عبدالله بن علي، أديب من عسير، جمعه وأشرف على نشره ابنه محمد، الطبعة الأولى عام ١٤٠٠هـ، ص٣٨، ٣٩.

الأخوان"، ونشرها من ثم في مجلة العرب في منتصف التسعينات[١]، بينما لم يستطع أحد سواه أن يطلع على هذه الوثيقة[٢]، مما يدل على تواصل هذه المصادر معه أيضاً، ثم في كتاب محمود شاكر عام ١٣٩٦هـ والذي أفرد فكرة الإمارة اليزيدية بالتفصيل ولأول مرة وربط علي بن مجثل وسعيد بن مسلط بهذه السلالة، ونجد أن ما ورد في الوثيقة المزعومة ثم لدى محمود شاكر قد تمت صياغته لاحتواء ارتباك ما قاله تاميزيه حول نوعية هذه الصلة قدر الإمكان، حيث أشار كتاب تاميزيه مرة إلى أن "علي بن مجثل" ابن عم "عايض"، ومرة أشار إلى أنه عمه، فأورد المزورون في كتاب محمود شاكر تسلسل نسب الطرفين ليلتقون في الجد السادس لعايض والجد الرابع لعلي بن مجثل وسعيد بن مسلط[٣]، ثم تم إعادة صياغة هذه الصلة مرة أخرى في كتاب "تاريخ عسير" باسم محمد بن مسلط، فجعلوهما يلتقيان في الجد السابع لعلي بن مجثل والجد الثامن لعايض بن مرعي، في محاولة لاحتواء اختلاف العبارتين قدر الإمكان، كما قام الأستاذ محمد آل زلفه بتحقيق كتاب "السياسة الشرعية في حق الراعي والرعية" الذي ألفه الشيخ "أحمد بن عبدالخالق الحفظي" أثناء وجوده في السجن في إستانبول مع بقية الأسرى العسيريين، وهذا الكتاب لم يكن معروفاً ولا موجوداً في بلاد عسير، حيث سرد عبدالله أبو داهش في تحقيقه لخطبة أحمد بن عبدالخالق الحفظي وبعد التقائه مع عدد من أسرة آل الحفظي تفصيل لجميع كتب وشعر أحمد بن عبدالخالق الحفظي ولم يورد خبر هذا الكتاب، كما لم يورده محمد بن إبراهيم الحفظي في كتاب "نفحات من عسير" في ترجمته للمذكور وسرده لمؤلفاته[٤]، بينما نجد أن كتاب "تاريخ عسير" لابن مسلط، يشير إلى هذا الكتاب[٥] وإلى تفاصيل تأليفه أثناء سجن الشيخ أحمد الحفظي، كما ذكر الأستاذ محمد أنه حصل على مذكرات سليمان شفيق باشا من ابنه بشكل مباشر، وفي الوقت نفسه نجد أن المجموعة قد اهتمت بإعادة نشر هذه المذكرات بطريقتها، ناسبة تحقيقها إلى شخص متوفى كالعادة وهو/ أحمد حسن النعمي والذي ذكر الشيخ هاشم النعمي أنه كان موظفاً عادياً ولم يكن له أي نشاط ثقافي أو تاريخي[٦]، وهذا يدل على وجود صلة للأستاذ محمد بمصادر المجموعة، كصداقة

---

(١) ابن حميد، عبدالله بن علي، مجلة العرب، ج١١، ١٢السنة التاسعة جماديان، ١٣٩٥هـ، ص٩٨٣.

(٢) آل زلفه، محمد، دراسات في تاريخ عسير، ص٤٣؛ وانظر: عسيري، علي، عسير دراسة تاريخية، ص١٥٨.

(٣) شاكر، محمود، عسير، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ، ص١٨٢.

(٤) الحفظي، محمد إبراهيم زين العابدين، نفحات من عسير،بدون معلومات الناشر، ١٣٩٣هـ ص١٤٤.

(٥) الحفظي، ابراهيم زين العابدين، تاريخ عسير خلال خمسة قرون... رؤية تاريخية، تحقيق محمد بن مسلط، ص١٣٨.

(٦) (ن د ٢)، تحقيق الحميد والرويشد والبدراني، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٧، ص٣٠.

خاصة متوقعة مع مصادر مفترضة للتاريخ العسيري، إلا أن الطرف الآخر يبدو أنه حاول الاستفادة من هذه الصداقة بطريقته[١]، كما يلاحظ أن الأستاذ عمر بن غرامة العمروي أول من صادق على أخبارها بل وأصبح مرجعاً معتمداً لتفسير ما ورد في هذه الكتب من أخبار، فقد استكمل قصة الصرد وأورد خبر تولي حفيده عبدالله على جرش[٢].

وأيضاً نجد أن هنالك تشابه كبير في التوجه في كتاب مؤرخ اليمن محمد بن علي الأكوع "اليمن الخضراء" وما ورد في مجموعة إمتاع السامر، ففي كتابه "اليمن الخضراء" الذي نشره ابنه عبدالله عام ١٤٢٩هـ والذي كان قد كتبه في التسعينات الهجرية[٣] متزامناً مع بدأ صدور مجموعة إمتاع السامر، اعتبر عسير وكافة إقليم السروات جزءاً من اليمن، وأورد في كتابه فصلاً عن عسير تجاهل فيه وجود قبيلة اسمها عسير بينما ذكر بقية قبائل المنطقة وبنفس طريقة كتب إمتاع السامر، كما تجاهل تاريخ الإمارة العسيرية واختزل كل تاريخ عسير الحديث في محمد بن عايض ووالده وبنفس طريقة إمتاع السامر، وأطلق على محمد بن عايض مسمى "محمد بن عايض

---

(١) تجدر بنا الإشارة هنا إلى أن الأستاذ محمد آل زلفة لم نجد له ما يشير إلى النسب الأموي كما ورد لدى مجموعة إمتاع السامر، كما لم يتدخل إطلاقاً في الحديث عن الأنساب القبلية، فقد أحال الحديث عن الأنساب لأهل الشأن، ورغم أنه أيد وجود الدولة اليزيدية الأولى ونقل بعض الأخبار من شاكر وغيره مما ورد في هذه الكتب كخبر هزيمة العسيريين للقرامطة في القرن الخامس وخبر دخول قبيلة يام لبلاد قحطان وشهران ثم هزيمتها على يد أمير عسير عام ١١٩٩هـ، كما نقل أيضاً عن كتاب السراج المنير لابن مسفر، إلا أنه عادة ما كان يشير إلى انفراد مؤلفي هذه الكتب بالإطلاع على مصادر هذه المعلومات، أو التشكيك في بعض أخبار ابن مسفر بقوله أنها وردت ضمن رواية مضطربة لدى ابن مسفر، مما يدل على النقل مع التشكيك في صحة هذه الروايات، بل إنه اتجه إلى نقض بعض المعلومات الواردة في إمتاع السامر من خلال إحدى محاضراته التي أوضح فيها بطريقة غير مباشرة خطأ ما ورد في هذه المصادر حول سقوط أبها بيد العثمانيين عام ١٢٨٩هـ وقد أشار أكثر من مرة إلى مشكلة المصادر في التاريخ العسيري، ومن جميل ما قاله حول ذلك: "وأوجه للجميع دعوة مفتوحة إلى المشاركة في إيجاد الحلول المناسبة المتعلقة بجمع وإخراج مصادر تاريخ بلادنا والاهتمام بإبراز تراث الأمة والذي هو ملك لها لا لشخص بعينه مدعياً ملكيته لها وحرمان الآخرين من الاطلاع عليها إما بدافع التعصب أو الجهل. أو بحجة أنه إرث لأسرة بعينها يتوارثونها كما يتوارثون الأنعام أو أجزاء من أثاث المنازل"، انظر دراسات من تاريخ عسير، ص١٢، ١٣، ٤٣، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤؛ وانظر عسير في عهد الملك عبدالعزيز ص٢٢، ٢٦، ٢٨، ٦٣؛ وانظر د.محمد عبدالله آل زلفة، وقفات مع فصول من تاريخ أبها، جريدة الجزيرة، الأربعاء ٢٨ رمضان ١٤٢٠هـ، العدد ٩٩٦٠.

(٢) عمر بن غرامة العمروي، قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام من ١٥٠٠ق م - ١٢٠٠هـ، دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة - الرياض، طبعة أولى - ١٤١١هـ/ ١٩٩٧م، ص١٩٧.

(٣) الحوالي، محمد الأكوع، اليمن الخضراء، صاحب الامتياز عبدالله محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد - صنعاء، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ص٥.

القحطاني" وكرر ذلك في أكثر من موقع[١]، ولم يرد أي تلميح كهذا في كل الكتب التاريخية سوى في إمتاع السامر ومجموعته، كما كان له موقف من وجود قبائل عنز بن وائل في المنطقة وهو نفس الموقف الموجود في كتب إمتاع السامر حين قال:

"يبدو مما ألف أخيراً أن القبائل اليمنية هي التي تسيطر على هذه المناطق ولا شيء غيرها، لا قبيلة عنز التي ذكرها الهمداني في الجزء الأول من الإكليل وأفرد لها فصلاً ذكر بطونها كما نوه بها في كتاب صفة جزيرة العرب، ولا غير عنز."[٢]

والملاحظ أن آرائه في هذا الكتاب الذي نشره ابنه بعد وفاته تتناقض مع ما أورده في تعليقه على كتاب "صفة جزيرة العرب" للهمداني، عندما اعتبر حدود اليمن الحالية هي نفس الحدود التاريخية لليمن، ولم يعارض حديث الهمداني عن قبيلة عنز بن وائل، والغريب أن مقدمة كتاب اليمن الخضراء يشابه في طريقته مقدمة إمتاع السامر من حيث العرض والحديث عن وجود طبعة من الكتاب في عام ١٣٩٥هـ، بينما كتب على الطبعة المنشورة بعد وفاته عام ١٤٢٩هـ "الطبعة الأولى"، والناشر هو نفس الدار التي سبق أن نشر عن طريقها محمد الأكوع بعض كتبه وهي "مكتبة الإرشاد" بصنعاء.

ولا يمكن أن يطال الشك مطلقاً نزاهة من ذكرنا من القامات العلمية الذين استفادت منهم هذه المجموعة، فمثل أولئك الرجال نحسبهم جميعاً أعلاماً تاريخية من أهل العلم والصلاح والإخلاص، ولكن من الواضح كما أسلفنا أن هذه المجموعة ذات علاقات متشعبة مع الوسط العلمي في المملكة العربية السعودية والدول الأخرى، ومن ثم فإنها تحصل على معلوماتها من خلال هذه العلاقات الجيدة وتستفيد منها في عملية التزوير بعيداً عن أعين مصادرها، ثم تستفيد من علاقاتها مع رجال العلم في نشرها بطريقتها بيد نظيفة ظاهرياً، دون أن يتنبه أولئك إلى ما يحدث.

---

(١) الحوالي، محمد الأكوع، اليمن الخضراء، صاحب الامتياز عبدالله محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد - صنعاء، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ص١٥٦، ١٥٩.

(٢) الحوالي، محمد الأكوع، اليمن الخضراء، المصدر السابق، ١٥٤.

الباب الثالث

مقارنة أخبار مجموعة إمتاع السامر مع أخبار المصادر المعروفة

الفصل الأول

مقارنة أخبار المجموعة

عبر القرون الإسلامية الوسيطة بالمصادر الأخرى

خلال محاولة مجموعة إمتاع السامر فرض فكرة جديدة حول تاريخ إقليم عسير فقد أوردت الكثير من الأخبار والروايات التي تفضي عن واقع الحال في منطقة عسير خلال الفترة الواقعة ما بين عام ١٣٢هـ وحتى عام ١٣٤٣هـ حسب روايتها، وتطرقت خلال ذلك للمناطق المجاورة لعسير والإمارات المعروفة تاريخياً في تلك المواقع وأوردت الكثير من الأحداث التي تداخلت فيها الإمارة اليزيدية مع تلك الإمارات في اليمن والحجاز ونجد وعمان والإحساء وقطر وكافة الخليج العربي والقرن الأفريقي والسودان، وهو ما يجعل هذه الإمارة اليزيدية وأحداثها شيئاً لا يمكن أن يتجاوزه التاريخ، لذا لزم أن نقوم بمقارنة ما ورد في مجموعة إمتاع السامر بما ورد في المصادر التاريخية المعروفة والوثائق الموجودة في دور الوثائق الموثوقة، ليمكننا من خلال ذلك الوصول إلى الحقيقة.

ولهذه الغاية وتسهيلاً على القارئ فقد تم توزيع هذه الفترة إلى أربعة مراحل تاريخية تبعاً لغزارة الأحداث خلال هذه الفترة (حسب رواية مجموعة إمتاع السامر)، فيتم عرض أخبار مصادر الإمتاع عن هذه المرحلة ثم أخبار المصادر التاريخية المعروفة حول ما ورد، فكانت أربعة مراحل تاريخية، الأولى منها للفترة من القرن الهجري الثاني إلى الخامس، والثانية للقرنين السادس والسابع، والثالثة من القرن الثامن وحتى نهاية الحادي عشر، والرابعة لفترة ما بين بداية القرن الثاني عشر وحتى نهاية الثالث عشر علماً بأن ما تم اقتباسه من أحداث القرن الثالث عشر في هذه الكتب هو مجرد شذرات قليلة من الغرائب، فهذه الكتب تغص بالأعاجيب ولكن هذه الفترة وصل فيها بالفعل عايض بن مرعي وابنه محمد للحكم في عسير ومن ثم فلا أهمية لمتابعة أكاذيبهم حول هذه الفترة التي هي مرحلة موثقة جيداً ويمكن لأي المؤرخين متابعة أخبارها في كتب معاصريها من المستشرقين أمثال جون بوركهارد"Gohn Lewis Burckhardt" وموريس تاميزيه ""Maurice Tamisier، ومذكرات قادة الدولة العثمانية مثل أحمد راشد باشا

وسليمان شفيق ومؤرخي نجد ومكة واليمن وعسير والمخلاف السليماني المعاصرين والتي تكشف أكاذيب المجموعة، كما أننا أفردنا في تاريخ عسير فصلاً لهذه المرحلة من تاريخ عسير الحديث ليكون القارئ على بينة حول الحقيقة وحتى نتمكن من اجتثاث الرواية وجميع بقاياها.

أولاً: الفترة ما بين بداية القرن الثاني إلى نهاية الخامس

١- يقول عن رحلة علي بن محمد عام ١٣٢هـ إلى عسير:

"خشي العباسيون نفوذ محمد علي على تلك المنطقة، وخافوا من امتداده إلى الحجازين، وسير بني أمية وأنصارهم نحوه، فوجهوا له الجيش إثر الآخر غير أن هذه الجيوش كانت تفشل في مهمتها، حتى جهز له المهدي جيشاً كثيفاً بإمرة عبدالله بن عبدالرحمن بن النعمان الغامدي الأزدي فالتقى به في بلاد غامد، وجرت معارك بين الجانبين انتهت بمقتل الأمير علي بن محمد عام ١٦٩هـ، فبايع العسيريون مكانه ابنه عبدالله فتابع القتال، وتمكن من قتل قائد الغزاة عبدالله بن عبدالرحمن بن النعمان الغامدي، وشجعه موت الخليفة المهدي وتولي ابنه موسى الهادي مكانه، وكان ضعيفاً، وبقي عبدالله أمير على عسير حتى قتل أيام الرشيد، فخلفه في الإمارة ابنه خالد، واستمرت الإمارة في أحفاده (واستوفى والدي في متعته أخبار المنطقة)"[١].

٢- يقول بأن قصر شدا أول من بناه هو الأمير خالد بن عبدالله بن علي بن محمد بن يزيد بن معاوية عام ١٨٧هـ ووجد هذا التاريخ على ردم بابه الشرقي[٢][*].

---

(١) (ن د)، ص٢٧.

(٢) (ن د)، ص٣٥٢.

(*) أشار موريس تاميزيه عام ١٢٤٩هـ في كتاب "رحلة في بلاد العرب، ص٢٩٤) إلى أن علي بن مجثل قد بنى قصراً جميلاً في قرية "مناظر" التي نقل العاصمة من السقا إليها، وهو قصر المفتاحة الذي زخرفه وتوج به انتصاراته، وقد أحرق عايض بن مرعي القصر أثناء انسحابه أمام الجيش المصري إلى السقا، ولم يشر تاميزيه أثناء إقامة الجيش التركي في أبها إلى وجود أي قصر آخر غيره بها مما يعني أن شدا بني لاحقاً لهدم قصر المفتاحة، وهو ما صادق عليه الأستاذ محمد آل زلفه في كتاب "دراسات في تاريخ عسير الحديث، ص ٣٧" عندما ذكر أن علي بن مجثل كان أول من نقل العاصمة من السقا إلى أبها وابتنى فيها قصراً للحكم في المفتاحة، كما ذكر الشيخ هاشم النعمي قبل ترجمة كتاب تاميزيه في كتابه "تاريخ عسير بين الحاضر والماضي، نسخة قديمة ١٣٨١هـ، ص ٩" أن قصر شدا ابتناه الأمير عائض بن مرعي، ورغم كل ما قيل حول بناء عايض بن مرعي لقصر شدا إلا أننا نجد أن القصر حسب ما وجد من صور له قد بني على نمط القلاع العثمانية مما يدل على أن القصر بني مرة أخرى في عهد الدولة االعثمانية.

٣- يذكر وبتفاصيل دقيقة، أن بني زياد الذين أقاموا دولة لهم في زبيد و بني الطاهر الذين أقاموا دولة لهم في تعز لم يكونوا سوى فروع من أجداد أسرة آل عايض (آل يزيد) في عسير نزحت إلى تلك الديار وأقامت دولها هنالك[(١)]!.

٤- يروي أنه في نهاية القرن الثاني للهجرة ولما جنح بني زياد إلى الاستقلال عن عسير اختار المأمون من بني زياد محمد بن عبدالله بن زياد لولاية اليمن لإضعاف قوة آل يزيد في عسير، وقد تجنب ابن زياد طريق السراة وذهب عن طريق الساحل خوفاً من اليزيديين في السراة ولكن علي بن عبدالله اليزيدي (جد آل عايض) وجه له قوة من كنانة لصده عن هدفه فهزمت، واستمرت محاولات علي بن عبدالله للاستيلاء على اليمن فلم يتمكن، ومثله حاول بنو زياد ضم عسير، فحرك اليزيديون عليهم قبائل تهامة كبني خريص بن سهل من بني عبدالجد وأشهر أمرائهم محمد بن حسين المضبي (الجربا) وسليمان بن طرف بن موسى الذي صمد في وجه الحسين بن سلامة الذي تمكن أخيراً من قتل سليمان والقضاء على بني الحكم الذين لجأوا إلى السراة بقيادة الجربا وأخلوا تهامة لخصمهم"[(٢)].

٥- يذكر من أجداد عايض بن مرعي الأمير خالد بن عبدالله بن علي بن محمد بن عبدالرحمن بن يزيد بن معاوية ثم يترجم له بالتالي:

"ويلقب بالشريف، وعرفت أسرته من بعده بالشرفاء نسبة إليه، كما عرفت إمارتهم بعد ذلك، ومن أولاده أحمد الذي نافس أخاه عبدالله في الحكم، وأرسله أخوه عبدالله ليتخلص منه على رأس قوة إلى اليمن فتمكن من التغلب على قبائل حاشد، واحتل منطقة بعدان وأسس فيها إمارة بقيت في أحفاده حتى قضى الله عليها في عهد الهادي الرسي، وكان قد تزوج في بني صائد من حاشد، وله ذرية فيها، ومنهم آل أحمد ابن خالد في بعدان وتسكن بلدة نمارة ومن ذرية أحمد بن خالد أيضاً آل حرب بن عبدالله بن محمد بن عمر بن عبدالعزيز بن سليمان بن هشام بن عبدالملك بن مروان بن أحمد بن خالد الذين انحدر منهم بنو طاهر الذين حكموا اليمن بعد آل رسول. ومن ولد مروان عبدالملك الذي ينتمي إليه آل الرقيحي وآل الملقي في اليمن، وادعوا الانتماء إلى المروانيين بدلاً من السفيانيين تجنباً من الصدام مع الزيديه"[(٣)]؟!.

---

(١) محمد بن مسلط، تاريخ عسير، ص٣٥ - ٤١.

(٢) محمد بن مسلط، تاريخ عسير، ص٣٧.

(٣) إمتاع السامر (ن أ)، ص٦٨.

٦- يقول:

"هتيم: قبيلة عربية عدنانية تنتمي لهتيم بن عقيل بن كلب بن عامر بن صعصعه، وكانت تقيم بالخرمة وفي دخول القرامطة بيشة عام ٤٢٠هـ في عهد الأمير محمد بن عبدالله بن سعيد بن هشام اليزيدي، انضمت إلى القرامطة، وكانت دليل لهم، عندما دخلوا بلاد قحطان وشهران وتوجهوا إلى عسير فالتقى بهم أميرها في المهرة من أوطان الحكم بن منبه بن مالك، وكان قد حشد لهم قبائل عسير ورجال الحجر وبعض قبائل مذحج وخثعم، فهزمهم بعد عدة معارك، وأمر بأسر بني هتيم، إذ قبض على أكثر من ألفي رجل فعراهم من سلاحهم ولباسهم وخيلهم وألبسهم ملابس سوداء تشهيراً بهم، وألزمهم بعدم ركوب الخيل والإبل وأبدلهم عنها بالحمير وأوكل بهم قبيلة الخلا بن هاجر بن شريف بن جنب بن سعد العشيرة وشهر بهم بين القبائل فسقطوا، وأنفت القبائل من انضمامهم إليها، وقد حدث مثل هذا لقبيلة بني الفيض بن سحار الهمدانية أيام عامر بن زياد حينما تقدمت قوات الرسوليين أدلة فظفر بهم بعد هزيمة بني رسول ونكل بهم وألبسهم السواد فسقطوا بين القبائل"[١].

٧- في عام ٤٧٩ "صد أمير عسير موسى بن محمد قوات بني الأخيضر وكان قائده في المعركة خضران بن سلول العمري في نجد"[٢]؟

فهل تؤيد المصادر المعروفة المعاصرة والقريبة من هذه الأحداث ما أورده؟

ما ذكرته الكتب التاريخية المعروفة عن عسير خلال هذه الفترة

- ذكر ابن خلدون أن أبو العباس السفاح ولى خاله زياد بن عبد الرحمن بن عبد المدان على نجران واليمامة أي منذ بداية العصر العباسي قبل منتصف القرن الهجري الثاني، وكان مما تبع لإمارته جرش التي كانت مرتبطة بنجران في تلك المرحلة، واستمر الأمر على ذلك حتى نهاية القرن الثالث[٣].
- لم يأت المؤرخون كالطبري وابن الأثير وابن كثير ولا الرحالة الذين كتبوا عن بلاد السراة

---

(١) (ن د)، ص٦٣.

(٢) (ن د)، ص١٩٨.

(٣) ابن خلدون، عبدالرحمن، تاريخ ابن خلدون، المجلد الرابع، ص٢٨٩.

وتهامة كابن المجاور وصنواه ابن جبير وابن بطوطة ومؤرخي الحجاز كالعصامي وابن فهد المكي، ولا مؤرخي اليمن كالهمداني والخزرجي ونشوان وعمارة والديبع والنهروالي وعبدالله عزب بأي خبر عن هذه الرحلة لأحد بني أمية إلى عسير ولا عن الجيوش والحروب وهذه الدولة، ولم يُشر لهذه الهجرة ولا إلى نشوء دولة لبني يزيد أو ما يدعمها بمجرد التلميح في أي كتب التاريخ المعروفة، كما لم يشر مؤرخي عسير كمحمد بن أحمد الحفظي ومحمد بن هادي العجيلي في نفح العود والظل الممدود إلى هذه الدولة اليزيدية في عسير، ولا لوجود أي شكل من أشكال الإمارة الشاملة في عسير قبل عام ١٢١٥هـ سوى المشيخات القبلية المحلية المتفرقة، بل لم يورد أي مؤرخ عبر التاريخ أي إشارة عابرة عن وجود ما يسمى بالإمارة اليزيدية فوق جبال السروات أو بالقرب من جرش.

- لقد أسهب الهمداني (٢٨٠ـ ٣٣٤هـ) الذي عرف المنطقة جيداً من خلال عمله مع أهله في نقل الحجاج ما بين صعدة ومكة عبر بلاد السروات في وصف المنطقة وصفاً دقيقاً في النصف الأول من القرن الرابع ومنها عسير التي ذكرها كقبيلة معدودة من قبائل "عنز" وليست حلف قبلي، وقال في موضع "عسير يمانية تنزرت ودخلت في عنز"، مما يتضح معه ما كان شائعاً في عصره عن عسير ووجودها كقبيلة حقيقية معروفة تنتسب إلى عنز تقيم في نفس مواقعها المحدودة التي تسكنها الآن، وهو ما يتعارض مع كل ما ورد من أشعار ذكرها الإمتاع والتي تذكر جميعها وبشكل مباشر أن عسير هو في الأصل اسم حلف لقبائل السراة كاملةً أو لقبائل "الأزد" أو "الأزد ومذحج" أسسه أجداد آل عايض.

ثم وصف الهمداني جرش وسكانها وقبائلها وذكر أنها من بلاد عنز بن وائل، وذكر العواسج والذين كان لهم داعي اليمانية بجرش وحروبهم مع عنز[1]، وهذا يتناقض مع وجود إمارة لها قوة، وقد كان الهمداني حريصا على ذكر الأعيان والأحداث المهمة المرتبطة بالمكان والقادة في كل موقع يمر به، حيث أشار إلى قبر ذي القرنين في أبها وكذلك فعل في بلاد رجال الحجر عندما أشار لجابر بن الضحاك أو مع قبائل اليمن كافة أو في نجد، فأين أباطرة بني يزيد منه لم يورد لهم أي إشارة عندما أشار لعسير.

- أورد نجم الدين الحكمي (عمارة) ـ المتوفي عام ٥٦٩هـ في مصر ـ في كتاب "المفيد في أخبار صنعاء وزبيد" خبر وصول محمد بن فلان بن عبيد الله بن زياد والياً على زبيد عام ٢٠٣هـ

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١١٥ـ ١١٨، ٢٥٦.

من قبل المأمون إثر خروج قبائل عك والأشاعرة على العباسيين[١] واستمرار حكم بني زياد على اليمن وامتداداتهم ونزاعاتهم، وقد أورد عمارة أخبار ابن طرف في عثر (المخلاف السليماني)[٢] وأخبار ابن الحرامي في حلي بن يعقوب[٣]، وأخبار أشراف مكة وامتداداتهم إلى مدينة عثر ولكنه لم يورد مطلقاً خبر آل يزيد وإمارتهم في عسير، وقد اقتنص المزورون منه إشارته لهزيمة ابن زياد لتهامة وإقامة دولته في اليمن على إثر ذلك، فحوروا هذه الإشارة إلى مواجهات كان يديرها بنو يزيد من موقعهم في بلاد عسير مع بني زياد، علماً أن تهامة في تلك المرحلة كان بها بنو عبدالجد من بني الحكم أمراء عثر الذين لا علاقة لهم بعسير.

- كما أن وصف مفرح الربعي في القرن الخامس في كتاب "سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر بن الإمام العياني" في الجزء الخاص برحلتهما في الفترة (٤٥١٠-٤٥٩هـ/ ١٠٥٩-١٠٦٦م)" التي بدأت من اليمن إلى ترج بعد أن تمكن الصليحي من الحكم في اليمن فهربا منها إلى ترج التي تقع ضمن إطار منطقة عسير مرورا ببلاد سنحان، وعبيدة، وعنز بن وائل (بلاد رفيدة) المجاورة لمدينة أبها، وشهران، وترج التي أقاما بها لمدة ثمان سنوات ثم عند عودتهما عبروا جرش وبلاد عنز مرة أخرى، يدل دلالة واضحة على انتفاء وجود أي إمارة في إقليم عسير سوى الزعامات القبلية المحلية ما عدا "ترج" والتي ذكر أنها كانت من ولايات شريف مكة وهذا بعض نص روايته:

"قال سلامة بن علي:

" ونفذ ما معنا من الزاد ووقعنا في مقطعة من البلاد ثم سأله الصحابة فأرسل معنا رجلين من بني عمه، فصاروا بنا إلى صرم لبني عبيدة من جنب، فما شعرنا إلا بين أبياتهم، ولقد هموا بنا لعظم البغضة، فلم يجدوا بداً أن أضافونا، وفرشوا لنا".

إلى أن يقول:

"فسأل الشريف منهم الصحابة، فانتدب منهم لذلك رجلان، وسرينا من ليلتنا تلك، وندموا علينا، ومضوا على أثرنا يريدون الفتكة بنا وبصاحبهم. فلما أصبحنا صلينا، والقوم قد لزموا لنا الطريق، فشددنا للفتنة، فمضى أحد صاحبيهم، حتى نحاهم

---

(١) اليمني، نجم الدين عمارة بن علي الحكمي (عمارة اليمني)، تحقيق الأكوع، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ص٤٥.

(٢) اليمني، عمارة، المصدر السابق، ص٦٥، ٦٩.

(٣) اليمني، عمارة، المصدر السابق، ص٦٦، ٦٩.

جانباً، ومضى صاحبهم الآخر جانباً، فلما قربنا من بلاد عنز بن وائل جعلوا يلحقون بنا فارساً واثنين حتى لحقنا منهم ثمانية فرسان، وتحقق للشريف أنهم يريدون بنا المكيدة، فنزل، فصلى وصنوه محمد بن جعفر، وحشمر بن عبد الأعلى راكبان، فلما صلى ركب ونزل صنوه فصلى، فلما فرغ ركب ونزل حشمر فصلى، والقوم في خلال ذلك يديرون الرأي ويشتورون. فلما فرغنا من الصلاة أقبل القوم بأجمعهم إلينا، ثم استفتح شيخ لهم الكلام فقال: يا شريف والشريف الله، ها هنا حد، وإلى ها هنا صحابتنا، وفي نفوسهم الغدر والخديعة والمكر، فلما سمع الشريف ذلك منهم قال لهم: يا وجوه العرب! لست بحراث ولا تاجر فترغبون في، أو تهولون علي، أنا رجل من بني الحسن، أنا القاسم بن جعفر من أخذني ها هنا أخذته بمكة. ثم قال لنا: امضوا فمضينا غير بعيد، إلا وتبعونا يقولون: يا شريف أنتم صحابتنا! ثم مضينا نحن وهم، ونحن على أحزم أمورنا، حتى انتهوا بنا إلى قرية من بلد عنز مما يليهم، فلقينا أهل تلك القرية بالترحيب، فقال لهم الشريف: ما أردتم من إكرامنا فاجعلوه الصحابة لنا إلى إمامنا، فصحبونا حتى انتهوا بنا إلى البذاخ وهو رجل من جذيمة من عنز بن وائل، وهو دليل الحاج، فرحب وأجمل وقرى، وأجزل وعرفنا أنه مفاتن للعواسج بجرش. وكانت كتب بني الصليحي قد تقدمتنا من ناحية تهامة إليهم فهم على مسرة الصليحي بمساءتنا حراص، ونحن لهم خوف، وكان وصولنا بالبذاخ ليلاً، فأمرنا فكمنّا في دربه صبيحة يومنا ذلك، فلما كان من الليل ركب معنا حتى استصحب لنا رجلاً رفيدياً من عنز، فسار بنا الرجل من فوره حتى إذا صرنا في بعض الطريق تبعنا من عشيرته خيل ورجال يريدون الغدر فينا، وقدموا منهم رجلين إلى مضيق قدامنا يعرفونه، وأمروا هذين الرجلين بلزم رفيقهم إذا مر بهما في المضيق، فلما صرنا إلى ذلك الطريق وثب الرجلان فلزما رفيقهم، فلما رأى ذلك الشريف الفاضل حمل هو وصنوه محمد بن جعفر على الرجلين بالسيوف، فخليا عن شكيمة فرس صاحبنا، ومضينا على حالنا حتى انتهينا إلى الشقرة من بلد شهران حتى صرنا إلى ترج بالسلامة بعد مشقة من الخوف"[1].

- وهنا نجد أنه لم يذكر الراوي عبر رحلتهم أي إشارة إلى وجود حاكم بل مجرد قيادات قبلية توافق ما أشار له بعده ابن المجاور في "تاريخ المستبصر"[2] وابن بطوطة في "تحفة

---

(١) الربعي، مفرح، سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين، ص١٢٠ - ١٤١.

(٢) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٣٧، ٣٨.

النظار.."[١] حيث أشار مفرح كما قرأنا إلى مرورهم ببلاد عبيدة ثم ببلاد عنز بن وائل "رفيدة قحطان حالياً" المجاورة لبلاد عبيدة ولبلاد عسير بل والقريبة جداً من مدينة أبها، وبلاد عنز كما ذكر الهمداني[٢]، وكما ذكر محققي كتاب سيرة الأميرين لمفرح الربعي[٣]، ومثلهم ذكر د. غيثان بن جريس[٤] هي المنطقة الواقعة ما بين بلاد جنب وبلاد الحجر ومثله قال ابو داهش[٥] (أي ما بين سراة عبيدة وعبل)، أي أن بلاد عسير في وسطها، فأينه من ذكر الأمير اليزيدي الذي هزم الشريف أو الأخر الذي هزم القرامطة أو ما بينهما والذين كان حكمهم يمتد إلى نجد وبلاد غامد وزهران وظهران الجنوب في تلك المرحلة، أي أن الرحلة والإقامة لمدة ثمان سنوات كانت كلها داخل حدود دولتهم.

- وأيضاً فقد أورد الديبع المتوفي سنة ٩٤٤هـ في كتابه "قرة العيون في أخبار اليمن الميمون" تسلسل ولاة بني العباس على الحجاز واليمن وأخبارهم منذ أولهم/ داوود بن علي بن عبدالله بن العباس الذي ولي اليمن والحجاز عام ١٣٢هـ فولى عمر بن عبدالمجيد العدوي على اليمن عام ١٣٣هـ ثم عدد الديبع تتابع الولاة من بعدهم وحوادثهم حتى/ علي بن الحسين جفتم في العقد العاشر من القرن الثالث[٦]، ولم يرد أي خبر أو إشارة تدعم ما ذكر في إمتاع السامر بل لم يرد اسم عسير مطلقاً ولا أي حواضر منطقة عسير السراة كجزء متفاعل مع الأحداث في كل متن الكتاب الذي ألم بجميع حوادث اليمن حتى عام ٩١٣هـ فأين حروب بني يزيد ونفوذهم الذي كان يشمل بلاد سليمان بن طرف، ويشمل بلاد كنانة والتي هي جزء من بلاد حلي بن يعقوب عن ابن الديبع.

---

(١) ابن بطوطة، تحفة النظار في عجائب الأمصار، ص١١١، ١١٢.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، ص٢٣٠، ٢٣١.

(٣) الربعي، مفرح، سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين، ص١٢٢.

(٤) ابن جريس، غيثان، بلاد السراة في كتاب سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر بن الإمام العياني، دراسة تاريخية، بحث بنادي أبها الأدبي.

(٥) أبو داهش، أهل السراة في القرون الوسيطة، ص٤٢.

(٦) الديبع، أبي الضياء عبدالرحمن بن علي، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون،كتبة الإرشاد - صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ ص١٠٥- ١٥٥.

ثانياً: أحداث القرن السادس والسابع

١- عام ٥٥١هـ جرت معركة بين جيش الأمير سليمان بن موسى اليزيدي أمير عسير ومعه قبائل متفرقة من عاصم ومطير وعقيل وروق وشيبان وبني سرحان وبني سوادة وبني عائذ وجروان وجناح بن غانم، وبين قبائل الغز في بيشة وبعد معارك كبيرة تمكنت قوة الأمير سليمان والقبائل التي معه من هزيمة الغز ودحرهم واستقرت تلك القبائل بعدها في نجد"[1][*].

٢- عام ٥٨٦هـ أرسل الأمير سليمان بن موسى بن محمد اليزيدي بعوثاً منها مذحج وشهران وناهس وبنو الحكم للقضاء على العيونيين في هجر (الأحساء) ودعماً لعاصم بن سرحان العصفوري العامري (عامر بيشة) حيث ناهض بهم أعوان العيونيين وأقام بعدها دولة بني عصفور السنية التي دخلت نجد واليمامة تحت سلطانهم[2].

٣- عام ٦٤٢هـ احتلت قوات الأمير حسان بن سليمان اليزيدي بلدة أوضاخ في نجد في أثناء قتاله للعيونيين دعماً لبني عصفور العامريين، وقد تمركز فيها بنو خالد المخزوميين الذين كانوا بجيشه حتى أجلاهم عنها بنو لام فتفرقوا في قرى سدير والوشم والعارض والقصيم والأحساء[3].

٤- عام ٦٤٥هـ "الأمير حسان غزا بقوة من عسير وقحطان ويام هجر (الأحساء) عندما استنجد به الأمير الفضل العيوني لاستعادة سلطانه على البحرين الذي انتزعه بنو عامر، فمكنه، وبعد أن عاد ثار العامريون على الفضل وقتلوه بعد سنتين من حكمه وكان حسان أبقى للفضل عشائر من قحطان ويام وجماعة من بيشة من بني خالد من بني مخزوم ولا تزال بقيتهم في بيشة وقد آلت إليهم فيما بعد سيادة الأحساء، وقد تفرع منهم بنو جبر، ووضع

---

(١) إمتاع السامر (ن د)، ص١٩٦.

(*) أين هذه الحرب الكبرى من تاريخ الحرمين فلم يورد لها أي خبر العصامي ولا دحلان ولا الرحالة الذين كتبوا عن مكة والمدينة في القرنين السابع والثامن كابن المجاور وابن جبير أو حتى المحدثين، وقد أسهب / محمد بن علي بن مسفر عسيري في ذكر أحداث اليمن والمحيطين به في العهد الأيوبي وتتبع جميع المصادر التي تحدثت عن تلك المرحلة ولم يأتي على أي ذكر لهذه الدولة العسيرية التي هزمت الغز ومنعتهم من التوسع في الجزيرة العربية مع أن من المفترض أن تكون هذه الإمارة في أوج شهرتها ومجدها خلال هذه المرحلة مع هذه الانتصارات الكبرى، وهو ابن عسير الذي يفترض أن يحرص على حفظ تاريخها. (انظر كتاب"الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي، ٥٦٩-٦٢٦هـ).

(٢) تاريخ عسير المنسوب لمحمد بن مسلط، ص٣٩.

(٣) (ن د)، ص٣٣٠.

حسان علامات على طريق عودته من هجر كانت تنقلها الإبل وعرفت هذه الطريق بطريق حسان"[١].

٥- من عام ٦٤٦هـ "كان راشد بن سعد الشرقي والياً لأمير عسير حسان اليزيدي على عمان ثم حفيده القاسم حتى سقطت عام ٦٥١هـ واستعادها الصقر بن حسان اليزيدي بعد وفاة أبيه عام ٦٥٤هـ ثم ثار بنو القاسم على واليه وقتلوه عام ٦٥٦هـ وفي عام ٦٦١هـ تمكن غانم بن صقر اليزيدي بعد وفاة والده من هزيمة أمير نجد والأحساء محمد العامري وأخضع غانم نجداً لسلطته حتى عام ٧٢١هـ حيث توفي غانم"[٢]!.

٦- في عهد الأمير حسان المتوفي عام ٦٤٩هـ جرت معارك بينه وبين بني رسول في اليمن أثناء محاولتهم ضم عسير إلى إمارتهم فهزم بني رسول في (دلغان) و(الرهوة) وكانت عسير بقيادة الأمير مروان بن حسان فقتل في تلك المعركة، وقبر في العرق بين وطن آل يزيد وموطن آل سرحان ويعرف إلى اليوم عرق مروان[٣]!؟.

٧- عام ٦٥٣هـ دخلت قوات بني لام بيشة وقتلت أميرها محمد بن سعد المهدي من قبل الأمير صقر بن حسان الذي أرسل قوة تمكنت من طرد بني لام، ثم أبعدت القبائل التي مالأت الخصوم، وأحرقت نخيلهم وزرائبهم، لذا فأهل بيشة يكرهون تسمية "صقر" ويطلقونه على من به قسوة وجبروت (كما يقول)[٤]!.

٨- "الجرادية في الرياض سميت نسبة إلى جراد بن ابراهيم الزهيري أمير غانم بن صقر اليزيدي على نجد عندما دخلتها قواته عام ٦٦١هـ حيث كانت قصوره هناك وهي الآن دامرة للأمراء من آل جبر"[٥]!.

٩- عام ٦٥٠هـ "جرت في نجد معارك بين عبيدة وبين سبيع معهم بني عقيل وانتصرت عبيدة بعد أن دعمتها قوة أخرى من عسير"[٦]!.

---

(١) (ن د)، ص١٦٠.
(٢) (ن د)، ص٣٢٩.
(٣) (ن أ)، ص١٥٩.
(٤) (ن د)، ص٤٩٤.
(٥) (ن د)، ص٣٨٦.
(٦) (ن د)، ص١٩.

١٠- عام ٦٨٩هـ أورد الكاتب ضمن قصيدة نسبها إلى عامر بن زياد العبدلي الشريفي والذي هو حسب الرواية من أعيان القرن الثامن قوله:

وكـــم حمتها عسير قبلهـم ورمت ... لاماً، وأحلاف لام في سنا تعسوا

صانت رباها وقد هم الشريف بها ... فضم مصرعه في الحومة البلـــس

ثم يقول في الحاشية لتفسير البيتين:

"حاول شريف مكة بسط نفوذه على عسير فهزم وقتل، في البلس بين غامد وزهران"[١].

ما أوردته المصادر التاريخية المعروفة خلال هذه الفترة

- بخصوص ما أورده عن أحداث أمراء عسير مع الإمارات التي قامت في الأحساء وعن امتداد نفوذ أمراء عسير عليها، فهذه المعلومات المستحدثة لم ترد مطلقاً في مصادر تاريخ عسير ولا نجد ولا تاريخ الأحساء مثل "تاريخ الأحساء" لابن عبدالقادر وشروحات "ديوان ابن المقرب" ولا في أي مصدر آخر بل تتعارض تماماً مع ما أوردته هذه المصادر حيث أن "الفضل" لم يُقتل بل من قُتل هو والده على يد ابن عمه ومعه رئيس بني عامر من عبدالقيس، لذا استنصر بالخليفة العباسي "الناصر لدين الله" فأنجده فتمكن من قتل قتلة أبيه[٢].
- الأسماء التي أوردها الكتاب مثل عرق مروان وجبل غسان ووادي ميدعان وأسوان والجولان والغوطة .. و .. و .. من عشرات الأسماء المشهورة التي أطلقها صاحبنا على مواقع وأوصل بعضها بقبائل في عسير هي أسماء لم تعرف قبل صدور هذه الكتب، وكل ما عرف هو إطلاق مسمى الصعيد على أحد حصون الدفاع في ريدة وكان ذلك تيمناً بوجود مجموعة تابعة لقصر الحكم في عهد علي بن مجثل معظمهم ممن أسروا من جيش محمد علي في المعارك السابقة فظل هؤلاء ضمن العسكر الاحترافيين المجندين في عسير حتى عهد محمد بن عايض، فكان نصيب أبناء الصعيد الذين يمثلون جزءاً كبيراً من هذه المجموعة إطلاق مسمى الصعيد على أحد الحصون، إذ كانت الحصون الدفاعية التي بنيت في عهد محمد بن

---

(١) (ن د)، ص٤٩.

(٢) (ن د)، ص٢٦٧، ٢٦٨.

عايض يطلق عليها أسماء القبائل كجمهور ومالك وبكر وشهران وقحطان ونجران... وغيرها[١]، في محاولة لاستثارة حمية هذه القبائل للدفاع عن هذه الحصون عند الطلب.

- لم تورد المصادر اليمنية أي خبر عن حروب بين بني رسول وأمراء بني يزيد المزعومين في عسير مطلقاً، فهذا كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجي المتوفي عام ٨٠٢هـ، وقرة العيون للدبيع المتوفي عام ٩٤٤هـ والبرق اليماني للنهروالي الذي كتب عن الفترة اللاحقة لسقوط الرسوليين مباشرة حتى عام ٩٩٠هـ وهي أقرب المصادر اليمنية بعد هذه الأحداث لم تورد أي خبر عن ذلك، بل لم يرد بها أي خبر عن تداخل الرسوليين مع بلاد عسير في السراة مطلقاً، عدا نجران، حيث شن المظفر والإمام والأشرف بعد صلحهم حرباً على نجران عام ٦٧٢هـ فقتل الشريف علي بن وهاس على يد أهل نجران من بني عبد المدان بقيادة آل أبي الجود[٢]، ولا علاقة لعسير بهذه الحرب، بل لم يرد مسمى "عسير" ولا "إمارة آل يزيد" في كل هذه الكتب.

- هذه الروايات عن أحداث جسام جرت في القرن السابع عن هذه الدولة الكبرى المشهورة في المنطقة والتي لم يأت على ذكرها أحد، تتعارض تماماً مع وصف الرحالة ابن المجاور الدمشقي (توفي عام ٦٩٠هـ) المعاصر لتلك المرحلة عندما وصف إقليم السراة (مابين الطائف وصعدة) في حينه وهو ما يعرف حالياً بإقليم عسير، ولنقرأ ما ذكره عن هذه المنطقة حيث ذكر في تاريخ المستبصر ما يلي:

"من الطائف إلى صعدة

حدثني محمد بن زنكل بن الحسين الكرماني قال: إن من الطائف إلى المعدن أربع فراسخ. وإلى الران ثمان فراسخ. وإلى مجرى ثمان فراسخ. وإلى الدورب أربع فراسخ. وإلى يافع ثمان فراسخ. وإلى عدان ثمان فراسخ. وإلى ران كسه أربع فراسخ وهو جبل ذو طول وعرض وعليه مجاز الخلق. وإلى صفى أربع فراسخ وهو سوق يقوم يوم الجمعة. وإلى خفن أربع فراسخ وإلى مدر أربع فراسخ وهو سوق يلتام فيه الخلق ليلة الجمعة. وإلى عضة عرين أربع فراسخ وإلى بلاد بني قرن أربع فراسخ وإلى بلاد بني عبد الدار عشرين فرسخا، وإلى ذهبان سبع فراسخ.

---

(١) هاشم النعمي، تاريخ عسير..، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ، ص٢٠٢، وقد اعتبر هاشم أن هدف هذه الحصون جمع الأموال وهذا لا يصح حيث كانت هنالك حامية تجمع الخراج من كل موقع ولم يكن من داع لجمع الخراج عبر أسماء الحصون خاصة وأن هذه الحصون كانت في السقا وريدة حيث العمق الجبلي.

(٢) يحي بن الحسين، غاية الأماني، ج١/ ص٤٥٨، انظر أبو داهش، أهل السراة، ص٦٨.

صفة هذه الأعمال

وحدثني الراوي قال: جميع هذه الأعمال قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر والصغر وكل قرية منها مقيمة بأهلها، كل فخذ من فخوذ العرب وبطن من بطون البدو في قرية ومن جورهم لا يشاركهم في نزلها وسكنها أحد سواهم. وقد بنى في كل قصر من حجر وجص وكل من هؤلاء ساكن في القرية له مخزن في القصر يخزن جميع ما يكون من حوزة وملكه وما يؤخذ منه إلا قوت يوم بيوم. ويكون أهل القرية محاطين بالقصر من أربع ترابيعه. ويحكم على كل قرية شيخ من مشايخها كبير القدر والسن ذو عقل وفطنة فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشيره عليهم ويحكمه فيهم. وجميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان ولا يؤدون خراجا ولا يسلمون قطعة إلا كل واحد منهم مع هوى نفسه. بهذا لا يزال القتال دأبهم ويتغلب بعضهم على مال بعض ويضرب قرابة زيد على أموال عمرو وهم طول الدهر على هذا الفن. وجميع زرعهم الحنطة والشعير وشجرهم الكروم والرمان واللوز ويوجد عندهم من جميع الفواكه والخيرات وأكلهم السمن والعسل. وهم في دعة الله وأمانه وهم فخوذ يرجعون إلى قحطان وغيرهم من الأنساب.

و أما ذهبان: فهي أم القرى بلاد عز ويقال إن دور أعمالها أربعون فرسخا وهي نجد اليمن والأصح أطراف أعمال نجد اليمن من شرقي تهامة وهي قليلة الجبال مستوية البقاع. ونجد اليمن غير نجد الحجاز غير أن جنوب نجد الحجاز يتصل بشمال نجد اليمن. وإلى بلاد قحطان أربع فراسخ وإلى راحة بني شريف فرسخين واد فيه وضعت مدينة البصرة ويسمى درب العقيق. وإلى صعدة عشرين فرسخا وهي مدينة ذات عمارة وأرض نزة ودرب آمن. قال ابن المجاور: وفي هذا الطريق من الأمم والبلاد والمدن والقرى ما لا يعد ولا يحصى ولا تحويه أقلام الدواوين أي في صنعة الحساب. وشرب أهل البلاد من أنهر سائحة وبعضهم يشرب من آبار ماؤها خفيف على افؤاد[١] ذات هضم ولذة"[٢].

وكما نرى فابن المجاور وصف بلاد السراة في القرن السابع من حيث التركيبة السكانية والقبلية والحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ونلاحظ أنه لم يذكر أبها ولا السقا ضمن

---

(١) هكذا جاءت في المصدر.

(٢) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، مصدر سابق، ص٣٧، ٣٨.

الحواضر الكثيرة التي ذكرها فيما بين الطائف وصعدة، مع أن المفترض أن تكونا أشهر المدن في المنطقة كيف لا وهما تتبادلان مركز حكم كامل المنطقة، مع أنه ذكر ذهبان التي تلي الركن الجنوبي الشرقي لبلاد عسير وأطلق عليها أم القرى وذكر أنها بلاد عز مما يعني مركزيتها التجارية وأقدمية سوقها في تلك الحقبة، بل وأنكر ابن المجاور وجود أي نوع من أنواع الحكم المركزي تخضع له هذه المنطقة تماماً وأشار إلى أن كل قرية يحكمها شيخ كبير السن والقدر والعقل والفهم فإذا حكم بحكم لم يخالفه غيره، كما قال بأنهم لا يخضعون لسلطان ولا يؤدون خراجاً ولا يسلمون قطعة إلا كل واحد منهم مع هوى نفسه، بل ويؤكد أنهم على هذا الحال منذ الأزل، وهو ما يدل على أنه لم يعرف قيام أي نوع من أنواع الحكم بها قبل ذلك في عصره، فهل يعقل أن يقال ذلك عن هذه المنطقة في ظل وجود أقدم إمارة عربية، وأوسع إمارات الجزيرة نفوذا فوق أرضها في حينه، والتي كانت تخوض الحروب مع الشريف في مكة ومع حكام اليمن ومع الغز ومع أمراء اليمامة وهجر منذ القرن الثاني، إذ كانت تمتد على كل هذه المنطقة بل إلى داخل اليمامة شرقاً ومشارف الطائف شمالاً وإلى بلاد همدان من الجنوب والبحر الأحمر من الغرب (إمبراطورية).

وأيضاً فإن ما ذكره ابن المجاور ينسف تماماً رأي الأكوع[١] ومن نحى نحوه كمحققي كتاب إمتاع السامر "نسخة الدارة" أو غيرهم من أن هذه المنطقة كانت تخضع لمن يسيطر على المخلاف السليماني، فهي شهادة واضحة المعالم معاصرة لوجود نشاط سياسي في بلاد المخلاف تقول بأنهم لم يكونوا خاضعين لأحد مطلقاً خلال العصر الإسلامي سوى ما ورد في المصادر المتقدمة من تعيين بعض الولاة على جرش من قبل النبي ﷺ أو من قبل الخلفاء الراشدين عليها، وربما تبعت الجهات الشرقية منها لبني أبي الجود في نجران منذ القرن الثاني للهجرة إلى بداية القرن الرابع.

- بخصوص ما نقله عن حرب أمراء عسير في "البلس" بين بلاد غامد وزهران عام ٦٨٩هـ مع الشريف، فقد أورد العصامي أن حرباً وقعت في موقع يسمى "ملس" قرب سوق الخميس بزهران بين قبيلة زهران وشريف مكة حسن أبي نمي بسبب قتلهم للوالي والحاكم المعينين من قبله وكان ذلك عام ٩٨٧هـ، ولكن لا علاقة لسوى هذه القبيلة بتلك المعركة[٢]، ونلاحظ هنا استغلال الأسماء والأحداث وإعادة صياغتها بطريقة جديدة كالعادة، لسرقة كل تاريخ المنطقة وربطه بآل عايض وأجدادهم المزعومين.

---

(١) الحوالي، محمد الأكوع، اليمن الخضراء، ص١٥٨.

(٢) العصامي، سمط النجوم العوالي، ص٣٦٧، ٣٦٨.

ثالثاً: أحداث القرن الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر

١- عام ٧١٣هـ استجار الشريفان حميضة ورميثة بالأمير غانم بن صقر اليزيدي أمير عسير فجاء الشريف أبو الغيث بن أبي نمي فردته عسير وهزمته بعد معارك في "محمية" و"نفس" و"العرضية" وعاد خائباً[(١)].

٢- عام ٧١٨هـ في عهد الأمير غانم بن صقر اليزيدي حدثت معركة في "اللبس" قرب صعدة بين قوات عسير وقوات الرسي انتصرت فيها عسير[(٢)].

٣- عام ٧٦١هـ دخلت قوات الأمير عبدالرحمن بن عبدالوهاب اليزيدي الأفلاج ووادي الدواسر وولى عليها بدر بن معن الزعبي[(٣)].

٤- عام ٧٨٠هـ دخلت قبائل بني عقيل وادي الدواسر (العقيق) لإلحاقها بدولة بني جروان في أيام عبدالرحمن بن صقر اليزيدي فاستنجد أمير الدواسر بأمير عسير فأنجده بماعز الطياري وعامر بن زياد ومحمد بن علي الملاطي فتوجهوا بمن معهم من قبائل فالتحموا ببني جروان بنجد الجماد وتمكن عامر بمن معه من القضاء على العصفوريين قتلاً وأسراً حتى امتلأ ميدان المعركة بالدم وسميت الحادثة (نجد الدم)، وبعد ذلك استمال والي الحجاز أحمد بن عجلان والي الدواسر/ عامر بن زياد ومناه بولاية نجد عام ٧٨٣هـ فمال عن عبدالرحمن بن صقر اليزيدي وشجعه على ذلك أن ابنه سدير بن عامر يسيطر على شمال اليمامة وكان أمير عسير عبدالرحمن تعرض حينها لغزو من ثلاث جهات من قبل قوات الأشرف الثاني بن العباس الرسولي فتمكن من الانتصار عليها في وادي مربه، ثم يقول أن عامراً تلكأ في إرسال قوة لعبدالرحمن اليزيدي فجهز عبدالرحمن عليه حملة فطلب عامر من الشريف عجلان مساعدته فأرسل قوة تمكنت من الوصول إلى بيشة بعد معركة حامية في أبيده أعلى وادي تربه والتي يذكر أنه (قامت مكانها تربه) ولكن أمير البقوم (حنش الحنتوشي) وبمساندة ماعز الطيار المسردي تمكن من هزيمة جيش الشريف عجلان ثم سار حنش دعماً للأمير يزيد بن عبدالرحمن اليزيدي الذي خلف أباه الذي توفي في تلك المرحلة[(٤)(*)].

---

(١) (ن د)، ص٤٧.

(٢) (ن د)، ص٥٠ .

(٣) (ن د)، ص٢٠٨.

(٤) (ن د)، ص ٣٦؛ (ن أ)، ص١٥.

(*) لعل الكاتب لم يشر بشكل مباشر إلى سبب تسمية "تربة" التي ذكر أنها قامت مكان هذه المعركة التي اندلعت نهاية القرن التاسع بهذا الاسم كعادته.

= =

٥- أورد الكاتب قصة من أسماهم "الميساء" و"يزيد اليزيدي" في القرن الثامن وخروج الميساء متلفعة لمبارزة يزيد أمام إخوتها ووالدها عامر بن زياد[1] بصورة تبز الكثير من الأساطير الأخرى، والعجيب أن هذه القصة حدثت بينما لم تعرف ولم ترو مطلقاً قبل إيرادها في هذا الكتاب لا على لسان العامة ولا في أي مصدر.

٦- في نهاية القرن الثامن منيت قوات بني رسول بهزيمة أمام عسير فغضب الأشرف الثاني فجهز قوة ضخمة ضمت الشجعان المعدودين عنده وجعل القيادة لابنه أحمد الذي توغل في صعدة، ونجران، وظهران الجنوب، واستولى عليها وتمركز في (الحرجة) ووصلت الأخبار إلى الأمير يزيد، فتوجه وعامر بن زياد ووضع واليا على وادي الدواسر حنش الحنتوشي، وجرت معارك بين الطرفين، فتراجع بنو رسول إلى الحمرة ولحقتهم قوات عسير، وعادت المعارك التي انتهت بمقتل الأمير يزيد وعامر، وتراجعت قواتهم إلى الحرجة حيث تمركزت هناك بقيادة ماعز الطيار وعاطف بن الهرمس اللذان طلبا نجدة من السقا فجاءهم الأمير حرب بن عبدالرحمن على رأس قوة، وكان قد بويع أميراً، وتجمعت قوات عسير، غير أن جيش بني رسول انسحب لإصابة قائده إصابة بليغة، واستعاد حرب منطقة صعدة ونجران وظهران الجنوب[2].

٧- الأمير غانم بن صقر في القرن الثامن كلف جابر بن صالح جد آل منيف من رفيدة ببناء قلعة في راحة شريف لمرابطة قواته فيها لمجابهة تعديات بني رسول، فقام بالأمر وأطلق عليها إسم (الحوطة)[3].

= =

وهنا فمن المهم أن نذكر ما قيل عن تربة قبل هذا التاريخ للإيضاح، حيث ذكر البكري (توفي عام ٦٣٠هـ) في معجمه (معجم ما استعجم، ص٣٠٨-٣٠٩) ما يلي: "تربه... وهو موضع في بني عامر؛ قاله ابن الأعرابي (توفي عام ٢٣١هـ). وهو معرفة؛ لا تدخله الألف واللام وقاله بن سهل الأحول: تربة: من مخاليف النجدية وهي الطائف وقرن المنازل ونجران وعكاظ وتربة وتبالة والمجيرة وكتنة وجرش والشراء".

وقال مفرح الربعي في كتاب "سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين، ص١٢٤" في رحلتهما إلى ترج في الفترة ٤٥١-٤٥٩هـ ما يلي: "قال مفرح بن أحمد: سألت الأمير الأجل ذا الشرفين عن سفره إلى مكة، فقال: لما صرنا بترج بقيت معنا فرسان وبغلتان، وخشينا أن يلحقنا من الأمير أبو الفتوح عتب، إذا لم نتصل به لأن يده كانت تصل البلاد التي نحن بها، فأمرني الشريف الفاضل بالتقدم إليه بتلك الدواب وتسليمها إليه على سبيل الهدية، فنهضت مسافراً إلى مكة معي حشمر بن عبدالأعلى، وأحمد بن طريف، ويوسف بن يحيى حتى إذا صرنا بـ "تربه"، حضرتنا الصلاة بمسجد تربه".

(١) (ن د)، ص٦٩.

(٢) (ن د)، ص٧٠.

(٣) (ن د)، ص٣٦.

٨- عام٧٨٥هـ دخلت قبائل نجد بقيادة ربيعة بن الفضل أمير بني لام ومعه لفيف من قبائل عنزة ومطير وتميم وعقيل وغيرها إلى أطراف عسير واحتلت بيشة فاستعاد الأمير عبدالرحمن بن عبدالوهاب اليزيدي بيشة واستقر في الحيفة فاجتمعت قبائل نجد مرة أخرى ولكنه تمكن من هزيمتها مرة أخرى في أطراف ضلفع "بالأجزاع"(١).

٩- في أيام إبراهيم بن عائض اليزيدي المتوفي عام ٨٩٣هـ وقعت حروب بين بني يزيد في عسير وبين أشراف مكة أدت إلى احتلال قبائل شبابة من زهران (والتي كانت جزء من جيش آل يزيد) للطائف، وفي مطلع القرن الثامن وجهت قبائل بني عائذ وروح بن مدرك وقبائل أخرى من عسير لحرب بني جبر لطرد قواتهم من بيشة وتم لهم ذلك، فدخلوا نجد وتمركزوا مع قبائلهم التي كانت قد دخلت في نهاية القرن السادس إثر حرب أقدم انتصرت فيها عسير(٢).

١٠- يقول: كان أمير عسير في عام ٩٢٠هـ هو إبراهيم بن عائض بن علي بن وهاس وكان واليه على منطقة ظهران محمد بن المهدي من آل الجبير من وادعة. وفي ذلك العام تقدم إمام اليمن مجد الدين الرسي إلى شمال بلاد وادعة وتمكن من دخول المنطقة وإحراز النصر في عدد من المعارك التي جرت بين الطرفين في "راحة سنحان"و"راحة شريف" و"وادي يعوض" و"وادي شثات" و"الرهوة" و"الفويد" غير أن ابن مهدي قد تحصن في "الحرجة" وعندما تقدم مجد الدين استطاع أن يدحره، وأن يقتله في ساحة المعركة. ووصل الخبر إلى معز الدين الرسي الذي آلت إليه إمامة اليمن فأسرع للمنطقة بجموع كبيرة ودخلها، والتقى مع ابن مهدي في "الطلحة" فاستطاع أن يقتله وأن يثأر منه، كما تمكن من تمزيق القوة العسيرية، الذين لاذ من نجا منهم بـ (ثابت بن سعيد آل محضي الوادعي) في قرى آل الصقر حيث تحصن فيها حتى تصل إليه نجدة من أمير عسير إبراهيم بن عائض الذي وجه إلى قبائل "المعضد" من عبيدة ويام الأمر بالانضمام إليه ومساعدته لإخراج معز الدين الرسي من جنوب بلاد عسير. سار أمير نجران مانع بن سعد بن حسين السالمي الرفيدي الملقب بأبي ساق مع العجمان وكان قد تمكن هذا من جمعهم في حلف أنهى ما هم عليه من تفرقة وتشتت، وقد أطلق على هذا الحلف اسم "قاطمة" إذ قطم ما كان بينهم من إحن وعداوات وانضم مانع إلى ثابت الذي قاد قحطان، والتقت هذه القوة في الحرجة مع معز الدين وتمكنت من إخراجه من

---

(١) (ن د)، ص٧٥.

(٢) (ن د)، ص٣٣٤.

الحرجة وبعض قرى سنحان وتمركزت في الطلحة ثم واصلت زحفها إلى وادي ظهران حيث طردت قوات معز الدين من المنطقة وتمركزت في صعده وذلك في عام ٩٤٢هـ، واضطر بعدها اليمنيون أن يعودوا إلى بلادهم مدحورين(١).

١١- حاول ابني شريف مكة أبي نمي كل من حسين ومحمد الاستيلاء على عسير عام ٩٣٥هـ ولكن قواتهما قد هزمت على يد الأمير عبدالله بن إبراهيم في عهد أبيه إبراهيم، وكان صعوده إلى السراة من مدينة حلي بن يعقوب(٢).

١٢- يعقوب بن موسى الحرامي اتخذ من (رجال) عاصمة له عام ٧٣٠هـ إلى أن أخضعها أمير عسير سالم بن عبدالله بن إبراهيم اليزيدي عام ٩٩٨هـ وتتمتها ص٩٦ بأن سالم استطاع أن يحتل إمارة حلي ويقتل أميرها يحي بن موسى الحرامي وابن عمه علي بن ابراهيم بن عيسى وأقطع معظمها لبني قطبة من رجال ألمع وأمر عليها سعد بن مزاح إلى أن أعاد الإمارة لآل الحرامي الأمير محمد بن عايض(٣).

١٣- عام ١٠٠٥هـ جرت معركة في "راحة سنحان" قتل فيها الأمير اليزيدي الذي كان يقود فرقة من عسير لإخراج قوات الإمام الرسي القاسم بن محمد المنصور منها(٤).

هل تؤيد المصادر الحقيقية هذه الأخبار:

- نلاحظ هنا أن المزورين أكثروا من ذكر وادي الدواسر وبيشة ورنية والحرجة في تاريخ الدولة اليزيدية، وهذا يعود إلى أن هذه الحواضر أهمل ذكرها في القرون الإسلامية الوسيطة التي نشط فيها المؤرخون في كتابة التاريخ العربي مثلها في ذلك مثل جبال السروات (عسير) ونجد وبلاد اليمامة خاصةً كلما اتجهنا إلى العمق، ومن ثم فتاريخ هذه المناطق ووضعها السياسي في تلك المرحلة شبه مجهول لدينا حتى هذه اللحظة، ومن هنا أوجد لها المزورون تاريخاً ضمن ما أوردوه عن الدولة اليزيدية مستغلين هذا النقص الذي يزداد كلما اتجهنا إلى العمق في الجزيرة العربية وكلما ابتعدنا عن منطقة ما بين العراق والشام ومكة والمدينة المنورة ما عدا اليمن.
- لم يشر ابن بطوطة في القرن الثامن لوجود أي نمط من الحكم في عسير بل لم يشر إلى عسير حيث

---

(١) (ن د)، ص٨٤.

(٢) (ن د)، ص٩٤.

(٣) (ن د)، ص٥٣.

(٤) (ن د)، ص ١٣٦.

أشار لأهل السراة بإسم "السرو" ووصفهم بطريقة لا تدل إلا على كونهم على الفطرة وشديدي التدين[١]، كما أنه خلال رحلته من مكة إلى اليمن مر بتهامة وذكر حواضرها مثل حلي بن يعقوب والقحمة وذكر أعيانها ثم زار بعض جزر ومدن السودان والصومال ووصفها ووصف ولاتها ثم اتجه إلى اليمن حيث زار زبيد والحديدة واتجه إلى مدن اليمن الجبلية ووصفها، ومن هنالك اتجه إلى عُمان وتجول في مدنها ثم إلى هجر والقطيف ثم اتجه إلى حجر اليمامة، وقد ذكر أمراء وأعيان كل المدن والحواضر التي زارها، ولكنه لم يجد ما يستدعي الصعود إلى جبال السروات فيما بين الطائف وصعدة مطلقاً، وهذا يدل على عدم وجود أي إمارة شاملة معروفة في حينه فوق جبال السراة (إقليم عسير) حيث أنه مر بجوارها في تهامة ولم يحرص على الصعود إليها، بينما صعد جبال اليمن ليزور مدنها الأخرى وحرص على زيارة هجر وحجر اليمامة ووسط الصحراء[٢].

- في كتاب "البرق اليماني في الفتح العثماني" لـ (قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي) لم يرد مطلقاً أي ذكر لعسير ولا لأي أوديتها أو قبائلها في القرن العاشر كاملاً ولا لما قبله وخاصة جهة السراة، كما لم ترد أي إشارة لوجود إمارة لآل يزيد، مع أن النهروالي أسهب في ذكر أحداث القرن العاشر ابتداءً من عام ٩١٧هـ حيث وصول حسين الكردي إلى جدة مرسولاً من قانصوة الغوري لدفع ضرر البرتغال عن سواحل جنوب وجنوب شرق الجزيرة وسواحل الهند استجابةً لاستغاثة السلطان مظفر شاه سلطان كجرات في الهند ثم تسلسل الأحداث حيث رحيله إلى الهند ثم كمران ثم طلبه الإمداد من إمام اليمن حينها عامر بن عبدالوهاب من بني الطاهر والذي بدأ حكمه عام ٨٥٩هـ على حساب الدولة الرسولية الذي تمنَّع عن إمداده مما حدى بحسين الكردي لاحتلال اليمن مدعوماً بأهل الجبال من الزيديه، ومن ثم سرد المؤلف أحداث اليمن ودوله ومدنه وقبائله وتاريخه بإسهاب وتفاصيل غايةً في الدقة حتى سنة ٩٩٠هـ، ولكن لم يرد أي إشارة لا لهذه الحروب مع الدولة اليزيدية في عسير ولا لوجود حركة أو نشاط سياسي في جهة إقليم عسير في تلك المرحلة ولا حتى لأي تداخل لها مع أحداث اليمن أو الساحل في تلك المرحلة وما قبلها مطلقاً، والموقع الوحيد الذي ورد ذكره هو جازان وما بينها وبين بيش وعتود فقط كمناطق تداخلت مع أحداث اليمن في فترة الدولة العثمانية، وكان يتخالف عليها الأشراف النمويين في مكة وسلاطين اليمن

---

(١) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص١١١، ١١٢.

(٢) ابن بطوطة، مصدر سابق، ص١٨٠ـ ١٨٦.

فتارة يأخذها هذا وتارة ذاك وتارة يستقل بها الأشراف، كما أنه ذكر مشاركة أهالي حلي مع شريف مكة لملاقاة محمود باشا عند وصوله للسعدية عام ٩٧٢هـ[١] مما يدل على تبعية حلي لشريف مكة في تلك المرحلة، وأقصى ما ذكر من جهة الشمال في منطقة الجبال هو صعدة مع أنه استرسل في الحديث عن أحداث تاريخ بلاد خارج اليمن وبين اليمن ومكة وعن اليمامة والإحساء ولكنه لم يورد شيئاً عن هذه المنطقة وأحداثها الكبيرة والهامة جداً في فترة كتابته لكتابه عن هذه المرحلة التي عاصرها وهي في أوج قوتها حسب رواية مجموعة كتب إمتاع السامر!.

- كما أن العصامي المتوفي عام ١١١١هـ في كتاب "سمط النجوم العوالي" لم يورد أي خبر عن حروب أشراف مكة مع أمراء في عسير بل لم يورد أي خبر عن وجود أي إمارة في عسير البتة، ولا عن وجود إمارة اسمها الإمارة اليزيدية، ولكن من الواضح هنا أن المؤلف قد جمع من تاريخ العصامي وابن فهد (كما جمع من غيرهم) ما تداخل مع حكم الأشراف من منطقة السراة خاصةً بيشة وبلاد غامد وزهران وبجيلة وشهران، وحورها لما يخدم أهدافه، حيث جرت أحداث مشابهة في تاريخ العصامي كلجوء حميضة ورميثة ببلاد السراة عام ٧١٤هـ فراراً من أخيهما أبي الغيث[٢]، أو غزو رميثة بن عجلان لبلاد شهران وانكسار جيشه ومقتله وعدد من قادته أمام شهران عام ٨٣٧هـ [٣]، أو كحملة شريف مكة بقيادة ابنه الحسين على بلاد زهران في سوق الخميس في العقد التاسع من القرن العاشر ثم حملته الثانية عليها عام ٩٨٧هـ عندما قتلوا عماله عليها[٤]، وغزو الشريف حسن أبي نمي لبجيلة عام ٩٨٢هـ[٥]، أو وفاة الشريف أبي طالب بن حسن أبي نمي في بيشة التي كانت من ولايات مكة عام ١٠١٢هـ حيث كان عليها الشريف مغامس[٦]، وغيرها من الأخبار التي وردت في تاريخ الحجاز، إلا أن ذلك كله لا علاقة له بأي حكم آخر لا في عسير ولا غيرها لأن هذه المناطق امتدت يد شريف مكة عليها في بعض فترات تلك المرحلة، ومن الظلم ما فعله

---

(١) النهروالي، قطب الدين، البرق اليماني في الفتح العثماني، ص١٣٨.

(٢) ابن فهد، محمد بن محمد، اتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٣/ ص٢٧٥.

(٣) ابن فهد، عز الدين، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ج٢/ ص٤٨٣.

(٤) العصامي، سمط النجوم العوالي، ج٤/ ص٣٦٨، ٣٦٩، انظر أبو داهش، أهل السراة، ص٥٨، ٥٩.

(٥) العصامي، سمط النجوم العوالي، ٤/ ٣٦٧، انظر أبو داهش، أهل السراة، ص٥٦.

(٦) العصامي،٤/ ٣٨٤، ٣٨٥، يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ٢/ ٨٢٩، انظر أبو داهش، أهل السراة، ص٥٩.

المزورون هنا من سرقة لتاريخ هذه المناطق والقبائل وحروبهم وإشراك غيرهم معهم وتجيير مبادرتهم إلى المقاومة لسواهم زوراً، فلم يورد التاريخ أي خبر عن وجود من أسماهم "ماعز الطياري" و"عامر بن زياد" و"حنش الحنتوشي" وغيرهم من القادة الذين أحيل لهم دور محوري في بعض تلك الحروب التي ورد في المصادر المعروفة فقط أنها كانت بين شهران وقوات الشريف، أو بين زهران أو بجيلة أو غيرها من القبائل المنفردة وقوات شريف مكة.

- لم يورد حسام الدين محسن بن الحسن بن القاسم المتوفي عام ١١٧٠هـ في كتابه "اليمن عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول" أي خبر عن وجود أي إمارة في عسير أو فوق أي جبال السروات، لا سابقة ولا معاصرة، بينما أشار إلى الإمارات المجاورة وأخبارها كالأشراف في مكة وما بينها وبين أبي عريش وأعيانها وأمرائها أو الباشا عيسى في الأحساء[(١)].
- أورد محمد بن عبدالله المؤيدي أن والده "عبدالله بن علي المؤيدي" حضر إلى عسير في نهاية القرن العاشر للهجرة (عام٩٩٤هـ)، قادماً من صبيا عن طريق درب ملوح (درب بني شعبة حالياً) ثم عبر قبيلة عسير بصحبة أحد مشايخها وهو "ابن مدحان" شيخ قبيلة بني مغيد حتى أوصله إلى منزله في قريته "مناظر"[(٢)] ثم رافقه منها حتى أوصله إلى "ذهبان"[(٣)]، حيث استضافه شيخ قبيلة شهران "مريع بن الحفارص"، وقد بايعته على الإمامة هناك بعض قبائل المنطقة الكبرى مثل قحطان وشهران، وبقي في عسير بين أتباعه حتى عام ١٠٠٦هـ ثم عاد إلى اليمن واستقر بها، وظل بعد رحيله يراسل أصدقائه في المنطقة وفي صبيا حتى توفي عام١٠١٧هـ[(٤)].

وما أورده المؤيدي في السرد يدلنا على أنه لم يكن هنالك حكم مركزي في عسير ولا حتى على مستوى قبيلة عسير، إذ كان الأمر بيد شيوخ القبائل، لذا حضر المذكور إلى عسير وبويع بالإمامة من ثلاث قبائل كبرى في المنطقة، وبقي لمدة اثني عشرة عاماً دون أن يلقى أي اعتراض على ذلك، كما أن النص يفيد بوجود قبيلة عسير كما هي حالياً مع تعدد رؤوس القيادات القبلية بها كما سيأتي معنا.

---

(١) ابن القاسم، أبو طالب حسام الدين، اليمن عصور الاستقلال عن الحكم العثماني الأول، مطابع المفضّل للأوفست، ص١١٧.

(٢) مناظر: إحدى قرى أبها.

(٣) هبان: هو ما يعرف حالياً بخميس مشيط.

(٤) أبو علامة، محمد بن عبدالله، التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية، مخطوط لدى الكاتب، ورقة ٣٢٢ - ٣٣٨.

ونلاحظ أنه وحسب رواية إمتاع السامر أعلاه، فإن أمير عسير سالم بن عبدالله بن إبراهيم اليزيدي قد احتل حلي بن يعقوب عام ٩٩٨هـ وأخرج ابن الحرامي منها، كما خاض حرباً عام ١٠٠٥هـ مع الإمام الرسي القاسم بن محمد المنصور لإخراجه من "راحة سنحان"، وقد قتل في المعركة القائد اليزيدي، بينما لم يتنبه لكل تلك الأحداث الإمام المؤيدي الذي كان مستقراً في ذهبان في منطقة عسير والواقعة على الطريق من أبها إلى راحة سنحان، وظل إماماً للقبائل المحيطة بقبيلة عسير من الجنوب والجنوب الشرقي وهي شهران ورفيدة وقحطان (والتي تقع ضمن أراضيها راحة سنحان) دون أن يعلم بكل هذه الأحداث ولا بوجود الإمارة اليزيدية !.

رابعاً: أحداث القرن الثاني عشر والثالث عشر

١- عام ١١٦٦هـ جرت معركة بين أمير عسير مرعي بن محمد وقوات الشريف سرور بن مساعد في جلدان قرب الطائف هزم فيها الشريف ومن معه من قبائل الحجاز وتمكن مرعي من دخول الطائف ونصب عليها أميراً من قبله[١].

٢- عام ١١٩٨هـ وجه الأمير مرعي قوة إلى نجد بقيادة كريسيع الحمالي معه قبيلة حمالة وقبائل اخرى من قحطان وقد طُوِّقَتْ هذه القوة إلا أنه نجا منهم بأعجوبة فقال الأمير مرعي "إنه لكرسع" (والكرسع رأس المرفق)[٢].

٣- توفي أمير عسير / يحيى بن عبدالرحمن في النصف الأول من القرن الثاني عشر فتولى الأمر ابن حفيده مرعي بن محمد الذي كانت تضم إمارته بالإضافة إلى عسير وادي الدواسر، والسليل وما جاورها، وبيشة ورنية، ومعظم قبائل نجران وهمدان، وعندما بدأت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وبدأت تلك المناطق تتفكك من يده أرسل قوة بإمرة أخيه يوسف للاستيلاء على نجد عام ١١٧٥هـ ووصلت إلى وادي حنيفة وقد أضناها التعب فحطت لأخذ الراحة ووضع الخطة، وقد سميت تلك المنطقة التي حطت فيها جيوشه باسم "محطة عسير" وشنت عليها غارة على غرة من القبائل الموالية لابن سعود وهزمت القوة العسيرية وقتل حسن بن مرعي بن عبدالرحمن وأسر يوسف قائد الحملة فكتب مرعي إلى حسين المكرمي وحسين بن نصيب (خال الأمير مرعي) يعمدهما بغزو نجد، حيث كان هو في

---

(١) (ن د)، ص١٥٥.

(٢) (ن د)، ص١٥٩.

صراع مع أشراف مكة على بلاد غامد وزهران، وفك أسر يوسف بن محمد فسارت تلك القبائل في مطلع عام ١١٧٦هـ إلى نجد، ولكن تم الصلح بينها وبين الإمام محمد بن سعود الذي أطلق الأسرى العسيريين الذين في حوزته[(١)].

٤- عام ١٢٥٠هـ استنجد أمراء عنيزة وبريدة بالأمير عائض بن مرعي لإخراج الترك من بلادهم، فأنجدهم بقبائل من بيشة والبقوم وغامد وزهران فانهزم الترك ورجعوا إلى المدينة وسميت المعركة (يوم القصيم)[(٢)].

٥- يقول في سرده لأحداث المراحل الأخيرة من معركة عسير مع الجيش التركي عام ١٢٨٩هـ: أما ناصر بن عائض فقد استمرت مقاومته بل وزاد منها تلك الصورة التي بلغته عن مأساة ريدة ومع شدة وقعها على نفسه فقد كانت دون خيانة عبدالله بن عمر الكناني الذي أعطي وسام القائد الأعلى ومكافأة كبيرة من قبل الأتراك وإمرة تهامة عسير. فأرسل إليه بعض رجاله الأشداء وحملوه إليه من منطقة "حلي" حيث ألقى به في النار من شدة غضبه عليه، وأمام مشهد من القبائل، إذ كان إذا بلغه شيء عن ولاته استدعاه ونظر في أمره أمام مجلس شوراه، كما يحاسب الولاة بعد انتهاء عملهم[(٣)(*)].

هل تؤيد المصادر التاريخية ما ورد في هذه المصادر

• لنعرف مدى مصداقية ما ذكر عن أحداث القرن الثاني عشر وهل كان هنالك ما يدل على وجود أي أثر مما ذكر فوق أرض عسير قبل ظهور مجموعة إمتاع السامر، فيكفينا أن نقرأ فقط ما يقوله أحد الباحثين المهتمين بتاريخ منطقة عسير منذ وقت مبكر جداً وهو من الذين وقفوا موقفاً حذراً من هذه الكتب والأخبار، وهو الدكتور/ عبدالله أبو داهش في كتاب "أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة" الذي طبعت طبعته الأولى عام ١٤١٨هـ، حيث ذكر ما يلي:

"ويذهب عدد من الباحثين إلى القول بوجود إمارة قوية في بلاد السراة تماثل ولايتي جرش والجهوة، بل أظهر منهما، لما ظهر حولها من مؤلفات وافرة يقول محمود شاكر: وكانت الكلمة الأولى في مرتفعات عسير تعود إلى أمراء آل يزيد، ولقد تحدث

---

(١) (ن د)، ص١٤٩.

(٢) (ن أ)، ص١٣٠.

(٣) (ن د)، ص١٠٥.

عن هذه الإمارة عدد من المؤلفات التاريخية، مثل: "إمتاع السامر" لشعيب الدوسري، و"عسير" لمحمود شاكر، "وتاريخ عسير في رسالة إبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي" لمحمد بن الوصال البشري، وغير ذلك مما هو مذكور بعنوانه دون الوقوف تجاه واقع بعض المصادر المحلية التي بين أيدينا الآن والتي تتحدث عن ساكني السروات، إذ يفيض بعضها بذكر حياة زاهرة متفوقة، تمثل: جانباً سياسياً وعلمياً وأدبياً متقدماً، على حين تأتي المصادر الأخرى المعروفة على ذكر بلاد لم يطأها الناس، ولم يعرفوها، بلاد لم تنهض حياتها بواقع علمي مزدهر، وإنما هي حياة قبلية متواضعة، وذاك الواقع يدعو بالفعل إلى: القلق وعدم الاطمئنان. ولقد نهضت منذ نحو: ثلاث وعشرين سنة برحلات علمية ميدانية في: بلدان تهامة، وعسير، واليمن، فلم أجد عبر تلك الرحلات: ما يدل على سبق علمي في الحياة الفكرية ببلاد السراة، ولا على وجود مصادر مخطوطة ذات قيمة علمية معتبرة يطمأن إليها، ولم تكن تلك الرحلة بهينة، وإنما هي دقيقة، لم تغادر بفضل الله تعالى مقاماً علمياً، ولا موطناً تاريخياً يظن بأهليته، إلا وانطوت عليه، فضلاً عن جمع عدد غير قليل من آثار هذه المنطقة التاريخية المخطوطة"[1].

- كل الأسماء والأخبار التي ذكرها حول أحداث القرن الثاني عشر لا يوجد أي مصدر آخر يساندها، ولم ينبس بما ورد فيها أي مصدر تاريخي، ما عدا غزوة المكرمي بقبائل يام للدرعية عام ١١٧٨هـ فهو حدث حقيقي أوردته المصادر النجدية المعاصرة جميعها كابن بشر وابن غنام وصاحب لمع الشهاب وغيرهم، ولكن لا علاقة لعسير به حيث أن المكرمي ومعه قبيلة يام تحركوا بعد أن استنجد بهم أبناء عمومتهم العجمان، وبعد أن انتصروا في معركة الحاير، فقد قبلوا بالصلح وأطلق ابن سعود سراح أسرى العجمان[2]، ولم يرد في أي مصدر أنه كان لعسير أي أسرى ولا أي علاقة بأحداث نجد في تلك المرحلة.
- لم يرد في أي كتاب أو وثيقة تاريخية في بلاد عسير ولا في نجد أن أي أمراء عسير وصل نفوذه

---

(١) أبو داهش، عبدالله، أهل السراة في القرون الوسيطة، ٧٤، ٧٥.

(٢) إقرأ:

١- ابن بشر، عثمان، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، الطبعة الرابعة ١٤٠٢، ص٩٣- ٩٥.

٢- مؤلف مجهول، لمع الشهاب في سيرة ابن عبدالوهاب، حقق الوثيقة د أحمد مصطفى أبو حاكمة، ص٤٠، ٤١.

٣- ابن غنام، حسين، روضة الأفكار، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار الشروق، ص١٢٥، ١٢٦.

إلى بلاد القصيم في القرن الثالث عشر، أو أن أهل القصيم استنجدوا بعايض بن مرعي أو أن جيشاً انطلق من عسير لمناصرة أهل القصيم، كما أنه في عام ١٢٥٠هـ كان عايض في موقع ضعف إذ كان مجرد وصياً على الأمير الصغير (حاكم مؤقت)[١] حتى يصل لسن الرشد، وكان مستجداً على مركز الحكم، وكانت عسير في حالة استعداد لمواجهة الحملة العثمانية الثانية، ولم تكن مؤهلة لإرسال الجيوش لحماية الآخرين، كما أن عسير كانت في تلك المرحلة حدودها من الشمال مدينة تنومة حيث كان يعسكر الأتراك العثمانيين، ولم يكن للإمارة العسيرية نفوذا خلال تلك المرحلة على أي القبائل التي ذكرت كغامد وزهران والبقوم وبيشة ما عدا فترة بسيطة لاحقة خلال عام ١٢٥٣هـ.

- ما ذكره عن حادثة حرق ناصر بن عايض لعمر الكناني في وسط أبها لا يوجد له أي أساس، فلم يصل ناصر بن عايض إلى السلطة إطلاقاً، وقد سقطت عسير بعد سقوط ريدة مباشرة ولم يكن بأبها إلا جنود العثمانيين منذ ما قبل سقوط ريدة ومابعدها[٢]، ومثل هذه الصورة من التشفي حتى ولو كانت من نسج الخيال إلا أنها تدلنا على النفسية المصابة بجنون العظمة لشخص يكتب من الظلام، فيحرق ويقتل ويمارس الديكتاتورية في أبشع صورها، وكل ذلك في حدود أحلامه الفارغة.

---

(١) تاميزيه، المصدر السابق، ص٢٩.

(٢) آل زلفة، محمد عبدالله، وقفات مع فصول من تاريخ أبها، جريدة الجزيرة، الأربعاء ٢٨ رمضان ١٤٢٠هـ، العدد ٩٩٦٠.

الفصل الثاني

هل كان في عسير حكماً مركزياً شاملاً فيما قبل انضمامها للدولة السعودية عام ١٢١٤هـ

إن من أهم الأمور التي كرست لها هذه الكتب والتي يحرص على التمسك بها الكثير من مؤيدي الفكرة هو فكرة وجود حكم مركزي قوي وواسع الامتداد في عسير بيد أحفاد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أطلقوا عليه العهد اليزيدي الأول، وهو فترة ما قبل وصول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إليها وبروز إمارة آل أبو نقطة المتحمي عام ١٢١٤هـ من خلال وجود أمراء كانت تدين لهم كل جبال السروات وما حولها وما يليها من تهامة، وترتبط بهم الإمارات العسيرية اللاحقة المعروفة، وكان آخرهم الأمراء كل من مرعي بن محمد (والد عايض بن مرعي)، وأحمد بن محمد اليزيدي، ومحمد بن أحمد اليزيدي، وخالد بن مرعي اليزيدي، والذين تقول هذه الروايات أن أحداث عهدهم تداخلت مع تاريخ الدولة السعودية الأولى منذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر ومع تاريخ الأشراف في مكة وجرت لهم مع الطرفين معارك كبرى في تلك المرحلة.

ورغم التباين القوي لرواية التاريخ المعروف مع ما ورد في مجموعة الإمتاع من أخبار حول امتداد الدولة اليزيدية، فلا زال هنالك الكثير ممن يصادقون عليها ويدعمون أفكارها، ويتمسكون بأي قشة يمكن أن تنقذ الفكرة المتهاوية، متجاهلين هذا الاختلاف بين هذه الرواية والرواية التاريخية المعروفة، رغم أن أيهم لم يحاول الرد على المنتقدين والمشككين في إمتاع السامر بشكل رسمي عبر كتاب أو حتى مقال صحفي، ما عدى بعض المواضيع على صفحات الإنترنت بأسماء مجهولة يتجاهلون فيها مفاصل النقد، إلا أن من الواضح أنهم بذلك يحاولون فرض تاريخ على الورق بصفته هو الأبقى، وبصفة هذا التاريخ المدون سيتحول إلى ما يشبه الحقيقة مع تواتر النقل عنه، لذا لجأ من يقفون وراء الفكرة من مؤرخي المنطقة إلى محاولة القفز على كتاب إمتاع السامر إلى التمسك ببقية مصادر المجموعة والزج بعدد كبير من المزورات التاريخية الثانوية التي

تعمل على تكريس فكرة الدولة اليزيدية الأموية وتأصيل الأفكار المرافقة لها في هذه الكتب، واتجهوا فيها للتمسك القوي بما حوته هذه الكتب من روايات حول وجود حكم مركزي قوي في عسير بيد آل يزيد قبل وصول الدولة السعودية، كان آخرهم من أطلق عليه "خالد بن مرعي اليزيدي" الذي حكم خلال فترة بسيطة كما زعموا خلفاً للأمير الذي أسموه "محمد بن أحمد اليزيدي" والذي تدعي هذه المصادر أنه خاض حروباً مع الدولة السعودية بعد أن قُتل كل الأمراء السابقين له من أبناء عمومته، ثم قتل هو على يد الجيش القادم من نجد الذي كان يرافقه "محمد بن عامر المتحمي" عام ١٢١٥هـ.

وقد وجدت أن بعض المتمسكين بالفكرة يعللون موقفهم بأن ذلك يثبت أن إقليم عسير هو إقليم حضاري ذا تاريخ عريق، وأن العسيريين لم يتعلموا بناء الدولة الشاملة من أهل نجد، وهو تعليل غريب، فنجد ذاتها لم تكن بلاداً حضارية قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقيام الدولة السعودية الأولى، ولم يكن فيها أي مركز أو نوع من نظام الحكم الشامل بما يمكن أن نسميه دولة، ولا يمانع مؤرخي نجد من ترسيخ هذه الفكرة كما هي حقيقة واقعة بالفعل كما رصدها المعاصرون لبداية نشوء الدولة السعودية، ولا يجدون غضاضة في ذلك، رغم أن بينهم من يجادل حول الوضع الاجتماعي والديني في تلك المرحلة ويشكك فيما أوردته المصادر التاريخية التي رصدت بداية نشوء الدولة السعودية، بينما يحاول البعض إقناعنا بأنه يجب أن ندعي بأن إقليم عسير سبق إلى تكوين إمبراطورية عظمى غفل عنها التاريخ!.

ولا شك أن تبني مثل هذه الدعوى المبتدعة رغم وضوح خطئها إضافة إلى ما يحمل من الخيانة للأمانة العلمية والتحريف لرواية التاريخ الحقيقية عن مسارها والتشويش عليها، وتشويه التاريخ الناصع لهذه الأرض، فهو أيضاً إساءة لاثنين من الأبطال من أبناء عسير يمثلان الرمز الأول في التاريخ العسيري، ويستحقان تخليد ذكرهما كفاتحين لا محاولة القفز على ما قاما به، أو التغاضي عن من يقوم بذلك من الظلام، وهما كل من محمد وأخيه عبدالوهاب ابني عامر أبو نقطة المتحمي العسيري اللذان ضحيا بحياتهما لإخراج هذه الأرض إلى النور عندما تبنيا دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وبدآ في نشرها في بيئة محلية تشابه كل البيئات في الجزيرة العربية من حيث كونها بيئة قبلية تخضع لزعماء القبائل المحلية، وتسود فيها الحروب المستمرة بين القبائل على الماء والمرعى والأرض وغيرها، وهي بيئة لا نجد مناصاً من التصديق بأن البدع والتبرك بالقبور ربما تكون قد أخذت لها مكاناً في أجزاء منها كما هي في اليمن ومكة ونجد والمخلاف السليماني ومصر والمغرب العربي والشام والعراق والهند وغيرها من البيئات الإسلامية، والتي ليست بلاد السروات (عسير) إلا واحدة منها، ولن نصدق بأنها تمثل حالة خاصة تختلف عن بقية المناطق في الجزيرة العربية

والوطن العربي والإسلامي إلا بوجود ما يثبت ذلك، ولا أجد في أي الحالتين ما ينتقص من قيمة الإنسان في عسير والذي هو يشبه غيره في المناطق الأخرى بالتمام والكمال ولا يتميز ولا ينقص عنه بشيء.

والتجمهر حول الأفكار الهزيلة لا يزيد تاريخ هذه المنطقة إلا سخرية الآخرين.

فالكتب والوثائق الحقيقية المعروفة جميعها داخل وخارج عسير تشير بشكل واضح وجلي إلى أن بلاد السروات كانت خالية من أي نشاط سياسي ذي بال حيث كانت المشيخات القبلية المتفرقة هي التي تدير شئون المجتمع، وفي هذه البيئة بدأ محمد وعبدالوهاب أبو نقطة نشاطهما محلياً بنشر مبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من خلال خطب محمد بن عامر أبو نقطة حتى توافد الناس عليه من كل بلاد عسير صغيرهم وكبيرهم كما يقول جحاف[١]، ثم خرجا من وطنهما في سبيل الوصول إلى المزيد من العلم من منبع هذه الدعوة فوصلا إلى مقرها في الدرعية وعادا حاملين لواء الجهاد لنشر الدعوة في غرب وجنوب الجزيرة العربية فناصرتهم قبيلتهم "عسير"، وتمنعت القبائل المجاورة في البداية عن الدخول معهم في هذا التوجه، وبعد نجاحها في تثبيت دعائم السلطة ومسار الدعوة في عسير ومناطق تهامة والسراة دخلت إلى جانب عسير بقية قبائل المنطقة، فغيروا معالم تاريخ بلاد السروات وتهامة عسير ومكة وسواحل اليمن كاملة في العصر الحديث.

ولأن الحديث عن مرحلة ما قبل وصول الدعوة يعتبر حاسماً في إعطاء صورة حقيقية عما قبله، ولأنه متوفر إلى حد كبير حيث بدأت مرحلة التدوين في الجزيرة العربية تأخذ حيزاً أكبر وتحوي معظم مناطق الجزيرة العربية منذ بدأ دعوة الشيخ ابن عبدالوهاب تأخذ شهرتها.

لذا فسنستعرض واقع بعض ما أوردته مجموعة إمتاع السامر عن أحداث تلك المرحلة ومن ثم ما ورد لدى غيرها، لأن ذلك سيكون مفتاحاً لنا لمعرفة صحة ما قبله من أخبار وروايات وأنساب مما لم يرد إلا لديها، ونبدأ بما حملته أخبار مجموعة إمتاع السامر حول أحداث هذه المرحلة:

---

(١) جحاف، لطف الله درر نحور الحور العين..، تحقيق إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد - صنعاء، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، ص٤٠٠.

رواية مجموعة إمتاع السامر

١- إمتاع السامر "شعيب الدوسري" وجاء فيه مايلي:

"كان الأمير محمد بن أحمد اليزيدي قد عين الفائز أميراً على وادي الدواسر إلا أنه غدر به فقتل ليلاً، فأرسل عبدالله بن راشد آل حميد عام ١٢٠٠هـ ببعض قبائل قحطان وشهران وبيشة وألقى القبض على قتلة الفائز، وبقي أميراً على وادي الدواسر وثار عليه أهل الوادي فانتصر عليهم إلا أن نجدات جاءتهم من الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود فاضطر عبدالله بن راشد إلى الانسحاب من وادي الدواسر والتوجه نحو بيشة والتمركز فيها، وأناب على الوادي مجاهر بن أثيلة الرجبي وكان بنو أثيلة موالين لآل يزيد وأمرائهم على الوادي، فلاحقت قوات الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود بقيادة سالم بن قويد، وزيد بن ربيع، وحزام التميمي قوات الأمير عبدالله بن راشد المنسحبة إلى بيشة وجرت معارك بين الطرفين على تخوم بيشة استمرت حتى عام ١٢١٣هـ واضطر الأمير عبدالله بن راشد للتراجع والتوجه نحو عسير،وأثناء عودته التقى بقوات جاءت دعماً له بقيادة الأمير مرعي بن محمد، فعادا وتمكنا من دحر قوات نجد، غير أن القتال قد استمر حتى قتل الأمير مرعي بن محمد، ومحمد بن شكبان أميره على بيشة، ودخلت قوات الأمير عبدالعزيز بن محمد بيشة، فعينت سالم بن شكبان أميراً على بيشة حيث كان قد انضم إلى قواتهم أثناء المعارك، واستمر عبدالله بن راشد يدافع عن موطنه، ويتراجع حتى دخلت قوات نجد بلاد بالأحمر وبني مالك فتصدى لها الأمير أحمد بن محمد بنفسه، وجرت معارك في "المسوح" و"مسفوة" و"الدرجة" و"شعار" و"نجد الرفيدي" و"الجنفور" حيث اندحرت قوات نجد وتمركزت في "الجنفور" وعادت المعارك مرة أخرى، وقتل خلالها الأمير أحمد بن محمد عام ١٢١٥هـ ووالى النجديون زحفهم حتى دخلوا أبها فتمركزوا فيها.

وتجمعت فلول عسير مع قبائل رجال ألمع في "الجمعة" وكانت رجال ألمع بقيادة شيخ مشايخها عبدالوهاب بن عبدالمتعالي اليزيدي الأموي. أما فلول عسير فقد التفت حول الأمير خالد بن مرعي، وهم بنو مغيد، وعلكم، وبعض بني مالك بقيادة عبدالله بن راشد. واتفق الحاضرون على تولية خالد بن مرعي لمواصلة القتال، وتردد الأمير خالد في قبول الأمر لما في الوضع من حرج إذ انضمت إلى قوات نجد الكثير من القبائل القحطانية، والشهرانية، ورجال الحجر، وكانت زهران، وقبائل بيشة، وشمران، وبنو

القرن، وبجيلة قد انضمت إليهم، وحاول الأمير خالد أن يتهرب ويوكل الأمر إلى سعيد بن مسلط فألزمه أحمد بن عبد القادر الحفظي على البيعة فامتثل أمره، ويكون خليفته سعيد بن مسلط وذلك عام ١٢١٥هـ واستمرت المعارك وقتل فيها الأمير خالد وتسلم سعيد بن مسلط، فلم يجد في المقاومة فائدة، وتدخل محمد بن عامر المتحمي في الصلح بين ابن مسلط وقوات نجد، فاستسلم ابن مسلط، واستقرت قوات نجد في أبها وانضم سعيد إلى صفوف الدعوة السلفية، وبايع الأمير عبدالعزيز بن محمد، ولم يثق النجديون باستسلام العسيريين فطلبوهم تأكيداً للولاء حلق رؤوسهم فأبى العسيريون تنفيذ ذلك، واجتمعوا في مدينة السقا بشيخ رجال ألمع عبدالوهاب المتعالي اليزيدي وكانت ألمع لا تزال في حرب مع النجديين، غير أن محمد بن عامر المتحمي قد أقنع أمراء القوات النجدية بالعدول عن قرارهم، حيث يرى العسيريون في ذلك عاراً،وتدخل سعيد بن مسلط في الصلح بين قوات نجد وبين الشيخ عبدالوهاب بن المتعالي فتم ذلك ودخلت عسير سراة وتهامة في طاعة الإمام عبدالعزيز بن محمد وذلك عام ١٢١٧ هـ "[١].

٢. كتاب "عسير" للمؤرخ محمود شاكر وجاء فيه:

"في بداية عام ١٢١٥هـ وفد إلى الدرعية محمد بن عامر وأخوه عبدالوهاب من آل المتحمي من قبيلة ربيعة ورفيدة إحدى قبائل سراة عسير ولفيف من عسير وكما يقول صاحب تاريخ المخلاف السليماني محمد بن عيسى العقيلي "طلباً للعلم ورغبة في الدعوة وفوزاً بالزلفى في أخذ مبادئها ـ التي لها الهداية والمثوبة ـ وتتيح لمريدها السيادة والمجد".

وعاد الأخوان وقد حصلا على ما يبغيان، فقد أسند إليهما عبدالعزيز بن محمد بن سعود مهمة نشر الدعوة في عسير وحمايتها، وعندما وصلا بدآ يتصرفان كأمراء مما حدا بالأمير من آل يزيد أن يقف في وجههما، وهو محمد بن أحمد بن محمد، فاستنجدا بالدرعية، فأرسلت لهما جيشاً استطاعا به أن يقتلا محمد بن أحمد بن محمد أمير عسير من آل يزيد، وأصبح محمد بن عامر أميراً على المنطقة منذ ذلك الوقت ١٢١٦هـ وبعد أن أصبح صاحب الكلمة الأولى فيها، أخذ يحارب خصوم الدعوة السعودية سواء أكانوا في تهامة أم في الحجاز، واتخذ إحدى قرى قبيلته ربيعة ورفيدة وهي طبب

---

(١) إمتاع السامر (ن د)، ص١١٨، ١١٩، ١٢٠.

مركزاً لحكمه، وقد عرف باسم "أبو نقطة" حيث كان جده يكنى بأبي نقطة لنقطة كانت على عينه فاشتهر بها هو وذريته، وقد عمل على إخضاع قبائل رجال ألمع، ثم رحل إلى الدرعية وفي أثناء عودته توفي في الطريق وقد أصابه الجدري وذلك عام ١٢١٨هـ ودفن في بيشه، فتولى مكانه أخوه عبدالوهاب أبو نقطه....."[١].

ثم ينقل في موقع آخر عن ما سماه بـ "مذكرات جعفر الحفظي" ما يلي:

"وفي نهاية عام ١٢١٣هـ داهمت قوات نجد منطقة بيشة التي ترابط فيها قوات محمد بن احمد آل يزيد بقيادة مرعي (أبي عائض) الذي قتل في المعركة، واندحرت قوات آل يزيد بعد أن انحازت بعض قبائل بيشة إلى جيش نجد برئاسة سالم بن محمد بن شكبان، وفي عام ١٢١٤هـ رجع محمد بن عامر وأخوه عبدالوهاب ومشيط بن غشام إلى بلدانهم واجتمعوا لمحاربة الأمير محمد بن أحمد في عسير إلا أنهم لم يتمكنوا... فرجع محمد بن عامر وأخوه عبدالوهاب إلى الدرعية لطلب النجدة منها، وفي عام ١٢١٥هـ جاءت جيوش ابن سعود مع شهران وقحطان وبيشة إلى عسير وقتلت الأمير محمد بن احمد ودخلت المنطقة في طاعة الدرعية وأصبح محمد بن عامر أميراً على عسير من قبل آل سعود، وقد رأينا كيف انتقلت الإمارة بعد ذلك إلى أخيه عبدالوهاب"[٢].

٢- كتاب "تاريخ عسير رؤية تاريخية خلال خمسة قرون" ابراهيم بن زين العابدين الحفظي المتوفي عام ١٣٧٢هـ، تحقيق وتعليق "محمد بن مسلط الوصال البشري" وجاء فيه:

"وعندما استقر محمد بن عامر في الدرعية أشار على محمد بن سعود دخول عسير وهون له من أمرها، وأغراه بأن كثيراً من أهلها يؤيدون الدعوة، ووقع هذا الكلام الحسن في أذن محمد بن سعود لما يحسم به، وبالفعل وقعت حروب بين الطرفين، وتقدمت قوات أبها في نجد غير أن أميرها وقائدها يوسف بن مرعي قد أسر في غرب الرياض، وجاءت قوات ثالثة كنجدة بإمرة مرعي بن حسن بن محمد ولكنها لقيت المصير نفسه، وكانت هاتان القوتان قد جاءتا لفك أسر يوسف بن محمد ومن معه ممن وقع في الأسر عندما جاءوا عام ١١٧٥هـ لإعادة سيطرة آل يزيد على نجد، ولم

(١) شاكر، محمود، مصدر سابق، ص١٤٧.

(٢) شاكر، محمود، مصدر سابق، ص١٥٢.

تستطع فعل شيء، ولكن القوة التي أرسلها الأمير مرعي بن محمد عام ١١٧٦هـ من قبائل يام والدواسر بقيادة حسن بن هبة الله، وحسين بن نصيب، وموسى بن قويد هي التي تمكنت من تخليص الأسرى، وإجراء الصلح، وتمكنت الدرعية من أن تلتهم الخرج والأفلاج والوادي، وبعدها كانت المعارك سجالاً، وأخيراً قتل قائد قوات عسير مرعي بن محمد الذي تنتمي إليه أسرة آل عايض التي آل إليها حكم عسير بعد هذه الأحداث بقليل لما أخذته على عاتقها من مقاومة الغرباء وخاصةً العثمانيين، وبعد مقتل مرعي بن محمد عام ١٢١٣هـ نشطت قوات الدرعية إذ رأى زعماءها أن الخطر عليهم إنما يكمن في عسير، ولذا سددوا ضرباتهم عليها قبل غيرها معتمدين على بعض المؤيدين سراً، وكانت آخر قوة وأكبرها وجهت إلى عسير في عام ١١٩٨هـ بقيادة سليمان بن فوزان بن تركي السديري وقد التقت مع قوة عسير في بلدة الهدار، وكانت بين الطرفين معركة انتهت بقتل سليمان وعودة جنوده، وكان سليمان هذا جدّ عبدالله بن محمد بن سعود لأمه، ثم تبعتها غزوة أخرى في ربيع أول من عام ١٢١٥هـ بإمرة ربيع بن زيد، وعامر بن حزام، حيث استطاعت هذه القوة احتلال وادي الدواسر، وقتل أميره من قبل عسير، ثم اردفت بقوة ثانية بإمرة محمد بن عامر وشقيقه عبدالوهاب، والتقت القوتان في بيشة بعد احتلالها، وتابعت القوات سيرها إلى عسير، وتمكنت من هزيمة جيش الأمير محمد بن أحمد، وقتله، كما قتلت من قام مكانه وهو خالد بن مرعي، وأخيراً استسلم لها سعيد بن مسلط، وعلي بن مجثل، مع بقية أعيان عسير، وكذلك ضمت هذه القوات رجال ألمع وبقية المناطق العسيرية، وغدت عسير تتبع الدرعية، وخرج محمد بن عامر إلى الدرعية مصطحباً معه بعض رجال ألمع ورجالات بعض القبائل لتقديمهم إلى عبد العزيز بن محمد بن سعود الذي خلف أباه على نجد، وكانت بغيته من هذه الرحلة التخفيف مما يحمله عبدالعزيز على رجال ألمع، وبعد أن أنهى مهمته رجع إلى عسير غير أنه لم يستطع الوصول إليها، إذ مات في الطريق بسبب الجدري الذي أصابه فتوفي عام ١٢١٧هـ ١٦ جمادى الآخرة.

كان أعيان عسير قد وقع اختيارهم على سعيد بن مسلط ليكون أميراً على بلادهم، غير أن الدرعية لم توافق على ذلك، وإنما عينت عبدالوهاب بن عامر شقيق الأمير السابق بناء على اقتراح جنود نجد في عسير، فقام بالأمر من منتصف رجب، واستطاع أن يمكن الدرعية في عسير، وقام يحارب أشراف مكة وتهامة لضمها إلى نجد، وكانت نهايته القتل بيد أحد جنود الشريف حمود صاحب أبي عريش في إحدى معاركه معه في وادي (بيش) عام ١٢٢٤هـ، في التاسع والعشرين من جمادى الآخرة.

حاول آل يزيد استعادة سلطانهم، واختاروا سعيد بن مسلط عليهم، ولكن الدرعية رفضت ذلك وعينت طامي بن شعيب عام ١٢٢٤هـ في التاسع والعشرين من جمادى الآخرة"[١].

دلالات رواية مجموعة إمتاع السامر لما قبل عام ١٢١٤هـ

من خلال هذا السرد فإننا نستفيد منه ومما قبله وجود إجماع لدى مصادر مجموعة إمتاع السامر على أنه كان هنالك إمارة قوية في عسير قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب تسيطر على كامل بلاد السروات وتهامة وتمتد على نجد بما فيها الرياض والدرعية، ويمتد نفوذها شمالاً حتى الطائف وغرباً تسيطر على تهامة حتى البحر الأحمر حيث تدخل فيها بلاد حلي بن يعقوب على الساحل وتدخل تحت ولايتها نجران وبيشة ووادي الدواسر، وأن أمير عسير قد غزا نجداً قبل وصول الدعوة إلى عسير عدة مرات، وغزا الطائف، كما أن غزوة المكرمي وقبيلة يام عام ١١٧٨هـ للدرعية لم تكن إلا حملة من حملات أمير عسير "مرعي بن محمد" (والد عايض بن مرعي) ضد ابن سعود لتخليص الأسرى العسيريين، بعد أن فشلت حملته الأولى التي أسر فيها أميرها "يوسف بن مرعي"، والحملة الثانية الداعمة لها وأميرها "مرعي بن حسن بن محمد" فكانت الحملة الثالثة التي نجحت بقيادة هبة الله المكرمي وشاركت فيها قبيلتي يام والدواسر، أي أننا أمام أكبر إمارة في الجزيرة العربية !.

كما تجمع هذه المصادر على مركزية بيشة ووادي الدواسر في أحداث هذه المرحلة، حيث جرت حروب كبرى بين أمراء عسير والدولة السعودية تدور حول السيطرة على بيشة ووادي الدواسر اللتان كانتا تحت نفوذ الحكام اليزيديين في عسير قبل ذلك، وقد قتل في هذه الحروب قائد الجيش العسيري مرعي بن محمد (والد عائض بن مرعي) في بيشة عام ١٢١٥هـ، ومن ثم توالت المعارك حتى دخلت القوات السعودية عسير وقتلت أمير عسير محمد بن أحمد اليزيدي وعينت بدلاً منه محمد بن عامر أبو نقطة المتحمي في نفس العام.

كما يشير محمد بن مسلط في "تاريخ عسير" ضمنياً إلى أن حكم آل المتحمي في عسير لم يكن إلا اغتصاباً للسلطة، وكان الناس رافضين له ولا يرغبون في جميع من حكموا من هذه الأسرة إلا أن الدرعية كانت تفرضهم بالقوة فيستسلم العسيريون لذلك، وبالتالي فإن العسيريين لم يدخلوا في مناصرة دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب ويخوضوا الحروب في عهد آل المتحمي

---

(١) تاريخ عسير خلال خمسة قرون (رؤية تاريخية) المنسوب لمحمد مسلط، ص٦٦.

عن إيمان، بل كانوا مرغمين على ذلك، فقد كانوا مع وفاة كل أمير من آل المتحمي ينتخبون مباشرة واحداً من آل يزيد ولكن الدرعية لم تكن تضع أي اعتبار لرغبات العسيريين فكانت تضع واحداً من المتاحمة بالقوة !.

فهل هذه الأخبار وهذه الأسماء تحمل درجة من الصحة؟.

لنرى ما أوردت الكتب والوثائق المعاصرة للأحداث من أخبار في عسير ونجد والحجاز واليمن والمخلاف السليماني، وهل تستوي هذه الأخبار مع ما أوردت هذه الكتب ومن سار على نهجها.

روايات المصادر التاريخية المعروفة حول أحداث ما قبل عام ١٢١٤هـ في عسير

١- جاء في وثيقة "الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود الأولين" للشيخ محمد بن هادي بن بكري العجيلي والذي يمثل شاهد عيان عسيري معاصر ومشارك في أحداث تلك المرحلة ما يلي:

"فلما من الله على أهل جهاتنا بظهور الحق وأطلع بدر سنائه وأشرق في قطرنا شموس الدعوة وأسمع المنادي بندائه وهب نسيمها بطيب المعاطر والمغامر فأول من نشقه ابنا عامر من سبقت لهما العناية والسعادة في الأزل بلا ارتياب محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب فهاجرا إلى محل الدعوة المسماة الدرعية وفارقا في الله الأوطان والأهل والذرية، وأصلح الله سريرتهما، فصلحت بتوفيق الله سيرتهما. وذلك سنة ١٢١٣هـ ألف ومائتين وثلاث عشرة. وكانا يدوران مع الحق حيثما دار، ويسيران مع أهل التوحيد في الفيافي والقفار، وعاداهما في الله الأقارب والأصحاب، وأبغضهما الأصدقاء والأحباب، وطردوهما من مساكنهما، وأخرجوهما قهرا من وطنهما، فشرح الله صدريهما للإسلام، وكانا دعاة إلى الحق في كل مقام، وشدد الله عزائمهما، وسددهما بتسديدة، وأيدهما بتأييده، وكفاهما شر المعاندين اللئام، وحماهما بأس الملحدين الطغام، وكانت مدة هجرتهما سنة كاملة مهاجرين ومجاهدين، ثم لحق بهما من قبائلنا من وفقه الله وأراد له السعادة الأبدية، وسبقت له العناية الأزلية، فجاهدوا في الله بالنفوس، والأموال، وبذلك تتباين جواهر الرجال حتى أنجز الله وعده ونصر جنده وعُبد الله وحده، وردهم الله إلى أوطانهم آمنين مطمئنين فرحين مستبشرين، يشكرون الله على نعمة الإسلام التي هي أجل النعم الجسام، انتشر الإسلام بأسبابهم في هذه الجهات، وأطلع الله رأس الدين على رغم أنوف المنافقين والمنافقات، وانقادت لأهل الإسلام الرقاب الصعاب وذلت أعناق العبيد والأرباب، ونكس المعاندون رؤوسهم خجلا، واعترفوا بالحق بعد أن زعموا أنهم يحسنون عملا، واضمحلت الحجج الباطلة، وتمزقت المواكب المتلاشية العاطلة، واستقرت الشريعة المحمدية وثبتت دعائم التوحيد في البلاد العسيرية، وتوجهت الإمارة في جهتنا للأمير المجاهد الصابر المكنى أبو نقطة، والمسمى محمد بن عامر فثبت الرشاد، وجاهد أهل العناد، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وحصلت له من الله المعونة، وأيده بالنصر، والظفر، ولا توانى في إظهار الحق، ولا فتر، بل جد واجتهد وشمر. ومكث في الإمارة نحو سنتين ثم اختار الله له ما عنده، غفر الله له، وأخلفه

علينا خليفة صالحة بعده، وأقام الله بعده الأمير الموافق للسنة والكتاب أخانا وحبيبنا عبد الوهاب زين الله بقائه، وعمر الآثار الإسلامية باعتنائه، وتولى معونته، ونصره ومكنه في الإمارة ونوره، فلقد شد مئزر العزم في جهاد المشركين، ونهض نهوضا قام في إبلاغ الدعوة، وإلزام الحجة على المعاندين وجد واجتهد وقام وقعد وبرق ورعد وشمر عن ساق، وبذل نفسه ونفائسه في جهاد أهل الشرك والشقاق، وجذبت إليه أرواح المسلمين بالمودة والمحبة وأنزل الله في قلوب الكافرين خوفه ورعبه وجاءه الناس يهرعون إليه من كل فج وإقليم يبايعونه على دين الله القويم، وأثخن بسيوف جيوشه في كل معاند، وله في كل سبب من أسباب الخير أسنى الشواهد، وهد الله أركان الشرك بمعاول الانتقام، وصوارم جنوده المنصورة، وأزال المظالم بعساكره التي هي إن شاء الله قاهرة غير مقهورة ولقد صدق القائل حيث قال:

أيمكـــن أن ينهـــد ركن المعالـــم	*بدون القنا والمرهفات الصوارم*
محال زوال الظلم من دون أن ترى	*معرة جيش الحق عند التصادم*

ومما يسر الله له فتوح مدينة أبو عريش، وما حولها من تهامة اليمن[1].

• وهنا نجد أن أحد علماء عسير ممن عاصروا الأحداث بشكل مباشر يتكلم عنها ولم يشر إطلاقاً إلى وجود أمير اسمه محمد اليزيدي ولا إمارة يزيدية ولا لأي حرب كبرى جرت أو نزاع لأبناء عامر أبو نقطة مع أمير عسير المزعوم حينها، بل كانت الدعوة بدأت انتشارها في عسير نتيجة انتشار خبرها وأحداثها السياسية وما واكب ذلك من شيوع مبادئها، فاعتنقها الأخوين محمد وعبدالوهاب ابني عامر أبو نقطة وجاهدوا في نشرها رغم وجود المعارضين لدعوتهما، ومن ثم يشير إلى رحيل محمد وعبدالوهاب ابني عامر الرفيدي إلى الدرعية لمدة سنة للأخذ بمبادئ الدعوة ثم التحاق بعض أبناء عسير بهم وتمكنهم من نشر الدعوة واندحار المعارضين، مما يدل على تكاثر أنصارها قبل رحيل أبناء عامر أبو نقطة إلى الدرعية، كما أن إشارته للمعارضين تدل على عدم وجود مركزية للمعارضة بل وجود معارضة متفرقة الرؤوس والمصادر، كما هو متوقع دائماً لكل دعوة جديدة.

---

(١) **العجيلي، محمد بن هادي بن بكري**، الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود الأولين، تحقيق عبدالله أبو داهش، ١٤٠٨هـ، ص٢٣- ٢٥.

٢. نقل احمد آل فايع عن محمد بن أحمد الحفظي في وثيقة "نفح العود" مايلي:

"فلما من الله علينا وعلى أهل جهاتنا بظهور الحق الشامل، وطلع سناه، انتشرت في أرجاء بلادنا الدعوة وسمع المنادي بنداه، ومن سبق له العناية بالسعادة الأمير محمد بن عامر المتحمي وأخوه عبدالوهاب فهاجرا إلى محل الدرعية وذلك في سنة ثلاث عشر بعد المئتين والألف وكانت مدة هجرتهما سنة كاملة"[١].

- وهنا أيضاً إشارة من مؤرخ محلي معاصر لتاريخ بدأ انتشار الدعوة على يد الأميرين محمد وعبدالوهاب بن عامر أبو نقطة المتحمي بعد عودتهما من الدرعية عام ١٢١٤هـ إلى أن تمكن محمد بن عامر من حكم عسير عام ١٢١٥هـ بعد أن تمكنت الدعوة من قلوب الناس وهو موافق لما أشار له أيضاً لطف الله جحاف[٢] المعاصر لتلك الأحداث.

٣. يقول البهكلي في نفح العود مانصه:

"والشريف منصور وعرار بن شار والسيد أحمد بن حسين الفلقي يكتبون إلى الدرعية ويذكرون لعبدالعزيز ما حصل من حمود في الدرعية ويعظمون عليه أمر حمود إن لم يتدارك أخذه قبل الإمداد من الإمام ربما يتعسر أخذه فأراد (عبدالعزيز) أن يوجه لقتال (حمود) أمير بيشة وشهران وهو (سالم بن شكبان) بضم الشين المعجمة وسكون الكاف بعدها باء موحدة مفتوحة على وزن سلطان وكان أميراً كبيراً من أمراء الدولة النجدية، وكان مشهوراً بفظاعة الأفعال، فحين توجه إليهم، وإذا قد وفد على (عبدالعزيز بن سعود) محمد بن عامر الرفيدي العسيري المكنى بأبي نقطة من بلاد السراة بعد وصول الدعوة إليهم ودخولهم تحت طاعة النجدي، وظهر لعبدالعزيز فيه مخائل الرياسة وكان معه في الوفد أخوه عبدالوهاب بن عامر فأشار عبدالعزيز بإمارة السراة وما تحتها من بلاد اليمن كالدرب وأبو عريش وبيش وصبيا الى محمد بن عامر فتلكأ محمد بن عامر في قبول الإمارة وأشار إلى أخيه عبدالوهاب فامتنع عبدالوهاب وتقلد الأمر أبو نقطة محمد المذكور، وشرط عليه عبدالعزيز قتال حمود وأخذ اليمن وفتح ما قدر عليه وأصحبه خطوطاً إلى كبراء السراة يأمرهم بالسمع والطاعة لمحمد بن عامر ويستنفرهم معه لقتال تهامه، وكتب إلى الشريف

---

(١) آل فايع، احمد، دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية...، مطابع الحميضي، ١٢٨.

(٢) جحاف، لطف الله، درر نحور الحور العين، تحقيق إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ٤٠٠.

منصور والى الشيخ عرار يأمرهما بالطاعة والنفير صحبة محمد بن عامر، وانصرف من الدرعية وفي صحبته أخيه عبدالوهاب ورجال كبراء عسير أهل السراة، فوصل أثناء الطريق ومرض من الجدري ثم توفاه الله تعالى قبل وصوله الى السراة فمال الناس الى إقامة أخيه عبدالوهاب بن عامر ولم يرض عبدالوهاب إلا بما جاء من عبدالعزيز وحين بلغ الخبر إلى عبدالعزيز كتب ولاية لعبدالوهاب بن عامر على بلاد عسير وما والاها وامره باستفتاح تهامة، وكتب الى أمراء تهامة في السمع والطاعة والنفران استنفرهم عبدالوهاب فوصل الشريف قاسم ابن أبي طالب الخواجي من الدرعية وقد كان نفذ رسولا اليها من عند الشريف منصور يستحث عبدالعزيز على ارسال الجنود على (حمود) فوصل الخبر بولاية عبدالوهاب بلاد عسير وأمره بقتال حمود وجمع الجنود، ووصل صحبة الشريف قاسم خط من عبدالوهاب الى الشريف يخبره بأنه وصل لأخذ أبي عريش وأمره أن يستنفر الناس ولا يعذر إلا من عذره الله عن الجهاد"[١].

- وهنا سرد واضح من أحد المعاصرين المجاورين لعسير لم يرد فيه أي إشارة إلى الأمير المزعوم في عسير ولا إلى الإمارة اليزيدية، وهو أمر مستبعد أن يحدث في ظل وجود إمارة حقيقية معروفة، إذ أن العسيريين على اتصال بهذه المناطق منذ فجر التاريخ، فهو من خلال إشارته إلى مراسلة ابن سعود لمشائخ القبائل المتفرقين في عسير يعطي فكرة عن من كان بيدهم الحل والربط بغض النظر عن صحة الدعوى حيث أن كون الكاتب متحيز لانتقاص الدور العسيري في نشوء الإمارة وتفريغها من أي روح مبادرة محلية بالإضافة لعدم منطقيتها يجعلنا نتشكك في صحة هذه المعلومة، إلا أن اتجاه السرد يشير بشكل واضح إلى أنه لم يكن هنالك أي حرب حقيقية مع أي أمير عسيري لتثبيت حكم محمد أو عبدالوهاب بن عامر، بل كان ذلك اختياراً عسيرياً وقناعة تامة بمبادئ الدعوة منذ البداية عندما حملها إليهم عبدالوهاب أبو نقطة وقبل رحيله للدرعية، ثم عندما توفي محمد بن عامر اختاروا أخيه عبدالوهاب، فكيف به يغفل عن الإشارة لخضوعهم للدعوة بالقوة الجبرية، وهو الذي حاول أن يثبت عدمية قيمة عسير وأهل السراة تماماً إلا من خلال تبنيهم للدعوة، وكان متحاملاً عليهم بسبب غطرستهم التي أشار إليها في نفس السياق، عندما قال:

---

(١) البهكلي، نفح العود، ص١٢٨، ١٢٩.

"وبعد استقرار الشريف ما زالت ترد عليه من الأمير عبدالوهاب بن عامر والرسل من قومه من أهل السراة ويخاطبون الشريف بما لم يألفه من خطابات العامة ولا يحترمون لمجلسه حرمة، والرجل من الملوك قد ألفت نفسه وروحه الجلال وعرف مقامه بالإجلال، وكان أهل السراة عن آخرهم عند أهل تهامة بمنزلة الخدم فلا يحتشمونهم في شيء ولا يرون لهم ما يرونه لغيرهم من الحق، فلما استجابوا لدعوة ابن عبدالوهاب عظمت هيبتهم ووقع من فتكاتهم ما ارتاع منه الجمهور، وكان الشريف لا يرى احتمال لما يقول ويفعله أهل السراة"[١].

• فمن خلال ما قاله البهكلي هنا نلاحظ تحامله الواضح على أهل السراة والذي منشأه سوء تعاملهم مع الشريف حمود واستهانتهم به وعدم إعطائه قدره ومكانته، كما يذكر، مما جعل البهكلي في المقابل يحاول انتقاصهم والاستهانة بهم كرد فعل غاضب كما هو دأب الكثير من المؤرخين الذين يشدهم حب من يكتبون عنهم لمهاجمة أعدائهم ومحاولة التقليل من شأنهم.

ولا شك أن جبال السراة عرفت بأنفة أهلها وغنى أرضهم وبعد مراميهم وعلو همتهم وشأنهم، ويبدو ذلك جلياً دون الحديث عن حضارتهم وعن أحداثهم وأساطيرهم التاريخية، وعن صمودهم أمام جيوش الدولة العثمانية بكامل قوتها وعتادها على مدى قرن من الزمان التمعن في نوعية مساكنهم العملاقة التي تعد قصوراً فارهة جداً في عرف سواهم، ومزارعهم التي أقاموها على هيئة مدرجات مدهشة في سفوح الجبال وما تمثله من إعجاز بشري يدل على قوة الهمة وعلى عراقتهم في التاريخ، وعلى خصوبة بالإضافة إلى وفرة مياه وطيب هواء أرضهم التي استأثروا بها، ناهيك عن فنونهم، ومأكلهم، ومشربهم، مما يجعلنا نقول وباطمئنان أن كلام البهكلي هنا كان مجانباً للحقيقة بشكل متحيز وواضح، وبما لا يلزم أحداً بالرد عليه.

ولكن ما يعنينا هنا هو أن ما قاله يدل في العموم على عدم وجود حكم مركزي شامل ذي شأن في السراة قبل عهد محمد وعبدالوهاب بن عامر أبو نقطة المتحمي في بلاد السراة، وهو ما جرأه كرجل علم مقرب من الحاكم اعتاد الارتباط والاعتداد بقوة السلطة كمعيار لتقييم القيمة المعنوية التاريخية للمجتمع على الضرب على هذا الوتر للتقليل من أهمية أهل السراة فيما قبل ذلك العهد وربط قوتهم وقيمتهم بدخول الدعوة "الوهابية" فقط.

---

(١) البهكلي، المصدر السابق، ص١٦٥.

٤ـ كتاب "لمع الشهاب في سيرة ابن عبد الوهاب" وجاء فيه:

"قد وقع في أيام دولة سعود بن عبدالعزيز بعض محاربة مع أهل تهامة اليمن من عسير وغيرهم كأبي شمار وهو الشريف حمود، صاحب أبي عريش. وكان السبب في ذلك أنه في سنة الثانية والعشرين من القرن الثالث عشر ورد وفد من عسير على سعود في الدرعية، وأتوه ببعض هدايا والتمسوا منه البيعة والعهد فقبلهم، وعاهدوه على دينه. فأرسل معهم أربعة علماء من أهل الدرعية يعلمونهم أمور الدين أصولاً وفروعاً، فلما وصلوا إلى ديار عسير، (عسير هذه قبيلة كبيرة تنزل بين تهامة الحجاز وتهامة اليمن، بل ربما بعضهم ينزل أطراف نجد مما يلي اليمن، وكان ذلك في ما سلف، وأما حين تولى آل سعود على مملكة نجد، فإن جميع القبائل التي لم تطع من الحجاز واليمن وتهامة قصرت أيديهم عن الدخول في أرض نجد، بل ربما غزوا في مساكنهم كما مر)المذكور مع العلماء إلى إحدى تلك العشائر، تقبلوهم بالقبول، وأخذوا الدين عن يقين، فسمع بقية طوائف عسير بذلك، فأنكروا عليهم وأخذوا يتقاتلون والظفر يقع من جانب القوم الذين تابعوا سعود، فازدادوا اعتقاداً كلما رأوا النصر، حتى إن البقية من عسير دخلوا في الطاعة بغير حرب منه"[1].

• وهنا نجد لمع الشهاب الذي ذكر بالتفصيل أحداث ومعارك الدولة السعودية الأولى لم يشر إلى أي معركة في عسير مع الجيوش النجدية بل مجرد مشاركة أربعة من الدعاة مع الوفد العسيري الذي كان مكوناً من "محمد وعبدالوهاب بن عامر"، ولكنه يشير إلى حروب محلية بين المؤيدين والمناوئين المحليين لا علاقة للجيوش النجدية بها، انتصر فيها أخيراً مناصري الدعوة من عسير، وهو أمر متوقع ولا بد من حدوثه ولكنه لم يكن مع إمارة مركزية معروفة في عسير، وإلا لكان ذلك معلوماً ولذكر، ولعلّه عنى بالانتصار، ما جرى في السواحل كأبي عريش والقنفذة والليث.

٥ـ جاء في كتاب " الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر" لابن بسام ما يلي:

"قال المؤلف: أنجز الله أماله، ولا خيب في الدارين أعماله: هذه القبيلة المسماة بعسير تتفرق أسماء كثيرة، فمنهم طوائف بظل المعروف بأبو نقطة[2] وهم الذين يلون سواحل البحر والآخرون بظل السيد الشريف حمود أبو مسمار، وقليل أن يكون

---

(١) وثيقة بريطانية لمؤلف مجهول، لمع الشهاب في سيرة ابن عبدالوهاب، ص١٣٤.

(٢) هكذا وردت في المصدر.

بينهم الصلح، لأن كل واحد يزعم الفخر له، والعلياء بيده، وهم المسمين أبو نقطة، وأبو مسمار، فلما صار بينهم من الشحناء والعداوة ما صار وتبين الغلب والقدرة لأبي مسمار وأيقن أبو نقطة بالعجز عن حربه وأتعبه منازلته وضربه مال لطاعة الوهابي، واستعان به، وحتى أنفذ إليه أوامره وكتائبه فقصد " عبد الوهاب أبو نقطة " بعساكره وخيوله إلى بلاد أبي مسمار غازيا على عدده وفلوله"(١).

- قلت: لا شك أن ابن بسام قد خلط في أخبار القبائل والأحداث كثيراً، كما أنه كان متحيزاً للدولة العثمانية مما أفقد الكثير من كلامه أهميته التاريخية كمصدر معقول، حيث من الواضح أنه قد كتب التاريخ نقلاً عن الرواة عن بعد وأوصل ما انقطع افتراضاً، وتحامل على خصوم الدولة العثمانية والذين كانت عسير في طليعتهم.

إلا أن ما يهمنا هنا وبصفته أحد المهتمين بالتاريخ، أنه أشار إلى إمارة لأبي نقطة وحروب بينه وبين أبي مسمار قبل وصول الدعوة لعسير، وهنا فإن جهله وهو الناقم على أبي نقطة بوجود إمارة يزيدية في عسير قبل آل أبي نقطة، فتحدث فقط عن حروب أبي نقطة مع أبي مسمار قبل تحالف الأول مع ابن سعود، أي قبل وصول الدعوة السلفية لها، يحمل دلالة على جهل أهل العلم والعامة عموماً في الجزيرة العربية بوجود الإمارة اليزيدية المزعومة في عسير، وهو ما لا يتماشى مع ما ورد في مجموعة الإمتاع من أخبار عن إمارة لها ثقلها وعمقها التاريخي خاضت حروباً مع الدولة السعودية في نجد، ووادي الدواسر، وبيشة، ووسط عسير، وهو ما يعطي دلالة أخرى للتأكيد على عدم وجود هذه الإمارة المزعومة.

٦ـ جاء في كتاب "روضة الأفكار" لحسين بن غنام مايلي:

"وفي هذه السنة (١٢١١هـ) سار ربيع بن زيد ـ أمير الدواسر ـ يريد الحجاز فأغار على فريق يقال له: أبو البؤس، من أعراب شهران، فهزمهم وقتل منهم نحو خمسين رجلاً، وأخذ المسلمون جميع المحلة والغنم والإبل.

وسار ربيع بن زيد بجماعته من الدواسر، فعمد إلى "بيشة"، ونزل على "الشقيقة" و"الجنينة"، وقاتل أهلها بعد أن أبو الإسلام، وحاصرهم أياماً، فاضطروا إلى الاستسلام، وعاهدوا على الإيمان.

---

(١) البسام، محمد، الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر، تحقيق سعود بن غانم الجمران العجمي، الطبعة الثانية ٢٠١٠م، ص٨٠، ٨١.

وسار ربيع بن زيد مع جماعته - بأمر عبدالعزيز - إلى "رنية"، فأناخ عليها وبنى بها قصراً، ووضع فيه آلة للحرب وكثيراً من الطعام وأمَّر فيه محمد ابن سعيد بن قطنان. فلما رأى أهل "رنية" ذلك لم يبق مفرٌّ من الدخول في الإسلام، فبايعوه وأعطوا العهد.

ويعود في ص ١٩٨ ليقول: وفي سنة ١٢١٢هـ سيَّر الشريف غالب بن مساعد - شريف مكة - عثمان المضايفي مع كثير من الجنود ليقابل المسلمين، فأغار على آل روق من قحطان وغيرهم من الأعراب ورئيسهم: مسفر بن نقيحان - وكانوا واردين على ماء دون بيشة في ناحية الحجاز. فلما أغارت عليهم فرسان الشريف ثبتوا لهم وصبروا على الجلاد، وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى هزموهم وقتلوا منهم أكثر من خمسين رجلاً، وولى الباقون منهزمين فمات كثير منهم من الظمأ. وأخذ المسلمون كثيراً من السلاح والإبل[1].

"وسار ربيع بن زيد بجماعته من أهل وادي الدواسر حتى نزل في أرض بيشة فأعد رجاله وجيشه عند "الجنينة" و"الشقيقة" واستمر يغير على أهل تلك البلاد وقراها حتى اضطروا إلى الاستسلام فدخلوا في الدين، وعاهدوا على ذلك.

فلما سمع غالب بن مساعد شريف مكة بما حدث لأهل "بيشة" سيَّر جيشاً كبيراً وأمَّر عليه الشريف فهيد بن عبدالله، فسار حتى نزل على "الجنينة" فدعاهم إلى النزول وأمنهم، وهددهم إذا أبوا بقطع نخلهم. فنزلوا إليه، فغدر بهم، وقتل كثيراً منهم من أهل الدين والتوحيد، وأسر أناساً كثيرين ونهب البلاد[2].

ثم ارتحل غالب وقصد "بيشة" وكان له فيها جماعة من بطانته وأتباعه من أهل الضلال - فأناخ بجمعه عليها، فهرب منها كثير من المسلمين ونجوا بأنفسهم، فاستولى عليها، وأقام فيها أياماً. ثم ارتحل عنها وأخذ معه أناساً قادهم في السلاسل والأغلال، ونزل على قرية "الخرمة" وكان فيها قليل من المسلمين فهربوا وطلبوا النجاة لأنفسهم. فدخلها غالب وأشعل فيها النار"[3].

---

(١) ابن غنام، حسين، روضة الأفكار، تحقيق د. ناصر الدين الأسد، دار الشروق، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ ص١٩٧.

(٢) ابن غنام، مصدر السابق، ص٢٠٠.

(٣) ابن غنام، المصدر السابق، ص٢٠٣.

• وهنا نجد ابن غنام الذي عاصر تلك المرحلة وأحداثها أورد تفاصيل الحروب التي دارت في بيشة بين ربيع بن زيد والشريف غالب شريف مكة منذ عام ١٢١١هـ حتى ١٢١٣هـ، أي أن هذه المناطق كانت تتبع شريف مكة قبل دخول القوات السعودية لها، والنزاع عليها استمر مداً وجزراً بين ابن سعود وشريف مكة، ولا علاقة لعسير مطلقاً بذلك، وهذا ينقض تماماً ما ساقته مجموعة إمتاع السامر والتي روت أن بيشة والوادي ورنية كانت تتبع لأمير عسير وأنها كانت مركزية في النزاع بين أمير عسير وابن سعود، وروت تفاصيل حروب متعددة بين أمير عسير محمد بن أحمد اليزيدي والدولة السعودية على بيشة جرت في عام ١٣١٣هـ قتل فيها أمير عسير السابق وقائد الجيش العسيري في حينه الأمير (المزعوم) "مرعي بن محمد"، ثم تلتها حروب في بلاد عسير كالدرجة والمسوح وغيرها.

٧- جاء في كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر مايلي:

في أحداث عام ١٢١٠هـ "غزا مبارك بن هادي بن قرملة إلى ناحية نجران فهزم بواديهم وقتل منهم ثلاثين رجل وأخذ جميع أموالهم".

في أحداث عام ١٢١١هـ، "وفيها جمع ربيع بن زيد الدوسري بجيش كثيف من الدواسر وغيرهم، وأمره عبدالعزيز أن يقصد جهة الحجاز فأغار على عربان شهران في الجنوب وقتل منهم خمسين رجلاً، وأخذ منهم إبلاً وأغناماً كثيرة".

"وفي عام ١٢١٢هـ، "وفيها سار الشريف غالب صاحب مكة عساكراً وأغاروا على فريق من عربان قحطان، وهم عند عقيلان المعروف دون بلد بيشة في ناحية الحجاز، فصار قحطان على الماء، والعساكر على ضماً فهزموهم وقتل من العسكر نحو الخمسين. وفيها سار ربيع بن زيد بجنوده من الدواسر وغيرهم على أهل بيشة والجنبية ونازلهم وضيق عليهم بالحصار حتى بايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، ولما بلغ غالب صاحب مكة هذا الخبر سير إليهم عساكرا مع فهيد بن عبدالله الشريف، فنازل أهل بيشة وحاصرهم وقطع عليهم نخيلاً، فدخلوا في طاعته وقتل منهم رجالاً. ثم سار الشريف إلى رنية فحربوه[1] ووقع بينهم قتالاً، قتل فيه بين الفريقين رجال، وفيها غزا هادي بن قرملة وأغار على البقوم في الحجاز فهزمهم وقتل منهم رجال. ثم بعد شهرين غزاهم فقتل منهم عدة قتلى، وأخذ عليهم كثيراً من الإبل والغنم".

---

(١) هكذا وردت في المصدر.

إلى أن يقول:

"وفي هذه السنة في شوال، وجيوش المسلمين في تلك الغزوة سار غالب بن مساعد شريف مكة بالعساكر العظيمة من البادية والحاضرة وأهل مصر والمغاربة وسار بعدد عظيم وعدة وكيد هائل من المدافع والآلات، وتوجه إلى بلد رنية ونازل أهلها وحاصرها ودمر فيها نخيلاً وزروعاً ووقع بينه وبين أهلها قتال شديد قتل فيه من عسكر غالب عدة قتلى وأقام محاصرها عشرين يوماً، ثم ارتحل منها، وقصد بلد بيشة ونازل أهلها وحصل بينهم قتال وكان له في البلد بطانة فمالوا معه فظفر بها ودخلوا في طاعته، وأقام عليها أياماً، وكان قبل حصاره بلد رنية وبيشة قد أغار على قبائل من قحطان، وأخذ عليهم إبلاً كثيرة وأمتعة وقتل منهم عدة قتلى. وفيها أقبل من بيشة، ونزل الخرمة القرية المعروفة قرب بلد تربة، وقد أعجب بنفسه والله غالب على أمره، وكان سعود حين سار إلى الشمال في تلك الغزوة المذكورة، بلغه في أثناء طريقه مسير غالب هذا، فكره الرجوع ورد من غزوه جيشاً من بعض النواحي قليلاً ليكونوا ردءاً للعربان وعوناً لهم، ثم أرسل عبدالعزيز إلى هادي بن قرملة ومن لديه من قبائل قحطان، وربيع بن زيد أمير الوادي ومن معه من الدواسر وغيرهم، وأمر أيضاً على قبائل من أخلاط البوادي وجيشاً من الحضر، وأمرهم أن يجتمعوا ويكونوا في وجه الشريف"[1] *(وقد التقوا بالشريف في الخرمة وانهزم الشريف).*

أحداث عام ١٢١٣هـ "ثم دخلت سنة الثالثة عشرة بعد المائتين والألف، وفيها في أول هذه السنة سار ربيع بن زيد بأهل وادي الدواسر وجيش من غيرهم وسار معهم قحطان وغيرهم، وسار الجميع ونازلوا بيشة وحاصروها حصاراً شديداً، واستولوا على قراها صلحاً وعنوة ثم بايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، واستعمل عليها عبدالعزيز أميراً سالم بن محمد بن شكبان"[2].

ولم يأت ابن بشر على أي أحداث تتعلق بعسير بعد ذلك حتى عام ١٢١٩هـ.

- وما ذكره ابن بشر يتوافق مع ما أورد ابن غنام عن أحداث معارك بيشة بين الجيوش السعودية وبين شريف مكة حتى سيطرة السعوديين تماما على بيشة، كما يشير إلى طريقة دخول وادي

---

(١) ابن بشر، عثمان، عنوان المجد في تاريخ نجد، دارة الملك عبدالعزيز، ص٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢.

(٢) ابن بشر، عثمان، المصدر السابق، ص٢٥١.

الدواسر في الدعوة[(١)] ولم يأت لعسير أي ذكر في هذه الأحداث، مما يدل على عدم وجود أي نشاط سياسي قوي بجهة عسير حيث ذكر ابن بشر أن الجيوش النجدية غزت بلاد نجران عام ١٢١٠هـ وعام ١٢١١هـ غزت بعض قبائل شهران وقتلت وغنمت ولم يشر لوجود غير القبائل ذاتها.

٨- جاء في كتاب "خلاصة الكلام في أئمة البلد الحرام" لأحمد زيني دحلان ما يلي:

سنة ١٢٠٦ *"في ربيع الثاني من سنة ست بعد المائتين وألف جهز (أي الشريف) جيشاً وأمر عليه أخاه السيد عبدالعزيز لقتال القبائل الذين دخلوا في دين عبدالعزيز بن محمد بن سعود فوصل به إلى تربه ثم إلى رنية ثم إلى بيشة وأطاعه جميع قبائل تلك الجهات وخلعوا طاعة عبدالعزيز بن محمد بن سعود وسيأتي أنهم سيعودون إلى طاعته ثانياً وأقام مدة ببيشة ثم عاد بمن معه إلى مكة المشرفة"*[(٢)].

"جهز الشريف غالب وأمره بالرجوع وأن يغزو أهل رنية فسار بمن معه حتى أناخ بهم ووقع القتال بينه وبينهم فملكها واخذ ما فيها من الغنائم واحرق دورها ثم قصد بيشة فنزل منها موضعاً يسمى الجنينة فقابله أهلها بالترحاب وأرسل الجواسيس يحظرون له قوماً سماهم لهم أراد الإغارة عليهم فرجعوا وأخبروه أنهم ارتحلوا وابعدوا ولم يبق منهم أحد فرجع إلى رنية ثم إلى تربه ثم إلى مكة وفي هذه السنة أعني سنة إحدى عشر توفي عبدالعزيز بن مساعد وهو أخو مولانا الشريف"[(٣)].

"في الحادي عشر من شعبان سنة اثني عشر جمع مولانا الشريف جمعاً عظيماً من أبطال الرجال وادخر الخراش كأمثال الحبال وفرق على القوم الكثير من المال وأخذ معه جملة من أرباب الصنائع والحرف وتوجه وأناخ بوادي العقيق فاجتمعت عليه القبائل من كل مكان ثم توجه إلى مران فوفد عليه السيد مبارك بن محمد والسيد سعد بن عرمطة ثم ارتحل المويه والبقرة وأغار على قوم من قحطان وأخذ مواشيهم ثم أغار على ابن قرملة في القنصلية وذبح فيهم ذبحة عظيمة وفر ابن قرملة منهزماً ثم عاد مولانا الشريف إلى رنية وحاربها وقطع نخلها وخربها فأطاعه أهلها وطلبوا

---

(١) ابن غنام، حسين، روضة الأفكار، ١٩٧.

(٢) دحلان، احمد زيني، خلاصة الكلام، المطبعة الخيرية - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٠٥هـ، ص٢٦١.

(٣) دحلان، المصدر السابق، ص٢٦٦.

الصلح فعفا عنهم وصالحهم ثم ارتحل إلى بيشة فاقر بها جماعة أعطوه الطاعة وفر آخرون فأحرق دورهم ثم أبقى فيها رتبة وارتحل إلى الخرمة"[١].

(ذكر الصلح سنة ١٢١٣هـ) "وفي غاية جمادى الأولى من سنة ثلاث عشرة انعقد الصلح بين مولانا الشريف غالب وعبدالعزيز بن محمد بن سعود بعد مكاتبات كانت بينهما وجعلوا حدود للممالك ولقبائل التي تحت طاعة مولانا الشريف والتي تحت طاعتهم فكان ممن في حدوده وطاعته القبائل التي حول مكة والمدينة والطائف وبنو سعد وناصرة وبجيلة وغامد وزهران والمخواة وبارق ومحائل وغير ذلك ثم دسوا الدسائس وصاروا يكاتبون القبائل خفية ويرسلون لهم من يفسدهم حتى انتقض الصلح"[٢].

(عام ١٣١٤هـ) "بعد الصلح كان سعود يراسل خفية كثيرا من مشائخ القبائل أرباب البغي والفساد فكاتب شيخ محائل سعدي بن شار وشيخ بارق أحمد بن زاهر فصارا يفسدان الكثير من القبائل حتى صار منهما الفساد ما حصل بسببه انتقاض الصلح وكان سبباً في دخول جميع قبائل الحجاز في دين الوهابية ولما سمع مولانا الشريف أن شيخ محائل كاتبهم وتبعهم على دينهم وخلع طاعة مولانا الشريف غالب أرسل لوزيره بالقنفذه أبي بكر بن عثمان وكان مشهوراً بالشجاعة وأمره أن يجمع كثير من الذخائر ويجمع ما أمكنه من القبائل ويذهب لقتال شيخ محائل فامتثل أمره وخرج لقتاله فوقع بينهما قتال شديد وهزمهم الوزير وملك ما في واديهم ثم أضرم النار بناديهم ثم عاد إلى القنفذه"[٣].

ثم يذكر أحداث غزو الشريف للوهابيين الجدد في تهامة في غامد الفرعا وحلي والأحسبة إلى أن يقول: "ثم إن معدي بن شار شيخ محائل جمع جموعاً من كنانة وأهل المخواة وغامد الفرعاء ومحائل يبلغون الإثني عشر ألفاً وعزم هو ومن معه على أنهم يتملكون القنفذة فأقبلوا بمواشيهم وأطفالهم ونسائهم وكان ذلك حين غفلة من الوزير وكان ذلك أوائل سنة سبعة عشرة ١٢١٧هـ فلم يمكنه أن يجمع كثيراً من العربان وعلم أن تأخير القتال ذل ووبال فخرج عليهم ودهمهم بغتة"[٤].

---

(١) دحلان، المصدر السابق، ص٢٦٧.

(٢) دحلان، المصدر السابق، ص٢٦٧، ٢٦٨.

(٣) دحلان، المصدر السابق، ص٢٦٧، ٢٦٨.

(٤) دحلان، المصدر السابق، ص ٢٦٨.

- وما ذكره دحلان يتوافق مع ما ذكره ابن غنام وابن بشر حول أحداث بيشة وبلاد قحطان والتي كانت منحصرة بين شريف مكة وابن سعود وعدم وجود أي علاقة لها ببلاد عسير في تلك المرحلة، مما يجعلنا نجزم بعدم وجود أي أساس لما ذهبت إليه مجموعة الإمتاع من سرد لحروب بين الأمير اليزيدي وابن سعود حول بيشة ويؤكد بالتالي عدم وجود حكم مركزي في عسير يمتد على المناطق التي ذكرها في الشرق حتى ذلك التاريخ، بالإضافة إلى أن دحلان أوضح ما تم من اتفاق عام ١٢١٣هـ بين شريف مكة وابن سعود حيث محائل وبارق ضمن المناطق التابعة للشريف، وهذه مناطق عسيرية قريبة جداً من أبها خاصةً محائل عسير والتي تبعد عن أبها حوالي ٤٠كم إلى الشمال الغربي، وتبعيتها للشريف وعدم وجود أي إشارة لعسير بين ثنايا هذه الأخبار يدل على عدم وجود أي إمارة في عسير في تلك المرحلة، كما أن الإشارة إلى أمراء قبائل صغيرة مثل محايل والريش وبارق وأحداثهم ومناصرتهم لدعوة ابن عبدالوهاب وحروبهم مع أمير القنفذة التابع للشريف دون أي إشارة إلى أي دور لأمير عسير دليل على عدم وجوده، وأنه لم يخلق بعد في رأس المزورين في تلك المرحلة، كما أنه من غير المعقول أن ترد أخبار شيخ محائل وشيخ بارق وأمير القنفذة ولا يرد أي خبر عن الأمير اليزيدي الذي تضم إمارته كل هؤلاء وهو المناهض لابن سعود في عسير.

٩- كتاب "درر نحور الحور العين.." للطف الله جحاف ذكر تفاصيل كثيرة لم يوردها سواه حول عسير وأحداثها حتى عام ١٢٢٤هـ، سنورد منها ما يخص موضوعنا حيث جاء فيه:

سنة ١٢١١هـ *"في هذا العام أو قبله مال أبو نقطة متولي عسير إلى داعي عبدالعزيز فأجابه وحرض الناس على الطاعة والدخول مع الجماعة، وأقام شرع الفتنة، وشرع شعار المحنة، وصال وجال على القبائل في جميع الأحوال، ولم يباشر محادداً، ولا تعدى أحداً، خلا أنه كان يبعث بالرسائل إلى سائر القبائل مرغباً لهم وواعداً بالخير ممنيا بالغنى والظفر بالمشتهى.. إلخ"*[١].

سنة ١٢١٢هـ *"وفي هذا العام انشرح صدر أبي نقطة صاحب عسير بسلوك طريقة عبدالعزيز النجدي ووقر في صدره ما دعاه إليه بعد أن عرف أحواله وقصد دياره وكان مهضوم الجناب في قومه، فما زال يعده الخير والولاية على دياره ثم بدا له أن*

---

(١) جحاف، المصدر السابق، ص٣٨٨.

يبعثه عليهم فطلبه إليه فسارعه اختياراً، وقد كان بينهم وبين عبدالعزيز ملاحم تجهز عليهم فيها سالم بن شكبان وابن قرملة وربيع وابن قفله، وكانت عسير تجمع قبائلها فتصاولهم، وجرت بينهم وبين قبائل شهران ورفيدة وعبيدة عداوات وتخطفات وآل أمرهم معه إلى الدخول في فريق يسير من عسير، إلى حضرة عبدالعزيز، فبايعه أبو نقطة ورغب في اتباعه وعاد بقومه إلى محله، ولم تكن الأيدي قد تغلبت على شيء في بلاد عسير، فلذا كانوا مجبورين مصانة أموالهم ودماؤهم، وسأله كتاباً فيه تعليم الناس"،... إلى قوله "وإن كنا لم نطلع على أصل مكتوب غير أنه كان يصل إلينا عالم من أولئك فيخبرون أن أبا نقطة كان يعقد عند صباح كل يوم فتحضر القبائل والرؤساء والفقهاء وأهل الأعمال، فيسمعون منه ما يتلوه عليهم في الورد الذي يسمونه الدرس ويتحفظه السامع، فلم يبق في دياره كبير ولا صغير رجل أو امرأة حراً أو عبداً إلا حفظه وعرضه عليه"[1].

وفي أحداث نفس العام يقول: " وفي آخرها أو في آخر التي بعدها، سار الأمير ربيع قاصداً لوادعة الحجاز ـ قبيلة تنتسب إلى نجران متوسطة بين قراض والعجمان وبني قطابر، والرئيس بها يومئذ علي بن مسفر ـ فبغته الخبر بمسير ربيع داعية عبدالعزيز إليه، وورودت بعد هذا كتب منه يطلب منه الدخول في الدين ويرميه بعمل المشركين، فأهمل الجواب وتنكب عن الصواب فناجته العيون مفصحة بما قد توجه إليه من الجنود الواسعة فاستدعى العجمان وآل مرة وسائر القبائل المجاورين له، وأكثرهم من البادية، فتثاقلوا عنه فخرج في جماعة يسيرة،فاستنجد بني ما لم واستصرخ كليب فأجاباه بالإعانة على شروط لا يحتملها، وبعث إلى رئيس كليب حسين بن قاسم، فقصده علي بن مسفر وبث عليه ما قد بلغه من مسير الأمير ربيع إليه، وأفصح له بما قاد من الجنود بين أيديه، فأجابه إلى المسير، وسار معه في ألف مقاتل،

إلى أن يقول:

"متحيناً لوصول الأمير ربيع ففاجأه بجيش جرار قد ملأ بالجنود النجود والأغوار، فبرز القوم للمصاف ورتبوا البيوت والمعاقل فانحصروا بها أياماً ثم بعثوا إلى الأمير ربيع يسألونه المسالمة،فأبى إلا أن يتسلموا إلى أيدي المسلمين في سلاحهم وكراعهم وينزلوا على حكمه فقالوا على أن تعاهد ألا غدر، فعاهدهم... فقضى برجوع

---

(١) جحاف، المصدر السابق، ٤٠٠.

الحسين بن علي إلى دياره ويترك علي بن مسفر على حكمه واختياره، فكان ذلك ورجع... فلما ولى دعى علي بن مسفر إليه، وطلب منه المعاهدة لعبدالعزيز والدخول تحت طاعته... فعاد إليه معاهداً[١].

عام ١٢١٥هـ *"ربيع بن زيد يغزو وادعة وبلاد العجمان وبني مرة ويلزمهم بالدخول في طاعة النجدي"*[٢].

في نفس العام *"سار علي بن حيدر إلى طبب محلة عبدالوهاب أبي نقطة يحرضه على الغارة على أهل الدرب لما صنعوا في أبي عريش وأظهر أنه في قوم الدين وأن أهل الدرب موالين لـ(سندوس) ومن بحضرته من المشركين فأجابه، ورجع ابن حيدر واستقر بجازان متولياً، وكتب إلى حمود بما كان فحمد الله على أن الفتنة بين أهل الدرب وأبي نقطة"*[٣].

عام ١٢١٦هـ *"وكان الفلقي قد استصرخ عرار فاستصرخ الأمير أبا نقطة، قبل أن يعلو صيته وتتمكن دولته، فبعث أخاه عبدالوهاب في أربع مائة من عسير"*.

- وما أورده جحاف يحمل دلالة واضحة على أنه لم تكن هنالك إمارة معروفة في عسير حيث لم يشر إلى أي أمير في عسير، بل أشار إلى أن عسير كانت تجمع قبائلها فتصاول الجيوش النجدية، وهي إشارة لعدم وجود أسرة إمارة معروفة لقبيلة عسير في حينه، فلم يكن المؤرخون يهتمون بشيء كاهتمامهم بذكر الأمراء والقادة في المعارك والأحداث، فما بالك وهي إمارة أموية بل أعرق الإمارات العربية (على ذمة من لا ذمة له)، كما أنه ذكر توجه الجيوش النجدية في عام ١٢١٢هـ أو ١٢١٣هـ ثم عام ١٢١٥هـ بقيادة ربيع بن زيد الدوسري إلى ظهران الجنوب وإخضاعه لها دون أن يكون هنالك أي إشارة لأمير عسير الذي كانت بلاده على طريق المتجه لظهران الجنوب من وادي الدواسر، ما يجعلنا بديهياً نستبعد أن يكون هنالك أمير ذو حكم مركزي قديم ثم لا يذكره جحاف الذي فصّل في ذكر أحداث عسير وما كان يدور بداخلها من نشاطات قبل بداية الدعوة، وأيضاً فإن ما أورده عن ما كان يلقيه عبدالوهاب أبو نقطة من خطب قبل وصوله للإمارة يدل على أن الدعوة لم تدخل عسير كنتيجة للحروب مع هذه الجيوش التي ذكرها، بل كان دخولها عندما تمكن أبي

(١) جحاف، المصدر السابق، ٤٠٤.

(٢) حجاف، المصدر السابق، ٤٧٧.

(٣) جحاف المصدر السابق، ٤٨١.

نقطة من تملك قلوب الناس والقبائل العسيرية صغيرهم ورئيسهم (حسب ما أورد)، ولعل هذا يدل على تعدد المشيخات في بطون قبيلة عسير قبل وصول الدعوة إلى أكثر مما هو معروف حالياً، ولكن ربما كان هنالك قيادة موحدة تقام عند الحرب فقط مشابهةً لما ألمح له محمد رفيع في حديثه عن وضع إحدى القبائل في المنطقة[1] ولكن ما لا شك فيه أنه لم يكن هنالك أمير اسمه محمد اليزيدي في عسير، وإلا لذكره جحاف ضمن أخبار عسير التي كانت تصله قبل بداية الدعوة.

١٠. نقل الشيخ هاشم النعمي في كتاب "تاريخ عسير" ومثله نقل احمد آل فايع في كتاب "دور آل المتحمي.." أخبار دخول عسير في الدعوة عن وثيقة "عبدالرحمن الحفظي" وجاء في الخبر:

"وعندما ترامت إلى عسير أخبار الدعوة السلفية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وفي أوائل القرن الثالث عشر الهجري خف مسرعاً إلى الدرعية محمد بن عامر أبو نقطة هذا لقصد الأخذ من مبادئها ومن ثم رغبة في نيل السلطة والزعامة بين قبائله عن طريق حمايتها ونشرها بين السكان، وكان ذلك في غضون عام ١٢١٥هـ بينما كانت الدعوة السلفية آنذاك قد ظهرت وانتشرت بين سكان سفوح جبال السراة وما جاورها من تهامة كالمخلاف السليماني عن طريق الدعاة، ومن أبرزهم الداعية الشريف أحمد بن حسن الفلقي من سكان صبيا الذي كان حينذاك في صراع قائم وحروب طاحنة مع حاكم المخلاف السليماني علي بن حيدر، فانتهز الإمام عبدالعزيز بن محمد ابن سعود فرصة وفادة محمد بن عامر هذا إليه، وأسند إليه حماية الدعوة في هذه الربوع ونشرها بين السكان، وشرط عليه محاربة شريف أبي عريش الذي كان مناصباً للدعوة، ومناصرة الداعية أحمد بن حسين الفلقي، وجهز معه جيشاً كثيفاً بقيادة (ربيع بن زيد) أمير ناحية الدواسر للعمل على تثبيت دعائم إمارة عسير وتمكين محمد بن عامر على رأسها، وقد واصل الجيش زحفه حتى خيم بقرية حجلا وهي أول قرية من قرى عسير الشرقية المجاورة لبلاد شهران، وهناك وافته وفود قبائل عسير تعلن الطاعة لابن سعود. ومن حجلا زحف الجيش إلى الاتجاه الغربي من بلاد عسير حتى تمركز بالمحل المسمى "المغوث" من سفح جبل عسير المطل على تهامة رجال ألمع، ويعرف "المغوث" في عصرنا "بباحة ربيعة" وعندما أتم الجيش الزاحف

---

(١) رفيع، محمد عمر، في ربوع عسير، مطبعة دار الكتاب العربي، ١٢١.

عملياته كر راجعاً إلى حيث أتى، وبهذه الحركة الخاطفة بدأ الأمير محمد بن عامر العسيري في مزاولة سلطته العشائرية المحلية تحت حماية "ابن سعود" بشكل أشبه بالاستقلال اللامركزي، بينما أخذت إمارته تشمل في حقلها السياسي ما يطلق عليه اسم عسير، ويمتد في حدوده الطبيعية ما بين البحر الأحمر فمحائل شمالاً حتى بلاد قحطان فبني شعبة جنوباً، وغرباً ما بين سواحل القحمة حتى بلاد شهران شرقاً، ويتبعها القبائل الآتية:

١- ربيعة ورفيدة ٢- بنو مغيد ٣- علكم ٤- بنو مالك، ويطلق على هذه الأربع قبائل عسير السراة. ٥- بنو قيس ٦- بنو ظالم ٧- بنو جونة ٨- بنو بكر ٩- بنو زيد ١٠- بنو عبد شحب ١١- بنو قطبة ١٢- بنو شديلة ١٣- بنو عبدالعوص ١٤- البناء، ويطلق على مجموع هذه العشر قبائل رجال ألمع أو عسير تهامة"[١].

• وهنا نجد إشارة إلى وصول جيش من الدرعية مرافق لمحمد بن عامر أبو نقطة رغم أن جميع المصادر العسيرية الأخرى الأقدم منه والمعاصرة للأحداث، كنفح العود، والظل الممدود، بالإضافة للمصادر النجدية، والحجازية، واليمنية، ومصادر المخلاف لم تشر إلى هذه المعركة، بل تشير إلى أحداث تلك المرحلة بسرد مختلف تماماً، ولم تأت مطلقاً لأي إشارة إلى هذا الجيش، ماعدى هذه الوثيقة (وثيقة عبدالرحمن الحفظي) التي ذكرها الشيخ هاشم، وهي مجهولة المصدر الذي أوصلها للشيخ هاشم حتى هذه اللحظة، بالإضافة لوثيقة إبراهيم زين العابدين الحفظي غير المعاصر للأحداث (توفي عام ١٣٧٢هـ) والتي من الواضح أنها مزورة أو لنقل نسخة محرفة من وثيقة عبدالرحمن الحفظي التي أشار لها الشيخ هاشم، حيث بدأ ظهورها من خلال كتاب "تاريخ عسير"المنسوب تحقيقه إلى "محمد بن مسلط"، وتوجد نسخة منها لدى الباحث حسن غريب الألمعي كما يقول أحمد آل فايع[٢].

ولكن المعاصرين لظهور محمد بن عامر وأخيه عبدالوهاب لم يشيروا في سردهم لأحداث تلك المرحلة عن تلك الحملة، وحتى لو أخذنا بهذه الوثيقة فهي أيضاً لم تشر مطلقاً إلى حدوث حرب، بل تشير إلى مبايعة العسيريين للجيش فور وصوله إلى حجلا في الطرف الشرقي لعسير، ومن ثم اتجه إلى باحة ربيعة ثم قفل راجعاً إلى حيث أتي دون حرب، كما

---

(١) النعمي، هاشم، تاريخ عسير، ١٣٤، ١٣٥، - أحمد آل فائع، دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى، ١٢٦.

(٢) آل فايع، أحمد، دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية، الطبعة الأولى١٤٢٧هـ، مطابع الحميضي، ٥٤.

أن الوثيقة ذاتها وكغيرها من الوثائق العسيرية لم تشر بأي حال إلى وجود أمير ولا إمارة في عسير لآل يزيد في تلك الفترة فلم تورد أي إشارة إلى من سمي بمحمد بن أحمد اليزيدي ولا أحمد بن محمد اليزيدي في تلك الأحداث.

- قلت وإن أخذنا بصحة هذه الوثيقة المنفردة بهذا الخبر، والتي يبدو أنها نفس الوثيقة التي نقل عنها محمد عمر رفيع في كتابه "في ربوع عسير"[١]، وذكر أن كاتبها لم يضع اسمه، وأخذنا بصحة معلومتها، ولاحظنا أنه لم يرد لهذه الحملة التي وجهت لغزو عسير ذكر في المصادر العسيرية المعاصرة والتي كان أحد أصحابها (محمد أحمد الحفظي) والد صاحب الوثيقة الذي عاصر الأحداث منذ بدايتها ولم يشر إلى هذا الجيش، كما لم تشر له الوثائق النجدية التي أفردت الكثير من الصفحات لمتابعة جميع الحملات السعودية لغزو البلدان شرقاً وغرباً ولا ورد في أي المصادر الأخرى خبر هذا الجيش الذي توجه لعسير كجيش فاتح، كما أن الوثيقة ذاتها تفيد بأن هذا الجيش لم يخض أي حرب مع العسيريين، بل باشرت الوفود التوجه إليه منذ وصوله إلى حجلا، والتي هي أول قرى عسير السراة في الشرق ثم اتجه إلى طبب ثم إلى باحة ربيعة وقفل عائداً ولم يأت أنه مر بسواها (كما جاء في السرد)، لذا فلو صادقنا على خبر الوثيقة فالراجح أن هذا الجيش ربما مر بعسير أثناء اتجاهه إلى ظهران الجنوب أو عودته منها، حيث ذكرت المصادر التاريخية أن ربيع بن زيد قد غزا قبيلة وادعة وبني مرة والعجمان في ظهران الجنوب وبدر الجنوب والتي تقع إلى الجنوب من بلاد عسير في نفس العام ١٢١٥هـ[٢]، ومن ثم ومن قراءة الحادثة فإن حضوره لعسير ـ إن صح ـ فإما أنه كان بطلب من محمد بن عامر أبي نقطة عندما علم بتحركه إلى ظهران الجنوب، أو عندما مر به، أو ربما كان حضور السرية إلى عسير بهدف طلب الدعم من أمير عسير، ولكن من الواضح أنها لم تكن معنية بدخول عسير لإخضاعها، لذا فلم يرد لها أي ذكر في كل كتب التاريخ الأخرى بما فيها العسيرية، وما كان النجديون ليهملوا خبر حملة أدخلت عسير في الدولة السعودية بالقوة كما تقول مجموعة الإمتاع، ولا كان محمد بن أحمد الحفظي ومحمد بن هادي العجيلي المعاصرَين لدخول الدعوة والمشاركين في أحداثها منذ البداية ليهملوا خبر هذه الحملة، وهما اللذان كتبا أخبار وأحداث تلك المرحلة بالتفصيل، مما يدل على عدم حدوثها أو على هامشيتها، وفي كل الأحوال فإن ما أوردته هذه الوثيقة من رواية لو أخذنا بصحتها فإنها تثبت عدم وجود إمارة يزيدية ولا وجود أمير اسمه محمد اليزيدي.

---

(١) رفيع، محمد عمر، في ربوع عسير، ١٣٧٣هـ، ص١٧٧.

(٢) جحاف، مصدر سابق، ٤٧٧.

دلالة أخبار مرحلة ما قبل وصول الدعوة

من خلال هذه الإشارات المتتالية لأحداث ما قبل دخول الدعوة لعسير نجد أن المعاصرين بما فيهم مؤرخي عسير ونجد بالإضافة لمؤرخي الحجاز "دحلان" ومؤرخ اليمن "جحاف" - اللذان لا شك أنهما لم يكونا محابيين للإمارة النجدية كما لم تطبع كتبهما في السعودية - جميعهم لم يوردوا أي شيء مما قالته هذه الكتب من أخبار حكم آل يزيد في عسير ولا عن أمير اسمه "مرعي بن محمد" ولا "محمد بن أحمد" ولا "يوسف بن مرعي" ولا "أحمد بن محمد اليزيدي" في عسير، رغم أنها لم تترك أحداً تداخل مع الأحداث من الأمراء أو القبائل إلا ذكرته وبالتفصيل، فقد ذكرت مشائخ بارق، ومحائل، ودرب بني شعبة، وحلي، ووادعة المحيطة بعسير من كل الجهات قبل عام ١٢١٥هـ، دون أن تدلي بأي إشارة إلى أمير عسير الذي يفترض أن نفوذه يمتد على مساحة كبيرة من الأرض، وأن هؤلاء المشايخ جزء من نفوذه حسب مصادر الإمتاع، كما أن جميع المصادر ذكرت بشكل مفصل ومتوافق أن بيشة كانت قبل الدولة السعودية تحت حكم الشريف غالب ثم أصبحت محل نزاع بين الشريف غالب وبين جيوش ابن سعود، وكانت ما بين مد وجذب بين الطرفين منذ عام ١٢١١ـ ١٢١٥هـ، وهو ما يتنافى تماما مع ما أوردته مصادر مجموعة إمتاع السامر من أن حروباً كبرى ومتتالية جرت بين أمراء عسير وابن سعود حول وادي الدواسر وبيشة، وأن أمير عسير السابق مرعي بن محمد اليزيدي (والد عايض بن مرعي) قد قتل في هذه الحروب عام ١٢١٣هـ دفاعاً عن بيشة وما خلافه من تفاصيل، كما توثق بأن وادي الدواسر لم يكن له أي علاقة بعسير، وأنه قد دخل منذ وقت مبكر تحت الدولة السعودية بعد حروب مع أهله، حيث كان ربيع بن زيد هو الداعي لابن عبدالوهاب في تلك الجهات، وامتدت الجيوش النجدية فيها إلى بلاد قحطان، وشهران، وبيشة، ودرب بني شعبة، ومحايل، وبارق، وأبي عريش، وظهران الجنوب، بينما لم يتداخل مع أي أحداث تلك المرحلة أي أمير في عسير، سوى ما ورد عن خبر بداية تأييد محمد بن عامر أبو نقطة وأخيه عبدالوهاب للدعوة وبداية نشاطهما في نشرها منذ عام ١٢١١هـ، وانجذاب الناس لدروسهما الدينية في عسير، كما لم تشر كل هذه الكتب ولو عرضياً إلى وجود هذه الإمارة والتي يفترض أنها أطول إمارة عربية عرفها التاريخ منذ فجر الإسلام، كما أن ما ذكره شاهد العيان محمد العجيلي في الظل الممدود يتوافق بشكل عام مع ما أورده صاحب لمع الشهاب وما أورده البهكلي المعاصر عن بداية دخول الدعوة لعسير.

وهذا لا يجعلنا نسلم بالتفاصيل الكاملة لأي منهم، ولكن ما ورد يكفي لإعطاء صورة عمومية عن الوضع، حيث يستحيل أن يكون هنالك إجماع بهذا الشكل على تجاهل وجود إمارة

يزيدية في عسير قبل عام ١٢١٤هـ من جميع المؤرخين بينما هي موجودة فعلاً، مما يدل على أن منطقة عسير بما فيها بلاد عسير كانت مناطق قبلية كغيرها من مناطق الجزيرة العربية فيما قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ولا يوجد فيها أي نوع من الحكم المركزي، فقد كانت كل قرية أو قبيلة لها مشيخة ربما تمتد إلى عدة قرى متجاورة تربطها رابطة المسمى القبلي الواحد القديم، ولكن من الواضح أنه كان للحرب قوانين أخرى كما يتضح من بعض الأحداث ومما أورده محمد رفيع عن النظام الحربي في إحدى قبائل المنطقة[١]، والحالة التي ذكرنا تتوافق مع ما أورده ابن المجاور والهمداني ومفرح الربعي والقلقشندي وعبدالله المؤيدي[٢] عن الوضع في منطقة عسير منذ القرن الرابع للهجرة وحتى دخول عسير في سلك الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب، فربما توحدت قبيلة عسير كاملة في حالة الحرب فقط تحت قيادة موحدة يتفق عليها تنتهي بنهاية الحرب، ولكن لا يوجد ما يدل على أن قبيلة آل يزيد معنية بهذه القيادة على الإطلاق، كما أنه لم تكن هنالك إمارة موحدة لمنطقة عسير ولا حتى على قبيلة عسير فيما قبل محمد بن عامر أبو نقطة المتحمي.

ومن المهم أن نعيد ما ذكرناه سلفاً من أن هذه المجموعة لا تعدم الاستناد إلى أي خبر طارف في أي مصدر لتنسج حوله أكاذيبها بعناية، فربما وجدنا هنالك مصدراً يشير إلى شخص قاد جيشاً في عسير ضد الحملات السعودية اسمه محمد بن أحمد، أو أن يكون هنالك مشيخة في أي بطون قبيلة عسير بيد رجل اسمه محمد بن أحمد، أو أحمد بن محمد، أو أن يكون هنالك أحد المشائخ ممن له دور ما في تلك المرحلة، وقعت عليه مجموعة التزوير فاستندت إليه وأضافت له اسم اليزيدي كذباً كعادتها، وإن يكن وحتى هذه اللحظة لا يوجد شيء من ذلك سوى فيما أوردته هذه الكتب في الوثيقة المزعومة لإبراهيم بن زين العابدين الحفظي الذي عاش حتى قرب نهاية القرن الرابع عشر للهجرة، والتي وردت في الكتاب المزور "تاريخ عسير" للمفترى عليه "محمد بن مسلط" والتي يبدو أنها مجرد نقل محرف لوثيقة عبدالرحمن الحفظي التي نقل عنها الشيخ هاشم النعمي وربما محمد رفيع، ولكن من المهم أن نكون صادقين في رواية التاريخ أمينين في البحث، بعيدين عن تطويع النص للرغبات الشخصية، وعن الأفق الضيق للوصول إلى حقيقة الوضع في عسير ما قبل الدولة السعودية كما هو، فلمعرفة تفاصيل وقوانين القيادات القبلية

---

(١) رفيع، محمد، في ربوع عسير، ١٢١.

(٢) المؤيدي محمد بن عبدالله (أبو علامة)، التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية، مخطوط، ورقة ٣٢٢ - ٣٣٨.

بخصوص عسير فقد نحتاج إلى استقراء أمين لمعرفة الوضع في تلك المرحلة من خلال ما ورد من ذكر حولها، فهنالك مصادر تاريخية تثبت أن الوضع كان قبلياً بحتاً، وأن المنطقة كانت تدار من قبل شيوخ القبائل المحلية المتفرقين مثل مخطوط التحفة العنبرية لمحمد المؤيدي (أبو علامة)، وهذا الوضع القبلي كان هو السائد في كل أنحاء الجزيرة العربية قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ما عدا مكة واليمن وربما الأحساء في بعض المراحل.

الباب الرابع

الموقف الحكومي من مجموعة إمتاع السامر

الفصل الأول

هل الحكومة السعودية معنية بإخفاء أو تشويه التاريخ العسيري

عادة ما يميل العامة وربما بعض الخاصة في دول العالم الثالث ومنها العالم العربي إلى التشكيك في كل ما يصدر عن الجهات الرسمية من أخبار حول التاريخ السياسي، واتهامها بأنها أخبار موجهة لتبييض تاريخ النظام القائم وإعطائه الشرعية، والميل إلى المصادقة على ما تدلي به الجهات المخالفة من معلومات تناقضها مهما كانت غريبة، وهو شعور يحمل المصداقية في بعض الحالات، إلا أنه في حالات أخرى قد تمليه العاطفة، كما هو الحال في منطقة عسير.

فمن الخطأ الاتكاء على مثل هذا الرأي في تقييم الأمور دون الغربلة لما بين أيدينا من أخبار ترد من هنا وهناك، ووضعها تحت المجهر، وإعمال العقل والمقارنة الموضوعية لما نقرأه لدى كل جانب، فقد قال الله تعالى "ولا يجرمنكم شنآن قوم ألا تعدلوا"، فكون هنالك مراقبة لما تخطه الأقلام وخطوط حمراء وصفراء فإن هذا لا يعني بالضرورة أن هنالك خطط لتدمير التاريخ العسيري بالذات، أو إعادة صياغته، أو مؤامرة على التاريخ العسيري، أو على أسرة عسيرية، فالتاريخ أشبه بالسيل الذي يصب من كل اتجاه فلا يمكن لجهة ما أن توقف تدفقه دون أن يتسرب منه شيء، فهنالك دول تحقق وتصدر فيها الكتب بحرية ولا تمانع في نشر ما تضع دونه دول أخرى خطوطاً صفراء وحمراء، فقد وجدنا الكثير من الكتب المعنية بمهاجمة كل الدول العربية في كل الدول العربية، ومن ثم فإن الركون إلى أننا نعيش في دوامة هو تفكير ساذج، فما علينا في هذا العصر إلا فتح الإنترنت للحصول على ما نريد من الكتب التاريخية، أو الذهاب إلى أقرب دولة عربية لتجاوز كل الممنوعات المحلية وهو أمر حاصل بشكل مستمر.

كما أن هنالك تهم كثيرة يطلقها البعض من أبناء عسير حول وجود عداء حكومي للتاريخ العسيري، لأن عسير دخلت حروباً مع جيوش الدولة السعودية الثالثة بعد خروج الدولة العثمانية منها وتسليم الحكم لحسن بن عايض، وقد كان لمصادر مجموعة الإمتاع المحلية دوراً رئيسياً كبيراً

في تكريس هذه الأفكار في رؤوسنا، ورغم إيماني التام ومنذ الوهلة الأولى لقراءة كتاب إمتاع السامر وبقية المجموعة بأن الروايات والأفكار التي طرحتها هذه الكتب لا أساس لها، وحملت الشك حول الكثير من الإشارات السلبية لعسير في هذا الكتاب ومجموعته وتوجهها في حينه، ما جعلني أرفضها تماماً، إلا أنني كنت مندهشا ولا زلت لما يلقاه الكتاب والمجموعة المرافقة له والفكرة الرئيسية فيه من دعم قوي مستمر من معظم مؤرخي عسير، ولكنني كنت في نفس الوقت أحد الذين يرتابون في الدور الذي تقوم به بعض الجهات الرسمية تجاه التاريخ العسيري خاصة من خلال بعض العبارات التي زج بها في التعليق على إمتاع السامر.

ولكننا عندما نراجع أنفسنا، ونتجاهل الآراء الشخصية، وننزل فكرة المؤامرة على الحالة في المملكة العربية السعودية وتعاملها مع التاريخ العسيري ونبحث في مدى منطقية هذه الفكرة قبل أن نخوض في التفاصيل، فإننا نجد أن الواقع يقول لنا أننا نرتكب خطأً كبيراً في هذا الخصوص، فهنالك مثلاً أسر ومناطق كانت أكثر مقاومة للحكم السعودي بل كانت مقاومتها تاريخية وطويلة الأمد كأشراف مكة المكرمة وأسرة آل رشيد في حائل التي كانت ألد خصوم الدولة السعودية الحديثة، ومع ذلك فإن الجهات الحكومية لم تحاول اختزال أنساب هذه الأسر أو تاريخها الذي لا زال يروى في الكتب التاريخية كما أوردته هي عن نفسها بكل أريحية، ولم تحاول الإساءة إليهم، ولم يكن هنالك تدخلاً في رواية تاريخهم على ألسنة مؤرخيهم، عدا ما كان منها يحمل تداخلاً مع الدولة السعودية أو الدعوة السلفية، فهنالك خطوط حمراء متوقعة دائماً وهي معنية بما قد يسيء إلى تاريخ الدولة السعودية، كتوجيه النقد الحاد إلى ما قام به بعض جنودها من تصرفات أثناء المعارك، أو غير ذلك مما يمكن أن نتوقعه من أحداث قد يسيء التطرق إليها إلى تاريخ الدولة السعودية، ومع ذلك فقد رشح الكثير من هذه المعلومات في كتب سعودية الهوية ككتاب هاشم النعمي (تاريخ عسير)[1] ومحمد رفيع (في ربوع عسير)[2] اللذان تحدثا عن قتل جماعة الأخوان في الجيش السعودي للعجزة والأبرياء في أبها عندما دخلوها بعد معركة حجلا.

وبغض النظر عن رأينا في عملية المراقبة غير الموضوعية على الكتابة على وجه العموم، فإن مثل هذه الإجراءات لا تدلنا مطلقاً على أن هنالك مؤامرة لتشويه تاريخ أولئك الذين كانوا خصوماً لها في أي مراحل التاريخ، بل لعله استبعاد لكل ما يثير الحساسية، ولنقل تجميل وتمليح لصورة تاريخها، ومثل هذه الإجراءات هي أمر طبيعي في الدول التي تضع جهات رقابية على

---

(١) النعمي، هاشم، تاريخ عسير بين الماضي والحاضر، ط١، ١٣٨١هـ ص٢٥٣.

(٢) رفيع، محمد عمر، في ربوع عسير، دار العهد الجديد للطباعة، القاهرة، ١٣٧٢هـ، ص٢٥٦.

الكتابة، بل وفي كل دول العالم الثالث، فهل من المنطقي أن نستدل بوجود هذه الرقابة على وجود خطة محكمة وتدخل من الحكومة السعودية لإخفاء تاريخ ما يسمى بالدولة اليزيدية في عسير أو محاولة تشويه تاريخ عسير، وهل يمكنها ذلك لو كانت موجودة بالفعل؟.

للإجابة على هذا السؤال بشكل أدق علينا أولاً أن نرى المؤلفات التي خرجت حول عسير من داخل السعودية وخارجها وندرسها جيداً قبل أن نستسلم لمن يحاولون إقناعنا بأننا أمام خطة محكمة متكاملة لوأد الحقيقة التي يدعون أنهم يحملونها لنا، فنقع في فخاخ المؤامرة الحقيقية من الطرف الآخر، فإذا كنا نحاذر من الوقوع في دوامة الإخفاء الرسمي للتاريخ الحقيقي، فمن الغباء أن نسخّر هذا الحذر للتلاعب بتاريخنا من قبل جهات تكتب من الظلام.

فما هي مصلحة الجهات الرسمية مثلاً في الوقوف دون إظهار حقيقة النسب اليزيدي الأموي لأمراء عسير، أو دون إظهار حقيقة وجود حكم مركزي قوي بيد آل يزيد قبل الدولة السعودية الأولى مرتبط بسقوط الدولة الأموية، إذا كانت تقر بوجود حكم قوي وقديم لأشراف مكة وهي الجزء الأهم من الوطن، ولآل عريعر في الأحساء حيث ثروة البلاد النفطية، بل وتشير كل المصادر السعودية إلى سيطرة أمير الأحساء على بلاد نجد بما فيها الدرعية قبل قيام الدولة السعودية الأولى[1].

وحتى لو سلمنا جدلاً بإمكانية حدوث ذلك، فلنا أن نطالب المؤيدين لفكرة وجود الدولة اليزيدية بإحضار الدليل لكي نواجه الرافضين لها بالحقيقة فنقول للمدعين: "وقل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"، فإذا كانت هنالك دولة يزيدية كما وصفوها فيفترض أن هذه الدولة لها أثر تاريخي موجود على الأرض كعملة قديمة أو قصور وآثار معروفة أو كتب محلية قديمة تشير إليها، ولا بد من وجود ذكر لها ولأمرائها في المصادر التاريخية المعروفة على امتدادها خارج المنطقة، والأهم أنه لا بد من وجود إشارة لها في مرحلة بداية الذكر التاريخي لعسير وكامل أقاليم الجزيرة العربية مع انطلاق دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهذا ما لم نجد له أثراً على الإطلاق.

فهل أخفته الحكومة السعودية مثلاً؟

دعونا نتتبع الكتابات عن عسير فيما قبل إمتاع السامر ثم تطور مراحل ظهور مجموعة كتب إمتاع السامر وتطور رد الفعل الحكومي مقابل ذلك، لتتضح لنا الصورة أكثر.

---

(١) ابن بشر، عثمان، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ ص٣٩، ٤٠.

عندما ندرس ما دون في التاريخ المحلي في المملكة العربية السعودية عن تاريخ عسير فيما قبل صدور هذه الكتب ثم عقب ظهور أول كتب هذه المجموعة وهو كتاب محمود شاكر "عسير" في عام ١٣٩٦هـ والذي أطلق بعده عنان التزوير في تاريخ عسير، نجد أنه قبل صدور هذا الكتاب كتبت عدة كتب تناولت تاريخ عسير بموضوعية معقولة جداً، ومنها كتاب تاريخ ملوك آل سعود والذي كتبه أمير القصيم آنذاك "سعود بن هذلول" عام ١٣٨٠هـ، وقد أفرد جزءاً منه لسرد تاريخ عسير وامتدح أمرائها ودورهم[١]، وكان أكثر معقولية في رواية التاريخ العسيري من بعض من كتبوا هذا التاريخ من فوق ترابها، كما صدر قبله كتاب "في ربوع عسير" لمحمد عمر رفيع عام ١٣٧٣هـ وكان كتاباً جيداً نقل معلوماته عن وثائق آل الحفظي، وقد أورد في السرد انتقاداً وتهكماً على جنود الدولة السعودية الذين دخلوا لعسير عام ١٣٣٨هـ وعام ١٣٤٠هـ كما صدر كتاب تاريخ عسير في الماضي والحاضر للشيخ هاشم النعمي عام ١٣٨١هـ، وكانت جميعها كتباً معقولة اتكأت على ما وجدته من كتابات ووثائق سابقة لها في رواية التاريخ العسيري وعلى المشافهات مع بعض شيوخ القبائل وموظفي الإمارة، ولم يحاول أي هذه الكتب النيل من أي حكام عسير، وإن كنا نرى أن الاعتدال التام أمر غير ممكن كحالة طبيعية في المجتمعات العربية.

عام ١٣٩٦هـ صدر أول كتب بمجموعة إمتاع السامر وهو كتاب "عسير" الذي ألفه محمود شاكر، والذي حمل فكرة ارتباط الحكم في عسير بحضور سلالة يزيد بن معاوية وربط أمراء عسير بهذا النسب وأورد تسلسلاً لأمراء من أجداد آل عايض حتى يزيد بن معاوية، وسرد أخبارهم التي كان ينقلها شفهياً من بعض الأشخاص (كما يقول)[٢]، وبعد صدوره كان هنالك اتجاه عام على المستوى الوطني سواءً الحكومي أو العلمي للمصادقة على ما أورد في كتابه بصفته مؤرخ مرموق ومعروف، وبصفة تاريخ عسير القديم كان مجهولاً لدى الكثير من المؤرخين الآخرين كغيره من المناطق الداخلية في الجزيرة العربية، مما جعلهم يصادقون على ما حمله الكتاب من مفاجآت حوله دون السؤال عن مصادره، بل لقد دعمت الجهات الحكومية كتاب محمود شاكر على ما فيه من غرائب، فوزع الكتاب المذكور على المكتبات العامة في أنحاء المملكة وقيل أنه كان موزعاً على مكتبات وزارة المعارف ليقرأه الطلبة في كل المدارس السعودية، مع أن الكتاب حمل كامل الفكرة الأساسية حول الدولة اليزيدية وانتماء أمراء عسير ليزيد بن معاوية وتتابع الأمراء

---

(١) ابن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ ج١ / ص١١٥ - ١٢٤.

(٢) ن د، ق١ ج٢، ص ٣١.

اليزيديين على إمارة عسير منذ عام ١٣٢هـ حتى القرن العشرين، وأورد بعض أحداثها الكبرى كهزيمتها للقرامطة، كأول كتاب حمل فكرة وجود هذه الدولة وكتب عن تاريخها موافقاً لكل ما دون بعد ذلك في مجموعة إمتاع السامر، بل وحتى بعد اتضاح حقيقة أن الكاتب كان يستند إلى روايات شفهية[١] وليس إلى وثيقة جعفر الحفظي كما ورد فيه، فإنه لم يصدر أي قرار بمنعه، أو منع الاقتباس منه، فلا زال يوزع ويباع في معارض الكتب والمكتبات على غير المفترض، وهذا يدل على أن الحكومة السعودية ليست معنية بما يكتب عن تاريخ عسير السياسي القديم ولا بالعداء لتاريخ عسير، ويكفي لنفهم الوضع على حقيقته أن نجد أنه كان من بين الذين دعموا الفكرة الأساسية في هذا الكتاب ومنذ وقت مبكر واستندوا إليه في كتابة التاريخ العسيري أحد أفراد الأسرة السعودية الحاكمة، حيث أشارت "نورة آل سعود" في كتابها "أبها بلاد عسير" إلى أن أمير عسير قبل محمد بن عامر أبو نقطة كان "محمد بن أحمد اليزيدي"، وأطلقت عليه نفس اللقب الوارد في الكتاب وهو "مدهمر" وربطت هذا اللقب بقوته[٢]، وقد نقلت كل هذه المعلومات من كتاب محمود شاكر الذي حمل الفكرة، ورغم أن المعلومة خاطئة من أساسها فقد أصبح كتابها مصدراً مشروعاً لهذه المعلومة لمؤرخي عسير ممن يحاولون دعم الفكرة في كتاباتهم.

وحتى بعد صدور عدد من كتب مجموعة إمتاع السامر فإن الجهات الحكومية الرسمية صادقت على معلوماتها الأساسية بشكل رسمي، فقد أصدرت وزارة الإعلام كتاب "عسير الإنسان والمكان والزمان"، وقد جاء في الكتاب ما يلي:

> *"عسير الاسم والرسم*
>
> *يكاد يجمع المؤرخون والجغرافيون على أن اسم بلاد عسير مشتق من العسر لصعوبة مسالكها وكثرة تعاريجها، لأن هذا الإقليم كما يقول المؤرخ العربي محمود شاكر يضم جبالاً شامخة الذرى مترامية الأطراف تتخللها أودية وشعاب وعرة المسالك ملتوية المآتي."*[٣]

---

(١) ن د، ق١ ج٢، ص٣١.

(٢) آل سعود، نوره، أبها بلاد عسير، منشورات الأميرة نورة، الطبعة الأولى ١٩٨٩م، ص٤٠، ٥٠.

(٣) كتاب "عسير الإنسان والمكان والزمان"، بدون مؤلف، بدون تاريخ، الناشر وزارة الإعلام – الشئون الإعلامية – الإعلام الداخلي، ص١١.

وجاء في موقع آخر من الكتاب ما يلي:

".. ولما قامت الدولة العباسية وبدأت تلاحق بني أمية وتقاتلهم توزعوا في الأمصار واختفوا في الأقاليم، وبخاصة الغربية منها والجنوبية، وقد استطاع أحدهم وهو علي بن محمد بن عبدالرحمن بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أن يصل إلى عسير وأن يؤسس أسرة تتسلم زعامة عسير وإمارتها"[1].

وهذا النص الذي تبنت نشره الجهة المعنية بالنشر (والمنع) في المملكة العربية السعودية يدلنا على أن الأفكار الأساسية في مجموعة إمتاع السامر قد لقيت دعماً حكومياً في البداية حيث كان يتم تكريس مفهوم مسمى "عسير" بنفس طريقة إمتاع السامر كما يتم المصادقة على فكرة الدولة اليزيدية الممتدة على عسير منذ عام ١٣٢هـ.

ومثل ذلك دعمت إمارة عسير الفكرة فقد صدر كتاباً بإشراف إمارة عسير عام ١٤٠٧هـ وهو "عسير تراث وحضارة" من إعداد وتصوير وهبي الحريري الرفاعي وبمتابعة أعضاء لجنة كتاب عسير: تراث وحضارة ورئيس اللجنة الأمير/ بندر بن خالد الفيصل والأعضاء هم د. عبدالله أبو داهش، محمد بن حميد، عبدالله أبو ملحة، مهدي الراقدي، صالح قدح، وقد صادق الكتاب ضمنياً على وجود الدولة اليزيدية حسب رواية إمتاع السامر إذ ورد فيه التالي:

"ولما نشبت فتنة القرامطة في الجزيرة العربية وأخضعوا أجزاء منها، تصدى لهم أهل عسير وردوهم على أعقابهم بعد الاشتباك معهم في معركة حامية في بيشة. وهكذا فر القرامطة إلى اليمن ولجأ معظم جيشهم إلى صعدة عام ٤٥٢هـ، (١٠٦٠م). وفي ٥٥١هـ. (١١٥٦م) وقفت عسير بقيادة أميرها سليمان بن موسى في وجه قبائل الغز عندما حاول الغز احتلالها بعد أن ردوا عن مكة المكرمة وجدة ووصلوا إلى بلاد بني شهر"[2].

والرواية هنا هي نفسها الواردة لدى محمود شاكر ثم إمتاع السامر وتاريخ عسير وغيرها من المجموعة، مما يجعلنا نستبعد تماماً الحديث عن وجود رفض للفكرة أو عداء للتاريخ العسيري أو لتاريخ الإمارة العسيرية على المستوى الحكومي.

---

(١) نفس المصدر، ص٢٣.

(٢) عسير تراث وحضارة، إعداد وتصوير وهبي الحريري الرفاعي، بإشراف لجنة يرأسها الأمير بندر بن خالد الفيصل، طباعة وفرز الألوان مكتبة العبيكان، ١٤٠٧هـ، ص٢١.

ولو أن الأمر ظل مقتصراً على كتاب محمود شاكر، وبعض إشارات عبدالله بن حميد في مجلة العرب وكتاب "السراج المنير" لعبدالله بن مسفر الذي صدر بعد ذلك بقليل، لما كان هنالك أي إشكالية لدى الآخرين حول المعلومة، ولظلت معلومات هذين الكتابين تنقل الأكذوبة الكبرى إلى الكتب الحقيقية المعروفة عبر الآفاق حتى حين، فتصبح معلومة تاريخية، رغم أنه لا حقيقة لها، إلا أن المزورين أغراهم تقبل الناس وتلقفهم لهذه المعلومة فتمادوا بأن خرجوا بمفاجأة أخرى وهي كتاب "إمتاع السامر" لشعيب الذي أحال كل تاريخ وأحداث الجزيرة العربية إلى أوامر وتحركات أجداد آل عايض من آل يزيد، وادعى أن كل أسر الحكم في الجزيرة العربية كانوا عمالاً لأجداد آل عايض، فتجاوزوا الحدود كلها وتداخل ما أوردوا من أخبار مع تاريخ المناطق الأخرى كاليمامة والإحساء وعمان وقطر وغيرها فضموا كل سكان هذه المناطق إلى قوائم الأمم والشعوب الخاضعة لأجداد آل عايض عبر التاريخ، فتلقاه الناس في البداية بدهشة كبيرة نظراً لما فيه من عناية وتناغم بعض الروايات مع ما ورد في الكتب التاريخية المعروفة إلى حد ما، ولقي الكتاب تعاطفاً وحماساً في الأوساط العسيرية، وخرجوا علينا أيضاً بكتاب "تاريخ عسير" لابن مسلط، و"أخبار عسير" لابن مسفر، و"عسير في مذكرات سليمان الكمالي" لأحمد النعمي، وتحقيق مخطوط "الدر الثمين" باسم عبدالله بن حميد، وبدأت تتوالى المؤلفات والوثائق التي يتواتر فيها الحديث عن سيطرة أجداد آل عايض على كامل الجزيرة العربية بما فيها قطر وعمان واليمامة والإحساء وتهامة كاملة والقرن الأفريقي والسودان بالإضافة إلى عسير، فكان نتيجة ذلك تدخل بعض رجال العلم من تلك المناطق ومنهم الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل، بإثارة الموضوع في الصحف بعد أن لاحظوا الكثير من الأخطاء، والتجرؤ على النقل دون إسناد، والتطاول على تاريخ مناطقهم وبلدانهم، وهو حق مشروع لهم يجب أن نعيه جيداً، فمن غير المنصف أن نصر على تدخل كتب مجهولة باسمنا في تاريخ الآخرين بطريقة عبثية دون أي إسناد معقول، ثم نعتبر ردهم الذي نحى المنهج العلمي دليلاً على الحقد والضغينة والمؤامرة على تاريخنا.

بعد رد أبو عبدالرحمن بن عقيل تنبهت دارة الملك عبدالعزيز لما يجري، فقامت كجهة معنية بتاريخ المملكة العربية السعودية بتكليف بعض الباحثين لدراسة كتاب إمتاع السامر ومن ثم صدر عام ١٤١٩هـ تحقيق الكتاب مع ما يحمله من نقد.

من خلال هذا التصرف فقد كان إجراء الجهات الرسمية وتعاملها مع الكتاب موضوعياً وراقياً جداً بغض النظر عن نجاح التحقيق من عدمه، فقد سمحت للجميع بقراءة الكتاب بشكل رسمي وأوردت رأي المختصين على ما ورد فيه، فتنبه المزورون إلى الأخطاء التي وقعت في إمتاع السامر فسارعوا إثر ذلك إلى نشر الجزء الثاني من إمتاع السامر، في محاولة للالتفاف على

النقد الموجه إلى كتاب إمتاع السامر الذي مهر بتاريخ نشر قديم نسبياً مقارنة مع بقية الكتب المزورة، فكان السرد في الجزء الثاني يحاول أن يبتعد بنهج الكتاب ورواياته عن بقية المصادر، فأسرف المزورون في المبالغات وفي إبعاد نمط الكتاب وطريقة سرده عن بقية إصداراتهم الأخرى في محاولة لتخصيص النقد بكتاب إمتاع السامر بجزأيه بصفته ذا طابعاً مختلفاً عن البقية مضحين بإمتاع السامر في سبيل الإبقاء على بقية المصادر بعيداً عن النظر للمحافظة على الأفكار التي حملتها، وقد انطلت الحيلة فيما يبدو على الجميع، فالدارة أصدرت الجزء الثاني بتحقيق جديد ونقد جديد، وصدر إثر ذلك قرار رسمي باعتبار إمتاع السامر كتاباً مزوراً، وأهمل وضع بقية المصادر التابعة له مثل "تاريخ عسير" لابن مسلط، و"السراج المنير" و"أخبار عسير" لابن مسفر و"مذكرات سليمان الكمالي" لأحمد النعمي وتحقيق مخطوط "الدر الثمين" الذي نشر باسم عبدالله بن حميد وغيرها.

وقد اشتد نشاط الداعمين لخط مجموعة إمتاع السامر بعد صدور النقد في الاقتباس من بقية الكتب التي لم تتعرض للنقد مثل "تاريخ عسير" و"أخبار عسير" و"السراج المنير" و"عسير في مذكرات سليمان الكمالي" لتثبيتها كمراجع تاريخية بديلة لإمتاع السامر، وفي الكتابة على مواقع الإنترنت للدفاع عن الكتاب وتوجيه التهم والشتائم للمحققين، وعلى الجانب الآخر في محاولة إقناع مؤرخي الدولة السعودية بأن ما يتم فيه ظلم، وأن هنالك من هم متحاملين على أسرة آل عايض أو مجاملين للحكومة فأساءوا لتاريخ عسير، وكان هنالك تجاوب من بعض المؤرخين خارج منطقة عسير، خاصة من المعارضين لتوجه مؤرخي الدولة السعودية في سردهم للحالة الاجتماعية في نجد قبل قيام الدولة السعودية الذين وجدوا في الحالة العسيرية فرصة لإثبات وجهة نظرهم في أن هنالك نفاق في كتابة التاريخ المحلي في السعودية من قبل مؤرخيها.

وقد أدى التذمر الشديد والمستمر من التحقيق والقرار الحكومي إلى أن قامت الجمعية التاريخية السعودية باستضافة ندوة علمية لمدة ثلاثة أيام في ١٨/ ٥/ ١٤٣٠هـ بفندق قصر أبها حول تاريخ وحضارة عسير كان التوجه العام فيها إلى إعطاء فرصة لمن يريد أن يتحدث عن رأيه حول الدولة اليزيدية المزعومة لأن يدلي بدلوه فيها، فألقيت المقالات والبحوث في كل الاتجاهات، وكان بينها بحث قدمه د. محمد منصور حاوي، أورد فيه خبر ما وجده في مخطوط "التحفة العنبرية.." والذي يتحدث عن حضور أحد أئمة الزيدية في اليمن وهو "عبدالله بن علي المؤيدي" إلى عسير عام ٩٩٤هـ وإقامته في مدينة ذهبان (خميس مشيط)، ومبايعة بعض قبائل المنطقة الكبرى له واستقراره فيها كإمام لهذه القبائل الكبرى في المنطقة، حتى غادر المنطقة وعاد إلى بلاده اليمن في بدايات القرن الحادي عشر للهجرة، وهو ما ينسف كامل الفكرة

اليزيدية الهشة من الأساس، خاصةً وأنه تداخل مع مرحلة نشطة جداً من تاريخ الدولة اليزيدية المزعومة في عسير حسب روايات كتب مجموعة إمتاع السامر، والتي اعتمد على ما فيها الكثير من مؤرخينا، ورغم الصدمة العنيفة، إلا أنه كانت هنالك بحوث تحدثت عن محمد بن أحمد اليزيدي وإمارته في عسير قبل الدولة السعودية الأولى دون أن تخرج عن الاستناد إلى مجموعة المصادر المشبوهة بمصدر واحد، مما يدل على الإصرار على مواصلة الطريق، لو لم يكن إلا للسيطرة على الذاكرة الشعبية الهشة في المنطقة والتي تبدي تعاطفاً مع ما تورده هذه المصادر من أخبار، مع أنه كان من المفترض أن يكون هنالك تمحيصاً جيداً لما يكتب عن تاريخ المنطقة، خاصة بعد القرار الحكومي، ووقف العبث به لما يشكل ذلك من خطورة.

إلا أن ما حدث يعطينا اليقين الكامل وبما لا يدع مجالاً للشك بعدم وجود موقف حكومي عدائي من التاريخ السياسي لعسير ولا لأي الأسر المحلية بأي حال من الأحوال، وأن الدولة السعودية منذ عهد الملك عبدالعزيز وحتى يومنا هذا، كان لديها من المهمات ما هو أهم من الرد على النقيق الذي يصدر من مستنقعات الظلام.

الفصل الثاني

إمتاع السامر وتحقيق الدارة

في عام ١٤١٩هـ أصدرت دارة الملك عبدالعزيز كتاب إمتاع السامر بتحقيق كل من الأستاذ محمد بن عبدالله بن حميد والأستاذ عبدالرحمن بن سليمان الرويشد وذيل بثلاثة ملاحق لأبي عبد الرحمن بن عقيل ضمَّنها تعليق كل من الشيخ حمد الجاسر ومحمد بن أحمد العقيلي على أخبار الكتاب، ورأي كل من د. محمد آل زلفه ود. عبدالله أبو داهش، وكان ذلك إجراء متميزاً من دارة الملك عبدالعزيز، فقد كان تحقيق الدارة جهداً موفقاً بالفعل لا يمكن لأي باحث أن يتجاوزه ولا أن يتجاهل ما طرح فيه من علامات استفهام حول معلومات الكتاب، إلا أن المعلقين قد وقعوا في شرك التلبس بالثوب الرسمي، وهنا فقد التحقيق والنقد تعاطف القارئ العسيري والذي كان من المفترض أن يكون المعني الأول بالتحقيق وإظهار حقيقة التزوير وأهدافه بصفته الهدف الأول لمن قاموا بالتزوير ومن ثم بالتحقيق حسب المفترض، كما أنه وقف موقف المهاجم لأهالي عسير فعلاً من خلال إشاراته الضمنية بأن الكاتب يحاول تلميع تاريخ عسير، وهو ما كان واضحاً أكثر في رأي الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل في نفس الكتاب[1] ورأي المحققين[2]، فكانوا كمن وضع عسير والكتاب الذي كان هدفاً للنقد في سلة واحدة، فظهر التحقيق وكأنه يريد إيقاف عملية التلميع هذه، وكأن إدارة الدارة معنية بمواجهة الكتاب فقط لأنه يحاول تلميع التاريخ العسيري، مع أن الأمر على خلاف ذلك تماماً، وما زاد من تأجيج مثل هذا الشعور جنوح المعلقين إلى الدفاع عن تاريخ بلاد اليمامة بشكل عصبي، وبما لا تحتاج إليه، وتكرار الرفض لأي إشارة لدخول أي بلاد اليمامة تحت حكم غيرهم[3]، وكأن بلاد اليمامة يسكنها جنس آخر من البشر غير بقية سكان الجزيرة العربية، أو أنها مسورة بسور يفصل بينها وبين البقية مما أفقد التحقيق الحيادية في نظر

---

(١) ن د، ٥٢٩.

(٢) ن د، ق١ ج٢، ص٤٨.

(٣) ن د، ص١٢٧، ١٢٨، ١٥٧، ١٧٠، ٢١١، ٢٤٦، ٢٧٥، ٣٧٣، ٣٧٩.

القارئ، وخلق نوعاً من ردة الفعل العصبية في الاتجاه الآخر، فاليمامة وعسير والحجاز والإحساء وغيرها من أقاليم الجزيرة العربية كلها بلاد متجاورة ومتداخلة جغرافياً وسكانياً وكلها تعرضت للكثير من الأحداث والتقلبات والمد والجزر مع المجاورين شأنها شأن غيرها من أقاليم الجزيرة العربية، وإقحام هذا الكلام دون مستند تاريخي واضح كان خطأ ارتكبه المحققون، فما هكذا تحقق الكتب، فاليمامة خضعت لبني عبدالمدان منذ منتصف القرن الهجري الثاني إلى بداية القرن الرابع[١]، وخضعت لبني الأخيضر[٢] وللقرامطة، ثم لشريف مكة[٣] ثم لحكام الأحساء[٤] حتى منتصف القرن الثاني عشر، وسقطت تحت الحكم العثماني ومثلها في ذلك عسير واليمن والحجاز وعمان وغيرها من أقاليم الجزيرة العربية التي كانت هدفاً لتمدد مجاوريها عليها خلال مراحل من التاريخ، حتى انطلقت شرارة ذلك القبس الذي شع من بلاد اليمامة ليضيء الطريق إلى عهد جديد في الجزيرة العربية، ومحاولة إقحام تاريخ اليمامة في الكتاب وادعاء تفردها عن سواها من أقاليم الجزيرة العربية بالاستقلالية عبر التاريخ واعتبار تمدد أي الإمارات التي قامت في المناطق المجاورة لها بمثابة انتقاص لهذه الاستقلالية خلال تحقيق كتاب يتهمه نفس المحققين بمحاولة تلميع تاريخ عسير يحمل استفزازاً للعسيريين، ويعطي فرصة للمدافعين عن الكتاب لشحن الأنفس ضد التحقيق والتعاطف مع الكتاب ومصدره، بالإضافة إلى أن محققي الدارة كانوا بحاجة إلى التحقق من بعض الأمور التي أنكروها بينما هي أمور ثابتة لا تقبل الجدل، مثل ثورة عسير عام ١٣٢٢هـ ضد العثمانيين[٥] والتي أشار لها الكثير من المؤرخين والوثائق المحلية والأجنبية، وتكرارهم الرفض وبعصبية لامتداد بعض أمراء عسير على منطقة وادي الدواسر[٦] الثابت توثيقها في الكتب التاريخية بما فيها النجدية[٧] وإنكار حروب الأمير علي بن مجثل مع

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد الرابع، ص٢٨٩.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٥٨.

(٣) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص٤٣.

(٤) ابن بشر، مصدر سابق، ج١/ ص٣٩، ٤٠.

(٥) ن د، ص٢٩٣، ٢٩٨، ٣٠٥، ٣١٤، ٣٩٥، ٤١١.

(٦) ن د، ص١٢٧، ١٢٨، ١٥٧، ١٧٠، ٢١١، ٢٤٦، ٢٧٥، ٣٧٣، ٣٧٩.

(٧) إقرأ:

١- ابن عيسى، تاريخ ابن عيسى، تحقيق د. احمد البسام، ص٨٧٣ (تحت النشر)، نقلاً عن مقالتي / تركي القداح العتيبي "قراءة هادئة بتحقيق امتاع السامر"، جريدة الرياض تاريخ ٣، ١٠/ ٧/ ١٤٢٧هـ

٢- عبدالرحمن، عبدالرحيم، من وثائق شبه الجزيرة العربية في عهد محمد علي، المجلد الأول، دار المتنبي للنشر والتوزيع، الدوحة، ١٤٠٢هـ ص٥٣٦

الأتراك[١]، كما أن إنكارهم لوجود المنازل ذات الأدوار المتعددة لأكثر من دورين في عسير ولوجود القنوات المائية لأكثر من مائتي متر، هو أمر غريب، خاصةً وأن أحد المحققين من أبناء عسير!.

وهنا فقد جند محققو الدارة العامةَ في عسير للتعاطف مع الكتاب رغم أن جلهم لم يقرأه قراءة دقيقة ويعرفه على حقيقته، وفقد المحققون مصداقيتهم في نظر القارئ عندما وجد أن المحققين أنكروا أحداثاً مثبتة ومدونة في الوثائق العثمانية والمصرية والأجنبية والمحلية والمجاورة، مما يشككه في كل ما قالوا.

وفي عام ١٤٢٧هـ أصدرت الدارة تحقيق الجزء الثاني من كتاب إمتاع السامر والذي ظهر للساحة متأخراً عن الأول بكثير، حيث بدأ ظهوره في عام ١٤٢٣هـ وقد كان نشر الدارة له بتحقيق كل من الأستاذ محمد بن عبدالله بن حميد والأستاذ عبدالرحمن الرويشد والأستاذ فائز البدراني، فوجهوا أسئلة جديدة حول حقيقة وجود الدولة اليزيدية، ولعل أهمها عندما طرحوا السؤال عن سبب كون مصادر تاريخ الحج ومصادر تاريخ مكة على امتداد الألف ومائتي عام من حكمهم المزعوم لم تشر إلى حج أي من أولئك الزعماء اليزيديين الذين منهم من حكم ٨٠ سنة[٢]، ولكنهم أخطأوا في تقدير بدأ الحديث عن النسب الأموي في عسير حيث أشاروا إلى أن أول إشارة كانت عام ١٣٩٣هـ على يد "سيد محمد إبراهيم" في كتاب "تاريخ المملكة العربية السعودية"[٣]، والحقيقة أنه كانت هنالك إشارات سابقة إلى دعوى النسب الأموي لآل عائض، ولكنها كانت عائمة، فلم تذكر أي تفاصيل سوى الإحالة إلى ما يقال من أنهم يدعون بأنهم يرجعون إلى يزيد بن معاوية[٤]،

---

(١) ن د، ص٢١٥، ٢١٦.

(٢) ن د، ق١ ج٢، ص٥٧.

(٣) المصدر السابق، ص٣٠.

(٤) ذكر محققي القسم الثاني من الجزء الاول من إمتاع السامر ص ٣٠ أن أول إشارة لدعوى آل عايض للنسب الاموي لآل يزيد كان عام ١٣٩٣هـ على يد الأستاذ سيد محمد ابراهيم في كتاب "تاريخ المملكة العربية السعودية"، وهذا خطأ، حيث وردت عدة إشارات قبل ذلك في مذكرات سليمان شفيق باشا، ولدى أمين الريحاني ولدى الزركلي، ولكن كل تلك الإشارات لم تكن إلا إشارات عامة إلى أن قبيلة آل يزيد الشعف التي يرجع لها آل عايض يدعي أهلها بانتسابهم إلى يزيد بن معاوية ولم يرد بها أي تفاصيل، بل كانت تحمل إقراراً من ذوي الشأن بأن عايض بن مرعي كان أول من وصل إلى الحكم من آل يزيد، كما أن كل من أشاروا لذلك شككوا في صحة الخبر ووصفوه بالإدعاء غير المستند إلى أي وثائق، ولكن المزورين بدأوا في سرد تفاصيل جديدة في منتصف التسعينات الهجرية مستندين إلى بعض الإشارات لدى تاميزيه، فبدأت بعدها موجة من اللهاث على تزوير الوثائق وتوزيعها وكتابة الكتب التي كان أولها كتاب محمود شاكر "عسير" في عام ١٣٩٦هـ ثم الكتابين المحرفين من مؤلف الشيخ عبدالله بن مسفر رحمه الله والموسومة بـ "أخبار عسير" و"السراج المنير" بعد أن أوكل لأحد المزورين طباعة الكتاب قبل وفاته.

وذلك استناداً إلى ما ذكره "سليمان شفيق باشا" في مذكراته التي نشرت عام ١٣٤٣هـ[1] ثم أمين الريحاني في كتاب "تاريخ نجد الحديث" عام ١٣٤٥هـ[2]، كأول إشارات مدونة إلى دعوى النسب الأموي لدى أسرة آل عايض بن مرعي فقط دون سواهم ممن حكموا عسير، مما يدل على وجود هذه الدعوى منذ وقت سابق للتسعينات الهجرية، ولكن من المؤكد أن الدعوى لم تكن موجودة في عهد عايض بن مرعي وابنه محمد على الإطلاق، كما أنها لم تكن معروفة في بلاد عسير فيما قبل إشارة الريحاني والزركلي ولا حتى فيما قبل صدور كتاب محمود شاكر "عسير"، إلا إذا كان على نطاق ضيق في حدود نفس الأسرة.

والأغرب من كل ذلك أن المحققين الذين لم يتركوا شيئاً لم يعلقوا عليه مما يتعلق بالأنساب والأحداث في نجد وعمان وقطر والأحساء في الكتاب، قد وقعوا في فخ دعم ما ورد فيه من معلومات حول الأنساب القبلية في عسير، ففي ص٣٤١ علقوا في الحاشية على ورود اسم قبيلة بني رزام بالتالي:

> *"بنو رزام: قبيلة أزدية تنسب على الأرجح إلى رزام بن عمروا بن ثمالة بن أسلم وتنتهي إلى مالك بن نصر بن الأزد. ونسبها مبسوط في كتب الأنساب وكتب تاريخ منطقة عسير، انظر: (بنو رزام: تاريخ وحضارة، تأليف: عبدالله بن علي بن عفتان، نادي أبها الأدبي، ١٣٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٩ ـ ١٥)."*

وتسلسل النسب كما أوردوه لا أساس له على الإطلاق قبل وروده في كتاب إمتاع السامر، فنقل عنه عبدالله بن عفتان ومحمد علي حريري وعبدالرحمن آل حامد وربما غيرهم، وكان الأجدى بالمحققين أن يتوخوا الدقة في النقل ومعرفة المصادر، وهم الذين كانوا يعلقون على كل صغيرة وكبيرة تتعلق بنفوذ آل يزيد المزعوم، أو بأنساب القبائل والأسر في نجد في الكتاب بأنها من اختلاقات المزور حتى ولو كان هنالك ما يشابهها في كتب الأنساب، بينما هنا يدعمون أخباره الجوهرية التي ما انزل الله بها من سلطان حول قبائل عسير، فلا يوجد أصل مدون ولا متداول لوجود علاقة لبني رزام بقبيلة ثمالة، بل ولا علاقة لكل بطون عسير بقبيلة ثمالة المعروفة والتي ذكرها كل المؤرخين منذ الأزل وحتى الآن حول مدينة الطائف، كما لم يكتب عن هذه المعلومة أي مؤرخ كتب عن عسير فيما قبل صدور كتب مجموعة إمتاع السامر ثم من نقلوا عنها، كما أنها معلومة

---

(١) سليمان شفيق باشا، مذكراته، تحقيق محمد العقيلي، ص٩٤.

(٢) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، دار الجيل، ص٢٩٨.

لا أساس لها في ذاكرة المجتمع العسيري على الإطلاق، والعجيب أن المحققين كانوا في الجزء الأول يصرون على تنسيب عسير إلى عك ورفض صلتها بالأزد، بينما هنا يعودون إلى دعم ما أورده إمتاع السامر حرفياً، مصادقين على ما أحدثته مجموعة كتب إمتاع السامر من أثر في ذاكرة المجتمع، ومخالفين للمنهج العلمي في التقصي.

كما صادقوا على التقسيمات القبلية في عسير حسب ما ورد لدى إمتاع السامر حيث جاء فيه ما يلي:

"وكانت رئاسة قبائل شهران في آل أبي السرح الذين كان آخرهم، سعد بن حمدان وعرف سوق المخلاف بذهبان باسمه في زمن مرعي بن محمد والد الأمير عائض أثناء حكمه لعسير وقد مر ذلك والرئاسة لهذا الفخذ في آل غنوم، التي منها مشيط رؤسائهم حالياً كما حل في بعض قراهم غرب وادي عتود وشماله آل الغمر من قبيلة بني طلق من بطون وجه الحارث بن كعب وهاتان القبيلتان آل الرشيد وآل الغمر قد غارمتا آل يزيد في السقا وقد ضمت قبيلة آل الغمر إلى قبيلة علكم بن أسلم بن عمرو بن عوف (ثمالة)، وانتسب إلى علكم بنو مازن بن نصر بن الأزد وبنو النجيم من الصبر بن الأزد وغيرهما من بطون أخوته من أزد شنوءة، وشنوءة تقع بين قبيلة بني مالك وقبيلة علكم"[1].

وقد علق المحققون عند نهاية هذا المقطع في الحاشية بقولهم:

"هذه الأخبار عن بعض قبائل عسير وما حولها تتضمن بعض المعلومات الصحيحة المنقولة عن كتب متداولة الآن، ولكنها تتضمن كثيراً من المعلومات الملفقة. وهي إضافات صاحب الإمتاع"[2].

في الحقيقة أنه لا يوجد كلمة واحدة صادقة في هذا النص كاملاً فلا كان آل أبي السرح شيوخاً لشهران بل كان شيوخ شهران آل الحفارص[3]، ولا كان والد عايض بن مرعي أميراً لعسير، ولم يكن هنالك إمارة لآل يزيد ولا وجود لهم في السقا فيما قبل استيطان بعض الأسر

---

(١) (ن د)، ق١ ج٢، ص٣٣٤-٣٣٥.

(٢) (ن د)، ق١ ج٢، نفس الصفحة.

(٣) المؤيدي، محمد عبدالله أبو علامة، التحفة العنبرية في المجددين من أبناء خير البرية، مخطوط بالجامع الكبير بصنعاء، ورقة٣٢٢.

من آل يزيد الشعف بها حديثاً ليقبل بوجود تحالف خاص لها مع آل رشيد وآل الغمر أو غيرهم، كما أن أول من أشار إلى أن آل الغمر من بني طلق هو إمتاع السامر، ولم تدخل قبيلة آل الغمر في علكم، ولا علاقة لعلكم العسيرية بمن سموه أسلم بن عمرو بن ثمالة، وقبيلة بني مازن هي جزء من علكم، ولم يعرف محلياً أو عبر أي الكتب فيما قبل إمتاع السامر أن اسمها مشتق من مازن بن نصر بن الأزد، وآل النجيم أيضاً من علكم، ولا أعلم من أين أتى بالصبر بن الأزد، ولا أصل في الذاكرة الشعبية أو في أي المدونات والوثائق لوجود جبال تسمى جبال شنوءة في عسير على الإطلاق، ورغم أنها شاعت هذه المقولة منذ ما بعد فترة التسعينات الهجرية بعد أن وردت في كتاب "السراج المنير" فإن هنالك ارتباك شديد في فهمها حتى هذه اللحظة، ولا أعلم لماذا اعتمد المحققون المصادقة عليها بناء على كتب متداولة الآن، ولم يتحققوا من المصادر الأساسية لهذه الكتب، بينما مصادرها الحقيقية هي مجموعة كتب إمتاع السامر التي يصادقون على أنها مزورة.

كما أنهم لم يكونوا دقيقين في فهم بداية هذه الموجة من الدعاوى التي وردت في مجموعة الإمتاع حول الدولة اليزيدية، وتطور رواياتها بين مرحلة وأخرى وعلاقة ذلك بظهور مصادر تاريخية جديدة استفاد المزورون منها في تحوير مسار التاريخ العسيري.

وأيضاً فمن الملاحظ على هذه التحقيقات والإصدارات أنها لم تكن شاملة لتتطرق لما يدور في بقية كتب المجموعة والوثائق المصاحبة وربطها بصدور الكتاب بشكل واضح، فقد اكتفت بالإشارة لهذه الكتب وأنها تحمل نفس الفكرة وانتقدتها، دون أن تنفض ما في متنها من ترهات، مما أظهر الجهود وكأنها قد انصبت على مضمون هذا الكتاب لأنه تداخل مع تاريخ بلاد اليمامة فقط، وتركت ما يدور من إصدارات وإشارات مستمرة تدعم الفكرة الأساسية له، وما يرمى في الساحة من وثائق مزورة، وتجاهلت النشاط المحموم لهذه المجموعة في توثيق التزوير، وما يجري من توثيق لمعلوماتها المغلوطة طوال الوقت حول تاريخ عسير.

الفصل الثالث

القرار الرسمي حول كتاب إمتاع السامر

١- هل صدور قرار رسمي باعتبار الكتاب مزوراً يعد سابقة كما يدعي البعض

صدر إثر تحقيق الدارة قرار حكومي باعتبار إمتاع السامر كتاباً مزوراً، ومنع تداوله، أو اعتماده كمرجع، وقد أثار القرار بعض من أبناء عسير الذين رأوا في حماس بعض الجهات الحكومية في مهاجمة الكتاب، هجوماً مبطناً على تاريخ عسير وخاصةً الشق السياسي منه، وقد احتج بعض صغار المثقفين في عسير (سراً) على هذا القرار واعتبروه تصرفاً غير مسبوق، إلا أن الدكتور محمد آل زلفة كان شجاعاً إلى حد ما عندما انتقد القرار علانية في إحدى المقابلات الإنترنتية واعتبر كتاب إمتاع السامر وإن حوى ضعفاً في معلومته فيما يخص تاريخ العصر الحديث إلا أنه كتاب تاريخي كغيره من الكتب التاريخية (كما يقول)، وطالب بمقارنة أخباره التاريخية القديمة مع الكتب التاريخية الأخرى ومن ثم تقييم بقية أخباره، ولكننا لو سلمنا له بذلك فإن هذا سيكون بمثابة الإقرار ببقاء الكتاب كمصدر تاريخي مشروع.

وللحقيقة فقط نقول بأن الكتاب قد حوى بالفعل مفاجآت تاريخية كبرى وغرائب لم تذكر من قبل جديرة بقلب كل المفاهيم حول المنطقة، وكان القليل منها سيكون قابلاً للأخذ والرد كآراء وأطروحات تمثل وجهة نظر الكاتب، إلا أنه لم يوردها كآراء ويعللها بل أوردها كحقائق وكأخبار مدعومة بقصائد فصحى نسبها إلى القرون الغابرة، فاستند إليها جميع مؤرخي المنطقة مما أحدث تشويشاً كبيراً في فهم تاريخها، لذا فإن تمرير ما يحتويه الكتاب والمجموعة المرافقة له من الكتب والوثائق من أخبار تتعارض مع جميع المصادر المعروفة دون تمحيص سيجعل منها مرجعاً معتبراً، ويبقى الخلط في تاريخ المنطقة قائماً عبر التاريخ، وهو ما سيكون له أثره على الفهم الصحيح لهوية المنطقة ومن ثم على مستقبلها، ومن ثم وحدة كامل الوطن، وسيثير الكثير من المشاكل في المستقبل، كما أن ظهوره المتأخر رغم طباعته القديمة يفرض التساؤل عن مصدره ومدى مصداقية نسبته إلى كاتبه.

وأيضاً فإن هذه المجموعة من الكتب المزورة عن منطقة عسير لا زالت مستمرة في الصدور وبشكل متتال مما يعني أن المستقبل سيرينا الكثير من الإصدارات والمفاجآت التي ستحمل تصفية الحسابات مع الخصوم، والتلاعب بهوية الوطن، والإمعان في الإخلال بالتوازن القبلي الموروث فيها، كما هو حال سابقاتها، وكل ذلك من خلف الظلام، فمن الواضح أن لدى المزورين مجموعة من الكتب والوثائق حالياً والتي لا زالت تدور بينهم في الظلام لإطلاق كل منها في الوقت المناسب، فلم تنقطع هذه الكتب عن الظهور حتى الآن وبتواريخ قديمة.

ومن ثم فإن عملية المراجعة والتمحيص والتدقيق والنقد هو أمر مشروع، بل وعملية الملاحقة القضائية تعتبر ضرورية لإيقاف العبث بالتاريخ، فعملية التدخل الحكومي وبقوة في الكتب والوثائق والاكتشافات التاريخية وإصدار القرارات بشأنها هو أمر طبيعي في مثل هذه الحالة، بل هو ضروري، لمنع التلاعب بتاريخ الوطن وهويته، وله سوابق سنذكر منها هنا أربع حالات وهي:

١- ظهرت مجموعة من الخطابات والأخبار والأشعار طبعت في إيطاليا بين سنتي ١٨٦٣م و١٨٦٥م، باعتبار أنها وثائق قديمة كتبت عن جزيرة سردينيا في الفترة بين القرنين الخامس والثامن عشر، ولقد أثار ظهور هذه المجموعة دهشة كبيرة في الأوساط العلمية، لأنه كان مجهولاً وجود كتابات من هذا النوع في سردينيا في ذلك العهد.

وبعد نشر الكتاب، وضعت أصوله الخطية في مكتبة كالياري في سردينيا. وحدثت مناقشات طويلة بشأن الكتابات. فعرضت الأصول الخطية على أكاديمية العلوم في برلين لدراستها. وفحص بعض العلماء الخطوط التي كتبت بها هذه الأصول، وبحث آخرون الناحية اللغوية والأدبية، وناقش غيرهم المعلومات التاريخية، ووجدوا أن ما جاء بها لا يطابق ولا يشابه ما عرف عن خطوط سردينيا وأدبها وتاريخها في تلك القرون، فقرر العلماء أن هذه الآثار الكتابية مزيفة[١].

٢- أشرفت حكومات فرنسا وبريطانيا وإيطاليا عام ١٨٦٩م على دراسة مجموعة من الوثائق التاريخية الغريبة الأخبار في باريس التي أعلن عنها العالم "ميشيل شال"، والتي تتعلق بمصدرية بعض الاكتشافات العلمية الهامة حيث تشير هذه الوثائق إلى أن "دالتون" كان على اتصال بالعالم الفرنسي "باسكال" الذي كان يزوده بالمعلومات العلمية من خلال المراسلة بينهما والتي تدل على أن ما عرف في علم الفيزياء بنظرية دالتون لم تكن إلا سرقة علمية قام بها

---

(١) عثمان، حسن، منهج البحث التاريخي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة ١٤١٨هـ، ص٨٤، ٨٥.

دالتون من صاحب النظرية الأساسي "باسكال" حسب ما تدل عليه الوثائق، وبعد دراسة الوثائق صدر قرار من حكومة فرنسا باعتبارها مزورة وحوكم وسجن مزورها(١).

٣- نشرت مجلة شتيرن عام ١٩٨٣م مذكرات هتلر وادعت أن هذه المذكرات نجت من حادث تحطم طائرة عام ١٩٤٥م، وقد أثارت المذكرات ضجة بين مصدق ومكذب لتعارضها مع المنطق التاريخي للأحداث ولأن هتلر عرف كمفوهاً خطيباً ولكنه لم يعرف ككاتب، وهنا تدخلت الحكومة الألمانية وبدأت تحقيقاً في الأمر لظهور الشك حول حقيقة المذكرات، وبعد أن تتبع القاضي "موسماو" المواقع والشهود ممن حضروا آخر أيام هتلر بدقة، ومن ثم صدر إعلان حكومي بأن هذه المذكرات مزورة واستقال عقب ذلك اثنان من رؤساء تحريرها(٢).

٤- أجرت الحكومة الإسرائيلية المحتلة تحقيقاً حول الكشوفات الأثرية المتعلقة بما عرف بـ"حجر سليمان" في العقد الماضي والتي أثارت الدنيا بصفتها أول كشف معاصر يثبت وجود المسيح عليه السلام فوق أرض فلسطين ويثبت وجود هيكل سليمان فوق أرض القدس والتي تمكنت من الصمود أمام القراءات اللغوية ومختبرات الكشف العلمي لعدة سنوات حسب ما يدعي الإسرائيليون، إلى أن أبدى الكنديون أثناء عرض الآثار في كندا ملاحظات حول طريقة كشف هذه الآثار من حيث مصادفة كون المكتشف للأثرين رجل واحد إسرائيلي حصل عليها في البداية عن طريق رجل فلسطيني توفي قبل إعلان الكشف، وهي صدف غير مقبولة في عرف الأمم التي تفكر، لذا اضطرت الحكومة الإسرائيلية لإعادة التحقيق والتحليل المخبري والقراءة اللغوية وهي في موقف حرج، فكشف الفحص المخبري والقراءة اللغوية عن التزوير، ومن ثم أعلنت الحكومة الإسرائيلية أنها مزورة وحوكم مزورها الإسرائيلي جولان واعتقل(٣).

وكما نلاحظ فإن دول العالم تعطي اهتماماً خاصاً بالتاريخ فهي لا تهتم بمتابعة ما يكتب في الأدب أو في السياسة أو في أي العلوم كما تفعل مع من يزور في التاريخ، وعلى ذلك فإن ما قامت به دارة الملك عبدالعزيز من نقد ومن ثم صدور قرار حكومي بشأن الكتاب هو أمر مشروع ولا لبس فيه، وله سوابق كثيرة، فهذه إيطاليا وفرنسا وألمانيا تعين لجان رسمية لدراسة الوثائق والكتب المشبوهة تشرف عليها رئاسة الدولة مباشرة وتصدر فيها قرارات حكومية رسمية تصفها بالمزورة، بل جرت العادة على أن يتم محاكمة المتورطين بالتزوير والزج بهم في

---

(١) عبده، سمير، صناعة تزييف التاريخ، ص٣٦-٤١.

(٢) عبده، المصدر السابق، ص٣١.

(٣) قناة الجزيرة الوثائقية، حجر سليمان، برنامج وثائقي.

السجون، وهو ما لم تقم به الجهات الحكومية المعنية في السعودية حتى الآن، في ظل تزوير كبير وخطير وغير مسبوق، ويتعلق بهوية جزء مهم من الوطن.

٢ـ هل يكفي صدور القرار حول كتاب إمتاع السامر

كان صدور القرار حول الكتاب مبشراً ببدء تعامل قوي وواضح مع هذا الكتاب، يلغي جميع الأفكار التي انبثقت عنه، حسب نص القرار، ويشمل جميع الكتب التي نقلت عنه فيما قبل ذلك، مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، إلا أن ما رأيناه هو أن هناك كتب صدرت بعد القرار واقتبست من كتاب إمتاع السامر مباشرة[1]، أو من الكتب المستندة إليه، وفي نفس الوقت فإن الاقتباس من بقية المصادر المزورة المرافقة لإمتاع السامر لا زال مفتوحاً، بينما هي تحمل نفس مواصفات إمتاع السامر، ولا زالت مجموعة كتب إمتاع السامر هي الأكثر أثراً على الذاكرة الشعبية في منطقة عسير.

لذا وليكون القرار ذا أثر وقيمة معنوية ومادية، وليشعر العسيريون بأن إدارة دارة الملك عبدالعزيز معنية بالمحافظة على تاريخهم أيضاً، فمن المفترض أن تتم غربلة حقيقية واضحة لجميع الكتب والوثائق المصاحبة من قبل وزارة الثقافة والإعلام ودارة الملك عبدالعزيز، واستدعاء الأطراف المعارضة للمشاركة في النقاش الدائر حول الموضوع ولو على المستوى الإعلامي، ومن ثم تكون الحجة واضحة المعالم ليتم إصدار القرار بشكل شامل لا يقبل الجدل، وفي مثل هذه الحالة يفضل أيضاً إشراك جهة اختصاص محايدة على مستوى الوطن العربي ليشارك في الدراسة مختصون من خارج السعودية إلى جانب اللجان المحلية، فيكون القرار له وقع ونفوذ على مستوى الوطن العربي، وتلتزم به كل دور النشر العربية، وهو أمر لا يستغرق الكثير من الوقت والجهد، كما أن له سوابق في دول أخرى ما يجعله إجراءً قانونياً ومحترماً على المستوى الدولي، إذ لا معنى لمنعه داخلياً بينما التأليف والنشر ليس مرتبطاً بوزارة الإعلام السعودية أو بمؤرخيها، فقد ينشر شخص في أي دولة عربية كتاباً يقتبس من هذه الكتب المزورة مادته دون أن يلقي بالاً للقرار الذي لا يعنيه بأي حال، فقد بدأت بالفعل إشارات مساندة بطريقة غير مباشرة وصدرت كتب تعتمد على هذه المجموعة في تحديد هوية إقليم عسير كاملاً، فهذا المؤرخ اليمني الدكتور عبدالرحمن الوجيه اعتمد في كتابه "عسير في النزاع الحدودي السعودي اليمني" بقوة على كتاب "تاريخ عسير" لمحمد بن مسلط

---

(١) آل فايع، أحمد، دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى على عسير وما جاورها، مطابع الحميضي، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، ص٤٠، ٤٣.

كمرجع لإثبات ارتباط عسير في تاريخها السياسي باليمن[١]، وكان صدور الكتاب في معمعة النزاع حول المناطق الحدودية بين السعودية واليمن، وقبل توقيع اتفاقية الحدود الثانية مع اليمن، ولعل ذلك يعطينا فكرة عن خطورة الكتابة التاريخية على مستقبل الوطن، كما أنه ورد في حواشي كتاب "درر نحور الحور العين" للمؤرخ اليمني لطف الله جحاف تحقيق "يحي المقحفي" إشارة داعمة لما ورد في إمتاع السامر[٢]، وهو ما سيأتي الحديث عنه، ونحن هنا لا نتهم أحداً بسوء النية، ولكن يجب مراجعة ما كتب في هذه الكتب، لأنه يحرف مسار التاريخ حتى ولو كان ورد عن طريق الخطأ، حتى لا يستفحل أثره.

لذا فإن هنالك الكثير من الكتب المماثلة لإمتاع السامر والتي خرجت من نفس المصدر يجب أن تشملها الدراسة والقرار مثل كتاب "عسير" لمحمود شاكر الذي اعتمد على وثيقة جعفر الحفظي الغير موجودة، خاصةً وأنه اعترف بأنه لم يستند على نص الوثيقة ذاتها، بل على حديث شفهي مع بعض الأشخاص في عسير دون مصدر[٣]، وكتاب "تاريخ عسير رؤية تاريخية خلال خمسة قرون" لمحمد بن مسلط الذي يحمل نفس الفكرة ونفس الغرائب والدسائس والذي لم ير النور إلا بعد وفاة مؤلف الوثيقة ومحققها المزعومين، وما حشي في تحقيق "الدر الثمين" باسم عبدالله بن حميد والذي ينكر أبناؤه معرفتهم بأن والدهم قد حقق الكتاب قبل وفاته[٤]، و"تحقيق مذكرات سليمان الكمالي" لأحمد النعمي، وكتابي "السراج المنير.." و"أخبار عسير" المحرفة باسم عبدالله بن مسفر، واللذان يحملان روايات متناقضة حول كل الأمور الخاصة بتاريخ

---

(١) الوجيه، عبدالرحمن، عسير في النزاع الحدودي السعودي اليمني، ٢٠٠،١٩٩،١٩٦،١٩٥، ٢١٠.... إلخ.

(٢) جحاف، لطف الله، درر نحور الحور العين، تحقيق ابراهيم بن أحمد المقحفي، مكتبة الإرشاد صنعاء، ٥١١.

(*) وقد أشار المحقق في الحاشية السفلية في تعليقه على قصيدة للحسن بن خالد الحازمي والمتوفي عام ١٢٣٤هـ والتي استنجد فيها بمن أطلق عليهم "آل عائض" وطلب منهم الإمتثال لأوامر الإمام اليمني وأخذ الثار لأشراف أبي عريش من الغزاة أثناء خروجه من أبي عريش عام ١٢١٧هـ،إلى أن المقصود في القصيدة بكلمة "آل عائض" أمراء عسير، وهذا يتنافى مع الحقائق التاريخية حيث لم يصل آل عائض إلى الحكم في عسير إلا بعد عام ١٢٤٩هـ بوصول أولهم وهو عائض بن مرعي الذي حملت الأسرة إسمه من بعده، والمحقق بذلك قدم دعماً غير مباشر بقصد أو بدون قصد لما تدعيه مجموعة إمتاع السامر من أن إسم آل عائض مشتق من جد أقدم اسمه "عايض بن سالم" وليس من "عائض بن مرعي"، بينما بقية أبيات القصيدة تدل على أن آل عائض (إن صح النقل)المعنيين في الأبيات هم فرع من إحدى بطون قبيلة همدان والتي كانت المنجد الدائم لأشراف آل الخيرات في أبي عريش.

(٣) ن د، ق١ ج١، ص٣١.

(٤) الغامدي، صالح بن عون بن هاشم، علم من عسير، ١١٨.

عسير، وغيرها من الكتب التي خرجت بنفس الصورة، بالإضافة للوثائق المشابهة (إن أخرجت للنور)، وجميع الكتب التي ساندت أو استندت لهذه الكتب في أي معلومة مباشرة أو عبر الركون إلى مقتبس آخر كما فعل الكثير من مؤرخينا في عسير، بحيث يُلزم أدبياً ونظامياً بإزالة جميع ما اقتبسه منها، وكحالة خاصة فإنه يجب إخضاع جميع الوثائق المتعلقة بمنطقة عسير للفحص والتدقيق قبل قبولها مهما كانت ثانوية، ومنع الاستناد إلى أي وثيقة لا تقدم للجهات المناط بها التحقق من مصداقيتها، كما يجب مساءلة بعض الكتّاب المحليين أو من الدول المجاورة عن حقيقة ما أوردوا من أخبار تعتمد على هذه الكتب أو تدعمها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ومن ثم إخضاع الوثائق المدّعاة لنفس التمحيص والتحقيق، فالتزوير في رواية الأخبار التاريخية له من المخاطر ما يستحق الوقوف أمام تمريره بحزم، بعيداً عن مراعاة شعور العامة من الدهماء والغوغاء في مثل هذه الأمور.

الباب الخامس

علاقة مجموعة تزوير إمتاع السامر بعسير

الفصل الأول

هل مجموعة إمتاع السامر عسيرية الهوى كما يقال

ربط الكثير من المتابعين بين عسير وبين مجموعة كتب إمتاع السامر بصفتها كانت تتحدث باسم عسير ومهرت باسم مؤلفين يتحدثون في كتبهم عن تاريخ عسير بشكل رئيسي، رغم تطرق بعضها لتاريخ كل أنحاء الجزيرة العربية خلال ذلك، فقد ذكر الشيخ حمد الجاسر بأن مؤلف كتاب "إمتاع السامر" من بلاد عسير[1]، كما ذكر "أبو عبدالرحمن بن عقيل أن كاتب "إمتاع السامر" يهدف إلى أن يكون لإقليم عسير تاريخ منتظم بالثانية والدقيقة واليوم والشهر والسنة[2]، وهنالك الكثير في أنحاء الوطن ممن يوجه أصابع الاتهام إلى أياد قبلية تنتمي إلى عسير بأنها وراء هذا التزوير، بصفته يتحدث عن أشخاص محسوبين على عسير.

وقد انطلت هذه الأفكار على جزء كبير من أبناء عسير الذين لم يعرفوا التاريخ إلا من خلال تأثر الذاكرة الشعبية في عسير بهذه المجموعة وما واكبها من أساطير وما اعتمد عليها من مؤلفات لاحقاً، بينما الحقيقة مختلفة تماماً عن ذلك.

فمن خلال قراءة متعمقة لهذه الكتب فإن أهدافها بعيدة جداً عما تصوره المندفعون، وخاصةً أولئك الصغار الباحثين عن عمق تاريخي أسري أو عشائري في عسير والذين انطلت عليهم فكرة تكريس مركزية قبائلهم أو عشائرهم أو أسرهم، أو إعطائها عمقاً تاريخياً (غير قابل للثبات)، فهي حملت إلى جانب الهدف الأساسي وهو فصل إقليم عسير ثقافياً وتاريخياً ونفسياً عن بقية أنحاء الوطن وإحياء روح النقمة ضد الجميع وإيجاد روح معادية لبقية الوطن بين أبناء عسير روح الرغبة في تصفية حسابات تاريخية مع قبيلة عسير بالذات تتعلق بالأحداث الأخيرة في عسير بعد وصول الدولة السعودية الثالثة ودخول عسير إلى جانبها ضد الحكم المحلي (والتي سنفرد لها فصلاً فيما

---

(١) (ن د)، ص٥٢٨.

(٢) (ن د)، ص٥٢٩.

سيأتي)، جعلها تتبع سياسة الأرض المحروقة مع التاريخ العسيري، ومحاولة استثارة المجاورين للدخول على الخط، لإدخال البلاد كاملة في أتون إشكاليات سياسية وتاريخية حول هوية كامل المنطقة، ومن ثم نسجت روايتها في هذه الكتب لتحمل كم من التزوير والدسائس التي قد يشعر بالحرج من يحترم وقار الكتابة من إيراد كل تفاصيلها، وكأنها قد قررت قطع طريق العودة، فإما أن تتحقق أحلامها الفارغة أو أن تدمر كل شيء على مبدأ "أنا وبعدي الطوفان".

فقد أعطت هذه المجموعة حقوقاً سياسية تاريخية للآخرين في إقليم عسير، من خلال ربط التاريخ السياسي وحتى التركيبة العرقية لهذه المنطقة بجارتها اليمن التي نعلم على وجه العموم أنها وعسير وبقية أقاليم الجزيرة العربية ليست سوى امتداد جغرافي وسكاني لشعب واحد له نفس الانتماء العرقي ونفس الانتماء الجغرافي لجزيرة العرب ونفس الدين الإسلامي، بالإضافة لرابط الجوار، إلا أنه بعد الثورة اليمنية تحمس بعض المتأثرين بالمد الشيوعي في الوطن العربي للحديث عن عسير كجزء مقتطع من اليمن، فشكل الخط الداعم للموقف اليمني في النزاع الحدودي مع السعودية في المراحل السابقة، وكانت قد تراجعت حدة هذه الموجة منذ أكثر من ثلاثين عاماً، إلى أن وفرت كتب مجموعة إمتاع السامر المزورة وسيلة جديدة لدعاوى هؤلاء حول عسير بل ومستنداً رسمياً في الكتب الحديثة، واستخدمت كمراجع عسيرية على مبدأ "وشهد شاهد من أهله" لتؤكد حقيقة ارتباط عسير باليمن عبر التاريخ وبشهادة عسيرية[١].

وعلى المستوى القبلي المحلي، فإننا نلاحظ أن هنالك مشكلة ما لدى من كتبوا هذه الكتب مع تاريخ عسير، فقد عممت مجموعة كتب الإمتاع الأدوار التاريخية لعسير على عدد كبير من قبائل الجزيرة العربية خاصةً قبائل البادية النجدية والحجازية كعتيبة ومطير وبادية قحطان والتي لا علاقة لها مطلقاً بتاريخ عسير وأحداثه، بالإضافة إلى القبائل اليمنية مثل قبيلة عك وحاشد وبكيل وهمدان التي تمثل معظم القبائل اليمنية والتي لم يرد تداخلها مع أحداث عسير إلا كأحد الداعمين للحملات الموجهة ضدها من محمد علي باشا وشريف مكة كما يتضح في شهادة موريس تاميزيه لأحد الحروب[٢]، فأشركت هذه القبائل في أهم الأحداث العسيرية، بل وأعطتها دوراً محورياً فيها، وأوردت أسماء قادة لحروبها لم يعرفوا من قبل على الإطلاق، فعومت وعممت التاريخ العسيري بطريقة أفقدت هذا التاريخ كل أبعاده المحلية، وكم هو مثير للسخرية حينما نجد مؤرخي

---

(١) انظر تفاصيل أثر كتب مجموعة إمتاع السامر على وجهة النظر السياسية في اليمن حول عسير في باب "علاقة عسير باليمن" في هذا الكتاب.

(٢) تاميزيه، موريس، رحلة في بلاد العرب، تحقيق د. محمد آل زلفه، ٢٦٥، ٢٦٦.

بعض تلك القبائل التي أقحمها المزورون يتبرؤون مما ورد في هذه الكتب المحسوبة على عسير ويكذبون أخبارها، وينفون أي صلة لهم بعسير وأحداثها[١]، وكأن العسيريين يستجدون التقرب إلى الآخرين من خلال التنازل لهم عن أنصع صفحات تاريخهم.

وأيضاً فإن مجموعة إمتاع السامر حوت لمزاً مباشراً وغير مباشر لقبيلة عسير بالذات وصل إلى حد الشتيمة، مما يدل على تحامل مقصود، ويكفي أنها وزعت الألقاب الضافية على بقية القبائل مثل لقب "حجاب المشرق" و"جرعة الدم" و"المعضد" وغيرها بينما أطلقت على عسير لقب "بلاد الخر"[٢] وأجمعت على نفي وجود قبيلة اسمها عسير، بل وادعت أن مسمى عسير مرتبط بأبرهة وجيشه المشؤوم[٣] في محاولة لتنفير الناس من المسمى، وحاولوا في مواقع أخرى إثبات عموميته تاريخياً كاسم شامل لكل بلاد السروات من صعدة إلى الطائف أطلقه جد أسرة آل عايض عليها[٤]، ثم فصلوا جميع الأمراء التاريخيين والمشيخات المحلية الحالية والسابقة للقبائل العسيرية والرموز التاريخية الأدبية والعلمية العسيرية عن انتمائها لعسير وروت لهم انتماءات أخرى، وفي ذلك ظلم وتحريف للتاريخ يدل على ما يحمله مزوروها من شعور نحو هذه الأرض، ومن محاولة لإحياء المشاحنات والتنافس غير الشريف على أسس عشائرية ضيقة، كما أنها صادرت كل المبادرات والصمود والإبداع الذي سطرته يد الإنسان على هذه الأرض ونسبته زوراً لأسرة مزعومة ادعت أنها قدمت من خلف الآفاق البعيدة إلى هذه الأرض وهي موات فأحيتها وجلبت لها المقاتلين والشعراء ورجال العلم والولاة وشيوخ القبائل من كل فج، فجردت إنسان هذه الأرض من قيمته المعنوية تماماً، وأخلت هذه الأرض من تاريخها، ومن قيمة كل المبادرات التي حملها أهلها، بل أصبحت الإشارة إلى أنصع صفحات تاريخها دليلاً على ضعف همة إنسانها وخموله.

فالحقيقة يمكن أن نقرأها من خلال ما كتب في هذه المصادر من معلومات وما بين السطور من دسائس تدلنا على أن عسير غير معنية بما كتب في هذه المصادر على الإطلاق، فمن الواضح أن هذه الكتب شارك في كتابتها مجموعة من المزورين من عدة دول عربية شارك معهم عدد من أبناء الوطن كلهم من خارج عسير تحت إشراف وتمويل من أحد الذين يحملون الحنق على هذه الأرض وساكنيها.

---

(١) العتيبي، تركي القداح، جريدة الرياض، العدد١٣٩٢٠، بتاريخ ١٠/ ٧/ ١٤٢٧هـ.

(٢) ن د، ص٣٠.

(٣) أخبار عسير، المنسوب إلى عبدالله بن علي بن مسفر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، ص١٩.

(٤) تاريخ عسير المنسوب تحقيقه إلى محمد بن مسلط الوصال البشري، ص١٤٣.

وسأعرض هنا بعض الاقتباسات والإشارات مما ورد في مجموعة إمتاع السامر مما يدل على روح النقمة التي يحملها كتبتها على كامل المنطقة ومحاولة تقزيم دور أهلها في تاريخهم، والنعرة التي نلاحظها في التحامل على بعض القبائل، رغم أنني قد تحاشيت عرض الكثير مما ورد من إشارات لكثرتها، ولما تحمل بعضها من إساءة لجهات أو لقبائل أو عشائر أو أسر معينة كما تحاشيت الخوض في صحة ما ورد عن أنساب الأسر نظراً لحساسية الخوض في أنساب الآخرين حتى ولو كنا على قناعة بخطأ ما حَمّلت رؤوسهم هذه الكتب والوثائق المزورة ومن يروجون لها منذ حوالي أربعين عاماً، وما واكبها من أخبار، عدا بعض الرموز المتداخلة مع التاريخ العسيري وممن رفضوا ذلك علناً، كما أن ما أوردته هنا لا يشكل سوى عينة بسيطة من الكثير مما كتب في هذه المصادر، بهدف إيضاح الصورة ولفت الانتباه فقط.

مقتطفات من مجموعة الإمتاع حول عسير

١- أورد المؤلف قصيدة على لسان من سموه "علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان" والذي ادعوا أنه حضر إلى عسير بعد معركة الزاب عام ١٣٢هـ، وفي البيت ٢٢ من قصيدته وردت كلمة "طود الخر" وفي الحاشية قال المؤلف المزعوم (شعيب):

"طود الخرّ هو جبال عسير ويسمى عند أهله بلاد الخر"[1]!؟.

- وقوله "ويسمى عند أهله" (كما روى على لسان شعيب)، تعني أنه اسم متعارف عليه ويقر به أهله ولا زال يستخدم منذ ما قبل عام ١٣٢هـ (حيث تاريخ القصيدة) إلى ما بعد زمن شعيب الذي شهد بشيوع هذا المسمى على عسير، أي إلى وقتنا الحاضر، ولا شك أنه لا يوجد كلمة سقطت على حين غفلة في هذه الكتب، فكل كلمة وضعت بعناية، وتحمل معنى، وتهدف للوصول إلى غاية، بل كلما وضعت هذه الكلمة بطريقة هامشية دل ذلك على العناية بها أكثر، ولا شك أن الكلمة واضحة المعنى ولا تحمل أكثر من دلالة واحدة في مفهوم أهل المنطقة، ولا جدال أن من وضعوها يعرفون ذلك جيداً، ولا مجال للتأويل في مثل هذه الحالة خاصةً وأنه لا وجود لها في الحقيقة بل تم اختيارها من قبل المؤلفين.

---

(١) ن د، ص٣٠.

٢- يقول أن فيصل الدويش (شيخ مطير) وابن حميد (شيخ عتيبة) قد شاركوا إلى جانب علي بن مجثل وعايض بن مرعي في حروبهما ضد الجيوش العثمانية في عسير[١]!.

• لو صادقنا على هذه الإشارة وغيرها من الإشارات الكثيرة المماثلة، فإنها ستقودنا إلى رواية جديدة، وهي أن العسيريين لم يكونوا إلا نقطة في بحر مع هذه الحشود من القبائل الكبرى التي استقدمها آل يزيد من شمال وشرق الجزيرة العربية وجنوبها لتحمي حكمهم.

ولكن جميع كتب التاريخ بالإضافة إلى الذاكرة الشعبية في عسير وفي قبيلة عتيبة وفي قبيلة مطير لا تحمل أي إشارة لوجود علاقة لقبيلتي عتيبة ومطير بعسير في تلك المرحلة كاملة، بل لقد رأينا بعض مؤرخي هاتين القبيلتين أول المنكرين لهذه الأكاذيب مستغنين بتاريخهم الغني عن ترهات المصادر المجهولة وأحابيلها، فقد اعتبر أحد مؤرخي قبيلة عتيبة وهو/ تركي القداح العتيبي أن "إمتاع السامر" (المصدر الوحيد لهذه المعلومة) هو كتاب مزور[٢].

٣- يقول بأن من سماه "مرعي بن محمد اليزيدي" (والد عايض بن مرعي) رغب في جعل تندحة مركزاً للحكم بدلاً من السقا عام ١١٦٥هـ نظراً لموقعها المتوسط بين القبائل[٣]!.

• وقبل أن نبدأ في التعليق، فهنا بعض الملاحظات المتعلقة بالخبر:

أ- تتوسط تندحه قبائل آل رشيد وآل مستنير وعبيدة وكود، وكلها (حسب رواية مجموعة إمتاع السامر) تنتمي إلى قبيلة قحطان ما عدا كود التي تنتمي إلى شهران.

ب- يقول محققوا الكتاب في ملاحظاتهم حول إمتاع السامر أنه يحيل كل القبائل والأسر المشهورة في الجزيرة العربية إلى قبيلة مذحج[٤].

يبدو من خلال هذا الميل في رواية التاريخ ومحاولة الإيحاء المبطنة إلى تقارب ما مع بعض القبائل الكبرى أن هنالك محاولة لمغازلة بعض قبائل المنطقة الكبرى، وخاصة تلك التي لها امتداد حوالي مدينة الرياض، بالإضافة إلى تصفية الحسابات التاريخية مع قبائل أخرى، ونسف كل المبادرات التي قام بها أهل الدار لتحقيق ذلك.

وتندحة أو أبها أو السقى أو طبب كلها مواقع متماثلة ومتقاربة، وتقع في حيز منطقة عسير

---

(١) ن د، ص١٩٧.

(٢) العتيبي، تركي القداح، جريدة الرياض، العدد ١٣٩٢٠، بتاريخ ١٠/ ٧/ ١٤٢٧هـ.

(٣) ن د، ص١٥٧.

(٤) ن د، ق١ج٢/، ص٥٠، ٥١.

ولها نفس البيئة والعادات، وقبائل شهران وقحطان وعسير كلها قبائل كبرى متداخلة يجمع ما بين أهلها المصاهرة والجوار والاشتراك في نفس المصير عبر التاريخ ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، وقد تشارك أبناء هذه القبائل والبقية في رسم واقع وطنهم السياسي فترات طويلة، ولكن العبث بالتاريخ واستغلاله لتمرير الكذب عبر التملق والاستجداء الرخيص هو أمر لا بد من تعريته، فكما تطاول المزورون على تاريخ قبيلة شهران وحرفوا رواية حروبها مع شريف مكة وانتصاراتها التي رصدها التاريخ عبر القرون، وتلاعبوا بتفاصيل أحداثها وحقيقتها وقادتها وبجنودها، كما تلاعبوا بأصول بطون هذه القبيلة ومشيخاتها، وبمثل ما تلاعبوا بأحداث قبيلة قحطان، وأحالوها جميعاً إلى أوامر أمراء الأسرة اليزيدية الأموية التي زعموا وجودها في بلاد عسير، فإنهم هنا يجرِّدون أهل الدار التي يدَّعون أن أجداد آل عايض يحكمونها منذ القرن الثاني للهجرة من أي دور في تاريخهم، ويجيرون كل مبادراتهم وأحداثهم إلى هذه الأسرة، ويشيرون إلى هامشيتهم، وأن وجود المركز فوق أرضهم لم يكن إلا تفضلاً من أجداد آل عايض، ويضعون إشارة توحي بأن والد عايض بن مرعي (بالذات) تنبه إلى أن ذلك كان خطأ فحاول إصلاحه.

فإذا علمنا يقيناً من خلال كل المصادر التاريخية المدونة وغير المدونة بأنه لم يكن هنالك أمير لعسير اسمه مرعي بن محمد على الإطلاق، وأن عايض بن مرعي وضع وصياً على أمير عسير الحقيقي في ظرف طارئ لعبت فيه الأحداث والصدف والظروف الصعبة التي كانت تمر بها عسير دوراً كبيراً كما تشير الوثائق والأخبار التاريخية المعاصرة[١]، وكما يتعارف عليه أهل عسير من الآباء والأجداد، وأن عايض بن مرعي كان أول من وصل من أسرته إلى السلطة في عسير[٢]، وأن القبائل المركزية في أحداث التاريخ العسيري والثابت مشاركتها في جميع أحداثها لم تكن حوالي تندحة بل كانت تلك القبائل التي حملت الإمارة اسمها (عسير) والتي تتكتل حوالي مدينة أبها كما تشير كل المصادر التاريخية، ألا يكون في ذلك تطاولاً على التاريخ وعلى كل أمراء عسير الحقيقيين والشهداء الذين صنعوا هذا التاريخ، ولؤماً لا يجارى أمام من حملوا لواء إقامة الإمارة وحمايتها، ودفعوا دون ذلك أرواحهم التي أزهقت ودماءهم التي أهرقت وبيوتهم التي أحرقت وأموالهم التي سرقت ومزارعهم التي احتطبت وآبارهم التي ردمت، ليسلموا السلطة لغير أهلها في غلطة

---

(١) تاميزيه، نفس المصدر، ٢٩.

(٢) ـ شفيق باشا، مذكرات سليمان شفيق باشا، تحقيق محمد العقيلي، نادي أبها الأدبي، ص٩٤ سهيل صابان، الأعلام، مكتبة الملك عبدالعزيز، ص٩٣ ؛

ـ الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص٢٩٩، ٣ـ النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ، ص١٨٥.

تاريخية سبقهم إلى مثلها الكثير من الشعوب، ليأتي بعد من أدخلوه إلى التاريخ من الباب فيحاول أخراجهم من النافذة.

٤- بيت ٨ يقول:

وحولي من آل الغياث ترافلت ليوث غضاب كل شيمتها نبل[1]

ثم في الحاشية يفسر ذلك بقوله:

"آل الغياث: قبيلة من بني زيد بن عمرو الأزدي، وهم أخوال الشاعر، وكانت من قبائل الأزد التي دخلت الشام مع الفتح الإسلامي، وأصلهم من بلدة السقا وريدة إذ تتبعان بني زيد"!؟.

ويقول (ص ١٣٨، ن د):

"علي: وهو الذي فر من بلاد الشام مع بعض أخواله من الأزد آل غياث من بطون بني زيد بن عمرو الألمعية، والتجأ إلى عسير من وجه العباسيين، واستقر ببلدة "السقا" وكانت لآل غياث الذي ينتمي إليهم آل حيان أمراء بني زيد الآن".

ثم يذكر في (ص٤١، ن د) أن بني زيد ألمع (المجاورة لهذه المواقع) ينتسبون إلى زيد بن عمرو !؟.

- نفهم من ذلك أن "السقا" قلعة المقاومة العسيرية ونقطة انطلاق الثورات العسيرية منذ عام ١٢٣٠هـ ومركز الحكم في عسير لمدة عامين هي في الأساس من بلاد بني زيد أهدوها إلى بني يزيد "الأمويين" منذ القرن الثاني للهجرة.

هذه التفاصيل الدقيقة خرجت في القرن العشرين عن أحداث عمرها ١٣٠٠ سنة لم يتمكن من معرفتها إلا شعيب الدوسري، ومن ثم خرجت "وستخرج" لنا لاحقاً كم من الكتب والوثائق التي تدعم الفكرة بإشارات أخرى.

وهنا جرأة عجيبة مرة أخرى، فتحليل المعنى يحملنا إلى احتمالات كثيرة كلها سيئة الأثر، رمى بها المؤلف بين هذا الخبر!؟.

---

(١) ن د، ص٢٩.

ولكن ترى ما المقصود بإيراد هذه الأكذوبة التي لم يعرف بها أحد من قبل؟.
ولماذا محاولة إثارة اللغط؟!.

لمعرفة سبب هذه الدسيسة علينا أن نتابع الأخبار التاريخية الأخيرة في عسير فيما قبل الانضواء في الدولة السعودية في عهد الملك عبدالعزيز، حيث سنجد أن المزور أجاز لنفسه استخدام التاريخ لمعاقبة ومكافأة القبائل حسب مواقفها، فبينما كانت رجال ألمع منضوية تحت حكم الإدريسي منذ رحيل الدولة العثمانية، وكانت عسير السراة هي فقط المنضوية تحت حكم حسن بن علي بن عايض الذي سلمته الدولة العثمانية مقاليد الحكم، إلا أنه منذ عام ١٣٣٨هـ بدأت قبائل عسير السراة الأربع أيضاً ترفض سلطة حسن بن عايض وأسرته، بعد أن وقفوا بدافع الحمية القبلية والوطنية فقط ضد الغزاة وحققوا النصر في باحة المغوث، وفي طبب، ومصاولي، والبطحاء، وتمكنوا من هزيمة حشود الإدريسي، ثم قاتلوا في حجلا عام ١٣٣٨هـ أمام قوة تفوقهم بكثير عدداً وعدة فسطروا ملحمة كبرى ودفعوا مقابل ذلك المئات من الأرواح، بينما كان هو وإخوانه وأبناء عمومته أول المتخذلين من مدينة أبها عندما سمعوا بهزيمة الجيش العسيري في حجلا ـ كما نقل محمد رفيع عن أحد معاصري الأحداث[١] ـ، لذا فبعد عودة الجيش السعودي إلى الرياض أرسل مشائخ عسير السراة الأربعة خطاباً إلى الملك عبدالعزيز يطلبون فيه عدم إعادة حسن بن عائض وابن عمه محمد بن عبدالرحمن إلى عسير[٢]، وسلم العسيريون تسليماً كاملاً للدولة السعودية.

ولكن لسوء تصرف جماعة الأخوان وأخويا الإمارة مع العسيريين فقد دارت بعد ذلك أحداث كثيرة بين العسيريين والدولة السعودية لم يكن حسن بن عايض ولا أي أسرته طرفاً فيها، ولكن بعض أنصاره حاولوا استثمارها لصالحه فورطوه بالتدخل فيها[٣]، وقد انتهت هذه الأحداث بحملة الملك فيصل على عسير عام ١٣٤٠هـ وقد رفض جزء كبير من عسير السراة المشاركة مع حسن بن عايض في صدها، ففشل حسن في مواجهة الحملة وانسحب جيشه من عتود (شرقي حجلا) بعد دخول الحملة للخميس مباشرة دون حرب، ثم توجه حسن وابن عمه قبل دخول الحملة مدينة أبها ليتحصن في الحرملة ذات المناعة الطبيعية فهاجمته سرية من الجيش السعودي رافقها "ابن مشيبة" شيخ قبيلة بني مغيد وبعض رفقاه كما يقول الشيخ هاشم[٤]، ففوجئت الحملة في

---

(١) رفيع، محمد، في ربوع عسير، ص٢٥٦.
(٢) سليمان، حسن حسن، الأمير عبدالعزيز بن مساعد حياته ومآثره، ص٨٧.
(٣) إقرأ وثيقة ابن إلياس في كتاب "القول المكتوب في تاريخ الجنوب" لعبدالله أبو داهش، ص٤٣٧، ٤٣٨.
(٤) النعمي، تاريخ عسير، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ، ص٢٥٧.

جبل رهمة بكمين نصبه يحي الحياني (شيخ قبيلة بني زيد) وقبيلته الذين تعاطفوا مع حسن بن عايض، فجرت معركة دامية انتهت بتقهقر المدافعين إلى سفوح الحرملة وشكل المدافعون عن حسن خطاً أفقياً للدفاع عنه، إلا أن القوة المهاجمة تكاثرت فتراجع المدافعون، وكان قد أسدل الليل، وقد تمكن حسن بن عائض من الفرار صباحاً عندما استؤنف القتال[١] ولجأ إلى شريف مكة الذي كان على عداء مع الملك عبدالعزيز، وبعدها عاد حسن عام ١٣٤١هـ برفقة جيش شريف مكة لاحتلال عسير وطرد حامية الدولة السعودية إلا أن قبائل عسير السراة الأربع ناصرت الجيش السعودي ضد جيش الشريف وحسن بن عايض، فدخلت قبائل شمال بلاد بني مالك وبعض الأفراد من بقية عسير الحرب في "الدرجة"[٢] إلى جانب الحامية السعودية، وبعد عودة الحامية إلى أبها انضم شيخ قبيلة بني مغيد ومعه نوابها إلى قصر شدا مع الحامية السعودية وانضم لهم أيضاً شيخ علكم، بينما كانت جيوش الشريف وحسن بن عايض المحاصرة لقصر شدا تتعرض للهجمات المتواصلة من بعض المتحمسين في عسير وبقي الأمر كذلك حتى تراجعت جيوش الشريف دون أن تتمكن من إعادة حسن بن عايض إلى الحكم[٣]، وكما نلاحظ من تسلسل الأحداث التاريخية فقد كانت قبيلة بني زيد هي آخر من ناصر حسن بن عايض من قبائل عسير، بينما كانت بطون عسير السراة بما فيها القبيلة التي هو محسوب عليها آخر من وقف في وجه عودته إلى السلطة، بل شارك شيخها وبعض رفقاه في الحملة ضده، وحيث أن الأحداث الأخيرة دائماً ما تبقى الأكثر أثراً في النفس فقد استحقت بني مغيد بذلك انتزاع السقا منها وتقديمها كهدية تاريخية لقبيلة بني زيد.

- وأن تكون السقا في الأساس من ديار بني زيد أو من ديار بني مغيد فلا فرق إطلاقاً، فكل منهما واحدة من القبائل العسيرية الأساسية في صناعة التاريخ العسيري، ولكن السؤال: هل يقبل أن يتم استخدام التاريخ كمزاد وعطايا وعقوبات لمن وقف مع أو من وقف ضد فلان من الناس، وأن يسخر للاستجداء القبلي والأحلام المجنونة لصالح أيا كان، وهل من حق أي شخص أو مجموعة التجرؤ على التلاعب بالتاريخ والجغرافيا وبكل ما فوق الأرض من القبائل والقرى وانتماءاتها وإثارة المشاكل واللغط من أجل تصفية الحسابات التاريخية مع هذه القبيلة أو العشيرة أو الأسرة أو مكافأة تلك، أو للركض خلف الأحلام الغبية.

---

(١) النعمي، تاريخ عسير، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ، ص٢٥٧، ٢٥٨.

(٢) النعمي، تاريخ عسير، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ ص٢٥٩؛ وانظر: ابن جريس، تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية، ص٢٩.

(٣) ابن جريس، غيثان، تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية، الناشر (بدون)، ط١، ١٤٢١هـ انظر نص مخطوط ابن إلياس ص٣٠ .

٥- يقول:

"كانت قبائل الأزد (عسير) في صراع مع من جاورها من القبائل حينذاك فاستطاع علي بن محمد أن يجمع صفها، وأن يوحد كلمتها، وأن يزيل ما بينها من خلافات، حيث حدد لكل قبيلة حدودها، وألزمها بالحفاظ عليها، وحماية من يمر بأراضيها من القتل أو السلب أو التعدي، ثم رتب هذه القبائل في الحرب[(١)]".

ويقول على لسان عبدالحميد بن سالم الدوسري المتوفى عام ١٣٣٤هـ في مدح آل يزيد:

أئمة والقطر اليمني فيهم — يفاخر نقوه من الفسق والقهر[(٢)]

- إذن فعسير (القطر اليمني) كانت تعاني من الفوضى والفسق والقهر حتى انتشلها منه بني أمية ونقوها منه !.

في الحقيقة لا يمكن اعتبار إدراج كلمات كالفسق والقهر كلمات عابرة، فقد تكرر هذا النمط في هذا الكتاب وبقية الكتب المزورة كثيراً بينما كان المزورون في غنى عنه، والإشارات أعلاه ليست إلا نموذجاً للكثير غيرها التي عندما نجمعها نجدها تشير إلى أن جد آل عايض قد حضر لأناس فسقة بلا قيم يعيشون في حالة قهر وعدم وصراعات وفتن ولا يعرفون أبسط قواعد الجوار وحماية المستجير فعلمهم إياها ورسم خرائطهم القبلية وعلمهم حمايتها بل وألزمهم بها (كما يقول) وسار أحفاده على هذا النهج في قيادة الناس للتمسك بالأخلاق الحميدة والقيم الفاضلة، ومن ثم فجبال السروات كلها مدينة لأجداد آل عايض بالفضل في دخولها العالم البشري، إذ من الواضح أن هذه المنطقة كانت معزولة عن العالم فيما قبل وصول آل يزيد بن معاوية لها.

فمن ذلك الذي يرضى بأن يكون وطنه سبيلاً للمتسلقين على التاريخ ليلمزوه بالعدمية ويرجعون كل تاريخه وقيمه عبر التاريخ لفلان من الناس؟.

وهل يصادق التاريخ على ذلك؟.

لقد ذكر التاريخ والسيرة لهذه المنطقة تميزاً في الذكاء والابتكار والمبادرة والفروسية والشعر، فهذه الجبال هي التي خرج منها الشاعر العربي "الشنفرى" صاحب لامية العرب، وتأبط شراً،

---

(١) ن د، ص٢٥، ٢٦.

(٢) ن د، ص٣٦٨.

وحاجز الثمالي، وعبدالله بن الدمينة، والصحابي الجليل أبو هريرة، والطفيل بن عمرو، وعامر بن ربيعة، وعبدالله بن عامر، والكثير الكثير غيرهم على امتداد تاريخها منذ ما قبل الإسلام وما بعده ممن ليس هنا المجال لحصرهم، ومنها كان العديد من العلماء والمحدثين والرواة، وفي الجاهلية كانت المنطقة الوحيدة في الجزيرة العربية المختصة بالتصنيع الحربي المتطور[١] مما يدل على أهمية دورهم الحضاري وتميزهم بين كل أنحاء الجزيرة العربية، كما اشتهرت بصناعة النسيج[٢] وغيرها مما لم يذكر إلا لهذه الأرض، وهو ما يدل على عراقة حضارتها وأقدمية دخولها للحياة المدنية، وقد شق على شريف مكة إخضاعها طوال التاريخ الإسلامي رغم أنها كانت تابعة له اسميا منذ عهد النبي ﷺ، وكلفته الكثير من أرواح الجند والقادة في محاولة إخضاعها كاملة دون جدوى (كما روى مؤرخوه)[٣]، وهو من بيت رسول الله، وفشل العياني في القرن الثاني في الدعوة لنفسه كإمام في المنطقة قبل أن ينتقل إلى اليمن وهو من بيت رسول الله[٤]، وفشل المؤيدي في القرن العاشر من تثبيت إمامة له في هذه المنطقة وهو من بيت رسول الله[٥]، فكيف يمكن إقناع الناس بأن هذا الأموي المهاجر إليها قد سيطر على كل بلاد السروات بكل بساطة بمجرد وصوله ثم تحكم بها بنوه بهذه الطريقة الاستعبادية لمدة إحدى عشر قرناً، وغيروا عاداتها وقيمها الفوضوية وأنزلوا قبائل ورفعوا أخرى بكل بساطة، (.... إذا لم تستح (فاكتب) ما تشاء).

٦- **يقول في القصيدة المنسوبة لعامر بن زياد العبدلي الشريفي:**

وصوتت بعسير الهول ويحكم — *أتؤخذ الدار في أكنافها الغلس*
من علكم ومغيد، من ربيعة من — *سنحان من غامد والعزم ما غرسوا*
ومن رفيدة من حجر ومالك من — *زهران من خثعم في زحفهم قبس*
روح وناهس شهران ويتبعهم — *شمران مع حارث في طبعهم شمس*[٦]

---

(١) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١٨/ ص٤١.

(٢) شرف الدين، المرجع السابق، ٦٨.

(٣) ابن فهد، عز الدين، غاية المرام بأخبار البلد الحرام، ج٢/ ص٤٨٣، ج٣/ ص١٢٠.

(٤) الربعي، مفرح، سيرة الأميرين، تحقيق رضوان السيد وعبدالغني محمود، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ص

(٥) المؤيدي، محمد بن عبدالله (أبو علامة)، التحفة العنبرية، مخطوط، ورقة ٣٢٢ - ٣٣٨.

(٦) ن د، ص٤٤.

ثم استمر في تعداد قبائل الجنوب كافة إلى أن يقول في البيت٢٩:

عسير حلف تسامت حوله شرفاً والبيض تحرسه والذبل الدمس

وفي "تاريخ عسير" يقول المزور:

"كان متصرف عسير العثماني ينظر إلى مجلس الشورى أنه الجانب المحرض ضد القوات العثمانية. لذا فقد قرر لكل عضو فيه ٢٠ ليرة عثمانية، وحول اسمه إلى مجلس شيوخ الجبل، ويقصد بالجبل سروات الطود الممتد من صعدة إلى الطائف، وهو ما أطلق عليه اسم عسير في القرن الثاني الهجري، عندما استقل به الأمير علي بن محمد اليزيدي كما مرّ(١)".

- إذن لقب "عسير الهول" لا علاقة له بقبيلة عسير المعروفة، فهو لقب معروف منذ عام ١٣٢هـ يطلق على كامل قبائل المنطقة، لأن جد آل عايض هو صاحب الفضل في جمعها وتسميتها "عسير"، قلت ولعل المزورين قد أوضحوا لنا لقب " قبيلة عسير" الخاص بها والذي اقترحوه كبديل لهذا اللقب من خلال ما ورد في الفقرة رقم ١.

نلاحظ إجماع المزورين في كل كتبهم على محاولة فصل مسمى "عسير" عن واقعه القبلي فصلاً تاماً، ونفي وجودها كقبيلة حقيقية في المنطقة(٢)، وفي المقابل إحياء عصبية خاصة لكل عشيرة وقرية فيها وإلى حد ما عوملت قبيلة شهران بطريقة مشابهة مع تكريس النزعة القبلية والعصبية الموحدة لدى بقية القبائل المجاورة لها كركن أساسي في عملية إعادة بناء الخارطة القبلية في المنطقة، وقد آتت هذه الطريقة أكلها حتى رأينا بين المؤرخين من يشير إلى كل قبائل المنطقة وعندما تأتي الإشارة إلى عسير يكتب "أبها وما حولها" أو "طبب وما حولها"، أو من يعدد قبائل منطقة عسير فيعدد كل القبائل ما عدا عسير.

- بخصوص رفضه لوجود قبيلة عسير، ودعواه أن عسير حلف قبلي للمنطقة ما بين الطائف وصعدة منذ القرن الثاني للهجرة صنعه من سموه "علي بن محمد اليزيدي" وأطلق عليه

---

(١) تاريخ عسير المنسوب لمحمد بن مسلط، ص١٤٣.

(٢) كان هذا ديدن هذه الكتب فيما عدا جزئية مضطربة بين الاتجاهين في كتابي "السراج المنير" و"أخبار عسير" لعبدالله بن مسفر بصفة الكتابين حرفا عن مخطوط حقيقي للشيخ كما أسلفنا، انظر (س م) ص١٩، ٢٠؛ (ت ع) ص٢٠، ٢١.

اسم عسير، والذي اتخمت به هذه الكتب، فهذا خبر لا أساس له، فلم يذكره أحد من الرحالة والمؤرخين الذين مروا أو تطرقوا لأخبار جبال السروات منذ القرن الثالث كاسم شامل، فقد أطلقوا على المنطقة "الحجاز" أو "السروات"، بينما كانت كلمة عسير في كتبهم تشير فقط إلى إحدى القبائل القاطنة فوق جبال السروات، وهي قبيلة عسير الحالية المعروفة، ولم يرتبط هذا الاسم بعموم الإقليم إلا في القرن الثالث عشر وما بعده.

فقد ذكرت عسير كقبيلة في موقعها الحالي وبحدودها الحالية وبأسماء قراها وأوديتها الحالية لدى الهمداني في بداية القرن الرابع الهجري الذي فصل في ذكر بلادها وقراها وحدودها كما هي الآن كقبيلة حقيقية وفصل في نسبها وأرجعها إلى جد واحد اسمه "عسير" في كتاب "الإكليل..."[١] كما فعل نفس الشيء وأشار لها كقبيلة مستقرة في كتاب "صفة جزيرة العرب" وذكر بقية القبائل المجاورة لها في جبال السروات كل واحدة باسمها[٢]، وقبله أورد هشام بن السائب الكلبي في النصف الأول من القرن الثاني والذي نقل عنه ابنه محمد بن هشام تسلسل نسبها إلى "عسير" في نهاية نفس القرن[٣] بنفس الطريقة التي جاءت عند الهمداني الذي وقف على بلادها بعده، كما أوردها الحسن الأشعري في القرن السادس الهجري كقبيلة حقيقية واحدة تنتسب إلى رجل واحد[٤]، كما ورد ذكرها كقبيلة مستقلة في نفس مواطنها الحالية وذكر لبعض بطونها كما هي معروفة إلى الآن لدى محمد بن عبدالله المؤيدي في القرن العاشر الهجري في وصف رحلة والده من صنعاء إلى صبيا ثم إلى السراة حيث رافقه ابن مدحان شيخ قبيلة بني مغيد (إحدى بطون قبيلة عسير) إلى ذهبان عبر قبيلته عسير[٥]، كما ذكرت كقبيلة لدى بوركهارت "Burckhardt, J. L." في بداية القرن الثالث عشر الهجري، ثم لدى الحسن الضمدي والذي كان صديقاً خاصاً لمحمد بن عايض وأبنائه عندما كتب عن نسب عسير فأوردها بنسب مستقل إلى جد لها اسمه "عسير"، وحدد فروع قبيلة عسير المعروفة كبطون تلتقي في نسبها العسيري[٦]، وغيرهم، ووردت أسماء رجالها وقادتها يحملون لقب العسيري، كما

---

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد، الإكليل، تحقيق محمد الأكوع، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٨٣هـ، ج١/ ص٢٩٢.

(٢) الهمداني، الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، تحقيق ابن بليهد، ص١١٨.

(٣) الفدعاني، عبدالله بن دهيمش، أصدق الدلائل في أنساب بني وائل، الطبعة الثامنة ١٤٣١هـ، ص ١٨٩.

(٤) الأشعري، محمد بن أحمد، التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب، نادي أبها الأدبي، ص ١١٣-١١٧.

(٥) المؤيدي، محمد بن عبدالله بن علي، التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية، مخطوط، الجامع الكبير بصنعاء، ورقة ص٣٢٢.

(٦) الضمدي، حسن بن أحمد، قمع المتحري في نسب الشيخ بكري، انظر هاشم النعمي، تاريخ عسير، ص١٧.

وردت كقبيلة لدى الكثير من المؤرخين والمستشرقين في القرن الثالث عشر والرابع عشر للهجرة، ولا زالت تعرف لدى أهلها ولدى مجاوريها كقبيلة حقيقية مثلها مثل بقية القبائل في المنطقة، وليست صناعة يزيدية كما أورد المزورون، أو كما تحاول أن تثبته المصادر الداعمة لها.

٧- في كتاب إمتاع السامر (القسم الثاني من الجزء الأول) ورد:

"وكان حاكم الطور (سروات عسير) إبراهيم بن عائض بن علي بن وهاس بن حرب اليزيدي الأموي من ٨٦٢ - ٩٤٢هـ. ويسميه أهل نجد بـ (طور ابن مرعي)[(١)]".

وفي السراج المنير يقول:

"أما جبال عسير فكما لا تخفى ديارها منذ القدم إلى هذا العهد هي السلسلة الجبلية التي سماها الهمداني بـ (الطور) وتسمى الآن (طور ابن مرعي) نسبة إلى أمير تلك الديار والقبائل المعروفة وما جاورها[(٢)]".

ثم كرر ذلك ص٢٩ في نفس الكتاب.

وفي كتاب "أخبار عسير" قال:

"ثم استولوا عليها بعد قتل الأمير مرعي بن محمد والد (عايض بن مرعي) أمير عسير في المستقبل ورأس أسرة آل عايض التي حكمت المنطقة فيما بعد، والذي تنسب إليه أيضاً السراة فيقال عنها (طور ابن مرعي)[(٣)]"

وقد تكررت هذه الدعوى أيضاً في العديد من صفحات هذه الكتب.

- في الحقيقة لا أعلم ما هي حدود القبول للتمادي في الكذب وتهميش وتقزيم الأرض وأهلها، والتصرف بها لدرجة تغيير اسمها وألقابها ومحاولة إلغائها تماماً وعزلها عن كل إرثها التاريخي وربط مسماها وعزواتها وكل تاريخها بفلان من الناس أو بالأسرة الفلانية وكأنها جزء من أملاكه دون أي مستند، فهذا الاسم الذي تكرر كثيراً في مجموعة الكتب المذكورة لا وجود

---

(١) ن د، ج٢/ ص١٠٩.

(٢) س م، ص٢٠.

(٣) أ م، ص٣٣.

له على الإطلاق في نجد ولا عسير ولا في غيرها ولم يولد إلا من رحم مجموعة "إمتاع السامر" المزورة بغرض ترسيخه في رؤوس البسطاء، فعسير اسم معروف للجميع ولم يرتبط اسمها بأحد من قادتها الأساسيين الأوائل الذين ولدوا من رحمها وصنعوا تاريخها الحديث مع أبنائها دون أن يحاولوا مصادرتها، كآل المتحمي أو آل مجثل، بل كانت عسيريتهم أكبر مفاخرهم التي حملوها في قصائدهم، لأنهم يعلمون أنهم جزء من عسير، حتى أنه ارتبط مسمى قادتها باسمها فكان المؤرخون يسمون قادتها باسم "فلان العسيري" فجميع أمراء عسير كان المؤرخون يطلقون عليهم لقب "العسيري" كـ "محمد بن عامر العسيري"[(١)] و"عبدالوهاب بن عامر العسيري"[(٢)] و"طامي بن شعيب العسيري ومحمد بن أحمد العسيري"[(٣)] و"علي بن مجثل العسيري"[(٤)] وحتى من جاءوا بعدهم حملوا نفس اللقب كـ"محمد بن عايض العسيري"[(٥)] وهو ما سيأتي شرحه في باب "علاقة أمراء عسير بالنسب اليزيدي الأموي"، فكيف به يختزل في اسم رجل ورث موقع السلطة كحاكم مؤقت ثم تحول إلى والي للدولة العثمانية على عربان عسير.

٨- **يقول في معرض حديثه عن رحلة علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد بن معاوية إلى بلاد عسير عام ١٣٢هـ ما يلي:**

"كان علي بن محمد اليزيدي الأموي في نفر من أخواله بني غياث إحدى عشائر بني زيد بن عمرو الأزدية، فدخلوا منازل أخوال جده بني كلب التي كانت تنزل جنوب بلاد الشام فحموهم، وانطلقوا بهم نحو عسير برئاسة دغفل بن دحل بن بلدر بن فضل الشامي الكلبي وأخيه حنتوش، ولما وصلوا إلى عسير استقروا بها، ودخلوا في بني وازع من قبائل الأزد، والتي أصبحت في عداد بني مغيد، وأصبحت مشيختها لهم، ثم انتقلت مشيختهم على البقوم بعد إخماد ثورتهم مع بني هلال وخلع طاعتهم للأمير عبدالله بن علي بن محمد عام ١٧٣هـ[(٦)]".

---

(١) البهكلي، نفح العود، دارة الملك عبدالعزيز، ص١٢٨.

(٢) الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع، ج١/ ص٢٢٧.

(٣) البهكلي، نفح العود، دارة الملك عبدالعزيز، ص٢٢٦، ٢٩٦، ٢٩٨.

(٤) الكبسي، اللطائف اللسنية، مكتبة الجيل الجديد - صنعاء، ص٤٠٦.

(٥) الكبسي، نفس المصدر السابق، ص٤٢١، ٤٢٢.

(٦) ن د، ص٢٢.

• يتصرفون في التاريخ والمشيخات في بلاد عسير بحرية تامة على مدى إحدى عشر قرناً، ويشيخون من أرادوا عليها بأمر أجداد آل عايض المزعومين دون أي مستند، بما يوحي بأن الناس في عسير كانوا بلا إرادة ولا قيمة، فهنالك الكثير من الإشارات المشابهة في هذه الكتب[١]؟.

٩- عن أحداث معركة ريدة عام ١٢٨٨-١٢٨٩هـ جاء ما يلي:

أ- حول استسلام محمد بن عايض للجيش العثماني وغدرهم به بعد أن أعطوه الأمان يقول:

"نزل محمد رديف باشا مع كوكبة من الفرسان، وأخبر أحمد مختار باشا بذلك فتهيأ لاستقباله، وما أن وصل حتى قدمت له شروط الصلح فتأملها وأصدر أوامره بتوزيع جند الأتراك بصورة يستفيد منها لما يخطط في ذهنه، وطلب أن يقوم الأمير محمد بن عائض بتسليم السيف والمفتاح بشكل رسمي. غير أن محمد بن عائض قد رفض تسليم ما طلب منه وأعلن أن الاتفاق إنما تم للصلح لا للاستسلام أي أن تبقى عسير بإمرتي ولها كرامتها ولأهلها حرمتهم، وأن أرتبط اسميا بالباب العالي، أتلقى أوامره مباشرة وليس عن طريق أحد[٢]".

ب- يقول المؤلف في وصف نهاية نفس المعركة في ريدة عام ١٢٨٩هـ ومقتل محمد بن عائض:

"ونظر في الجثث (أي محمد رديف باشا) فإذا أبناء عائض بينهم، ومحمد قابض على سيفه، ونظر أحمد مختار باشا إلى هذه الصورة فدمعت عيناه وقال: رحمك الله أبا سعد لقد صمدت كريماً ومت كريماً. وقد خذله (أي محمد بن عائض) في ريده كل الذين حوله، وتخلى عنه من كان في طوله، في ساعةٍ حشرجت فيها نفس الجبان، وتمثل له شبح الموت للعيان، في حين أنه قد فتح خزانته، وأغدق على جنده وأعوانه، فلم يجد ذلك نفعاً، فكل قد تسلل بما قبض، وهرب بما عرض، لا عن قلة في العدد، أو نقص في المدد وكان يذكرهم بالعهود، ويهيب بهم، وكان يردد هذه الأبيات من قصيدة لأبيه عائض بن

---

(١) انظر ما ورد عن أسرة آل المتحمي في كتاب تاريخ عسير للوصال ص٥٤، ٥٥، وما ورد عن أسرة آل حامد في إمتاع السامر نسخة الدارة ص٢٦٥، وعن أسرة آل مفرح في نفس الكتاب ص٢١٧.

(٢) ن د، ص١٠٢.

مرعي - رحمه الله حينما رأى التخاذل في القلاع ورجاله، والارتباك بين صفوف أنصاره، وذلك حين رأوا قوات الترك تطوق المعاقل من كل جانب، وتدكها بالمدافع:

وأسلمتني الليالي وهي منذرة	كأنني لهذمٌ في كف رعديدِ
وما وفى لي حزب صغت عدته	في النائبات وولى عن مواعيدي
وخار عزم الذي خلت الأمان به	وخلف الدار في خوف وتنهيد [(١)]

ج- امتدادا لما ورد في النصين السابقين حول معركة ريدة يحدد في موقع آخر القبائل المعنية بهذه الإشارات، والتي كانت إلى جانب محمد بن عايض في معركة ريدة، ففي موقع آخر نقلت نفس المصادر عن أحمد فيض باشا في مذكراته "حرب عسير" عن معركة ريدة قوله:

"وكانت الإمدادات تأتي إلى هذا الجبل من بني مالك، وربيعة ورفيدة، وعلكم، وبني مغيد" [(٢)].

د- على الجانب الآخر فإن المزورين يستكملون تفاصيل هذه المعركة حسب روايتهم فيتحدثون عن مقاومة شرسة دارت على الجانب الآخر في أبها، شاركت فيها قبائل أخرى، وسطرت فيها البطولات والمقاومة الأسطورية ومنها:

- يقول في (ن د):

"عندما حاصر الترك أبها شاركت في المعارك قبائل قحطان، همدان، يام، شهران، الدواسر، قبائل بيشة، وقد بقي الأمير ناصر مدافعاً عن أبها لمدة ٦ سنوات" [(٣)].

إلى أن يقول:

"ورغم تكاثر القوات التركية على أبها إلا أنه بقي متحصناً فيها، ومدافعاً عنها مدة ست سنوات وحتى أصيب برصاصة أودت بحياته في مطلع عام ١٢٩٥هـ" [(٤)].

---

(١) ن د، ص١٠٣، ١٠٤.

(٢) ت ع، ص١٢٩.

(٣) ن د، ص٢٩٢.

(٤) ن د، ص٢٩٢.

• أوردوا على لسان عبدالله بن علي بن حميد في كتاب الدر الثمين قوله:

"وبينما هو في ذلك الموقف الناجح إذ بالقوات العثمانية مع قبائل رجال الحجر تتقدم من الشمال. فتعرضت لها قبائل المنطقة التي تخضع لآل عايض وأوقفتها ولكن الكثرة أحياناً تتفوق على الشجاعة ذات القلة واضطر الأمير سعيد بن عائض أمير بلاد غامد وزهران إلى التراجع. ولما اقترب من أبها أخبر أخاه محمد بما حدث فاضطره إلى العودة. وقبل ارتقائه السراة وجد الأمر غير طبيعي إذ تمركزت قوات الأتراك في أكثر قرى عسير ما عدا قبائل (بيشة) و(سبيع) و(البقوم) و(الدواسر) و(قحطان) في الجهة الشرقية والشمالية من عسير إذ صمدت في وجه الترك بقيادة مشائخها (ابن محي الموركي) و(أحمد بن ضبعان) و(ابن سحمان) (وابن شعلان) وغيرهم بالإضافة إلى القوات التي انضمت مع ناصر بن عائض في (أبها) وهي (يام) و(سنحان) و(وادعة) و(همدان) بقيادة مشائخها (محمد بن دليم بن شايع الشريفي) و(فلاح بن راكان بن حثلين المعيضي) و(محمد بن هادي بن قرملة السحيمي)."

إلى أن يقول: *"وبقي ناصر ينازل الأتراك حتى عام ١٢٩٥هـ"*(١).

• ثم في كتاب "تاريخ عسير" يقول حول نفس المعركة:

"وهكذا جاءت جموع من قبائل كهلان، وهمدان، وحاشد، وبكيل وعك، كما وصلت إلى أبها قبائل يام، وتجمعت كلها في أبها، ووضعت نفسها تحت تصرف ناصر (بن محمد بن عائض) وأعطته قيادتها"(٢).

حسب ما تشير له الروايات المتواترة في هذه الكتب من تفاصيل ضمنياً، فإن قبائل البادية والقبائل اليمنية بالإضافة لقبائل قحطان وشهران ويام صمدت مع ناصر بن عايض لمدة ست سنوات (في أبها)، بينما استسلمت قبائل بني مالك وربيعة ورفيدة وعلكم وبني مغيد والتي تمثل في مجموعها قبيلة عسير السراة التي كانت تدافع على الجانب الآخر من المعارك (في ريدة) سريعاً، وخذلوا محمد بن عائض وتخلوا عنه خلال نفس العام (١٢٨٩هـ)، مما ألجأه إلى أن يهجوهم ببعض الأبيات، قبل وفاته.

---

(١) الضمدي، الحسن بن احمد، الدر الثمين، المنسوب تحقيقه إلى باسم عبدالله بن حميد، بدون دار نشر، ص٧٦ - ٧٨.

(٢) تاريخ عسير المنسوب لمحمد بن مسلط، ص١٢٧.

ومن العجيب أن كل المصادر التاريخية تقول أن هذه القبائل الأربع هي التي تحملت العبء الأكبر في تاريخ الإمارة العسيرية منذ قيامها عام ١٢١٤هـ حتى سقوطها لذا حملت هذه الإمارة اسمها، بينما هنا نجد أن الأمر مختلف تماماً، والأعجب أنه لا يوجد ذكر لكل من قتلوا من عسير ما عدى محمد بن عايض وإخوته، مع أن المعركة لم تتوقف إلا بعد سقوط المئات من القتلى تحت نيران المدفعية العثمانية، ومع أن العثمانيين الذين أمنوه ثم غدروا به قتلوا معه خمسين عسيرياً[١]، بينما لم يقتلوا إخوته كل من عبدالرحمن بن عايض وسعيد بن عايض بل كانوا ضمن الأسرى الذين نقلوا إلى "يانييه"[٢] ولم يقتلوا ولا أسروا أخيه عبدالله بن عايض الذي رفع سليمان باشا طلباً إلى وزارة الداخلية لتعيينه وكيلاً لمتصرف عسير عام ١٣٢٦هـ[٣]، ولا أخيه علي الذي ظل حياً أثناء وجود الدولة العثمانية وعين ابنه حسن مساعداً لمتصرفها في عسير، ولا حتى قتلوا ابنه عبدالله بن محمد بن عايض الذي تم تعيينه وكيلاً لمتصرف عسير قبل وصول سليمان شفيق باشا[٤]، وعندما عاد أخواه عبدالرحمن وسعيد اللذان يبدو أن ترحيلهما كان احترازياً إلى عسير حصل المذكوران على نياشين عثمانية عام ١٣٠٢هـ تقديراً لإخلاصهما للدولة العثمانية[٥]، وبالمثل أيضاً لا نجد ذكراً لبقية أولئك المنفيين بعد المعركة من أبناء عسير إلى تركيا والذين بلغ عددهم ٦٠٠ شخص[٦]، وكأنه لم ينف إلا آل عايض مع أن مؤرخي عسير يقولون أن أقارب محمد بن عايض كانوا أول من انسحب من القتال في ريدة[٧]، مما أدى لاضطراب البقية، بعد أن خاض العسيريون معارك شرسة في السقا وريدة أمام جيش الإمبراطورية العظمى الذي يملك القدرات العسكرية الهائلة والتدريب العالي والتفوق العددي.

---

(١) دلال، عبدالواحد محمد راغب، البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ص١٨٢.

(٢) الأرشيف العثماني، وثيقة رقم ٤٣٧٨، إرادة داخلية، رقم ٦٠٧٠٨ وتاريخ٢١ ربيع لاأول ١٢٩٤هـ، وثيقة رقم ٤٣٨٢، إرادة داخلية بتاريخ ٢١ ذو الحجة ١٢٩٤هـ، انظر عبدالواحد دلال، نفس المصدر السابق، ص١٨٣.

(٣) الأرشيف العثماني، وثيقة رقم ٥٣٩٩، إرادة داخلية، بتاريخ ١١ ذو القعدة ١٣٢٦هـ، بناء على إشعار من متصرف عسير، انظر عبدالواحد دلال، ص١٨٥.

(٤) مذكرات سليمان شفيق باشا، تحقيق العقيلي، ص٣١.

(٥) الأرشيف العثماني، وثيقة رقم ٤٥٣٦، إرادة داخلية، رقم ٧٥٤٦٢ بتاريخ ٢١رمضان ١٣٠٢هـ انظر عبدالواحد دلال، ص١٨٤.

(٦) النعمي، تاريخ عسير، ط١، ص٢١٦.

(٧) رفيع، في ربوع عسير، دار العهد الجديد للطباعة، بالقاهرة، ١٣٧٣هـ، ص٢٤٣، ٢٤٤.

فهل تصح رواية مجموعة إمتاع السامر؟.

لم يورد المعاصرون لمعركة ريدة عام ١٢٨٨هـ ـ ١٢٨٩هـ أي خبر عن حدوث معركة أخرى في نفس الوقت في مدينة أبها على الإطلاق رغم أن هذه المعركة أشبعت رواية وتفصيلاً من مؤرخي عسير ونجد واليمن والحجاز ومصر وتركيا وبلاد الشام والعراق وبريطانيا وغيرها، وكلها تجمع على أن المعركة حدثت في السقا وريدة فقط، ولم يحدث أي مقاومة في مدينة أبها، وأن نهاية الحرب كانت بسقوط ريدة ومن ثم عين رديف باشا والياً على عسير[١] بينما انتقل الجيش التركي بعدها إلى اليمن فسلمها له إمام اليمن فوراً تحت وطأة الخبر[٢]، فيما عدا فؤاد حمزة الذي أورد رواية غير واضحة تلمح إلى أن المعركة حدثت في أبها، ولعل ذلك يعود إلى ضعف المصادر التي استند إليها فؤاد حمزة في كتابه والتي كانت في معظمها عبارة عن بقية موظفي الدولة العثمانية الذين بقوا في عسير وحالفوا بعض قبائلها وأصبحوا يتحدثون باسمها ثم بعد رحيلها عملوا في الدولة السعودية فلم يعلموا عن عسير سوى أن أبها حاضرتها، فافترضوا أن المعارك التي يسمعون عنها حدثت بها، بالإضافة إلى أن فؤاد حمزة ذاته رحمه الله كان فرانكوفونياً جداً في تعامله الفوقي مع البيئة العسيرية وفنونها وأساطيرها وطعامها وأسواقها وحتى مع مناخها، لأنه فرض على نفسه الانقطاع عن البيئة المحلية التي يكتب عنها إلا من خلال التواصل مع موظفي الإمارة والمرتبطين بهم فأثر ذلك على قيمة كامل كتابه.

ولعله يكفينا دون بقية المؤرخين في الفصل لإثبات كذب الرواية حول معركة أبها المزعومة، وحول ما حدث في معركة ريدة ما أورده في إشارة ذات مغزى د. محمد آل زلفة، حين نقل عن مذكرات شاهد العيان: مؤرخ الحملة العثمانية وأحد قادتها وهو "أحمد راشد باشا" تفاصيل المعركة وسقوط أبها (قبل سقوط ريدة)، ودون أن يطلق المدافعون عنها طلقة واحدة، إذ قال:

"أبها قلعة من قلاع ابن عايض،،ويعد موقعها من المواقع الهامة، وتبعد خمس ساعات عن السقا،، وقد تقرر ضبطها بتقدير أن العدو قد يذهب بتفكيره إلى أننا سنقصد من مواقعنا التي وصلنا إليها إلى ريدة، ولا يخطر على البال أن نبتعد ونقصد قلعة أبها وهي بعيدة عنا، ولذلك رؤي أن نباغت هذه القلعة المستبعدة عن التفكير والتي قدرنا نحن بأنها غير مستعدة لمثل هذه المباغتة التي تقررت مفاجأة.

---

(١) النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، طبعة المئوية، ص٢٨٤.

(٢) الواسعي، تاريخ اليمن، ص١٠٩، ١١٠.

أما القوة التي تحركت نحو أبها وذلك في يوم الخميس غرة محرم ١٢٨٨ هـ فتتكون من أربعة أفواج بقيادة الفريق رديف باشا قائد الحملة نفسه، ويقول مؤرخ الحملة عن كيفية دخول القوات العثمانية مدينة أبها:

ما كاد يرانا المحافظون عليها ونحن قادمون نحوهم حتى قايسوا بين قواتهم المحدودة وبين القادمين من قوة لا قبل لهم بمواجهتها فوجدوا أنفسهم في قسر لترك مواقعهم في الحال من أن ينتظروا الفناء يلوح فوق رؤوسهم للانسحاب وخلفوا قلعتهم الحصينة التي دخلناها بلا صدام وكأنها في انتظارنا والباب مفتوح لنا، وقد وجدنا فيها مدفعين وثالث من نوع هاون والكثير من الخيام والعديد من المهمات النارية وكميات كبيرة من مدخرات الأرزاق والذخائر فتولى أمر القلعة مقيماً فيها المقدم أحمد حلمي أفندي الذي كان يقود الفوج الثاني من اللواء الأول أما الأفواج الأخرى فقد عادت في نفس اليوم إلى مستقرها في السقا.

على أثر معارك طاحنة ومخيفة ابلي فيها العسيريون بلاء حسناً مع قلتهم وقاوموا مقاومة شرسة أذهلت خصومهم سقطت ريدة يوم الأحد الموافق ٨ نيسان ١٢٨٧ رومي، وبإعلان استسلام الأمير محمد بن عايض، ومقتله فيما بعد حققت الحملة أهدافها بسقوط الإمارة، ومقتل الأمير وانتقاء ما يزيد على أربعمائة مقاتل من أبناء عسير الشجعان الماهرين في استخدام السلاح الحديث من مدفعية وغيرها وتسفيرهم مباشرة بعد سقوط ريدة عن طريق ميناء الشقيق إلى استانبول"[١].

ومن خلال ما نقله هذا الضابط التركي المعايش للأحداث والمتفاعل معها، فإن المعركة الحقيقية كانت في ريدة فقط، ولم تتمكن قوات العثمانيين من الدخول إلى ريدة إلا بعد معارك شرسة كما وصفها المعلق عن معايشة ومشاركة في أحداثها، بينما لم تحدث معركة في أبها لأن المدافعين سلموها قبل بداية القتال.

فأين ما ذكره شاهد العيان الذي ينتمي لجيش العدو المحاصر لريدة عن شراسة المقاومة في السقى وريدة، وعن طريقة تسليم أبها - بدون قتال - مما ذكره المزورون عن المقاومة التي استمرت ست سنوات، في محاولة لاستجداء القبائل الكريمة الغنية بتاريخها للتورط بالمصادقة على أكاذيبهم التي تناقض كل الحقائق، واستثارة جدل قبلي عقيم حول التاريخ.

---

(١) آل زلفة، محمد عبدالله، وقفات مع فصول من تاريخ أبها، جريدة الجزيرة، الأربعاء ٢٨ رمضان ١٤٢٠هـ العدد ٩٩٦٠.

• وهذا أيضاً ما قاله المؤرخ اليمني عبدالواسع الواسعي عن بنود الفرمان التي قبلها محمد بن عايض ثم نقضها الترك:

"فأنهى محمد بن عون، وهو شريف مكة، إلى أمير عسير، أن يسلم بلاده إلى الدولة العثمانية. وهذه الحكومة تستبقي له أملاكه، وخيله، وأمواله، وحصونه، وكل ما بيده. وتدفع الحكومة إليه وإلى أهل بيته جميعهم مشاهرات، وتكافيء الموظفين، وتستخدم في الأشغال كل من هو أهل للقيام بخدمة الدولة ولا يفضل عليهم أحد. فلما رأى الأمير محمد بن عائض حسن هذه الشروط خدع بها، فتفاوض مع الشريف الذي أطلع السلطان على رضى أمير عسير. وما كاد الخبر يبلغ أرباب الحل والعقد حتى قدم رسول الشريف، والجنود محاصرة لعسير. فقدم الرسول ـ وبيده فرمان السلطان ـ بلاغاً يقول له فيه ما هذا منطوقه: "إنك بأمان الله ورسوله، وإني قد قبلت جميع مطالبك التي عرضت علينا، بواسطة الشريف محمد بن عون. وما عليك إلا تسليم البلاد لرديف باشا، وأموالك وخيولك، وجميع أملاكك مع الحصن، لا تمسها عساكرنا بسوء، إلا إذا لم تتبع أمرنا السلطاني".

فلما اطلع محمد بن عائض على منطوق الفرمان، كتب إلى مختار باشا، وكان محاصراً للقصر، يقول له: "إني دخلت تحت طاعة السلطان، حسب الفرمان".

فقبل أحمد مختار باشا وتوجه كلاهما إلى رديف باشا ليطلع على الفرمان، وبينهما وبين رديف باشا ثلاث ساعات، فلما وصلا إلى خيمته، أمر بقتل محمد ابن عائض حالاً. ثم استولت الجنود على بلاد عسير كلها. واخذوا جميع ما كان يملكه من خيل، وكراع، ونقود، وأسلحة، ومدافع، وحجارة كريمة، وكان فيها من اللؤلؤ الخام ستة وثلاثون صاعاً"[1].

ومن خلال ذلك فإن شروط محمد بن عايض لتسليم نفسه للباشا حسب ما يرويها المؤرخون خارج إطار مجموعة إمتاع السامر، لم تتجاوز حدود طلب الأمان على نفسه وأسرته فقط، بينما تقول مجموعة إمتاع السامر كما نرى أن هنالك شروطا متشددة وضعها محمد بن عايض تتعلق باستقلالية عسير وطريقة إدارتها، ووافق عليها قادة الحملة.

---

(١) الواسعي، تاريخ اليمن، ص١٠٩، ١١٠.

١٠- ثم في (أ ع) يعدد الذين قتلوا في ريدة عام ١٢٨٩هـ فيقول:

"وجرت معركة داخل القصر بعد أن طعن الأمير محمد رديف باشا بملية كانت معه، وقتل نتيجة ذلك الأمير محمد وأخواه سعد وعبدالله، وعدد من الأشخاص من الطرفين منهم (سليمان بن عبدالوهاب المتحمي) و(راسي بن مغرم بن ثابت الشهابي) شيخ قبائل سنحان و(دليم بن شائع) شيخ قبائل قحطان و(محمد بن سليم) شيخ قبائل الصقر و(زيد بن شفلوت) و(ناصر بن كدم) من مشائخ قحطان و(عبدالعزيز بن محمد الغامدي) و(ابن عياش الغامدي) و(جمعان بن رقوش) شيخ قبائل زهران و(مبارك بن فرحان الدوسي)[1]".

- وهذا الخبر حول من أعدموا بعد المعركة يتناقض مع المصادر التاريخية فعبدالله بن عايض لم يقتل بل ظل حراً طليقاً في عسير وتم تعيينه مساعداً لمتصرف عسير من قبل الدولة العثمانية بناءً على طلب المتصرف سليمان باشا فور وصوله لعسير[2]، كما أنه ورد في مذكرات المنصوري الغامدي عن وفاة الشيخ عبدالعزيز الغامدي (ابن قبيلته المعاصر له) أنه توفي عام ١٢٩٥هـ في بلاد غامد، وهذه مقتطفات من الوثيقة كما نقلها إبراهيم الزيد:

"سنة ١٢٨٨ خرج رديف لمحمد بن عايض وحاصره في ريده".

"سنة ١٢٨٩ في ربيع آخر جاءنا عثمان باشا ولزم الشيخ عبد العزيز وأرسله القنفذة في رجب ورجع بعد رمضان وانعزل عثمان في رمضان".

"١٢٩٥ في المحرم ليلة الخميس ثالث عشرة مات الشيخ عبد العزيز رحمه الله".

ومن خلال ذلك نجد أن ما ذكره محمد بن عبدالله المنصوري الغامدي الذي عاش ما بين ١٢٣٣-١٣١١هـ أي أنه عاصر كل أحداث تلك المرحلة، وهو مجاور ومعاصر لشيخ قبيلته عبدالعزيز الغامدي حتى وفاته، يحدد موقع وطريقة وتاريخ وفاته بما يخالف ما ورد في كتب المجموعة، ولا شك أن المنصوري مجاور ومعاصر وشاهد عيان لوفاة شيخ قبيلته (عبدالعزيز الغامدي)، وهنا يسقط لدينا اثنان من الأسماء لورود ما ينفي ذلك، مما يؤكد خطأ المعلومات التي أوردتها مجموعة الإمتاع كما هي العادة، وقس على ذلك بقية الأسماء التي وردت في الخبر، ممن لم يذكر التاريخ عنهم شيئاً.

---

(١) عبدالله بن مسفر، أخبار عسير، ص١٢٦.

(٢) الأرشيف العثماني، وثيقة رقم ٥٣٩٩، إرادة داخلية، بتاريخ ١١ ذو القعدة ١٣٢٦هـ، بناء على إشعار من متصرف عسير، انظر عبدالواحد دلال، ج٢ / ص١٨٥.

وقد أورد الشيخ هاشم في الطبعة القديمة من كتابه "تاريخ عسير" سبعة أسماء لأهم القتلى الخمسة والثلاثين، والعجيب أنه لا يوجد بينهم شخص واحد ممن ذكروا في إمتاع السامر رغم مكانتهم القبلية[١].

قلت: وبمثل هذه الأخبار يحرف مسار التاريخ، ويتم استدراج عواطف العامة للمصادقة عليها في مجموعة إمتاع السامر وما صاحبها من كتب ووثائق مزورة، فتتحول إلى روايات متداولة ينسى مصدرها الأساسي لدعم الرواية الجديدة دون أن يعلم الفرحون بها ماذا تعني هذه الإشارات/ الدسائس في حقيقتها.

فبمجرد ملاحظة أن أسماء بعض أسرة آل المتحمي قد أقحمت ضمن المجموعة مع ما نعرفه ونراه من موقف هذه الكتب منهم نتفهم المقصود من إيراد بقية الأسماء، ويكفي أن نقرأ كتاب تاميزيه "رحلة في بلاد العرب" ـ والذي لا شك أن مجموعة التزوير قد اطلعت عليه قبل ترجمته ـ عندما أورد خبر هروب أحد رؤساء القبائل من ريدة وتوجهه لقائد الحملة في أبها، حيث كان قد وضع تحت الإقامة الجبرية في ريدة أثناء المعارك لضمان عدم انضمامه وقبيلته إلى الحملة العثمانية[٢]، لنفهم المعنى الآخر الذي ترغب المجموعة في إيصاله من خلال خبر وجود مشايخ بعض القبائل في ريدة أثناء المعركة مع الحملة العثمانية، فندرك المقصد الحقيقي وراء هذه الدسائس، وحتى لا ينخدع أبناء هذه الأسر وقبائلهم بالفكرة.

١١- يقول في (ن د):

"كان الزواج المبكر من عادة أهل عسير وكان أمراء آل عائض يشجعون ويدعمون ذلك بل وينفقون من بيت المال نصباً لهذه الغاية"[٣].

- وعلى ذلك فالزواج المبكر لم يكن موجوداً في الجزيرة العربية بل وكل الوطن العربي إلا في عسير لوجود آل عائض الذين كانوا يتفضلون على الناس للحصول على أبسط مقومات الحياة من جيوبهم الخاصة.

---

(١) النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، الطبعة الأولى عام ١٣٨١هـ ٢١٦.

(٢) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، ص٣٣٥، ٣٣٦.

(٣) ن د، ٢٩٠.

١٢- في (ن د) يعدد قبائل مطير التي دخلت في قبائل أخرى إلى أن يقول:

"وبني وائلة المعروفين في قبائل معاوية ببيشة بالضلالة"[١].

• معروفين بالضلالة !!!. حسبنا الله ونعم الوكيل، لا نجد الجرأة على الشتائم والرمي بالصفات المشينة على القبائل أو أي مجاميع عرقية أو إقليمية بهذه الطريقة التعميمية إلا في كتب مجموعة إمتاع السامر.

١٣- في (ع م) يقول:

"وكانت الكلمة الأولى في مرتفعات عسير تعود إلى أمراء من آل يزيد إلى أن نشب بينهم خلاف على الزعامة فانزوى قسم منهم في الشعف وبقي الفرع الآخر في منطقة أبها يدير شئون قبيلته باسم أشراف الحجاز، وأحياناً ينتفض بعض الأمراء على الأشراف، ويمد سطوته على جهات تهامة، وربما وصلت سيطرة أهل اليمن إلى مرتفعاتهم"[٢].

وفي موقع آخر يقول:

"وورث بنو رسول في صنعاء الأيوبيين فامتدت سلطتهم إلى عسير، ووقع خلاف بين بني الطاهر وبين بني رسول فكانت عسير تتبع الأقوى، وتخضع تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء"[٣].

• يشير محمود شاكر الذي نقل معلوماته شفهياً من بعض الأشخاص (كما يقول)[٤] هنا إلى أن عسير خضعت للممالك اليمنية خلال مراحل التاريخ المختلفة، وهو بذلك يوافق الأخبار المنتشرة في هذه الكتب حول تداول السيادة على عسير بين آل يزيد والأئمة اليمنيين[٥].

---

(١) ن د، ٣٢٨.

(٢) محمود شاكر، تاريخ عسير، ص١٤٥.

(٣) محمود شاكر، تاريخ عسير، ص١٢٧.

(٤) ن د، ق٢ ج١، ص٣١.

(٥) إقرأ بعض ذلك في باب "مقارنة معلومات إمتاع السامر بما ورد في الكتب التاريخية المعروفة".

ومثل هذه الأكاذيب تربط تاريخ عسير السياسي باليمن دون أي مستند، فلم يقل بذلك من كتبوا تاريخ اليمن في بلادهم، فلم تسيطر على مرتفعات عسير ولم تصل إليها أي الدول اليمنية، بل لم تتجاوز أيها طلحة الملك الواقعة على الحدود السعودية اليمنية حالياً شمالاً حسب ما يرد في المصادر اليمنية، وكل ما ورد في بعض الوثائق هو هروب بعض أئمة اليمن إلى المناطق المجاورة لليمن هرباً من خصومهم عندما يتمكنون من السيطرة على الأمور في اليمن، كالقاسم العياني في منتصف القرن الخامس الهجري عندما لجأ إلى ترج أو عبدالله المؤيدي عندما لجأ إلى ذهبان في نهاية القرن العاشر، ومثلهم كان أشراف مكة في تاريخ مكة كحميضة ورميثة اللذان لجآ إلى بلاد السراة، وربما حاول بعضهم خلال مكوثه فيها الدعوة لنفسه في تلك المناطق دون جدوى، ولكن لم يذكر التاريخ أن أي أئمة اليمن استطاع مد نفوذه على مرتفعات إقليم عسير.

ويكفي لمعرفة مدى كذب من نقل عنهم محمود شاكر اعترافه أخيراً بأنه لم ينقل عن مذكرات جعفر الحفظي، بل اعتمد على بعض الأشخاص شفهياً واعتذاره عن خطأه هذا[١].

١٤- في (ت ع) يقول في حرب عام ١٢٥٠هـ:

"وتكررت الحملات التركية من الحجاز إلى عسير، وكلها باءت بالفشل، ولكن من أهمها ما حدث عام ١٢٥٠هـ التي كانت تقضي على مكانة آل يزيد إذ تمركز الأتراك في ريدة والحفير والسقا وكسان والشعبين والعزيزة وأبها ولجأ الأمير عائض إلى جبال السودة بمن معه. طلب الأتراك من الأمير عائض بن مرعي الاستسلام، وضمنوا له الأمان وعلى أن يكون عاملاً لهم ويعطى رتبة الباشوية، ويرتبط باستانبول، فأبى عليهم وصمم على الحرب، وبلغ الأمير عائض أن الجنود الأتراك طلبوا من بعض القرى أن ترسل لهم بعض النساء يتولين خدماتهم، فأشاع عائض الخبر بين رجال القبائل فأثار ذلك حميتهم فتضافرت جهودهم، والتفوا حول أميرهم بعد أن أبلغهم رسالته الآتية: (سرد الرسالة)"[٢].

- رغم أن حدوث التعديات والتجاوزات من أفراد الجيوش هو أمر متوقع دائماً كما هو معروف في كل الدنيا وعبر التاريخ، إلا أن المزور هنا يختلق القصص على المستوى القيادي للجيش العثماني ليحيل التمسك بالأخلاق الفاضلة والغيرة وإثارة الحمية في كل إقليم عسير إلى

---

(١) ن د، ق٢ ج١، ص٣١.

(٢) تاريخ عسير المنسوب لمحمد بن مسلط، ص٩٢.

توجيهات السلطة، غير مكترث بما قد تحمله كلماته من إشارة خاطئة إلى المجتمع، بينما لم يورد شيئاً كذلك موريس تاميزيه وهو المرافق للحملة المصرية، والذي شرح عن تصرفات الجيش الهمجية الكثير من التفاصيل، كقطع الأشجار وأسقف البيوت واستخدامها للتدفئة، وتدمير المزارع، إلا أنه لم يتطرق لمثل ما قاله صاحبنا، بل لقد أشار لمنع القادة الأتراك للجنود من التعدي على نخيل الناس في رنية وبيشة، وأشار لإقامة الحد الشرعي على أحد الجنود لشربه الحشيش، وإلى تمكين امرأة عسيرية تحت حراسة الجيش التركي من إخراج ثروة زوجها الذي قتل في المعارك من منزله الذي احتله الجنود، كما أن تاميزيه ذكر أن كل المنازل والقرى التي في طريقهم منذ خروجهم من الخميس قد أخليت تماماً من البشر[1]، كما أن أحمد باشا قائد الحملة كان متديناً جداً كما وصفه تاميزيه، وأيضاً فإن الجيش التركي كان مرافقاً له قادة من أشراف مكة ومن عسير لا يتوقع أن يقبلوا بمثل هذه التصرفات في وطنهم.

١٥- في (ن د) يقول على لسان علي بن الحسين الحفظي:

فقل لمعدٍ لا تغر بسرحها ... فتلقى كماة الحي جنباً بموعد

ثم يفسر الكاتب في الحاشية (معد) بقوله:

"هو معد بن عدنان وإليه تنتسب القبائل العدنانية في نجد ومنها بنو تميم، وعنزة، وشيبان، ويحذر الشاعر هذه القبائل من الاعتداء على هذه الظعينة إذ هي في مأمن ما دامت في حدود ما يتبع عسير إذ تنتشر قبائل قحطان".

ثم يفسر (الحي) بأنه "حمى الحدود"[2]!.

- إذاً فقد كان العسيريون يحملون لواء قحطان ونجد كانت تحمل لواء عدنان، كما أن القصيدة في ظل هذه الروح كانت تحمل تألي القبائل العسيرية القحطانية على القبائل العدنانية في نجد وتهديدها ووصمها بالتبعية للأتراك، وبنفس نغمة القصائد العربية القديمة في صدر الإسلام كقصيدة الكميت والهمداني وغيرهم.

فهل ذلك مقبول منطقياً؟، ولماذا اتجه المزورون إلى هذه النغمة؟.

---

(١) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، ص٢٩٩، ٣٠٠، ٣٢٩، ٣٣٥.

(٢) ن د، ص١٧٢.

يلاحظ محاولة الضرب دائماً على وتر العصبية القحطانية في مقابل العدنانية في نزعة المزورين، وقد ألمح إلى ذلك محققوا الكتاب[١]، فما الذي سول للمزورين تحريف المقاصد في قصيدة علي الحفظي لدعم هذا التوجه؟.

يوجد في القصيدة بيت يشير فيه الشاعر إلى أنه يجدر بكل القبائل القحطانية أن تفخر بما فعلته عسير، على اعتبار أنه كان رجل علم شرعي يرى أن عسير لا تعدو أن تكون من قبائل شنوءة الأزدية التي أشارت لها بعض كتب السيرة في بلاد السراة والتي تنتمي إلى جذم قحطان فقال:

بأيدي رجال من شنوءة جذهم	*رقى بهم للمجد حذوة فرقد*
تداعى عليهم من صميم أصولها	*ثبات وجمع كالمحيط المزبد*
ففاخر بهم يا خاطباً فوق منبر	*على الناس فاقوا بالحسام المجرد*
فليهن بنو قحطان مجد فخارهم	*مدى الدهر في نادي بواد وأبلد*

وقد أغرى البيت الأخير المزورين لابتداع المنابزة على أساس الفروق العرقية في محاولة لفصل كامل الإقليم نفسياً عن بقية الوطن، وإحياء روح النعرة القحطانية مقابل العدنانية على مستوى الإقليم، بل وشق وحدة كامل الوطن، لذا سارعوا في تفسير البيت الذي يحمل كلمة "معد" بهذه الطريقة التهديدية للقبائل المعدية من قبل العسيريين، ولكننا عندما نقرأ الأبيات السابقة له والتي تأتي تكملتها بهذا البيت، فإن المعنى لا يتفق مع ما أرادت المجموعة إيصاله وهذه الأبيات السابقة لها:

توسمت الوسمي أما بكوره	*فمن نقا الدهناء سعدانها الندي*
وأما ثوانيه فإن زال ظعنها	*فمن حضن حتى الرشاء الممهد*
تعللها منه غواد فأشطأت	*بقول ورمث زهرها ذو تطرد*
فأضحت تسامى في سنام كأنها	*بجد تليع الهضب عالي التصعد*
فقال لمعدٍّ لا تغر بسرحها	*فتلقى كماة الحي جنباً بموعد*

والسرح لغةً هو المال السائم (أي الأنعام السائبة) في المرعى أو هو المرعى، وهنا الإشارة للدهناء التي تقع بين اليمامة وهجر حيث بكور الوسم، ثم إلى ما بين حضن إلى الرشاء حيث

---

(١) إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر القسم الثاني من الجزء الأول، ص٥٠، ٥١.

ثواني الوسم، وهي مواقع في شرقي بلاد اليمامة ووسطها، والتي لم يكن لمرعاها علاقة بعسير ولا بإماراتها في يوم من الأيام مطلقاً، ولم تكن حمى لحدودها كما ادعوا، فحوَّر صاحبنا المعاني ليصل إلى أن معدِّ المقصود هنا هو معد بن عدنان، وأن البيت يحمل تهديداً لقبائل معد في نجد إن هي تعدت على الظعينة التي تخص القبائل القحطانية في تلك الديار والتي تمثلها الإمارة العسيرية كما يقول، ومن المعلوم يقيناً بأن عسير في تلك المرحلة لم تكن لها يداً على الدهناء وما حولها، وليس لها حدود معها ولا مقاربة لها، ولا يوجد بها ظعينة تعني عسير بحمايتها، وأقصى ما يمكن أن يقبل من امتدادها شرقاً هو وادي الدواسر، ومن ثم فلا علاقة لهذه المواقع بعسير، كما أن القبائل القحطانية الموجودة في نجد لا علاقة لها بتاريخ عسير الحديث، وأيضاً فإنه لا يقبل المنطق أن يرسل الشاعر رسالة إلى ابن سعود يمتدحه بها ويهدده في نفس الوقت وهو الحنفي الربعي المعدي من التعدي على ظعينة قحطان في نجد، والأعجب أن لا يفهم ابن سعود معنى القصيدة ولا الشعراء بما فيهم ابن مشرف فيرد عليه بقصيدة يمدح فيها عسير !.

فالواضح أن كلمة "معدٍّ" الواردة في الأبيات هي اشتقاق من "تعدّا" بمعنى "تجاوز" وهي إشارة للمارِّ بالمرعى الغني من أثر المطر بما فيه من أنعام، وهي كلمة تستعمل بكثرة في اللهجة العامية في عسير ولكنها ذات أصول عربية فصيحة أيضاً، قال حميد بن ثور الهلالي:

عروض تعدَّت من تهامة أهديت لنجد فتاح البرق نجدا وأتهما [1]

وقوله "فتلقى كماة الحي" هي إشارة إلى فرسان الديار التي يتبعها السرح (المرعى)، بمعنى تحذير من يشاهد المرعى والأنعام بعد أثر المطر عليها من أن يغريه ذلك للتعدي عليها، لأن خلفها فرسان (كماة الحي) سريعي الاستجابة لحمايتها، والمعنى ينصرف إلى حكام نجد من الأسرة السعودية، وفي ذلك نوع من الإعلاء لشأن من كتب الشاعر وأرسل له القصيدة في نجد وهو الإمام فيصل الذي تربط عسير بأسرته روابط عقدية وسياسية وتاريخية منذ بداية القرن الثالث عشر، ولا يمكن أن ينصرف الحي في السياق على "حمى الحدود".

كما أن الحملتين العثمانيتين اللتين توجهتا إلى عسير لم تكنا عن طريق نجد كما زعم مزورو إمتاع السامر في تفسير حيثيات القصيدة في قولهم أن بها تعريض بأهل نجد لسماحهم للحملة بالمرور عبر بلادهم، فقد كان تاميزيه مرافقاً للحملة الأولى عام ١٢٤٩ـ١٢٥٠هـ وشرح خط سيرها بدءاً

---

(١) ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق عبدالعزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والكتب - القاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٣٧١هـ، ص٢٧.

من الطائف إلى لية ثم إلى رنية ثم إلى بيشة ثم إلى عيا ثم السليل ثم وادي بن هشبل ثم الخميس ثم بلاد عسير، أما الحملة الثانية والتي شنت في عام ١٢٥١هـ فكانت على ثلاثة محاور أحدها عن طريق القنفذة والثاني عن طريق درب بني شعبة والثالث عن طريق بيشة[(١)]، ولم تمر أي حملة عثمانية على عسير ببلاد اليمامة كما زعم المزورون، والقصيدة أرسلت عام ١٢٦٩هـ حسب رواية المؤرخين[(٢)]، وهو وقت متأخر عن أحداث حملة العثمانيين، فلم يحدث بعد عام ١٢٥١هـ أي هجوم عثماني على بلاد عسير كما ادعوا، بل حدثت بعض المناوشات والحروب حول بلاد غامد وزهران وبيشة وبلقرن ما بين عامي ١٢٥٣هـ و١٢٥٦هـ وكان ذلك أثناء غياب شريف مكة محمد بن عون في مصر، وبدأت بعدها مرحلة من التقارب وتبادل الهدايا انتهت بأن تحول عايض بن مرعي إلى والياً عثمانياً منذ ١٨ محرم عام ١٢٥٩هـ بعد أن أرسل التماساً بطلب الولاية مع مجموعة من المشايخ وأبدى طاعة للدولة العثمانية[(٣)] فصدر قراراً من مجلس الوكلاء العثماني بذلك مع التوجيه بإتباع رأي أمير منطقة مكة المكرمة ووالي جدة وإمام الحرم وقد عرض إسماعيل البشري نص وثيقة عثمانية تفيد بذلك ونص القرار ونص التوجيه[(٤)].

ونجد في الاندفاع إلى هذا التفسير ما يعطينا فكرة عن عقلية المزور الذي يريد الدفع إلى عزل إقليم عسير عرقياً وتاريخياً عن بقية مناطق الجزيرة العربية، على طريقة مؤرخي اليمن الشقيق الذين يحرصون على التمسك بتكريس فكرة تقسيم العرب إلى عرقين مختلفين على أساس خصوصية اليمن بالأرومة القحطانية، فحول قصيدة واضحة المعاني مهداة من أحد رجال العلم في عسير إلى الأمير فيصل بن تركي كنوع من الوفاء لعهد الولاء للدعوة في نجد، وإظهار الخط المشترك بين عسير ونجد في الدفاع عن مبادئ الدعوة ومقاومة الدولة العثمانية إلى قصيدة هجاء وغمز ولمز، وإثارة للنعرات القبلية والعرقية القديمة، وما هذا إلا جزء من حملة هذه الكتب لإثارة العرقية بطريقة قديمة بائسة، وربط تاريخ وهوية إنسان هذه الأرض ربطاً كاملاً بهذه الفكرة وشق صف وحدة الوطن، وهو ديدن مجموعة التزوير في كل الكتب المزورة كما أشار محققو الكتاب[(٥)].

---

(١) النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، الطبعة الاولى ١٣٨١هـ ص١٨٩.

(٢) ابن عيسى، ابراهيم بن صالح، عقد الدرر...، تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ، طبعة المئوية ١٤١٩هـ، ص١٣.

(٣) البشري، إسماعيل، إمارة أبو عريش، ص٥٤.

(٤) البشري، إسماعيل، نفس المصدر، ص٦٤، ٦٥.

(٥) ن د، ص١١.

١٦- في القسم الثاني من إمتاع السامر يقول:

إن العسيريين استعملوا المدافع التي كانوا يصنعونها من زبر الحديد ويحشونها بالبارود ثم بقطع حديدية مدببة فيطلقونها فتنفجر إلى شظايا أثناء حروبهم مع البرتغاليين في القرن الهجري التاسع وشاركتهم القردة في عملية الهجوم بهذه المدافع[(١)]، كما قاموا بتدريب القردة على ركوب الخيل وحمل السيوف والقتال والقيام بتنفيذ مهمات خاصة مشاركةً للعسيريين في مقاومة البرتغاليين[(٢)]، فكانت القرود تقوم بجمع الحيايا والعقارب التي دربت على الإمساك بها وتقوم بوضعها في السفن البرتغالية وتلتحم مع البرتغاليين بالسيوف[(٣)]، ويقول في موقع آخر أن القردة المدربة في عسير تقوم بصرم الذرة وتقطيعها ولف البرسيم عليها وتلقيم الثيران وتقوم بحماية الذرة من الطيور وتستخدم في ذلك المقلاع، كما تقوم ببناء الجدران وصرم الزروع وتمريط سنابل الشعير قبل نضجه لعمل السويق ونقله على الحمير إلى البيادر، وتقوم بحرث المزارع وتشطيتها وغرس الأشجار في مواسمها، كما تقوم بدوس الحب بالبقر وجدث الزروع إلى داخل الجرن، وتقوم بخرش الأرض بعد حرثها بالمخارش لتنقيتها من العروق كما تقوم بإرجاع ما يخرج من قصب الزرع خارج الجرين إلى داخل الجرين بعصي يسمونها الملافيح، وتقوم بقرن البقر في المقرن، كما كانت القرود تقوم بذري التبن في مهب الريح لإبعاده عن الحب، كما كانت تقوم بأعمال الخرازة والحدادة والنجارة والخصافة، وتحضير الطين وخلطه بالبطح (الرمل) وخلطه بحوافر البقر لبناء المنازل، كما تقوم القردة برعي الأغنام وتعليف البقر وتقوم على حراسة منافذ القرى في الليل وقد تنكبت القسي والكنانة على ظهورها وقد ملؤها[(٤)] بالسهام ينبلون بها عوادي السباع ولإخافة من يتسلل إلى القرية بعد الأوقات المعتادة، كما كانت القردة تقوم بحذو الخيل وتطبيب الحمير[(٥)].

(أجمل تعليق على هذا السرد كان لأحد الأصدقاء عندما تحدثنا حول هذه الجزئية فقال باللهجة العامية: "أجل من اللي كان ينقّز في الجبال ذاك الحين!!!!").

---

(١) ن د، ق٢ ج١، ص٣٢١، ٣٢٢.

(٢) ن د، ق٢ ج١، ص٣٢٣، ٤٢٤.

(٣) ن د، ق٢ ج١، ص٣٢٧.

(٤) هكذا وردت في المصدر.

(٥) ن د، ق٢ ج١، ص٣٢٨ - ٣٣٣.

• رغم وضوح جنوح المزورين في الجزء الثاني إلى المبالغة المتعمدة التي لا تخلو من الهدف، إلا أن فيما وضع هنا سخرية كبيرة بالمجتمع المحلي في عسير.

١٧ـ يقول في نفس المصدر:

"وكان في قرى السروات ومدنها أوقافاً يوضع من ريعها ما يؤمن به حاجة الحيوانات السائبة ومعالجتها وبينها الطيور والنمل والقردة والقطط والكلاب وسوائم النعم التي تهمل لكبر أو هزال أو جائحة كالكسر وغيره والتي تهمل في الأودية والمحاجر وهنالك فئة متخصصة تسمى البلاحطة نسبة إلى بلحط بن سلمة بن عنز بن وائل وعنز بن وائل تحالف بعض عشائره مع عنزة بن أسد بن ربيعة بن مضر بن معد بن عدنان ويعرفون في عنزة بأولاد وائل"[1].

• البلاحطة هم طبقة اجتماعية كانت موجودة في بلاد عسير وقحطان وشهران، وكانت تؤدي دوراً في المجتمع كغيرها، وارتبط مسماها بطريقة معيشتها كما هو حال بقية الطبقات الاجتماعية في عسير التي تتدرج حسب الحرف وطريقة الحياة، كـ"البلاحطة" و"الفيوض" و"الصناع" و"الرعيان" و"المحاحة" وغيرهم، وتتميز هذه الفئة بالفصاحة والصوت الجهوري وسرعة البديهة وبالجرأة، وارتبطت طريقة معيشتها بهذه الصفات، ولم تعرف كقبيلة موحدة يجمعها أصل واحد، فهم ذوي سحنات متفرقة لا تشابه بعضها، مما يدل على أن جزءاً كبيراً منهم من أبناء قبائل عربية أصيلة متفرقة ممن امتهن هذه المهنة فاعتبر من طبقتها، ربما لأنه لا يعرف عن عادات المجتمع الذي انتقل إليه، وهنالك الكثير من الروايات التي تشير إلى مثل هذه الحالات في المنطقة، وجزء آخر مختلف، وهي بهذه الصفات بالإضافة لطبقة "الصناع" و"الرعيان" تختلف عن بقية الطبقات الأخرى كـ "الفيوض" أو "النور" والتي تجمع كل منها صفات شكلية متشابهة، وقد تقدمت هذه الفئة وغيرها في هذا العصر علمياً وتجارياً واجتماعياً وأصبح بينها الكثير من الأطباء والمهندسين والأكاديميين ورجال الأعمال كغيرها من أبناء المجتمع في كافة إقليم عسير.

واستخدام فئات وطبقات المجتمع بشكل كبير ومتكرر وواضح المغزى في كتب المجموعة يدل على أخلاقيات تلك الخفافيش التي تتجرأ على المجتمع من الظلام.

---

(١) ن د، ق٢ ج١، ص٣٣٣.

١٨- يقول في كتاب "تاريخ عسير" على لسان ابراهيم الحفظي:

"إذا تحققت من ما بينا وتوضح لك ما به صرحنا من أن أول داع إلى الإسلام ببلد عسير فهو جدنا المذكور، وأن أول قرية بني بها مسجد في بلاد عسير وعمرت فهي قرية (رجال) ومسجدها في سنة ١١ بعد الألف"[١].

ثم يعلق المؤلف في الحاشية متدثراً بعباءة المحامي عن تاريخ عسير أمام الهجوم المزعوم لكاتب الوثيقة "ابراهيم الحفظي"، فيدعي أن "رجال" بلدة قديمة جاء ذكرها في القرن الخامس عندما احتلتها قوات الصليحي (الإسماعيلية) عام ٤٨١هـ[٢]، والتي تم طردها من قبل الأمير موسى بن محمد بن عبدالله (اليزيدي) الأموي وكانت تنافس مدينة حلي ومدينة محايل، ثم يعلق بخطأ ما ذهب إليه صاحب الوثيقة من أن جده بنى أول مسجد في عسير، مستدلاً على بطلان الدعوى ببعض ما أوردته مجموعة إمتاع السامر من دعاوى، مثل مسجد المخض الذي بني عام ٧٠هـ ومسجد جرش الذي يعود بناؤه إلى أيام الصحابي صرد بن عبدالله، ومسجد أبها الذي بناه حميضة بن النعمان البارقي عندما اتخذها مقراً له حين عينه عمر بن الخطاب ﷺ على بلاد السراة، واستشهد أيضاً بجامع أبها المسمى مسجد "بن فيفا" ويرجع إلى ١٧٠هـ والذي أعيد بناؤه عام ١٢٨٩هـ بعد أن دمره الأتراك على يد عبدالله بن برزان الشامي (كل ذلك حسب دعواه).

ثم يستشهد ببعض المراجع المذكورة أسمائها في مجموعة إمتاع السامر فيقول:

"وقد اختصر موسى بن جعفر تراجم علماء منطقة عسير من بيشة حتى صعدة، وكذلك الأفلاج ووادي الدواسر ونجران وتهامة عسير من الليث حتى ميدي، وذلك في كتابه "طبقات العلماء" وجمعه من الكتب التي تناولت هؤلاء العلماء من بداية الإسلام حتى عهده[٣]*"*.

- وفي هذه الرواية نرى عملية الابتزاز الذي تتبعه مجموعة الإمتاع بشكل سافر، فالرسالة هنا تقول، إما أن تصادقوا على ما تورده مجموعة إمتاع السامر من أكاذيب، وإلا فأنتم تصادقون على أنكم كنتم كفاراً لا تعرفون الدين الإسلامي فيما قبل.

---

(١) تاريخ عسير خلال خمسة قرون المنسوب لمحمد بن مسلط، ص٣٢، ٣٣.

(٢) ن د، ق٢ ج١، ص٣٢٤.

(٣) تاريخ عسير المنسوب لمحمد بن مسلط الوصال البشري، ص٣١، ٣٢، ٣٣.

فهنا شتم المزورون عسير باسم إبراهيم الحفظي ثم تلبسوا ثياب المدافعين عن عسير في مواجهة هذه الفرية باستخدام مصادرهم الهشة فقط، وكأنه لا يوجد مجال لتكذيب الدعوى إلا من خلال التزوير.

ومحاولة المزور إظهار نفسه بثوب المدافع عن عسير في الهوامش والرافض لما ورد في الرواية مستحضراً أكاذيب إمتاع السامر حول احتلال الدولة الصليحية لبلدة "رجال" في القرن الخامس ثم طرد الأمير اليزيدي المزعوم "موسى بن محمد بن عبدالله" لهم لاحقاً هو محض كذب لا تدعمه الروايات التاريخية لتاريخ الدولة الصليحية ولا بقية الممالك اليمنية في الكتب اليمنية حول تاريخ الممالك اليمنية التي كانت تمتد فيما بين طلحة الملك وعدن كما يلمح مؤرخ اليمن محمد الأكوع[١] والذي حدد طلحة الملك بموقعها المعروف حالياً على الحدود السعودية اليمنية[٢]، ولم تمتد على أي بلاد عسير.

وقد أشار المزور إلى تواريخ بناء بعض المساجد في عسير موافقاً لما ورد في كتب مجموعة إمتاع السامر، وأشار للمؤلفات المزعومة والتي وردت في نفس المجموعة كـكتاب "طبقات العلماء" لموسى بن جعفر.

وسرد هذه الأخبار والمعلومات التي انفردت بها الكتب المزورة كمنقذ لتاريخ عسير من اتهامه بالفوضى هو مجرد استدراج للعقول الساذجة للتمسك بروايات هذه المجموعة، مستغلين ما كان من نقص في الكتابة عن تاريخ بلاد السروات أثناء خروج كتب التزوير، بينما لو راجعنا التاريخ لوجدنا أن هنالك الكثير من الكتب المعروفة والتي تجعل ما ورد في الوثيقة المزعومة مثيراً للضحك، ولا حاجة لسرد الدلائل على خطأ هذه المعلومة إلا أننا مضطرون هنا إلى وضع إشارات لذوي العقول الصغيرة التي يتم شحنها بكل سهولة، فيكفي أن نشير إلى ما ورد في الحديث الشريف عن وفد جرش والتي تقع في قلب عسير وضمن إطار النطاق العمراني لمدينة أبها، وخبر معركة جبل شكر بقيادة الصحابي الصرد بن عبدالله ﷺ، ثم ما ورد في السيرة من تعيين الولاة على جرش وقبائل السراة من قبل النبي ﷺ ثم من قبل الخلفاء الراشدين مثل الصرد بن

---

(١) اليمني، عمارة، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، حاشية سفلية ص٥٦.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع،المصدر السابق، ص ٣٧٢، وقد علق المحقق محمد الاكوع في الحاشية على ما ذكره الهمداني حول طلحة الملك فقال في تعريف "طلحة الملك" بأنها: "قرية كبيرة بقرب ظهران الجنوب شمال صعدة"،... وهي كذلك بالفعل.

عبدالله، وأبو سفيان بن حرب[١]، وعبادة بن الأشيب[٢]، وسعيد بن القشب[٣] وعبدالله بن ثور[٤] وغيرهم، ومشاركة أهل السراة في معركة القادسية بقيادة حميضة بن النعمان[٥]، ثم ما ذكره الهمداني في القرن الرابع الهجري حول مساجدها الكبرى والتي ذكر منها مسجد قرية المسقي[٦] والتي تقع في قلب عسير بل وضمن النطاق العمراني لمدينة أبها، أو ما ذكره الربعي في القرن الخامس أثناء الرحلة إلى ترج عن المساجد والأسواق وبعض الرجال في قلب عسير والذين كانت بيوتهم محطات لإقراء ودليل الحجاج القادمين من اليمن مثل البذاخ العنزي[٧]، فكيف لمن يجعلون بيوتهم مواقعاً لإقراء حجاج بيت الله ويوقفون بعض أملاكهم لهذه الغاية أن لا يعرفوا بناء المساجد، ويكفي أن نعلم أن أكبر عدد من الأوقاف في المملكة العربية السعودية هو في منطقة عسير، بل إننا نجد أن هنالك الكثير من الأوقاف في القرى مما لا يعلم أهل القرية من الذي أوقفها لقدم وقفها بينما لا زالوا يتوارثون زراعتها وتقديم محصولها للمسجد، وقد عثر على إحدى الوثائق لأحد أجداد الأمير علي بن مجثل الذي توفي عام ١٢٤٩هـ والتي تنص على وقف قطعة زراعية لصالح حجاج اليمن وعابري السبيل الذين يمرون بمسجد القرية[٨]، أو لنقرأ ما ورد في كتاب "التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية" والذي ذكر رحلة عبدالله المؤيدي في القرن العاشر إلى عسير ثم إلى بلاد شهران ورفض العسيريين لمبايعته، ثم مبايعة بعض مشائخ القبائل الأخرى في جنوب الإقليم له وإقامته فيها اثني عشرة عاماً[٩]، فكيف يكون

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٧٠.

(٢) الكتاني، شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي (ابن حجر)، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤/ ص٢٦.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج٢/ ص٤٦٧؛ وانظر: العصفري، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ج١/ ص٦١.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج١٩/ ص٩٢.

(٥) تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـج ٢/ ص٣٨٣.

(٦) الهمداني، صفة جزيرة العرب، الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، ص٢٣٠، ٢٣١.

(٧) مفرح الربعي، سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين، ١٢٠- ١٤١.

(٨) أحمد آل فايع، دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، ص٥٧.

(٩) حاوي، محمد منصور، محاضرة بعنوان "رحلة الإمام عبدالله بن علي المؤيدي إلى تهامة وعسير في العشر الأخير من القرن العاشر الهجري - دراسة وتعليق"، الجلسة الثانية من اليوم الأول للقاء العلمي الثاني عشر للجمعية التاريخية السعودية بعنوان عسير وحضارتها عبر العصور الذي عقد بمدينة أبها خلال الفترة ١٧ - ١٩/ ٥/ ١٤٣٠هـ.

لهذا الداعي إلى مبايعته إماماً للمسلمين أن يستقر في المنطقة اثني عشرة عاماً دون أن يكون بها مساجد، وحتى النقوش الأثرية في منطقة عسير الكثير منها تكشف عن تعمق في الفهم الديني منذ بداية الإسلام، فقد كشف عن العديد من النقوش في مختلف أنحاء المنطقة منها مثلاً أربعة نقوش في جبال الفيئ بجوار مدينة "أبها" لأدعية وتضرع لأحد سكان المنطقة كتبت عام ١٩٨هـ تدل على عمق التدين وشيوع الخطابة الدينية وحسن الأسلوب، ويقول في أحدها:

"اللهم نور بكتابك بصري، واشرح به صدري، وأطلق به لساني، وطيب حسن بن أبا مفرح"[١].

ويكفي أننا نجد الكثير من المؤرخين قد خصوا أهل هذه الديار بالإشارة إلى شدة تدينهم، فهذه إحدى المقاطع التي وردت عن أهل بلاد السراة فيما بين صعدة إلى الطائف والتي تدل على ما عرف عنهم من التدين والتمسك بالعقيدة النقية، حيث نقل القلقشندي عن "مسالك الأبصار" نقلاً عن حديث "أبو جعفر بن غانم" قوله عن أهل السراة:

"قال: وأهلها أهل سلامة وخير وتمسك بالشريعة ووقوف معها، يعضون على دينهم بالنواجذ، ويقرون كل من يمر بهم، ويضيفونه مدة مقامه حتى يفارقهم"[٢].

وقد أوردت هذه الاقتباسات لتفنيد ما أورده المدلسون وإلا فلسنا بحاجة إلى تتبع الأخبار لإثبات أن هذه أرض مسلمين أهل نقاء عقيدة متمسكين بدينهم، دون الحاجة إلى أباطيل إمتاع السامر ومن زوروه.

١٩- في الجزء الثاني من إمتاع السامر يستكمل لنا طريقة تحرير بلدة "رجال" من أيدي الصليحيين بمساعدة القردة فيقول:

"كما دربت (القردة) على هدهدة الصخور أثناء صعود العدو من العقبات والشعاب والطرق ووضع الشجر على الممرات ثم إشعالها إذا توسطها العدو فتربكه إذ ليس له بد من التراجع أو التقدم أو الجنوح يمنة أو يسرة خوفاً من النار أن تلتهمه

---

(١) الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، و الأسمري، خالد بن فايز ، عسر حصن الجنوب الشامخ، دار القوافل للنشر والتوزيع - الرياض، ١٤٣٠هـ، ص٨٤.

(٢) القلقشندي، أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية ١٣٣٣هـ(١٩١٥م)، ج ٥/ ص٣٨.

وقد وقع بينها فهي أمامه وخلفه قد سدت عليه الطريق وكان أهل السروات يشركونها معهم في الحروب كما فعلت قوات عسير في حربها مع الصليحيين حينما دخلت وادي الصيق ووادي حلي الأعلى ووادي قريظة ووادي قضاعة ووادي ذهبان وتمركزت في محايل وفي بلدة رجال وذلك عام ٤٨١هـ، فإنها في تلك المعارك التحمت معهم في القتال مما أربكهم ومكن قوة قبائل رجال ألمع من هزيمتهم وقامت القردة بأسر الكثير من رجالهم وتجريدهم من أسلحتهم حيث كمنت لهم مع بني هلال وبعض قبائل خزاعة وكنانة ويرفا بن عثمان بن الهنو أهل خبت البقر.... إلخ"[1].

- كأني بهذه القردة وقد قرأت عن "حرب الغوَّار" جيداً واستوعبت رسالتها (القردية)، فقد رأيتها أطلقت العنان للحديث عن "جيفارا" وتنظيراته عن الثورة والثوريين، والقِرْدة والقرودين! (وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم).

٢٠ـ في (ن د) في ترجمته لعبد الرحمن بن عايض بن مرعي يقول:

"وأمه سرا بنت مشيط بن سالم الرشيدي الحبابي القحطاني شيخ قبائل شهران"[2].

- لا يطلق أحداً على أي أسرة تتسنم مشيخة قبيلة لقباً ينتمي إلى قبيلة أخرى على الإطلاق، فهم شيوخ قبيلة يفترض أنهم جزء منها حسب المفهوم القبلي، بغض النظر عن صحة أصولهم القديمة، وأن يكون جد أسرة المشيخة في أي قبيلة أساساً يعود في نسبه إلى قبيلة أخرى فهو أمر وارد، فالكثير من مشائخ القبائل في منطقة عسير تحمل الذاكرة الجمعية في المنطقة أنهم ينتسبون إلى قبائل أخرى وصلوا إلى منصب المشيخة إما بأوامر حكومية أيام الدولة العثمانية التي حولته إلى منصب حكومي، أو بالاستيطان والمحالفة، فالاستيطان والتحالف كما هو معروف يجعل المستوطن جزءاً من القبيلة بمجرد ذبح "شاة الغرم" ومن ثم فقد يتقدم أحد أحفاده لأي سبب ليتولى مشيخة القبيلة الجديدة بعد أن يُنسى مصدره السابق والذي هو أيضاً قد لا يكون نهاية أصوله الحقيقية، فالناس في هجرات وتحالفات منذ أقدم العصور، ولكن الإشارة هنا صيغت بطريقة تحمل مفارقة ذات بعد استفزازي لا يخفى على ذي اللب، فهو وكحالة نادرة يسمي أحد الأشخاص بإسم "القحطاني"، ثم يشير إلى مشيخته على قبيلة (شهران) في نفس الجملة

---

(١) ن د، ق٢ ج١، ص٣٢٥.

(٢) ن د، ق٢ ج١، ص٢٤٥.

وهذه القبيلة التي هو على مشيختها نلاحظ وجود محاولات كثيرة لانتقاصها في الكتاب وبقية كتب المجموعة، والتطاول على تاريخها وأنساب مشائخها وقبائلها، وتهميش دورها التاريخي، ولا شك أنه يعي معنى ما ذكره هنا من الناحية القبلية جيداً قبل أن يكتبه، وهنا نجد المراوحة ما بين تصفية الحسابات التاريخية مع الأسر والقبائل مستمرة، فقد كان لقبيلته شهران وابن مشيط موقف مؤيد للملك عبدالعزيز ضد حسن بن عايض، ما جعله وقبيلته هدفاً لتصفية الحسابات، مع أن قبيلة شهران كانت من أكثر القبائل مناصرة لعسير في عهد الإمارات العسيرية عبر التاريخ، ودفعوا ثمن هذه المناصرة من مزارعهم وبيوتهم وأملاكهم، كما حدث عام ١٢٥٠هـ، مما يفترض معه أن يقدم لهم الشكر والامتنان والعرفان لا محاولة الانتقاص من قبل من يدعون الحديث باسم عسير.

٢١- في (ن د) بنفس الطريقة التي ذكرنا في الفقرة السابقة، تصرف المزورون بقبيلة عسير ورموزها التاريخية كثيرا سنورد منها التالي:

أولا: أورد المزورون قصيدة على لسان الحاكم في حينه (حسن بن عايض)، ذكروا أنه وجهها إلى شيخ علكم (أحمد بن حامد) يلومه فيها على ميله إلى الإدريسي، ثم يتحدث فيها عن وجوب الوفاء لعسير وبطريقة تحمل الكثير من الفوقية، ومنها:

فيا وجه كعب تنبه فقد ... علا الشك هل ترتضي بارتداد

ويستمر إلى أن يقول:

أبا عائض درعك المرتجى ... عسير إذا حم يـــوم الطـــراد
فما رفع المرء إلا الوفـــاء ... فيغـــدو كريماً رفيـــع العماد [1]

ثم في الحاشية يقول في تفسير من هو كعب المقصود في البيت بقوله:

"كعب بن الحارث المذحجي، وهو أبو قبائل متعددة تنتمي إليها قبائل عبيدة بنت عدي بن ربيعة الوائلي".

وعبارة "فيا وجه كعب" التي وردت على لسان حسن بن عايض مخاطباً احمد بن حامد وتفسيرها الذي ورد في الحواشي السفلية في الكتاب، تعني في المفهوم القبلي المحلي في بلاد

---

(١) ن د، ص٤٣٣.

قحطان أن آل عايض وآل حامد ينتمون نسباً إلى "كعب بن الحارث المذحجي"، بما يشير إلى أن الطرفين كانا يتحدثان كطبقة حاكمة لقبيلة عسير تنتمي إلى قبيلة مذحج وبالضبط إلى عبيدة حسب الإشارة في الحاشية، ثم يوصيه بالوفاء لعسير.

وقد أيد مصدر آخر من مصادر المجموعة ذلك حول أسرة أحمد بن حامد فقد أطلق عليه في (ع ك) "أحمد بن حامد الوهابي" نسبة إلى قرية الوهابة بعبيدة(١).

- بخصوص آل عايض فلا أعلم كيف يمكن فهم هذه الإشارة برغم ما أتخموا به مؤلفاتهم عن تسلسل نسب آل عايض إلى يزيد بن معاوية، وحماس نفس الأسرة لذلك !.

وآل عايض في الحقيقة لم يرد عنهم أو عن سواهم أن لهم صلة بقحطان ولا بكعب بن الحارث ولا بعبيدة، ولو سلمنا جدلاً بأن في ذلك أي شيء من الصحة بينما خبأوه طوال هذه الفترة فهذا أمر غريب، لأن قحطان قبيلة كبرى من المفترض أن ينتصر بها آل عايض قبل سواها، لا أن يتنكروا لها على مدى مائة وخمسون عاماً مضت قبل أن تظهر هذه الإشارة.

ثم كيف لنا أن نفهم هذه الإشارة ووالد من نسبت له الأبيات أعلاه كان يبز قبائل المنطقة في مفاخرته بعسيريته بشكل استفزازي لا يمكن أن يقوله من يعرف عن نفسه انتمائه إلى إحدى القبائل الأخرى المجاورة التي يحاول أن يقلل من قيمتها عندما يقول:

ونحن عسير الهول من ينطح الكــرب	*وحن فوق جمع الروس تر حن شهابها*
وذا قول من لا يحسب الغيض والرضا	*من اسم القبايل بعــدها واقترابهــا*(٢)

فهل من المعقول أن يقول ذلك من يعلم أنه ينتمي إلى إحدى القبائل المجاورة لعسير؟!، كما أننا لم نجد على مدى عشرين عاماً من ظهور هذه الإشارة أي مصدر آخر يدعم الفكرة في قبيلة عبيدة ولا كافة قحطان، لا على مستوى الكتابة ولا الذاكرة الشعبية.

وحتى لا تتحول الانتماءات القبلية إلى مزادات ووسيلة للاستقطاب والسخرية بالمجتمع، فيجب أن ننبه إلى أن الحقائق على الأرض لا تدعم المصادقة على وجود أي صلة لآل عايض بقبيلة عبيدة، فمسمى "مرعي" والذي كان يحمله والد عايض هو اسم غير متداول في قبيلة عبيدة ولا كل القبائل الشرقية، بل يكاد يكون من الأسماء النادرة في الجزيرة العربية بل وكامل

---

(١) النعمي، أحمد بن حسن، عسير في مذكرات سليمان الكمالي، المطبعة الحديثة - القاهرة، ص٨٥، ١١٠.

(٢) عبدالرحمن آل حامد، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، نادي أبها الأدبي، ٢٩.

الوطن العربي عدى مناطق الحجاز (الجزء المشرف على تهامة من بلاد السراة)، أو أصدار تهامة الملاصقة لها، أو في مصر.

كما أنه لم يرد أي إشارة سابقة إلى هذه المعلومة لا على مستوى المدون ولا على مستوى الذاكرة الشفهية في عسير ولا قحطان، وهو أمر مستحيل في ظل وجود أي أساس له.

كما أن علاقة آل عايض منذ بداية وصولهم للسلطة وحتى نهايته بقبيلة عبيدة وقحطان كافة تدل على عدم وجود أي صلة لهم بها، فقد كانت قبيلة عبيدة بل كل قبيلة قحطان هي الأقل حضوراً في فترة عايض بن مرعي وابنه محمد، كما أن عايض شن حملات عسكرية على قبيلة قحطان كانت الأولى عام ١٢٥٨هـ بعد حملته على أهل الجهرة والحقو[١]، ثم شن حملة تأديبية - كما وصفها الشيخ هاشم - على قبيلة عبيدة في تثليث ضمن حملته على جهات المشرق عام ١٢٦٨هـ[٢]، كما أن قبيلة قحطان مالت للإدريسي ضد عسير بعد استلام حسن بن عايض للسلطة من الدولة العثمانية، ودخلت إلى جانب الإدريسي ضده في معركة البطحاء عام ١٣٣٨هـ[٣]، ما أدى إلى قبض حسن بن عايض على مشايخ قحطان بعد المعركة وفرض الإقامة الجبرية عليهم في أبها كما يقول د. محمد آل زلفة[٤]، ثم اتجه مشايخ قبائل قحطان وشهران وغامد بعد ذلك لمراسلة الملك عبدالعزيز للاستنصار به ضد بن عايض في عسير بعد هزيمة الإدريسي[٥]، ثم دخلت قبائل قحطان وشهران إلى جانب جيوش الدولة السعودية عام ١٣٣٨هـ في حجلا والتي قدمت لإسقاط حكمه[٦]، ثم في أحداث عام ١٣٤٠هـ كانت قبيلة قحطان في الخميس ضمن القبائل المناصرة لفهد العقيلي ضد عسير[٧]، لذا فإن جيش عسير الذي كان حسن بن علي بن عايض على رأس السلطة في بلاده اتجه بعد معركة الخميس إلى غزو بلاد رفيدة وعبيدة حتى وصلت جيوشهم قرية آل عابس من آل الصقر في أقصى جنوب بلاد عبيدة[٨].

---

(١) النعمي، تاريخ عسير...، ط١، ١٣٨١هـ، ص١٩٧.

(٢) النعمي، تاريخ عسير...، ط١، ١٣٨١هـ، ص٢٠٠.

(٣) هاشم النعمي، تاريخ عسير...، ط١، ١٣٨١هـ ص٢٤٨.

(٤) آل زلفة، دراسات في تاريخ عسير الحديث، ط١، ١٤١٢هـ، ص٧٢.

(٥) آل زلفة، دراسات في تاريخ عسير الحديث، ط١، ١٤١٢هـ، ص٧٥.

(٦) آل زلفة، دراسات في تاريخ عسير الحديث، ط١، ١٤١٢هـ، ص٧٣.

(٧) رفيع، المصدر السابق، ص٢٥٦.

(٨) وثيقة ابن إلياس، انظر نص الوثيقة في كتاب تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية، لغيثان بن جريس، ط١، ١٤٢١هـ، ص٢٧.

ومن هنا وكما نرى من خلال الأحداث التاريخية، فمن الواضح أن عبيدة بل وكل قحطان كانت في فترة وجود عايض بن مرعي وابنه محمد ثم في فترة استلام حسن بن عايض للسلطة من أقل قبائل المنطقة علاقةً بالسلطة في عسير، فقد كانت عبيدة بل وكافة قحطان أكثر ميلاً لأعداء سلطة آل عايض، بينما كانت علاقتهم بالإمارة العسيرية قبل ذلك فيما بعد عام ١٢٢٠هـ وخاصة في عهد طامي بن شعيب أقوى مما هي في عهد آل عايض، حيث شاركت عبيدة في جيوش عبد الوهاب بن عامر المتحمي في نجران عام ١٢٢٠هـ[١] وفي جيوش طامي في الهجوم على بحرة عام ١٨١٤م[٢]، وهذا أمر يجعلنا نستبعد وجود معلومة لدى عايض بن مرعي ولا من بعده من أبنائه وأحفاده ولا لدى قبيلة قحطان المجاورة لعسير بوجود أي صلة نسبية لآل عايض بهم طوال فترة حكمهم بل وحتى الآن.

أما بخصوص إشارته حول نسب أسرة آل حامد الأساسي، فلا علم لي بمدى صحة ذلك، وفي حالة صحة أنهم ينتمون أساساً إلى قبيلة عبيدة كما تحمل الذاكرة لدى بعض العامة حسب ما يشير أحد أبناء هذه الأسرة[٣]، فإنه نسب كريم لا شك في ذلك، ولكنني وجدت أنهم يرفضون صحة ذلك[٤].

ومن الجدير بالذكر هنا الإشارة إلى ما ألمحنا إليه في هذا الكتاب، من أن من حيل هذه المجموعة أنها في الوقت الذي تشرق وتغرب فيه بأنساب الأسر في عسير حتى على المستوى القبلي المحلي، فإنها تتعمد إعطاء هذه الأسر التي أخلتها من انتمائها المعروف عمقاً في التاريخ العسيري، ودوراً محورياً في أحداثه على غير المستفيض للمصادقة على هذه الأخبار، وفي محاولة من الجانب الآخر لخلط الأوراق وإثبات أن من كانوا يديرون التاريخ العسيري لا علاقة لهم بالأرض التي احتضنت الأحداث، بما يحول الدور الريادي المعروف لها في التاريخ إلى دليل على الضعف والدعة والخمول، فهي تشير هنا لنسب آخر لأسرة آل حامد إلى غير القبيلة التي تقوم على مشيختها، وعلى الجانب الآخر نجد أنها أوردت لها عمقاً وأدواراً مهمة في التاريخ العسيري منذ وقت مبكر على غير المتعارف عليه.

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ص٢٩٠.

(٢) بوركهاردت، جون لويس، البدو الوهابيين، ترجمة محمد الأسيوطي، دار سويدان - بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص٢٨١.

(٣) آل حامد، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، نادي أبها الأدبي، ١٤٢٦، حواشي سفلية، ص١٦٣.

(٤) آل حامد، نفس المصدر السابق، ص١٦٤.

فقد جاء مثلاً في كتاب "عسير" لمحمود شاكر الذي كان ينهل من هذه المصادر أن قبيلة شهران قد غزت قبيلة آل الغمر وأخرجتها من شهران فقصدوا الأمير الذي سماه "محمد بن أحمد اليزيدي" في عام ١١٨٣هـ فأرسل معهم جيشاً بقيادة ثلاثة من القادة كان أحدهم جد أسرة آل حامد الذي أسماه "سليمان بن عايض الهراوي" ومعهم جيوش من قبيلتي علكم وبني مالك، فهزموا شهران وقتلوا أميرهم أبي السرح ونصبوا سالم بن حسين الرشيدي "الحبابي" أميراً على شهران[١]، ثم يقول في موقع آخر من الكتاب وفي بقية المصادر[٢] أن العسيريين أرسلوا "حامد بن أحمد بن علي بن مبارك بن سليمان الهراوي" والذي يفترض أنه جد هذه الأسرة إلى "حمود أبو مسمار" مع "أبو زوعة" عام ١٢٣٣هـ طلباً للمساندة في مقاومة الجيوش العثمانية[٣].

وأسرة آل حامد هي أسرة كريمة، ولكن الذاكرة الجمعية في عسير والمصادر التاريخية لا تدعم ما نسب إليها من أدوار في هذه المصادر، فالذاكرة العسيرية تربط وبقوة ظهور آل حامد وبروزهم بوصول "أحمد بن محمد بن حامد" إلى مشيخة قبيلة علكم على إثر حادثة في وادي تيه عام ١٣٢٢هـ في عهد الإدارة العثمانية لعسير كما أشار إلى ذلك وإلى هذه الحادثة أحد أبناء هذه الأسرة[٤].

والحقيقة أنه لم تشر إلى ما أورده محمود شاكر أي الكتب التاريخية خارج إطار مجموعة إمتاع السامر والتي لا يشكل كتاب محمود شاكر إلا واحداً منها بصفتها كانت تمثل مصادر معلوماته الشفهية التي لا تتطابق إلا مع كل ما ورد فيها، فكل معلوماتها المرافقة للخبر خاطئة، فلم يرد في أي مصدر خارج مصادر الإمتاع أنه كان هنالك أميراً لعسير اسمه "محمد بن أحمد اليزيدي"، كما لم يرد أن هنالك من اسمه "سليمان بن عايض الهراوي" كان له نشاط سياسي في عسير في تلك المرحلة، كما أن مشيخة قبائل غرب شهران في الخميس وما حولها كانت في أسرة آل الحفارص قبل الدولة السعودية الأولى كما تشير وثيقة المؤيدي[٥]، مما يدل على أن المعلومة كلها مضطربة ولا تملك أي مقومات الوجود، ولكنها أصبحت معلومات تاريخية ينقل عنها الآخرون[٦]، مع ما فيها من تطاول على تاريخ قبيلة عريقة لها قيمتها كقبيلة شهران.

---

(١) شاكر، محمود، عسير، ص١٤٩، ١٥٠.

(٢) عبدالله بن مسفر، أخبار عسير، ص٧٥.

(٣) شاكر، محمود، عسير، ص١٦٦.

(٤) آل حامد، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، نادي أبها الأدبي، ١٤٢٦، ص١٦٤.

(٥) المؤيدي، محمد بن عبدالله (أبو علامة)، التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية، مخطوط بالجامع الكبير بصنعاء، ورقة ٣٢٢ وما بعد.

(٦) آل فايع، أحمد، دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى..، ص٣٠٦.

ثانيا: ورد في كتاب "تاريخ عسير" المنسوب تحقيقه لمحمد بن مسلط في تعريف "محمد بن عامر أبو نقطة" مايلي:

"محمد بن عامر بن محمد بن أحمد بن علي بن ابراهيم بن موسى الملقب بأبي نقطة، وعرفت أسرته بهذا اللقب فيما بعد، والأسرة من (آل متحام) من بني ثوعة بالحلف، وبنو ثوعة من رجال ألمع، وآل متحام من قادة آل يزيد.

كان موسى أبو نقطة بن علي أميراً على القنفذة للأمير عبدالرحمن بن علي من آل يزيد أمراء عسير ١٠٤٥ ـ ١٠٥٥هـ وتمكن من صد أشراف مكة عن حلي عندما أرادوا ضمها إلى مكة، إذ جاء نجدة لموسى بن إبراهيم بن دريب اليعقوبي الحرامي أمير حلي، وكان شريف مكة يومها زيد بن محسن.

توفي موسى أبو نقطة عام ١٠٥٥هـ وتولى أمر القنفذة من بعده ابنه ابراهيم، وفي عام ١٠٨٠هـ استطاع سعد بن زيد بن محسن شريف مكة أن يحتل القنفذة، فخرج ابراهيم بن موسى منها بمن معه لدعم أمير حلي الجديد الذي استنجد به، وهو عيسى بن موسى الدريبي، فأعاده ضد الثائرين عليه، وثبته في الإمارة مكان أبيه، واستطاع بعد مدة العودة إلى القنفذة ودحر الأشراف، وتسلم إمرتها ثانية، ولكن استدعاه أمير عسير عبدالرحمن ابن علي، فسار إلى السراة وترك ولده علياً مكانه أميراً على القنفذة، ولا زالت أسرته هناك، ومعروفة بالمتاحمة.

عين أمير عسير عبدالرحمن بن علي شيخاً على قبيلة رفيدة ابراهيم بن موسى، وكانت مشيخة رفيدة في آل الفضيل، ولكن تظلم أحد أفراد القبيلة من شيخهم سعد بن ناصر الفضيلي مما جعل أمير عسير يستبدله بإبراهيم بن موسى المتحمي، وبعد وفاته آلت المشيخة إلى ولده سليمان الذي ضم إليه أمير عسير يحي بن عبدالرحمن مشيخة ربيعة أيضاً، ونحى عنها آل أبي حشر، وبعد مدة عاد إلى ربيعة ورفيدة مشائخها السابقين من آل فضيل وأبي حشر، وبعد مدة عاد إلى ربيعة ورفيدة مشائخها السابقين من آل فضيل وآل أبي حشر"[1].

- نلاحظ هنا محاولة تجريد أهم الأسر العسيرية والتي تمثل الرمز الأهم في التاريخ العسيري الحديث من انتمائها المحلي، كما نلاحظ الاستخفاف بالإنسان فوق هذه الأرض من خلال

---

(١) تاريخ عسير المنسوب لمحمد بن مسلط، ص٥٤، ٥٥.

نفي أي صفة له أو رأي أو دور في تاريخه على امتداد الزمن، فالرواية هنا كغيرها الكثير في هذه الكتب تلمح إلى أن أمراء آل يزيد بن معاوية كانوا يحضرون المشايخ للقبائل المحلية في عسير من قبائل أخرى، ويتصرفون بكل حرية فيقبل الناس هنا ما يرفضه الآخرون، وكأن صاحبنا اطمأن إلى عدم وجود من قد يتنبه إلى مثل هذه الأمور بين السطور من اللاهثين خلف المكاسب العشائرية الصغيرة التي تكال لهم بالجملة، كما نلاحظ هنا محاولة تصفية الحسابات وإثارة المشاكل حول مشيخة آل المتحمي على قبيلتهم.

ومعلومات المزور هنا واضحة الخطأ، فناهيك عن عدم وجود أي ذكر في كل المراجع التاريخية للإمارة اليزيدية من الأساس فإن هنالك توثيق معاصر على الوضع السياسي في هذه الفترة من شاهد عيان ينفي صحة هذه الأخبار جملة وتفصيلاً، فعسير في تلك المرحلة لم يكن بها أي أثر لإمارة موحدة حتى على مستوى قبيلة عسير ذاتها، وهو ما أورد تفاصيله عبدالله المؤيدي عندما زار المنطقة واستقر بها في بدايات القرن الحادي عشر، وأشارت الوثيقة لتعدد القيادات القبلية في قبيلة عسير ومنها مشيخة بني مغيد التي كانت بيد آل مدحان الذين لم يرد لمشيختهم ذكر في كتب مجموعة التزوير.

فالمزور ربما علم بوجود بيت يسمى المتاحمة في القنفذة فحاول ربط كل عشيرة آل المتحمي الحقيقيين في بلاد عسير بهم، كما هي عادة مجموعة إمتاع السامر في ربط كل اسم له ما يشابهه خارج عسير بالاسم البعيد، وبنشاط أجداد آل عايض، وغفل صاحبنا عن حقيقة أن هنالك متاحمة أيضاً في القحمة وفي مسلية، وأن هذه المناطق يجمع بينها استقرار أمراء آل المتحمي بها أثناء إمارتهم لعسير، فعبدالوهاب وطامي بن شعيب ويحي بن شعيب ومحمد بن أحمد المتحمي كانوا مشاركين في حملات الأمير عبدالوهاب المتحمي على مناطق تهامة وعلى شريف مكة، فقد خرج عبدالوهاب بجيشه من عسير عام ١٢١٨هـ وغزا حلي والقنفذة واستقر في القنفذة واتخذها منطلقاً لضرب السفن العثمانية وسفن شريف مكة وبقي ومعه المتاحمة والجيش العسيري في القنفذة لمدة سبعين يوماً[١] وهو ينطلق منها إلى البحر وإلى السعدية ويلملم والليث وكل البلاد المجاورة التي أخضعها، وعندما فتح الليث انتقل ليستقر فيها حتى دخل مكة، وبقي مقره مقراً للحامية العسيرية في القنفذة بعد ذلك، كما استقر طامي بن شعيب خلال إمارة محمد وعبدالوهاب أبو نقطة المتحمي في القحمة وهنالك قرية في القحمة اسمها "المتاحمة"، ويذكر متاحمة القحمة أنهم ينتمون إلى طامي بن شعيب

---

(١) آل فايع، دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الاولى في عسير وما جاورها، ط١، ١٤١٧هـ ص١٧٨.

المتحمي عندما أقام في القحمة وأنجب فيها وعاد إلى عسير، كما اتخذ له قصراً ومزارع وجوارٍ في قرية مسلية بالقرب من بيش في عهد إمارة ابن عمه عبدالوهاب بن عامر، لذا لا يستغرب أن تحمل المواقع التي أقاموا بها اسمهم بصفتهم أعلاماً مشهورة، أو لبقاء بعض نسلهم بها، ولكن لم يكن هنالك متاحمة في القنفذة ولا في القحمة ولا في مسلية ولا كل تهامة قبل عام ١٢١٥هـ، ولم يرد أي ذكر لمسمى المتحمي في تلك المرحلة، ولا قبلها في تلك الجهات التي عني مؤرخوا المخلاف واليمن ومكة بأخبارها سوى لآل المتحمي في طبب في بلاد عسير، ولو كان لهم أي صلة بتهامة فيما قبل ذلك لما فات ذلك على البهكلي التهامي المتعصب مع ما يحمله من موقف تجاه أهل السراة كافة، وهو الذي عاصر بداية ظهور محمد وعبدالوهاب أبو نقطة المتحمي وأشار إلى نسبهم الرفيدي والعسيري وأشار إلى بداية انطلاقهم من طبب، ولما فات أيضاً على دحلان الذي أوفى تاريخ منطقة القنفذة وما حدث لأميرها أبي بكر بن عثمان الذي كان مرتبطاً بشريف مكة في حينه من حروب مع عسير وسواها، وقد روى حروب عبدالوهاب مع الشريف ولم يورد سوى أن عبدالوهاب أمير عسير ويعني بها (القبيلة)[1]، لذا فهذه المسميات لا تتجاوز أن تكون ناشئة عن بقاء بعض نسلهم بها بعد استقرارهم بها، أو ارتباطها بهم إسمياً لاستقرارهم فيها فترة من الزمن لقيادة جيوشهم كما أسلفنا أو اتخاذها مقراً للقيادة، فحملت اسمهم ثم حمله كل من استقر في الموقع أو حوله بعد ذلك.

ولكن لا غرابة في أن نرى مثل هذا الحديث عن أسرة آل المتحمي، فالمزورون لم يستثنوا أحداً في الجزيرة العربية من التبعية لسلطة أجداد آل عايض بما في ذلك الأسرة السعودية.

ثالثاً: ص٢١٧ (ن أ) بنفس الطريقة يتجه المزورون إلى أسرة أخرى تتسنم مشيخة قبيلة عسيرية أخرى وهي أسرة آل مفرح شيوخ قبيلة بني مغيد، فيضعون لها نسباً آخر لا يمت لقبيلتهم بصلة، حيث ورد في الحاشية في تفسير إشارة سليمان بن سحمان في قصيدته إلى حصن آل عواض وآل مفرح ما يلي:

"آل مفرح: أولاد محمد بن مفرح بن أحمد بن عبدالله بن ابراهيم بن يزيد بن حسن من آل مضيم الدوقي (من دوقة)"[2].

---

(١) دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٨٠.

(٢) ن د، ص٢١٧.

- محمد بن مفرح "المضيمي" كما أروده المزورون، ورد بإسم "محمد بن مفرح المغيدي" لدى بقية المؤرخين[1] وهو أحد الرموز التاريخية العسيرية، فهو من القادة العسيريين خلال فترة حكم "علي بن مجثل" وما بعده، وكان أحد الذين بيدهم الحل والعقد في عسير في عهد وصاية عايض بن مرعي ثم ابنه محمد على السلطة، وتتسنم أسرته حالياً مشيخة قبيلة بني مغيد، ولم يعرف على مستوى الذاكرة الشعبية ولا في أي المصادر التاريخية أي أساس لما ذكره المزورون له من نسب هنا إطلاقاً، فلم يعرف أن آل مفرح ينتمون إلى "آل مضيم" ولا إلى "دوقة"، فهم من الأسر العسيرية العريقة التي لها دورها في التاريخ العسيري منذ القدم.

ونلاحظ محاولة فصل أمراء عسير مثل آل المتحمي وسعيد بن مسلط وعلي بن مجثل ناهيك عن من وصل للسلطة بعدهم عن انتمائهم المحلي وضمهم إلى النسب اليزيدي الأموي المزعوم، أو أنساب أخرى، ثم التمادي إلى فصل المشيخات القبلية المحلية في عسير عن بيئتها، بل وفصل بيوت العلم والأسر العسيرية المعروفة أمثال آل "أبو زوعة"[2] و"أحمد بن ضبعان"[3] و"محمد بن مفرح"[4] وغيرهم كثير من بيوت العلم والمشيخة والقيادة عن انتمائهم لقبائلهم المحلية، ومحاولة تشتيت انتماءات القرى المتجاورة، والتشكيك في نسبها، بالإضافة إلى تجريدها من أي دور تاريخي في تاريخ عسير الحديث الحقيقي المعروف الذي يتم تجييره لقبائل أخرى من كل أنحاء الجزيرة العربية، مع محاولة إعطاء أهل الدار في المقابل مكاسب تاريخية عشائرية صغيرة لا أساس لها وغير قابلة للثبات معظمها ترتبط بقرارات أجداد آل عايض فقط، وهي مكاسب تنفيها تماماً بقية رواياتهم، ومن الغريب أن نجد من يتمسك بهذه الروايات الهشة بين هذه القبائل، فما المعنى من زعمهم بأن بني مغيد هي التي حملت عصبيتها حماية بني يزيد بن معاوية منذ القرن الثاني أو أن جد آل عايض رتب القبائل ووضع بني مغيد في المقدمة كما يدعون إذا كان يتصرف في كل شئونها بما فيها مشيختها التي يحضرها لها من الآفاق، وإذا كان كل قادة الحروب يستقدمون من قبائل أخرى، والجيوش أيضاً تأتي من قبائل أخرى حسب الروايات المرافقة، وإذا كانت بقية المصادر لا تؤيد هذه الرواية الهشة.

---

(١) ١ـ النعمي، هاشم، تاريخ عسير، ط١، ١٣٨١هـ ص١٩٥.

٢ـ العقيلي، محمد بن أحمد، المخلاف السليماني، دار اليمامة - الرياض، الطبعة الثانية عام ١٤٠٢هـ ص٥٤٥.

(٢) ن أ، ص٢٦٤.

(٣) الضمدي، الحسن بن احمد، الدر الثمين، المنسوب تحقيقه إلى عبدالله بن حميد، بدون دار نشر، ص٧٦ - ٧٨.

(٤) ن د، ص٢١٧.

٢٢- أطنبت هذه المصادر في الحديث عن إقليم عسير كإحدى المحافظات اليمنية التي كانت تتفاعل مع بقية أجزاء وممالك اليمن تحت قيادة آل يزيد إلى أن اقتطعتها الدولة السعودية من اليمن[١]، وأخطر هذه الإشارات ما يتعلق بالحالة السياسية لعسير قبل عام ١٣٣٨هـ أي قبل دخولها في الدولة السعودية الحديثة لكون ذلك ذا أثر كبير في تحديد هويتها السياسية في حالات المفاوضات أو اللجوء للتحكيم الدولي، خاصة فيما قبل اتفاقية الحدود النهائية التي تمت بين البلدين، وهذه بعض المقتطفات من الدسائس التي وضعت في كتاب "تاريخ عسير" الذي نسب تحقيقه إلى "محمد بن مسلط" والذي تحدث عن ارتباط عسير باليمن قبل دخول الدولة السعودية لعسير وما واكبها من أحداث بين عامي ١٣٣٨ و١٣٤٢هـ وعن شمول نفوذ إمام اليمن على عسير، مخالفاً لجميع الروايات التاريخية المعاصرة في عسير وفي كل المملكة العربية السعودية وفي اليمن وفي كل المصادر، ونلاحظ أن هذا الكتاب ظهر للعلن بعد إعلان الوحدة اليمنية ١٩٩٠م وقبل اتفاقية الحدود السعودية اليمنية عام ٢٠٠١هـ وهذه بعض النصوص المعنية:

أ- يقول على لسان ابن مساعد فيما زعموا أنه رسالة وجهها للرد على الملك عبدالعزيز بعد دخول قوات الدولة السعودية لعسير عام ١٣٣٨هـ ما يلي:

"و ابن حميد الدين قد دخلت قواته إلى عسير من الجنوب في الوقت الذي كانت المعارك تدور بيننا وبين قوات آل عائض واستولى على صعدة، ونجران، وبلاد سنحان، وأن قواته الآن متمركزة في "سراة عبيدة" وقد لمناه على تصرفه فرد علينا رداً قاسياً، إذ طلب منا الارتحال من عسير..." إلى أن يقول: "وجاءنا جواب من ابن حميد الدين فيه تهديد ووعيد إن لم نترك عسير"[٢].

ب- يقول في تحليله لدوافع الملك عبدالعزيز لاحتلال عسير ما يلي:

"وعندها رأى أنه لابد من العمل قبل أن يشتد آل عائض ويتفوقون بانتصاراتهم على الإدريسي وابن حميد الدين وعندها لا يمكنه التغلب عليهم بل ربما يغلب أمامهم لأنهم يكونون قد وحدوا اليمن تحت قيادتهم"[٣].

---

(١) إقرأ الكثير من هذه الإشارات هنا في باب "أخبار مجموعة إمتاع السامر ومقارنتها بالمصادر التاريخية المعروفة".

(٢) ت ع، ص٢٥٦.

(٣) ت ع، ص٢٧٩.

ج- يقول حول أحداث عام ١٣٤٠هـ وقبل وصول القوة السعودية بقيادة الأمير فيصل بن عبدالعزيز لعشير ما يلي:

"أما ابن حميد الدين فإنه يرغب في أن يتقوى، ولا تكون له القوة إلا إذا سيطر على القبائل اليمنية تمام السيطرة، غير أنها الآن ترتبط نفسياً مع آل عائض وتشعر أنها ترتبط بهم ولو كانت تعيش على الأراضي التي تخضع لابن حميد الدين، إذن لا يمكن لابن حميد الدين أن ينال القوة إلا بزوال آل عائض، وعندها يمكنه فرض هيمنته على تلك القبائل، هذا بالإضافة لزوال إمارة عسير يمكنه من احتلال أجزاء من مخلفاتها وعندها يصبح قوياً قادراً على مواجة الأطراف الأخرى التي ترغب في السيطرة على عسير" إلى أن يقول "ومن هنا وجد ابن حميد الدين نفسه ضعيفاً أمام هذه التيارات وفضل المحافظة على إمارة آل عائض"[1].

- المشكلة الحدودية بين اليمن والسعودية انتهت من الناحية السياسية باتفاقية الحدود الموقعة بين البلدين في مدينة جدة عام ٢٠٠١م، ورغم ذلك فإن المشكلة لم تنته من الناحية الأهم وهي "التاريخية"، مما يجعلها قابلة للتجدد بطريقة أو أخرى كسابقتها في أي مرحلة من مراحل التاريخ، فهنالك الكثير من الكتب التي كتبت في اليمن وبعض الدول العربية في فترة الحكومات الثورية السابقة ذات التوجه الاشتراكي، والتي تحمست لدعم الموقف اليمني سياسياً كرست لفكرة خاطئة تقول بأن عسير جزء مقتطع من اليمن، دون أن يكون هنالك ما يكافئها في الاتجاه الآخر لإظهار الحقيقة، وهذه الكتب ستكون مرجعاً تاريخياً في المستقبل، وقد لا تكون كل هذه الكتب ذات أثر يوازي إشارة واحدة قد تصدر من كتاب منسوب إلى مؤلف من منطقة عسير، وهنا مكمن الخطورة، فرغم ارتفاع صوت العقل أخيراً فلا زالت أصوات في اليمن بالإضافة لبقايا الحقبة الشيوعية في أنحاء الوطن العربي تتحدث عن عسير اليمنية، ولا زال هنالك الكثير من الكتب التي تلوي عنق التاريخ والروايات للوصول إلى هذه الغاية، وفي ذلك من الناحية التاريخية خطورة كبرى، فهذا الخطأ في فهم التاريخ السياسي لإقليم عسير وهويته سيظل قائماً عبر الزمن، فتلك المدونات بما تحمل من تظليل وفكرة خاطئة ستبقى بينما الاتفاقيات والمعاهدات ربما سترحل يوماً ما كما يخبرنا التاريخ ذاته، وموازين القوى قد تتبدل، وعندها ستسجل الاتفاقيات كحالة ضرورة فرضتها الظروف السياسية وتوازن القوى،

---

(١) ت ع، ص٢٨٢.

والأمر الواقع، لذا فمن الخطأ التعامل السلبي مع كتب منسوب تأليفها إلى أسماء عسيرية تدعم هذا الاتجاه، فقد أصبحت هذه الكتب أقوى مستندات مؤيدي هذه الفكرة في اليمن، فقد استند الأستاذ بجامعة صنعاء "د.عبدالرحمن الوجيه" في كتابه "عسير في النزاع الحدودي السعودي اليمني" إلى كتاب "تاريخ عسير" المنسوب لمحمد بن مسلط أكثر من خمسة عشر مرة كمرجع لإثبات يمنية عسير في تاريخها السياسي، وكانت تلك استدلالاته الوحيدة التي تحمل الإثبات المباشر لارتباط التاريخ السياسي لعسير باليمن وعلى استمرار المراسلة بين أئمة اليمن وأمراء عسير وتداخل التاريخ العسيري مع تاريخ أئمة اليمن وسيطرتهم على أجزاء من عسير وتدخل اليمن في الأحداث العسيرية عبر التاريخ، ونحن لا نستطيع لوم المؤلف اليمني الذي كان يمارس حقه المشروع في دعم موقف بلاده أثناء مفاوضات الحدود السعودية اليمنية للحصول على أكبر قدر من المكاسب ما دام هنالك مرجع معني بتاريخ عسير وممهور باسم رجل عسيري ويعترف بمرجعيته العسيريون، بل واستندت الكثير من كتبهم التاريخية إلى أخباره، يصادق على الفكرة، علماً أن كتاب "إمتاع السامر" أيضاً يحمل دلالات أقوى مما ورد في صنوه "تاريخ عسير" حيث ربط عسير باليمن عبر التاريخ القديم والحديث، وربط تاريخها بكل الممالك اليمنية القديمة، إلا أن المؤلف يبدو أنه تنبه إلى ما وجه من نقد إلى الأول بصفته مهر بتاريخ نشر متقدم نسبياً مما جعله عرضة للقبض على أخطائه فيما يخص معلوماته ولغة عصره، فتحاشى الاستناد إليه وسارع إلى الاعتماد على الثاني الذي لم يكن قد تعرض لأي نقد.

ولكن ماذا إذا علمنا بأن كتاب "تاريخ عسير" أيضاً مزور بالكامل ولا حقيقة لجميع ما ورد فيه من أخبار وأن معلوماته التي نقلناها أعلاه لم ترد في أي مصدر آخر، فلم تصل القوات اليمنية إلى سراة عبيدة، بل ولم تتجاوز حدود اليمن الحالية والتي هي حدود تاريخية، وأن الإمام اليمني لم يتدخل على الإطلاق في أحداث عام ١٣٣٨هـ وما بعدها، ولم تبدأ المشكلة الحدودية بين البلدين إلا بعد توقيع الإدريسي لاتفاقية الحماية مع الملك عبدالعزيز عام ١٣٤٥هـ ثم دخول القوات السعودية لبلاد الإدريسي عام ١٣٥١هـ والتي كانت كل سواحل اليمن مثل الحديدة والمخا تتبعها فيما قبل ذلك تحت مسمى "عسير"، ألا يستحق المزورون عندئذ محاكمتهم بتهمة خيانة الوطن.

فلو كان هنالك أي صحة لما أورده المزورون من أحداث في تلك المرحلة لما خفي ذلك على الحكومة اليمنية التي ظلت تحاول الإمساك بأي شيء يمكن أن يدعم موقفها في المفاوضات ولما بقيت هذه الأخبار مجهولة على كل الصحف والمؤرخين العرب على مدى تسعين عاماً حتى كشف عنها محمد بن مسلط في كتابه.

ويكفي لإعطاء الدليل القاطع على خطأ ما أورده المزورون من مغالطات حول أحداث تلك المرحلة، ولإثبات عدم تداخل اليمن مع أحداث عسير فيما قبل عام ١٣٥١هـ ما ورد في مجلة المنار المعاصرة للأحداث بقلم الأستاذ محمد رشيد رضا في إحدى مقالاته الصحفية عندما انتقد الإمام اليمني لأنه حشد الحشود عام ١٣٥٢هـ على الحدود السعودية بعد توقيعه اتفاقية تعاون مع الإيطاليين، وأخذ يتحدث عن أحقيته بعسير، وهو الذي لم يتدخل في شئون عسير البتة منذ دخلت تحت الحكم السعودي عام ١٣٣٨هـ، بل ولم يثره قتل عدد من الحجاج اليمنيين في عسير عام ١٣٤٢هـ ليعلن وقتها الحرب والمطالبة بعسير لو كانت تعنيه بأي درجة[١]، بل يكفي لإنهاء الحديث حول ذلك أن ننظر إلى إحدى الرسائل الموجهة من الإمام يحي ذاته بتاريخ ١٨ شعبان عام ١٣٥٢هـ إلى محمد رشيد رضا حول مشكلته الحدودية القائمة حينها مع الملك عبدالعزيز والتي نشرها في مجلة المنار، حيث يقر فيها الإمام بعدم تدخله في شئون عسير إطلاقاً فيما قبل تلك المرحلة ويعطي إشارة واضحة إلى أن إقليم عسير بذاته لم يكن المعني بالنزاع الحدودي السعودي اليمني[٢] وأن المشكلة تتعلق في أساسها بالسواحل اليمنية التي كان يتنازع مع الإدريسي حول السيطرة عليها قبل دخول الأخير تحت الحماية السعودية ثم سيطرة السعوديين على مملكته، مما يدل على أن إمام اليمن لم يكن معنياً بما يحدث في عسير على الإطلاق، لذا لم يستجب لاستجداءات حاكم عسير (ابن عايض) ولا لشريف مكة لمد يد العون لهم أمام الجيوش السعودية عندما غزت كل منهما، وهو أمر حتى لو تم فلا علاقة له بالتبعية من أي الطرفين لإمام اليمن، فالسياسة تخلق دائماً تحالفات وتوازنات آنية تفرضها الضرورة عندما تتوافق المصالح بين الأطراف، إلا أن من الواضح أن إمام اليمن لم يكن يرى أن له أي مصلحة في التدخل في الشئون السعودية الداخلية حتى تلك المرحلة، ولكن يبدو أن هنالك من يؤمن بأن التاريخ يمكن أن تعاد صياغته بأثر رجعي في بعض الحالات، فها هي الكتب المجهولة المصدر والهوية تخرج لنا بأخبار أخرى، محاولة إعادة الجدل حول أمر محسوم، مما يوحي بأن هنالك من يحلم بمصادرة منطقة عسير بل والوطن بكامله من الوجود.

وما ذكرته هنا من مقتطفات هي نقطة من بحر ما ورد في هذه الكتب من إشارات مختلفة تحمل دلالات بعيدة المدى سياسياً وتاريخياً وعرقياً، وتدير الدسائس، وتتمادى في استغفال المجتمع، ولكنني اكتفيت ببعض الالتقاطات كأمثلة، لأننا قد نحتاج إلى آلاف الصفحات لتتبع كل

---

(١) رضا، محمد رشيد، مجلة المنار، المجلد٢٦/ ص٤٧٥.

(٢) رضا، محمد رشيد، مجلة المنار، المجلد ٣٤ ص٣٩، مجموعة رسائل من إمام اليمن والملك السعودي.

إشاراتها، فيكفي أن نرى حجم الحقد والضغينة والتخلف والأكاذيب والدسائس التي حملتها هذه الكتب ومن ورائها على الوطن كاملاً وعلى عسير خاصةً من خلال الشتائم الكثيرة التي ملأت صفحاتهم، ومحاولتهم تشويه تاريخها وشطب أهم صفحاته، والزج بها مستقبلاً في متاهة النزاعات حول الهوية مع الجوار.

الفصل الثاني

موقف مجموعة إمتاع السامر من أمراء عسير

١. صورة أمراء عسير حسب مجموعة إمتاع السامر

لا خبراً جديداً نقدمه للقارئ عندما نتحدث عن تعصب مجموعة إمتاع السامر واختصاصها بامتداح أسرة آل عايض بن مرعي، ومحاولة إعطاءها عمقاً تاريخياً غير ما هو معروف، ولم نكن لنجد موجباً للرد على ذلك لو لم تكن عسير كلها قدمت قرباناً لهذه الغاية، وتم للوصول إلى ذلك التدخل في التاريخ والهوية والأعراق المحلية بطريقة خاطئة، بالإضافة إلى محاولة تشويه صورة أمراء عسير السابقين لوصول عايض بن مرعي إلى السلطة الذين حملوا المبادرات، وصنعوا التاريخ العسيري مع أبناءها، ومن ثم محاولة فصلهم عن عصبيتهم المحلية، وإخلاء هذه الأرض من أي قيمة لروح المبادرة في تاريخها.

فمن خلال حماس هذه المصادر في محاولة إثبات انفراد أسرة آل عايض بن مرعي بالسلطة في عسير منذ القرن الثاني للهجرة، وتكريس تفردها بالشرعية في حكم عسير، وتهيئة الرأي العام في عسير لتقبل هذه الأسرة كحاكم شرعي تاريخي، وإيجاد قاعدة شعبية لها في المنطقة لتقبل حلمها بدور محوري لها في المراحل القادمة من الزمن من خلال توزيع المكاسب التاريخية الفارغة على قبائل وعشائر وأسر المنطقة، وربط هذه المكاسب بعلاقتهم وخضوعهم لهذه الأسرة عبر الزمن، ووصل نسب هذه الأسرة بأسرة حاكمة قديمة من خارج المنطقة وهي الأسرة الأموية، لإعطائها الشرعية في حكم كامل المنطقة، فقد سلم الداعمون للتزوير الوطن لأصحاب الأهداف الأخرى الذين تمادوا في سبيل الوصول إلى غاياتهم إلى ضم أمراء عسير الحقيقيين إلى هذا النسب، ولكن بحذر شديد، حيث أخلوهم من أي دور محوري في التاريخ العسيري، بل كانت مصادر التزوير تشير مباشرة أو ضمنياً إلى أن وجود هذه الأسر في الحكم ارتبط بفترات ضعف أسرة آل عايض فقط، أو بتدخل قوى أخرى من خارج المنطقة، بل وحاولت فصل كافة أمراء عسير عن عصبيتهم القبلية العسيرية التي قامت إماراتهم على أساسها.

ونلاحظ أنه رغم أن هذه المصادر ضمت أمراء عسير السابقين إلى نفس النسب اليزيدي الأموي الذي أرجعت له عايض بن مرعي وابنه، فإن ذلك كان بعناية بالغة بحيث كان الحرص على عدم حصول بقية أسرهم على أي مكاسب جراء هذا الربط، فحرصت على إبعادهم عن أي شرعية في السلطة واعتبار وجودهم كان طارئاً في سبيل إثبات أصالة الحكم في عايض بن مرعي وابنه فقط.

فحسب هذه المصادر كان جد أسرة آل المتحمي أحد الولاة لأجداد آل عايض على القنفذة ثم أحضره أحد أجداد عايض بن مرعي من هناك ووضعه على مشيخة ربيعة ورفيدة في القرن الحادي عشر(١)، ولكن هذه المصادر عادت إلى ما يلمح إلى محاولة مغازلتهم بإغرائهم بالنسب الأموي اليزيدي(٢).

ولم يكن نصيب كل من سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل بعيداً عن ما حضي به أمراء آل المتحمي من الإهمال الكامل لهما ولذريتهما، ومحاولة إثبات عدم شرعية وصولهما إلى الحكم، فيكفي أن نرى كيف أنه لم يرد سوى بعض أخبار حكم علي بن مجثل وسعيد بن مسلط مما تواتر نقله في المصادر الأخرى مع بعض الإضافات الطفيفة التي تخدم فكرة المزورين، بينما لم يكن أي من أسلافهم "آل عبدالرحمن بن عبدالله" حسب الرواية أميراً على عسير، فقد انحصرت الإمارة فيما قبلهما في ذرية "علي بن عبدالله" الذي منه "عايض بن مرعي" وذريته على مدى سبعة أجيال (حسب التسلسل الذي زعموه)(٣)، ولم تذهب إلى فرع آل "عبدالرحمن" الذي منه آل مسلط وآل مجثل إلا على يد سعيد بن مسلط، وكان ذلك عندما توفي "أحمد بن محمد اليزيدي" حيث كان عايض وأخته حينها صغيري السن كما تقول الرواية، بعد أن تداول الإمارة كل من أخو عايض بن مرعي "خالد بن مرعي" ووالده "مرعي بن محمد" وجده "محمد بن أحمد" وعمه "محمد بن أحمد" وعم والده "أحمد بن محمد" وجده "أحمد بن يحي" وجده "يحي بن عبدالرحمن" وجده "عبدالرحمن بن علي" وجده "علي بن عبدالله"، بما يعني أن الإمارة لم تعد إلى آل عبدالرحمن إلا من خلال عدم وجود من يستطيع القيام بها من آل علي فاستسلم من بيده الأمر من آل عبدالرحمن للقوات النجدية.

---

(١) تاريخ عسير المنسوب محمد بن مسلط، ص٥٤، ٥٥.

(٢) ن د، ق٢ج١ / ص٢١٤.

(٣) تاريخ عسير المنسوب لمحمد بن مسلط، ص٣٤، ٣٥.

"وأخيراً استسلم لها سعيد بن مسلط، وعلي بن مجثل، مع بقية أعيان عسير، وكذلك ضمت هذه القوات رجال ألمع وبقية المناطق العسيرية، وغدت عسير تتبع الدرعية"[1].

وقد انحصر الوصول للسلطة في أسرة آل عبدالرحمن في الاثنين المعروفين تاريخياً كل من "سعيد بن مسلط" و"علي بن مجثل" ولم يصل أي أبنائهما أو أحفادهما إلى الحكم، أي أنه لم يعد لذريتهما الحق في الحكم ولا حتى المشيخة لأن الإمارة يفترض أنها منقطعة عن أسرتهما منذ أكثر من سبعة أجيال، بينما تداولها بشكل طبيعي آل علي وتنقلت بينهم في عدة أجيال ولعدة قرون قبل أن تصل إليهما كحالة طارئة فرضها الوجود النجدي في عسير ومن ثم عادت إلى أصحابها الشرعيين "آل علي" عندما شب عايض بن مرعي عن الطوق وبقيت فيهم، مما يعني أن الإمارة شرعيا وبالوراثة في "آل علي بن عبدالله" منذ عدة قرون (حسب الرواية).

كما يلاحظ فيما أوردته هذه المصادر أنه لم يكن سعيد بن مسلط ولا علي بن مجثل ولا أي من ذريتهما شاعراً، ولم يصارع أيهما أسداً ويقتله بالسيف[2]، أو يحيل الحية تحت ثيابه إلى جثة هامدة دون أن يشعر مجالسوه[3]، مثلما كان "عايض" وابنه "محمد"، كما لم ترد أي ترجمة لأي أبنائهم أو أحفادهم أو أجدادهم أو إشارة لأيهم، في الوقت الذي وردت ترجمة لخمسة عشر شاعراً فصيحاً وشاعرة من نسل "عايض بن مرعي"، بالإضافة لاثنين من أجدادهم المزعومين، ناهيك عن الإشارات الجانبية الكثيرة إلى بقية الأسرة كشعراء ممن لم يترجم لهم، وإيراد بعض القصائد منسوبة إليهم في الحواشي السفلية، وهنا يتضح لنا عدم وجود أي تعاطف حقيقي لدى المزورين مع هذه الأسر التي يفترض أنها جزء من الأسرة الحاكمة التي ينتمي لها آل عايض حسب زعمهم.

فكل ما حصل عليه أمراء عسير الحقيقيين من هذه المجموعة هو تهميش دورهم التاريخي، وفصلهم عن جذورهم المحلية تماماً دون أي مستند، وإدراج بعضهم ضمن عمال أجداد: عايض بن مرعي، وإثبات فضلهم عليهم، ومحاولة إثبات عدم شرعية وصولهم للسلطة في عسير، مع محاولة استدراجهم بالنسب القرشي للمصادقة على الفكرة.

ولا شك أن مثل هذه الملاحظات تدلنا على أن مجموعة إمتاع السامر هدفها بالإضافة إلى إعلاء قيمة أسرة آل عائض وإعطائها عمقاً تاريخياً في الحكم في عسير، إبعاد بقية أمراء عسير

---

(١) تاريخ عسير المنسوب لمحمد بن مسلط، ص ٦٦.

(٢) ن أ، ٦٢، ٦٣ - ن د، ١٢٧، ١٢٨.

(٣) ن أ، ص٤١ ؛ ن د، ٢٤٢.

وأسرهم عن أي شكل من أشكال الإمارة أو المشيخة القبلية الشاملة لعسير، ومحاولة تشويه صورتهم، والفصل بينهم وبين المجتمع المحلي.

ونحن لا ندافع هنا عن هذه الأسر بذاتها، ولا عن إعادة دور قبلي لأيها في عسير، فلكل زمان دولة ورجال، ولكننا نحرص على إعادة الحق التاريخي إلى أصحابه، وإيقاف العبث بالتاريخ، وليس أكثر من ذلك، فهذه الأرض أولى بأبنائها من سواها، فعندما نبحث عن الحقيقة عبر كل مصادرها، فإننا نجد أن أمراء عسير الحقيقيين ينتمون إلى أسر عسيرية حقيقية، صنعت مجدها وحكمها بالفروسية ومقاومة الغزاة، بينما كان عايض بن مرعي ثم ابنه محمد في الحقيقة طارئين على الحكم بل وعلى عسير، فلم يكن عايض بن مرعي أميراً لعسير بل عين وصياً على أمير عسير (الطفل)[١] بشكل مؤقت إلى أن تحول إلى والي للدولة العثمانية[٢]، وهذه ليست سوى (بعض) الحقيقة التي جرتنا لقولها مصادر الإمتاع التي بالغت في محاولة إلغاء ذاكرة المجتمع لامتداح عايض بن مرعي وابنه وبقية أسرته، تمشياً مع تحقيق أهدافها الأخرى.

فإذا كنا نعلم أن الهبات الحكومية التي تتلقاها الجهات المزورة من المسؤولين بحسن نية، قد تحولت إلى وسيلة لإثارة الزعزعة والفتن في المنطقة والعبث بتاريخها، ومصادرة تاريخ عسير وأمرائها الذين أخلصوا لوطنهم وكانوا شرارة وحدة شرق البلاد بغربها، وكان دورهم رياديا وأساسياً في تاريخ إقليم عسير، وفي مد نفوذ الدولة السعودية الأولى على الحرمين الشريفين والجهات الغربية والجنوبية من البلاد، أمثال محمد بن عامر، وعبدالوهاب بن عامر، وطامي بن شعيب، ومحمد بن احمد المتحمي، وسعيد بن مسلط، وعلي بن مجثل، فإن من واجب المخلصين الأمناء على التاريخ إنصاف تاريخ أولئك الرجال، وإيقاف العبث به، فمن اللؤم أن نساهم فيه بصمتنا وسلبيتنا أمام هذا التلاعب بتاريخ رموز عسير التاريخية، وبتاريخ عسير كاملاً، فالأيدي العابثة لن تتوقف عن العبث ما بقي الباب مفتوحاً لها لفعل ذلك.

---

(١) للمزيد حول ذلك إقرأ كتاب "رحلة في بلادالعرب" لتاميزيه، ص٢٩، ١٥٧، ١٦٣.

(٢) المصادر:

١- مسألة مهمة - اليمن، وثيقة رقم (١٧٩٦)، بتاريخ ٢٣ رجب ١٢٥٨هـ من الشريف محمد بن عون (أمير مكة) إلى الصدر الأعظم، إبلاغ السلطان بما تم بشأن قضية الشريف حسين حاكم مخا.

٢- مسألة مهمة - اليمن، وثيقة رقم(١٧٩٧)، بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٥٨هـ من عثمان باشا والي جدة، إلى الصدر الأعظم، عن مهمة أشرف أفندي في اليمن ورد الشريف حسين حاكم مخا.

نقلاً عن: البشري، إسماعيل، إمارة أبو عريش، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٣هـ ص٩١، ٩٥.

لذا فهذا الفصل يعني فقط بحقيقة النسب اليزيدي لأمراء عسير، وعلاقة كل منهم بالسلطة، لكي نقف جميعاً على الحقيقة كما هي، ويأخذ كل ذي حق حقه دون زيادة ولا نقصان.

٢. حقيقة علاقة أمراء عسير بالنسب اليزيدي الأموي

آل يزيد هو اسم قرية صغيرة بمنطقة عسير تقع في منطقة شعف أراشة المطلة على تهامة إلى الجنوب من مدينة أبها، وعشيرة آل يزيد هي عشيرة عريقة كريمة النسب، تعود في أصولها إلى قبائل الشعف التي تنتسب إلى أراشة بن عنز بن وائل كما هو معروف[١]، وهي بذلك من القبائل الأقرب نسباً إلى بقية بطون عسير، حيث يلتقي الطرفان في جدهم أراشة بن عنز بن وائل، وقد دخل جزء من قبائل الشعف في قبيلة شهران بالحلف في فترة متأخرة فيما يبدو، بينما تعتبر قبيلتي آل يزيد وعضاضة جزء من قبيلة عسير[٢]، ومسمى "آل يزيد" هو مسمى متكرر في قبائل منطقة عسير، فيوجد عدة قبائل صغيرة تحمل مسمى آل يزيد في محيط مدينة أبها ومحائل والشعف لها انتماءات قبلية مختلفة، فهنالك آل يزيد في قبيلة علكم وآل يزيد في قبيلة آل موسى بمحائل وآل يزيد في الشعف وغيرها، ولكن لا يوجد أي إشارة تاريخية حقيقية إلى أن أي هذه القبائل تمت بصلة إلى يزيد بن معاوية أو تدعي ذلك فيما قبل عام ١٣٢٨هـ فمنطقة عسير تكثر فيها الأسماء المشابهة لأسماء الكثير من القبائل العربية القديمة وأسماء ملوك أو أعلام، كبني مازن وبني مالك وبني سفيان وبني يزيد وآل عباس وبني بكر وبني قيس وبني نزار وآل الحارث وهكذا، ولم يعرف عن أيها محاولة ربط مسماها بأحد الملوك أو الأعلام العربية فيما سبق، فآل يزيد الشعف ليست سوى واحدة من قبائل المنطقة الكثيرة التي تحمل أسماءً تشابه الكثير من أسماء الأعلام في التاريخ، ولم يكن لهذه القبيلة أي خصوصية أو علاقة بالحكم في عسير فيما قبل عام ١٢٤٩هـ على الإطلاق، حيث نشأت الإمارة العسيرية الموحدة لقبيلة عسير ثم لكامل منطقة عسير على يد أسرة آل المتحمي من قبيلة رفيدة عسير وتنقلت بين أبنائها حتى سقطت دولتهم على يد الدولة العثمانية ثم انتقلت إلى سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل من قبيلة بني مغيد عسير، حتى كانت أحداث وفاة علي بن مجثل رحمه الله في وقت تتنافس فيه الكثير من الأسر حول الحكم بينما كان ابناه صغيري السن، فانتهى الأمر بتكليف العسيريين لأحد خدم الأمير علي بن مجثل ويدعى "عايض بن مرعي" في نهاية عام ١٢٤٩هـ بالوصاية على الأمير

---

(١) النعمي، تاريخ عسير، ١٨٥، ١٨٦.

(٢) آل حامد، العادات والتقاليد في إقليم عسير، مصدر سابق، ص١١١.

الجديد ـ الذي اختاروه بعد وفاة والده ـ بسبب صغر سنه حتى يبلغ سن الرشد، فأصبح عايض بهذه الوصاية بمثابة حاكم مؤقت لعسير كما وصفه تاميزيه[١]، ونظراً لمحدودية التواصل مع قرية السقا التي ينتمي إليها الأمير علي بن مجثل، والتي هي عبارة عن قرية صغيرة منزوية فوق حافة قمة جبل تهلل الغربية المطلة على تهامة والتي تفصلها مسافة من الجبال الوعرة عن مدينة أبها وعن بقية الجهات الأقل جبلية في السراة، لذا يبدو أن العامة في بقية بلاد السراة لم تكن تعرف الكثير عن الأسر والصلات والأنساب في قرية السقا، رغم أنها كانت مركز الحكم خلال فترة بسيطة قبل تلك الحقبة، وأنها تحمل أهمية تاريخية كقاعدة إمداد حربي وانطلاق للجيوش العسيرية منذ عام ١٢٣٠هـ، وهذا الجهل يعزى إلى الطابع القبلي للحكم والذي لم يكن فيه هيئات وإدارات وأسواق تجعل من قرية السقا مزاراً مستمراً للعامة، وأيضاً لقصر مدة وجود المركز في السقا في آخر عهد سعيد بن مسلط، حيث بقيت فيها سنتين فقط كحالة اضطرارية ثم انتقلت منها منذ بداية عهد علي بن مجثل عام ١٢٤٢هـ إلى "أبها" والتي هي حاضرة معروفة في التاريخ متصلة ببقية الحواضر في المنطقة، مما عزل قرية "السقا" مرة أخرى، لذا فعندما أوكل العسيريون إلى عايض بن مرعي الوصاية على الأمير العسيري، فإن كل ما عرف عنه خارج البيئات المجاورة الأخرى هو أنه قادم من قرية "السقا" والتي هي قاعدة الحكم الثانية في تلك المرحلة والتابعة لقبيلة بني مغيد العسيرية، ولكن لم يحدد ما دون ذلك من نسبه، ولكن عايض بعد فترة من ممارسة السلطة وتمكنه من الاستفادة من هيبة ومكانة وإمكانيات السلطة، ومن خلال علاقته القوية والقديمة بمن حوله من رجال القصر والتي ترسخت أكثر خلال وجوده متصرفاً في أمور السلطة، لم يكن سوى نسخة لما حمله التاريخ على امتداده لمثل هذه الحالات، وانتقل فيما بعد عدد من الأسر من قرية "آل يزيد" في الشعف ـ الذين صاهرهم أحد أبنائه (عبدالرحمن) ـ إلى قرية السقا، واستقروا بها ودخلوا في قبيلة آل ناجح، وتعارف الناس بعد ذلك بأن آل عايض من آل يزيد، فأصبح آل عايض بذلك من أبناء السقا موطناً ونسباً، ولهم عمقهم فيها في نفس الوقت، والحقيقة أنه ليس لهذه المجموعة من آل يزيد أساس أقدم من ذلك في قرية السقا على الإطلاق، وهو ما يتعارف عليه أهالي قرية السقا وما حولها.

ومن ثم فلا علاقة لقبيلة آل يزيد بالسقا إلا من خلال استيطان بعض أبنائها للسقا في فترة لاحقة لوجود آل عايض بن مرعي بها، ولا علاقة لأمراء عسير السالفين كل من الأميرين سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل العسيريين بعايض بن مرعي ولا بهذه القبيلة، وقد تحدثت بشكل مباشر

---

(١) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، ص١٦٣.

مع الشيخ علي بن مجثل حفيد الأمير "علي بن مجثل"، فذكر بأنه لا علاقة لهم بآل يزيد الموجودين في السقا ولا بقبيلتهم الأم التي قدموا منها وهي "آل يزيد" في الشعف.

إلا أننا أمام رواية أخرى برزت حديثاً عبر مجموعة إمتاع السامر، تقول بأن بيوت آل يزيد الموجودة في السقا هم أساس قبيلة آل يزيد وأن قرية آل يزيد الموجودة في الشعف فرع منها، وأن استيطانهم قرية السقا يعود إلى عام ١٣٢هـ، وتربط كل أمراء عسير السابقين بآل يزيد وتحيل هذه القبيلة نسباً إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، حيث تذكر أنه حضر أحد أحفاده إلى عسير إثر سقوط دولة بني أمية في الشام بعد معركة الزاب واستقر بقرية السقا ومن ثم كون دولته التي ظلت على رأس الحكم حتى العصر الحديث.

وقد أشار سليمان باشا في مذكراته إلى دعوى النسب اليزيدي الأموي لآل يزيد في الشعف كأول من أشار إليه، وأشار لحديثه معهم وألمح إلى أنهم لا يملكون أي وثائق حول هذا النسب سوى حديثهم الشفهي الذي كان قد رتبه له وكيله حسن بن عايض قبل وصوله لهم كما يقول[١] مما قد يوحي لأول وهلة بوجود الدعوى لدى هذه القبيلة منذ ذلك التاريخ، إلا أننا نجد أن البيوت الكبرى في آل يزيد ترفض صحة توارث انتسابها إلى يزيد بن معاوية، وهو ما اضطر مجموعة إمتاع السامر إلى اختراع نسب خاص يبقي لهم يزيديتهم دون أن يفرض عليهم الانتساب ليزيد بن معاوية، وذلك من خلال ربطهم بيزيد آخر اخترعوه وهو "يزيد بن أسعد بن معنف"[٢]، وهذا الاضطراب والخلط غير المنطقي يؤكد أن دعوى النسب الأموي ليست عريقة ولا متوارثة لدى قبيلة آل يزيد، مما يجعلنا نرجح أن من التقى بهم سليمان باشا وتحدث إليهم لم يكونوا ممثلين حقيقيين لآل يزيد، أو أنه تم ترتيب حديثهم من قبل المدعي قبل حضورهم حيث يشير سليمان باشا إلى أن حسن بن عايض قد رتب لقاءه معهم لذا فقد وجدهم مؤيدين للسلطة العثمانية بالفعل كما يقول.

كما أشار سليمان باشا الذي استقر في عسير لمدة أربع سنوات ونصف وتعرف على أهلها عن كثب فيها في حينه إلى أنه لم يجد أي وثيقة لدى أهل الشأن ولا أي نص في التاريخ العسيري تفيد بصلتهم بيزيد بن معاوية، كما أشار بشكل واضح إلى أن عايض بن مرعي لم يكن من أسرة الحكم في عسير ولا علاقة له بها وأنه أول من تولى الإمارة من عشيرته[٣]، ثم جاء المصدر الثاني

---

(١) شفيق باشا، سليمان، مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير، تحقيق محمد أحمد العقيلي، نادي أبها الأدبي ١٤٠٥هـ ص٩٢، ٩٣، ٩٤.

(٢) ن د، ص٤٥.

(٣) شفيق باشا، سليمان، المصدر السابق، ص٩٢، ٩٣، ٩٤.

لهذا النسب الأموي من مدينة الرياض وهو "أمين الريحاني" الذي زار الرياض وتجول في ضواحيها في الوقت الذي كان فيه جزء من أحفاد عايض بن مرعي يقيمون بها، فكتب كتابه "تاريخ نجد" ونشره عام ١٣٤٥هـ وأشار ضمنه إلى حكام عسير ومنهم "عايض بن مرعي" فذكر أنه من آل يزيد الشعف وأشار إلى أنهم يدعون الانتساب إلى يزيد بن معاوية دون أن يعلق على ذلك، ثم أشار بنفس طريقة سليمان باشا إلى أن عائض بن مرعي هو أول من وصل للحكم من عشيرته[١]، ثم أشار لذلك عدد من المؤرخين العرب نقلاً عن ما ورد لدى سليمان باشا والريحاني كالزركلي الذي نقل عن مذكرات سليمان شفيق باشا كما سيأتي معنا، ولكن ورغم تناقلها بين المؤرخين عن بعد فإن فكرة النسب اليزيدي الأموي هذه لم تكن قد غزت بلاد عسير في تلك المرحلة، لذا لم يشر لها المؤرخون الذين زاروا بلاد عسير وكتبوا كتبهم من خلال وجودهم بها مثل فيلبي، وفؤاد حمزة، ومحمد رفيع.

ونلاحظ من خلال تتبع الكتابات التاريخية لدى سليمان باشا ثم الريحاني ثم الزركلي أن فكرة النسب اليزيدي الأموي إلى ما قبل مرحلة التسعينات الهجرية كانت تشير إلى عايض بن مرعي وبنيه فقط بصفتهم ينتمون إلى قبيلة آل يزيد، بشكل مستقل عن أمراء عسير السابقين والذين لا يمتون لهم بصلة حسب ما هو معروف، حيث ذكر كل من أشار إلى دعوى النسب الأموي في تلك المرحلة إلى أن عايض بن مرعي كان أول أمرائهم[٢]، إلا أن الفكرة بدأت تأخذ شكلاً جديداً وبدأ نهماً قوياً للتدوين من قبل مؤيدي الفكرة مع ظهور أول نقل عربي عن كتاب تاميزيه "رحلة في بلاد العرب" والذي لم يكن قد ترجم إلى اللغة العربية في حينها بعد، حيث كان تاميزيه أورد إشارة مضطربة قد تحمل عند ترجمتها حرفياً إلى اللغة العربية على وجود صلة ما بين كل من سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل من جهة وعايض بن مرعي من الجهة الأخرى عندما مر بعسير مرافقاً لإحدى الحملات العثمانية مع بداية وصول عايض إلى السلطة، مما لفت الانتباه لهذا الكتاب، وكان ذلك من خلال نقل خير الدين الزركلي لبعض إشاراته حول عايض بن مرعي في كتابه "الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز" و"شبه الجزيرة العربية والملك عبدالعزيز" وهو ما سيأتي معنا تفصيله، ثم نقلت "جاكلين بيرين" لمختصر من الكتاب في كتابها "اكتشاف جزيرة العرب" الذي ترجم للعربية في عام ١٩٦٣م، وهو ما قاد أحد الباحثين قبل منتصف التسعينات الهجرية إلى الحصول على ترجمة إنجليزية للكتاب (كما يذكر).

---

(١) الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث، ص٢٩٩.

(٢) ١ـ شفيق باشا، سليمان، المصدر السابق، ٩٢، ٩٣، ٢ـ الريحاني، نفس المصدر، ص٢٩٩.

وفي منتصف التسعينات بدأت نتائج ما ورد في هذا المصدر بالظهور من خلال إشارة عبدالله بن حميد في مجلة العرب إلى وثيقة ذكر أنه اطلع عليها تحمل الفكرة الجديدة حول ربط آل مجثل وآل مسلط بالنسب اليزيدي الأموي[1] ثم تلى ذلك ظهور إشارات إلى ما سمي بمذكرات جعفر الحفظي، والتي أشار محمود شاكر عام ١٣٩٦هـ إلى أنه نقل عنها في كتابه "عسير"، ثم ظهر كتاب "السراج المنير.." الممهور باسم عبدالله بن مسفر، فأخذت الفكرة بعداً جديداً في الذاكرة الشعبية في عسير خاصةً وأنها ببساطة تعطي عمقاً تاريخياً ظاهرياً لقدم مركزية الحكم في عسير وخوضها حروباً مع قوى عظمى في الجزيرة العربية كالقرامطة وأشراف مكة وبني رسول وبني الأخيضر لدى بعض المتحمسين، وبدأت من ثم تظهر وبشكل سريع عدد من الكتب التي تؤيد الفكرة مستندة إلى ما قاله محمود شاكر، وبعد ذلك بدأت الكتب الغريبة والوثائق المتصلة بخبر بعضها البعض تظهر في مواقع مختلفة وممهورة بتواريخ إصدار قديمة مسطرة الكثير من الغرائب والمعلومات الجديدة حول التاريخ العسيري، كلها تسرد تسلسل بني يزيد بن معاوية في الحكم منذ عام ١٣٢هـ وحتى عام ١٣٤٢هـ وتضم الأميرين سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل إلى النسب اليزيدي، وتعطي تفاصيل كثيرة داعمة الرواية بالكثير من الأخبار والأحداث الجانبية والقصائد العربية الفصحى، وتروي تفاصيل في الأنساب والهجرات المؤيدة بالأدلة في متون القصائد الفصحى على ألسنة أمراء آل يزيد وأبنائهم وعلى ألسنة قادتهم المزعومين من أبناء البادية الذين كانوا يقرضون الشعر الفصيح!، أو عمال آل يزيد الذين استقدموهم لتعليم الناس في عسير، فكان لها وقع قوي في إعادة تشكيل الذاكرة في منطقة عسير، وأشعلت الحماس لدى البعض لإعادة رسم خارطة التوزيع القبلي بشكل كامل في المنطقة، وبعد ذلك ظهرت فكرة أخرى أكثر جرأة ألا وهي التلميح بإمكانية ضم أسرة آل المتحمي أيضاً في تسلسل هذا النسب اليزيدي ولكن بطريقة ملتوية[2]، مع إشارات أخرى تخليهم من انتمائهم المحلي[3]، فأفرغت بذلك الأرض من كل مفاخرها ولم تدع لإنسانها شيئاً مما يستحق الذكر.

وماذا بعد؟.

هذه الرواية، والتي تتعارض مع كل المعطيات التاريخية الموجودة بين أيدينا، بالإضافة إلى ما تحمله من أخطاء واضحة، فإنها تحمل بين طياتها تفاصيلاً كثيرة ربطت بالرواية تتعلق بالأعراق

---

(١) مجلة العرب، ج١١، ١٢، السنة التاسعة، جماديان، ١٣٩٥هـ، ص٩٨٣.

(٢) إمتاع السامر، (ن د)، ج٢/ ص٢١٤.

(٣) تاريخ عسير المنسوب لمحمد بن مسلط، ص٥٤، ٥٥.

والتوازنات القبلية، وبتاريخ وهوية الوطن وعلاقته بدول الجوار في ظل أطماع وإثارات وتنظيمات مسلحة تتبناها أطراف أجنبية في هذه الدول، والحق أنه لو كانت هذه الرواية تحمل أي درجة من المصداقية فسيتم قبولها على أي حال، فالحقيقة التاريخية ستفرض نفسها شئنا أم أبينا، ولكن إذا كانت هذه الروايات كلها نتاج خيال المزورين، ولا يوجد لها أي مستند وتتعارض مع أبجديات القراءة المتزنة للتاريخ، ومع كل ما ورد في المصادر التاريخية المعروفة، بينما هي لا زالت مرجعاً للكثير من الكتب الحديثة التي أخذت تتقاطر من كل جهة لتكريس أفكارها، فمن الضروري كشف بطلانها وإيقاف تداعيات خبرها على المجتمع والتاريخ والهوية لكامل الإقليم قبل فوات الأوان، فليس من المنصف أن نتجاهل هذا العبث بالتاريخ والأحداث والهوية وبالتركيبة الاجتماعية والتوازنات القبلية في منطقة عسير والمتوارثة منذ آلاف السنين من قبل مجموعة تكتب في الظلام ونحن نستقبل، ونترك هذه المصادر تسيء إلى الرموز العسيرية بهذه الطريقة ونحن نشهد؟.

ولكي نصل إلى الحقيقة في مكمنها الزمني في هذا الخصوص فليس أمامنا سوى معرفة ما تحمله الكتب المعاصرة والتي تحمل الخبر الأصيل المصدر من معلومات وإشارات حول هؤلاء الأمراء وتقصي ما ورد فيها عن أنسابهم، فإذا كان هنالك حقيقة للنسب الأموي لأي ممن وصلوا للسلطة في عسير فإن ذلك لا بد أن يشار إليه وفي مواضع كثيرة ممن كتبوا عنهم، فنحن لا نجد كتاباً واحداً كتب عن أشراف مكة مثلاً إلا وأشار لنسبهم العلوي ولا عن حمود أبو مسمار إلا وأشار لنسبه إلى أشراف أبي نمي، وكذلك الإدريسي كل المصادر أشارت إلى نسبه العلوي ومثل ذلك عن آل الرسي في اليمن، وبالمثل لا نجد من كتب عن بني زياد في زبيد إلا وأشار إلى نسبهم إلى زياد بن معاوية أو زياد بن أبيه، ولا إلى بني الطاهر في تعز إلا وأشار إلى نسبهم الأموي، بغض النظر عن صحة هذه الأنساب من عدمها، بل وحتى من يشك في صحة أنسابهم أشير إلى أنسابهم كما رووها عن أنفسهم كبني رسول في اليمن، فقد أشار كل من كتب عنهم إلى غسانيتهم رغم تشكيك بعض من أشاروا لذلك في صحته، ولكننا في المقابل لم نجد أي مؤرخ ممن عاصروا جميع من وصلوا للسلطة في عسير فيما قبل دخول الدولة العثمانية عام ١٢٨٩هـ يشير إلى النسب الأموي لأيهم، فالواقع يشير إلى عدم وجود أي ذكر لذلك مطلقاً لا في عهد عايض بن مرعي وابنه محمد ولا من قبلهم.

ولعلنا لاحظنا في كتاب إمتاع السامر إيراد النسب الأموي والتأكيد عليه على ألسنة جميع الشعراء الذين اختلقهم، بينما لم ترد أي إشارة لذلك على ألسنة الشعراء في القصائد المعروفة التي وردت به مثل قصيدة علي بن الحسين الحفظي وقصيدة ابن سحمان وقصيدة ابن مشرف، فنجدها تخلوا تماماً من ذكر النسب القرشي أو الأموي، فابن مشرف مثلاً أشار إلى علي وعايض

بأسمائهم مجردة تماماً، أما ابن سحمان فإنه أشار إلى أهل السقا ثم بدأ بذكر آل تمام قبل آل يزيد وهو يشير بذلك إلى سبق الإمارة في آل مسلط وآل مجثل من آل تمام ثم في آل يزيد حيث عايض بن مرعي وابنه، وقد استفاض أكثر في نسب الأسرتين في تعليقه على كتاب تاريخ نجد للألوسي كما سيأتي معنا، بينما تمعن جميع القصائد المنحولة من قبل المزورين في هذه الكتب في الإشارة إلى النسب الأموي بطريقة مباشرة بسبب وبدون سبب.

ولكي نوقف العبث بالمبادرة المحلية وبأنصع مراحل تاريخ هذه الأرض، سنورد بعض ما ذكرته المراجع الرئيسية من إشارات إلى أمراء عسير ومن وصلوا للسلطة بعدهم، وسنفرد ما ورد في المصادر إلى ثلاثة أقسام الأول لأسرة آل المتحمي كل من محمد وعبدالوهاب ابني عامر أبو نقطة المتحمي وطامي بن شعيب المتحمي ومحمد بن احمد المتحمي والثاني لكل من سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل والثالث لعايض بن مرعي وابنه محمد.

أولاً: آل المتحمي

المستفيض في عسير وغيرها لدى المؤرخين ولدى العامة، هو أن آل المتحمي ينتسبون إلى قبيلة رفيدة إحدى فروع قبيلة عسير السراة، وهو ما يؤيده أبناء هذه الأسرة القدماء والمعاصرون وتؤيده جميع المصادر المعاصرة لبدأ ظهورهم على المسرح السياسي في عسير، وفي نجد، والمخلاف السليماني، والحجاز، واليمن، ومصر، ووثائق الدولة العثمانية، وكانت لهذه الأسرة مشيخة محلية في قبيلتهم ربيعة ورفيدة قبل وصولهم لإمارة عسير حسب مصادر تلك الحقبة[1]، ولم نجد مصدراً تاريخياً واحداً ذكر غير انتمائهم إلى قبيلة رفيدة العسيرية منذ لحظة بروزهم على المسرح السياسي وبدأ التدوين عنهم، كما أن أسماء أمرائهم الأول في بداية ظهورهم كما وردت في الكتب التاريخية تدل على عراقة انتمائهم إلى هذه الأرض فاسم "مداوي" الأمير الشاعر المعروف، وهو أحد معاصري بداية ظهور هذه الأسرة على الساحة السياسية هو من الأسماء الجبلية العسيرية التي اختصت بها هذه الأرض دون غيرها، واسم "يحي" (أخو طامي) بن شعيب المتحمي أحد قادتهم الأوائل في عهد الأمير عبدالوهاب بن عامر المتحمي هو من الأسماء التي اختص بها إقليم عسير بكثرة، كما أن اسم "عامر" والد الأميرين محمد وعبدالوهاب أبي نقطة هو من الأسماء الشائعة جداً منذ القدم في قبيلتهم "رفيدة" منذ الصحابي الجليل "عامر بن ربيعة" أحد أفراد هذه القبيلة إلى هذه اللحظة، كما أن وجودهم الكثيف في عسير منذ لحظة انطلاقهم تدل على عمق انتمائهم

---

(١) آل فايع، دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها، ١٣٩.

للأرض، فقد ذكر منهم محمد وعبدالوهاب وعبدالله[١] أبناء عامر أبو نقطة المتحمي الرفيدي العسيري وسليمان بن عبدالله بن عامر[٢] وأبناء عمومتهم طامي بن شعيب ويحي بن شعيب[٣] ومحمد بن أحمد ومداوي بن محمد المتحمي[٤] الرفيدي العسيري، وقد ذكر جحاف أن ثلاثة من أسرة آل أبو نقطة غير هؤلاء قتلوا في معركة بيش عام ١٢٢٤هـ عندما برزوا ثائرين لمقتل عبد الوهاب[٥]، وهذا الوجود الكثيف في تلك المرحلة المبكرة يدل على عمق جذورهم، كما أن ما تركه أمراؤهم من قصائد تبالغ في المفاخرة القبلية بعسيريتهم تدل على أنهم كانوا عسيريين نسباً ووطناً، ولم يعرف عنهم غير ذلك لا لديهم ولا لدى الآخرين منذ القدم.

ولكن مصادر إمتاع السامر أوردت في كتاب "تاريخ عسير" خبراً لتسلسل نسب محمد بن عامر أبو نقطة إلى من أسمته "موسى بن علي" الذي زعمت أنه كان عاملاً لأحد أجداد آل عايض على القنفذة حتى بداية القرن الحادي عشر ثم عينه شيخاً على قبيلة ربيعة ورفيدة، وزعمت أن مسمى أبو نقطة كان لقباً "لموسى بن علي" المذكور، والجميل أن مخطوط "التحفة العنبرية.." للمؤيدي الذي كان قابعاً في دور الوثائق اليمنية اجتث الخبر من أساسه، فقد تطرق للحالة السياسية والاجتماعية القبلية البحتة في تهامة وفي بلاد عسير وشهران ورفيدة وقحطان خلال مرحلة نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر بالتفصيل[٦]، بما يحيل الرواية إلى سخرية بمن يقفون خلف هذه الدعاوى، كما هو حال كل رواياتهم، ولا عجب في أن نرى مثل هذه الأكذوبة إذا علمنا أن حتى الأسرة السعودية في الدرعية لم تعفى من العمل تحت إمرة أجداد آل عايض، فجد الأسرة السعودية حسب إمتاع السامر لم يكن سوى أحد التابعين لأجداد آل عايض الذين أرسله أحدهم من تثليث إلى فلسطين ضمن الجيوش التي أرسلها لتحرير بيت المقدس مع صلاح الدين، وظل تابعاً لإمارة آل يزيد في عسير حتى بعد أن تنقل حتى استقر في الدرعية، وما أسهل بناء الأحلام الكبيرة في الرؤوس الصغيرة عندما تتصدر لكتابة التاريخ.

---

(١) جحاف، درر نحور الحور العين..، ص٨٠٧.

(٢) جحاف، نفس المصدر والصفحة.

(٣) فايع، دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية...، ص١٧٥.

(٤) النعمي، تاريخ عسير، ط١، ١٣٨١هـ، ص١٦٨، ١٦٩.

(٥) جحاف، درر نحور الحور العين..، ص٨٠٧.

(٦) انظر التفصيل حول نص هذه الوثيقة في باب "تاريخ عسير"، فصل "الحالة السياسية والاجتماعية في عسير فيما قبل إمارة محمد بن عامر أبو نقطة".

ما ورد في المصادر التاريخية حول انتمائهم

١- يقول الأمير مداوي المتحمي:

قال ابن تحام من يهتاض الانشاد

مثل الجواهر تحير كل نقاد   *بديت فيها بذكر الله سبحانه*(١)

ونجد في هذا البيت الإشارة إلى أن مصدر اسم هذه الأسرة هو إلى جدهم "تحام"، ومنه سميوا (آل المتحمي).

٢- جاء في رسالة إسماعيل الحفظي إلى عبدالوهاب أبو نقطة ليهنئه بالنصر في المعارك البحرية عام ١٢١٨هـ قوله:

"من إسماعيل بن محمد الحفظي إلى جناب الأمير المجاهد في إعلاء كلمة الإسلام عبدالوهاب بن عامر المتحمي حفظه الله ورعاه..."(٢).

وهذا يدلنا على أن محمد وعبدالوهاب أبو نقطة ينتمون لعشيرة آل المتحمي بطبب حسب المستفيض، وكانوا يدعون محلياً بالمتحمي، إلا أن لقب والدهما "أبو نقطة" غلب على ذكرهما تاريخياً.

٣- يقول الأمير / محمد بن أحمد المتحمي أحد أمراء عسير من أسرة آل المتحمي:

كسبنا الندى من تهلل نادي الثرى   *ومن صخره بأساً إذا استعر الوغى*
سل الحاكم المصري وقواد جنده   *فكم من أسير في الرغام تمرغا*
بأيدي رجال من عسير عشيرتي   *ودرعي إذا ما السيف للجنب دغدغا*(٣)

وفخر الشاعر بذاته القبلية العسيرية وبأرضه وصخرها ونداها وبأثرها عليه وعلى عشيرته في الأبيات، والإشارة لقبيلته بقوله "عسير عشيرتي" يشير بشكل جلي إلى ما كان أمراء آل المتحمي يعرفونه عن أصولهم القبلية وعن دور قبيلتهم (عسير) في أحداث مرحلتهم.

---

(١) النعمي، مصدر سابق، ٢٠٢، (الأبيات باللهجة العامية في عسير).

(٢) آل فايع، المصدر السابق، ص١٧٥.

(٣) ابن حميد، عبدالله، أديب من عسير، جمعه/ محمد بن عبدالله بن حميد، ٦٦، ٦٧.

٤- يقول الأمير مداوي بن محمد المتحمي وهو بمصر :

فا تذكر عصـــور قد مضتنــي	صافيـات من اكـــدار وضيقــة
بين قـومي وبين أهلي وربـعي	والليــالي لـنــا دوم ســـريـقـة
فاتنومس بهــم وأذود عنهــم	واتنومـــس بالأفعال الطليــقــة
وان طرا الناس شي من ثناهــم	في حماهـــم نشرتـــه للحقيقـة
من عسير بن قحطان بن عامر[١]	هامة العـــود ما فينــا لفيــقـة
نكرم الضيف في عســر اليالـي	يوم يغشى السما مثل الحريقــة[٢]

ومفاخرة الشاعر بقبيلته وبنقاء نسبه إليها بهذه الطريقة من المبالغة خاصةً ما جاء في قوله (هامة العود ما فينا لفيقة) والتي تشير إلى صفاء نسبه ونسب قبيلته إلى جدهم الذي ذكره "عسير"، ونفي أن يكون بينهم من هو لصيق بها في حينه، وازدراء ذلك، مع ما يحمل من مبالغة لا تكون إلا ممن يعرف عن نفسه يقيناً الانتساب إليها بشكل كامل، وليس "ملفقاً" (كما استخدم من عبارة)، أرى أنه لو لم يكن هنالك من إثبات لنقاء نسب أسرة آل المتحمي العسيري إلا هذا البيت لكان ذو دلالة قطعية.

وقصائد الفخر القبلي لأمراء آل المتحمي بانتمائهم القبلي المحلي والتي تحمل دلالة على ما يعرفونه عن نسبهم منذ الأزل عديدة، ولسنا بصدد حصرها هنا.

٥- نقل / احمد آل فايع عن المؤرخين كل من الشيخ/ محمد بن أحمد الحفظي والشيخ/ محمد بن هادي بن بكري العجيلي المعاصرَين والمرافقين للأميرين محمد وعبدالوهاب بن عامر أبي نقطة المتحمي في بلاد عسير منذ بداية حكمهما قولهما أنهما من آل المتحمي من مشائخ ربيعة ورفيدة[٣].

٦- أورد البهكلي ١٧٦٨-١٨٣٢م/ ١١٨٢-١٢٤٨هـ مؤرخ المخلاف السليماني المعاصر لبداية إمارة آل المتحمي في نفح العود اسم محمد بن عامر أبو نقطة المتحمي عند إيراد خبر توليه الإمارة بقوله "محمد بن عامر الرفيدي العسيري"[٤]، ثم ذكر عبدالوهاب عند خبر استشهاده بإسم

---

(١) ورد هذا البيت في مصادر أخرى ولدى بعض الرواة بقول (من عسير بن قحطان بن هود).

(٢) آل حامد، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، ص٣٢٤.

(٣) آل فايع، المصدر السابق، ص١٣٩.

(٤) البهكلي، نفح العود، دارة الملك عبدالعزيز، ص١٢٨.

"عبدالوهاب بن عامر الرفيدي"[١]، ثم نجده يذكر طامي بن شعيب قبل توليه إمارة عسير، فيسميه "طامي بن شعيب الرفيدي"[٢]، ثم يذكر الأمير محمد بن أحمد المتحمي قبل توليه إمارة عسير بإسم "محمد بن أحمد العسيري"[٣] ثم يسميه في موقع آخر "محمد بن أحمد الرفيدي العسيري"[٤] وفي موقع آخر "محمد بن أحمد المتحمي"[٥].

ولا شك أن البهكلي عالم المخلاف ومؤرخه والخبير بأخبار وأنساب أهل دياره ومجاوريها والذي كان يسكن في الجهة التهامية من سواحل عسير والذي يكبر كل أمراء آل المتحمي الذين عاصروه سناً لم يكن ليسمي محمد بن عامر وعبدالوهاب بن عامر وطامي بن شعيب ومحمد بن أحمد المتحمي الذين عاصر بداية ظهورهم على الساحة منذ اللحظة الأولى بينما كان هو مسناً حينها بإسم "الرفيدي" أو "العسيري" لو عرف لهم نسباً غير ذلك.

ومثل ذلك فعل عاكش في تتمته للكتاب مع محمد بن أحمد المتحمي فأطلق عليه اسم "الرفيدي"[٦] و"العسيري"[٧]، ولا شك أن ذلك يدل على ما هو مستفيض حول نسبهم قبل ظهورهم.

٧- أورد المؤرخ اليمني لطف لله جحاف ١١٨٩- ١٢٤٣هـ المعاصر لبداية اتصال أبي نقطة بالدعوة في أحداث عام ١٢١٢هـ ما يلي:

"وفي هذا العام انشرح صدر أبي نقطة صاحب عسير بسلوك طريقة عبدالعزيز النجدي"، إلى أن يقول: "فما زال يعده الخير والولاية على دياره ثم بدا له أن يبعثه عليهم فطلبه إليه فسار عن اختيار، وقد كانت بينهم وبين عبدالعزيز ملاحم تجهز عليهم فيها سالم بن شكبان وابن قرملة وابن قفله وكانت عسير تجمع قبائلها فتصاولهم"[٨].

---

(١) البهكلي، نفح العود، دارة الملك عبدالعزيز، ص٢٥٥.

(٢) البهكلي، نفح العود، دارة الملك عبدالعزيز، ص٢٢٣، ٢٦٠.

(٣) البهكلي، نفح العود، دارة الملك عبدالعزيز، ص٢٢٦، ٢٩٦.

(٤) عاكش، نفح العود، دارة الملك عبدالعزيز، ص٢٩٨.

(٥) عاكش، نفح العود، دارة الملك عبدالعزيز، ص٢٦٤.

(٦) الحسن بن أحمد الضمدي، نفح العود في سيرة الشريف حمود - التكملة، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ، ص٢٩٤، ٢٩٨، ٣٠٠.

(٧) نفس المصدر ص٢٩٦.

(٨) جحاف، درر نحور الحور العين، ص٤٠٠.

وقول جحاف هنا: "صاحب عسير" وقوله: "يعده الولاية على قومه ثم بدا له أن يبعثه عليهم" وقوله:

"وقد كانت بينهم وبين عبدالعزيز ملاحم عليهم... وكانت عسير تجمع قبائلها فتصاولهم" *يدل على أن عبدالوهاب بن عامر أبو نقطة المتحمي كان معروفاً في عسير قبل وصوله للسلطة.*

٨- ثم ذكر في أحداث عام ١٢٢٣هـ ما يلي:

" (الرفيدي يغزو المخا)

وفيها: في جمادى الأولى سار عبدالوهاب بنفسه يريد المخا ومعه مرسوم من سعود، فوصل إلى أم الخشب في خمسة عشر ألفاً، ولم يبق بينه وبين أبي عريش سوى مرحلتين"[1].

وإشارته لعبدالوهاب بإسم "الرفيدي" تحمل الدلالة على ما كان معروفاً في جميع الأقطار بما فيها اليمن عن نسب آل المتحمي في عصرهم.

٩- أورد الشيخ محمد بن علي الشوكاني (١١٧٣- ١٢٥٥هـ) ذكر عبدالوهاب أبو نقطة بقوله: "عبدالوهاب بن عامر العسيري المعروف بابن نقطة"[2].

وهذه دلالة إضافية من معاصري بداية ظهورهم لما كان متعارفاً عليه حول نسبهم.

١٠- ذكر ابن بسام (١٢٣٣هـ) ما يلي:

" ومنهم عسير خمسة آلاف خيال وثلاثين ألف سقماني وإنما سميوا عسير على اسم جبل هم ساكنيه وهم أعظم أجناسهم بالرمي بالبنادق" إلى أن قال: "وكبيرهم اسمه طامي وهو من الملوك الذين أسرهم الوزير الأسعد محمد علي باشا[3]*"*

ويقول في صفحة أخرى:

"هذه القبيلة المسماة بعسير تتفرق أسماء كثيرة، فمنهم طوايف بضل المعروف بأبو نقطة وهم الذين يلون سواحل البحر والآخرين بضل السيد الشريف حمود أبو مسمار،

---

(١) لطف الله جحاف، نفس المصدر، ص٧١٩.

(٢) الشوكاني، البدر الطالع، ج١/ ص٢٢٧.

(٣) محمد بن بسام التميمي، الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر، ط٢، ٢٠١٠م، ص٥٣، ٥٤.

وقليل أن يكون بينهم الصلح لأن كل واحد يزعم الفخر له والعلياء بيده، وهم المسمين أبو نقطة وأبو مسمار، فلما صار بينهم الشحناء والعداوة وأيقن أبو نقطة بالعجز عن حربه وأتعبه منازلته وضربه مال لطاعة الوهابي"(١).

ومن خلال ما أورده محمد البسام التميمي والذي كان قاضياً للدرعية مع بداية تواصل محمد وعبدالوهاب بن عامر أبو نقطة معها فإنه يثبت لنا أن المستفيض حول نسبهم في حينه هو أنهم من قبيلة عسير، ولا شك أن البسام قد ارتكب أخطاءً كبيرة وكثيرة في كتابه بخصوص أسماء وأنساب القبائل والأحداث، وهذا ناتج عن بعده عن الموقع وإشكال فهم الحالة عليه وعدم تحريه الدقة في النقل، بالإضافة إلى تعصبه للدولة العثمانية بعد سقوط الدرعية، وتصوفه الظاهر في سرده، وهو ما جعله يتحامل على عسير بصفتها الأكثر حماساً للدعوة، ولكن ما يهمنا هو أن إشارته إلى إمارة آل المتحمي فيما قبل الدولة السعودية تدل على المستفيض في الدرعية حول نسب عبدالوهاب المتحمي مع بداية تواصله معها.

ولم أجد في كل المصادر التاريخية المعاصرة لظهورهم في عسير والدرعية واليمن والمخلاف والحجاز أي إشارة لأي نسب آخر لهم غير قبيلة رفيدة أو قبيلة عسير الأم، كما لم يرد مطلقاً أي إشارة إلى صلتهم بقبيلة آل يزيد الشعف التي ينتمي إليها آل عايض أو إلى النسب الأموي أو الهاشمي أو خلافه ولم يرد أن لهم أي صلة بالقنفذة أو القحمة أو غيرها من المواضع التي استوطنوها وأقاموا بها قلاعاً كمراكز لحكمهم أو بقي بعض ذريتهم بها.

ثانياً: سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل

يتعارف الناس في عسير على أن سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل ينتمون إلى قبيلة آل ناجح من بني مغيد إحدى قبائل عسير السراة الرئيسية الأربع، وقد تحدثت للشيخ علي بن مجثل حفيد الأمير علي بن مجثل فأكد أن أسرته تنتمي إلى قبيلة عسير نسباً وموطناً، ونفى أي صلة لهم بآل يزيد سواءً القاطنين في قرية السقا أو بمصدرهم الأساسي (قرية آل يزيد في الشعف)، وهذا يتناقض مع ما ذكره المزورون في مجموعة إمتاع السامر، وقد حرصت مجموعة التزوير على ضم هذين الأميرين للنسب اليزيدي خاصةً بعد أن وجدوا ما يتعلقون به في هذا الخصوص لرتق انقطاع الحكم اليزيدي الأموي المزعوم فيما قبل عايض بن مرعي، فانفرد ذكر أسرتيهما في مجموعة إمتاع

(١) نفس المصدر السابق، ص٨٠.

السامر بتاريخهما في السلطة للاستفادة منهما تاريخياً، وقد كان معتمدها في هذا الربط التباس لغوي في كتاب "رحلة في بلاد العرب" لتاميزيه[١].

وقد رأيت من يدافع عن أفكار مجموعة إمتاع السامر التي تربط آل مجثل بآل عايض ومن ثم بالنسب اليزيدي، معللاً ذلك بضرورة حماية الرموز التاريخية لعسير، وكان ذلك خلال الرد على ما ذكره الريحاني من امتهان عايض بن مرعي للرعي قبل وصوله للسلطة، وهذا خطأ كبير، فمن غير المنطقي التدخل في أنساب الآخرين لتلافي إشارات هم غير معنيين بها، والبناء على لفظ افتراضي ورد لدى أحد المستشرقين دون أخذ رأي أهل الشأن في ذلك، كما أن الرمزية التاريخية بعيدة جداً عن ما ذهب إليه الذين أسقطوا رمزية الإنسان العسيري وتاريخه ومبادرته مقابل تسطير مركزية أزلية لا متناهية للسلطة التي فصلوها عن بيئتها، فهذا نمط بدائي من التسطير حول شخصية الحاكم وأزلية سلطته تجاوزه العصر، فلم نجد الأسرة السعودية الحاكمة مثلاً تحاول أن تكرس أزلية حكمها للوطن بطريقة إمتاع السامر، بل هي تقول وبكل ثقة بأنها لم تكن سوى إحدى الأسر الكبيرة في بلاد نجد لا تتجاوز سلطتها موطنها "الدرعية"، ولكنها تميزت عن بقية الأسر الأخرى بتأييدها للشيخ محمد بن عبدالوهاب وحمل لواء نشر الدعوة السلفية[٢]، وهكذا يكتب مؤرخوها بكل أريحية[٣]، فأين هذا مما تحمله أساطير الإمتاع.

ورغم أهمية مرحلة هذين الأميرين (ابن مسلط وابن مجثل) وتجاوز إمارتهما إلى كامل إقليم عسير، إلا أننا نلاحظ أن هنالك عجز كبير في الحصول على معلومات تفصيلية عن تاريخ إمارتهما لوجود فقر كبير فيما وصلنا من معلومات حولهما من المصادر المحلية المعاصرة لهما وخاصةً فيما يخص الأمير سعيد بن مسلط، وهنا بعض ما ورد من معاصريهما وما بعدهم حتى مرحلة ما قبل ظهور كتب مجموعة الإمتاع، مما يؤكد عدم صلة. سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل بآل يزيد ولا بأي نسب آخر غير ما عرف عنهما.

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في نهاية هذا العنوان: "ما أورده المؤرخون عن نسب سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل".

(٢) موقع مقاتل من الصحراء، خالد بن سلطان بن عبدالعزيز.

(٣) انظر كمثال: محمد رفيع، في ربوع عسير، ص١٧٦.

ما أورده المؤرخون عن انتماء سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل

١- أورد الشيخ هاشم النعمي عن نسب الأمير سعيد بن مسلط مايلي:

"ينتمي سعيد بن مسلط هذا إلى عشيرة عرفوا بآل ناجح من قبيلة بني مغيد إحدى قبائل عسير السراة الأربع، نشأ كما ينشأ أبناء الضواحي على شظف العيش وضروريات الكسب، يمتهن حرفة الفلاحة، وما يتلاءم معها من مقومات الحياة، كان يسكن هو وعشيرته قرية من ضواحي أبها يطلق عليها اسم "السقا" تقع على سفح طور سراة عسير الغربية المطلة على أغوار رجال ألمع، وعندما انتشرت الدعوة السلفية التي نادى بها الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب المعروف بأبي نقطة كانت قد صقلته بطابع الورع والدين والنزاهة، وعندما سقطت بلاد عسير في يد الشريف محمد بن عون كان سعيد بن مسلط موضع ثقة نائبه الشريف هزاع بن عون، وقد بلغ من ثقته أن تزوج أخته حليمة بنت مسلط، وكانت من أنبل نساء وقتها في عسير ديناً وعفة وعقلا، فكان لقربه من الحاكم ما للحاكم نفسه من الحرمة والاعتبار المادي والمعنوي، ومنها رئاسة عشيرته آل ناجح، ومنها إسناد غزو بني مغيد في المغازي، فازداد بذلك شرفاً وجاهاً لدى أهل وطنه، ولم تمض عليه أيام حتى أصبح ذا كلمة مسموعة لدى العسيريين ورأي صائب"[١].

- هنا أرى أن الشيخ هاشم قد أوفى الأمر من ناحية انتماء وبدأ بروز سعيد بن مسلط على مستوى قبيلة عسير، ولكنه خالفه الحظ في تقييمه لمكانة سعيد بن مسلط وأسرته قبل زواج الشريف هزاع من أخته، فلعلي بن مجثل ذكر في عهد الأمير محمد بن أحمد المتحمي[٢] الذي كان يشن حملاته على الدولة العثمانية من عمق جبل تهلل حيث تقع السقا في الطرف الغربي له، وقد نجد فيما ذكره عاكش في نفح العود من إشارة إلى أن محمد المتحمي كان إلى جانبه علي بن مجثل في معلقين يدير منه المعارضة[٣] ما يدل على أن موقع المعلقين (القاعدتين أو القلعتين) متجاورين والأرجح أنهما يقعان حيث لجأ طامي بن شعيب في حربه مع محمد علي باشا أي فوق جبل تهلل في بلاد بني مغيد، حيث بدأ في تلك المرحلة التنبه إلى الأهمية الجغرافية لقمة جبل تهلل في مقاومة الدولة العثمانية، وهنا فالراجح أنهما كانا سوياً في "السقا"،

---

(١) النعمي، تاريخ عسير، نسخة قديمة طبعت عام ١٣٨١هـ، ص١٧١.

(٢) عاكش، نفح العود، دراة الملك عبدالعزيز، ص٢٩٨.

(٣) عاكش، نفح العود، ص٢٩٨.

وكذلك نجد فيما ذكره العقيلي في كتاب "المخلاف السليماني" عن مشاركة علي بن مجثل إلى جوار محمد بن أحمد المتحمي في التوجه إلى حمود أبو مسمار عام ١٢٣٢هـ[1] ما يؤيد القول أن بدأ النشاط السياسي لهما كان فيما بين عامي ١٢٣٠- ١٢٣٢هـ ولكن لا يوجد ما يدل على أنه كانت لأي منهما أو أسرته فيما قبل ذلك مشيخة عامة على قبيلة عسير، ولا حتى خاصة على قبيلتهما بني مغيد خارج إطار عشيرتهما الأقرب "آل ناجح"، حيث كانت عسير موزعة على عدد من المشيخات القبلية ومن بينها مشيخة بني مغيد التي كانت موحدة في أسرة آل مدحان، ولا شك أن زواج حاكم عسير "الشريف راجح" من أسرة سعيد بن مسلط سيزيد من مكانتهما القبلية، ولكنه قبل ذلك يدلنا على المكانة التي وصلت لها هذه الأسرة في تلك المرحلة، أي فيما قبل وصول سعيد بن مسلط للسلطة، إذ كان أشراف مكة حريصين جداً في مصاهراتهم على مصاهرة ذوي المكانة الاجتماعية الجيدة.

٢- ذكر سليمان بن سحمان ١٢٦٨- ١٣٤٩هـ في تتمته لكتاب تاريخ نجد لمحمد شكري الألوسي عن نسب سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل ما يلي:

"وعسير قبيلتان: ألمع، ومساكنهم وقراهم في جبال تهامة مما يلي الخبت، وأما القبيلة الثانية من عسير فهم مغيد وهم عسير السراة وهم قبائل شتى وملوكهم إذ ذاك من قبيلة يقال لهم مالك ثم من مغيد ورئيسهم والقائم بأمرهم في زمن الدرعية وهو عبدالوهاب أبو نقطة، وكان أميراً لآل سعود وساعدهم بالقيام في هذا الدين ونصرته والجهاد فيه وكانوا على ذلك حتى مشت عليهم الدولة المصرية، ومحل بلدهم ومسكنهم في بلد يقال له طبب. ثم صارت الإمارة بعده في آل مجثل سعيد بن مسلط وأخوه علي، وقد صارت لهم دولة عظيمة وجهاد في سبيل الله حتى ساروا لليمن وفتحوا المخا وفي ذلك يقول الإمام أحمد بن علي بن مشرف:

وفتح المخا بالسيف للناس آية وذل وزلزال لأهل التمرد

ثم توفي علي بن مجثل – رحمه الله- وصار الأمر بعده إلى عائض بن مرعي وذريته. وآل مرعي وآل مجثل بطنان من بني مالك وهما آل يزيد وآل تمام وبلادهم ومحلتهم التي سكنوا فيها قرية يقال لها السقا.

---

(١) العقيلي، نفح العود، الحواشي، ص٢٩٨.

والسقا:

بلاد بها نيطت علي تمائمي ... وأول أرض مس جلدي ترابها [1]

- وقد اعترض محمد رفيع على ما قاله ابن سحمان، مؤكداً أن الحقيقة هي ما قاله حول نسب الأمير سعيد بن مسلط ناقلاً عن بعض وثائق آل الحفظي في هذا الخصوص [2]، ورغم أن ما قاله رفيع لا يتجاوز ما ورد لدى ابن سحمان على وجه العموم، إلا أن الواقع يقول أن ابن سحمان أكثر موثوقية فيما قاله حول المستفيض في السقا عن نسب هذه الأسرة في عهد إمارتها من مصادر محمد رفيع للأسباب التالية:

أولا: لأنه يمثل جهة محايدة غير معنية بمجاملة أو مراعاة لشعور أحد، فقد كتب رأيه ووثق فيه ما يعرفه حول الأمر عندما كان في الرياض تعليقاً على كتاب الألوسي كما أنه امتدح في قصيدته التي كتبها بعد انتصارات الملك عبدالعزيز أسرة آل مجثل وآل عايض على السواء، بينما المصادر المحلية أوردت الكثير من المعلومات الخاطئة حول التاريخ العسيري، بما يجعلنا لا نستبعد أثر التحيز أو المجاملات، خلال العلاقة المباشرة مع السلطة أو الخصام معها في أخبارها.

ثانيا: لأنه ولد وعاش فترة من حياته في قرية السقا مع والده وكان والده خلالها من المقربين للسلطة في عسير بصفته من رجال العلم، وتدل قصيدته على أنه يعرف بلاد عسير وخاصة السقا وما بينها وبين أبها وأسرها الكبرى والبيوت الكبرى بدقة ومما جاء فيها:

إذا أنت أزمعت المسير ميمماً ... إلى الطور من أرض السراة من الوعر
وخلفت شهراناً وناهس بعدما ... قطعت طريباً من ديار بني صقر

فاشرف على أبها حنانيك قائلاً ... ودمعك سفاح على الخد والنحر
سلام على من حلها من ذوي الهدى ... بقية أهل الدين في غابر الدهر
وعرض على أهل القرى حيث أنها ... محلة أخوالي وإن كنت لا تدري
فسلم على من كان بالله مؤمناً ... ودع كل من يأوي إلى أمة الكفر
وأرض بها نبطت علي تمائمي ... تسمى السقا دار الهداة أولي الأمر
بلاد بني تمام حيث توطنوا ... وآل يزيد من صميم ذوي الفخر

---

(١) الألوسي، محمود شكري، تاريخ نجد، تتمة تاريخ نجد (سليمان بن سحمان)، مكتبة الثقافة الدينية، ص١٢٥.

(٢) رفيع، محمد، في ربوع عسير، ص٢١٦.

فمـن كان منهـم مستقيماً موحداً فأبلغـه تسليماً يفـوت عـن الحصر
فعهـدي بهـم أنصار دين محمد على الملة السمحا وليسوا ذوي غدر
ولكن جرت منهم أمور فعوقبـوا على ما جرى منهم بلا واسع العذر
ومن بعد إبـلاغ السـلام مؤديـاً أخُها لـدى عبدالحميد أخي الشعر
وأبلغـه تسليمـاً وأوفـى تحيـة وأزكـى أرجـه فـاح كالنـشر

إلى أن يقول:

وأبلغ بني الشيـخ الأمير محمـد علياً وعبدالله عنا بـلا حـصر
سلاماً وأبلغ عائضاً وذوي الـهدى ومن هـو منهم لم يـزل سـائر الـدهر
وإخوتنـا عبـدالكريـم وفائعـاً وأبنـائهم تـسليم مكتئـب الـصدر

إلى أن يقول:

فيا ليت شعري هل شدى بمشيـدة كمهدي به حال الطفولة من عمري
وهل حصن زهوان الحصين وجيرة حواليـه في عـز أطيـد وفي فخـر
وحصن بني عواض وآل مفـرح وجيرانهـم أهـل القريـع علـى خـبر
وصدى وحصن لابن لاحق حولنـا ويـاليتني أدري أكـانوا كمـا ادري

ونلاحظ هنا من خلال القصيدة أنه على اطلاع جيد ومعرفة بالبيوت الكبرى والحصون والقرى والمواقع والأنساب في بلاد عسير وما حولها ولا زال يتذكرها جيداً، مما يجعلنا نستبعد القول بأنه كان يتحدث ناقلاً عن بعد، فكل ما قاله هو ما كان يدور من الأقوال في السقا حيث موطن والدته وأخواله وحيث كان يقطن في طفولته وبداية شبابه، بغض النظر عن ما ورد فيه.

ثالثاً: لأن أمه من أهالي قرية السقا ومن ثم أخواله، وهو ما يجعله أكثر ارتباطاً بأسر السقا وأكثر معرفة بأصولها حسب ما يعلمه بشكل خاص ومباشر من خلال كونه أحد أبنائها في تلك المرحلة.

لذا يجب أن نقف بتمعن شديد عند ما قاله ابن سحمان كثيراً، فهنالك أخبار تاريخية أخرى ووثائق تشير إلى أنه كان ينقل بالفعل ما يتداوله أهل الشأن ذاتهم في حينه بما فيه ما جاء عن الأنساب القديمة للقبائل وصلاتها حتى وإن كانت لا تصح، إلا أننا يجب أن نتذكر أن هذا الأمر يشاع مثله بين فترة وفترة، فابن سحمان لم يتصدر للرد على الألوسي دون علم، أو ليبني رأيه على الظن، وهو العالم المشهور.

ومن خلال سرد سليمان بن سحمان الذي شهد فترة حكم محمد بن عايض واختلط بالأسرتين

نجده يحيل نسب سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل إلى أسرة واحدة من قبيلة محلية وهي آل تمام بينما يرجع آل عائض إلى قبيلة أخرى وهي آل يزيد ويحيل القبيلتين إلى الالتقاء في قبيلة كبرى وهي بني مالك التي اعتبرها من بني مغيد من عسير دون أن يورد أي إشارة إلى نسب أموي أو خلافه، وإن كان ابن سحمان قد أورد صلات غير معروفة بين القبائل، فربما يعود ذلك كما أسلفنا إلى ما كان يشاع من مقاربات قبلية بين القبائل من خلال أنسابها القديمة غير المعروفة لأهداف سياسية أو غير ذلك، وهو أمر شائع أمثاله بكثرة حتى عهد قريب مع ما يحدث فيه من أخطاء، إلا أننا لا نتوقع منه أن يخطئ في فهم الصلات العائلية في قرية السقا، فمن المستبعد أن يقطن سليمان بن سحمان قرية السقا فترة طفولته وبداية شبابه حتى شارف الرجولة، ويعرف قراها وقصورها القديمة وأسرها المهمة وأسماء العشائر والأسر الرئيسية بها كما وردت في قصيدته الطويلة، ثم لا يعرف الصلة بين الأسر الكبرى في قريته، ومن ثم فإن ذلك يؤكد لنا أنه لم يكن هنالك على الإطلاق حديث في عهد عايض بن مرعي ولا ابنه محمد في عسير عن وجود علاقة لآل مجثل وآل مسلط بأسرة آل عائض ولا بآل يزيد، كما أنه لم يكن هنالك حديث عن النسب الأموي، حيث أرجع آل مجثل وآل عايض إلى قبيلة بني مالك وأرجع قبيلة بني مالك إلى بني مغيد مما يدل على عدم وجود ذكر لصلة أقرب من ذلك، ولا لأموية أيهم قبل نهاية حكم محمد بن عايض، وهو ما يؤيد أن حكاية النسب الأموي لم تبدأ إلا خلال فترة لاحقة، وهي فترة الحكم العثماني للمنطقة، ولم يكن آل مجثل وآل مسلط معنيين بها.

٣- أورد الحسن عاكش ١٢١٩ - ١٢٩٠هـ اسم الأمير علي بن مجثل باسم "علي بن مجثل المغيدي"[١]، ولم يصفه باليزيدي ولا بالأموي، وهو أمر لا يقع فيه علماء المخلاف واليمن حيث كانت الأنساب القرشية ذات مكانة لديهم تجعلهم يحاذرون من خلطها مع بقية القبائل، مما يؤكد لنا أن مثل هذه الأقوال لم تر النور بعد في تلك المرحلة.

٤- أورد أحمد زيني دحلان نسب الأمير علي بن مجثل كما يلي:

"وفي سنة تسع وأربعين أيضاً صدر الأمر من محمد علي باشا بالتجهيز لمحاربة عسير وكان قد توفي أميرهم علي بن مجثل وكان من بني مغيد"[٢].

---

(١) عاكش، نفح العود، ص٢٩٨.

(٢) دحلان، خلاصة الكلام، ٣٠٩، ٣١٠.

٥- أشار الكبسي ١٢٢١- ١٣٠٨هـ إلى "علي بن مجثل" وخبر دخوله للحديدة والمخا وهزيمته لجيش "تركجة بلمز" واطلق عليه "العسيري"(١).

ولم يرد مطلقاً في أي مصدر معاصر أو قريب من عصرهما أي إشارة إلى انتسابهما إلى بني أمية أو إلى قبيلة آل يزيد، كما لم يرد وجود صلة قربى بينهما وبين عايض بن مرعي ما عدا ما ورد من إشارات لفظية مبهمة ومضطربة ومتناقضة إلى وجود صلة لعايض بهما في كتاب "رحلة في بلاد العرب" لموريس تاميزيه والذي استندت إليه مجموعة إمتاع السامر لصياغة التزوير، وهو ما سنتطرق له في الفقرة التالية.

٦- نقل الأستاذ محمد آل زلفه في ترجمته لكتاب موريس تاميزيه التالي:

أولاً- أورد لتاميزيه في الكتاب المترجم إلى العربية على لسان دوسري أبو نقطة قوله:

"وما أن وصل الأمير علي إلى بلاده حتى ألم به المرض الذي لم يمهله طويلاً، حيث وافته منيته بعد بضعة أيام، مخلفاً وراءه ولدين صغيرين غير قادرين على خلافة والدهما، فتولى ابن عمه الأمير عايض أعباء الإمارة والوصاية على ابني الأمير الراحل"(٢).

ثانياً- أورد لتاميزيه على لسان الأمير مشيط قوله:

"وتحفظت المنية على (ابن مجثل) بعيداً عن قلوب شعبه، وأصبحت بالتالي حليفاً لخلفه، مثلما كنت حليفاً لعمه، ولم يكن من واجبي التخلي عنه"(٣).

ثالثاً- أورد لتاميزيه قوله:

"يبلغ عايض من العمر ثلاثاً وثلاثون سنه، وطوله خمسة أقدام، وهو بدين جداً، ولحيته كثه، وحواجبه سوداء، وعيناه كبيرتان وتلمعان باستمرار كأنهما جوهرتان أو (ماستان) وهو ابن الأخ الأصغر للأميرين علي وسعيد من جانب الأب، فهو منحدر مثلهما من قبيلة بني مغيد"(٤).

---

(١) الكبسي، اللطائف اللسنية، مكتبة الجيل الجديد - صنعاء، ص٤٠٦.

(٢) موريس تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، تحقيق محمد آل زلفه، ص٣٩.

(٣) تاميزيه، المصدر السابق، ص٢١٧.

(٤) تاميزيه،المصدر السابق، ص٢٦١.

وهنا وفيما يخص أسرة سعيد مسلط وعلي بن مجثل، واللذان حملا راية الثورة لتأسيس الفترة الثانية من التاريخ العسيري، واتسع نطاق إمارتهما إلى أن شملت بلاد غامد وزهران وبيشة وتثليث والمخلاف السليماني وسواحل اليمن ونجران، والتي وصل عايض بن مرعي إلى الحكم بعدها، فإنه لا بد لنا من أن نشير إلى ما ذكره تاميزيه بشيء من التفصيل لتوضيح الصورة خاصةً وأن المصدر انفرد هنا بالإشارة الوحيدة المعاصرة لوجود صلة ما بين أسرة آل عائض وبين أسرة آل مجثل، كما أن المعلومة فيما يبدو كانت المصدر لحماس مجموعة إمتاع السامر في وصل الأميرين المذكورين بالنسب اليزيدي، وهو ما لم يتعارف عليه العسيريون ولا الجزء الآخر من أهل الشأن، وتنكر روايات كل مؤرخي عسير المعاصرين لهما ولعايض بن مرعي ثم لابنه محمد صحة ما أوردته مجموعة إمتاع السامر التي ذكرنا والتي لم تعدم الحصول على هذه المعلومة قبل غيرها وتكييفها مع الرواية بما يتماشى مع الوصول إلى الهدف.

وحيث أن ما ورد في الكتاب يتعارض مع ما يحمله أهل الشأن في السقا وما تحمله الذاكرة الشعبية في عسير وما تحمله بطون كل الكتب المعاصرة لمرحلة إمارة علي بن مجثل وعايض بن مرعي كما أسلفنا، فإننا نجد في هذه الرواية التي اعتمدت عليها أو على من نقلوا عنها مجموعة التزوير، واعتبروها حجة لإثبات صحة الرواية الكثير من المآخذ التي ربما طافت على الكثير، فإظهار الحقيقة في هذا الخصوص مهم جداً من حيث كونه يقف دون محاولة مصادرة التاريخ والمبادرة العسيرية من أيدي أهلها لصالح أسماء وهمية نسبت ليزيد بن معاوية، والذي ربطت به أسرة آل مجثل وآل مسلط بينما هي تنفي أي صحة لذلك وتنفي أي صلة لها بآل يزيد، ولا بآل عائض، ولا بيزيد بن معاوية، لذا فلا بد من إظهار الحقيقة حول ذلك، وملاحظاتنا حول ما أورده تاميزيه تتلخص في التالي:

١- معلومات الكتاب ترجمت من مصادرها العربية (باللهجة العامية) إلى الفرنسية ثم إلى الإنجليزية ثم إلى العربية (الفصحى)، ومصدر نقل المعلومات الأساسي (موريس تاميزيه) الذي استقبلها من مصادرها باللهجة العامية في عسير وترجمها إلى الفرنسية كان شاباً صغير السن عمره ٢٢ عام[١]، يعمل كأمين سر للطبيب شديفو مما يدل على ضآلة مكانته العلمية، وكان يتكلم العربية بركاكة عندما قدم إلى عسير مرافقاً للحملة المصرية كأول زيارة له للجزيرة العربية وآخرها، ونجد دلالة ذلك في قول دوسري له بأن لغته العربية تشابه لغة أهالي مالطا[٢]

(١) تاميزيه، المصدر السابق، ص١٦.

(٢) تاميزيه، المصدر السابق، ص١٢١.

الذين كان يقابلهم دوسري في مصر، مما يدل على أنه لم يمارس اللغة العربية بشكل كافٍ كما كان حال بقية المستشرقين الذين كتبوا عن الجزيرة العربية كبوركهارد ولورانس وفيلبي وغيرهم ممن تمرسوا في اللغة العربية حتى أتقنوها، وعايشوا أهلها وفهموا لهجاتهم المحلية وعاداتهم وإيماءاتهم وطريقة إشاراتهم إلى حد كبير فتحدثوا عن كل صغيرة وكبيرة في مناطق دراستهم، فرغم أهمية كتاب تاميزيه كشاهد عيان وناقل للأحداث المعاصرة والأخبار المتناقلة إلا أنه كان هنالك قصور كبير لديه في التعريف بالتقسيمات القبلية والعمق التاريخي للمنطقة، حتى أن دوسري أبو نقطة سخر منه عندما علم بأنه لا يعرف سبب حملة محمد علي على عسير رغم مضي ستة أشهر من مرافقته لها[1]، ومن هنا فلا شك أنه سيكون لديه لبس كبير في الحصول على المعلومة خاصةً في مجال الصلات العائلية والقبلية والتي هي مختلفة في دلالاتها كما نعلم من الناحية اللغوية بين العربية واللغات الأوروبية، ومختلفة أيضاً في دلالاتها المحلية القبلية الشعبية عن دلالاتها اللغوية، كما أن رحلته القصيرة والتي لم تتجاوز حدود خيمته كانت أول وآخر رحلاته إلى الجزيرة العربية ذات الثقافة القبلية الخاصة واللغة المرتبطة بالعادات والنمط الاجتماعي القبلي الصعبة على من لم يمارسها، فمثلاً كلمة ابن عم التي وردت في الكتاب هي في اللغة الفرنسية والإنجليزية كلمة شاملة تنطق (cousin) وهي تدل على ابن العم وابن الخال وابن الخالة وابن العمة كما تطلق على أي ذي صلة قربى بعيدة، وكلمة عم (Uncle) تحمل نفس الصفات فهي تطلق على الخال أو العم، كما أن كلمة ابن الأخ في الفرنسية والإنجليزية هي كلمة شاملة أيضاً يدخل فيها الذكور من أبناء الأخ أو أبناء الأخت للمرأة والرجل وتنطق (nephew)، ومن الناحية الأخرى فإن كلمة "ابن عم" التي التقطها من دوسري أبو نقطة لا تعني في مفهومها العامي بالضرورة صلة القربى كما ورد في الكتاب المترجم إلى العربية فكلمة "ابن عم" و"ابن آخي"[2] مثلاً تطلق في عسير عادة كاصطلاح على كل أبناء القبيلة أو القرية الواحدة، كما يعرف الجميع ويمكننا ملاحظة ذلك في الكثير من الوثائق القديمة في عسير لفهم دلالة المصطلح المحلية، فهذه مثلاً إحدى الوثائق الموقعة بين قبائل عسير السراة الأربع عام ١٣٤٥هـ بخصوص التزامات المتنقلين بين قرى هذه القبائل وما هو عليه حال المتنقل في البلاد الجديدة من التزامات مع أهل القرية التي استوطنها، حيث يلتزم معهم في كل ما يتعلق بالمزارع أما حمل الدم فيظل أبناء قريته

---

(١) تاميزيه، المصدر السابق، ص٣١.

(٢) تنطق في اللهجة العامية المحلية بمد ألف "آخي".

الأولى والذين أشاروا لهم هنا بلفظ (بني عمه) هم المعنيين به في هذا الخصوص وهذا جزء من النص:

".. ولوازم البلاد على عوايدهم وهي على قدر حالة بذمام العدل من تلك القرية ثم عقال القرية لهم التصرف في العشر وغيره في لوازم القرية وفيما يلزم من أمر الولاية كيفما أرادوا وأما الدم فكل يعود لبني عمه ما لأهل القرية عليه سبيل إلا حقوق البلاد على حسب العادة المطردة بينهم..."[1].

ومن ثم فإن كون "عايض" المجهول لدى "دوسري" (كما يقول[2]) كان معدوداً كأحد أهالي السقا فإنه يعتبر اصطلاحاً "ابن عم" لكل أبناء قرية السقا بالنسبة لآل ناجح وابن عم لكل قبيلته آل ناجح بالنسبة لبقية بني مغيد وهو ابن عم لكل أبناء قبيلة بني مغيد بالنسبة لبقية عسير وهو ابن عم لكل أبناء قبيلة عسير بالنسبة للبقية، ومن ثم فهو من "بني عم" علي بن مجثل بنفس القياس في اللهجة العسيرية، وبالمثل فإن كلمة عم والتي وردت على لسان مشيط والتقطها تاميزيه، لا تعني بالضرورة العمومة المباشرة، إذ درج أهالي عسير على إطلاق كلمة عم على حالات كثيرة لا تتعلق بالقربى، ككبير السن أو سيد العمل، كما أنه عرفياً في عسير يطلق على ابن خالة الأب أو ابن عمته وعلى والد الزوجة كلمة "عم"، مما يدل على خطأ وقع من قبل تاميزيه أو في متن السرد المترجم إلى الإنجليزية أو العربية، فدوسري كان يتحدث عن عايض كأحد أبناء قرية السقا افتراضياً، ومن هنا فقد أطلق عليه ابن عمه، وكذلك مشيط أطلق على علي بن مجثل عم عايض على أساس معرفته بالعلاقة بين الطرفين من حيث كون الأول كان سيداً للقصر الذي يعمل فيه الثاني ويكبره سناً فيقول له "يا عم علي"، وهنا التقط تاميزيه العبارتين ليركبهما على مفهومه الأساسي في ترجمة اللغة العربية رسمياً، فاعتبر عايض ابن أخ لعلي بن مجثل (nephew) من جهة الأب، وعندما نعيد ترجمة العبارات من الفرنسية أو من الإنجليزية إلى العربية فإن كلمة ابن عم أو ابن أخ بمفهومها اللغوي ربما تكون الخيار الأول أمام المترجم عادةً عندما يجد كلمة (cousin) أو (nephew) والعكس صحيح.

٢- مصادر معلومات تاميزيه التي وردت في كتابه في هذا الخصوص والتي اشتق منها صلة القربى كانت كل من دوسري أبو نقطة ومشيط، بينما دوسري أسر ونقل إلى مصر عام ١٢٣٠هـ

---

(١) آل حامد، مصدر سابق، ص٥١٦.

(٢) تاميزيه، المصدر السابق، ص٢٦٠.

عندما دخل محمد علي باشا إلى طبب بعد معركة بسل وهو لا زال يافعاً، وهي حادثة سابقة للحملة التي كان يرافقها مع تاميزيه عام ١٢٥٠هـ بعشرين عاماً[١]، أي قبل وصول أيهم للحكم، ثم بقي في مصر حتى عاد برفقة الحملات العثمانية، وقد أشار دوسري نفسه في الكتاب إلى أنه لا يعرف عايض بن مرعي[٢] الذي كان للتو وصل إلى الحكم، لذا فالمصدر ضعيف، ومن ثم فلو افترضنا جدلاً أنها تعني صلة القربى وليس ابن قبيلته كما أسلفنا، فإن الكلمة تكون أطلقت من باب الافتراضية على أساس أن الحكم أو المشيخة القبلية عادة ما تتسلسل في أبناء الأسرة الواحدة، ولن نندهش أن نجد من أطلقها غير تاميزيه خاصةً إذا كان ممن كتبوا عن بعد على افتراض وجود أسرة حاكمة ينتمي لها الطرفين هو ما يرد إلى ذهن المتلقي لخبر تناقل السلطة دون أن يعرف التفاصيل،كما فعلت جاكلين بيرين عندما اعتقدت أن علي بن مجثل من أسرة آل أبو نقطة التي كانت تحكم عسير قبل عهده فأطلقت عليه "علي أبو نقطة"[٣].

أيضاً فإن الشيخ مشيط يقطن مدينة خميس مشيط، ومن ثم فمعلوماته عن الروابط الأسرية فوق جبل تهلل حيث السقا المنزوية في أقصى هذا الجبل على بعد حوالي خمسين كيلومتراً تحمل نفس الضعف.

ولعل في اختلاف تعريف صلة القرابة بين علي بن مجثل وعايض بن مرعي بين المصدرين حيث أشار الأول بأنه "ابن عمه" بينما أشار الثاني إلى أنه "عمه" ما يؤكد وجود اللبس في فهم المقصد من هذه الكلمات المتداولة كثيراً كمفردات اصطلاحية في عسير، إذ لا يمكن أن يطلق عليه عمه وابن عمه في نفس الوقت، إلا على أساس الاصطلاحات الدارجة.

٣- هنالك إشارة قوية تومئ بعدم دلالة الكلمة على وحدة النسب من قبل تاميزيه ذاته أو من كان يملي عليه ما كتب، وهي أنه (في الكتاب المترجم بالعربي) بعد أن فرغ من ذكر صلة القربى بين عايض والأميرين سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل وذكره أنه ابن أخيهما من جهة الأب يستطرد فيقول:

"فهو منحدر مثلهما من قبيلة بني مغيد".

---

(١) تاميزيه، المصدر السابق، ص١٢٠.

(٢) تاميزيه، المصدر السابق، ٢٦٠.

(٣) بيرين، جاكلين، اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدري قلعجي، منشورات الفاخرية الرياض ودار الكتاب العربي بيروت، ص٢٥٢.

وهذا الابتعاد بوصف الصلة النسبية بينه وبينهما لا يتوافق على الإطلاق مع كونه يقصد ما ورد في نفس السياق باللغة العربية حرفياً من أنه ابن أخ لهما، إذ لا مجال للقول بأنه مثلهما ينحدر من نفس القبيلة بعد أن ذكر أنه ابن أخيهما إذا كان يعني الكلمة بمفهومها اللغوي في العربية بالتمام، فقد اتجه تاميزيه لرابط بعيد ليذكره بعد أن ذكر رابطاً يحمل ضمنياً هذا الرابط بين الأطراف، وهو ما لا أرى أن يقع فيه كاتب غربي يحرص على الدقة في السرد، وما يؤيد ذلك أن الكاتبة الفرنسية جاكلين بيرين التي نقلت عن تاميزيه، أوردت مختصراً لكتابه في عدة صفحات سردت فيها رحلته وأخبارها وما حدث فيها ولكنها لم تفهم العبارات كما وردت في الترجمة النهائية باللغة العربية في تحقيق آل زلفة، فلم تدل هذه الإشارات لديها على وجود صلة لعايض بأسرة سلفه، فأوردت أن "علي" كان من آل أبو نقطة وأوردت خبر وفاته وتولي عايض السلطة كالتالي:

" إلا أن المرض سبب وفاته فحل محله المدعو عايض"[1].

مما يعني أنها لم تفهم أن المدعو عايض من أسرة أبو نقطة، وما كان لها أن تقول ذلك لو أن العبارات حملت ما يدل على انتمائه لنفس الأسرة.

٤- حتى لو اعتمدنا جدلاً على مصادر مجموعة الإمتاع، فإنه لا صحة لكون عايض بن مرعي ابن عم أو ابن أخ لعلي بن مجثل، فالمصادر الأخرى التي فصلت في الصلة تشير إلى أنهما يلتقيان في الجد الثامن لعايض بن مرعي والسابع لعلي بن مجثل حيث ورد نسب عايض في كتاب "تاريخ عسير" لابن مسلط كالتالي:

عايض بن مرعي بن محمد بن احمد بن يحي بن عبدالرحمن بن علي بن عبدالله[2].

أما سعيد بن مسلط وابن عمه علي بن مجثل فكالتالي:
سعيد بن مسلط بن مسفر بن محي بن عواض بن عبدالرحمن بن عبدالله

وعلي بن مجثل بن مسفر بن محي بن عواض.. إلخ[3].

---

(١) بيرين، جاكلين، اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدري قلعجي، منشورات الفاخرية الرياض ودار الكتاب العربي بيروت، ص٢٥٢.

(٢) تاريخ عسير المنسوب لمحمد بن مسلط، ص٣٥.

(٣) نفس المصدر السابق والصفحة.

مما يعني أن الأسرتين قد افترقتا منذ ثمانية أجيال، ومن ثم فأي إشارة لصلة قرابة بينهما لا تكون إلا من باب الاصطلاح، نظراً لابتعاد نقطة التقاء الطرفين، فلو كان عايض مثلاً أكبر من علي بن مجثل فلربما أشير له كعم لعلي بن مجثل حسب العرف، وهذا الأمر يسري على كل الحالات حتى في حالة عدم وجود أي صلة قرابة، مما يجعل حديث تاميزيه لا يحمل أي دلالة محددة يمكن أن يستفاد منها، ولا يمكن وزنه إلا على الاصطلاح الذي يقبل على أكثر من وجه كما ذكرنا.

٥- تاميزيه حضر إلى عسير مرافقاً للحملة المصرية خلال فترة محدودة جداً مع بداية وصول عايض ابن مرعي إلى السلطة وعاد مرافقاً للحملة دون أن يلتقي بأي شخص خارجها، وهنا فإن تاميزيه يعتبر قوله أكثر من مجرد مرجوح عندما نقارنه بما يقوله أهل الشأن من آل مجثل وما قاله سليمان شفيق باشا الذي عاش في عسير أربعة أعوام ونصف أثناء وجود من عاصروا جميع الأطراف وتعرف على قراها وقبائلها وطاف بها وكتب عنها بالتفصيل، وكان على صلة جيدة بمحسن بن عايض الحفيد الأول لمحمد بن عايض بن مرعي، والذي كان وكيلاً للمتصرف ومرافقاً له طوال وجوده في عسير، ثم ما قاله ابن سحمان الذي نشأ في قرية أخواله (السقا)، ناهيك عن كل مؤرخي عسير الذين يعرفون الطرفين عن كثب والذين نقل عنهم عبدالله بن حميد ومحمد رفيع وهاشم النعمي، ومن ثم فإن إشارات تاميزيه لا تحمل أي دلالة يمكن أن يستند إليها.

ومما تقدم نجد أن المؤرخين العسيريين المعاصرين رغم أنهم لم يكونوا معنيين بالإشارة المباشرة إلى عدم وجود رابط نسبي لعايض بأسلافه لعدم وجود ما يلزم ذلك في حينه، حيث لم تبدأ الدعوى إلا في مرحلة متأخرة، إلا أن إشاراتهم كانت واضحة في عدم وجود صلة قربى بين الطرفين، بل إن هنالك من حضر في مرحلة قريبة من عهد محمد بن عائض وأشار لذلك بشكل مباشر وهو متصرف عسير "سليمان باشا" في مذكراته كما أسلفنا.

وحتى بعد ظهور فكرة أموية آل عايض فإننا نلاحظ عدم وجود أي إشارة محلية فيما قبل التسعينات الهجرية تشير إلى وجود أي صلة لهما بعايض بن مرعي، بل الجميع يشيرون إلى انتسابهم إلى آل تمام وآل ناجح ولا تربطهم أي صلة نسب إطلاقاً بآل عايض.

ثالثاً: آل عايض بن مرعي ومجموعة إمتاع السامر

تعتبر أسرة آل عائض الأكثر استئثاراً باهتمام مجموعة كتب إمتاع السامر والأكثر حصاداً لمكاسبها من حيث محاولة الربط الكامل للتاريخ العسيري وتوارث الحكم فيه بهذه الأسرة وبأثر رجعي، كما أن الأسرة ذاتها تعتبر الأسرة الوحيدة التي يصادق أبنائها على ما ورد في كتب إمتاع

السامر من أخبار ويبدون حماساً لها، ونحن وإن كنا على يقين بخطأ ما أوردته هذه الكتب ولا نؤيد العبث بالتاريخ العسيري بهذه الطريقة، فإن ذلك يجب أن لا يسير بنا إلى التقليل من شأن أولئك الرجال الذين وصلوا إلى رأس السلطة في عسير كل من عايض بن مرعي ولا حتى ابنه محمد، فهما آخر من وصل إلى الحكم في عسير، وفترة حكمهما هي جزء من تاريخ عسير وامتداد للإمارة العسيرية التي أقامها أمراء عسير، وإن لم تكن فترة حكمهما من فترات تأسيس التاريخ العسيري إلا أنها مرحلة مهمة من مراحل التاريخ العسيري، فهي جزء من فترة الحصاد لما رسخه أمراء عسير وأبناؤها من إمارة ومكانة لهذه الإمارة بين مناطق الجزيرة العربية، حتى أصبحت أحداثها تنقل عبر آفاق الوطن العربي منذ عام ١٢١٧هـ، لذا كانت فترتهما هي الأكثر استقراراً نظراً لما رسخه حكم أمراء عسير من مركزية للإمارة العسيرية على مستوى الإقليم رغم أن هذا الاستقرار في فترتهما كان مقترناً بفقد استقلالية الإمارة العسيرية، ومن الطبيعي أن تجد من وصل لسدة الحكم بسهولة ينزع إلى الادعاء بعمق تاريخي أهله للوصول إلى هذا الموقع في الكثير من الحالات، وهو أمر لم يكن ليثير الحماس للحديث حول صحته لو كان خاصاً بأسرة آل عايض فقط، ولكن لأن هذه الدعوى ربطت برواية خاطئة حول كامل التاريخ العسيري فإنه من حق المعنيين بالأمر عند ذلك كتابة تاريخ وطنهم بالطرق المنهجية العلمية الصحيحة.

حقيقة النسب اليزيدي لآل عايض

تعارف الناس كافة في عسير وغيرها ووثقت كتب التاريخ المعاصرة لبداية بروزهم على الساحة في عسير بأن مصدر اسم أسرة آل عايض هو أول من وصل منهم إلى السلطة في عسير وهو "عايض بن مرعي" الذي هم سلالته، ومنه حملوا الاسم، وقد دون الكثير من المؤرخين في بداية عهدهم أنهم ينتسبون إلى قبيلة بني مغيد عسير، وهذا صحيح على أساس العرف المحلي، إذ كان أول ظهور لعايض بن مرعي في البداية في قرية السقا التي هي إحدى قرى بني مغيد حيث مقر أمراء عسير كل من سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل، ولم يذكر له انتماءً غير ذلك في عهده، لذا كان ذلك منتهى ما تداوله المؤرخون عنه في تلك المرحلة، إلا أنه في أواخر عهد ابنه محمد فقد برز الحديث عن انتمائهم إلى عشيرة آل يزيد، حيث أشار ابن سحمان إلى ذلك، ولكنه قرن انتماءهم لها بانتماء آل يزيد إلى بني مالك، والحقيقة أنه لا تتداول الذاكرة الشعبية في عسير وجود علاقة لآل يزيد بقبيلة بني مالك، فآل يزيد هي إحدى قرى شعف أراشة، إلا أن متصرف عسير "سليمان شفيق باشا" الذي كان صديقاً لأحد أبناء هذه الأسرة وهو مساعده خلال عام ١٣٣٠هـ "حسن بن علي بن محمد بن عايض" الذي رافقه إلى جهة الشعف ورتب لقاءه ببعض أهالي قرية آل يزيد أعاد صياغة هذا النسب، فقرن النسب اليزيدي لآل عايض بإرجاع نسب قرية آل يزيد إلى يزيد بن معاوية

بن أبي سفيان، ولم نجد من تطرق إلى علاقة آل عايض بقبيلة آل يزيد قبل هذين الرجلين، فآل يزيد يعودون لقرية تقع في الشعف تحمل نفس الإسم وهي بعيدة نسبياً عن السقا ومنفصلة جغرافياً عن بقية بلاد عسير السراة، وهي محسوبة على قبيلة بني مغيد إحدى فروع عسير السراة الأربع، والغريب أن عاكش كتب بعد عام ١٢٨٥هـ (أي قبل نهاية حكم محمد بن عايض بأقل من ثلاث سنوات) كتاباً كاملاً عن محمد بن عايض وأسرته[١] وأطنب في امتداحهم، ولكنه لم يتطرق فيه إطلاقاً إلى نسبهم فيما قبل عايض بن مرعي، ولا أشار إلى علاقتهم بقبيلة آل يزيد، مع أنه كان على ارتباط قوي بمحمد بن عايض وأبنائه كما يبدو من تأليفه للكتاب ومن خلال مراسلاته مع بعض أبنائه[٢]، وهو ما يفترض معه أن يعرف عنهم الكثير مما اعتاد على معرفته الأصدقاء من العامة عن بعضهم ناهيك عن أهل التاريخ، علماً بأن النسب هو من أهم الأمور التي كان يهتم علماء المخلاف السليماني وغيرهم بتوثيقه في تلك المرحلة، فقد وجدنا عاكش نفسه يكتب كتاباً كاملاً للدفاع عن نسب آل الحفظي في عسير، ويربطهم بسلالتهم الأولى حتى أوصلهم إلى عك بن عدنان[٣]، بينما تحاشى الحديث عن نسب محمد بن عايض ووالده عندما كتب عنه كتاباً كاملاً.

كما أننا لم نجد في المصادر التاريخية الحقيقية أي إشارة من أي المؤرخين إلى وجود أقارب من أي درجة لعايض بن مرعي في السقا ولا في آل يزيد، كما كان حال بقية حكام عسير وهو ما يزيد الصعوبة في تحديد نسبه بدقة، حيث نجد أن أسرة آل المتحمي مثلاً يوجد ذكر كبير لأفراد من أسرتهم في عسير منذ بداية تأسيسهم للإمارة العسيرية كما أسلفنا، ومثل ذلك نجد في التاريخ ذكر لسعيد بن مسلط وأخيه محمد (زعبان) وابن عمهم علي بن مجثل وأخيه سعيد مما يدل على عمق جذورهم الأسرية في عسير قبل وصولهم للسلطة، مما يدعو للاطمئنان إلى صحة ما ورد عن أنسابهم، وقد أوردت مصادر إمتاع السامر خبر وجود أقارب لعايض في عسير ضمن رواية مضطربة ادعت فيها أنهم قتلوا في المعارك المزعومة ضد الدولة السعودية في وادي حنيفة (في الرياض) وبيشة ووادي الدواسر وأبها، كما ربطت مصادر الإمتاع بين أسرة آل عايض وبعض أسر الإمارة العسيرية الأخرى في عسير، وهو ما تنفي هذه الأسر صحته، بالإضافة إلى أن المصادر الحقيقية جميعها لا تقر بصحة كل هذه الأحداث، ولا بوجود الأشخاص الذين أشارت إليهم،

---

(١) الضمدي، الحسن بن أحمد عاكش، كتاب: "الدر الثمين في مناقب أمير المؤمنين محمد بن عايض".

(٢) العقيلي، محمد بن احمد، المخلاف السليماني، الطبعة الثانية عام١٤٠٢هـ ج١/ ص٥٨٢ (وقد أورد نص مخطوط لإحدى الرسائل الموجهة من حسن بن محمد بن عايض إلى الحس عاكش)......

(٣) عاكش، قمع المتجري في نسب الشيخ بكري، مخطوط.

وهذا التجرؤ من قبل مصادر الإمتاع على إيراد هذه الأسماء والأخبار الخاطئة بهذه الكثافة يزيد من علامات الاستفهام حول الحقيقة، كما يزيد من التجهيل بانتماء عايض بن مرعي.

صادقت بعض المصادر في العصر الحالي على ما ورد عن النسب الأموي لأسرة آل عايض، وضموا إليه أسرة آل مجثل وآل مسلط وأسرة آل عبد المتعال في رجال ألمع نقلاً عن مجموعة إمتاع السامر، وأصبحت هذه المعلومة متناقلة بشدة، ولكن في المقابل فإننا وجدنا أن فكرة النسب الأموي في حد ذاتها عندما بدأت كانت مقتصرة على ربط آل عايض بن مرعي بصورة منفردة عن البقية بقرية آل يزيد في الشعف ومن ثم ربط مسمى قرية آل يزيد بانتماء أهلها إلى يزيد بن معاوية، والطريف في الأمر أن جزءاً كبيراً من أهالي قرية آل يزيد في الشعف كآل ماشي وآل مجاهر وآل الدويح لا يقرون بعلاقتهم بهذه المقولة ولا بتوارثها عن أجدادهم، ولكن مصادر إمتاع السامر المتحمسة لهذا النسب لجأت لحل هذه المعضلة من خلال إعادة إخراج الرواية والالتفاف على هذا الرفض بحسب طريقتها المعتادة، وذلك بإيراد نسب يزيدي آخر لقبيلة آل يزيد في الشعف أرجعت إليه هذه البيوت الكبرى من آل يزيد، وهو إلى "يزيد بن أسعد بن معنف من آل وهيبة"[1]، وقد كان السرد يحمل إيحاءاً بانتماء قبيلة يزيد هذا (آل وهيبة) إلى عنز بن وائل على خلاف ما تشير له هذه المصادر صراحة وتكرره في كل صفحاتها حول المسمى، فأصبحت قرية آل يزيد الصغيرة بذلك تنقسم إلى قسمين أحدهما ينتمي إلى يزيد بن معاوية والآخر إلى يزيد بن معنف!.

والأعجب أنه كانت هنالك إشارات أخرى خجولة جداً مخبأة في مصادر إمتاع السامر تشير ضمنياً إلى انتماء حسن بن عايض إلى مذحج[2]، مع اتجاه خجول في هذه المصادر لمغازلة قبائل البادية الشرقية من منطقة عسير حيث قبائل بادية عبيدة التي ينتمي معظمها إلى مذحج من خلال المكاسب التاريخية التي أسدتها لهم، وعلى نفس الخط كان قد أشار الزركلي الذي يبدو أنه أخذ معلوماته مشافهة من نفس المصادر في كتابه "الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز" إلى أن عايض بن مرعي "كان من أصحاب الإبل"، وهو كلام لا يتفق مع كون عايض من أهل السقا لأنه لا يوجد في قرية السقا الجبلية جداً والتي تنسبه هذه المصادر إليها أصحاب أبل، ولكن قد يقبل أن عايض كان من أصحاب الإبل في حالة كونه أساساً من أبناء البادية، لذا فمن الواضح أن ذلك كان في سبيل احتواء مفهوم ما ورد لدى سليمان شفيق باشا وأمين الريحاني عن أن عايض في أول حياته كان راعيا، حيث لا مجال لاعتبار عايض كان من أصحاب الإبل إلا من

(١) ن د، ص٤٥.

(٢) ن د، ص٤٣٣.

خلال كونه ينتمي أساساً إلى إحدى قبائل البادية، فكان لا بد من تقديم القرابين للوصول إلى هذه الغاية للابتعاد عن مفهوم الرعي في بلاد عسير، ولكن يبدو أن هذه الإشارة الخجولة لم تلق القبول لدى أهل الشأن هناك، فعلى مدى ثلاثون عاماً من صدور الكتاب والإشارة لم يورد أي مصدر تاريخي في تلك القبائل أي دعم لهذه الإشارة، رغم الترحيب ببقية المكاسب التاريخية، كما أن الذاكرة الشعبية المستهدفة يبدو أنها لم تتحمس للفكرة، أو أنها لم تضع اليد عليها، وهو أمر نستبعده كذلك، لأن قبيلة مذحج ـ والتي تعني لديهم قبيلة "قحطان" المعروفة في الإقليم حالياً ـ هي قبيلة كبرى مجاورة لعسير، وما كان انتساب آل عايض إلى هذه القبيلة ليخفى طوال هذه السنين، بحيث لم يرد في أي مصدر ولم تنبس به الذاكرة الشعبية في بلاد عسير ولا بلاد قحطان، ولم يشر له أي آل عايض منذ ظهروا على الساحة، فعلاقة آل عايض التاريخية بهذه القبيلة لا تدعم وجود روابط بينهم وبينها، فقد كانت علاقة هذه القبيلة بهم علاقة استعداء منذ البداية، كما أن ارتباط هذه الإشارة بمصادر إمتاع السامر التي شرقت وغربت بنسب هذه الأسرة يجعلها عديمة المعنى.

ومن خلال ما تقدم نجد أنه منذ وصول عايض بن مرعي للسلطة فقد نسبت أسرته من بعده إلى بني مغيد وإلى بني مالك وآل يزيد ثم إلى بني أمية وفي نفس الوقت إلى آل وهيبة من عنز بن وائل وإلى مذحج، مما يتعذر معه الوصول إلى غاية ينتهي عندها البحث، فهذا القلق المستمر الذي يثار والإشارات المتناقضة حول ذلك، تجعل الباحث غير الملم في حيرة حول أسباب هذا الاضطراب، ولكنه يشي بوجود مشكلة مزمنة في هذا الخصوص أدت إلى هذا التأرجح، ولا أشك لحظة واحدة أن جميع الأسر العسيرية لا يرضيها أبداً الحديث بما يسيء إلى نسب آل عايض خاصةً وأن هنالك تداخل بالمصاهرة مع الكثير من الأسر خلال فترة ما بعد وصول عايض للسلطة.

وعلى العموم فإنه إذا كانت لعايض بن مرعي أصول غير محلية فمن المؤكد أن عامة أهالي المنطقة قد نسوا أو تناسوا ذلك خلال المراحل السابقة، ونجد في قصيدة أحد أبناء هذه الأسرة وهو علي بن محمد بن عايض بن مرعي التي قالها في عهد سيادة الدولة العثمانية على عسير وقبل تنصيب ابنه كنائب للمتصرف من الحماس ما يدل على عدم وجود أي سيرة حتى ذلك التاريخ لدى أبناء أسرة آل عايض حول النسب الأموي أو غيره حيث قال مبالغاً في الحماس والمفاخرة القبلية:

وحن من عسير الهول من ينطح الكرب ... وحن فوق جمع الروس تر حن شهابها
وذا قول من لا يحسب الغيـــظ والرضا ... مــن اسم القبايل بعدها واقترابها[1]

---

(١) آل حامد، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، نادي أبها الأدبي، ص٢٩.

ولا شك أن من يعرف عن نفسه الانتساب للنسب الأموي القرشي لم يكن ليفاخر بقبيلته المحلية بهذا الحماس وهذه الثقة والغطرسة على بقية القبائل، بينما هو ينتمي لأسرة يفترض أن بقية القبائل دانت لنسبها الأموي (كما تدَّعي مصادر إمتاع السامر).

ويكفي لكي نتحقق تماماً من عدم وجود هذه الدعوى فيما قبل دخول الدولة العثمانية لعسير أن كتاب "الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين محمد بن عايض" الذي كتبه الحسن عاكش في آخر أيامه والذي كان صديقاً خاصاً لمحمد بن عايض وأبنائه(١) لم يشر إلى أي صلة لآل عايض بيزيد بن معاوية ولا بني أمية، مع أنه كتب الكتاب فقط ليمتدحه ويشكره ويثني عليه وقد بالغ في ذلك حتى أنه أطلق عليه في عنوان الكتاب لقب "أمير المسلمين"، فكان الكتاب من أول إلى آخر حرف فيه معني فقط بامتداح محمد بن عايض ووالده وأسرته بالذات، وما كان له في مدحهم أن يتجاهل نسبهم الملكي القرشي العالي، كما لم يشر عاكش إلى أي صلة لهم بأسرة الحكم السابقة، ومما قاله عن وصول عايض بن مرعي إلى الحكم بعد وفاة الأمير علي بن مجثل قوله:

"وكان فيما أوصى به فيما بلغني بالإمارة إلى عايض بن مرعي لما يعلم فيه من الحزم والبسالة وحسن السياسة والنبالة(٢)"

وهي معلومة خاطئة كما علمنا لأن عايض عين حاكماً مؤقتاً(٣) في ظرف طارئ كوصي على الأمير المنتخب الذي كان صغير السن(٤)، واتجاهه عند ذكره لخبر وصية علي بن مجثل بالحكم إلى عايض بن مرعي لإتباعها بعبارة "فيما بلغني" تدل على التبرؤ من مصدرية الخبر بما يدل إما على تبرؤه من تحمل تبعات الخبر بصفته أول مصدر له، أو ربما على وجود الجدل حول صحة المعلومة في حينها، وقد أشار الزركلي في معرض ترجمته للأمير محمد بن عايض إلى وجود نسخة من هذا الكتاب (الدر الثمين) الذي كتب عن محمد بن عايض في دار الوثائق القومية في القاهرة(٥)،

---

(١) العقيلي، المخلاف السليماني، الطبعة الثانية عام١٤٠٢هـ، ج١/ ص٥٨٢ (وقد أورد نص مخطوط لإحدى الرسائل الموجهة من حسن بن محمد بن عايض إلى الحس بن عاكش).

(٢) الضمدي، الحسن عاكش بن أحمد، الدر الثمين في ذكر مناقب أمير المؤمنين محمد بن عايض، تحقيق عبدالله بن حميد، ص٢٨.

(٣) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، تحقيق د. محمد آل زلفة، ص٢٩.

(٤) تاميزيه، المصدر السابق، ص ١٥٧.

(٥) الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٦/ ص١٧٩.

كما أشار إلى هذه الوثيقة محمد العقيلي في كتابه "المخلاف السليماني"[١] مما يدل على صحة الوثيقة، وحتى النسخة التي ظهرت منسوباً تحقيقها إلى عبدالله بن حميد، لم تتجاوز إلى الحديث عما هو متوقع من مؤرخ يمتدح رجل السلطة، فلم يرد فيها أي إشارة للنسب الأموي ولا خلافه، ولا محاولة لربط عايض بن مرعي بأسرة الحكم السابقة له، وربما كان وجود نسخة من هذه الوثيقة في دار الوثائق القومية بالقاهرة وأخرى في المخلاف السليماني هو ما جعل المزورين يحاذرون من التحريف فيها، كما فعلوا بسواها.

وحيث لم يرد في أي مصدر فيما قبل مذكرات سليمان شفيق ما يشير إلى نسبهم الأموي بما فيه ما دونه الحسن عاكش عنهم والذي كان متحيزاً لهم بشدة، وهو أمر يستحيل قبوله، بالإضافة إلى رفض بقية الأسر التي وردت ضمن هذا النسب كأسرة آل مجثل لصحة صلتها بآل يزيد ولا بيزيد بن معاوية ولا بآل عايض[٢]، ورفض البيوت الأساسية في قرية آل يزيد الشعف لهذه الدعوى، ونظراً لارتباط هذه الرواية بعدد من الكتب المزورة كإمتاع السامر لشعيب الدوسري وتاريخ عسير لمحمد بن مسلط وما شابهها، أو بالحديث المباشر والشخصي لسليمان باشا مع بعض أفراد هذه الأسرة مع ما أبداه من تشكك في المعلومة ونفي لوجود ما يدعمها في أي المدونات المحلية حتى لدى أهل الشأن، فإننا نستبعد بذلك حقيقة وجود أصل متوارث لهذه الرواية لدى آل يزيد في الشعف تماماً ومن ثم لدى البيوت التي خرجت إلى السقا من هذه القبيلة.

ولو أنه وقف الأمر على الحديث عن نسب آل عايض وحدهم وربطهم بالنسب الأموي لما كان الأمر يستحق الوقوف أمامه فلهم حرية الانتساب لما يرون، فالأمر متروك لأهله ولا علاقة له مطلقاً بتداول الإمارة في عسير، فنحن قرأنا أن آل عائض منذ أواخر عهد محمد بن عايض ينسبون أنفسهم لقبيلة آل يزيد الواقعة في الشعف، فلو افترضنا أن جزءاً من هذه القبيلة يدعون بأن مسمى "آل يزيد" الذي يحملونه نسبة إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وأنهم توارثوا هذا الخبر عن أسلافهم، فسنقول كما يقال بأن الناس مؤتمنون على أنسابهم، ولكن ما واكب ذلك من إساءة للتاريخ العسيري ومساره يجعل من الضرورة فصل التاريخ العسيري عن هذه المقولة ليبقى التاريخ بعيداً عن أثر مثل هذه الأحابيل التي تفتل في الظلام، خاصةً وأنه من الواضح أن هذه المصادر لا تقبل بأقل من مصادرة الهوية والتاريخ المحلي كاملاً، فنحن في العموم لا نعارض من رغب أن يكون ما أراد على أن يتحدث عن نفسه لا عن غيره ولا عن وطن كامل، فلا صلة للإمارة العسيرية ولا التاريخ العسيري القديم أو الحديث بالنسب اليزيدي الأموي ولا بقبيلة آل يزيد الكريمة قبل

---

(١) العقيلي، المخلاف السليماني، ط٢، ١٤٠٢هـ، ج١/ ص٥٥٢.

(٢) حديث مباشر مع الشيخ علي بن مجثل حفيد الأمير علي بن مجثل.

وصول عايض بن مرعي للحكم (إن صح انتسابه إليها)، ولا صحة لكل ما قيل عن وجود إمارة يزيدية أولى في عسير كان آخر أمرائها من أسموه محمد بن أحمد اليزيدي كما زعموا، فلم يرد هذا الاسم في أي المصادر التاريخية المعروفة، كما تخلوا مكتبة آل الحفظي من أي إشارة إليه أو إلى وجود ذكر لأي الأسماء ممن أطلق عليهم أمراء آل يزيد في عسير فيما قبل عايض بن مرعي[1]، كما أن المؤيدين لوجود هذا الأمير من مؤرخي عسير وغيرهم لم يتمكنوا من الخروج من دوامة الاستشهاد بمصادر مجموعة إمتاع السامر المجهولة أو من نقل عنها.

ووصول عايض بن مرعي لمنصب إمارة عسير لا علاقة له بنسبه اليزيدي إطلاقاً، كما أنه لا علاقة له ولا لأسرته بالحكم فيما قبل وصوله للسلطة في عسير نهاية عام ١٢٤٩هـ، فقد كان وجوده في قرية السقا، ووصوله إلى قصر الحكم، ثم إلى الحكم أقرب إلى أن يعتبر تداعيات أحداث، وقد أورد الريحاني أن بداية بروزه كانت عندما قاد قبيلته "آل يزيد" وأبدى شجاعة فائقة في معركة طبب ضد الجيش المصري الذي جاء بقيادة محمد علي باشا[2]، ولكن لا يوجد أثر لمثل ذلك في جميع المصادر المحلية أو المجاورة السابقة له، كما أنه خبر لا تدعمه بقية المصادر، فعايض كان عمره في ٣٣عاما في عام ١٢٥٠هـ كما يقول تاميزيه[3]، أي أن عمره حين وقعت معركة طبب مع محمد علي باشا وجيشه عام ١٢٣٠هـ[4] كان في حدود ما بين ١٢ ـ ١٣ عاماً.

ما ذكره المؤرخون عن نسب عايض بن مرعي وابنه محمد

١ – أورد سليمان بن سحمان الذي ولد عام ١٢٦٨هـ في قرية السقا والذي كان والده أحد رجال العلم في المنطقة المقربين من عايض بن مرعي ثم من ابنه محمد إلى أن فارقه، بالإضافة إلى أن والدته من أهل السقا ما يلي:

---

(١) حديث مباشر مع أحد المؤيدين لفكرة مجموعة الإمتاع وهو الباحث/ علي عوض آل قطب الذي أعطي فرصة الدخول إلى مكتبة آل الحفظي وبحث في جميع موجوداتها ولكنه لم يجد أي إشارة إلى محمد بن أحمد اليزيدي (كما ذكر)، ويدعم صحة ما قاله أن جميع من صادقوا على الفكرة ممن تمكنوا من الدخول إلى مكتبة آل الحفظي كأحمد آل فايع ومحمد آل زلفه، وعبدالرحمن آل حامد لم يوردوا أي إشارة إلى أي مصدر آخر يدعم وجود إمارة بيد من سموه محمد بن أحمد اليزيدي سوى مصادر مجموعة الإمتاع.

(٢) الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ٢٩٩.

(٣) تاميزيه، مصدر سابق، ص٢٦١.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، ط٤، ١٤٠٢هـ، ج١/ ص٣٧٣، ٣٧٤.

"ثم توفي علي بن مجثل – رحمه الله- وصار الأمر بعده إلى عائض بن مرعي وذريته. وآل مرعي وآل مجثل بطنان من بني مالك وهما آل يزيد وآل تمام وبلادهم ومحلتهم التي سكنوا فيها قرية يقال لها السقا[١]".

وكلام ابن سحمان المقرب من الطرفين هنا واضح في الدلالة على عدم وجود ذكر للنسب الأموي في حينه، حيث أرجع آل عايض إلى بني مالك، ناقلاً ما يبدو أنه كان يروج له في حينه من مصادر السلطة، والحقيقة أنه لا صلة لآل يزيد ولا آل عايض ببني مالك عسير، حسب المتعارف عليه.

٢- أورد محمد بن إسماعيل الكبسي مسمى الأمير محمد بن عائض بإسم "محمد بن عائض العسيري" عدة مرات وفي إحداها أشار له بقوله: "فذهب هذا محمد بن عائض العسيري[٢]" ولم يورد له الكبسي غير هذا الاسم.

٣- أورد حسن بن أحمد عاكش الضمدي في الدر الثمين عن محمد بن عايض ما يلي:

"محمد بن عايض

هو الإمام الماجد. ممتطي صهوات المخاطر والشدائد. حاوي المفاخر والمحامد. محمد بن عائض بن مرعي حفظه الله.... إلخ[٣]"

إلى أن يقول:

"لمحة من حياة والده، ومن قيام والده بالإمارة عام ١٢٤٩هـ

بعد وفاة الأمير علي بن مجثل، وكان هذا الأمير فيه شجاعة وإقدام، ولاحظته السعادة في النقض والإبرام، وما توجه إلى بلد إلا وحصلت له الفتوح، واستطالت يده إلى قرب الطائف، وافتتح اليمن بمن معه، واستولى على المخا، وتلك الجهات، وجرت بينه وبين الأشراف وغيرهم والأتراك حروب كانت العاقبة فيها له، وكانت مدة مملكته تسع سنين، فسبحان الذي لا يزول ملكه، وكان فيما أوصى به فيما بلغني للإمارة للأمير عايض بن مرعي لما يعلم فيه من الحزم والبسالة وحسن السياسة[٤]".

---

(١) الألوسي، محمود شكري، تاريخ نجد، تتمة تاريخ نجد (سليمان بن سحمان)، مكتبة الثقافة الدينية، ص١٢٥.

(٢) الكبسي، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، ٤٢١، ٤٢٢.

(٣) الضمدي، الدر الثمين، المنسوب تحقيقه إلى عبدالله بن حميد، ص٢٥.

(٤) الضمدي، الدر الثمين، المنسوب تحقيقه إلى عبدالله بن حميد، ص٢٧، ٢٨.

وقد استمر حسن الضمدي يمدح محمد بن عايض ووالده طوال الكتاب ويثني عليه ويمجده ويسرد أعماله ويقدم له الشكر على ما جاد به عليه[1]، إلا أنه لم يورد أي خبر عن نسبه الأموي القرشي، بل ولا حتى أشار لانتسابه لقبيلة آل يزيد، بالإضافة إلى أنه وكما قرأنا أعلاه في إشارته إلى الأمير علي بن مجثل لم يشر إلى أي رابط بينه وبين عايض بن مرعي، وهذا يدلنا على عدم وجود أي ذكر للنسب الأموي ولا أي ذكر لوجود صلة بالنسب بين علي بن مجثل وعايض بن مرعي في مرحلتهما ولا حتى في عهد محمد بن عايض.

٤- أورد أحمد زيني دحلان ١٢٣٢ - ١٣٠٤هـ نسب عايض بن مرعي كما يلي:

"وفي سنة تسع وأربعين أيضاً صدر الأمر من محمد علي باشا بالتجهيز لمحاربة عسير وكان قد توفي أميرهم علي بن مجثل وكان من بني مغيد وأقيم بعده عليهم عائض بن مرعي وكان أيضاً من بني مغيد"[2].

- وفي كلام دحلان إشارة واضحة للمستفيض في عهده عن نسب عايض بن مرعي، بالإضافة إلى إشارة ضمنية تدل على عدم وجود صلة قربى نسبية بين علي بن مجثل وعائض بن مرعي حيث اتجه إلى أقرب رابط بينهما بعد ذلك حسب المتعارف عليه افتراضياً وهو انتمائهما إلى قبيلة بني مغيد التي كان يستوطنها.

٥- أورد سليمان شفيق باشا متصرف عسير من عام ١٩٠٨-١٩١٢م الموافق ١٣٢٦-١٣٣٠هـ عن آل يزيد وعن آل عائض وقصتهم على هامش سرده لرحلته في قرى عسير ما يلي:

"ولما وصلنا إلى قبيلة آل يزيد في منطقة شعاف كما ذكرت في المقال السابق وجدت هذه القبيلة في حالة من السكينة والإستئناس، وقد زارني مشايخها وتعهدوا لي بموالات الدولة ولم أجد منهم نفرة ووحشة، وسبب ذلك أن حسن بن علي بن عايض الذي عين وكيلاً للمتصرفية كان رفيقي في هذه الرحلة، وقد فاوض القوم قبل حضورنا، وآل عايض هم في الأصل بيت من بيوت قبيلة آل يزيد، ويقال في أصل آل يزيد أنهم من سلالة معاوية بن أبي سفيان الأموي، وقد انتقلوا خفية من الشام إلى عسير عقب زوال الخلافة من بني أمية وانتقالها لبني العباس ولست أعرف درجة هذه الدعوة من

---

(١) الضمدي، الدر الثمين، المنسوب تحقيقه إلى عبدالله بن حميد، ص٧٢، ٧٣، ٧٤.

(٢) دحلان، خلاصة الكلام، مخطوط، ص٣١٠.

الصحة، ولا يحفظ آل يزيد عندهم حجة أو مستندات مكتوبة تؤيد نسبهم إلى بني أمية، وغاية ما في الأمر أنهم يعلمون ذلك ويتناقلونه ويتوارثون الإسم الذي تسمى به قبيلتهم، وقد بحثت في تاريخ عسير فلم أجد، وقد علمت أن أحد علماء رجال (ألمع) وهو الشيخ محمد بن حسن بن عبدالرحمن الحفظي كتب تاريخاً لعسير ذكر فيه أنباء آل مجثل الذين كانوا حكام هذه البلاد قبل آل عايض وفيه أخبار آل عايض أيضاً وتاريخ دخول المصريين إلى عسير وخروجهم منها، والشيخ الحفظي كان قد ذهب إلى الأستانة وصار معروفاً فيها[1]".

إلى أن يقول:

"وآل عايض تبتدئ إمارتهم بالأمير عايض أحد آل يزيد، وهو والد محمد بن عايض أمير عسير الذي قتله رديف باشا غدراً، ولم يكن أبوه من سلالة الأمراء بل كان رجلاً عادياً من الرعاة، غير أن الله تعالى وهبه الذكاء والشجاعة فاستطاع أن يؤسس لنفسه مكانة وقوة.[2]".

- وحيث أن العقيلي محقق الوثيقة جهة غير محايدة في هذا الخصوص حسب ما يراه البعض، ونظراً لما تبديه مصادر الإمتاع والداعمين لها من اهتمام بمذكرات سليمان شفيق باشا، فقد كان لزاماً علينا التحقق من صحة نقله للمذكرات كما هي، خاصة وأن هذه المصادر تدعي وجود نسخة أخرى لديها من المصدر الأساسي.

وبعد تتبع مصادر المذكرات المنشورة في مجلة العرب وتحقيق العقيلي وجدنا التالي:

أولاً: نقل العقيلي المذكرات من مجلة العرب كما أفاد في المقدمة والتي كان الشيخ حمد الجاسر قد نشرها بين عامي ١٣٩١-١٣٩٣هـ ثم نشر العقيلي كتابه عام ١٤٠٥هـ، أي أنه نشر الكتاب أثناء حياة الشيخ حمد رحمه الله، ومن ثم، فما كان للشيخ حمد أن يدعه يغير في نصها بالإضافة أو التحريف، وهو ما يدل على أن المذكرات مطابقة لما نقله الشيخ حمد من مجلة الأهرام المصرية، التي نشرت المذكرات الأساسية.

---

(١) شفيق باشا، سليمان، مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير، تحقيق محمد أحمد العقيلي، نادي أبها الأدبي ١٤٠٥هـ، ص٩٢، ٩٣.

(٢) شفيق باشا، نفس المصدر السابق، ص٩٤.

ثانيا: أثنى الأستاذ محمد آل زلفة عام ١٤٢٠هـ على تحقيق العقيلي، ووصفه بأنه نقل المذكرات كما هي، وكان ذلك في محاضرته بنادي أبها الأدبي والتي نشرت في جريدة الجزيرة[١].

ثالثا: بعد نشر المذكرات في مجلة الأهرام بسنتين نشر الريحاني كتابه "تاريخ نجد الحديث" وكانت ترجمته لعايض بن مرعي تحمل نفس الإشارات التي أوردها العقيلي نقلاً عن مذكرات سليمان باشا، عدى أن الريحاني أضاف لتاريخ عايض بعض الأخبار الإيجابية بالنسبة لآل عايض والتي يبدو أنه نقلها مشافهة[٢].

رابعا: ومما يؤكد بشكل قطعي أن ما نقله العقيلي هو ما ورد في المذكرات بالفعل حسبما نشرت أن الزركلي المتوفي عام ١٣٩٦هـ أورد في الحاشية مذكرات سليمان شفيق باشا كأحد مراجعه في ترجمة عايض بن مرعي في كتابه "الأعلام"، الذي أعاد فيه نفس النص الذي قاله سليمان باشا حول عايض بن مرعي، وكان مطابقاً لما ورد في تحقيق العقيلي اللاحق له، والذي صدر في عام ١٤٠٥هـ، مما يدل على أن النص الذي حققه العقيلي مطابق لما في المذكرات[٣].

إلا إذا اتبعنا طريقة داعمي مصادر إمتاع السامر، فقلنا بأن حمد الجاسر، وخير الدين الزركلي، ومحمد العقيلي، وأمين الريحاني، وسليمان شفيق باشا كلهم كانوا متحاملين على عسير لدرجة الاستعداد للتضحية بمستقبلهم وسمعتهم العلمية وخيانة الأمانة في سبيل ذلك، وأن الثلاثة الأوائل كانوا مزورين، وكانوا أيضاً من الغباء بحيث غيروا في مضمون مذكرات نشرت في صحيفة عربية معروفة لا زالت قصاصاتها تتداول، أو أن مجلة الأهرام التي نقلوا عنها كانت معادية لتاريخ عسير، وأن الصادق الوحيد هو كتب مجموعة إمتاع السامر والمدافعين عنها، وهو أمر لا يحتمله المنطق ولا حتى مجرد الخيال، مما يجعلنا نطمئن إلى أن هذا النص حول عايض بن مرعي هو ما كتبه سليمان شفيق باشا بذاته في مجلة الأهرام بالضبط.

- ومن خلال سرد سليمان باشا فإننا نستشف من كلامه أن رحلته التي رافقه فيها حسن بن علي ابن عايض كانت بعد عام ١٣٣٠هـ حيث تعين حسن في ذلك العام مساعداً للمتصرف، كما أشار في السياق إلى موقف ابن دليم بعد مناصرته للإدريسي (في الحرب التي حدثت عام ١٣٢٨-١٣٢٩هـ) أثناء زيارته لناحية قحطان[٤]، ونستشف من كلامه أيضاً أنه كان صديقاً

(١) آل زلفة، وقفات مع فصول من تاريخ أبها، جريدة الجزيرة، الأربعاء ٢٨ رمضان ١٤٢٠هـ العدد ٩٩٦٠.

(٢) انظر النص في فقرة (٦).

(٣) انظر النص في فقرة (٧).

(٤) شفيق باشا، مذكرات سليمان شفيق باشا، تحقيق العقيلي، ص١١١.

للحسن بن عايض الذي هيأ له جواً جيداً مع قبيلة آل يزيد الشعف، مما يعني أنه لم يكن متحاملاً على آل عايض في كتابته لأنه لم يكن هنالك عداء بل كان هنالك صداقة ومن ثم فهو جهة إما أن نعتبرها محايدة أو أن نعتبرها متحيزة لآل عايض تبعاً لمصدر المعلومة والذي يفترض أنه كان صديقه ووكيله (حسن بن عايض)، والأهم من كل ذلك فيما نلاحظه في الوثيقة ارتباط آل عايض بقرية "آل يزيد" الواقعة في الشعف في تلك المرحلة، وهو ما لم نجد له أثراً فيما قبل ذلك، حيث أشار سليمان باشا بشكل صريح إلى أنهم يعودون في أصولهم إلى هذه القرية، كأول من أشار لذلك في التاريخ العسيري، وهنا فإن حديث سليمان باشا الذي استقر في عسير خمس سنوات وكوّن علاقة جيدة مع أهلها هنا يعتبر قطعياً في الدلالة على عدم وجود أي صلة نسبية لعايض بن مرعي بأسرة الحكم السابقة له (آل مجثل).

كما أن حديث سليمان باشا المقرب من حسن بن عايض عن انتماء حسن بن عايض وأسرته إلى قرية آل يزيد في الشعف وتأكيده إقرار حسن بن علي بن عايض بذلك عملياً من خلال مقابلته لآل يزيد الشعف بالذات قبل لقاء الباشا بهم وتهيئة اللقاء مما أدى إلى تواؤم جيد بين الطرفين(كما يقول)، يؤكد أن هذه المعلومة متداولة لدى آل عايض في ذلك الوقت.

كما أنه في إشارته إلى أن عايض بن مرعي في بداية عهده كان من الرعاة ما يدل على حداثة وجوده فوق جبل عسير، وعلى وضعه الاجتماعي قبل وصوله للسلطة، مما يؤكد عدم وجود أي صلة له بأسر الحكم في عسير.

٦- ذكر أمين الريحاني في كتاب "تاريخ نجد الحديث" ما يلي:

"وفي هذه الناحية وادي شعاف (الشعف) الذي يقطنه آل يزيد، ومنهم آل عائض الذين يدعون أنهم من سلالة معاوية بن أبي سفيان، وأنهم نزحوا إلى عسير بعد سقوط الدولة الأموية في الشام. ولكنهم لم يكونوا قبل الفتح السعودي أمراء عسير. وعندما أمر سعود الكبير في هذه الجبال رجل يدعى علي بن مجثل كان عائض جد الأسرة من الرعاة. ثم جاءت الجنود المصرية. وجاء محمد بن علي بنفسه يقود الحملة على أهل عسير، فكان آل يزيد من المتقدمين المستبسلين في القتال، وكان عائض بطل آل يزيد فأمره ابن مجثل مكانه"[1].

---

(١) الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ٢٩٩.

ومن المهم معرفة هل كان الريحاني محايداً في روايته، أم أنه كان مجاملاً للملك عبدالعزيز كما يقال.

قبل كل شيء لا بد أن نلاحظ أن الريحاني تطرق إلى ما يقال عن النسب الأموي لآل عايض، وهو ما لم يسبقه إليه أحد من مؤرخي عسير ولا نجد ولا كافة من كتبوا عنه إلا متصرف عسير سليمان شفيق باشا في مذكراته الشخصية، والتي نشرت في جريدة الأهرام قبل نشر الريحاني لكتابه بسنتين، مما يدل على أنه إما أن يكون نقله عنه، أو لعلنا من خلال بعض إضافاته في امتداح دور عايض قبل وصوله للحكم والمختلفة عن ما ورد في نص سليمان باشا، وهو من كان يكتب من مدينة الرياض نتوقع أنه قد نقله مشافهة من أي أسرة آل عايض في مدينة الرياض، حيث كان تواجد معظم أسرة آل عائض في حينه، ولا شك أن الريحاني لن يتهم بمجاملة الملك عبدالعزيز عندما نقل الإشارة إلى النسب الأموي لأسرة آل عايض، فكان كتابه أول كتب التاريخ التي حملت المعلومة.

وهنا نستنتج أن الملك عبدالعزيز لم يكن معنياً بتاريخ ونسب آل عائض، ولم يكن الأمر بالنسبة له بالأهمية التي تحاول مجموعة إمتاع السامر وداعميها خلق هالة حوله، فالريحاني امتدح عايض بن مرعي بما لا توافقه عليه المصادر التاريخية لا في عسير ولا سواها عندما نسب إليه دور حربي في معركة طبب ضد جيش محمد علي باشا، وكان كتابه سباقاً في التطرق إلى ما يقال عن النسب اليزيدي الأموي، كما أنه أضاف إلى ما قاله سليمان باشا أن علي بن مجثل قد أوصى بالإمارة لعايض بن مرعي موافقاً في ذلك بعض المصادر المحلية المقربة من السلطة، التي كانت تعمل على إعطاء الشرعية لحكمه، بينما نجد أن أقرب المؤرخين لآل عايض وهو الحسن الضمدي الذي كان المصدر الأول لتدوين هذه المعلومة قد أبرأ ذمته من مصدرية هذه المعلومة عندما نقلها كما جاء معنا.

لذا يجب أن نقبل ما أورده الريحاني في إشارته إلى أن بداية وصول أسرة آل عايض لم يكن إلا بوصول عايض بن مرعي كمصدر تاريخي معقول للمعلومة، فهذا يطابق ما أوردته بقية المصادر في عسير فيما قبل بدأ مجموعة إمتاع السامر في الظهور.

وقد اعترض محمود شاكر على ما أدلى به الريحاني وحافظ وهبه من أن عايض بن مرعي كان من الرعاة في أول حياته والتي تعني حسب المفهوم المحلي في عسير فئة اجتماعية معينة فقال:

"أما ما يقوله الريحاني وحافظ وهبه من أن عائض بن مرعي كان راعياً، فهذا لا يتفق مع الواقع في شيء فهو أولاً سليل الأمراء، وتربى في كنف الإمارة، وإضافة إلى هذا كان قائد جند مشهور فقد سار على رأس جيش لنجدة علي بن مجثل وهو في المخلاف السليماني يقاتل أمير أبي عريش، ثم نرى أن أهل الحل والعقد يبايعون

عائضاً قبيل وفاة ابن مجثل وهل يبايع القوم واعياً؟، يقول الزركلي (والكلام هنا لمحمود شاكر): كان عائض في مبدأ أمره من أصحاب الإبل واشتهر بالشجاعة، ولما وصلت الحملة المصرية على عسير عام ١٢٤٩هـ استبسل في صدها، وكانت الإمارة فيها لابن عمه علي بن مجثل فجعل له الإمارة من بعده وتوفي ابن مجثل في شوال من السنة نفسها"[١].

وقبل أن نناقش رأي محمود شاكر يجب أن نحيط القارئ بما تعنيه هذه المعلومة، ولماذا أثارت مصادر التزوير للرد عليها، وحاولت الالتفاف على مفهومها بالحديث عن "أصحاب الإبل" في كتاب الزركلي.

من العادات السائدة في كل إقليم عسير سهولة التنقل بين قراه بكل أريحية للحصول على الرزق بالتجارة أو العمل اليدوي أو خلافهما، وكان ممن امتهنوا التنقل بين القرى فئة امتهنت العمل في بيوت الآخرين ومزارعهم، فعادة ما يلجأ الكثير من أبناء هذه الفئة إلى التنقل بين القرى العسيرية، ويعملون بها كأجراء في مجال الزراعة أو الرعي أو بقية الأعمال المنزلية، وعندما يأتي الشخص من هؤلاء في طلب العمل فقد يكون منفرداً أو قد يصطحب أسرته كاملة والتي قد تحوي بعض قريباته اللاتي يعولهن ويستقر لدى أسرة ما هو وأبناؤه ونساؤه، ويسكنون إحدى الغرف الملحقة بالمنزل فيعمل هو وأبناؤه في الحرث والزرع وتعليف الأبقار وما إليها، ومن كان لا يجيد الزراعة فيعمل في رعي الأغنام بينما يعمل النساء في بقية الأعمال المنزلية المناسبة لهن، وقد عمل جزء من أسرى جيش محمد علي القادمين من الدول المختلفة في هذه المهن خلال تلك المرحلة بعد إطلاقهم، وكان الجزء الأكبر من هؤلاء الأسرى مرتبطاً بقصر الحكم، لذا اعتبر بعض المستشرقين أن العسيريين قد استخدموهم كعبيد، وهذا قد لا يكون دقيقاً، فرغم كثرة الموالي في بلاد عسير في تلك المرحلة، إلا أن الأجير لم يكن بالضرورة مستعبداً، فقد كان التعامل مع هذه الطبقة راقياً جداً، فكان يطلق على أيهم "الجار" وعلى أي نسائهم "الجارة"، وقد أشار الأستاذ محمد عمر رفيع إلى هذه الحالة عندما زار عسير وعمل بها في مجال التدريس في الستينات الهجرية حيث كانت هذه الفئة منتشرة في بلاد عسير، فدون ملاحظاته حول هذا النمط الأخلاقي الراقي من التعامل مع الخدم في كتابه "في ربوع عسير"[٢]، وقد ظلت هذه الفئة متواجدة في معظم القرى في بلاد عسير حتى وقت قريب.

---

(١) شاكر، محمود، عسير، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠١هـ، ص١٨٩.

(٢) رفيع، في ربوع عسير، ص١١٥.

لذا فكلمة "راعي" في مفهومها المتعارف عليه كمصطلح محلي كانت تعني الانتماء لهذه الفئة الخدمية، لذا رأينا تلك الحساسية لدى المصادر الشفهية التي تعمل من وراء الكواليس، فرأينا محاولة الالتفاف على مفهوم الرعي الذي ورد في هذه المصادر لدى خير الدين الزركلي في كتاب "الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز" عندما حاولت مصادره الشفهية تحسين الصورة بالإشارة إلى أن عايض بن مرعي كان "من أصحاب الإبل"، لإحالة الصورة من راعي غنم إلى رجل من البادية، ثم رأينا الاعتراض والتبرير والاستشهاد بما قاله الزركلي في كتاب الشيخ محمود شاكر حفظه الله، والذي كان ينهل من نفس المصادر.

ومن ذلك نتفهم انسياق مجموعة التزوير لجهات الشرق البدوية في إقليم عسير (حيث أصحاب الإبل)، لتلافي فكرة خدمة بعض من وصلوا للسلطة لدى الآخرين.

ونلاحظ هنا أن محمود شاكر الذي كان ينقل من مصادر شفهية مباشرة اعترض على وصف عايض بن مرعي بالراعي، مع أنه من خلال استئناسه بما أورده الزركلي بدا وكأن مصادره التي ينقل منها تصادق على صحة ومصدرية المعلومة، فهي بدلاً من نفي المعلومة بشكل جذري كامل حاولت الالتفاف عليها ووضع المحسنات، فلعل أصل هذه المعلومة عندما أوردها سليمان شفيق باشا كان أحد أفراد هذه الأسرة وهو وكيله الذي كان صديقاً ومرافقاً له في رحلاته دائماً وهو"حسن بن علي بن محمد بن عايض"، حيث يبدو أنه كان يسرُّ إلى سليمان باشا (التركي) مفاخراً بعصامية جده الذي كان يعمل لدى الآخرين فأصبح حاكماً عليهم.

ولكن محمود شاكر قد أسقط كل ما ورد في كتابه "عسير"، عندما اعترف أخيراً بأنه أخذ المعلومات مشافهة من بعض الأشخاص، وليس من وثيقة جعفر الحفظي كما جاء في الكتاب، وتأسف لتعرضه للتضليل[1].

ومن المهم هنا أن نشير إلى ملاحظة جديرة بالتنبيه تتعلق بما نقله محمود شاكر عن الزركلي من جميل الكلام، فمن خلال استشهاد محمود شاكر بما قاله الزركلي، وما نقله في نفس الوقت عن المصادر الشفهية التي من الواضح أنها نفس مصادر مجموعة كتب إمتاع السامر، ومن خلال اتجاه الزركلي إلى القول بأن عايض "كان من أصحاب الإبل" وهي عبارة لها صلة بهذه المصادر دون شك، من هنا فمن المؤكد أن هذه المصادر كانت أيضاً على علاقة مباشرة أو غير مباشرة

---

(١) ن د، ق٢ج١، ص٣١.

مع الزركلي وعلى اطلاع على مصادره في أول إشارة مدونة وردت حول صلة عايض بن مرعي بعلي بن مجثل كما سيأتي معنا.

٧- أورد خير الدين الزركلي ترجمة الأمير عائض بن مرعي في كتاب "الأعلام" كما يلي:

"عائض بن مرعي المغيدي:

أول من تولى بلاد عسير من عشيرته. وهو من آل يزيد، من بني مغيد ويرتفع نسبهم إلى عنز بن وائل.

كان عائض من رجال علي بن مجثل (أمير عسير) ولما مرض ابن مجثل أشار بان يخلفه عائض. فتولى الامارة بعده، في شوال ١٢٤٩ وكانت حدود الامارة ما بين أقاصي بلاد الحجر، فحلى ابن يعقوب شمالا، حتى ظهران اليمن فتخوم المخا وزبيد جنوبا، ومن الغرب ما بين سواحل القحمة فحلى ابن يعقوب حتى تخوم تثليت شرقا. وخرج عن طاعته الشريف علي بن حيدر امير أبي عريش، فقاتله عائض وحاصره، ولم يفلح. واخرجت بلاد أخرى حامية عائض كالحديدة وزبيد والمخا وصبيا. واقبل محمد بن عون من مكة بجيش من الترك (العثمانيين) سنة ١٢٥٠ فقاتله عائض في عتود (من أودية شهران) وانهزم فاعتصم بقرية السقا (امسقا) وتوغل ابن عون. ثم تتابعت المعارك بينهما وانتهت بالصلح على أن يعود ابن عون ومن معه من جميع بلاد عسير. وانتقض الصلح. ثم انتهى الامر باستقرار عائض في أكثر بلدان امارته. وكان يحب العمران والعلم والعلماء، شجاعا، فيه دهاء عشائري، بنى حصونا ومساجد ومزارع وأنشأ مدرسة في أبها. واستمرت امارته إلى أن توفي بالطاعون. ومدة حكمه ٢٤ عاما. وفي بعض (آل يزيد) هؤلاء من ينتسب إلى يزيد بن معاوية، ويقول أنهم خرجوا بعد ذهاب الدولة الأموية في الشام إلى عسير ثم كان عائض أول أمرائهم وهو والد (محمد بن عائض) الذي قتله القائد العثماني رديف باشا غدرا (كما يقول خلفه في القيادة سليمان شفيق) أوائل سنة ١٢٨٩هـ وكان عائض في أوليته من الرعاة وتقدم بذكائه وشجاعته إلى أن قاد عشيرته في خلال ثورة قام بها العسيريون لإخراج المصريين من ديارهم. وأخرجهم بعد معارك نشبت في بلدة (طبب) قاعدة المصريين يومئذ فكانت له الإمارة في قبيلته (عسير السراة) في شوال ١٢٤٩هـ."[1].

---

(١) الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٣/ ص٢٤١، ٢٤٢.

• ونلاحظ هنا أن الزركلي الذي أشار إلى ما يقال عن النسب الأموي قد خص عائض بن مرعي وذريته بذلك دون بقية أمراء عسير من آل مجثل وآل مسلط وأسلافهم من آل المتحمي، ونجد ذلك في قوله أن "عائض بن مرعي أول من تولى أمر عسير من عشيرته" وقوله:

"وفي بعض (آل يزيد) هؤلاء من ينتسب إلى يزيد بن معاوية، ويقول أنهم خرجوا بعد ذهاب الدولة الأموية في الشام إلى عسير ثم كان عائض أول أمرائهم".

وهذا مطابق لما ورد لدى سليمان باشا ولدى الريحاني، مما يؤكد لنا أن الحديث عن النسب الأموي قبل منتصف التسعينات من القرن الماضي لم يتجاوز أسرة آل "عايض بن مرعي" فقط دون غيرها.

وحيث أن الزركلي لم يكن من مؤرخي عسير أو من معاصري أحداثها الأولى كما أنه لم يتصل بأي منهم فإنه من المهم أن نورد هنا مصادر الزركلي، حيث ذكرها في الهامش بقوله (تاريخ عسير للنعمي ١٨٥-٢٠١ وفي ربوع عسير ٢٢١ والمخلاف السليماني ١: ٥٧٩ ومذكرات سليمان شفيق كمالي، في مجلة العرب. وانظر شبه جزيرة العرب ٢٤٧)، واستشهاده هنا بما ورد في مجلة العرب، يدل على أنه وضع هذه الإضافة بعد نشرها للمذكرات ١٣٩١-١٣٩٣هـ، علماً بأن الزركلي كان هو مصدر جمع قصاصات المذكرات من مجلة الأهرام للشيخ حمد الجاسر والتي نشرها في مجلة العرب[1].

وكان الزركلي في كتابه الآخر والذي صدر في السبعينات الميلادية (التسعينات الهجرية) والمسمى "الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز" قال:

"آل عائض: أسرة تنتسب إلى مؤسس إمارتها "عائض بن مرعي" من أهل ريدة، من قبيلة عسير، كان مركز إمارتهم في بلدة "أبها" وكان عائض في مبدأ أمره من أصحاب الإبل، وورث الإمارة عن عم له يدعى علي بن مجثل سنة ١٢٤٩هـ (١٨٣٨م)"[2].

ونلاحظ هنا فيما نقله الزركلي عن صلة عائض بن مرعي بسلفه علي بن مجثل أنه سماه

---

(١) العارف، يوسف، أضواء على مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير، النادي الأدبي بأبها، ط١، ١٤١١هـ، ص٢٧.

(٢) الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، ص٦٧.

"عمه"، بينما نقل عنه محمود شاكر نصاً آخر كان قد اعتبره فيه "ابن عمه"[١]، واختلاف الإشارة لصلة القربى بين النصين هو إعادة لنفس الارتباك الذي وقع فيه تاميزيه في كتاب "رحلة في بلاد العرب" حرفياً، حيث ورد مرة أنه "ابن عمه"[٢] وفي أخرى ورد أنه "عمه"[٣]، مما يدل على وجود صلة لما نقله بكتاب تاميزيه، خاصةً إذا علمنا بأن الزركلي كان يجيد الفرنسية بصفته خريج كلية اللاييك ببيروت في تخصص الآداب الفرنسية، وأنه كان يتنقل بين الدول الأوروبية كممثل للمملكة العربية السعودية في الكثير من المحافل مما هيأ له الاطلاع على الكتب الفرنسية التي تعنى بمجال كتابته حول الجزيرة العربية قبل غيره والتي كان منها كتاب تاميزيه المذكور.

كما نلاحظ أن الزركلي لم يورد ضمن هذين النصين دعوى النسب اليزيدي الأموي لآل عائض الذي نقله عن مذكرات سليمان شفيق باشا في آخر طبعة من كتابه الأعلام والتي نشرت بعد وفاته والذي ترجم فيه لعايض بن مرعي بطريقة مختلفة عما جاء في كتابيه الآخرين ذوي الصبغة المحلية، إذ يظهر أن الزركلي في كتابه الأعلام والذي هو درة عقد مؤلفاته، كان حريصاً على النقل الموضوعي، والتحرز من الخطأ الذي قد يفسد مجهوده، لذا فقد تورع عن النقل الشفهي، واعتمد على المصادر الأكثر موثوقية لمعلومته.

٨- أورد فؤاد حمزة عام ١٣٧٠هـ في كتابه "في بلاد عسير" ما يلي:

"وبمناسبة ذكرنا لبني مغيد نرى من الفائدة أن نذكر هنا نسب آل عائض من آل يزيد: مؤسس الأسرة ومنشئ حكمها عائض بن مرعي من أهل ريدة من آل يزيد من بني مغيد وقد تسلم الحكم من علي بن مجثل"[٤].

- وهنا يشير فؤاد حمزة الذي تجول في بلاد عسير في بداية الخمسينات الهجرية إلى أن عايض بن مرعي هو مؤسس أسرة آل عايض ومنشئ حكمها، مما يحمل الدلالة على عدم وجود أي سيرة في بلاد عسير لربط عايض بن مرعي بأسلافه من أمراء عسير فيما قبل ذلك التاريخ، كما أشار إلى انتساب آل يزيد إلى بني مغيد، ولو كان هنالك ما هو متعارف عليه في عسير في حينه عن النسب الأموي لذكره بكل أريحية كما فعل الريحاني الذي كان يكتب

---

(١) شاكر، محمود، عسير، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠١هـ، ص١٨٩.

(٢) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، تحقيق محمد آل زلفه، ص٣٩.

(٣) تاميزيه، المصدر السابق، ص٢١٧، ٢٦١.

(٤) حمزة، فؤاد، في بلاد عسير، ص١٠١.

كتابه في مدينة الرياض، مما يدل على أن فكرة النسب الأموي لم تكن قد ظهرت في عسير حتى تلك الفترة.

٩- يقول محمد عمر رفيع نقلاً عن إحدى الوثائق الحفظية في كتابه "في ربوع عسير" طبعة عام ١٣٧٣هـ عن انتقال الإمارة إلى الأمير عائض بن مرعي بعد وفاة الأمير علي بن مجثل ما يلي:

"عهد ولاية عائض بن مرعي

لم تكن الإمارة في عسير في ذلك العهد تعرف شيئاً من تقاليد توارث السيادة، بل كانت حقاً تسند إلى القوي الشجاع من أهلها كما سبق القول. إلا أنه في هذه المرة جد مع ذلك شيء آخر هو عهد الولاية والوصاية بالإمارة، يقول مؤرخنا إن الأمير علياً رحمه الله قبل موته أوصى أن يكون الأمر بعده للأسد الضرغام عايض بن مرعي، فبايعه الناس وأجتمعوا على طاعته، وكان ذلك في نهاية عام ١٢٤٩هـ.

والأمير عايض هذا هو جد أسرة آل عايض وإمارته لم تخرج عن كونها إمارة مغيدية فإنه من آل يزيد الراجعين في بني مغيد[١]".

ونجد في كلام الأستاذ رفيع الذي استوطن عسير وعمل بها فترة من الزمن وطاف بها وقرأ في وثائقها، من خلال إشارته إلى أن وصول عائض بن مرعي إلى الحكم كان خروجاً عن إطار توارث السلطة، ما نستفيد منه عدم وجود صلة في النسب بين علي بن مجثل وعايض بن مرعي فيما وقع بيدي رفيع من وثائق حفظية نقل عنها في تلك الفترة، وما هو متناقل بين العارفين بالأمر في حينه، حيث اعتبر وصول عايض بن مرعي إلى الحكم دليلاً على ذلك، ثم أشار إلى أن الإمارة عندما انتقلت إلى عايض لم تخرج من كونها في قبيلة بني مغيد لأنه ينتمي إلى قبيلة آل يزيد التي تنتمي إلى قبيلة بني مغيد أيضاً، وفي ذلك إشارة واضحة إلى عدم وجود صلة أقرب من الانتماء إلى بني مغيد بين عايض وبين سلفيه، بينما أشار إلى صلة القربى بين سعيد بن مسلط وابن عمه علي بن مجثل عند انتقال السلطة بينهما حين تحدث عن وصول علي بن مجثل إلى الحكم، وهذا هو نص حديثه:

"إمارة علي بن مجثل

وإمارة سعيد بن مسلط هذه تعد مبدأ انتقال الإمارة العامة في عسير من آل المتحمي

---

(١) رفيع، محمد عمر، في ربوع عسير، ص٢٢١.

من قبيلة ربيعة ورفيدة إلى قبيلة بني مغيد، فقد قام بالأمر بعده ابن عمه علي بن مجثل المغيدي"[(١)].

- وكلام رفيع يدل على ما هو متعارف عليه بين العامة والخاصة في تلك المرحلة وما تحمله الوثائق العسيرية التي حصل عليها رفيع من أسرة آل الحفظي من أن علي بن مجثل وسعيد بن مسلط أبناء عمومة، بينما لا صلة لهما بعايض بن مرعي كما أنه دليل على بدأ إمارة آل عايض بعايض بن مرعي وليس قبله.

١٠- أورد الشيخ عبدالله بن حميد المتوفي عام ١٣٩٩هـ مايلي:

"علي بن مجثل الذي حفلت أيامه بكثير من الحروب والتوسع حيث اتسع نطاق إمارته من بلاد زهران إلى حدود بلاد يام وبني جماعة وإلى المخا من السواحل اليمنية، وقد قال أحد مؤرخيه: كان هذا الأمير من المخضرمين الذين أدركوا عصر آل سعود بالبلاد وكان متشبعاً بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب شديد الحرص على التمسك بها وحمل الناس عليها، وكان مع ذلك على شيء من الدهاء وحصافة الرأي، فجمع حوله العلماء وأرباب النفوذ في عسير وأغدق عليهم العطاء والصلات وللأسلاف الحفاضية القدح المعلا في إمارته، فقد كان منهم الدعاة والوعاظ ومنهم القضاة، فأشبهوا في ذلك آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب بجانب آل سعود وعندما اشتد به المرض لم تحمله العاطفة على أن يجعل الحكم وراثياً لكنه جمع أهل الحل والعقد من عسير وأوصى بالإمارة إلى عائض بن مرعي لما توسم فيه من الخصال التي تتوفر في من يصلح لتولي أمور المسلمين"[(٢)].

- ونجد هنا في النقل الحرفي للشيخ ابن حميد رحمه الله عن أحد مؤرخي الأمير علي بن مجثل شاهداً من مؤرخي الأمير علي بن مجثل على أن وصول عايض بن مرعي للسلطة كان خروجاً عن مبدأ توارث الحكم الذي أوصل الحكم إلى الأمير علي بن مجثل نفسه بعد ابن عمه ورفيق دربه في الثورة الأمير سعيد بن مسلط، ولا شك أنه لو كان عائض ذا صلة نسبية بأسرة الحكم لما كان إعطاؤه الحكم خروجاً على مبدأ توارث الإمارة، فتوارث الحكم في كل التاريخ العربي كما هو في الحالة القبلية يعني بقاء الحكم بين أفراد العائلة سواءً

---

(١) رفيع، في ربوع عسير، ٢١٦.

(٢) ابن حميد، عبدالله بن علي، أديب من عسير تحقيق ابنه محمد، ص٣٩، ٤٠.

الأخوان أو بني العم أو الأبناء، كما كان حال انتقاله بين أمراء آل المتحمي أبناء العمومة، أو انتقاله من سعيد بن مسلط إلى ابن عمه علي بن مجثل مما يعني أن الحكم كان يتداول بين أبناء العمومة طوال تاريخ الإمارات العسيرية قبل آل عايض، فلو كان عايض من أبناء عمومة علي بن مجثل لاعتبر وصوله للحكم امتداداً لتوارث السلطة في أسرة الحكم كما حدث في كل الحالات السابقة، كما أن عدم إشارة مؤرخي عسير إلى وجود صلة نسبية له بالأميرين علي بن مجثل وسعيد بن مسلط وأن ما يجمعه بهما هو الانتماء إلى بني مغيد فقط في الوقت الذي أشاروا فيه للصلة بينهما تدل على عدم وجود أي رابط نسبي له بهما.

١١- يقول الشيخ هاشم النعمي رحمه الله، الذي ينتمي إلى أسرة لها خلفية جيدة في التاريخ العسيري، وتنتمي حلفاً إلى بني مغيد، وتداخلت كثيراً مع تاريخ عسير:

"يخطئ كثير من الكتاب ممن كتب عن إمارة عسير عندما ينسب آل عائض إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان من بني أمية ولعل هذا الخطأ نتج عن التقارب بين اسم يزيد بن معاوية، وبين اسم العشيرة المعروفة بآل يزيد من بني مغيد التي ينحدر من صميمها الأمير عائض بن مرعي جد الأسرة، والصحيح أن عائض بن مرعي وذويه لاينتمون إلى بني أمية بصلة، وإنما هم ينحدرون من عشيرة آل يزيد من قبيلة بني مغيد إحدى قبائل عسير الكبار. والعجب ممن يعلل لصحة قوله هذا بأن بني أمية تفرقوا في الآفاق بعد أن انهارت خلافتهم، وهذا التعليل وجيه من حيث العموم والواقعية. ولكن هل يصدق أن أحداً من الأمويين جاء إلى عسير فبقي اسمه مجهولاً على التاريخ إلى أن يظهر اسمه بعد ثلاثة عشر قرناً مضت من انحلال دولتهم مع ما للأمويين من شهرة لا تخفى على التاريخ، وهل خفي على التاريخ نزوح فرع من متبنيهم زياد بن أبيه الذين نزحوا إلى زبيد من أرض اليمن فأسسوا بها دولة أثناء خلافة المأمون العباسي، وأحسن ما يقال في هذا المعنى أن آل يزيد من عنز بن وائل من العدنانية وذلك استئناساً عما جاء في الجزء الأول من الإكليل للنسابة الهمداني أن عنز بن وائل أولد رفيدة واراشة، فأولد رفيدة ربيعة ومعاوية، إلى أن قال فأولد أراشة عسيراً وقناناً وجندلة... إلى آخره، ولا شك أن معظم آل يزيد يسكنون شعف أراشة حيث تقع منازل أولاد عنز بن وائل"[1].

---

(١) النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ط١، عام ١٣٨١هـ ص١٨٦.

• ونلاحظ من خلال ما ذكره الشيخ هاشم النعمي عام ١٣٨١هـ أن الحديث الذي بدأ يظهر في بعض المصادر عن النسب اليزيدي الأموي لآل عائض في حينه كان معنياً بأسرة آل عائض بن مرعي دون بقية أمراء عسير من آل مجثل وآل مسلط أو أسلافهم من آل المتحمي، بالإضافة إلى أن استدلاله بأن ذلك لم يظهر إلا بعد أربعة عشر قرناً يدل على عدم وجود الخبر فيما قبل القرن الرابع عشر الهجري، كما أن رأيه يعتبر قوياً هنا وواضح الدلالة والتعليل بخصوص نسب آل يزيد، وهو رجل العلم الشرعي والتاريخي الذي ينتمي إلى إحدى أسر العلم والقضاء العسيرية التي يفترض أنها ملمة بأحداث وتواريخ وأنساب رجال السلطة في عسير وكل ما قيل عنهم.

١٢- أورد سهيل صابان في كتابه "مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني" ما يلي:

"عايض بن مرعي المغيدي (أمير): (ت: ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٧م) أول من تولى بلاد عسير من عشيرته، وكان من رجال علي بن مجثل، أمير عسير، ولما مرض ابن مجثل أشار بأن يخلفه عائض، فتولى الإمارة بعده، في (شوال١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م). وكانت حدود الإمارة ما بين أقاصي بلاد الحجر، فحلي ابن يعقوب شمالاً، حتى ظهران اليمن، فتخوم المخا وزبيد جنوباً، ومن الغرب ما بين سواحل القحمة فحلي بن يعقوب حتى تخوم التثليث شرقاً، وخرج عن طاعته الشريف علي بن حيدر، أمير ابي عريش، فقاتله عائض وحاصره، ولم يفلح. وأخرجت بلاد أخرى حامية عائض كالحديدة وزبيد والمخا وصبيا، وأقبل محمد بن عون بجيش من العثمانيين سنة (١٢٥٠هـ/ ١٨٣٥م)، فقاتله عائض في عتود (من أودية شهران) وانهزم، فاعتصم بقرية السقا (إمسقا). وتوغل ابن عون. ثم تتابعت المعارك بينهما، وانتهت بالصلح على أن يعود ابن عون ومن معه من جميع بلاد عسير، وانتقض الصلح، ثم انتهى الأمر باستقرار عائض في أكثر بلدان إمارته. وكان يحب العمران والعلم والعلماء، شجاعاً، فيه دهاء عشائري، بنى حصوناً ومساجد ومزارع وأنشأ مدرسة في أبها. واستمرت إمارته إلى أن توفي بالطاعون. ومدة حكمه ٢٤عاماً. وفي بعض "آل يزيد" هؤلاء من ينتسب إلى يزيد بن معاوية، ويقول أنهم خرجوا بعد ذهاب الدولة الأموية في الشام إلى عسير ثم كان عائض أول أمرائهم، وهو والد محمد بن عائض، الذي قتله القائد العثماني رديف باشا (كما يقول خلفه في القيادة سليمان شفيق) أوائل سنة (١٢٨٩هـ/ ١٨٣٣م). وكان عائض في بداية عمره من الرعاة، وتقدم بذكائه وشجاعته إلى أن قاد عشيرته في خلال ثورة قام بها العسيريون لإخراج المصريين من

ديارهم، وأخرجهم بعد معارك نشبت في بلدة "طبب" قاعدة المصريين يومئذ. فكانت له الإمارة في منطقة "عسير السراة" في شوال ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م"[١]

وقد أورد سهيل صابان المؤرخ المعاصر مصادره والتي تتمحور في معظمها حول الوثائق العثمانية كما يلي:

"الأعلام للزركلي

الأرشيف العثماني، تصنيف

AMKT.UM.21\29, A.MKT.MHM.79\64, HH. 20517-B,21520., I.DAH. 14568 , 16519, 18974, 21959,22723, I.MEC.MAH. 265, I.MES.MUH. 1801, 2437, MVL.271\66[٢] .

ونلاحظ أن صابان قد اطلع كثيراً على المصادر العثمانية ورغم ذلك اعتمد سرداً مشابهاً لما ورد في مذكرات سليمان شفيق باشا مما يدل على تأييد الوثائق العثمانية لهذه المعلومات.

ومن خلال ما تقدم فإنه يظهر لنا جلياً عدم وجود أي علاقة لآل المتحمي ولا لآل مجثل بقبيلة آل يزيد التي ينتمي إليها آل عايض، كما أنه لا علاقة لآل عايض بالحكم في عسير فيما قبل تكليف العسيريين لعايض بن مرعي بالوصاية المؤقتة على الأمير الصغير السن في عام ١٢٤٩هـ كما نلاحظ عدم وجود أي إشارة معاصرة إلى النسب الأموي، ومن ثم فلا علاقة على الإطلاق للإمارة العسيرية ببني أمية ولا بالنسب الأموي الذي ظهر لنا بعد ألف وثلاثمائة عام ليحدثنا عن أحداث وأنساب وتواريخ لم ينبس بها غير مجموعة إمتاع السامر سواءً عبر الكتب المطبوعة أو الوثائق المزورة أو الحكواتية، كما نلاحظ أنه لا توجد أي إشارة معاصرة لعايض بن مرعي أو ابنه محمد أو ما بعدهما حتى عام ١٣٣٠هـ تشير إلى النسب الأموي لآل عايض أو لقبيلة آل يزيد، أو تشير إلى صلة لأسرتهما بالحكم في عسير فيما قبل وصول عايض إليه.

---

(١) صابان، سهيل، مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية، في الأرشيف العثماني، من منشورات مكتبة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٥، ص٩٣، ٩٤.

(٢) صابان، سهيل، نفس المصدر السابق، ص٩٤.

٣. أكذوبة الدولة اليزيدية وابتزاز التاريخ العسيري

اتجه البعض إلى الاعتراض على الحديث عن عدم وجود صلة لأسرة آل عايض بأسرة الحكم السابقة لها، وعزا بعضهم اتجاه الريحاني للقول بأن عايض كان في بداية عهده من الرعاة إلى مجاملة الملك عبدالعزيز الذي كان الريحاني معجباً به، واستشهدوا على خطأ ذلك بما ورد لدى "تاميزيه" مما فهموا منه وجود صلة قرابة بين علي بن مجثل وعايض بن مرعي، (وهو ما أوضحنا ملابساته وفصلنا في إيضاح خطئه في الفقرة رقم ٦ في مبحث "علاقة علي بن مجثل وسعيد بن مسلط بالنسب اليزيدي" في هذا الباب)، وأصروا على أنه ابن أسرة حكم عريقة، وأن والده كان أميراً، وأخوه كان أميراً، وعمه كان أميراً، وأجداده كانوا أمراء، مصادقين على كل ما أوردته مصادر مجموعة إمتاع السامر، بما يوحي للعامة بأن ذلك هو السبيل لنفي ما ورد لدى الريحاني مما اعتبروه انتقاصاً للرموز العسيرية ومن ثم من رمزية التاريخ العسيري، دون أي مستند، ووعد بعضهم بإصدار كتاب يحتوي الرد الواضح على مثل هذه المقولات.

ولا نجد في رفض المعلومة ومحاولة إثبات عكسها أي مشكلة إذا كان النقل والاستشهاد يقوم على أسس منهجية مقبولة وتقصي الحقيقة، فمن حق كل إنسان أن يورد رأيه بشكل موضوعي.

إلا أن اندفاع هؤلاء إلى الربط بين المصادقة على توارث آل عايض لحكم عسير كما ورد في مجموعة إمتاع السامر بالضبط وعلى صلة آل عائض بالسلطة قبل عائض بن مرعي وبين الرمزية التاريخية لعسير، يطرحهم كجهة غير محايدة في رواية التاريخ، فإقحام رمزية الأشخاص في رواية الأخبار التاريخية خلط غير مقبول، كما أن الحديث عن الرمزية بهذه الطريقة يعيدنا إلى نمط من التقديس للأشخاص والحديث عن رمزيتهم بصيغة بدائية لا تتناسب مع الفكر الذي يحمله رجل متعلم ناهيك عن أساتذة جامعيين، فرمزية عسير لا تسقط بمجرد أن أي من وصلوا للسلطة خلال مرحلة ما لا ينتمي إلى أسرة الحكم، ولا بكونه كان من الخدم قبل وصوله للحكم، ولا يمكن فهم حرص هؤلاء على الحديث عن الرمزية عندما يقال بأن عايض بن مرعي كان من أي الطبقات الاجتماعية الكادحة قبل وصوله للحكم، أو حتى عندما يقال بأنه لا صلة له ببقية أمراء عسير السابقين، فيعتبرون ذلك إسقاطاً لرموز عسير، ويجعلون ذلك مبرراً لحرصهم على المحافظة على فكرة توارث الإمارة في الأسرة اليزيدية المزعومة منذ عدة قرون بدون أي مستند تاريخي، بينما لم يعترض أيهم حتى الآن على ما قاله الشيخ هاشم النعمي عندما قال أن سعيد بن مسلط لم يكن إلا رجلاً كادحاً من العامة يعاني من شظف العيش، ويمارس الفلاحة في أرضه حتى تزوج أمير عسير الشريف هزاع بن عون من أخته حليمة، فصار له من المكانة ما للأمير هزاع[1]، مع أن الرواية

---

(١) النعمي، تاريخ عسير الجزء الأول، ط١، عام ١٣٨١هـ، ص١٧١.

التي يدافعون عنها تربط بين سعيد بن مسلط وآل عايض في النسب والانتماء إلى البيت اليزيدي، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تسر هذه الرمزية على سعيد بن مسلط كما سرت على ابن عمه.

والأغرب أنه لم يعترض أيهم على ما ورد في مصادر إمتاع السامر مع ما يحمله من انتقاص لأمراء عسير كافة، ولا اعترضوا على الشتائم السيئة وعبارات الغمز واللمز لبعض القبائل في المنطقة التي وردت في إمتاع السامر، ولا اعترضوا على إطلاق لقب "بلاد الخر" على عسير، فالرمزية لدى هؤلاء لا تعني الأرض ولا ساكنيها، بل تتمحور رمزية عسير في أسرة واحدة.

من خلال هذا الخلط بين الرمزية والتاريخ، يبدو أننا أمام عملية لي ذراع وفرض شغار قسري على التاريخ العسيري، فالرسالة تقول بأننا إن لم نقبل بمصادرة التاريخ كاملاً ونتقبل العبث به لمصلحة جهة واحدة بصدر رحب، فأننا نوافق على سقوط رمزيتنا التاريخية من خلال إسقاط رموز عسير.

وعندما نجمع بين ما يدعيه هؤلاء الكرام هنا من الدفاع عن الرمزية العسيرية المزعومة أمام خبر يقول أن راعياً للغنم وصل إلى رأس السلطة في عسير، وبين ما أوردت مجموعة كتب إمتاع السامر من إشارات بإسم بعض الأموات والتي توحي ضمنياً بشيوع الجهل والكفر في عسير في العصور الغابرة ثم محاولة المزورين تلبس ثوب الدفاع عن التاريخ العسيري في الحواشي من خلال أكاذيب مجموعة الإمتاع فقط[1]، وكأنها المنقذ الوحيد للتاريخ العسيري، ونضيف لها المكاسب التاريخية الهشة التي تورطت بها الذاكرة الشعبية البسيطة في عسير، فإننا نستوعب ما تتعرض له المنطقة من إرهاب فكري تاريخي وابتزاز من قبل مجموعة منظمة تكتب من الظلام وأخرى تقدم لها الدعم، للمصادقة على الأكاذيب.

هذه المعادلة الناقصة غير متكافئة الأطراف مُرِّرت على الكثير، فأصبح البعض يحاذر بشدة مما قد تفرزه عملية سقوط فكرة الدولة اليزيدية المزعومة، فإما أن نصادق على أن عايض بن مرعي كان أبوه أميراً وأخوه أميراً وجده أميراً وجد جده أميراً، وأنه سليل أسرة حكم كانت تمتلك عسير امتلاك الرجل لجواريه منذ ألف ومائتي عام مصادقين بذلك على كل ما ورد في مجموعة إمتاع السامر من غرائب أخبار الدولة اليزيدية الأموية، ومن انتقاص للتاريخ المحلي، ونجادل سخرية الدنيا كلها حول صحة هذه الترهات، أو أن نقبل فكرة أن عسير كانت غارقة في الفوضى، عندما نقبل أن أجيراً لدى العسيريين تسنم أمرهم مع ما في ذلك من انتقاص لتاريخ عسير حسب ما يرون، وكأننا نحن من ادعينا بذلك، أو كأن أول من ذكر ذلك قبل الريحاني لم يكن صديقاً مقرباً

---

(١) تاريخ عسير خلال خمسة قرون المنسوب تحقيقه لمحمد بن مسلط، ص٣٢، ٣٣.

لمرافقه ووكيله حسن بن عايض الذي هو أحد أفراد هذه الأسرة، أو كأنه لا مجال لرفض الفكرة إلا بإثبات وجود الدولة اليزيدية وربط الإمارة بها منذ القرن الثاني للهجرة، ومصادرة تاريخ المنطقة كاملاً لصالح أسرة واحدة، أو كأن رعي الغنم والخدمة لدى الآخرين مهنة مهينة ممقوتة لم يمارسها الأنبياء، أو كأن منصب الإمارة في عسير لم يتحول إلى منصب سياسي ومن ثم أصبح يخضع لقانون المناصب السياسية عبر التاريخ والتي خضعت لمفارقات أكثر غرابة من وصول أحد الخدم إلى رأس السلطة.

فعسير يا سادة ليست بدعاً في التاريخ، وما ينطبق على سواها في كل الدنيا ينطبق عليها، وما يمكن أن يكون حدث في تاريخ الإمارة العسيرية لا يمكننا إسقاطه على رمزية التاريخ العسيري ولا على رمزية الإنسان في عسير الذي سطر تاريخاً استثنائياً قبل هذه المرحلة، ثم استمرت هذه المرحلة كامتداد لتاريخه الذي بناه بيديه حتى ولو وصل إلى سدة الحكم أياً كان، خاصة وأنهم هم من وضعوه على هذا المنصب.

فتاريخ عسير وقيمته المعنوية غير معنية على الإطلاق بوضع عايض بن مرعي فيما قبل وصوله إلى الحكم كحاكم مؤقت[(١)]، فسواءً كان أجيراً أو كان أميراً من سلالة أمراء كما تقول مجموعة إمتاع السامر، فلن يغير أي من الحالين من التاريخ العسيري ولن ينقصه شيئاً، فلا شك أن لكل حدث ملابساته، ومثل هذه الأحداث وما أفرزته هي ما تستحق أن نأخذ منها العبرة.

وكما أن أسرة آل المتحمي التي أسست التاريخ العسيري الحديث وبقية أسرة علي بن مجثل الذي قاد المرحلة الثانية من التاريخ العسيري وأشراف مكة الذين يمتد حكمهم إلى أكثر من ثمانية قرون والأدارسة وآل رشيد وآل عريعر وغيرهم الكثير عبر التاريخ قد تقبلوا قضاء الله وقدره، وأصبحوا يتحدثون بواقعية وتعقل بعيداً عن الحاجة إلى التلاعب بالتاريخ، فإن مجموعة التزوير والدعم يجب أن يتفهموا أن آل عايض طرأوا على تاريخ عسير وخرجوا منه، وأصبحت أسرتهم إحدى الأسر العامة وبحال أفضل مما كانت عليه بكثير، وينفضوا الأحلام الفارغة من رؤوسهم، ويتوقفوا عن العبث والتطبيل الفارغ، وعن التلاعب بالتاريخ، وشق وحدة الوطن، ومحاولة إستثارة العداء بين الجهات الرسمية وبين العسيريين، أو محاولة انتقاص الرجال الذين وضعوا عايض وبمحض إرادتهم في موقع ما كان بالغه ولا بشق الأنفس، حتى لا يسيئون لأسلافهم وللتاريخ العسيري كافة، فحلقة التاريخ ستظل تدور في عسير لتسطر إشراقات جديدة ضمن بقية الوطن السعودي دون الحاجة إلى إمتاع السامر ولا مجموعته.

---

(١) تاميزيه، نفس المصدر، ص٢٩.

فحتى لو تجاوزنا جدلاً إشارة سليمان شفيق والريحاني، وتجاهلنا ما يقوله أهل الشأن حول الحقيقة، وحصرنا أسئلتنا إلى هذه المجموعة في مصدرهم الذي بنوا عليه الأكذوبة وهو كتاب تاميزيه الذي استشهدوا به، وفي إشارة واحدة فقط، فسألنا عن سبب أن عايض بن مرعي عين "حاكماً مؤقتا"[١] لعسير كما يقول تاميزيه، ثم نصب (الطفل اليتيم) ابن الأمير علي بن مجثل "أميراً لعسير" أثناء وجود عايض في السلطة[٢]، وماذا يعني ذلك؟.

وهل من المنطقي أن يعين العسيريون ابن الأمير علي بن مجثل صغير السن أميراً على عسير، بينما هو لا يستطيع إدارة الأمور، ولم يكن يمتلك أي سند عائلي ينازع دونه، أثناء وجود "عايض بن مرعي" الرجل المحنك الذي مارس السلطة والقيادة والمنتمي لنفس الأسرة الحاكمة (كما يزعمون) على رأس الحكم، فيحال الأمير الرجل إلى "حاكم مؤقت"، ويوضع "الطفل" مكانه مع ما في ذلك من إهانة وانتقاص لا يمكن أن يتقبلها العقل، فكيف بهذا الرجل وهو الذي كان والده أميراً لعسير، وكل أجداده كانوا أمراءً لعسير حسب دعواهم، لما وجدوا الإجابة عليه.

فهل نتتبع أخطاء الترجمة الواضحة فيما أورده تاميزيه والتي تتعارض مع كل الأخبار التاريخية الأخرى ومع استنطاق أخبار نفس المصدر كما أوردنا ونترك الحقائق الواضحة وضوح الشمس.

ولن نندهش أن نجد بين المؤرخين من كتب عن بعد بنفس طريقة تاميزيه، فافتراضية وجود الصلة بين الأمراء أمر بديهي بل هو من المسلمات التي قد تطرق خيالنا عندما لا نعرف التفاصيل، كما فعلت جاكلين بيرين عندما أطلقت على علي بن مجثل "علي أبو نقطة"[٣] مفترضة أنه ينتمي لأسرة الحكم السابقة، فنحن هنا نمتلك التفاصيل بشكل جيد ومن مصادرها الأقرب، وهو ما يجعل محاولة الربط والاتكاء على مقولات من لا يعرفون التفاصيل غير مقبولة تماماً.

---

(١) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، تحقيق د. محمد آل زلفة، ص٢٩.

(٢) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، تحقيق د. محمد آل زلفة، ص١٦٣.

(٣) بيرين، جاكلين، اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدري قلعجي، منشورات الفاخرية الرياض ودار الكتاب العربي بيروت، ص٢٥٢.

الباب السادس

القبيلة والأنساب وإمتاع السامر

الفصل الأول

القبيلة والأنساب

١ـ أهمية علم الأنساب

علم الأنساب والأعراق البشرية هو علم مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ، وله أهمية في الوصول إلى هوية وتاريخ الأرض، وفي الوصول إلى تفكيك ما تحمله الذاكرة البشرية من أساطير ومعتقدات قديمة مرتبطة بالأحداث والأعراق البشرية، كما أنها المفتاح لمعرفة اتجاه الهجرات البشرية وعلاقة الشعوب والحضارات ببعضها وطريقة تدرج التطور المعرفي وتناقله بين الأمم جغرافياً وتاريخياً، ومن ثم فهي مفتاح لمعرفة التاريخ المرتبط بالإنسان، لذا نجد المعنيين بالتاريخ وبالدراسات الأنثروبيولوجية في كل الدنيا يولون دراسة طريقة ترابط الأعراق البشرية أهمية كبيرة ويفتشون في المدونات التاريخية وفي علم اللسانيات وفي الآثار عن كل ما يعطي بصيصاً إلى خطوة أخرى في هذا الطريق، ورغم أن العلم الحديث قد توصل من خلال رسم الخارطة الجينومية البشرية إلى ما قد يقلب موازين المفاهيم القديمة حول السلالات والأعراق البشرية وصلاتها ببعضها حسب المدون حتى الآن في العالم، إلا أن دراسة الأنساب المدونة في كتب الأنساب وما تحمله كتب التاريخ في هذا الخصوص ستبقى لها أهمية كبرى كآثار لمفاهيم قائمة خلال المراحل التاريخية المختلفة نستطيع من خلالها الوصول إلى هوية الأرض من خلال هوية الإنسان فوقها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كما أنها مفتاح لمعرفة الأحداث والأعلام والهجرات المحلية خلال تلك المراحل وما حولها قبل أو بعد، كما أنه لا بد من الاستناد إليها في الدراسات الحديثة للتقسيمات البشرية والمعتمدة على دراسة الدي إن إي، لتستند هذه الدراسة على قاعدة معرفية تمكنها من المقارنة وإجراء عملية الانتخاب وأخذ العينات بطريقة صحيحة وموزونة.

أما من الناحية الاجتماعية وخاصة في البيئة المحلية في الجزيرة العربية فأهميتها محدودة جداً ويبلغ كل شخص حد الكفاية بإثبات انتمائه إلى أي القبائل المعروفة المعترف بها حالياً ليحقق له ذلك الأمن النفسي والاجتماعي على المدى البعيد، فاختلاف الأنساب القديمة بين القبائل العربية لا

يحمل أهمية معنوية على الأرض على المستوى الفردي، وانتهاء نسب أي قبيلة من القبائل المعروفة حالياً لأي جذم من أجذام العرب دون سواه لا يزيدها ولا ينقصها شيئاً من الناحية الاجتماعية، لذا فالعامة في الجزيرة العربية عادة ما يكتفون بمعرفة الانتماء القبلي على العموم كأن يقول الشخص أنه من الأسرة الفلانية والتي تنتمي إلى العشيرة - أو القبيلة - الفلانية ومن ثم إلى القبيلة الفلانية المعروفة، وفي ذلك تحقيق الغاية من ناحية الكفاءة في النسب والطبقة الاجتماعية، ولا يسأل أي شخص عن بقية التفاصيل على العموم، ولعل ذلك هو منتهى مبلغ اليقين لما يمكن أن نصل إليه في انتماءاتنا القبلية، وكل ما يقال عن تمكن أي شخص من بلوغ اليقين في الأنساب القديمة هو مجرد هراء، ومن ادعى أنه يعرف يقيناً تسلسل نسبه إلى عدنان أو قحطان أو إلى الأزد أو ربيعة أو غيرها فقد افترى، وكل ما كتب حول ذلك عن أي الأعلام فهو كذب محض، فنحن نحتاج للوصول إلى اليقين في النسب إلى تتابع التدوين بطريقة مشهورة ومعروفة غير منفصلة عن كل ثلاثة أجيال متتالية، أي ما يقارب في المتوسط قرن هجري كما يقول ابن خلدون، إذ يكون التحقق من صحة الرواية متدارك في حدود هذه المدة، وأي انقطاع سيعني الشك، مما يجعل اليقين أمر لا وجود له حيث أن التدوين لم يبدأ إلا بعد مرور قرون عديدة على الجذور الأولى للأجذام العربية والبشرية حسب ما وردت في كتب الأنساب التي خطها النسابون ذاتهم رغم أن الحقيقة منطقياً قد تتجاوز ذلك بكثير، وحتى فيما بعد ذلك فلا يوجد من هو متحققة له هذه الغاية منذ بدأ الرسالة حتى الآن، ولقد أدهشني اتجاه بعض رجال العلم الشرعي إلى ادعاء معرفة تسلسل نسبه إلى آدم، بينما توقف الرسول ﷺ وهو الذي لا ينطق عن الهوى عن ذكر ما قبل عدنان وقال عن من تحدث حول ذلك، "كذب النسابون" وهو الأجدر بأن يعلم ذلك ويوثق لنا نسبه إلى آدم لو كان الأمر ممكناً لغيره وذا شأن.

ولكن هذا الشك على المستوى الفردي لا يصح إطلاقه على المستوى الأعم، إذ أن وجود القبائل العربية بأسمائها خلال العصر الجاهلي فيما قبل الإسلام ثم ما بعد ذلك هو أمر محسوم وقد نتمكن من التيقن من انتماء إحدى القبائل الحالية على وجه العموم إلى إحدى القبائل المعاصرة لبداية التدوين أو ما قبله بقليل من خلال الاستقراء دون التحقق من أن كل البطون والأسر الحالية هي ذاتها القديمة أم أنها قد اختلفت، وأيضاً فإن الشك يدور حول ما قيل عن مرحلة ما قبل الإسلام والتي لم يصل المدونون لما كان فيها من تقسيمات وهجرات وتحالفات إلا تخرصاً.

ولكن يجب أن نتفهم أن الأنساب والأعراق على العموم تحمل بذرة في النفس البشرية على أرض الواقع، وبالأخص في المجتمعات القبلية، فهي حافز للتعاطف والتقارب بين ذوي

التقارب العرقي، لذا تجد هنالك الميل للالتفاف حول القبيلة الأصغر ثم الأكبر ثم الأكبر وهكذا، حسب التدرج الموجود على الأرض حالياً، كما أن التدرج في الانتماء القبلي يبنى عليه التدرج في عمليات الغرم والغنم، فحمل الدم والغرم والديات عادة ما يحمل على القبيلة الأقرب، ولكنه قد يوسع نطاق حمله بقدر حجم الحمل حتى تحمله في أقصى الحالات القبيلة الأم كاملة، ولا زال حمل القبيلة للغرم سائداً في عسير، وهو أمر مرتبط بمفهوم النسب حسب العرف، لذا فما يفرض من مقاربة أو تفتيت للقبائل في كتب الأنساب قد يكون له أثر على أرض الواقع.

وكتابة الأنساب هي أمر له فنونه وطرقه، وله مصادره المشروعة، ومنها كتب الأنساب القديمة، وما يصح من الإشارات التي ترد في المراجع القديمة أو في الشعر العربي الوارد في الكتب القديمة المشهورة فقط، وعندما نحاول حرف روايتها عن مسارها فإننا قد نتمكن من تغيير النظام الموجود على الأرض فعلياً والتأثير على الذاكرة الشعبية للمجتمع، حتى لو لم نستطع إقناع ذوي الاختصاص ولا الأجيال القادمة بمصداقية ما أوردناه، وهنا لب المشكلة، حيث أن الذاكرة الشعبية هشة دائماً وتستقبل كل شاردة وواردة لتبني عليها الكثير من الأمور على أرض الواقع وبأثر رجعي، مما يمكن أن يكون له أثر كبير على تركيبة المجتمع على المدى البعيد، في ظل عدم إمكانية القطع بحقيقة معينة حول الأنساب القديمة في الكثير من الحالات في نفس الوقت.

ولكن رغم ذلك فإننا قد لا نجد بأساً في أن يرجح أحد الباحثين بأن العشيرة الفلانية تنتمي للقبيلة الفلانية (بغير المتعارف عليه) ثم يسرد تعليلاته وأسانيده بطريقة موضوعية تحترم المنهج العلمي في الطرح، لأننا هنا أمام وجهة نظر لها أسانيدها وعلينا التعامل معها بما يضمن تمحيصها جيداً وردها أو قبولها بالتالي، وعندما نفعل ذلك فإننا ربما نصل إلى أننا بقدر ما فكّكنا المتقاربين فإننا في المقابل ربطنا المتباعدين ولكن بصورة غير موجهة، وهو ما سيجعلنا تلقائياً قد وجدنا البديل لكل من اقتطعناه كقانون متوازن للتناسل.

ولكن عندما تظهر على غفلة مجموعة من الكتب المجهولة المصدر، تعمل بشكل منظم على بعثرة أوراق الأنساب والأسماء بين قرى متجاورة بطريقة مشبوهة وموجهة وبما يخالف ما تعارف الناس عليه، ويخل بالتوازن القبلي في إقليم ما بطريقة كاملة، وتقلب أخباره فتجدها ملفقة، وتنقب في محتواه لتجد أنه مزور بالكامل، وذو أهداف مشبوهة، بينما أصبحت أخباره تروى وتتداول وتنقل في الكتب مع ما فيها من علل، وعلى الأرض تجد أنه قد أوقع أثره في قلوب الناس، فتمسك الصغار بالمكاسب التافهة التي وزعت عليهم لتقبل الفكرة، فلا شك أنه يجب إعادة النظر فيما أورد من أخبار، ومحاولة سبر أهدافه من خلال قراءة متمعنة لما كتب، وإجلاء ما تحت الورق من رسائل موجهة للعقل الباطن للمجتمع مما سينضح أثر ما فيها بعد زمن، ومواجهتها بالحقيقة بشكل علني.

٢- خطورة الحالة القبلية وخطورة التدخل غير الحيادي في نظامها

تمثل القبيلة النمط البدائي لوحدات تكوين المجاميع البشرية في صورتها الأولية، وهي حسب التعريف الأنثروبيولوجي، فرع من العرق المنتمي إلى أحد الأجناس البشرية[١]، وهذا التعريف لا يعدو أن يكون تعريفاً افتراضياً يعتمد النسق القديم للمفهوم كأساس لا زال مهيمناً على الحالة، إلا أنه ولأسباب كثيرة قد لا يمكن أن ننزله على إطلاقه على الحالة القبلية في عصرنا الحالي وخاصة في الجزيرة العربية حيث تكاد القبيلة في الكثير من الحالات أن تكون تكتلاً اجتماعياً موروث فرضه الواقع الأمني والاجتماعي والاقتصادي كما سيأتي معنا.

وعندما ندقق في الحالة القبلية الموجودة حالياً في مجتمعنا، فإننا نجد أن القبيلة نمط اجتماعي لازال يفرض مثله وأعرافه (غير المعيشية) على بيئة مرفهة تعيش حياة المدينة، وهي حالة خاصة نشأت عن الثروة النفطية التي أفرزت قفزات اقتصادية وتقنية دون أن يتدرج المجتمع في المراحل المفترضة ليصل ذاتياً إلى هذه النتيجة، ومثل هذه الحالة من النظام الاجتماعي الخاص تحتاج لدراسة جادة ومتعمقة تبرز بوضوح سلبيات هذا الوضع الخاص، وكيفية التعامل معه للوصول إلى نقل المجتمع إلى ما يوازي دوره الحضاري المطلوب في العصر الحديث، فالثروة النفطية زائلة يوماً ما، وليس ذلك اليوم ببعيد جداً، فهل المجتمع مهيأ لتلافي انتكاسة حقيقية في بنائه الذي أصبح متشابكاً، في الوقت الذي سيكون حينها مضطراً للاعتماد على الذات لمواكبة سير الحضارة.

فالنظام القبلي ورغم أنه قام بدور اجتماعي تكافلي وأمني ونفسي مهم عبر مراحل تاريخه، إلا أن هنالك الكثير من الإشكالات في استمرار سيطرة هذا النمط على المجتمع في العصر الحديث بل وعودته إلى الساحة بقوة.

ومفهوم النظام القبلي كنسق اجتماعي لا يعني فقط مفهوم النزعة القبائلية (كما وصمها البعض)[٢]، فلا أجد جدوى من طرح أفكار لترشيد حدة القبائلية كمفهوم يشير إلى المنافسة، فالقبائلية لا تمثل سوى الصورة الظاهرة إعلامياً في وقتنا الحالي، وإن ظهرت بلباس المرحلة ونعومتها، فإن ذلك راجع لاختلاف طابع الحياة ذاتها وليس إلى تغير أساسي في المفاهيم، فالقبائلية هي القيمة الأقدر على تغيير وسائلها تاريخياً، فالمنافسة القبلية في الجزيرة العربية ذات طابع متقلب مكتسب من بيئتها الفقيرة التي تفرض قوانين الضرورة غالباً كحالة اعتيادية تنساق خلفها بقية القوانين والأعراف فأورثت إنسانها بيئة تنافسية ذات صبغة إقصائية اتسمت بها

---

(١) الغذامي، عبدالله، القبيلة والقبائلية هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي - الرباط ٢٠٠٩م، ص١١.

(٢) الغذامي، المصدر السابق، ص١١.

صراعاته وأدبياته، فبين المنافسة ذات الطابع المعنوي كالشعر أو سباق الخيل والمنافسة ذات الطابع المادي على موارد الحياة الرئيسة كالماء والمرعى والأرض عادة ما يكون هنالك تشابه في النتائج، فكثيراً ما تم اختزال الهوية أو الوطن أو ربما فُقدت تحت سطوة المنافسات القبلية على أمور صغيرة، فتاريخ المنافسة القبلية ظل دموياً عبر تاريخه إلى أن سادت مرحلة الترف النفطي فتراجعت عن هذه الدموية وانشغلت بالترف مع محافظتها على بنيتها القديمة وتقسيماتها، ولكن لو تراجع هذا الترف يوما ما، في ظل مدن تكتظ بسكانها ومصادر طبيعية فقيرة، فربما ستقف القبيلة عندها كمرجع أساسي لطريقة الحياة، وستعلن عن نفسها كمرجع وحيد للهوية، وتفرض قيمها في طريقة التعامل مع الآخر حسب تعريفها له، بالضبط كما يروي تاريخها عبر الزمن.

فالتعامل مع الحالة قد لا يكون مجديا فيه الوقوف كثيراً أمام استعصاء إحدى قيمها الأساسية على التطويع، بل ربما يكون في السؤال عن مبررات وجود الحالة واستمرارها من الأساس، فوجود الحالة القبلية يعني سيطرة المفاهيم القبلية، ومن ثم الارتباط النفسي بقيمها التاريخية الموروثة، لذا فالحديث عن القبلية كنسق اجتماعي شامل متحكم مسيطر ومؤطر لتدرج الصلات الاجتماعية هو المحور الذي يجب السير عليه إذا أردنا تفكيك الحالة، فالروح القبلية تعني الالتزام الكامل بقوانينها وبروتوكولاتها، ومن ثم فالمطالبة المثالية للحالة القبلية بترشيد قيمها الأساسية والتعالي على القبائلية والقيام بترسيخ التقارب بين الفئات المتباينة قبلياً في المجتمع، أرى الاستجابة له تشبه الاستجابة للمطالبة بإيقاف كل أشكال المنافسة بين الشركات في السوق الحرة.

وتكمن الإشكالية الأكبر في النظام القبلي في أنه نظام مهيمن على المجتمع نفسياً، في الوقت الذي لا يقف عند أطر محددة في تعريفه للهوية، فالقوانين القبلية رغم ثباتها كقيم أساسية، فإن الانتماء ذاته في المفاهيم القبلية غير ثابت وغير محدد بشكل قطعي، فقوانين الهوية القبلية حسب أعرافها الأساسية مذبذبة، لا تستند إلى إطار واضح في تعريف ذاتها، فهي لا تقف عند حد معين في تضييق مفهومها للوطن كلما استدعيت لذلك، ويزداد الأمر غموضاً حول مستقبلها في هذا الخصوص إذا علمنا أن معطياتها التي بنيت عليها متباينة التعريف فيما بين الإرث الشفهي والتاريخ المدون الذي بدأ يبعثر الأوراق، ناهيك عن ما قد تفرزه السنوات المقبلة من إعادة النظر في كامل تركيبتها بعد تدخل المختبرات العلمية في الأمر.

لذا فالهوية في الحالة القبلية من خلال ثبات مفاهيمها ومرونة أطرها تمثل عائقاً حقيقياً لوضع إطار شامل للهوية الوطنية، إذ لا يمكن إيقاف الانتماء في المفهوم القبلي عند حدود معينة لإعطائه إطار عرقي أو قومي محدد، فهي تختلف في عمقها وتأثيرها النفسي واستسلام الفرد لها وتصدرها القيم والأعراف والنظرة الشخصية تماماً عن القومية أو العرقية أو العنصرية للون أو الجنس ذات

المفهوم القومي المؤطر الواضح والأشمل، والذي لا يتدخل فيما دون ذلك، فحتى القبيلة ذاتها بمفهومها الشامل قد لا تمثل إطاراً ثابتاً لمفهوم الانتماء، فداخل هذه المنظومة هناك منظومات أصغر وأصغر متداخلة وقد تنمو أيها لتتحول إلى وطن كامل في مواجهة الأخرى حسب القانون النفسي القبلي، ومن هنا فإن ما قد تفرزه حالة الكشف في الـ (DNA) من نتائج قد لا تفضي في ظل سيادة الحالة النفسية القبلية إلا إلى تغيير المراكز وإعادة التحالفات القبلية بصورة جديدة وعودة طبول القبائلية على أسس جديدة أكثر ثباتا مما يجعلها أسوأ من ذي قبل، ما دامت هي المسيطرة.

فعندما نحاول الوقوف على واقع نفسية المجتمعات القبلية فسنجد روحاً يمتنع فيها نمو الحس الوطني أو القومي بمفهومه الأشمل لكون القبيلة الصغيرة تحقق في ذاتها بديلاً معنوياً كاملاً لمفهوم الوطن، وأعرافها تشكل إطاراً متيناً لتصرفات الشخص كمؤثر قوي وفاعل بديل للشرائع والقوانين والدساتير، لذا فلا شك أن الحالة القبلية تعمل على تفتيت المجتمع الأكبر وإثارة الروح العرقية في أضيق صورها، كما أنها عائق حقيقي لدخول المجتمع في الحياة المدنية التي تحمله على النهوض بذاته للدخول في معمعة المنافسة الكونية على التقدم العلمي والاقتصادي الذي دخلت غماره أمم بدأت التواشج مع العالم الجديد بعد أمتنا العربية بعشرات العقود وبدون أي موارد اقتصادية ثابتة غير عقول وسواعد أبنائها، بينما بقينا في ظل قيمنا الاجتماعية القبلية التي تفتقر للحماس الوطني والقومي وتحتقر العمل اليدوي ولا ترى بأساً في الارتزاق عبر التملق والمديح خارج اللعبة الكونية.

كما أن الحالة القبلية قابلة بطبيعتها الانعزالية للتحول إلى حالة متمردة موجهة بما تمتلك من القوة حسب سيرتها التاريخية، فحتى وإن تلبست طابعاً طيعاً لقيم مرحلية تفرضها الحاجة، فهي قابلة للخروج على الواقع عندما تكون مهيأةً لذلك، فهي تجمع مركب غير نظامي يفتقر إلى الهدف، مفتوح على مدى الزمن، يمكن توجيهه للخروج عن المألوف في أي لحظة، والتاريخ العربي يحمل الكثير من الأمثلة، بدءاً من ارتداد القبائل العربية في اليمامة ونجد والحجاز واليمن وعمان بمجرد وفاة النبي ﷺ وما سببته من خسائر للدولة الإسلامية، إلى خروج القرامطة مدججين بمجموعة من القبائل العربية واجتياحها للجزيرة العربية بما فيها مكة وتجرؤها على هدم الكعبة وانتزاع الحجر الأسود، إلى خروج قبيلة الرئيس اليمني عن طوعه وطوع المعارضة واحتلالها للوزارات والإدارات الحكومية بقوة السلاح انصياعاً لنداء شيخ القبيلة الذي أصبحت أسرته تمتلك الورقة الأكثر تأثيراً في اللعبة السياسية في اليمن كما نرى الآن، إلى ما بين هذه الأحداث من حالات الخروج القبلي على الدول الإسلامية المتعاقبة.

ولو راقبنا الوضع في اليمن الشقيق لأدركنا مدى صعوبة السيطرة على الحالات القبلية عندما

تكون هي المحرك، ومدى خطورتها، وأثرها على مسيرة التنمية، في ظل حالة قبلية غير نفطية، فهنالك محافظات يمنية كبرى كمأرب وصعدة وغيرها من المحافظات الجبلية والصحراوية لا زالت قبائلها بعيدة جداً عن قدرات الحكومة اليمنية على السيطرة عليها سيطرة كاملة، وكل ما هنالك هو مهادنات يتم نقضها متى ما رأت القبيلة في ذلك مصلحة، ولا شك أن كل متابع يرى الأثر الكبير لهذه الحالة على عملية التنمية في اليمن، ويمكن أن نلاحظ دور القبيلة السلبي عندما نراقب ما يجري من اندفاع حقيقي جماعي في عمليات الانضواء التلقائي في التجمعات المشبوهة خلف قرار القبيلة دون أي تردد، ما يمكن أن يوظف من قبل بعض الأطراف بمساعدة جهات أجنبية ذات أجندة مختلفة، فالانضواء إلى الجماعة الحوثية في صعدة مثلاً أخذ بعداً قبلياً مع أنها جماعة دينية سياسية يفترض أن الاقتناع بأفكارها تحمله القناعات الشخصية، ولكن ما حصل هو أن القرار الفردي كان مسيطراً عليه قبلياً، فتقرره القبيلة وعلى الفرد التسليم، فهذه القبيلة أصبحت حوثية وتلك ضد الحوثيين، بعيداً عن القوانين الحكومية أو القناعات الشخصية، وقد نجد أقوى الأدلة على تعارض المفهوم القبلي مع المجتمع المدني عندما نراقب ما يجري حالياً على أرض اليمن، حيث اتجه مجموعة من الطلبة في جامعة صنعاء إلى قيادة مظاهرات سلمية لتغيير النظام لإقامة الدولة المدنية الديموقراطية على غرار ما حدث في تونس ومصر ذات المجتمعات المدنية، وبعد عدة أيام من المظاهرات التي لم تتوقف بدأ الدعم لهذه المظاهرات من خلال إعلان بعض شيوخ القبائل الانضمام إلى الثورة المطالبة بتغيير النظام وسارت خلف الموجة القنوات الإعلامية المؤيدة للثوار فترى كل يوم خبراً عن شيخ قبيلة انضم للمعارضين، وفي اليوم التالي يحضر ومعه أعداد كبيرة من أبناء قبيلته للانضمام لساحة التغيير بصنعاء حاملين لوحة تفيد بتأييد القبيلة للثورة، وعندما تبحث في أسباب اقتناع بقية أفراد القبيلة بفكرة المعارضة دفعة واحدة بمجرد إعلان الشيخ عن توجهه، لا تجد أي إجابة سوى الحالة القبلية المهيمنة على المجتمع، والتي جعلت أفراد القبيلة يستسلمون لرغبة شيخهم الذي يدعم المطالبة بالديموقراطية والحياة المدنية التي من أولويات مبادئها كبح نفوذه القوي على أفراد القبيلة التي وصل إلى مشيختها بطريقة غير ديموقراطية، فأي حرية وحياة مدنية قد تحملها هذه الحالة القبلية للمجتمع اليمني.

والتركيبة القبلية في المجتمع السعودي والخليجي هي امتداد حقيقي وصورة مطابقة للحالة في اليمن، ولكنها كامنة تحت سيادة الترف النفطي الحالي، وهنا فلنا أن نتساءل، هل يستطيع مجتمع تسود فيه الحالة القبلية أن يستثمر الحياة المدنية.

ولتاريخ القبلية وأثرها على المدينة وتدمير الحضارة دور حافل في تراثنا العربي فقد انتقلت القبائل العربية حاملة نزاعاتها وعصبياتها من الجزيرة العربية وصحاري سواد العراق وبلاد

الشام وسيناء إلى دمشق وبغداد والفسطاط وقرطاجة وغرناطة وأشبيليا وقرطبة وغيرها ما أدى إلى نزاعات دموية فقدت فيها الكثير من الأنفس وتركت إرثاً من التباغض والتنافس في الدولة الإسلامية حتى تفككت إلى دول وطوائف في الأندلس وفي الشام والعراق دمرت دولة وحدتها لتقوم على أشلائها دويلات قبلية صغيرة فهذه دولة حمدانية تغلبية وتلك خزرجية أزدية وتلك قيسية وكل منها تحارب الأخرى، حتى دخل إلى الحكم أمم من غير العرب ممن يملكون وحدة قومية شاملة أقوى منهم فسيطروا على مجريات الأمور، ولعلهم أنقذوا التاريخ الإسلامي من الانحطاط أمام الغزوات الصليبية وبداية النهضة الأوروبية لقرون حتى سقطت آخر هذه الدول ليعود العرب إلى تكوين دويلاتهم التي عادت سطوة الروح القبلية بداخلها كما كانت منذ فجر التاريخ.

ولكن...، ومع كل أوردنا من دلائل على خطورة سيادة القبيلة على بنية المجتمع في عصرنا الحالي، وعلى انتهاء دورها، وضرورة التدخل لتحرير المتجمع من سيطرة مفاهيمها، إلا أن هنالك الكثير من الأمور التي يجب أخذها في الحسبان قبل أي محاولة للتدخل في هذه التركيبة وهي :

أولاً: إن انتهاء دور القبيلة في هذا العصر لا يعني أن نعتبر القبيلة شيئاً مقرفاً يجب أن نمحو أي أثر له تاريخياً، أو أن نحاول إعادة صياغة دورها التاريخي على أسس جديدة، فالقبيلة هي الأساس الذي بنيت عليه حضارتنا العربية كاملة، كما كانت الرافد الأول لجيوش الفتوحات الإسلامية، وكانت الرافد الأول للمجتمعات السكانية المدنية، وأزجت بالكثير من العلماء والفقهاء ورجال الأدب والفكر للحواضر العربية عبر التاريخ، كما أننا لا نملك في تاريخنا العربي القديم ما هو أثمن مما تركته لنا هذه الحالة القبلية من إرث أدبي وأساطير وأخبار أذهلت المطلعين على تاريخنا، بل إن سيرتها تحمل نكهة خاصة في التاريخ العربي، كما أنه ليس من الموضوعية في كتابة التاريخ مطلقاً محاولة مصادرة وجودها بأثر رجعي.

لذا يجب إنصاف القبيلة تاريخياً وحفظ الأدوار التاريخية التي حدثت على أساس قبلي كما هي دون زيادة ولا نقصان أو محاولة تحريف أو ما قد نعتقد انه تحسين للتاريخ، ففي ذلك خيانة للأمانة وتشويه للتاريخ وإفساد لمقاصده، فعندما ينتهي وجود القبيلة بيننا فكل القبائل هي "نحن".

ثانياً: يجب أن نتفهم جيداً أن القبيلة ككائن موجود على مدى التاريخ كان لها دوراً كبيراً في خلق التوازن للمجتمع ومن ثم للفرد، لذا فهي في ظل وجودها في بيئتها تعتبر ضرورة ملحة، فالنظام القبلي هو نظام طور وكيف نفسه مع الوسط المحيط ومع تطور الزمن والمتغيرات المرحلية، فالبنية القبلية الموجودة في كل موقع وخاصةً في الجزيرة العربية قد لا تمثل وحدات

عرقية نقية كما أسلفنا، وإن تلبست ذلك، بل هي في الغالب نتاج حراك اجتماعي مستمر تبلور عنه عبر الزمن تحقيق التوازن الذي يضمن سلامة الفرد وحريته، وهو توازن لم تخل به إلا الحوادث الكبرى كالكوارث البيئية من أوبئة أو مجاعات أو حروب كبرى أو خلافه.

وهنا فإن التدخل غير الحيادي في النظام القبلي ومحاولة الإخلال بتوازنه هو من أخطر الأمور التي قد يرتكبها من يتعمد الإخلال بها أو من لا يعرف عواقبها، فعندما نريد أن نكيف المنظومة القبلية مع حياة العصر، أو نحاول ترقية القبلية إلى مستوى الوطنية من خلال تفكيكها أو دمج عصبياتها في عامل مشترك أكبر يحتوي كل الوطن، فإن من الحماقة أن نتجاهل التوازن القبلي وأثره، لذا يجب أن نكون أكثر تفهماً لخطورة الإخلال به حتى وإن كنا نؤمن بأن القبيلة لم تعد عضواً إيجابياً في جسم المجتمع، فمن غير المنصف مثلاً أن نفتت المنظومة القبلية جزئياً في جانب ونكرس تكتلها وعصبيتها على جانب آخر في نفس البيئة، فندع جزءاً منها يحمل عصبيته وخصوصية كتلته بينما يفتقد الجزء الآخر لهذه الروح حتى وإن ادعينا محاولة إيجاد قواسم مشتركة أبعد لهذه الأشتات التي صنعناها في مجموعها مع البقية، إذ أن بقاء البيئة القبلية والتي تحمل بالضرورة في طيها الروح القبائلية، والتي هي روح الحيازية كما يصفها الغذامي[1] سيعني سيادة قوانينها ذات المفهوم القابل للضيق إلى أقل حيز، مما سيلغي خلال ذلك أي أثر لكل القواسم البعيدة، بالإضافة إلى أن مصداقية مثل هذه القواسم الهشة قد تكون مثار تشكيك موثق لدى من يجد في ذلك تحقيق غاية في المستقبل، لذا فقد نواجه في مثل هذه الحالة انتقاصا لمكانة ذلك الجزء من المجتمع الذي تورط بتوشح ما ألبسناه له من رداء قد يخلعه الآخرون عنه بكل سهولة، بعد أن نكون قد فرضنا تأصيل تفتيت كتلته الاجتماعية نفسياً وأفرغناه من كامل إرثه في هذا الخصوص، مما سيكون معه إعادة الأمور إلى نصابها أمراً غير متحقق، وسنفرض من ثم تغيراً في طبقات المجتمع على المدى البعيد، مما قد يحدث الغبن لدى فئة دون أخرى، فقد أدى التشتت أو مجاورة القبائل الكبرى لانتقاص القيمة المعنوية، بل وإسقاط الصفة القبلية عن الكثير من القبائل العربية الصغيرة، وخاصة في وسط وشمال الجزيرة العربية كما يقول الشيخ حمد الجاسر، وظل هذا الانتقاص قائماً حتى هذه اللحظة.

لذا فلابد أن يكون هنالك توازن حقيقي شامل في عملية تكييف القبيلة مع طابع المجتمع العصري لإنهاء سيطرة دورها اجتماعياً وسياسياً، وألا نعتمد الكذب والتزوير والسخرية كأساس لذلك.

---

(١) الغذامي، عبدالله، القبيلة والقبائلية، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، الطبعة الثانية - ٢٠٠٩م، ص٢٥.

فإما أن يتحرر المجتمع كله من القبلية بشكل كامل شامل... أو فليبق على تركيبته الموروثة، ولنمنع العبث.

وعندما نبحث عن تجارب نفسية حية بين أيدينا توحي لنا بما قد تنضح به عملية التلاعب بالتوازن القبلي في بيئة معينة فلنا أن نرى ما يجري في حواضر الجزيرة العربية وخاصةً في المملكة العربية السعودية وبعض دول الخليج في مجتمعات مستقرة كانت قد تخلت عن نمط الحياة القبلي في القرون السابقة ونسيته عبر الزمن وعاشت بأمان دون أن تحتاج إلى هذا النظام الذي لم يكن له مكان في إطارها المدني الذي يشكل حالة أكثر تقدماً من الناحية الاجتماعية، بينما كانت البيئة القبلية تملأ الفراغات بين هذه الحواضر بمعزل عنها.

ولكن ما حدث بعد ذلك هو أن القبيلة بعد أن توارت في المراحل السابقة في هذه المدن عادت بقوة إلى الساحة في العصر الحديث وفي نفس البيئة، بل وأصبحت أحدث أدوات العصر التقنية هي طبول غمارها الجديد، فلكل قبيلة موقع على الإنترنت يسرد انتصاراتها على القبائل الأخرى، وهنالك عشرات القنوات التي تبث كل يوم المفاخرات القبلية بدءاً من المسابقات الشعرية وما يحدث فيها من الاستنجاد بالقبيلة للتصويت والدعم، وحماسها بالفعل في ذلك، إلى مزايين الإبل التي تقام مسابقاتها وحفلاتها على أساس قبلي وتصرف عليها الملايين، إلى قنوات "العرضات"[١] القبلية والمحاورة والمجادلات الشعرية التي تأخذ الطابع القبلي في الكثير من الحالات، إلى الاحتفالات القبلية المنقولة عبر الأقمار الصناعية، وهنا فإننا أصبحنا أمام واقع مستقبلي غير مضمون ولا محدد الاتجاه من حيث إمكانية التخلص من هذا الإرث الاجتماعي الدخيل على المدينة في المدى المنظور، فالقبلية عادت لتتصدر وبقوة ولا يوجد في الأفق ما يشير إلى إمكانية تنحيها ذاتياً خلال هذه المرحلة، ولاستيعاب ما يجري فيجب أن ندرس أولاً تطورات الوضع الاجتماعي في المدن السعودية والخليجية، والتي أدت لمثل هذا النكوص.

حتى نهايات القرن الهجري الماضي كانت نظرة سكان الحواضر في المملكة العربية السعودية إلى كل من يحمل اسماً قبلياً هي نظرة سلبية تحمل فوقية المدينة على البادية في معظم المدن السعودية، إلا أنه مع استمرار دخول أعداد كبيرة من هذه القبائل واستيطانها لتلك المدن مع ما تحمله من عصبية تحولت الأكثرية في هذه المدن إلى قبائل تفاخر بأصولها القبلية وتفرض واقعاً اجتماعياً جديداً ينتقص الآخر والذي هو أهل الدار الأساسيين بإطلاق مسمى "الحضر"

---

(١) "العرضات" ومفردها "عرضة": نوع من الفنون الشعبية الراقصة تنتشر بهذا المسمى في معظم أنحاء الجزيرة العربية.

عليهم، وهو مصطلح يشير إلى الدونية في المجتمعات القبلية، كما أن الحمية التي كانت تدير الحروب القبلية هناك أصبحت تدير النزاعات والتحيز في المدن وفي المواقع الحكومية خاصةً بعد حصول أجيالهم الجديدة على مستوى تعليمي جيد، مما جعل أهل المدن الأساسيين يتحولون إلى أقلية في عقر دارهم، وهنا فإن جل الأسر المتحضرة والتي منها من تتمتع بمواقع جيدة اجتماعيا ومناصب عالية حكومياً وبالتالي يفترض أنها في غنى عن البحث عن مثل هذه الأمور اتجهت إلى البحث عن أصولها القبلية بقوة ومحاولة تأصيل وإشهار انتمائها إلى قبائلها الأساسية، فترسم شجرة العائلة منسوبة إلى إحدى القبائل الكبرى وربما تجتهد في تكريس ذلك حتى في الهويات، وتستحدث مواقعاً على الإنترنت ترسخ انتمائها القبلي، وهي التي كانت تحتقر القبيلة وبدويتها مع بداية دخول تلك القبائل إلى مواطنها.

والتفسير الأقرب لفهم ملابسات هذا التحول السريع هو أن نوع من الإحساس بعدم الأمان كان هو الدافع لمثل هذه الموجات من البحث عن الهوية القبلية كسند أمني في ظل غلبة تنامي الروح القبلية في البيئة المدنية، فالقبيلة هنا أصبحت ضرورة للحصول على الدعم النفسي وضمان الاستقرار في الطبقة الاجتماعية ومأمن من حوادث الدنيا الأخرى، وداعم جيد على المستوى المعنوي وحتى على المستوى الحكومي، فقد أصبحت القبيلة تشكل تكتلات فعلية في المجتمع، لذا بات من المهم الانضمام إلى كتلة تشعر الفرد بالأمان وتمكنه من الحصول على الدعم عند الضرورة في ظل تكتل الآخرين، وكل ذلك في ظل فشل النظام الاجتماعي المدني المحلي الهش في فرض مفاهيمه على أرضه، وفي ظل تماهي الإعلام المحلي مع الوضع الجديد من خلال فتح المجال للقنوات المختلفة التي تقرع طبولها.

والمجتمع العربي ليس بدعاً في مثل هذه الردة الحضارية، فهناك من يرى أن حتى مشروع الحداثة في الدول الغربية قد فشل في تحقيق غايته في إزالة الفروق العرقية فيما بعد الحرب العالمية الثانية مستشهداً بأحداث أوروبا الدامية في البلقان والنزاع العرقي والعقائدي في إيرلندا وفي أسبانيا وغيرها، كما أن ارتفاع مستوى التعليم والرفاهية في العالم المتقدم لم يؤد إلى المزيد من التسامح، فقد سقطت ثمرة جوز الهند الأمريكي قبل أن تنضج، فاللون والمعتقد في المجتمع الأمريكي مثلاً لا زالت قيماً أساسية غير قابلة للمحو أو التعديل[١]، مما يدل على أننا أمام عودة للبحث عن الهويات الأصولية على مستوى الكون.

إلا أن عملية إنهاء الروح القبلية، وتهيئة المجتمع للدخول في عصر المدنية والتقدم قد لا

---

(١) الغذامي، القبيلة والقبائلية، المركز الثقافي العربي، ص٤٤.

يحتاج إلى فكرة جوز الهند الأمريكي في مجتمعنا، فهي متاحة في ظل هشاشة فروقات العرق أو اللون أو المعتقد بين هذه المجاميع المتداخلة ذات اللسان والعرق الشامل والوطن الواحد من خلال عمليات شاملة تتخلى تماماً عن الطرق القديمة في التعامل معها، وهذا لا يكون إلا بتحرك مدروس وحاسم يوقف تحركات العابثين بهذه الروح ومحاولة استغلالها وتسخيرها لأهدافهم، ويوفر البدائل الواضحة الأهداف لها، كما هو الحال في كل الدنيا، فالإنسان كائن اجتماعي بطبعه ويميل إلى التكتلات الاجتماعية، وإذا لم تتوفر بطريقة نظامية واضحة على أساس نايز الأفكار، فقد يلجأ إلى طرق أخرى في الظل، وسيادة الحالة القبيلة بصفتها المتاح الوحيد في هذا الخصوص له الكثير من السلبيات ولعل أولها أنها تلغي جميع القواسم المشتركة للوطن فيما دون السلطة، وهذه الحالة تخلق إشكالاً في مفهوم الوطنية والشعور بالانتماء للوطن، وهي حالة قد لا يظهر أثرها إلا في حالة الأزمات الحقيقية التي قد تعصف بالوطن كالأزمات الاقتصادية الشديدة، ورغم أن الحالة القبلية لعبت دوراً محورياً في تأسيس وتوحيد هذا الوطن، إلا أنه يجب أن نعي أن حماس القبيلة ليس مرتبطاً بالقيم والمحفزات نفسها دائماً خاصةً مع تغير المستوى الثقافي لأفراد القبيلة، ومن المهم التنبه إلى أنه خلف الكواليس هنالك الكثير من الجهود للعب على أوراق القبيلة لأهداف أخرى بعضها حقق تجاوزات كبيرة من خلال النشاط الكتابي واستغلال وسائل التقنية والاتصال الحديثة وتمكنت من حشد الجماهير في الظل، فالحذر لم يعد مبرراً لتجاهل هذه الحالة في ظل نمو المستوى الفكري للشعوب في كل الأرض في عصر التواصل الكوني والذي لم ينتج عنه تراجع النزعات العرقية التي قد تسيطر على الموقف في أي لحظة.

٣- البعد القبلي في رواية التاريخ

لقد اتخذت مجموعة تزوير كتب إمتاع السامر من إحياء الروح العشائرية مطية للوصول لأهدافهم السياسية البعيدة المرام، متدثرين ظاهرياً بأهداف أخرى، وهو ما جعل جزءاً من أبناء المنطقة يتحمسون لمفهوم العشيرة الوطن ذا السعة المرنة في أيدي المزورين، والذي يوسّع ويضيّق بحجم رأس كل من الضحايا، أو قد يظنون بأفقهم الضيق أن كل ما يكتب لا يحمل أي أثر على المدى البعيد مكاناً وزماناً عن إدراكهم المحدود، أو أن العامة قد تستطيع تفهم وجود فكرتين إحداهما في العلن والأخرى في السر، ولم يستوعبوا أن التاريخ عندما يتعلق بالهوية لا يقبل مذهب الباطنية، فما تضعه على الورق سيحمله العامة في رؤوسهم وإن انطلى عليهم وتمسكوا به على المستوى الشعبي فسيعني الكثير من الإشكاليات على المستوى المحلي والإقليمي، بينما الآخرون ورواية التاريخ الحقيقية بعيدة عما يتداول في الحدود، عدا من سيجدون بين ثنايا

الرواية ما يحقق رغباتهم، أو ما يحقق أطماعهم كما هو حال بعض المنظمات المجاورة الخارجية الأجندة، فهل سنحاول كشف الحقيقة ومواجهة التزوير بعد فوات الأوان.

وأن يفاخر شخص بقبيلته وتاريخها فهو أمر مقبول ومفهوم في ظل الروح السائدة في المجتمع، ولكن الغريب هو محاولة تكريس الحضور القبلي سياسياً في المستقبل في مجتمع مدني متداخل يتناقض نظام حياته أساساً مع روح القبيلة التي لا زالت تسيطر عليه نفسياً.

ولكي نتمكن من تجاوز الحالة يجب أن نتذكر حقيقة أن القبائل الحالية في الجزيرة العربية بما فيها منطقة عسير وجبال السروات تحوي الكثير من الأعراق الأسرية المهاجرة، فلا يوجد قبيلة صافية العرق تماماً، حتى أنك لا تستطيع التمييز بين سكان إقليم عسير مثلاً في سحناتهم ومزاجهم وطريقة حياتهم وعاداتهم إلا من خلال موقعهم الجغرافي وتمايزه من الشرق إلى الغرب حتى في نفس القبيلة الواحدة، وهذا راجع لأثر البيئة والمناخ وليس إلى الانتماء القبلي، حيث تتغير البيئة بشكل سريع فيما بين هذين الاتجاهين.

وهذا التداخل هو أمر مألوف ومعروف منذ القدم في كل البلاد والقبائل أشار له ابن خلدون منذ ثمانية قرون واستشهد عليه بحادثة جرت فوق بلاد السراة بالذات في عهد عمر بن الخطاب ، وهي قصة عرفجة الذي ولاه عمر بن الخطاب إمارة بجيلة، فعارضت بجيلة ذلك لأن عرفجة كان لصيقاً، ولم يكن أصيلاً في نسبه إلى بجيلة، فاستبدل عمر عرفجة بجرير البجلي[1]، ولا شك أنه لو كان الأمر لأبناء جيل لاحق من نسل عرفجة لكان الناس قد نسيوا نسبه الأقدم وقبلوه.

ومن هنا فلنا أن نسأل: كم عرفجة ترى في كل قبيلة من قبائلنا في تلك اللحظة وكم هم عبر سنين التاريخ قبل وبعد، وكيف لنا أن نجد من نملك اليقين أنه ذو جينات صافية لقبيلة نحمل عصبيتها لنكرس مركزيتها، وهذه ليست فلسفة بل حقيقة يجب أن نستوعبها جيداً وأن نسعى لتفهمها على مستوى المجتمع على السواء لترويض الروح القبلية مستقبلاً في هذه البيئة بطريقة واضحة وصحيحة تحترم الآخرين، بدلاً من التجاوز إلى القفز على الحقائق التاريخية، لبعثرة الأوراق، والإخلال بالتوازنات القبلية بطريقة متحيزة، بينما القبيلة لا زالت تسيطر نفسياً على المجتمع المحلي، ولها دور كبير في الحالة المعنوية والاجتماعية للفرد، مما يفرض علينا أن نتفهم خطورة الإخلال بنظامها وتوازناتها الموروثة، وما يحمل من آثار، فكل من يعيش في مثل هذه البيئة القبلية فهو أحوج ما يكون لعصبيته والتي جزء من مقوماتها تاريخ وخصوصية كتلته القبلية

---

(١) ابن خلدون، عبدالرحمن، تاريخ ابن خلدون، ج١/ ص١٦٣.

في المجتمع لتحقيق التوازن المعنوي والأمني والندية مع الآخرين الذين لا زالوا متمسكين بتاريخهم وخصوصيتهم القبلية، وليس إلى بعثرة هذا التاريخ وتصفيته مع تكريس المفهوم القبلي في نفس البيئة بطريقة غير متوازنة في نفس الوقت.

فإذا كنا نعي أن الضرب على وتر القبلية والعرقية ستمزق المجتمع، فإننا يجب أن ندرك وعلى نفس الخط أنه لا مناص من أن نتوقع من كل إنسان المحافظة على عصبيته عندما تسود الحالة القبلية في المجتمع لأنها عندئذ تمثل الهوية، واستفزاز أي عامل يتعلق بالهوية في أي مرحلة أمر وارد لدى كل البشر مهما كانت هذه الهوية صغيرة.

فكيف يمكننا أن نطلب من جزء من المجتمع التخلي عن عصبيته أو تقزيمها دون البقية ونحن نرى الكثير من الأكاديميين والمثقفين يكتبون الكثير عن قبائلهم، ويثور بعضهم في وسائل الإعلام عندما يشار إلى قبيلته بسوء، ونرى الميل القبلي في كتابات المؤرخين ورجال العلم الشرعي والأكاديميين والليبراليين والأصوليين والحداثيين والمسؤولين الحكوميين، بل وحكام بعض الدول العربية، ولولا محاذرة الدخول في مغبة الخروج بالموضوع عن الفكرة الأساسية، لوضعت هنا العشرات من الأمثلة لجميع فئات المجتمع، بل إن اسم القبيلة أصبح ذا أثر على مسار أمور المواطن ومعاملاته في الإدارات الحكومية، والأهم من كل ذلك أن الانتماء القبلي لا زال عاملاً مهماً لتحديد الطبقة الاجتماعية للفرد في المجتمع العسيري بل وفي كل الجزيرة العربية.

لذا فمن غير العدل أن نطلب من جزء من المجتمع التخلي عن هويته القبلية في ظل تكريسها لدى الآخرين من مجاوريهم في كل القنوات، أو أن نستخدم التاريخ كوسيلة للوصول إلى غاية مهما كانت فستظل صغيرة جداً وتافهة أمام ما قدمناه من ثمن لها، فنورد سيلاً من الأكاذيب التاريخية لنهضم جزءاً من المجتمع مقابل ذلك، فالتاريخ ملك للأمة وليس لشخص أو مجموعة، والاستقراء التاريخي أمر مباح متاح للجميع، أما دس الأكاذيب والقصائد المنحولة وتزوير الوثائق والتدليس والتشويش على الأخبار التاريخية الحقيقية من خلال أخبار ملفقة ندسها بينها، واستجداء الأنساب والانتماءات من خلال المزاد على التاريخ وتقديم المكاسب الهشة المزورة مقابل ذلك بغير وجه حق لتحقيق المآرب الخاصة فهو عين الخيانة.

وأيضاً فإنه ورغم الإيمان بضرورة تجاوز مرحلة القبيلة مستقبلاً على أن يكون ذلك بطريقة شاملة، إلا أنه حتى وإن تحقق ذلك، فإن قراءة التاريخ وذكر أحداثه بنفس ظروفها وإرهاصاتها وطابعها القبلي، ودراسة الأنساب بمعزل عن ربطها بالتقسيم القبلي في المجتمع الحالي والغوص فيها هو أمر ضروري الآن وفي كل آن، لأنها جزء من الأمانة العلمية التي تفرض علينا نقل الواقع التاريخي كما هو بكامل معطياته وملابساته لتتحقق العبرة غير المظللة من أحداثه، ولأهمية معرفة

هذه التفاصيل في فهم التاريخ والهوية الشاملة للأرض ومن ثم للإنسان فوقها، فالتاريخ القبلي فوق الأرض مهما كان جزئياً فإنه يحمل الدلالة على كل هذه الأرض، فلا يحق لنا أن نقرأ التاريخ والأنساب إلا من خلال ما وجدناها رويت على أساسه وبإمكاننا حينها الاستقراء الذاتي وبصوت عال، فنحن لا نملك الحق في التخبط في الأنساب وتفتيتها في جهة معينة مثلاً لتحقيق غاية المركزية لأسرة وثقنا عزلها عن انتمائها لوطنها فيما هو مدون، ثم أهدينا الوطن وتاريخه كاملاً لها، فنحن نعطيها بذلك عمقاً وشرعيةً تاريخية غير مستحقة على حساب الهوية والخصوصية والتاريخ الحقيقي لأهل الدار، مع فوقية سندفع ثمنها من قيمتنا نحن، فنخلي الوطن من هويته وتاريخه ومفاخره، ونمهد الطريق على المدى البعيد لتمزيق الوطن الأكبر، في سبيل تحقيق فكرة سخيفة كل ما تحمله هو حلم التهيئة لدكتاتورية إقطاعية ذات نزعة فوقية على الأرض وأهلها، وبنمط قديم تجاوزه العصر، ولعل فيما كتب في مجموعة إمتاع السامر مثال حي حول العقلية الدكتاتورية التي تسعى لتهميش المجتمع في سبيل تقديس ذاتها.

وعندما نكون صادقين في انتمائنا للأرض ونتفهم أثرها على الإنسان وارتباط تكوينه بها وقوة أثرها عليه، ونسمو فوق النزعات القبائلية والعشائرية الضيقة الأفق، فإننا سنكون صادقين في روايتنا للتاريخ ونشعر بأننا معنيين بما نجده فيه من إشارات عن أي جزء أو مجموعة أو قبيلة من قبائله على مدى التاريخ ونعتبر ذلك جزءاً من تاريخنا جميعاً دون أن نحاول العبث به أو انتزاع خصوصية أهله الأقربون به لأنهم جزء منا، فمثلاً عندما نجد التاريخ أمامنا يقول بأن الشنفرى والذي ترجح المصادر التاريخية أزديته كان أحد أفراد قبيلة ربيعة الحجرية أو فهم الزهرانية، وأن حاجز الثمالي ومثله المبرد النحوي هم من قبيلة ثمالة المعروفة جنوب الطائف، فسنفتخر بهم بصفتهم جزءا من هذه الأرض وإنسانها دون أن نحاول استغفال الآخرين والعبث بالحقيقة، وعندما نجد أنه لا يوجد أي مستند على الإطلاق في أمهات الكتب يجعلنا نقول بأن الملك الجرشي "مالك بن الكلاع" له علاقة بمسمى قبيلة بني مالك العسيرية سوى ما ورد في كتاب يُزعم أنه كتب قبل ستة وستون عاماً بيد شعيب الدوسري، فمن المثير للسخرية أن نتغاضى عن هذه الحقيقة، ونستند إلى كلام واه لم يرد ذكره إلا في القرن العشرين في كتاب مجهول يكيل المكاسب الوهمية في مقابل ما يدسه من الخسائر الحقيقية، ولكننا سنذكر أولئك الرجال فخورين بهم كما هم لأنهم جزء من هذه الأرض وبيئتها وثقافتها، ونتخلى عن من يحاول أن يمنحنا انهاراً من السراب ونحن على ضفة النهر، فمن يحمل مثل هذه الأكاذيب لا يستهدف منها سوى أثرها المحلي على من يدعي كذباً بأنه يحاول الإضافة إلى تاريخهم بينما هو في حقيقته يحاول التشويش عليه، لأنه أعلم الناس بعدم قدرة هذه الأكاذيب على الوقوف على قدميها تاريخياً، وبأن تاريخ من يحاول سرقة تاريخهم لا يحتاج للمتطفلين.

وعندما نرتقي فوق مستوى النزعة العشائرية الضيقة فسنشعر بأن كل الأحداث التي وقعت على أساس قبلي تحمل تاريخنا جميعاً، فمثلاً سنرى أن انتصارات قبيلة شهران على جيوش شريف مكة في القرن الثامن والتاسع تحمل دلالة عامة لسكان هذه الأرض، وسنروي الرواية كما وردت في كتب التاريخ بصفة قبيلة شهران جزء من هذه الأرض، لا من خلال محاولة تحريف مسارها بزج أسماء القبائل الأخرى وأسماء قادة من قبائل أخرى لا يمتون لها بصلة في تلك الحروب وإيراد روايات لوصف تلك الحروب بما يخالف ما هو مدون في الكتب التاريخية لتعميمها وإخفاء ذكر صاحب الحق في ذلك وتحويلها من ثم إلى حروب للدولة اليزيدية الأموية المزعومة في عسير، وإسقاط مبادرة أهلها، لأن في ذلك تشويه وسرقة للتاريخ وظلم وغمط لحقوق الأموات ومحاولة لانتزاع حقوق الآخرين، وبالمثل أحداث حروب شريف مكة مع قبائل زهران وبجيلة وغامد وغيرها، ليس لنا الحق في تغيير روايتها وتجييرها لصالح حكماً مركزياً مزعوماً في وسط عسير بيد الأمويين، وأيضاً دور قبيلة الجحادر في نجد وإلى جانب الدولة السعودية الأولى بقيادة شيخها ابن قرملة، أو دور قبيلة يام التاريخي وحروبها في المخلاف السليماني أو في نجد أو اليمن، من المعيب تحويلها إلى حملات عسيرية يديرها بنو يزيد بن معاوية من عسير، فتاريخ أي هذه القبائل يعتبر داعماً لتاريخ كل المنطقة بل وكل الوطن، إذ أن ذلك يدل على أن المبادرة هي جزء من تكوين إنسان هذه الأرض عبر التاريخ وليست أمراً عابراً أو مرتبطاً بوصول أسرة أو شخص من موقع آخر.

وكذلك إمارة بني عبدالجد في المخلاف السليماني وإمارة بني حرام في حلي بن يعقوب والتي أشارت لها كتب التاريخ بوضوح، من المثير للسخرية محاولة تحويلها إلى ولايات تابعة للدولة اليزيدية الأموية المزعومة في عسير والتي لم يرد ذكرها في أي كتب التاريخ على الإطلاق، كما أن من غير المنصف أن نعارض ما دونه المؤرخون وما تحمله الذاكرة الجمعية عن مركزية دور قبيلة عسير في تاريخ إماراتها من خلال سرد الروايات المجانبة للحقيقة والموجهة لهذه الغاية، فنعمم تاريخ أولئك الذين استشهدوا دون عقيدتهم وحرية وطنهم ونرميهم بالتهاون والتخاذل، ونحاول تقزيم دورهم، ثم نستحضر أسماء قبائل من اليمن وبادية نجد والحجاز لا علاقة لها بهذا التاريخ بل هي غنية عنه بتاريخها فنزج بها في هذه الحروب ونعطيها دوراً محورياً في كل مراحل تاريخ المنطقة على حساب التاريخ الحقيقي، فنشوه الصورة الجميلة لأولئك الرجال المبادرين عبر الزمن، ونسخرها للاستجداء الرخيص لإقناع الآخرين بدور تاريخي مهم لهم مقابل المصادقة على رضوخهم المزعوم تحت حكم آل عايض في بلاد عسير، فلا شك أنك ستجد من يقبل منك الهدايا التاريخية بصدر رحب ليتعامل معها بطريقته، ولكنه في النهاية لن يسلم رأسه للأحلام الفارغة.

ولا شك أن لكل شخص الحق في كتابة تاريخه الأقرب كالتاريخ القبلي أو العشائري أو القروي أو الأسري ولكن بوضوح، وليس من خلال المراوغة والتدليس، فقد بدأت عملية دعم أساطير إمتاع السامر وإعادة صياغتها بطرق أخرى من قبل بعض المؤرخين، وإيرادها كروايات متداولة على المستوى الشعبي وموثوقة فعلاً مع إعادة توجيهها على أسس واضحة المغزى لمن يتتبعها، وهنالك كتب كثيرة قامت معلوماتها بكاملها على هذه المصادر المجهولة، بل إنه يندر أن تجد بين مؤرخي عسير من لم يحاول استثمار شيء مما ورد في هذه الكتب حتى ولو كان من غير مؤيديها، وهنا فبمجرد قراءة ما كتبه هؤلاء وما خلف الأهواء من ميول يستشف فيما بين السطور نجد أن التاريخ يسخر للوصول إلى غايات صغيرة ضيقة الأفق، فتسود صفحات الشهداء، ويسرق جهدهم وجهادهم ومبادراتهم، وترمى أجداثهم ووطنهم في محرقة التاريخ، ويا له من جحود.

الفصل الثاني

الأنساب القبلية في عسير ومجموعة إمتاع السامر

١- توظيف رواية الأنساب في مجموعة إمتاع السامر

منذ التسعينات الهجرية خرجت علينا مجموعة كتب إمتاع السامر بكمية من المعلومات حول الأنساب في منطقة عسير والقبائل المحيطة بها بطريقة جديدة ومنقطعة ولا تمت للمنهج العلمي في النقل بصلة على الإطلاق، وليس لها أصل في الذاكرة الشعبية في المنطقة، فهي تنفي صحة الصلات القبلية المتوارثة وتربط قبائلاً بأخرى بل وتنفي الصفة القبلية لقبائل معروفة منذ القدم في المنطقة، وتعيد ترتيب العصبيات القبلية في المنطقة بشكل غير متوازن بدون أي سند تاريخي، وبدأ مواكباً لهذه الكتب ومنذ التسعينات الهجرية ظهور وثائق وحكايات شفهية تتحدث عن معلومات جديدة حول أسماء المواقع والجبال في منطقة عسير، بما يدعم ما أوردته عن الأنساب في المنطقة، وقد استقبلت الذاكرة الشعبية أخبارها بحماس فبدا وكأن الناس تنبهوا لجهلهم بالأسماء الحقيقية لجبالهم وأوديتهم طوال السنين الماضية، أو لعل الحماس قد أخذ منهم مأخذاً، كما ظهرت موازية لذلك وثائق بتواريخ قديمة تشير إلى تحالفات قبلية، تتجاوز الحدود المتعارف عليها في المنطقة للتدرج القبلي، وتتجاوز كل ما عرف تاريخياً، بما يشي أن هنالك توجه لإعادة كتابة التاريخ والتوازنات القبلية بطريقة جديدة لا تخلوا من الأهداف الموجهة لقلب كل المتعارف عليه، وإعادة ترتيب الأدوار التاريخية بأثر رجعي.

وقد عنيت هذه المصادر بتوزيع المكاسب التاريخية على القبائل التي أعطيت أنساباً جديدة من خلال إحالتها إلى أسماء قبائل لها ذكر تاريخي جيد قديماً، وبربط أحداث تاريخية قديمة بهذه العشائر والقبائل، كما أعطت بعض الأسر والعشائر الصغيرة عمقاً ودوراً في التاريخ العسيري الحديث لا يتفق مع ما تحمله الذاكرة الجمعية للمجتمع من معلومات، وهو ما أثار حماس بعضها للتشبث بالفكرة المطروحة، والطريف أن هذه الكتب اهتمت بالكثير من الأسر التي استوطنت بلاد عسير خلال فترة الحكم العثماني وأسدت لها نصيب الأسد في الأدوار المحورية في أحداث بلاد

عسير في مراحل ما قبل وصولهم إليها، كما حملت هذه الموجة في رواياتها نبرة غير ظاهرة، تعمل على خلق تمايز بين القبائل المحلية حسب ذكرها التاريخي القديم، معتمدة العصبية القحطانية اليمنية مقابل العدنانية، وقد تنبه محققوا الدارة إلى هذه النبرة[١].

وهنا نعرض مقتطفات مما جاءت به مجموعة "إمتاع السامر" من أنساب قبلية مما يحاول البعض تأصيل خبره في كتب حديثة:

١- في (ن د)، في القصيدة التي نسبها لعامر بن زياد العبدلي الشريفي يقول بأن "عسير" عبارة عن حلف بين كل قبائل الجنوب التي عددها فيما بين الطائف إلى صعدة وأدخل فيه بعض بطون قبيلة عسير كقبائل مستقلة متفرقة[٢].

ثم يعود في موقع آخر من (ن د) ليدعي بأن عسير هو اسم حلف بين مذحج والأزد[٣].

وفي ص١٩ (س م) نفى الصفة القبلية لقبيلة عسير وأحال مسمى "عسير" إلى أبرهة الأشرم وجيشه عندما خرج من اليمن فمر بجبال شنوءة فوجدها وعرة، فأطلق عليها "عسير" منذ ذلك التاريخ.

وفي ص١٤٣ (ت ع)، يورد رأياً آخر ولكنه يصب في نفس الخانة فيقول:

ويقصد بالجبل سروات الطود الممتد من صعدة إلى الطائف، وهو ما أطلق عليه اسم عسير في القرن الثاني الهجري، عندما استقل به الأمير علي بن محمد اليزيدي كما مر".

٢- في (ن د)، يذكر أن عسير هو اسم حلف لقبائل شنوءة وسمي به الجبل، ونسبت إليه القبائل الأزدية، فعرفت فيما بعد بقبائل عسير، ثم يذهب بأنساب بطون قبيلة عسير إلى قبائل متفرقة من الأزد وهم بنو مغيد وعلكم ولدا أسلم بن عمرو بن ثمالة وربيعة بن عمرو ورفيدة بن عمرو وبنو مالك بن كلاع بن مالك بن نصر بن الأزد"، ويذكر أن ألمع تنتمي إلى جذمين هما بنو عمرو بن الصيق وبنو ألمع ثم يقول:

---

(١) ن د، ص١١.

(٢) ن د، ص٤٤.

(٣) ن د، ص٤٤٣.

"ذكر أن عسير بن عنز بن سالم بن عوف الأزدي وذكر أنه لقب لشنوءة (نصر الأزدي) وكلها تخالف الواقع"[١].

٣- في (ت ع)، ناقض ما قاله في الفقرة السابقة بخصوص نسب قبيلتي بني مغيد وعلكم فنفى عنهما الصفة القبلية تماماً عندما قال بأن خالد بن عبدالله اليزيدي المتوفي عام ١٩٥هـ نظم ورتب قبائل عسير ووضع نظام النواب والشيوخ وسن جميع الأعراف في عسير... إلى أن قال :

*"وبعد أن اتسعت قبائل عسير وانضمت إليها أحلافها جاءت على الترتيب التالي: "في المقدمة بني مغيد **وهي مجموعة قبائل أزدية متحالفة**، ثم بنو علكم **وهي مثل الأولى قبائل أزدية متحالفة**، فربيعة، فرفيدة، فبنوا مالك، وقسمت عليهم تهامة عسير وهي قبائل أزدية متحالفة من كنانة، وألمع، وقضاعة، وهي إلى الآن على هذا التنظيم عدا رفيدة التي ضمت إلى ربيعة، كما ضم إلى شهران وقحطان بقايا بطون عنز بن وائل وقضاعة"*[٢].

٤- في (ن د)، يقول:

"بني وازع من قبائل الأزد، والتي اصبحت في عداد بني مغيد"[٣].

٥- في (ن د)، آل ويمن بطن من عنز من بني سالم بن عوف الأزدي[٤].

٦- في (ن د)، آل العزيزة من بني عنز بن سالم أيضاً[٥].

٧- في (ن د)، بنو شبل في علكم من بارق بن عدي[٦].

٨- شعف أراشة نسبة إلى أراشة بن العمرو بن الغوث.

٩- ص٨٩ بنو حبيب في تهامة هم بنو حبيب بن مالك بن غنم بن كعب بن وبرة القضاعي[٧].

---

(١) ن د، ص٣٦٩ -٣٧٠.
(٢) تاريخ عسير، المنسوب لمحمد بن مسلط، ص٥٨ - ٥٩.
(٣) ن د، ص٢٢.
(٤) ن د، ص٨٧.
(٥) ن د، ص٨٧.
(٦) ن د، ص٨٨.
(٧) ن د، ص٨٩.

١٠ - في (ن د)، بنو وائلة (صدر وايلة) من وائلة بن عمرو بن عامر[١].

١١ - في (ن د)، أنمار من أنمار بن عمرو بن عدي[٢].

١٢ - في (ن د)، ربيعة تهامة من ربيعة بن عمرو بن عدي تسكن إلى جوار أنمار[٣].

١٣ - في (ن د)، يقول:

"بنو الأزهر قبيلة قحطانية كانت تسكن الرهوة ودلغان ثم ذابت في قبائل شهران، ومن الحفاظية من ذكر أنهم من قبائل عنز بن وائل بن كنانة." [٤]

١٤ - في (ن د)، يقول:

"ميدعان قبيلة أزدية عرفت به المنطقة في العزيزة غرب أبها، وهو ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد، ومن العشائر التي تنتمي إليه، آل سكران، وآل مفرح، وآل بواح، وآل محاج، عدا آل علي بن الغريبي فهم من عتيبة بن عبدالله بن هوازن بن أسلم بن أفصي بن حارثة ودخل ميدعان في قبيلتي آل وازع وآل ناجح"[٥].

١٥ - في (ن د)، آل ويمن وآل عبدالعزيز وآل فلاح وآل محاج، وآل بواح، وآل مفرح كلهم من بني سالم بن عوف التي دخلت في عداد بني مغيد[٦].

١٦ - المطيري: بقية بني مطير حيث نزح معظمها إلى شمال شرقي الجزيرة في نهاية القرن السادس (نقلاً عن المتعة) والبقية دخلوا في بني جعفر بن الحارث الأزدي، ومن عشائرها من يسكن بلدتي "مشيع" و"رضف" في أبها مع بني مطير الذين منهم آل ناهض بـ "رضف".

١٧ - آل جراح: هم بطن من شعيب بن عامر بن عبدالله بن مالك بن نصر، ودخلت في بني مغيد، كان لها المنسك وقرى الأشراف.

---

(١) ن د، ص٨٩.
(٢) ن د، ص٨٩.
(٣) ن د، ص٨٩.
(٤) ن د، ص٩٠.
(٥) ن د، ص٩٠.
(٦) ن د، ص٩١.

١٨- في (ن د)، آل شدادي من بني طلق[١].

١٩- في (ن د)، قبيلة آل دريب في ربيعة ورفيدة هي من بني حرام من كنانة ودخلت في عسير[٢].

٢٠- في (ن د)، يقول أن بني جعفري دخلت في بني مغيد بالحلف، وآل ناهظ في مشيع ورضف هما من قبيلة مطير المعروفة في نجد وشمال الجزيرة، والتي نسبها إلى سعد العشيرة[٣].

٢١- في (ن د)، يقول :

"وفي مقابل برقا"

ثم يفسر ذلك في الحاشية فيقول بأن برقا (الفرع من عتيبة) كانوا يسكنون القابل، وهم في الأصل من قبائل كعب بن الحارث من مذحج، الذين دخلت فيهم بعض البطون العدنانية واستعملهم الأمير اليزيدي كحرس[٤]!.

٢٢- في نفس الصفحة يقول أن آل علي بن الغريب من بني ميدعان الأزدي[٥].

٢٣- وفي نفس الصفحة نسب آل حميد شيوخ عتيبة إلى آل علي بن الغريب من ميدعان من الأزد[٦].

٢٤- في (ن د)، نسب قبيلة روق الفرع من عتيبة إلى روق بن جحدر بن عبدالله بن سنحان[٧].

٢٥- في (ن د)، **القابل** كانت تسكنه قبائل **برقا**، ويذكر أنهم في الأساس حلف من قبائل مذحج، وكان ذلك في عهد الأمير حسان[٨].

---

(١) ن د، ص١٠٨.
(٢) ن د، ص١٨٥.
(٣) ن د، ص١٩٦.
(٤) ن د، ص٢٥٩.
(٥) ن د، ص٢٥٩.
(٦) ن د، ص٢٥٩.
(٧) ن د، ص٣٢٦.
(٨) ن د، ص٣٢٦.

٢٦- في (ن د)، السربة والجداير في شعف آل يزيد إسمها **"شعف قضاعة"**[١].

٢٧- في (ت ع) الشيخ محمد بن عبدالوهاب ينتمي إلى آل وهيب بن مجفل (الوهبة)، وهو بطن من قبيلة رفيدة التي نسبها إلى قضاعة والتي دخلت نجد لدعم عبدالله بن علي العيوني فدخلت في بني ضبة من تميم[٢].

٢٨- في (ن د)، يقول بأن "آل فاهدة" والذين هم شيوخ قبيلة ناهس بشهران هم من رفيدة التي نسبها إلى قضاعة وأورد تسلسل نسب آل فاهدة وفروعها التي ذكر منها آل شقير وقال أنهم رهط آل الدويش شيوخ مطير[٣].

٢٩- في (ن د)، نسب قبيلة تغلب وجيلة في الدواسر إلى قضاعة وسلسل نسب قضاعة إلى قحطان[٤].

٣٠- في (ن د)، نسب قبيلة سنحان إلى الأزد وقد سار على ذلك طوال كتابه في الكثير من الصفحات[٥].

٣١- في الكثير من المواقع وخلال سرده للأحداث أورد أسماءً تشابه أسماء بطون في قبيلة عسير في قبائل أخرى في نجد واليمن والحجاز، وربطها هنالك ببعضها مما يوحي بوجود صلة لأصول البطون العسيرية بتلك، رغم أنه بتتبع كل ما كتب عن تلك القبائل فإنه لا حقيقة لوجود هذه الأسماء التي ذكرها في تلك القبائل الأخرى.

٢- هل تصح الأنساب في عسير حسب رواية مجموعة إمتاع السامر

من الملاحظ أن المجموعة حرصت على توزيع المنطقة على ثلاث قبائل رئيسية وهي مذحج والأزد وقضاعة، وهو أمر قد لا يستحق النقاش حوله، ولكننا نلاحظ أن المزورين يحاولون تهييج عصبية شديدة للأرومة القحطانية اليمنية في إقليم عسير والقبائل المحيطة بها من الشمال كالدواسر وسبيع وعتيبة أو بقية قبائل البادية الكبرى كمطير وبني خالد، ومن الملفت أن بقية القبائل من خارج إقليم عسير التي سردها وأرجعها جميعاً إلى الأرومة القحطانية وأشركها بقوة في الأحداث

---

(١) ن د، ص٤٣٤.

(٢) تاريخ عسير المنسوب لمحمد بن مسلط، ص٤٢.

(٣) ن د، ص٣٢٨.

(٤) ن د، ص٣٦، ٦٢، ٦٣.

(٥) ن د، ص٣٢٨.

التاريخية مقابل ذلك كالقبائل التي ذكرنا أو تلك التي عرفت منذ القدم في بلاد اليمامة كبني يزيد وآل مزيد وآل عائذ وغيرها تتكتل حول العاصمة السعودية (الرياض)، وقد أشار محققوا كتاب إمتاع السامر الأخير إلى ميل المؤلف إلى تنسيب كل قبائل الجزيرة العربية لقبيلة مذحج(١)، ولعل ذلك لا يتجاوز كونه جزءاً من محاولة استدراج بعض قبائل المنطقة الكبرى للمصادقة على الأخبار التي أوردوها وتبني أهدافها، وهذا لا يمنع من احتمال وجود بعض من أبناء المنطقة ضمن المجموعة، ولكن لا يمكن اعتماد ذلك للتأكيد على أن المزورين يمثلون أي قبيلة بذاتها، فالتوجه كان أعمق من الحديث عن قبيلة معينة فمن الواضح وجود أهداف سياسية تحاول تهييج عصبية عرقية بالضرب على وتر أشمل حيث العصبية القحطانية مقابل العدنانية وبنفس مفهومها القديم لغايات أبعد من الرغبة في المفاخرة القبلية المحلية في نغمة مجموعة كتب إمتاع السامر، فقد حملت هذه الكتب روح النقمة على الدولة السعودية، وحاولت تهييج قبائل البادية في نجد التي أوردت لها أخباراً وأحداثاً تاريخية جيدة مقابل ربط ذلك بإحالة أنسابها إلى الأرومة القحطانية بمثل ما فعلت مع قبائل إقليم عسير، مما يدل على أن الأمر أبعد من مجرد وجود نزعة قبلية محلية ضيقة، ولكنها مالت إلى الجانب الأخطر في الحديث عن منطقة عسير وجنوب المملكة العربية السعودية، فقد حاولت عزل الجنوب السعودي تاريخياً وثقافياً وعرقياً عن بقية المناطق في الجزيرة العربية ما عدى اليمن، بل نصت في بعض إصداراتها على أن عسير هي إحدى مخاليف اليمن من جهته الشمالية(٢)، وأسهبت في سرد الأخبار التي تشير وبقوة إلى تداخل عسير في التاريخ السياسي مع اليمن، فقد كانت حروب عسير مع شريف مكة ومع بني الأخيضر والعيونيين وغيرهم إما داخل بلادهم أو على حدود عسير، أي أنها حروب يفرضها العسيريون على الآخرين بينما حروب الممالك اليمنية القائمة في صعدة وصنعاء معها كانت في "دلغان" و"مربة" و"رجال" و"الحرجة" وغيرها من مدن العمق العسيري، أي أنها حروب تنافسية لمد النفوذ، وكانت هذه الممالك تتمكن أحياناً من السيطرة على عسير(٣)، بينما أوجدت رابطاً تاريخياً نسبياً بين الإمارة اليزيدية في عسير مع تلك التي قامت في تعز وتهامة اليمن، فبني زياد في زبيد وبني المطهر في تعز لم تكنا إلا فروعاً من الإمارة اليزيدية في عسير، بما يعني أن عسير لم تخرج من كونها جزءاً يمنياً عرقياً وسياسياً ومتفاعل مع بقية الأجزاء على امتداد تاريخها، وهذا يقودنا إلى التأكيد على أن الأهداف السياسية كانت ماثلة وبقوة، ولكن ذلك لا يعني

---

(١) ن د، ق٢ج١، ص٥٠، ٥١.

(٢) أخبار عسير، المنسوب لعبدالله بن علي بن مسفر، المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ، ص١٧.

(٣) راجع فصل "مقارنة أخبار مجموعة إمتاع السامر بأخبار المصادر الحقيقية العروفة" في هذا الكتاب.

التأكيد على تدخل جهات يمنية في هذا التزوير، فيبدو أن ذلك مجرد محاولة استدراج مفتوحة لمن يميل إلى هذا التوجه لمد يد العون، ورغبة في الانتقام من المنطقة وأهلها.

كما نلاحظ في هذه الكتب محاولة إسقاط العصبية القبلية لقبائل معينة، وإعادتها إلى أصول متفرقة، وتوحيد العصبية في قبائل أخرى، وقد استخدمت المجموعة كتب الأنساب في محاولة لتحاشي تعارض ما ورد فيها من أخبار مع هذه الكتب قدر الإمكان، فنجد أن هناك قبائل تكون أكثر عناية وتخصيصاً وتماثلاً في ذكرها لنسبها، خاصة عندما تشعر بإمكانية نجاح الفكرة في التأثير على الذاكرة الشعبية فيها، بينما تشير إشارات هامشية عندما تجد أن ما تكتبه قد لا يستطيع الصمود في المستقبل لوجود ما يعارضه في المصادر التاريخية المعروفة، وقد تقوم بإعطاء نسب واضح الخطأ لإحدى القبائل غير المعنية بالتحريف في سبيل التمويه على الهدف كما هو الحال مع القبائل التي أشارت لها كل الكتب التاريخية بشكل جلي، ومن ثم فلم ولن يأخذ برأيها أحد، كما لم تخل من روح تصفية الحسابات مع الخصوم محلياً.

وقد استخدمت عملية توزيع المكاسب التاريخية العشائرية على القبائل الصغيرة خاصةً حول المركز لاستدراج العامة لتغذية الذاكرة الشعبية بما أوردت من أخبار بطريقة ذكية ومدروسة لإلغاء أي رابط قبلي خاص بينها وتحويله إلى رابط عام بعيد، وعزلها عن مفاهيمها القبلية المتوارثة، وعن تاريخها.

ولو كان هنالك توازن في الأخطاء وفي التوجه لكان الأمر مقبولاً وفهم منه الرغبة في تداخل الجميع، أو لو أن لديهم أي نوع من الإسناد المنطقي لكان الأمر مقبولاً رغم خطورته على مستقبل المنطقة، وعلى التوازن القبلي التاريخي المتوارث فيها.

فمثلاً كان بإمكان هذه المصادر أن تجعل عسير قبيلة قحطانية يمنية دون أن تتدخل في تركيبتها، وكان هنالك الكثير من المخارج لها عن طريق الحديث عن أزدية عك الذي نسبت له عسير كما ورد في بعض المصادر، أو الحديث عن انتسابها إلى عنز بن سالم بن عوف الذي نسبوا له بعض القرى بصفته هو المقصود بعنز الذي نسبت له بعض قبائل المنطقة بما فيها عسير، أو بالنقل عن كتاب المغيري الذي أورد عسير كقبيلة أزدية وأرجعها إلى جد اسمه عسير، فلا يغيرون بذلك واقعاً على الأرض، ولهم حينها أن يقولوا ما شاءوا عن النسب القديم، ولكنهم تجاهلوا كل ذلك وأصروا على إعطاء نسب خاص لكل قرية يختلف عن جارتها.

وعلى العموم فإنه لا أصل لما أوردته المجموعة من أنساب كما أنه لم يكن لها أي وجود معروف في بلاد عسير كما ذكرنا، فجل هذه الأسماء لا وجود لها في كتب التاريخ أصلاً، أما القليل مما ورد ذكرها منها كأسماء أو قبائل كميدعان وعنز بن سالم بن عوف ومالك بن الكلاع وثمالة وبنو عمرو بن عامر وغيرهم ممن ذكرت، فلا صحة لوجود أي أسماء لقبائل أو أي مواقع جغرافية ترتبط بها في عسير.

فقبيلة رفيدة (ما يعرف حالياً برفيدة قحطان) تجمع جميع كتب الأنساب والتاريخ على أنها إحدى البطون الكبرى من عنز بن وائل، ولم يرد على الإطلاق أي إشارة في الكتب القديمة إلى أي نسب آخر لها، ولا علاقة لها بقضاعة، فلم يرد وجود أي فروع قبيلة قضاعة في بلاد رفيدة وما حولها سوى ما ذكر عن قبيلة نهد التي كانت تستوطن إلى الشرق عن بلاد رفيدة وشهران حيث الهجيرة وطريب وما بينها وبين تثليث[١]، فقد وردت رفيدة لدى الهمداني الذي حدد قراها وبلادها كما هي الآن من قرية العيص في سراة عبيدة جنوباً إلى تندحة شرقاً إلى شعف جارمة والجوان غرباً كإحدى قبائل عنز بن وائل[٢]، وحدد نسبها إلى عنز بن وائل بدقة وتفصيل في كتاب الإكليل[٣]، وقبله كان الكلبي في جمهرة النسب وفي أنساب معد واليمن قد أوردها[٤] ومثلهم كان الأشعري في طرفة الأصحاب[٥]، ومثلهم عمر كحالة[٦]، وغيرهم، فكل من كتب عن قبيلة عنز بن وائل وبطونها لم يتجاوز ذكر قبيلة رفيدة وبطونها كما هي معروفة حتى الآن.

كما أن ما ورد لدى مفرح الربعي في كتاب "سيرة الأميرين" في وصفه لقصة رحلة أبناء القاسم العياني في منتصف القرن الخامس الهجري إلى ترج عبر منطقة جرش يقطع الشك باليقين حول المستفيض عن نسب قبيلة رفيدة المعروفة فيما قبل القرن الخامس الهجري، واختصاصها بما ورد في كتب الأنساب عن رفيدة بن عنز بن وائل عندما أشار إلى دخولهم بلاد عبيدة ثم بلاد عنز المجاورة لقبيلة عبيدة فقال:

"ثم سأل الصحابة فأرسل معنا رجلين من بني عمه فصارا بنا على صرم لعبيدة من جنب فما شعروا بنا إلا بين أبياتهم."

وبعد سرده عن أحداث وجودهم في عبيدة وصل بالسرد إلى قوله:

"ثم سأل الشريف منهم الصحابة فانتدب منهم لذلك رجلان وسرينا من ليلتنا تلك،

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٣١.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٢٩-٢٣١.

(٣) الهمداني، ١- الإكليل، ،ج١، ٢٩٢؛ ٢- صفة جزيرة العرب، تحقيق ابن بليهد، ١١٨.

(٤) هشام بن محمد بن السائب الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ، ج١/ ص٩٤، ٩٥.

(٥) الأشعري، محمد بن أحمد، التعريف بالأنساب والتنويه لذوي الأحساب، نادي أبها الادبي، ١٤٠٩هـ، ص١٠١.

(٦) كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب، دار العلم للملايين - بيروت، ١٣٨٨هـ، ج٢/ ص٤٤٠.

وندموا علينا ومضوا على أثرنا يريدون الفتكة بنا وبصاحبهم. فلما أصبحنا صلينا والقوم قد لزموا لنا الطريق فشددنا للفتنة ثم مضى أحد صاحبيهم حتى تحاهم جانباً، ومضى صاحبهم الآخر جانباً. فلما أن قربنا من بلاد عنز بن وائل جعلوا يلحقون بنا فارساً واثنين حتى لحقنا منهم ثمانية فرسان".

إلى أن يقول:

"ثم مضينا نحن وهم ونحن على أحزم أمورنا حتى انتهوا بنا إلى قرية من بلد عنز مما يليهم فلقينا أهل تلك القرية بالترحيب فقال لهم الشريف: ما أردتم من إكرامنا فاجعلوه الصحابة لنا إلى إمامنا فصحبونا حتى انتهوا بنا إلى البذاخ وهو رجل من جذيمة من عنز بن وائل، وهو دليل الحاج فرحب وأجمل وقرى وأجزل وعرفنا أنه مفاتن للعواسج بجرش.

وكانت كتب الصليحي قد تقدمتنا من ناحية تهامة إليهم فهم على مسرة الصليحي بمساءتنا حراص، ونحن لهم خوف، وكان وصولنا بالبذاخ ليلاً فأمرنا فكمنا في دربه صبيحة يومنا ذلك. فلما كان من الليل ركب معنا حتى استصحب لنا رجلاً رفيدياً من عنز فسار بنا الرجل من فوره..."[1].

وإشارته هنا إلى أنهم خرجوا من بلاد عبيدة إلى بلاد عنز ثم أرسل معهم مضيفهم في بلاد عنز (البذاخ) "رجلاً رفيدياً من عنز بن وائل" تقطع الشك باليقين حول المستفيض في تلك الفترة بين الرفيديين والقبائل المجاورة لهم عن نسبهم، وأن الهمداني وغيره لم يكونوا واهمين كما زعم مؤرخ اليمن "محمد الأكوع"[2] ومجموعة إمتاع السامر حول وجود قبيلة عنز.

والإشارات إلى قبيلة رفيدة خلال التاريخ تدل على ذلك، ففي بداية القرن الحادي عشر كانت رفيدة معدودة كقبيلة مستقلة ولم تكن تمثل جزءاً من قبيلة قحطان، حيث أشار عبدالله بن علي المؤيدي إليها كقبيلة مستقلة فذكرها وذكر قحطان وشهران بصفتها الثلاثة القبائل التي بايعته بالإمامة في المنطقة[3]، ولعل تلك المرحلة كانت بداية انقطاع رفيدة عن بقية عنز بن وائل.

---

(١) الربعي، مفرح، سيرة الاميرين...، تحقيق رضوان السيد وعبدالغني محمود عبدالعاطي، دار المنتخب العربي - بيروت، ط١، عام ١٤١٣هـ، ص١٢٢، ١٢٣.

(٢) محمد الأكوع،اليمن الخضراء، ١٥٤.

(٣) انظر مخطوط التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية لمحمد المؤيدي، ورقة ٣٢٢ - ٣٣٨.

ومما يؤيد انفراد رفيدة بنسبها عن بقية قبائل قحطان أن رفيدة لم تكن معدودة من قبيلة قحطان قبل خروج الدولة العثمانية من منطقة عسير عام ١٣٣٧هـ، حيث كان يطلق على قبيلة رفيدة اسم "رفيدة اليمن"[١] تمييزاً لها عن رفيدة عسير التي تقع إلى الشمال عنها في بلاد عسير ولم تكن معروفة برفيدة قحطان كما هي الآن، كما أن الخرائط البريطانية للمنطقة والتي حددت التوزيع القبلي فيها خلال الفترة العثمانية أشارت إلى رفيدة باسم "رفيدة اليمن"، إلا أن جزءاً كبيراً من قبيلة رفيدة كان يتبع إدارياً خلال الفترة العثمانية لناحية قحطان، وهي المناطق الواقعة جنوب قرية المضيق من بلاد رفيدة، ويدل على ذلك قول سليمان شفيق باشا في مذكراته حين قال:

"ولما كنا في قرية "آل عامر" أثناء هذه الرحلة طلبت من أبها "أورطة" أخرى وطنتها في قرية آل عامر وقرية سر وكلاهما من رفيدة اليمن"[٢].

إلى أن يقول:

"وبعد قرية مضيق تبدأ حدود قحطان وأن قبائل قيس وجارمة وخطاب كلها معدودة من قحطان"[٣].

ومن سياق السرد هنا فإن قبيلة رفيدة حتى تلك المرحلة لم تكن معدودة من قبائل قحطان ولكن الجزء الجنوبي منها بدءاً من قرية المضيق كان يتبع إدارياً لناحية قحطان، ومن الراجح أن تبعية هذا الجزء إدارياً لناحية قحطان التي كانت تحت إدارة مدير ناحية قحطان "ابن دليم" هو ما أدى إلى التداخل القبلي بين القبيلتين، خاصة وأن قبائل رفيدة وقحطان فيما بعد تلك المرحلة ساروا في خط واحد من الناحية السياسية، فقد أيدوا الإدريسي بقوة ضد حاكم عسير الذي سلمته الدولة العثمانية السلطة، ودخلت القبيلتين معا إلى جانب الإدريسي بعد ذلك في معركة البطحاء وكانت القبيلتان تحت قيادة شيخ قحطان (ابن دليم)، وهو ما أدى إلى المزيد من التداخل في القبيلتين ومزيد من النفوذ لشيخ قحطان على بقية قبيلة رفيدة، ودخول رفيدة تحت مسمى قحطان ولاءً في ذاكرة المجتمع.

---

(١) تطلق كلمة اليمن في منطقة عسير بمعنى الجنوب ويقابلها كلمة الشام بمعنى الشمال، فيقال ألمع الشام وألمع اليمن بمعنى ألمع الشمال وألمع الجنوب، وعمرو الشام وعمرو اليمن، وشهر الشام وشهر اليمن، ورفيدة الشام ورفيدة اليمن، وحتى في منطقة الطائف يقال ثقيف الشام وثقيف اليمن، وكلها بنفس سياق المعنى.

(٢) شفيق باشا، سليمان، مذكرات سليمان شفيق باشا، تحقيق محمد بن أحمد العقيلي، النادي الأدبي بأبها، ط١ - ١٤٠٥هـ ص١٠٠.

(٣) نفس المصدر، ص١٠١.

إذن فالحقيقة الواضحة جداً هي أن رفيدة تنتمي إلى عنز بن وائل، والوقت وكثرة المدونات المخالفة لهذه الحقيقة ليست كفيلة بتغيير هذه الحقيقة، لأن ما دونه المؤرخون وشهود الحال حول هذه الحقيقة منذ البعثة النبوية حتى الآن أكبر بكثير من أن يمكن طمسه، وقد نجد في ارتباك من يرفضون عنزية قبيلة رفيدة دليلاً على عدم تمكنهم من الوصول إلى البديل حتى الآن فقد رجح عبدالله آل عاصم انتسابها إلى صداء من مذحج خلال إشارة مقتضبة في كتاب "قبائل قحطان المذحجية" دون أن يورد أي أسانيد لذلك[١]، بينما عاد ليصفها في موقع آخر من الكتاب بأنها:

"مجموعة من القبائل المذحجية وغير المذحجية، انضوت تحت اسم رفيدة، ومنهم من يعود إلى رفيدة حقاً"[٢].

وفي هذا الوصف نرى ارتباك الرافضين لما تحمله المصادر الحقيقية حول انتماء قبيلة رفيدة الذي تحمله الكتب التاريخية بكل وضوح إلى عنز بن وائل، فأخرجوها من صفتها القبلية.

كما أن شعف أراشة لا علاقة له بأراشة بن عمرو بن الغوث فلم يرد ذلك لدى أي المؤرخين، فشعف أراشة نسبة إلى أراشة بن عنز بن وائل وهو ما فصّل فيه الهمداني وأشار لقرى الشعف جميعها التي أرجعها إلى عنز بن وائل في كتاب "صفة جزيرة العرب" ومنها المسقي والقرعاء وتمنية وعضاضة[٣]، وأشار إلى نسب أراشة بن عنز بن وائل الذي تنتسب إليه قرى الشعف بالإضافة لقبيلة عسير في كتاب "الإكليل"[٤]، وقبله ذكره هشام الكلبي في كتابيه "جمهرة النسب" و"نسب معد واليمن"[٥].

وقبيلة عنز بن وائل التي تنتسب لها قبائل رفيدة وعسير والشعف والتي تحاول هذه المصادر اختزالها هي قبيلة حقيقية كبرى أشارت لوجودها في هذه الأرض الكثير من المصادر التاريخية مثل الهمداني الذي عدد حواضرها وقراها حوالي جرش[٦] بالتفصيل وأورد نسبها مفصّلاً في

---

(١) آل عاصم، عبدالله، قبائل قحطان المذحجية أصولها القديمة وتفرعاتها الحديثة، بدون دار نشر، ط٣، ١٤٣٠هـ، ص٢١.

(٢) آل عاصم، المصدر السابق، ص٢٥٥.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٣٠، ٢٣١.

(٤) الهمداني، *الإكليل،ج١ / ص٢٩٢، ٢٩٣.

(٥) الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، نسب معد واليمن الكبير، الجزء الأول، تحقيق د. ناجي حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٨٨م، ج١/ ص٩٤، ٩٥.

(٦) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٢٩ - ٢٣١.

بطونها وفروعها[١]، وابن حزم الذي ذكر أنهم ذوو عدد عظيم بجهة اليمن يبلغون عشرات الألوف[٢]، ونقل عن الشيباني أنه رأى ديارهم باليمن، وكانوا أزيد من ثلاثين ألف مقاتل[٣]، وكذلك أشار لوجودهم فوق هذه الأرض مفرح الربعي في القرن الخامس عندما مر بديارهم[٤]، وقد أشار ابن كثير إلى موطنهم بين الحجاز واليمن وأورد خبر الوباء الذي أصاب بعض قراهم في نهاية القرن السادس[٥]، ومثله أشار ابن الأثير إلى موطنهم في أرض السراة[٦]، ومثل ذلك أشارت كتب التاريخ والأنساب إلى عنز بن وائل وأوردت قبائلها، وكانت نفس القبائل والقرى الحالية[٧] الواقعة ما بين سراة عبيدة وعبل، وتجاهل عمق وجودها في المنطقة أو محاولة اختزاله أو إنكاره لا يصب في مصلحة فهم تاريخ وهوية المنطقة، بل له من المضار الشيء الكثير.

كما أن "مطير" قبيلة معروفة في شمال الجزيرة لم يتعارف أهلها ولا أهل عسير على أي صلة لهم بمدينة أبها مع أن هنالك فروع متفرقة في منطقة عسير تسمى مطير في الشعف وفي تهامة، ورغم أن وجود الصلة أمر جائز فالناس في هجرات مستمرة منذ فجر التاريخ، إلا أنه لم يتعارف الناس في عسير قبل ذلك أن لهذه الفروع علاقة بقبيلة مطير في مهد الذهب وحفر الباطن ونجد، ولا يوجد ما يدعم وجود هذه الصلة سوى تشابه المسمى، ومطير قبيلة غطفانية بشهادة المؤرخين وأبنائها ولا علاقة لها بقضاعة ولم يرد ذلك لدى غير مجموعة التزوير.

كما أن قبيلة سنحان هي إحدى القبائل الصريحة النسب في مذحج كما ذكر ذلك عمدة النسب هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وهذا ما يجمع عليه كل النسابة، ولم يرد أن لها أي اتصال بالأزد، بل إن سنحان هي من القبائل الأوثق في نسبها إلى مذحج في جميع القبائل الحالية، وهذا نص ما ورد لدى محمد بن هشام الكلبي في القرن الثاني للهجرة:

---

(١) الهمداني، الإكليل، تحقيق الأكوع، مطبعة السنة المحمدية القاهرة، ١٣٨٣هـ ج١/ ص٢٩٢، ٢٩٣.

(٢) ابن حزم، علي بن أحمد الاندلسي، جمهرة أنساب العرب، ضبط ومراجعة عبدالمنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٤، ٢٠٠٧، ص٣٠٣.

(٣) علي بن أحمد بن حزم الاندلسي، نفس المصدر السابق، ص٤٨٤.

(٤) الربعي، سيرة الأميرين الجليلين...، تحقيق، رضوان السيد وعبدالغني محمود عبدالعاطي، دار المنتخب العربي، ط١ ١٤١٣هـ ص١٢٢، ١٢٣.

(٥) الدمشقي، أبو الفداء الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، المكتبة العصرية بيروت، ١٤٢٦هـ ج٨/ ص٥٧٦.

(٦) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن عبدالكريم الشيباني، المكتبة العصرية - بيروت، ج٢/ ص٢٦٣٠.

(٧) انظر كتاب الإكليل للهمداني، تحقيق الأكوع، ص٢٩٢، ٢٩٣، وكتاب نسب معد واليمن الكبير للكلبي، ج١/ ص٩٤، ٩٥، وكتاب طرفة الأصحاب للأشعري، ص١٠١.

"وولد يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مذحج: منبهاً والحارث، والغلي، وسنحان، وهفان، وشمران، ويقال لهؤلاء الستة جنب"[١].

وقبيلة سنحان ذاتها حالياً ترفض بإجماع أبنائها صحة جميع ما ورد في إمتاع السامر من تسلسل لنسبها مما لا تدعمه أي المصادر على الإطلاق، وكل الكتب التاريخية التي صدرت حديثاً عن قبيلة قحطان تجاهلت ما ورد في هذه المصادر حول نسبها، لضعفه الشديد.

كما أن عتيبة قبيلة هوازنية على الأرجح لأن معظم بطونها معروفة في هوازن كباهلة وبني سعد وغيرها، وهي تقطن معظم بلاد هوازن المعروفة في العصر الإسلامي، وهو ما كان عليه من كتب عنها من المؤرخين مثل صاحب الرحلة اليمانية[٢]، وأي رأي غير ذلك يحتاج إلى إسناد وتعليل لا إلى تزوير وتلفيق.

كما أنه ليس مستفيضاً لدى أبناء برقا من عتيبة أن لهم أي صلة بعسير، ولا أهل القابل في أبها يتداولون مثل هذا الخبر، ولا كافة عسير، كما لم يرد أي هذه المعلومات في أي المصادر التاريخية السابقة لموجة إمتاع السامر، ومثلهم قبيلة روق من عتيبة لم يتعارفوا على أن لهم أي صلة بروق الجحادر، خاصة وأن التباين العددي بين قبيلة روق عتيبة وروق الجحادر كبير جداً، حيث يفوق عدد الأولى عدد الثانية بكثير، كما لم تلق هذه الدعاوى صدى لدى أهل الشأن هناك.

أما تغلب الدواسر ورغم ترجيح وائليتها لدى أغلب المؤرخين ولدى أهلها إلا أن هنالك نقاش جرى حول وائليتها أو قضاعيتها، ولكن ذلك يخضع للقراءة التاريخية لا للكذب وتدبيج القصائد المنحولة وابتداع الروايات.

ولو أن المؤلفين طرحوا ما أوردوه في هذه الكتب كآراء وقاموا بتعليلها وإسنادها لكان الأمر فيه أخذ ورد، ولكنهم أوردوها كواقع حقيقي مدعوم بقصائد منحولة دون أي مستند تاريخي، أو لو أنهم كانوا متوازنين لكان الأمر مقبولاً على كل علاته، حتى لو غيروا في حقيقة الأنساب القديمة، لأنهم لا يغيرون بذلك واقعاً على الأرض، فقد أحدثت هذه الروايات أثراً كبيراً على الأرض.

وحيث أن مجموعة الإمتاع ومن يساندها قد تحمسوا للتصنيف العرقي الموروث من مرحلة صدر الإسلام والذي يقسم العرب إلى عرقين مختلفي الانتماء، أحدهما عربي أصيل ينتمي إلى

---

(١) الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، أنساب معد واليمن الكبير، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب مكتبة النهضة العربية، ط١، ١٤٠٨هـ، ج٢/ ص٢٩٩

(٢) البركاتي، شرف بن عبدالمحسن، الرحلة اليمانية، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى لدار الوراق للنشر والتوزيع - لندن، ٢٠٠٧م، ص١٢٩.

قحطان بن يعرب، والآخر هو عرق المستعربين الطارئين على العرب وهم العدنانيين بني إسماعيل ابن إبراهيم، ومن ثم فهم أقرب إلى العبرانيين منهم إلى العرق الآخر من العرب، وضربوا على وتر هذا العزل بقوة، فسنأخذ نظرة على هذه الأسطورة التي لا زالت تستعمل لابتزاز التاريخ والجغرافيا والأنساب.

٣- عسير وأسطورة قحطان وعدنان

أتخذ المدافعون عن ما ورد في مجموعة إمتاع السامر حول الأنساب من أسطورة انقسام العرب إلى عرقين متباينين وهما قحطان وعدنان ذريعة لتمرير ما ورد فيها من تلاعب وإخلال بالتوازن في المنطقة، وربط لتاريخها بتاريخ اليمن، وابتزاز الحقيقة بفزاعة الأغلبية القحطانية مقابل العدنانية، وضرورة تلافي الحديث عن أي انتماء غير يمني في المنطقة، غير آبهين بما قد تفضي إليه هذه النغمة من الناحية التاريخية والسياسية، بينما لا يجدون بأساً في ابتداع روايات تثير المشاحنات على مستوى القرى الصغيرة بحجة أن الزمن تطور ولم يعد به مثل هذه العصبيات[١]، لذا فلا بد من كشف مدى مصداقية ما يقولون، وهل فعلاً يشكل الحديث عن الوجود العدناني أو الانتماء إلى غير الأرومة القحطانية خطراً في المستقبل على المنطقة، أم العكس، وهل هناك أغلبية عرقية قحطانية في المنطقة، وهل لا زالت النزاعات العدنانية القحطانية كما هي في صدر الإسلام قائمة في هذا الزمن، وهل تقسيم القبائل العربية إلى جذمين أحدهما قحطاني والآخر عدناني له أساس مقبول يمكن الاعتداد به في هذا العصر.

في الواقع أن من يدعي خطورة الحديث عن الوجود العدناني في عسير وعن وجود عداء قائم بين العرب على أساس قحطاني وعدناني لم يقرأ التاريخ جيداً، ولم يستوعب مستجدات العلم والدراسات الأنثروبيولوجية والأعراق البشرية، فقد تجاوز التاريخ هذه المقولة بقوة، فناهيك عن أن هذا التقسيم لم نجده ممثلاً على أرض الواقع منذ ما بعد الحروب القيسية الأزدية وما واكبها والتي ربطت خطأ بهذه الأسطورة، فإنه يكفينا أن نرى كيف أن مناطق أخرى في الوطن العربي تعيش فيها قبائل محسوبة على العدنانية وأخرى على القحطانية مثل بلاد اليمامة والحجاز والخليج العربي والعراق والشام ومصر والمغرب العربي وبعضها لا زالت على حالتها البدوية الأولى، ورغم حدوث الكثير من الحروب القبلية فيها إلا أنه لم يحدث أن قامت حروب على أساس عدناني قحطاني، فمواطني تلك الدول والأقاليم والمناطق يحملون عصبية قوية شاملة لأوطانهم ولمناطقهم

---

(١) آل حامد، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، ص٧٣٠.

رغم أن الكثير منهم لا زال يحمل وثائق نسبه القديم إلى أي القبائل العربية المختلفة، وحتى الحروب القبلية عندما نتتبع أخبارها في نجد والحجاز نجد أنه لم يكن التقسيم العدناني القحطاني ممثلاً في تحزباتها، فحوالي الحرمين الشريفين تنقسم القبائل إلى حزبين رئيسيين وهما "خندف" و"شبابه" وتحتوي شبابه على قبائل نصفها تقريباً محسوبة على العدنانيين ونصفها على القحطانيين وتحوي خندف في المقابل قبائل مقسمة مناصفة بين الجهتين كما هو حلف شبابة، ولم يرد أنه حدث تكتل للقبائل القحطانية في مقابل العدنانية في أي الحروب في نجد أو في الحجاز أو في غيرها رغم كثرة الحروب القبلية التي دارت بها، ولم يكن أكثر من التنافس القبلي على المراعى والغزو والثارات القبلية سبباً لتلك الحروب وما يتبع ذلك من تحالفات، فلماذا يجب أن نتحدث في عسير فقط عن هذا التقسيم ؟، وحتى الحروب التاريخية القديمة والتي حدثت بين العرب في الجاهلية والتي أحيلت في القرون الإسلامية الأولى إلى حروب عدنانية قحطانية لم تكن كذلك فعلاً فقد كانت عك تحارب إلى جانب قبائل اليمن ضد قبائل معد وكانت قضاعة التي أصبحت معدودة من قبائل قحطان في يوم السلان مع معد ضد قبائل اليمن، وحتى تلك التي حدثت في القرن الثاني للهجرة بين الأزد وقيس عيلان في العصر الأموي والعباسي لم تكن حروباً قحطانية عدنانية فقد كان الجانب الأول يحوي في البداية تحالفاً بين الأزد المحسوبة من القبائل القحطانية وربيعة المحسوبة على القبائل العدنانية في مقابل القبائل القيسية المضرية المحسوبة على العدنانية، ولعل بداية هذه المعارك كانت حينما انقسم العرب على أساس قبلي حول علي بن أبي طالب ومعاوية رضي الله عنهما، فكانت الأزد وربيعة إلى جانب علي بينما كانت قيس وقبائل أخرى إلى جانب معاوية وبني أمية، فاستمر العداء ودارت بين الطرفين - الأزد وربيعة من جانب وقيس عيلان من الجانب الآخر- العديد من الحروب قبل أن تفترق الأزد وربيعة في عهد المنصور بسبب بعض الحوادث[1]، مما يدل على أن هذه الحرب لم تندلع على أساس عرقي بين قحطان وعدنان، بل بسبب التكتل إلى جانب أي الطرفين ولكنها اتخذت طابع التقسيم بين جذمي العرب في نهاياتها على أثر ما أحدثته روايات الأخباريين الجدد على الذاكرة الجمعية للقبائل العربية في نفس المرحلة، ولعل هذه الحرب واستمرارها هو ما كرس تقسيم القبائل العربية عرقياً والذي بدأ أثناء هذه المرحلة معتمداً في الجانب الآخر (المدني) على النزاع الموروث بين قريش من جانب والأوس والخزرج من الجانب الآخر وهو النزاع الذي أسس لانقسام العرب بين الطرفين، وللأستاذ جواد علي تلميحات جميلة حول أثر هذا النزاع على انقسام العرب إلى جذمين[2].

---

(١) ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية - بيروت، ٢٠٠٧م، ص٣٨٠.

(٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١ / ص٤٨٥، ٤٨٧ - ٤٩٢.

ومن الملاحظ أن هذه النزعة اختفت في القبائل العربية بعد ذلك ولم تعد القبائل العربية البدوية منقسمة حسب هذين العرقين بل أصبحت التحالفات بين القبائل تفرض واقعاً جديداً لتجاوز كل مرحلة، وكانت هذه التحالفات تحدث أحياناً بين قبائل بعضها محسوب على الأرومة العدنانية وأخرى على القحطانية، لذا رأينا قبيلة "الدواسر" في العصر الحديث تحمل جزءاً أزدياً والآخر تغلبياً، ومثلها قبيلة "ثقيف" والتي هي في الأساس قبيلة عدنانية بينما بعض بطونها مثل "ثمالة" أزدية صريحة النسب في الأزد، ومثلها نجد قبيلة "بني شهر" قبيلة أزدية بينما "قشير" إحدى فروعها هي قبيلة قيسية، ومثلهم رفيدة التي هي قبيلة عنزية دخلت في حلف قبائل عبيدة وشريف وبني بشر وسنحان وبقية قضاعة وغيرها فيما عرف بقحطان، ومزينة العدنانية دخلت في قبيلة حرب القضاعية وقس على ذلك الكثير من الحالات، وهو ما يدلنا على أنه لا أثر لأسطورة قحطان وعدنان خارج الكتب التي كتبت أثناء الحروب القيسية الأزدية وما واكبها من مفاخرات قبلية بنيت على التقسيم الجديد للقبائل العربية.

وعندما نتمعن في أسطورة التقسيم العربي للأنساب حسب ما ورد في كتب الأنساب، منذ بدأ ابن الكلبي تدوينها في نهاية القرن الثاني للهجرة وحتى العصر الحديث نجد أن هنالك العديد من الملاحظات سنذكر هنا اختصاراً بعضها، ولعل أولها أن هذه الأسطورة قسمت العرب إلى قسمين وهما العرب البائدة والعرب السائدة (الباقية)، والبائدة لم يبق منها أحد، بينما الباقية تنقسم إلى قسمين لهما اسمان بوزن وسجع موحد ومعنيان متضادان، رغم أنهما متباعدان في النسب وفي المصدر كما يقولون، وهما "قحطان" و"عدنان"، وتنقسم قحطان إلى قسمين وهما حمير وكهلان، وتنقسم عدنان في المقابل إلى قسمين هما معد وعك، وتنقسم معد إلى قسمين رئيسيين هما نزار وقضاعة، وتنقسم نزار إلى ربيعة ومضر بينما عك تنقسم إلى قسمين هما بنو الشاهد وبنو عبدالله، ورغم أن كتابة النسب بدأت في مرحلة وجود القبائل اللاحقة لهؤلاء وبالتالي بدأت عملية تلافي الثنائية بوضع الملحقات، إلا أن الثنائية ظلت هي الأقوى في رواية الأنساب والتاريخ فهنالك ثنائية بكر وتغلب وثنائية خندف وقيس وثنائية الأوس والخزرج مع وجود أقسام ثانوية يشير لها النسابة، وهذه الثنائية المتكررة في الأنساب العربية المتوارثة توحي لنا بأثر الأسطورة في هذا التقسيم، فالثنائية سمة أساسية في التقسيم الكوني يعايشه الإنسان منذ الأزل فالليل يقابله النهار والشمس يقابلها القمر والذكر يقابله الأنثى، ومن ثم كان اتجاها فطرياً بشرياً للتمييز والموازنة لذا فالخير يقابله الشر والإنسان يقابله الحيوان، والإنس يقابلهم الجن، وقد اختزل البشر الكون كاملاً في الأرض والسماء، والتباينات بشتى أشكالها عندما تتطور فإنها عادة ما تختزل أطرافها إلى جزأين مهما كان عدد الأطراف المتباينة، فالحروب عادة ما تكون بين طرفين فقط، بل لم نجد خبراً عن حرب جرت بين ثلاثة أطراف في موقع واحد، وحتى المنافسات الديموقراطية الحديثة

نلاحظ أنها عندما تنضج تنتهي إلى تيارين متنافسين مسيطرين فهنالك الجمهوري والديموقراطي في الولايات المتحدة وهنالك العمال والمحافظين في بريطانيا وهناك اليمين واليسار في فرنسا، فجذور الثنائية موجودة في داخلنا، لذا عندما نتحيز فإننا نبني تحيزنا على التقسيم الثنائي وهما "أنا والآخر" فنقرب أحد الأطراف للأنا ونباعد الآخر قياساً حتى نندمج في هذه الثنائية، وقد يتسع مفهوم هذا "الأنا والآخر" ولكنه يظل مرتبطاً بهذه الثنائية لدى الجانبين.

وهنا فإننا بحاجة إلى هذه الثنائية في سير حياتنا، لتحقيق التوازن، وفي إشباع رغباتنا بشتى أنواعها، وفي إمتاع خيالنا، وحتى في تفسير الظواهر حولنا، وحتى عند ابتداع رواياتنا فإنه لا بد من اللجوء إلى الثنائية، فهل يمكن تخيل مؤلف يكتب رواية دون أن يصيغ تناقضاً من أي نوع بين اتجاهين في الرواية، ونخلص من ذلك إلى أن الحاجة إلى هذه الثنائية الأسطورية غريزية وقديمة جداً.

والثنائية كما أسلفنا اتجاه فطري للعقل البشري في بنيته الأولية ولكنه عادة ما يتطور إلى أن يفرض نفسه على الواقع، فقد اختزل العرب البشر إلى عرب وعجم فنشأت الشعوبية عندما ساد العرب، بينما اختزل اليهود البشر إلى اليهود والأمميين فنشأت اللاسامية في مختلف دول أوروبا المنقسمة عندما أمسك اليهود بزمام الاقتصاد الأوروبي، لذا فلا غرابة في أن ينشأ التكتل العربي في جذم قحطان مقابل غطرسة العدنانيين الذين استأثروا بالنبوة والقيادة السياسية في صدر الإسلام. والثنائية بقدر ما هي تحقق التوازن، فإنها تكرس الانقسام بشكل أقوى، وتحوله إلى فصل أسطوري يصعب رتقه، وتؤجج المنافسة، وتطيل أمد النزاع، لذا فالثنائية لها وجهان أحدهما إيجابي والآخر سلبي.

ولكن هذه الثنائية غير ممثلة بأي صفة في التناسل البشري مما يجعل سيادة حالتها فيما روي عن الأنساب العربية دليلاً على أثر الأسطورة في هذه الروايات، والتي أفرزت لنا التقسيم الأسطوري للعرب إلى جذمين متنافسين (قحطان وعدنان)، ولعل هذه أول الإشارات التي تعطينا التنبيه على وجود الخطأ في الرواية العربية حول الأنساب، قبل قبول ما ورد فيها.

أما الملاحظة الثانية فهي تتعلق بالتاريخ الذي ربط بهذه الأنساب فنلاحظ أن القبائل من غير العدنانيين قد حصلوا على جدٍ نبي مقابل نبي العدنانيين وهو النبي هود عليه السلام، كما أن تلك القبائل الكبرى التي نسبت لقحطان من خارج اليمن قد تداولت جميعاً حكم اليمن ومن ثم أقاليم الجزيرة العربية قبل وأثناء رحيلها من اليمن، فالأزد كانوا ملوك اليمن في مأرب وأطراف اليمن منذ جدهم الغوث ثم الأزد بن الغوث ثم مازن بن الأزد ثم نصر بن الأزد ثم ثعلبة بن مازن ثم من بعده حتى خرجوا قبل خراب السد في زمن ملك اليمن عمرو بن عامر[1]، وقضاعة

(١) الخزاعي، دعبل، وصايا الملوك، ص٣٤.

حكمت اليمن ومنها ملك حمير جدهم قضاعة بن مالك بن حمير ومنها هيء بن بي بن جرهم[١] ومنها الملك زيد بن عمرو بن إلحاف بن قضاعة، وهمدان حكمت اليمن ومن ملوكها جدهم الملك همدان بن أوسلة[٢]، وجشم بن حبران[٣]، وجذام كان جدهم عمرو بن زيد بن كهلان ملكاً[٤]، وجد مذحج وطيء كان ملكاً وهو أدد بن زيد بن كهلان[٥] ومثله كان جد طيء أود بن مالك[٦]، ومثله كان جد مراد من مذحج وهو مراد بن سعد[٧]، وكذلك الحارث بن كعب من مذحج كان ملكاً[٨]، وجد قبيلة كندة ثور بن نبت بن مالك[٩] كان ملكاً، وأنمار كان جدهم أحمس بن عوف بن أنمار ملكاً[١٠]، ناهيك عن ملوك حمير البقية.

وعندما نتأمل هذه الأخبار التي وضعت في التاريخ العربي نجد أن كل القبائل العربية غير العدنانية تنتمي إلى ملوك مرموقين، بما في ذلك قبائل البادية كقضاعة ومذحج، أما القبائل المعدية والتي كان فيها الملك عند ظهور هذه الأخبار والمؤلفات، فلا تستحق نصيباً، لأن ما بيدها يكفيها، ومن ثم فمن رغب أن تكون قبيلته الأدنى من نسل الملوك فعليه أن لا يقترب من قريش ولا من معد، ليحصل في المقابل على جزء من كعكة الممالك اليمنية، وهنا كانت المكاسب التاريخية المعنوية التي كان يهتم بها العرب مغرية للمصادقة على الأخبار الجديدة حول تقسيم العرب إلى قسمين حسب الرواة الجدد، فتم توزيع الملك عليهم حسب الأهمية، لذا نجد الأزد ذات المكانة الكبرى في التاريخ الإسلامي حظيت بنصيب الأسد من الرواية المبتدعة عن ملوك اليمن، بينما تدل القراءات الحديثة في النقوش اليمنية على عدم صحة ذلك.

والملاحظة الثالثة تكمن في أن الرواة الأول لهذه الأساطير هم مجموعة ممن نسبوا ليهود اليمن أمثال "وهب بن منبه" و"كعب الأحبار" و"عبيد بن شرية" الذين بدؤوا في عهد معاوية برواية

---

(١) الخزاعي، دعبل، وصايا الملوك، ص٢٩.
(٢) الخزاعي، دعبل، وصايا الملوك، ص٦٧.
(٣) الخزاعي، دعبل، وصايا الملوك، ص٦٨.
(٤) الخزاعي، دعبل، وصايا الملوك، ص٣١.
(٥) الخزاعي، دعبل، وصايا الملوك، ص٣٢.
(٦) الخزاعي، دعبل، وصايا الملوك، ص٧٢، ٧٣.
(٧) الخزاعي، دعبل، وصايا الملوك، ص٧٣.
(٨) الخزاعي، دعبل، وصايا الملوك، ص٧٤.
(٩) الخزاعي، دعبل، وصايا الملوك، ص٣٣.
(١٠) الخزاعي، دعبل، وصايا الملوك، ص٣٦.

أخبار العرب حسب الفكرة الجديدة التي تعتمد على الاقتباس من روايات التوراة وإعادة تأهيلها بخيال الرواة، وقد قررت هذه المجموعة فصل العرب إلى عرقين متباعدين إلى حد ما، وفصلت النبوة العربية عن معظم العرب، وقربتها إلى بني إسرائيل، في مقابل ربط البقية بأحد الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم دون بقية الكتب السماوية، ووزعت المكاسب من كعكة الممالك اليمنية على البقية للمصادقة، أو لعل بعضهم قرر أخذ نصيبه من هذه الكعكة بطريقته، فكان هنالك اختلاف في بداية الأمر حول تقبل الفكرة فمثلاً قبيلة قضاعة التي لا تنتمي لقبائل اليمن، والراجح أنها أيضاً ليست من عدنان حيث ذكرها بطليموس في خارطة الجزيرة العربية دون وجود عدنان وقحطان كقبيلة كبرى في شمال الجزيرة العربية ظل هنالك جدل حولها وانقسم القضاعيون بين عدنان التي بدأت الدخول على خط الرواية وبين قحطان، فكان لا بد من ترغيبها بما يوازي حجمها خاصةً وأنها ظلت في فئة المؤلفة قلوبهم ردحاً من الزمن، حتى وصلوا لحل مرض يوازي حجم هذه القبيلة، وهو الحصول على جزء جيد من كعكة الملك اليمني مقابل الدخول في النسب الجديد، فأصبحت

قضاعة بن مالك بن حمير *النسب المعروف غير المنكر*،

ومثلها أنمار التي بقيت بين أنمار بن نزار وبين أنمار بن الغوث، وحتى عك ولخم ورد النزاع حول هويتهما.

ومن الملاحظات أنه بينما كانت الرواية الجديدة تفصل بين العرب فصلاً جذرياً، حيث العدنانيون ينتمون إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، أما بقية العرب فهم من نسل موحد ينتمي إلى هود عليه السلام، فقد كانت هنالك رواية أخرى أقل تطرفاً في الفصل بين الجانبين، بنيت على الحديث النبوي، وتقول بأن العرب ينتمون في العموم إلى إسماعيل بن إبراهيم، لذا كان الرواة في البداية ينقلون الخبرين ويوردون تسلسل بني قحطان بما يوازي خبر تسلسل أبناء عدنان إلى إسماعيل، وهو ما يبقي الباب مفتوحاً للقول بأن الجذمين يلتقيان في إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، بما في ذلك هشام الكلبي رغم أنه أكثر من ابتداع الروايات الخيالية عن ملوك اليمن وأخبارهم، وبقي الأمر كذلك حتى القرن الرابع الهجري حيث خرج الهمداني بكتابه "الإكليل"، الذي كرس لفكرة الفصل وادعى تمكنه من قراءة العديد من نصوص النقوش الحميرية القديمة في اليمن والتي تثبت وجود قحطان بن يعرب وتثبت أن القحطانيين عرق آخر يختلف عن العدنانيين وكان مصدرهم اليمن، وانتقد ابن الكلبي وأبيه ونسابة البصرة والكوفة واتهمهم بأنهم اقتصروا في تسلسل أسماء حمير وكهلان لمجاراة التقاء نسب قحطان مع عدنان في إسماعيل، وأورد تسلسلاً جديداً يبتعد ببقية القبائل العربية (القحطانيين) عن الالتقاء مع

العدنانيين في إسماعيل، وكان الهمداني قوياً في حجته أمام مناوئيه خاصةً وأنه يكتب من اليمن عن تاريخ القبائل والملوك في اليمن وينسب أقواله إلى النقوش والوثائق اليمنية القديمة وإلى نسابة اليمن مثل "أبي نصر محمد بن عبدالله اليهري الحميري" (كما يقول)، لذا فقد أصبحت روايته بعده أشبه بالمسلمة بين الرواة لفترة طويلة، ولأن الهمداني كان محسوباً من قبيلة همدان فقد عد خصومه بعض ما قاله جزءاً من تعصب اليمنيين، رغم أن ما أورده لا يسير في صالح بقية العرب من غير العدنانيين بما فيهم اليمنيين، الذين جعلهم جميعاً من نسل واحد أبعده تماماً عن الصلة بالنبوة المحمدية، وعن الدور الريادي في التاريخ الإسلامي، والذي يعد أهم ما يمكن أن ينسب للعرب من دور في التاريخ البشري، ورغم ما أورده الكثير من المؤرخين عن أخطاء قراءات الهمداني وانتحاله للأنساب التي أوردها والقصائد التي نسبها إلى ملوك اليمن وإلى حسان بن ثابت لتهييج النزاع بين القحطانيين والعدنانيين، إلا أن الأهم فيما أرى من كل ذلك هو الملاحظات التي أوردها الشيخ "حمد الجاسر" حول شخصية الهمداني وأسرته، فهي جديرة بالقراءة، فقد كتب عنه في مقدمة كتابه "صفة جزيرة العرب" ما يلي:

"ويرى الباحث بين أسماء آباء الهمداني أسماء لم يعتد العرب استعمالها مثل (يوسف) و(يعقوب). وإذا تركنا كلمة (ابن الحائك) وما وصفه الناقمون عليه من جرائها جانباً فإنه يعترضنا أمور ذكرها الهمداني نفسه عن أسرته، فأبوه كان يتاجر بالذهب كما في "الجوهرتين" وكان رحالة دخل الكوفة والبصرة وبغداد وعمان ومصر، وخال أبيه الخالص بن معطي كان ممن ولي عيار صنعاء وعناية آله بالصناعات كالتعدين وغيره، أمور تلفت النظر، وصلة آله بالعراق - بلد المتحضر - كانت قديمة فقد كان أبو جده محمد بن يعقوب، يعرف بالبصري، وهذا هو عم الهمداني الذي تزوج الهمداني ابنته كما في "الإكليل"" .

إلى أن قال:

"ولا نعرف شيئاً عن أول حياته"[١].

وهنا فإن شخصية الهمداني ليست بعيدة عن ما يقال حول أصحاب الرواية الأساسية كل من: "كعب الاحبار" و"وهب بن منبه" و"عبيد بن شرية"، فهل كان الهمداني متمماً لدورهم؟

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، المقدمة (حمد الجاسر)، ص٩.

ومن الملاحظات أيضاً أن هذه المجادلات أخذت بين العرب بعداً نفسياً قوياً بين من نسبوا إلى قحطان وبين المعديين، ووصل الأمر بكل طرف إلى الاستنصار بالأمم الأخرى وتفضيلها على الطرف الآخر، حتى أن القحطانيين ذكروا أن اليونان هم أبناء "يونان بن عابر"[١] أي أنه أخو "قحطان بن عابر" وأن التبت أصلهم من حمير رتبهم هنالك الملك اليمني "شمر يهرعش"[٢]، وادعى العدنانيون أن الفرس من أبناء إسحاق بن إبراهيم ومن ثم فهم أبناء عمومة العدنانيين[٣] بالإضافة إلى بني إسرائيل، وأن الأكراد من نسل ربيعة بن نزار بن بكر بن وائل[٤]، وقيل في ذلك قصائد كثيرة من الطرفين، ومنها قول دعبل مفتخراً بالقحطانية:

همو كتبوا الكتاب بباب مرو	*وباب الصين كانوا الكاتبينا*
وهم جمعوا الجموع بسمرقند	*وهم غرسوا هناك التبتينا*[٥]

والأهم أن كلا الطرفين كان مستنده في هذه الأنساب المقاربة مع ما ورد في المصادر اليهودية[٦].

فإذا كان الرواة لم يجدوا حرجاً من الكذب بهذه الجرأة، حول أمم بعيدة لا صلة لها بالعرب لا لغة ولا شكلاً ولا تاريخياً، فكيف بهم حول القبائل العربية الأمية التي لا تمتلك أي دليل مدون على أنسابها.

ومن الملاحظات حول هذا التقسيم أن العرب لم يستطيعوا تحديد الفارق بين جذمي العرب المزعومين "قحطان وعدنان"، مع أن الرواية العربية تبعدهم عن بعض نسباً وموطناً حيث اعتبر عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم القادم من بلاد الهلال الخصيب بينما قحطان من نسل النبي هود القادم من اليمن، كما جعلوا أحدهما عارباً والآخر مستعرباً، وقد انفرد الجاحظ بالحديث عن وجود فروقات شكلية بين العرب القحطانيين والعدنانيين ولم يحددها وصفاً ولكنه أبطل حجته سريعاً عندما أشار إلى الفروقات الشكلية الواضحة في قبيلة طي بين سكان الجبال وسكان السهل

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١/ ١٧٨.

(٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١ / ص٤٩٩.

(٣) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١ / ص٤٩٦، ٤٩٧.

(٤) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١ / ص٤٩٨.

(٥) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١ / ص٤٩٩.

(٦) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١ / ص٤٩٧.

من نفس القبيلة، ولعل الجاحظ قد حدد القحطانيين بالقادمين من اليمن أو من قبائل الأزد السروية كبيئة جبلية وقارنهم بقبائل السهول والبادية، فأرجع الفروقات الظاهرة بين الطرفين إلى التقسيم بين عدنان وقحطان.

والحقيقة أنه لا يوجد أي فروقات تميز أي القسمين عن الآخر، ولم يكن العرب قادرين على تحديد مواصفات لأي الطرفين، فلو كان العرب يستطيعون التمييز بين جذميهما شكلياً لما اختلفوا في نسب قضاعة ولا أنمار ولا عك ولا غيرهم من الذين تأرجحت الأخبار بنسبهم بين عدنان وقحطان، فاختلاف السحنة على نطاق المجاميع البشرية عادة ما يكون ظاهراً يمكن تحديده بسهولة، وهو ما يدل على أن العرب لم يكن باستطاعتهم تحديد من نسبوا لعدنان ومن نسبوا لقحطان على أسس بيولوجية ظاهرة إطلاقاً منذ القدم، فالاختلاف الفسيولوجي بين سكان الجزيرة العربية تحدده البيئة الجغرافية والمناخية بشكل رئيسي فأهل تهامة يختلفون عن أهل السراة وأهل السراة يختلفون عن سكان الصحراء من البادية وغيرهم.

وفي العصر الحديث وبفضل العلم استجدت معلومات يمكن أن تصل بنا إلى مرتبة القطع بكذب أسطورة قحطان وعدنان حسب الرواية العربية القديمة، واعتبار ما ورد لدى الهمداني وسواه من تقسيم للأجذام العربية من الماضي، ففي مجال قراءة الخط المسند والحميري، فقد تم فك رموز الكثير من النقوش، في مأرب وبراقش وظفار وكحلان وغيرها من المدن اليمنية القديمة وقد وجد أن هنالك بالفعل آثار يمنية جيدة وكان هنالك ملوك تعاقبوا على اليمن منذ الألف الثانية قبل الميلاد، إلا أن الأسماء كانت مختلفة عن ما ورد لدى المؤرخين العرب فقد وردت الكثير من الأسماء التي لم ترد لدى الأخباريين بينما كانت الأسماء التي تواتر وجودها لدى الطرفين قليلة جداً، كما أنه لم يرد أي إشارة إلى وجود ملوكٍ من الأزد في اليمن، ولا حتى ذكرٍ لوجود قبائل الأزد ذاتها في اليمن، كما أنه لم يرد ذكر يعرب ولا قحطان في جميع النقوش اليمنية، بل وردت إشارة إلى قحطان في النقش الذي كشف عنه في المملكة العربية السعودية في مدينة الفاو الأثرية جنوب وادي الدواسر، والذي كتب على قبر يذكر أنه قبر الملك ربيعة ملك قحطان ومذحج[1]، مما يدل على أن قحطان كانت قبيلة تجاور قبيلة مذحج التي كانت تقطن ما بين نجران وتثليث في العصر الجاهلي، وهو ما يشير إلى أن مسمى قحطان كان يخص قبيلة واحدة تقع إلى الشمال عن اليمن لا تنتسب إليها مذحج التي كانت تجاورها والتي هي واحدة من القبائل المعدودة من قحطان

---

(١) الأنصاري، عبدالرحمن، والأسمري، فايز، عسير حصن الجنوب الشامخ، دار القوافل للنشر والتوزيع – الرياض، ١٤٣٠هـ، ص٣٠.

حسب التقسيم اللاحق، بل إن الكثير من النصوص المكتشفة والتي ورد فيها أسماء ملوك حميريين تدل على اختلاف اللغة في تلك المرحلة عن ما هي في العهد الإسلامي مثل: "يثعمر" و"سمهعلي ينوف" و"يدع إيل يبين بن يثعمر"[١]، وغيرها كثير، ومع أن مفردات النقوش الحميرية في معظمها عربية سامية إلا أنها مختلفة النطق، كما أن نظم الكلام وقواعد اللغة الحميرية وهي الأهم كانت مختلفة، مما يؤكد على أن كل الشعر الذي أورده الرواة كالهمداني ودعبل الخزاعي وغيرهم على لسان ملوك اليمن والذي كانت لغته ذات صبغة عربية إسلامية كان منحولاً.

أيضاً فإن كشوفات الدي إن إي في الوطن العربي وفي الجزيرة العربية أثبتت أن العرب ينتمون لجن س واحد وهو الجنس السامي العربي والذي عرف علمياً بالسلالة (j1c3d)، وتحت هذا الفرع تتكتل معظم القبائل في الجزيرة العربية، مما يدل على أن العرب ينتمون إلى أرومة واحدة وهي من الجنس السامي ولكنهم من قبائل متعددة تحت هذا الفرع، كما وجد أن هنالك اختلاف كبير في الأجناس البشرية التي تقطن الجزيرة العربية، فبين من نسبوا إلى القبائل العربية ما هو أقرب إلى الفرس أو اليونان أو الحبش منه إلى الجنس السامي، ومن ثم فلا شك أن هنالك أمم وشعوب إلى جانب العرب لا زالت تقطن هذه الجزيرة وقبائلها نسبت إلى قحطان وعدنان على يد النسابين، فقد استوطن الجزيرة العربية أقوام كثيرة أنكر وجودها العرب وأصبح الانتماء إلى أيها بمثابة الانتقاص للأصالة، فتوزع أبناؤها على القبائل القحطانية والعدنانية، ولكن ربما كان بينها أيضاً من قد تكون أكثر عروبة من قحطان وعدنان، فنشوء اللغة العربية لا زال أمراً غير محسوم، والأساطير المروية في التاريخ العربي لنشوء اللغة العربية على يد رجل واحد لا يمكن اعتمادها كمصدر معقول في هذا الخصوص، ومن هذه الأقوام مدين، والعماليق، وطسم، وجديس، وجرهم، وثمود، والأنباط، واللحيانيون، وعاد، والآراميون، وقد اعتبرت هذه الأمم عرباً بائدة، ولا نعلم كيف أبيدوا، فلم يذكر أن جرماً سماوياً قد سقط على الجزيرة العربية فأهلك من فيها، ولا أن طوفاناً قد وقع في هذه الصحاري فغمر كافة الجزيرة العربية في لحظة واحدة، ولا أن بركاناً ثار فافترشت الحمم سائر أنحاء الجزيرة العربية، فقد ورد في القرآن الكريم خبر هلاك عاد وثمود فماذا عن البقية، ومن ثم فعلينا أن نؤمن بأن هنالك تمازجاً حقيقياً للأعراق في الجزيرة العربية غير متوارث عبر المدونات التاريخية، وأن الحديث عن القحطانيين والعدنانيين لم يكن في الغالب إلا تطوراً للمنافسة بين أهل يثرب من الأوس والخزرج وبين أهل مكة من قريش قبل الإسلام والذي تطور فيما بعد الإسلام بعد معركتي بدر وأحد ثم بعد فتح مكة ثم بعد وفاة النبي ﷺ ثم بعد سيطرة

---

(١) الحوالي، محمد الاكوع، اليمن الخضراء، ص٣٢٢.

الأمويين على الحكم، إلى أن انضم القيسيين إلى جانب قريش في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة بينما انضمت بقية العرب إلى صف الأنصار في مقابل مغالاة النزاريين في الغطرسة، فدخل يهود اليمن ليرسمو خط هذه المنافسة الثنائية بطريقتهم، بينما قحطان وعدنان قد لا يتجاوز الأمر كونهما قبيلتين أو قبيلة واحدة بين العديد من القبائل في الجزيرة العربية كقضاعة وحمير وهمدان وثمود ولحيان وطسم وجديس وغيرها.

ومن أهم الملاحظات التي لا بد من الإشارة لها هنا أن القبائل المعنية بالنسب القحطاني اليمني في كتب الأنساب، والتي تقطن في منطقة عسير كالأزد التي منها الكثير من قبائل السراة، وأنمار التي منها خثعم وبجيلة وشهران لا يوجد لها أي امتداد في بلاد اليمن، ولا وجود لها في مأرب التي تقول الرواية أنهم خرجوا منها، رغم انتشار هذه القبائل ومنذ العصر الجاهلي في بقية أنحاء الجزيرة العربية والشام والعراق والخليج العربي، مما يزيد من الثقة بضعف الرواية.

ومن ثم فإن اعتبار أن منطقة عسير معنية فقط بالأنساب القحطانية اليمنية، ولا مجال لغير ذلك، وأن هنالك عداء يكنه أهلها للأنساب المعدية، ومحاولة اختزال الروايات التاريخية في رأي مؤيدي هذا الخط هو مجرد ذر للرماد في العيون، وانفراد بتوجيه المجتمع لرغبات فئة معينة لها أهدافها السياسية، فالقبائل التي نسبت إلى عدنان تشكل جزءاً كبيراً من هذه المنطقة فعنز بن وائل تمتد فيما بين سراة عبيدة ووادي عبل على امتداد يصل إلى حوالي مائة وخمسون كيلاً وتمتد في تهامة إلى البحر الاحمر وينتمي إليها عدد كبير من قبائل المنطقة، وكنانة تمتد على الساحل من مكة إلى اليمن كواحدة من اكبر القبائل في المنطقة وتغلب وبكر بن وائل لا زالت فروعهما تتوارث نسبها إليهما حتى هذه اللحظة في مناطق تهامة عسير وبيشة بالإضافة إلى أكلب الربعية في بيشة، ولا زالت قبائل مضرية تنتشر في المنطقة كبني سلول ومعاوية في بيشة وبني قشير وتميم في ترج، بالإضافة إلى أن قبائل أنمار التي تشكل جزءاً كبيراً في المنطقة يغلب على روايات النسابين عدنانيتها، ومن ثم فإننا أمام نسبة تتجاوز النصف في المنطقة هي قبائل أحيلت إلى العدنانية حسب الروايات القديمة مما يجعل عملية الحديث عن وجود القبائل العدنانية في المنطقة يشبه الحديث عنها في نجد والحجاز والشام والعراق وغيرها من المناطق التي قسمت قبائلها بين الجذمينن ولا يوجد بين الطرفين أي حديث عن المنافسة أو المشاحنة أو التباغض المبني على أساس هذا التقسيم كما هو حال الرؤوس المتخلفة التي تثير النعرات على كل المستويات وتحاول في الجانب الآخر إقناعنا باحتمالية عودة حرب خزازي في المنطقة.

ونعود مرة أخرى لنقول بأن الأنساب القديمة تظل ظنية والاستزادة منها لا تزيد ولا تنقص، ولا أهمية لمعرفتها من قبل غير أهل الاختصاص، ولكن الهدف هنا هو منع التلاعب

بهوية الأرض ومنع التلاعب بالتوازن القبلي فوقها، وليس التعصب للقحطانيين، أو للعدنانيين، فلو تركوا هذه النغمة في الكتابة عن النسب في كتب التزوير لما تطرقنا إليه هنا البتة، لأن كاتب هذه الأسطر لا يملك اليقين إلى أيهما ينتمي ليحمل عصبيته، كما أنه لا يؤيد وجود هذين الجذمين بنفس الطريقة المتواترة.

٤- بين قبيلة عسير وإقليم عسير والإمارة العسيرية

عسير حسب مفهومه التاريخي الحديث هو اسم لإقليم واسع عريض يشمل كامل مناطق الجنوب السعودي الأربع (عسير، الباحة، جازان، نجران)، وقد أصبح الإسم حالياً خاص بإحدى هذه المناطق حسب التقسيم الإداري في المملكة العربية السعودية والتي تمثل المنطقة الأكبر بين هذه المناطق، ولكن هذا المسمى بمفهومه القديم لم يكن يعني كامل الإقليم أو المنطقة في العصور القديمة، فهذا الإسم كان يطلق على قبيلة واحدة من قبائل المنطقة وهي التي تقيم حوالي مدينة أبها[١] وتمتد غرباً في تهامة حتى سواحل البحر الأحمر، فقد كان يطلق على الشريط الجبلي الأوسط من الإقليم فيما بين الطائف واليمن مسمى "الحجاز" أو "السروات"[٢] وعلى غورها الغربي مسمى "تهامة" والسهول الشرقية مسمى "نجد"، ولا صحة لوجود حلف قديم بمسمى "عسير".

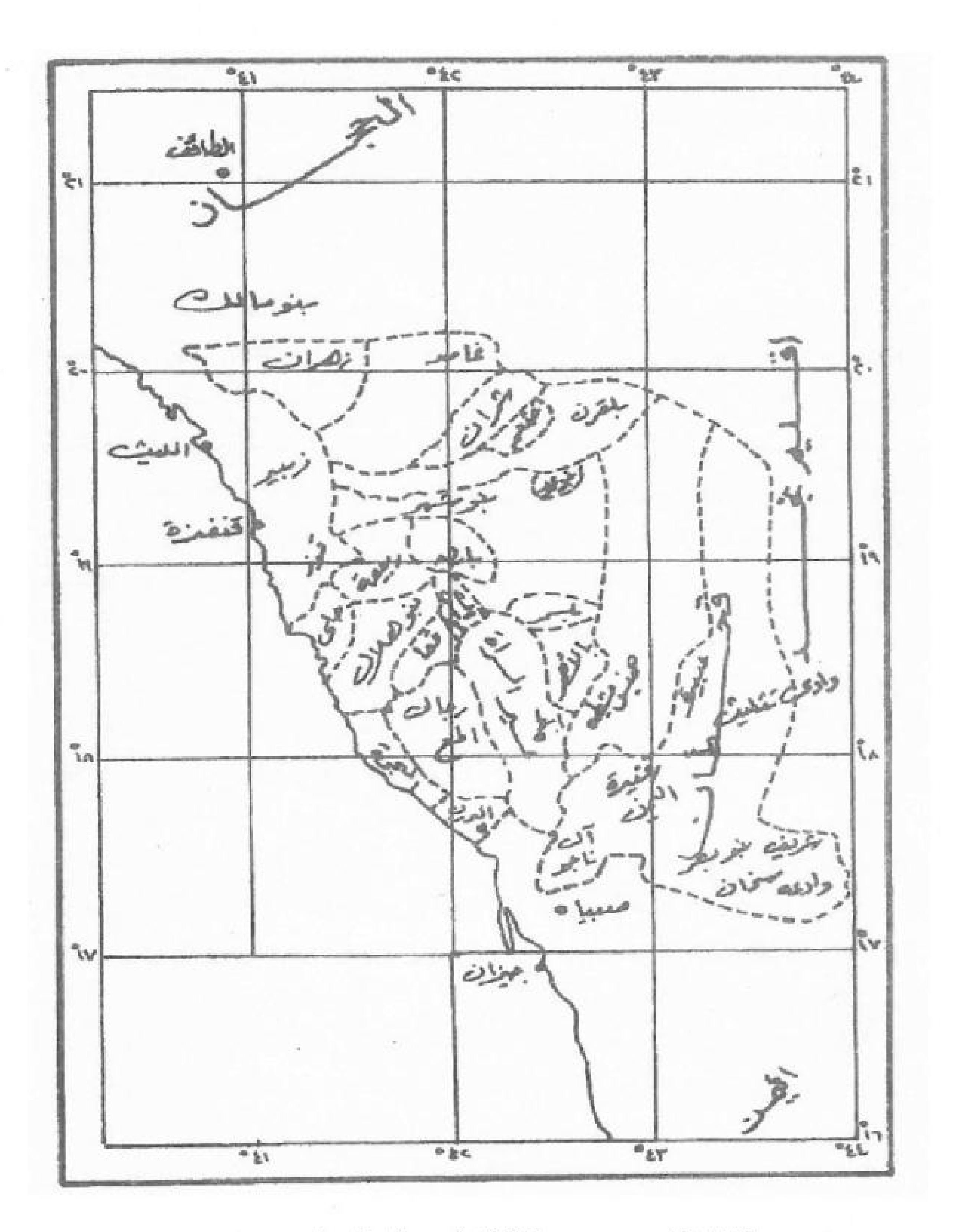
إلا أن الدور الريادي لهذه القبيلة وأمرائها منذ بداية القرن الثالث عشر جعل مسماها أكثر تداولاً خارجها في الإشارة إلى الأحداث السياسية في الإقليم، إلى جانب الدلالة على القبيلة ذاتها، فترسخ في ذاكرة المؤرخين تدريجياً للدلالة على كامل الإقليم سياسياً، ولكن بداية الاستعمال الرسمي للمسمى كإسم شامل كان مع دخول الدولة العثمانية لعسير وإطلاق مسمى "عسير" بشكل رسمي على كامل المتصرفية، فاتخذ المسمى الصفة الرسمية لكامل الإقليم في العهد العثماني، لذا وجدنا أن كل الأطالس والموسوعات العربية أطلقته كإسم لكامل الإقليم منذ ما بعد بداية تلك المرحلة[٣]، ورغم ذلك فقد ظل مسمى عسير محلياً يطلق حسب العرف القبلي المتوارث على قبيلة عسير المعروفة في المنطقة.

---

(١) أبو داهش، عبدالله، أهل السراة في القرون الوسيطة، ص٢٣، ٢٤.

(٢) لمزيد من التفصيل، راجع باب "عسير في العصر الجاهلي" في هذا الكتاب.

(٣) الموسوعة العربية الميسرة، ١٩٦٥م، ص١٢١٢.



قبائل إقليم عسير من الوثائق البريطانية، علي عسيري

ومن أهم الأفكار التي حاولت ترسيخها مجموعة إمتاع السامر وحرصت على العناية بطريقة إخراجها، هي نفي وجود قبيلة اسمها عسير في المنطقة، ومحاولة إثبات أن المسمى هو مسمى شامل منذ القدم قالوا أن أحد بني يزيد بن معاوية أطلقه على المنطقة كاملة في القرن الثاني للهجرة، وفي إحدى رواياتهم أن أبرهة هو من أطلق على عسير مسماها، وفي أخرى أنه اسم حلف قديم بين الأزد ومذحج تمسك بمسماه بعض السكان، وحاولت إحياء عصبية خاصة لدى العشائر المحلية وإغراءها ببعض المكاسب للمصادقة على الفكرة.

وفي الحقيقة أنه لا يعنينا مسمى عسير في حد ذاته بقدر ما يعنينا إيقاف التلاعب بالتركيبة القبلية والتوازنات السكانية في المنطقة، فقد شارفت هذه الأكاذيب المصاحبة للفكرة في هذه الكتب حول التقسيمات القبلية أن تصل إلى الهدف مع ما يحمله ذلك من أخطاء، بينما الحقيقة بعيدة جداً عن ذلك، فمثلاً نجد أن جل كتب التاريخ الحديثة وحتى من داخل المنطقة أصبحت تتجاوز الوصف القبلي لعسير حتى عندما تشير إلى قبيلة عسير فيستعاض عنها بعبارة "أبها وما حولها" أو "طبب وما حولها"، ولكنهم يشيرون في الوقت نفسه لبقية القبائل الكبرى المجاورة بأسمائها، بل ويحرصون على الاستطراد بسرد أنسابها، وهذا خطأ.

فعسير هي قبيلة حقيقية ظلت تحتفظ بعصبيتها الخاصة وبوحدتها القبلية عبر التاريخ، فناهيك عن ذكرها في كتب الأنساب كقبيلة حقيقية، فإن وحدتها القبلية تبدو جلية من طريقة سرد الهمداني لبلادها في بداية القرن الرابع للهجرة، حيث كان ينقطع في رواية مواطن بقية قبائل إقليم جرش أثناء وصفه لها، فهذه القرية لرفيدة من عنز وتلك لجذيمة من عنز وتلك للعواسج من حمير.. وهكذا، إلى أن يصل إلى عسير فيسرد بلادها كاملة كمجموعة واحدة ثم يقول: هذه ديار عسير من عنز، أو يقول: أما ديار عسير من عنز فهي كذا وكذا... إلخ، وكرر ذلك في كتابه أكثر من مرة[١]، وذلك كان حال الأشعري الذي أفرد لها صفحة مستقلة في كتابه أورد فيها بطونها وفروعها المعروفة في وقته محدداً نسبها إلى رجل واحد اسمه عسير[٢]، كما نجد ذلك من خلال مراسلة عبدالله بن علي المؤيدي لأعيانها في القرن العاشر في بداية قراره اللجوء إلى بلاد السراة، حيث يذكر أنه عندما وصل لدرب ملوح في تهامة بدأ أولاً بمراسلة "شيوخ عسير" في السراة، مما يدل على شهرتها وأهميتها كقبيلة معروفة في تلك المرحلة، كما أنه يدل على وحدتها القبلية،

---

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد - صنعاء، ط١، ١٤١٠هـ ص٢٢٩ -٢٣١.

(٢) الأشعري، محمد بن أحمد، التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب، نادي أبها الأدبي، ١١٣-١١٧.

حيث راسلها كاملة كمنظومة واحدة ولم يكتف بمراسلة أي فروعها القريبة من موقعه، وعندما لم يجد تجاوباً منهم في احتضان دعوته توجه تحت حماية أحد شيوخها إلى ذهبان، حيث استضافه شيخها في تلك المرحلة مريع بن الحفارص، ثم في نفس الوقت الذي لم يتجاوب معه العسيريون منذ البداية واكتفوا بتوجيهه إلى ناحية أخرى، فإننا نجد أنه لم يتعامل معه أحد من أي فروع قبيلة عسير بعد ذلك أثناء وجوده في ذهبان (خميس مشيط) مجاوراً لهم، رغم إشارته لمبايعة بقية القبائل المجاورة الأخرى له كما يروي، مما يدل على وحدة قرارها وتوجهها ومذهبها الديني.

ونجد دلالة ذلك أيضاً عندما قامت الإمارة العسيرية في العصر الحديث عام ١٢١٤هـ حيث امتدت هذه الإمارة في البداية في عهد محمد بن عامر أبو نقطة على بلاد قبيلة عسير فقط، واستمر الحال كذلك حتى عام ١٢١٧هـ كما ورد لدى المؤرخين[١]، وحتى عندما توسعت حدود الإمارة العسيرية في عهد عبدالوهاب بن عامر فقد انحصر المشاركين في جيشه في قبيلة عسير (سراة وتهامة)[٢]، واستمرت كذلك فيما بين عامي ١٢١٧-١٢٢٠هـ وهذا ماورد في إحدى الوثائق العسيرية التي تدل على ذلك حيث ذكر محمد بن هادي العجيلي في أحداث غزو عبدالوهاب المتحمي والجيش العسيري تهامة ومكة عام ١٢١٨هـ ما يلي:

"ولما اجتمعت لهم الأهبة قالوا باسم الله وفي سبيل الله في مستهل شعبان يرجون تجارة لن تبور، والثمن الغالي في أعلى الجنان، واستلحق الأمير قبائل بللحمر، وبللسمر، وأهل العرضية، وأهل الساحل، والشريف حمود، والشريف منصور، وعرار، فلم يجبه أحد من القبائل إلا عسير السراة، ورجال ألمع، واستهلوا رمضان في الحسبة"[٣]

كما نجد ذلك في رسالته التي أرسلها لعبدالوهاب المتحمي لتهنئته بالنصر بعد المعركة (السعدية) حيث قال فيها:

"والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته تعم البركات، ومن دقائق هذه الفضيلة أن خص بها عسير".

وحتى بعد هذه المرحلة ورغم بدأ مشاركة قوات من بقية القبائل فقد ظلت جيوشه تتكون

---

(١) النعمي، تاريخ عسير، طبعة المثوية، ١٤١٩هـ، ص١٣٥.

(٢) العجيلي، محمد بن هادي، الظل الممدود...، تحقيق عبدالله أبو داهش، نادي أبها الادبي، الطبعة الأولى، ص٤٢.

(٣) العجيلي، محمد بن هادي بن بكري، الظل الممدود، تحقيق عبدالله أبو داهش، ص٤٢.

بشكل رئيسي من قبيلة عسير، لذا ظل يطلق على جيوشه المتحركة مسمى "عسير"، وكانت تندرج أسماء البطون العسيرية جميعاً تحت هذا المسمى فيشار إلى هذا الجيش باسم عسير، لذا لا نجد أثراً لذكر القبائل المشاركة معه من بطون عسير بما فيها رفيدة التي هو منها، كما لم يرد أنه أمير رفيدة التي ينتمي إليها في أي المصادر التاريخية، ومثلهم كان الوضع لأمراء عسير كل من سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل، فلم يرد أن أيهم أمير بني مغيد ولا حتى فيما بعدهم بل كان مسمى الإمارة منذ ولدت إمارة عسير وأميرها أمير عسير، وذلك لأن عسير كانت القبيلة التي قامت الإمارة العسيرية على عصبيتها.

ورغم توسع نفوذ الإمارة العسيرية لاحقاً، فقد ظل استخدام كلمة عسير للدلالة على قبيلة عسير وليس الإقليم، فمثلاً نجد بوركهارد الذي استوطن مكة فيما بين عامي ١٨١٢ و١٨١٧م، وسرد الأحداث التاريخية في الجزيرة العربية في تلك المرحلة يورد القبائل الواقعة فيما بين الطائف وقرب صنعاء اليمن كالتالي:

" *من الطائف بمحاذاة الجبال جنوباً*

بني سعد: *يقول عنهم المسعودي في مؤلفه "مروج الذهب": كما يقول عن عرب قحطان.. أنهم بقايا القبائل العربية ومعظم القبائل الأخرى حول مكة المكرمة والطائف والمدينة المنورة معروفة جيداً في التاريخ العربي منذ دعوة الإسلام وسبقت القبائل الأخرى مثل هذيل، قريش، ثقيف، فهم، مزينة، حرب، محمد، ولكن قبيلتي سعد وقحطان معروفتان في التاريخ الموغل في القدم، حيث يغطي الغموض الجزء الأكبر من التاريخ العربي.*

ناضرة، مالك، غامد، زهران، *تستطيع القبائل الثلاثة الأخيرة أن تجمع ما بين خمسمائة وألف رجل مسلح، أما زهران فيمكن لها أن تجمع ألف وخمسمائة.*

شمران: *قبيلة قوية تمتد في السهول الشرقية والغربية توجد أيضاً العسابلي، ابن الأحمر، ابن الأسمر، بني شهر.*

عسير: *تشكل قبيلة قوية محاربة وأكثر عدداً في تلك الجبال وتمارس نفوذاً هاماً على كل جيرانها. يمكن أن يجمعوا ١٥ ألف رجل مسلح بالبنادق.*

وهناك قبائل ***عبيدة، سنحان، وادعة****(قبيلة قوية)،* ***صحار، باقم.***

وهنا تبدأ أراضي إمام صنعاء..."[(١)]

---

(١) بوركهارد، جون لويس، البدو الوهابيين، ترجمة محمد الأسيوطي، دار سويدان - بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص١٨١.

وتقسيمه هنا تفصيلي ودقيق إلى حد ما فقد أورد كما نرى فيه قبائل المنطقة متتالية من الشمال إلى الجنوب وذكر عسير كواحدة من هذه القبائل وفي نفس موقعها الجغرافي المعروف بعد رجال الحجر (بللحمر وبللسمر وبني شهر) وقبل عبيدة في اتجاه الجنوب، مما يؤكد على أن مفهوم كلمة عسير حتى تلك المرحلة لم يتجاوز حدود مفهوم القبيلة المعروفة باسم عسير والواقعة حوالي مدينة أبها، وربما دخلت (رفيدة قحطان) المجاورة لها فقط في هذا المفهوم حيث لم يوردها بوركهاردت، أو ربما كان الإلتباس بسبب وجود رفيدة عسير التي منها آل المتحمي هو ما جعله يظن رفيدة جزءاً من عسير.

وحتى في المراحل اللاحقة وخاصةً بعد أن استقرت الأوضاع للإمارة العسيرية وثبتت أقدامها محلياً وأصبحت جميع قبائل المنطقة ما بين شمالي بلاد زهران إلى ظهران الجنوب ومابين شرقي بيشة إلى البحر الأحمر تشارك في غزوات هذه الإمارة، كما حدث عام ١٢٤٩هـ عندما غزا علي بن مجثل سواحل اليمن[١]، إلا أن مسمى "عسير" محلياً ظل يدل على القبيلة المعروفة، فقد جاء في نقل تاميزيه ما يفيد أن قادة الحملة العثمانية عام ١٢٤٩هـ ومشايخ القبائل المحلية الذين يتحدثون إليهم كانوا يشيرون إلى عسير للدلالة على قبيلة عسير ذاتها أثناء حديثهم عن العدو المقابل للحملة[٢]، وحتى أفراد الحملة بما فيهم تاميزيه نفسه كانوا مستوعبين لذلك، ونجد ذلك مثلاً في تعليقه على ما فعله الجنود عندما وصلوا لأول بلاد قبيلة عسير في جهة الشرق على وادي أبها حيث قال:

"أثناء إنحدارنا من أبها (يقصد وادي ابها) شاهدت أربع قرى، ووجدنا أنفسنا بعد البلاد الجافة في بلاد غنية وآهلة بالسكان، إنه لأمر مثير للدهشة حقاً.

كانت هذه القرى خالية من سكانها فاجتاحها الجنود وأخذوا كل ما بها وبعد طول العناء ترى المصريين - وهم في غاية السعادة - يأكلون من الفواكه الجميلة مثل الخوخ والدراق والعنب وجميعها من نوع ممتاز، حتى الخيول والجمال اخذت نصيبها من الوليمة تعبيراً عن موقفها المعادي للعسيريين"[٣]

ثم جاءت بعد وفاة الأمير علي بن مجثل واضطراب وضع السلطة، ودخولها على خط في محاولة استثمار العصبيات العشائرية لمقاومة الرفض القبلي المحلي.

---

(١) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، تحقيق محمد آل زلفة، ط١، ١٤١٤هـ ص٢١٩.

(٢) تاميزيه، المصدر السابق، ص٤١، ١٣٣، ٥١، ٢٩٤، ٣٠١، ٣١٨.

(٣) تاميزيه، المصدر السابق، ص٣٢٩.

ولم يكن الحديث عن الأنساب القديمة في عسير وربطها بالجذم أو الأرومة أو القبيلة الأم في المراحل الأولى قد أخذ بعداً في النقاش على المستوى الشعبي، وكان هذا هو حال كل قبائل المنطقة، بل وكل الجزيرة العربية في تلك المرحلة ما عدا ما كان يتداوله رجال العلم الشرعي من آراء حول الإشارات التي يجدونها في بعض كتب السيرة، والذي قد يتسرب منهم إلى العامة عن تقسيم القبائل وارتباطها بالأجذام العربية القديمة، وربما حاولوا تدوين رأيهم بناءً على ما وجدوه من ذكر لأي القبائل وما ورد عن نسبها القديم فيما توفر بين أيديهم من كتب، وقد اختلف أهل العلم في تلك المرحلة حول نسب قبيلة عسير، فقد ذهب عبدالرحمن الحفظي إلى أنها عدنانية[١] دون تفصيل، وذهب الحسن عاكش إلى أن عسير من عك بن عدنان[٢]، بينما ربط علي بن الحسين الحفظي بين عسير وقبائل شنوءة الأزدية[٣]، وهذا الاختلاف يدل على وجود إجماع متواتر لدى الناس حول وجود قبيلة عسير، فلم يخرج أحد منهم عن المفهوم العام لدى الجميع من أن عسير هي قبيلة واحدة وليست تحالفاً قبلياً أو إسماً لكافة الإقليم، إلا أن علي بن حسن الحفظي وثق رأيه من خلال قصيدة مشهورة أرسلها إلى ابن سعود في الرياض، فرد عليه ابن مشرف وأعاد ترديد ما ورد فيها من رأي حول نسب عسير، فشاع خبر هذا النسب في عسير ونجد واستشهد بها الكثير بعده على انتساب قبيلة عسير إلى الأزد[٤].

بينما نجد أنها راجت مفاهيم مختلفة حول العلاقات بين بطون عسير خلال مرحلة النصف الثاني من القرن الثالث عشر للهجرة، وهي مقولات عندما نتمعن فيها نجد أنها تستند إما إلى ما يرشح عن الآراء الشخصية لأهل العلم أو ما يشيعه أهل السلطة، وليست أخباراً متواترة، فمثلاً

---

(١) الحفظي، عبدالرحمن، تاريخ عسير، مخطوط، انظر: النعمي، تاريخ عسير، طبعة الدارة، ١٤١٩هـ، ص١٦.

(٢) الضمدي، الحسن بن احمد عاكش، قمع المتحري في نسب الشيخ بكري، مخطوط، انظر هاشم النعمي، تاريخ عسير، طبعة الدارة، ١٤١٩هـ، ص١٧.

(٣) علي بن الحسين الحفظي، قصيدة طويلة مطلعها:

يا أم عبد مالك والتشرد ومسراك في الليل الطويل لتبعد

إلى أن يقول:

وفيها ليوث الأزد من كل شيعة يصالون نار الحرب حزنا لمفسد

ويا لك من أيام نصر تتابعت بها من شواظ الحرب ذات التوقد

انظر: رفيع، في ربوع عسير، ١٣٧٣هـ، ص٥١.

(٤) - رفيع، في ربوع عسير، دار العهد الجديد للطباعة - القاهرة، ١٣٧٣هـ، ص٥١.

- ابن سحمان، سليمان، في تعليقه على كتاب "تاريخ نجد" لمحمود شكري الألوسي، تحقيق محمد بهجة الأثري، دار الثقافة الدينية، ص١٢٧.

نجد فيما نقله سليمان بن سحمان الذي ولد وترعرع في السقا موطن والدته وحيث كان يقطن مع والده حتى بلغ سن شبابه وعاصر آخر أيام عايض بن مرعي وفترة حكم ابنه محمد ما يشي ببعض هذه المقولات في تلك المرحلة، حيث ذكر بأن قبيلة "بني مالك" تنتمي إلى "بني مغيد" والتي اعتبرها كل عسير السراة[1]، ولعلنا نستشف من ذلك ما كان يروج في السقا حيث مركز السلطة في عهد عايض بن مرعي ثم ابنه محمد من محاولة اختزال العصبية العسيرية في قبائل معينة دون أخرى بما يحقق المصلحة، فبني مالك وبني مغيد تحيطان بمدينة أبها حيث مركز الحكم، وأيضاً فقد ظهر في تلك المرحلة كتاب الحسن عاكش المقرب من السلطة والموسوم بـ "قمع المتحري في نسب الشيخ بكري" والذي شرح خلاله رأيه في نسب قبيلة عسير فأورد مقاربة مقبولة بين قبيلة "مغيد" و"المغير" بن أسلم بن عليان بن عسير وساق أخرى بين قبيلة "علكم" و"سهم" بن أسلم بن عليان بن عسير وبين قبيلة رفيدة و"رفايا " بن سبيعة بن عسير وبين قبيلة بني مالك و"مالك بن عبس" وبين قبيلة ربيعة و"ربيعة بن عبس"، وعلى الجانب الآخر فعلي بن الحسين الحفظي في قصيدته التي أشرنا لها كان قد تحاشى ذكر عسير ورأى بدلاً من ذلك الإشارة إلى شنوءة الأزد عطفاً على أن الأزد هي القبيلة الوحيدة التي ذكرت في كتب السيرة فوق جبال السروات وعلى وجود ذكر لقبيلة ألمع والتي هي إحدى فروع عسير حسب المتعارف عليه كإحدى قبائل شنوءة في كتب السيرة ومن ثم فإن عسير التي تعد ألمع الأزدية إحدى بطونها يمكن استبدال الإشارة لها بالإشارة لشنوءة الأزدية، ولكننا نجد بعد ذلك أن ما أورده عاكش عن نسب عسير من مقاربة ربط فيها قبيلتي مغيد وعلكم اللتان تحيطان بالمركز "السقا" بـ "أسلم" استقبل في الذاكرة الشعبية بشكل جيد، بينما أهملت بقية الصلات التي أوردها، والتي جمع فيها رفيدة معهم في النسب إلى عسير، وتم لاحقاً الجمع بين بعض الصلات لدى عاكش وبين ما ورد في قصيدة علي الحفظي ونتج عنها مع الوقت أفكار جديدة تدعم مصلحة السلطة، فأصبحت بني مغيد وعلكم تنتميان لرجل اسمه أسلم ولكنه ليس أسلم العسيري العكي (ابن عم رفيدة) الذي أورده عاكش نقلاً عن الأشعري، بل آخر من الأزد التي أرجع الحفظي عسير إليها، ثم في المرحلة اللاحقة وصلت بها المصادر الجديدة إلى "أسلم" والد "ثمالة" الذي ينتمي مع ألمع ومالك بن النصر بن الأزد الذي نسبت له بني مالك إلى شنوءة التي أشار لها علي الحفظي، بينما ربيعة ورفيدة لا تنتمي إلى شنوءة بل إلى عمرو بن عامر، ومن هنا نرى تكون تكتل قبلي جديد يحمل عصبية جديدة ذات تدرج جغرافي معقول حول مقر السلطة بدلاً من العصبية العسيرية، وهو ما يعزل الطامحين في ربيعة ورفيدة عن الاستفادة من العصبية العسيرية.

---

(١) الألوسي، تاريخ نجد، تتمة تاريخ نجد (سليمان بن سحمان)، مكتبة الثقافة الدينية، ص١٢٥.

وقد نجد في بعض الأحداث أثناء وجود عايض بن مرعي على رأس السلطة ما يؤكد أثر هذه العصبية القبلية الشاملة في الحد من نفوذه محلياً ومن قدرته على مواجهة خصومه المحليين، وحاجته إلى تلافي أثر هذه العصبية، ومن ذلك عندما أنف بعض العسيريين من أن يقبض عايض بن مرعي على طامي المتحمي العسيري مع ما لأسرته من مكانة في عسير، فمنعوه من هذا الإجراء بالقوة وطردوا رجاله ثم وفروا لطامي الحماية حتى وصل بيته[1]، غير مكترثين بالسلطة، رغم أنهم كانوا ضمن الجيش العسيري المدافع عن عسير ضد الحملة العثمانية، ومن ذلك أيضاً مشاركة بعض المتعصبين العسيريين من قبائل عسير السراة في الحملة الموجهة إلى عسير بهدف إبعاده عن السلطة[2]، وهو ما يؤيد ما ذهبنا إليه من رأي حول وجود ردة فعل من قبل السلطة لتلافي هذه العصبية التي يستفيد منها خصومها.

وبعد أن دالت الدولة العثمانية عام ١٢٨٨هـ فقد حولت عسير إلى متصرفية وأطلقت على كامل الإقليم اسم "عسير".

ورغم أن مسمى عسير أصبح يشير إلى منطقة واسعة من البلاد بشكل رسمي، خاصة في عهد دولة العثمانية وما بعده، ورغم ما كتب من أخطاء بخصوص أصل المسمى، وظهور الكثير من الكتب في عسير وغيرها التي تنفي الوجود القبلي لقبيلة عسير وتحيل المسمى إلى اسم شامل، إلا أن المسمى ظل محلياً وحتى هذه اللحظة يشير بالإضافة لذلك إلى قبيلة واحدة تسكن في المناطق التي كانت تقيم بها هذه القبيلة منذ القدم حوالي مدينة أبها وما يليها من تهامة حتى البحر الأحمر، ولكن ذلك على مستوى العامة أما المؤرخون خارج المنطقة والبعض من داخلها فالكثير منهم لا يذكرها كقبيلة، ويستخدمون مسميات أخرى للدلالة على قبيلة عسير كقولهم "أبها وما حولها" أو "طبب وما حولها"، ولعل ذلك لتعارض المسمى القبلي مع المسمى الإقليمي في سياق السرد، وقد بدأت الذاكرة الشعبية في المنطقة تبدي تجاوباً مع هذا الاتجاه بعد أن تحمست لتكريسه بشكل تاريخي مجموعة إمتاع السامر، وتنبر له بعض المحسوبين على الواجهة القبلية في عسير، وهو ما قد يفقد المنطقة جزءاً مهماً من تاريخها، بالإضافة إلى أنه سيؤدي إلى الإخلال بالتوازنات الموروثة بطريقة غير عادلة، لذا فلا بد من تدوين الحقيقة، قبل أن يتفاقم أثر التزوير في المجتمع ويؤثر على علاقته ببعضه لتحقيق غاية شخص أو مجموعة على حساب الحقيقة.

---

(١) تاميزيه، المصدر السابق، ص٢٦٦.

(٢) عسيري، عسير دراسة تاريخية، ص٢٣٨، ٢٣٩، وقد استند الكاتب في ذلك إلى وثيقة رقم ١٢ محفظة ٢٦٦ عابدين تركي، دار الوثائق القومية بالقاهرة، من أحمد باشا بشأن وفود قبائل عسير.

وهنا سنورد بعض الإشارات التاريخية التي تدل على وجود هذه القبيلة كما هي الآن وفي نفس موقعها عبر التاريخ ونتطرق إلى المستفيض حولها.

٥- ديار قبيلة عسير ومساكنها

تقطن قبيلة عسير في جنوب الوسط للجزء الغربي من الجزيرة العربية يحدها شمالاً (من الغرب إلى الشرق) محافظة القنفذة من جهة الساحل ثم بني شهر ثم بارق ثم باللسمر ثم بللحمر، ويحدها من الجنوب (من الغرب للشرق) مدينة بيش من جهة الساحل ثم قبائل الريث ثم قحطان ثم شهران، ومن الشرق يحدها تخوم بلاد شهران ورفيده مابين المسقي حتى وادي بن هشبل ويحدها البحر الأحمر غرباً، ولها جزء سروي وهو الواقع حوالي مدينة أبها ويمتد مابين وادي عبل شمالاً إلى القرعاء جنوباً ومن وادي بيشة شرقاً إلى مشارف سهول تهامة غرباً، ولها جزء تهامي وهو الممتد من جبال السروات وحتى البحر الأحمر ما بين حلي وبيش.

وقد عرفت عسير قديماً كإحدى بطون عنز بن وائل التي تسكن السراة مع وجود محدود لها في تهامة، يدل على ذلك قول الهمداني في صفة جزيرة العرب:

"فأوطان عسير إلى رأس تيّة وهي عقبة من أشراف تهامة وهي أبها وبها قبر ذي القرنين فيما يقال عثر عليه على رأس ثلاثمئة من تاريخ الهجرة والدّارة والفتيحا واللصبة والملحة وطبب وأتانة وعبل والمغوث وجرشة والحدبة هذه أودية عسير كلها"

إلى أن قال:

"والدّارة وأبها والحللة والفتيحا فحمرة وطبب فاتانة والمغوث فجرشة بالإيداع أوطان عسير من عنز وتسمى هذه أرض طود وأما أغوارها إلى ناحية أم جحدم فالذيبة والسّاقة لبني جابرة من شبية ورأس العقبة لبني النّعمان وهي عقبة ضلع ومن جرش إلى رأس العقبة ثم إلى أسفل عقبة ضلع ثم إلى ياسبين ثم إلى سبتين ثم إلى عفرانين وإلى القوائم ثم إلى أم جحدم" (١)

وكما نرى فإن الهمداني في بداية القرن الرابع قد وصف بلاد عسير السراة بدقة وأورد جميع أوديتها وقراها الكبرى موزعة في بلاد بني مالك وبني مغيد وعلكم وربيعة ورفيدة، ولكنه كان

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب تحقيق محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد - صنعاء، ط١ ١٤١٠هـ ص٢٣٠، ٢٣١.

على غير ذلك بالنسبة لبلاد عسير في تهامة حيث أشار لها إشارة عامة مع ذكر بعض المواقع جلها من بلاد بني مغيد وبني شعبه وبني زيد في تهامة مما يدل على أنه كتب عنها أثناء وجوده في السراة، ولم يشر مطلقاً إلى بقية بلاد عسير في تهامة خاصةً الجبلية منها واكتفى بإشارة طفيفة إلى سكان الساحل عند نهاية وادي ريم وعرمرم وحلي عند مروره بتهامة.

ثم جاء بعده الأشعري وذكر عسير ولكنه وعلى عكس الهمداني أسهب في ذكر بطونها وفروعها التهامية التي لا زالت تسكن في الجهة التهامية من بلاد عسير حتى الآن، وقد أشار إلى أن أحد هذه البطون استوطن ضمد.

وهنا نجد أن أوطان عسير التي أوردها الهمداني في السراة لا زالت كما هي تقريباً في السراة، حيث تقع "حمرة" في بلاد علكم، وتقع "طبب" و"المغوث" في رفيدة وربيعة، وتقع "أبها" في بلاد بني مغيد، وتقع "الدارة"، والحدبة (مسلت)، وجرشا، والملاحة، والفتيحا، واللصبة، في بلاد بني مالك، بينما في تهامة ذكر أنها كانت تمتد حتى القوائم، وهما في أسفل الدرب بقرب البحر الأحمر، ولكنه لم يفصل في بطونها التهامية، رغم أنه وصف عثر وضمد ووادي بيش وريم وعرمرم في مواقع أخرى من كتابه، بينما نجد الأشعري المتوفى في منتصف القرن السادس يشير إلى فروعها التهامية والتي لا زالت تقيم فيما بين بيش وحلي بتفصيل أكبر، ويشير إلى استيطان أحد فروعها في وادي ضمد، وهذا ربما يدل على حدوث نشاط لها في منطقة تهامة أدى لتواجد عددي كبير على امتداد القرن الرابع والخامس والسادس للهجرة، ويبدو ذلك أكثر من خلال ذكر ابن خلدون في كتاب "التاريخ" لقبيلة عسير في معرض حديثه عن تاريخ الدولة المهدية والزيادية في اليمن حيث قال :

" المهجم من أعمال زبيد على ثلاثة مراحل عليها وعربها من العسيرة من حكم وجعفر قبيلتين منهم. ويجلب منها الزنجبيل"(١)

لكننا للأسف لم نجد أي إشارة إلى قبيلة العسيرة أو ما يشابهها في النسخة المحققة حديثاً لكتاب "المفيد في أخبار صنعاء وزبيد"، وهو الكتاب الذي نقل عنه ابن خلدون كل حديثه عن اليمن بما فيه إشارته إلى اسم "العسيرة" والذي يبدو أنه تصحيف لاسم عسير، فاسم عسير يرد دائماً مصحفاً بحيث يضاف له غالباً أل التعريف حتى في المؤلفات الحديثة كما فعل الجبرتي وبوركهارت والشوكاني، وقد يضاف له الهاء في آخره أيضاً كما فعل ابن خلدون هنا.

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ج٤ / ص٢٨٢.

كما أن بوركهاردت في بداية القرن الثالث عشر أشار إلى أن موطنها يقع فيما بين قبيلة بللحمر وعبيدة[1].

ومن كل ما سبق نجد أن قبيلة عسير عرفت بسكناها في موقعها الحالي منذ القدم، حيث تقيم في السراة حوالي وادي أبها ووادي أتانة ووادي طبب ووادي جرشا ووادي حمرة (عشران)، وامتداد هذه الأودية وما بينها حتى وادي بيشة، وفي تهامة تقيم فيما بين وادي حلي ووادي بيش حتى البحر الأحمر، كما هي حتى وقتنا الحالي في الجهتين.

٦- عسير بين كتب الأنساب

النسب القديم يظل أمر ظني دائماً لا يمكن القطع بصحة ما ورد فيه من تسلسل قديم، إلا أننا يمكن أن نستشف من التواتر لدى المؤرخين وأسماء الرجال والمقاربات بين الأسماء والأحداث التاريخية ما يمكّننا من معرفة المستفيض والمتعارف عليه عن نسب قبيلة ما في العهود القديمة والاعتماد عليه في تحقيق النسب، ومن ثم استجلاء المزيد من المعرفة عن التاريخ وأحداثه ورجاله، فالمستفيض من النسب سيقودنا إلى معرفة الكثير حول الأرض وسكانها وإن لم يكن من الممكن الركون إليه للوصول إلى اليقين الكامل بصحة تسلسل النسب.

وعندما نحقق في الأنساب فإن المصادر التي يمكن أن نستقي منها النسب يجب أن تكون من كتب الأنساب القديمة والتي كتبت فيما قبل العصر الحديث حيث كان الناس أقرب إلى معرفة أصولهم أو معرفة المتواتر عن نسبهم لديهم ولدى الآخرين والذي بنى عليه المؤرخون حديثهم عن أنساب الرجال والقبائل، حيث الأنساب كانت من أهم العلوم التي يهتم بها العرب في تلك المرحلة، والمصدر الآخر المقبول هو الشعر العربي القديم والإشارات التاريخية إلى رجال القبيلة، وربما كان المصدر الأخير أوثق في بعض الحالات، وبالذات عندما نجد أن الأبيات وردت بشكل عفوي لا يحمل على تحيز الكاتب، خاصةً عندما نخشى من تعصب المؤرخين وتأثير تحيزهم في هذا الخصوص كما رأينا في الحديث عن قضاعة أو بني أنمار اللتان أحالهما النسابة حسب ميول كل منهم، وعند تعذر الحصول على هذه المصادر فإن هنالك مصدر آخر وهو البحث في بطون القبائل المتشابهة في المسمى أو المتقاربة مع بعضها فإذا وجدنا البطون متشابهة في قبيلتين بشكل يجعلنا نستبعد عامل الصدفة، فإننا يمكن أن نستند إلى ذلك في اعتبار أي منهما هي الأم للأخرى

---

(١) بوركهارد، البدو الوهابيين، ترجمة محمد الأسيوطي، دار سويدان - بيروت، الطبعة الأولى عام ١٩٩٥م، ص١٨١.

أو أنهما قبيلة واحدة ومن ثم يمكن استنتاج النسب الصحيح بدراسة ما يرد لدى الفرعين من أسماء وأخبار ومن ثم الاجتهاد والمقاربة مع ما في الكتب القديمة من أخبار وأنساب وشعر بطريقة منطقيه، أما غير ذلك فلا يمكننا أن نركن إلى مؤرخ في العصر الحديث يقوم بتركيب أنساب لم نجد لها أي أثر في كتب التاريخ والأنساب ولا في أي مصدر، ثم نعتبر ما قاله هو الحقيقة لمجرد رغبتنا في ذلك، لأننا حتى وإن أصررنا على ذلك فإن الآخرين لن يصدقوا ما قلناه وإن صدقونا الآن فإن الحقيقة ستنكشف غداً بعد أن تكون قد أوقعت أثرها على المجتمع، ونكون قد بنينا عليها جبالاً من الأساطير التي ستكون مخجلة لنا حينها، فكل ما نفعله في حالة استمرارنا على هذا النهج هو أننا سنقطع صلتنا ولو مؤقتاً بالأصول المعروفة في كتب النسب وبتاريخ المنطقة ورجالها، فيما لن يقر لنا الآخرون بالأنساب الجديدة التي اخترناها رغبة لا حقيقةً، فالمصادر القديمة ستظل هي المتكأ في علم الأنساب، لأن هذه المصادر تحدد المستفيض حول النسب خلال المراحل الأقدم، وهو الأهم في التعويل في هذا الخصوص.

فعسير هي قبيلة معروفة ورد ذكرها باسمها في موقعها الحالي منذ أكثر من ١٢٥٠عام وهذا توثيق نادر وجوده لغيرها من القبائل الحالية، ولها ذكر في كتب الأنساب الأولى وعرفت في بداية بروزها ونشاطها السياسي في العصر الحديث كقبيلة قبل أن تعرف كمنطقة مما يدل على أنها قبيلة حقيقية معروفة منذ القدم باسمها الحالي، ولم نجد أي قول لأي مؤرخ من قدماء النسابة المعروفين يذكر أنها حلف أو اسم جبال أو مدينه كما أورد البعض، بل لقد ذكرت عسير ونسبت إلى جدها الأعلى (عسير) وإن خالف بعض النسابة الجمهور حول نسبها إلا أنهم أجمعوا على أنها قبيلة حقيقية تنتمي إلى رجل واحد اسمه عسير، كحال غيرها من القبائل التي تحمل اسم جدها الأعلى، وإن يكن مما لا شك فيه أن هنالك الكثير من البطون التي حالفتها ودخلت فيها من الأزد أو من غيرها، كما أن هنالك الكثير من الأسر التي انتقلت خلال القرنين الماضيين إلى بلاد عسير وخاصةً خلال فترة الحكم العثماني ما بين ١٢٨٩-١٣٣٦هـ إثر التخلخل السكاني الذي وقع بها نتيجة الحروب المتكررة مع الدولة العثمانية ومع والي مصر / محمد علي باشا، وبالمثل فإن بطون منها قد رحلت ودخلت في القبائل المجاورة وأصبحت تعد جزءاً منها، ولكن لا زالت عسير تسكن بمعظمها في مواقعها حيث ذكرها المؤرخون في الجزيرة العربية.

وفي العصر الحديث ورد الكثير حول نسب هذه القبيلة وأخذ كل يشرق أو يغرب بنسبها، ولكن الأكثر أثراً هو ما ورد من إشارات إلى أن عسير ليست قبيلة حقيقية، بل هو اسم لجبل أو اسم لحلف قبلي أو غير ذلك، فقد وجد هذا الرأي دعماً قوياً من مصادر إمتاع السامر ومن بعض الجهات المحلية، ولكنني لم أجد ما يدعم هذا التوجه في المصادر التاريخية، فمن الواضح أن

هنالك سوء فهم طرأ على بعض المؤرخين بعد اشتهار مسمى عسير والتباس فهمه عليهم نتيجة للجهل بالواقع، واختلاط المسمى القبلي بالمسمى السياسي الذي حملته الإمارة العسيرية.

ولا شك أن علاقة السلطة بالقبائل المحلية في فترة ما بعد عام ١٢٤٩هـ كان لها الدور الأكبر محلياً في تكوين مثل هذا اللبس، فقد كان لمرحلة النزاع حول شرعية السلطة أثره الكبير في محاولة إعادة رسم التحالفات المحلية على أساس قبلي، ومحاولة عزل بعض القبائل المحلية عن البقية، كما يلاحظ تداخل الأحداث السياسية مع الذاكرة الشعبية حول الأصول القبلية للقبائل المحلية، فقد ظهرت في هذه المرحلة إشارات تدل على ما حملته الذاكرة الشعبية من تشويه حول علاقات القبائل المحلية مما يشي بحجم المماحكات التي كانت تدار من قبل السلطة لإنشاء تكتل خاص بها أمام المناوئين لها.

فعسير القبيلة ذكرت في القرن الثاني للهجرة على يد النسابة الأول في الإسلام محمد بن السائب الكلبي المتوفي عام ١٥٧هـ الذي نقل عنه ابنه المتوفي عام ٢٠٤هـ هشام بن محمد بن السائب الكلبي أول من دون في الأنساب نسب عسير في كتابيه جمهرة النسب وأنساب معد واليمن فقال في الجمهرة:

"وولد عنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة : رفيدة وأراشة فولد أراشة : قناناً وعسيراً وجندلة فولد عسير : مالكاً وتيماً فولد مالك غنماً وولد تيم : سلمة وزهيراً وعمراً وولد رفيدة بن عنز : عبدالله وعامراً وربيعة ومعاوية وعمراً وحماراً فولد عمرو : شقيقاً وسلمة وتميماً وعبدالله وولد ربيعة بن رفيدة : مالكاً فولد مالك جذيمة وسلامان وتولباً فولد سلامان: حجراً منهم عامر بن ربيعة بن مالك بن حجر شهد بدراً مع النبي ﷺ وهو حليف الخطاب بن نفيل وولد عامر بن رفيدة : عبدالله وأياساً ووهباً." [١]

ولا تزال جل أسماء البطون التي ذكرها هنا وفي كتاب "صفة جزيرة العرب" تحملها قبائل حاليه موجودة في عسير ورفيدة والشعف مثل عسير، رفيدة، جندلة، ربيعه، مالك، زهير، تميم، عبدالله، غنم، شعف أراش، نعمان، عضاضة، وقشة، وهب، آل عامر، شقيق، إلا أنه لا شك أن هنالك الكثير من الأسماء قد صحفت أو استبدلت بأسماء جديدة ربما لأجداد وفروع أقرب من الذين ذكروا وهذا أمر شائع في كل القبائل العربية بل هو الغالب حيث يندر أن تجد قبيلة لا

---

(١) الفدعاني، أصدق الدلائل في أنساب بني وائل، ١١٧.

زالت بطونها بنفس أسماءها القديمة جميعاً مثل شمر (طي)، ومطير (غطفان)، وعتيبة (هوازن)، وبني مالك (بجيلة).. وغيرها، حيث استبدل اسم الأصل باسم الفرع فساد على كل القبيلة أو ربما كانت هذه القبائل موجودة ولكنها كانت فروعاً صغيرة حينها.

ومما يجدر ذكره هنا أنه لا محمد بن السائب ولا ابنه هشام قد زار عسير ولكنه كان يأخذ النسب عن نسابة كل قبيلة ولا شك أنه قد أخذ نسب ربيعة من نسابة ربيعة في العراق حيث كان يقطن، وهذا دليل أن عنز ومنها عسير ثابتة النسب في ربيعه ومعروفة بذلك عند كل ربيعه منذ الجاهلية حتى خارج الجزيرة العربية.

كما جاء في أنساب معد واليمن الكبير:

"وهؤلاء بنو عنز بن وائل، وولد عنز بن وائل: رفيدة، وإراشة، فولد إراشة بن عنز: قتانا، وعشيرا، وجندلة، فولد عشير بن إراشة: مالكا، فولد مالك بن عشير: غنم، وولد تيم بن عشير: زهيرا، وسلمة، وعمرا، وولد رفيدة بن عنز: عبد الله، وعمرا، وربيعة ومعاوية، وعمرا، وحمارا، فولد عمرو بن رفيدة: شقيقا، وسلمة، وغنما، وعبد الله، وولد ربيعة بن رفيدة: مالكا، وولد مالك بن ربيعة: جذيمة، وسلامان، وتولب، فولد سلامان بن مالك: حجرا، منهم: عمر بن ربيعة بن مالك بن عامر بن ربيعة، شهد بدرا مع النبي (وهو حليف الخطاب بن نفيل أبي عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله بن عامر، ولد في زمن النبي)، منهم: مالك بن زيد بن الحارث بن خديج بن إياس بن ذهل بن سعد بن غنم بن مالك بن عشير بن إراشة بن عنز، حليف الأزد بمصر، وولد عامر بن رفيدة: عبد الله، وإياسا، ووهبا، هؤلاء بنو عنز بن وائل"[١]

ومن الواضح أن اسم عسير قد ورد مصحفاً هنا فأبدلت السين شيناً ربما بسبب اعتماد التشكيل الكامل في النسخ مما خلط بين حركات التشكيل والنقط فأضيفت النقط مع الوقت، أو ربما بسبب التلف في النسخة الوحيدة الموجودة من المخطوطة مما أشكل معه التحقق من صحة الكلمة، حيث تعتبر مخطوطة أنساب معد واليمن المتبقية والموجودة في الإسكوريال من أكثر المخطوطات تعرضاً للتحريف جراء أخطاء النقل وعوامل الزمن كما يقول محقق الكتاب عنها مما أدى إلى تراجع أحد المستشرقين عن النقل منها بعد أن شاهد حالها[٢]، وإلا فالأمر واضح أن

---

(١) الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، الجزء الأول، تحقيق د. ناجي حسن، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، ج١/ ص٩٤، ٩٥.

(٢) الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ص١٢.

عسير هنا هي نفسها عسير المعنية في الجمهرة لنفس المؤلف، وهي نفسها المعنية في كتاب الإكليل لدى الهمداني كما سيأتي معنا، فالقبائل والتسلسل هو نفسه تقريباً في كل هذه المصادر، وهو مطابق لما فوق الأرض حالياً، ولما أورده الهمداني أيضاً في كتاب "صفة جزيرة العرب" عندما وقف على بلاد عسير ووصف بلادها وقراها وأوديتها كما هي حتى الآن، وجزء من الأسماء المذكورة هنا لا زالت معروفة حالياً كبطون لعدد من قبائل عسير ورفيدة والشعف.

كما أن اسم ونسب قبيلة عسير قد ورد في كتاب الإكليل للحسن بن أحمد الهمداني المتوفى في النصف الأول من القرن الرابع كما يلي:

"فأولد عنز بن وائل رفيدة وأراشة فأولد رفيدة ربيعة ومعاوية وعامراً وعبد الله وعمراً وحماراً فأولد ربيعة مالكاً فأولد مالك حريمة وتولباً وسلمان فأولد عامر بن رفيدة عبد الله ووهباً وإياساً فأولد عمر بن رفيدة سلمة وشقيقاً وتيماً وعبد الله فأولد أراشة بن عنز بن وائل عسيراً وقناناً وجندلة فأولد عسير مالكاً وتيماً فأولد تيم زهيراً وسلمة ومنهم بنو شيبة وعضاضة وبنو اللقاح"[1]

وهنا نجد أن عسير عند الهمداني هي نفسها التي وردت في كتاب ابن السائب الكلبي وبنفس تسلسل النسب تقريباً رغم أن الهمداني لم ينقل عن ابن السائب الكلبي بل نقل عن أحد نسابة جنب ممن يجاور عسير في السكن، وهذا دليل على أن نسب عسير إلى عنز كان هو السائد والمتواتر بين الناس وبشكل واضح جلي بما فيهم أهل عسير أنفسهم ومجاوريهم وغيرهم داخل وخارج الجزيرة العربية.

إلا أن الهمداني قد ناقض ذلك عندما شكك في صحة انتساب عسير إلى عنز عندما قال عبارته المقتضبة في صفة جزيرة العرب:

وعسير يمانية تنزرت ودخلت في عنز.

ولكنه أعاد الإشارة إلى أنها من عنز في نفس الكتاب عدة مرات بينما لم يورد صحة نسبها اليمني كما كان يفترض منه، خاصةً وأنه أورد تسلسل نسب عسير صلبية إلى عنز بن وائل في كتاب الإكليل، وهذا ما يجعل تشكيكه هنا عديم المعنى، خاصةً وقد عرف بعصبيته اليمنية، فقد كان ما أورده في الإكليل نقلاً عن أحد نسابة جنب المجاورين لعسير مصداقاً لما جاء عند ابن

---

(١) الهمداني، الإكليل، تحقيق محمد الأكوع، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٨٣هـ، ج١ / ص٢٩٢، ٢٩٣.

الكلبي في العراق قبله بحوالي قرنين ومصداقاً لما ورد في أنساب الرجال الذين نسبوا إليها مثل الصحابي / عامر بن ربيعه ﷺ والشاعر / ثابت بن عبدالملك العريجي، ولو كان لعسير نسب يمني معروف لدى الهمداني لأورده، بل لعل في قوله "دخلت في عنز" ما يدلنا على المستفيض حول نسب عسير إلى عنز عند العسيريين والمجاورين لهم في حينه.

كما ذكر عسير أبو الحسن الأشعري القرطبي المتوفي عام ٥٥٠هـ في كتابه (التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب) ونسبها إلى عك بن عدنان حيث جاء فيه:

"(فصل) وأما عسير بن عبس

وإنما سمى عسيرا لأن أمه تمخضت به ثلاثة أيام وتعسر ولادته فسمى عسيرا فأولد عسير الحرث وعليان وعبيدا، فأولد الحرث كعبا وهرنكة وناعما وهازما وهم هزمة الساري من ساجد حسين بنو الحرث بن عسير، ومن ولد كعب حجر والجب، ومن ولد هرنكة عبلة وعباد وعيد، وأما عبيد بن عسير فأولد طيفه والجرد الأكبر، وأما عليان وثوبان بنو شهر بن عسير فأولد سبيعة والباري وأسلم وزيدا فمن ولد أسلم سهم والمغير وثوبان بنو سهم بن أسلم بن عليان بن عسير، وأما سبيعة بن عليان فأولد الجرد الأصغر وجوادم وشهرا الأصغر وزيدا ورفايا وساداتهم بنو الجرد منهم عيسى بن الغلب سيد عك في زمانه، ومن بني سرب أبو نجيح وهو غير نجيح الزيدي، وأما الثاري بن عليان فأولد قصية والدية ابني شديد ومسكنة الوادي ضمد."[1]

ومما ذكر نجد أن الأشعري يبرر اسم عسير بتعسر ولادته وهو ما يتنافى مع ما جاء في بعض المخطوطات المشكّلة للكتاب والتي أوردت العين مرفوعة (عُسير)، فهذا اللفظ لا يتوافق مع معنى التعسر الذي أشار له الأشعري في تبرير التسمية، مما يدل على وجود خطأ في النقل من النساخ أو بتلف المخطوطات بفعل الزمن ومن ثم يسقط استئناس الشيخ حمد الجاسر رحمه الله بهذا النطق عندما استأنس به في رفض أن تكون عسير الحالية هي المعنية بما أورد الأشعري.

ولا شك أن إيراد الأشعري لعسير كقبيلة كبرى بهذا الحجم أفرد لها فصلاً فصل فيه في بطونها بدقة يحمل دلالة على أنها كانت قبيلة معروفة ولها نشاط جيد في تلك الحقبة، "ويؤيد ذلك ذكر ابن خلدون (الأندلسي) لها في كتاب التاريخ في معرض سرده لتاريخ الدولتين المهدية والزيادية حيث قال:

---

(١) الأشعري، التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب، تحقيق د. سعد عبدالمقصود ظلام، نادي أبها الأدبي، ١٤٠٩هـ، ص١١٧.

" المهجم من أعمال زبيد على ثلاثة مراحل عليها، وعربها من العسيرة من حكم وجعفر قبيلتين منهم. ويجلب منها الزنجبيل." [١]

ومن خلال السرد يتضح أن الأشعري التهامي الزبيدي، قد فصل في الجزء التهامي من عسير أكثر مما فعل حول الجزء السروي، ولعل ذلك يعلل بانقطاع التواصل بين السراة وتهامة في حينه لصعوبة التضاريس واختلاف الأجواء وهو ما جعل الأشعري أقل علماً بتفاصيل وجود عسير في السراة بشكل جيد.

ونلاحظ أن كثيراً من القبائل التهامية المذكورة لازالت تحمل نفس الأسماء وهي معدودة ضمن قبيلة عسير في تهامة حتى الآن مثل:

آل هازم (من قيس)، بنو زيد (من ألمع)، أسلم (ولد أسلم في تهامة بين قنا وخميس البحر)، وبنوالغلب ("إم اغلبه" من قيس)، ونجيح (المنجحة) (إم انجحه) وبنو شديد (قبيلة شديدة) وثوبان (ثوبان من قبائل قنا والبحر)،

ونلاحظ أن عدد القبائل التي لا زالت تحمل أسماءها كما أوردها الأشعري في تهامة كثير وهي من نوادر الأسماء ولا زالت تنتسب لعسير وتسكن حول نفس البلاد التي ذكرها الأشعري حيث أورد أن بنو ثار عسير سكنوا الوادي ضمد وهو واد يقع جنوب قبائل عسير تهامة حالياً التي تسكن القطيحة، وهو دليل قوي على أن بطون عسير في تهامة سواءً في رجال ألمع أو ولد أسلم أو المنجحة أو حتى في الريش ومحائل عرفت بعسيريتها منذ القدم.

أما بخصوص نسبتها إلى عك فهو اجتهاد من الأشعري بناه على انتشارها القوي ونشاطها في تهامة حيث بلاد عك خلال عصره، ولم يعلم عن مصدرها الأساسي وبداية وجودها الذي كان في بلاد السراة.

كما أنه لم يسبقه أحد من النسابة إلى إيراد عسير ضمن قبائل عك ولا إيراد عك بهذا العدد كالكلبي والهمداني وابن حزم والأشرف بن رسول وابن المبرد ولا حتى وافقه من بعده على ذلك، فقد شذ بهذه الرواية حول قبيلة عك وبطونها وفروعها عن كل النسابة سواه.

كما أورد المغيري نسب قبيلة عسير في القرن الماضي في كتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب كما يلي:

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٤/ ص٢٨٢.

"من بطون الأزد بنو ماسخة بن عبد بن مالك بن نصر بن الأزد ومنهم جمحة بن الحارث، ومن الأزد زهران بطن، ومنهم بنو النمر بن عثمان بن النضر بن زهوان"

إلى أن قال:

"ومن بطون زهوان بنو سبالة بطن، وبنو حدروج بطن، وبنو رسم بطن، وبنو عمر بطن، ومنهم بنو خثمعة بن يشكر بن عسير بن صعب بن دهمان، ومن عسير هذا، عسير القبيلة المعروفة سكان أبهاء والطور "[(١)]

وبصفة المغيري من أعيان القرن الرابع عشر فإننا بحاجة إلى مستنده فيما أورد من أي المصادر القديمة لنتمكن من اعتماد مصدرية الرواية، وهو ما لم يتحقق، على الأقل حتى الآن؟.

ورغم تعدد الأقوال كما نرى، إلا أننا عندما نقرأ ما ورد في القرن الثاني لدى الكلبي وما ورد لدى الهمداني في بداية القرن الرابع فإننا نجد أن العسيريين كانوا يعدون أنفسهم من قبائل عنز وكانت تقرهم على ذلك القبائل المجاورة لهم ويوافق ذلك تسلسل الأنساب الذي ورد لدى الطرفين حيث أوردوا عسير كأحد بطون عنز بن وائل، كما أن القرى والقبائل التي أوردوها لا زالت تحمل أسماءها حتى الآن، بالإضافة إلى الإشارات العابرة حول بعض الرجال الذين ينتسبون لبطونها حيث نسبوا إلى عنز، ومن ذلك ما يلي:

١- عندما ذكر أبو عمر (يوسف بن عبد البر النمري) الصحابي الجليل عامر بن ربيعة العنزي ﷺ في كتاب (الإستيعاب في تمييز الأصحاب) فقد أورد بعض ما قيل في نسبه فقال :

"هو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث بن رفيدة بن عنز بن وائل بن قاسط. وقيل: عامر بن ربيعة بن عامر بن مالك بن ربيعة بن حجير بن سلامان بن مالك بن ربيعة بن رفيدة بن عنز بن وائل بن قاسط."[(٢)]

ومن خلال تسلسل النسب فمن المؤكد أن هذا الصحابي الجليل ينتمي إلى رفيدة عسير فمن الواضح أن من كان ينسبه كان على علم ببطون هذه القبيلة فكان يعدد بطون قبيلة رفيدة العسيرية التي نعرفها حتى الآن، فهو على يقين بنسبه إليها ولكنه لم يتأكد إلى أي بطونها ينتمي

---

(١) المغيري، المنتخب في ذكر قبائل العرب، مكتبة مشكاة الإسلامية، ص٤٤.

(٢) ابن عبدالبر، الاستيعاب في تمييز الأصحاب،ج٢ / ص٧٩٠.

فهو إما من ربيعة، أو من آل الحارث، وهما أكبر فرعي قبيلة رفيدة بل إن إحداها أصبحت تذكر رديفة للقبيلة الأم.

والجدير بلفت الانتباه هنا أن اسم عامر قد تكرر في اسم عامر بن ربيعه مرتين وهذا الإسم من الأسماء الشهيرة في قبيلة عسير عامة والذي يتكرر وجوده بها أكثر من غيرها، إلا أن نسبة حاملية شخصياً أو أسرياً في قبيلة ربيعة ورفيدة بالذات يفوق بقية القبائل، فحتى أعلام هذه القبيلة لابد من وجوده فيهم مثل: الأمير/ محمد (وعبدالوهاب) بن (عامر) المتحمي، الفريق/ محمد بن (عامر)، اللاعب السابق / (عامر) مانع، ولا شك أن هنالك الكثير ولكن هذا ما حضرني الآن من المشاهير بل إن كلمة "بن عامر" أو "آل عامر" في ربيعة ورفيده تكاد تكون مكرره في كل قرية.

ومن هنا فإن هذا الصحابي، هو أحد أبناء قبيلة رفيدة العسيرية كما كان ينقل ابن عبدالبر عن العارفين، مما يدل على أن قبيلة رفيدة عسير منفصلة بفروعها المعروفة عن رفيدة الأكبر منذ ما قبل الإسلام، وهو ما يجعلنا أكثر حذراً في تقبل صياغته لتسلسل النسب إلى رفيدة بن عنز مباشرة، خاصةً وأن الهمداني أشار إلى بلادها كجزء من بلاد قبيلة عسير، فلعل نسب رفيدة عسير اختلط على الناقلين بسبب تشابه المسمى مع رفيدة الأكبر، وأيضاً لا يمكن أن نستبعد تماماً أن تكون قبيلة رفيدة عسير ورفيدة قحطان تلتقيان في النسب إلى رفيدة بن عنز بن وائل مباشرة.

٢- ذكر أبو علي الهجري المتوفي بداية القرن الرابع الهجري في كتاب التعليقات والنوادر ما يلي:

وقال: أنشدني شيخ من جرش لثابت بن عبد الملك العريجي. بطن من بني ملك من عنز ابن وائل:

ألا أيها الريح التي نَسَمْت لنا	من الأفقِ الشامي طَاب نَسيمُها
فَقَد نَسمتْ من نحو من بَاتَ حُبه	يؤرّقني من مَضجعي فأرومُها
لأغشِم هولَ الأرض بَيني وبَينَها	بلَيلٍ وفي عَرضِ السماء نُجومُها
فأشفى قَلبْي من هَواهُ بلمّةٍ	فهو هوى نفس وما إنَّ ألومُها
سبَتْني بَميَّال القُرُون كأنهُ	عنا قيدُ حاكيٍّ برَّوى كرومُها
إلى كفلٍ نابي الجَحشيِّ وبَطنُها	كأعطافِ رَبْط حين تبدي علومها
إلى قَدَم مَخصُورةٍ لاقبيحة	ولما تُشنَّيها بكوراً تقوُمَها
أروجُ الضُحا رعبوبةٌ عذبةُ الشعا	نشَتْ في غنىً جَمٍّ ودامَ نعيمُهَا
وإني لَمُستَسق لأرضِت تحِلُّها	كُتَيمَةُ وبْلاً بعد وَبْلٍ جَميمُهَا

تكُـونُ نواشِـيه نَـواغِشُ كُلُـهَا — إلى عَبِـلِ أهْـضَامُها فَحزُومُهَـا
على عَيَزانْ امسَت كُتَيْمـة حَلَلّتْ — "بهِ" فسَقى الرحمـنُ أرضاً تقيمها
ألا ليـتَ شِـعري أن أتاهَـا مُخَبّـرُ — ألا ثابتُ جاهٍ لنفـسٍ حَميمُهَـا
أمُـسْبلَةٌ بالـدمعِ منهـا كَظَنّنَـا — بهـا أو تُعزّى نفسَهـا وتلوُمُهـا[١]

قلت... لا أظن بأننا نحتاج لمزيد من الشرح لإثبات أن هذا الشاعر ينتمي إلى بني مالك عسير وكان يسكن إحدى قرى شمال بني مالك عسير التي تحاضي وادي عبل من الجنوب، وهنا فإن قوله أن مالك بطن من عنز بن وائل يدل على ما كان يعرف حتى بداية القرن الرابع عن نسب بني مالك عسير التي أشارت بعض المصادر الحديثة إلى وجود جبل اسمه شنوءة في قلبها، وهو الذي استدل به بعض المؤرخين على أزدية قبائل عسير، ومن ثم اعتبروا عسير مجرد اسم حلف لبعض قبائل الأزد أو اسم جبل.

وعندما نضيف ما ورد في النصين أعلاه إلى ما ورد لدى الهمداني وابن السائب الكلبي اللذان ذكرا أن عسير بن أراشة بن عنز قد أولد مالك وتيم، بالإضافة إلى ذكر الهمداني لبلاد رفيدة وربيعة كجزء أساسي من بلاد عسير كما هو معروف حتى الآن، فهذا يعني أن "مالك بن عسير" المعني بما ورد في الإكليل وجمهرة النسب وأنساب معد واليمن، هو جد قبيلة بني مالك عسير المعروفة في نفس الموقع الذي أشار له الهجري، ويعني أن قبيلة ربيعة ورفيدة هما بطن واحد من بطون قبيلة عسير منذ القدم.

وثبوت عنزية مالك يؤكد لنا وجود والده (عسير) بن أراشة بن عنز الذي هو أساس قبيلة عسير بكل فروعها.

وهنا فإن ما ورد لدى الهمداني والكلبي حول نسب عسير إلى عنز بن وائل هو ما يجب الاعتماد عليه في دراسة تاريخ هذه القبيلة، وهو موافق لما يتعارف عليه العسيريون عن أصولهم منذ وقت مبكر فوق السراة، مما يدل على أن الانتساب إلى عك لا أساس له سوى الجوار والتداخل في المواطن في الشق التهامي مما جعل الأشعري يتوهم أنهم من عك، أما الانتساب إلى شنوءة الأزد أو الحديث عن الحلف القبلي فلا أصل له في المصادر التاريخية القديمة على الإطلاق.

---

(١) الهجري، أبو علي، التعليقات والنوادر، الوراق، ص١٩٣.

ومما سبق وبغض النظر عن مدى صحة تسلسل النسب القديم من عدمه، إلا أنه من الواضح أن قبيلة عسير الحاليه بكل فروعها في تهامة والسراة هي قبيلة واحدة معروفة بإسم عسير منذ القدم انضوت فيها بقية بني وائل الربعية كما سيأتي معنا،، وهذا ما عليه جميع من كتب عن عسير في موقعها وعن رجال عسير وشعرائها في التاريخ القديم، مع التأكيد بوجود بطون وأسر متحالفة من الأزد أو مذحج أو قضاعة أو كنانة دخلت في عسير قديماً وحديثاً شأن كل القبائل العربية، مثلما أن هنالك بطون وأسر عسيرية دخلت في القبائل الأخرى، إلا أن تعريف هذه القبائل الداخلة يحتاج إلى دليل.

وقد ظلت عسير قبيلة مستقلة في بلاد عنز في السراة وتهامة تحتوي معظم بطون عنز بن وائل بينما دخل جزء من عنز في قبائل الأزد المجاورة كما ألمح الهمداني في كتاب الإكليل، واستمر الحال كذلك حتى القرن السابع حيث تعرضت ديار عنز بالسراة في نهاية القرن السادس كما ذكر المؤرخون إلى كارثة وباء الطاعون الذي أدى لموت ورحيل جزء كبير من عنز بن وائل[1]، ويبدوا أن أشدها تأثراً كانت قبيلتي جذيمة ونزار، ونتج عنه هلاك وهجرة جزء كبير من هاتين القبيلتين، ومن الطبيعي أن بعضها عادت إلى ديارها بعد انقضاء أثر الوباء فدخلت بقية جذيمة في بقية فروع القبيلة الأم رفيدة، أما نزار فالراجح أنها دخلت في عبيدة وهم من عرفوا بولد روح بن مدرك كما يشير الأشرف بن رسول الغساني[2] في القرن الذي يليه، ومنهم حالياً آل معمر وآل الصقر في سراة عبيدة والضياغم في حائل وبلاد الشام.

٧- ما ذكره بعض المؤرخين في العصر الحديث حول نسب عسير

لعل أول إشارة لدينا حول علاقة قبيلة عسير بشنوءة الأزد كانت عام ١٢٦٩هـ في قصيدة علي بن حسين الحفظي التي وجهها إلى الإمام فيصل بن سعود، ورغم شيوع ما في هذه القصيدة من إشارة، إلا أن الحديث حول أزدية عسير لم يكن سائداً بوجه عام، وكانت الإشارة إلى أزدية عسير رغم محدوديتها لا تربط ذلك باعتبارها حلف قبلي من شنوءة كما شاع فيما بعد، بل كانت إشارة عائمة تدل على انتماء عسير لشنوءة، بينما كانت هنالك آراء أخرى ترجع عسير

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، اعتنى به الدكتور عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيداء - بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ج٨/ ص٥٧٦؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن عبدالكريم الجزري الشيباني، الكامل في التاريخ، المكتبة العصرية، صيداء - بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ج٢ ص٢٦٣٠.

(٢) ابن رسول، عمر (الأشرف) بن يوسف، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تحقيق ك. و. سترستين،، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م - ١٤١٢هـ، ص١٢٠، ١٢١.

إلى رجل اسمه عسير من العدنانيين دون تحديد أيضاً، وأخرى تقول بأن عسير من عك بن عدنان، وقد نقل أحد المؤرخين مع بداية دخول عسير في الدولة السعودية الثالثة عن أحد شيوخ القبائل قوله بأن عسير حلف بين مجموعة من القبائل، ولكنه لم يحدد وجهة نظره لدرجة تجعلها قابلة للنقل عنها، خاصةً وأن تلك أول إشارة إلى ذلك، ولعل ذلك يعزى إلى الحذر من توحيد المشيخة في قبيلة عسير وانضواء أي الشيوخ المستقلين بمشيخة عشائرهم تحت سواه، ولكن لم يكن لهذا الرأي أي وجود على أرض الواقع، ولم يحمل الرأي الذي أورده محمل الجد في الذاكرة الشعبية، وحتى الكاتب لم يأخذ بهذا الرأي كرأي قطعي، كما أن الكتاب لم ينتشر في المجتمع العسيري في حينه، إلا أنه منذ بدأت مجموعة إمتاع السامر نغمتها الجديدة حول الأنساب في عسير في التسعينات الهجرية فقد ظهرت موجة من التأييد في الكثير من الكتب الحديثة لما ذكرته حول أنساب بطون عسير التي أوردت لكل منها نسباً مستقلاً ثم أمعنت في إبعاد الصلة بين كل قرية وأختها المجاورة لها داخل هذه البطون، وأيدت آراءها بكم كبير من القصائد المصنوعة والروايات التي تتحدث عن أحداث دقيقة في أزمنة بعيدة، دون أن تورد لنا أي مستند تاريخي اتكأت عليه في هذه الروايات.

وكان من الواضح في نهج هذه المجموعة وجود أهداف سياسية اتخذت من التضحية بالتوازنات القبلية في المنطقة قربانا لتحقيقها، مؤيدة بتوجه لا يخلو من الميول الكامنة لدى بعض المحسوبين على عسير، فانطلق كل منهم يدعم الفكرة بطريقته.

وعلى الناحية الأخرى فقد كان هنالك آراء يجب احترام أصحابها بغض النظر عن وجهة نظرنا حول صحتها، لأنها استندت إلى مصادر وشواهد مقبول الاتكاء عليها في ظل كونها تمثل كل ما أمكنهم الوصول إليه، ومن هؤلاء محمد رفيع الذي استشهد بقصيدة علي الحفظي على ترجيح أزدية عسير ومثله ابن سحمان الذي اتكأ على نفس القصيدة بالإضافة لرد ابن مشرف عليها لترجيح أزدية عسير.

ولا شك أن الأزد جذم كبير من أجذام العرب وأصل كريم عريق له في التاريخ العربي أدوار جليلة، وانتساب عسير إلى الأزد أو إلى عنز بن وائل لن يغير من الواقع المعنوي شيئاً، ولكننا نحتاج إلى ما يقطع الجدل حول الأمر، خاصة وأنه أصبح وسيلة للمتسلقين على التاريخ لابتزاز المجتمع.

فقد قسمت هذه المصادر بطون وقرى عسير إلى قبائل متفرقة تنتسب بعضها إلى عمرو بن عامر وبعضها إلى مالك بن النصر فادعت أن بني مغيد وعلكم وقبيلة بني رزام ينتمون إلى قبيلة ثمالة، ثم اتجهت لإحالة كل قرية من قرى هذه القبائل إلى نسب مستقل بعضها من الأزد

وبعضها من قضاعة وبعضها من مذحج أو كنانة، ولكنها عادت في موضع آخر لتدعي بأن بني مغيد ليست سوى مجموعة قبائل متحالفة وعلكم أيضاً هي مجموعة قبائل متحالفة كما جاء معنا أعلاه، أما بني مالك فقد أوردتها في مواقع منسوبة إلى مالك بن النصر بن الأزد وفي أخرى إلى مالك بن الكلاع، أما ربيعة ورفيدة فهما أبناء عمرو بن عامر، وألمع الشام تنتمي إلى ألمع بن عمرو، وألمع اليمن تنتمي إلى الصيق بن عمرو، أما بقية قبائل تهامة عسير كالمنجحة وولد أسلم وآل موسى فهي حسب رأيها قبائل متفرقة من قضاعة والأزد، ثم أسهبت في اصطناع أنساب أخرى لمعظم القرى والعشائر داخل هذه البطون خارج سياق التدرج القبلي الذي وضعته لكل فرع، دون أن تورد أي مرجع نقلت عنه، وقد ادعى بعضهم بأن هذه الأنساب متوارثة عبر التاريخ، وهذا غير صحيح، فالأنساب التي أوردوها كلها لم يكن لها ذكر فيما قبل صدور هذه الكتب، كما أنها لا تصح على الإطلاق.

فثمالة (بنو عوف بن أحجن بن أسلم) كانت تسكن الطائف منذ ما قبل الإسلام ولا زالت قبيلة معروفة بها وفي نفس موطنها حتى الآن، ويطلق على أيهم "الثمالي"، وممن أشار إلى موطنها في الطائف ابن عبدربه الأندلسي في كتاب "العقد الفريد" حين قال:

> *"من بطون الأزد.....*
>
> *ثمالة: وهو عوف بن أسلم بن أحجر بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن عبدالله بن الأزد، وثمالة منزلهم قريب من الطائف، وهم أهل عقل وروية ومنهم محمد بن يزيد النحوي"*[1]

وفرعها "بنو رزام" كان معها في الطائف منذ العصر الجاهلي، وقد ذكرها المؤرخون وذكروا أحداثها بالتفصيل وفصلوا جميعاً في بطونها ولم يرد بينها ما يتوافق مع أسماء القبائل العسيرية المذكورة على الإطلاق كمغيد أو علكم أو أي بطونهما، كما أن منها عدد من الصحابة والتابعين، وحدثت بها بعض الأحداث المشهورة في عهد النبوة، وقد ذكر الرواة أحداثها في ديارها متداخلة مع هذيل وذكروا فرسانها ومنهم حاجز الثمالي الذي يدور شعره حول تلك المناطق، وهذا ما أورده ابن السائب الكلبي حول نسب وبطون هذه القبيلة:

---

(١) الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبدربه، العقد الفريد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٥هـ، ج ٣ / ص٣١٣ .

" فولد أسلم بن أحجن، عوفا، وهو ثمالة، بطن عظيم؛ وغالبا، وبعودة، وماقان. فولد ثمالة بن أسلم: عوفا، وسلمة، وعثمان، وعمرا. فولد عمرو بن ثمالة، تميما، وبلالا، وزرزاحا، ولأيا، وعليا. فولد رزام بن عمرو بن ثمالة: تميما. فولد تميم بن رزام: نافرا، ونيفورا. منهم: عبد الله بن قرط، صحب النبي صلى الله عليه وسلم وسكن الشام."[1]

ومن خلال هذا السرد فإنه لا وجود لا لمغيد ولا لعلكم في قبيلة ثمالة وحتى لو سلمنا بوجود مسمى "أسلم" في بلاد عسير فإن جد قبيلة ثمالة المدعو "أسلم" ليس بين نسله من اسمه مغيد ولا علكم ولا ما يقارب لهما، وتتفق جميع المصادر التاريخية في هذه المعلومة، ولا حتى أسماء بطون بني مغيد وعلكم تلتقي مع أي بطون ثمالة ولا أسلم ولا تشابهها.

وقد دخلت ثمالة الحقيقية في الطائف في قبيلة ثقيف في فترة متأخرة وأصبحت تعد من بطونها، ولعل ذلك مما أغرى المزورين لربط ثمالة الأزدية ببعض قبائل عسير، بصفتها تخلت عن أزديتها ودخلت في قبيلة أخرى، وقد شجعهم على ذلك تشابه مسمى أسلم (والد ثمالة) مع أسلم - الذي اتجه الضمدي في مقاربته لبطون عسير في السراة مع بطون عسير الوارد لدى الأشعري لربط مغيد وعلكم به - بالإضافة لوجود ذكر تاريخي لبطن قديم في ثمالة اسمه "رزام" وهو يشابه اسم أحد بطون قبيلة أخرى في عسير، مما جعلهم يستعيرون هذا البطن العسيري الذي لا علاقة له بمغيد ولا علكم إلا من خلال انتماء الجميع إلى عسير لرتق كوة بحجم الفراغ الذي يملأ رؤوس من صدقوهم، وهو ما يجعل الربط مثيراً للسخرية، كما أنه لم يكن متداولاً في عسير بما فيهم أهل الشأن المذكورين أن لهم علاقة بقبيلة ثمالة على الإطلاق، فقد كتب مجموعة من أعيان قبيلة بني رزام كتاباً عن قبيلتهم بمناسبة افتتاح "سوق بني زام" وهو كتاب "بنو رزام الأرض والإنسان والسوق" وأرجعوا فيه نسب قبيلتهم إلى "رزام بن مالك"[2]، بينما أورد الراحل علي أحمد آل عمر عسيري (من أعيان بني مغيد) في كتابه "أبها في التاريخ والأدب" نسب قبيلة بني مغيد بقوله: "يرجع نسب هذه القبيلة إلى العدنانية"[3]، والأعجب أن يحاول أحدهم تقديم المكاسب التاريخية لقبول الفكرة من خلال ربطها بأحداث التاريخ

(١) الكلبي، أنساب معد واليمن الكبير، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب مكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ، ج٢/ ص٤٨١.

(٢) ابن عفتان، عبدالله، بنو رزام تاريخ وحضارة، مطابع الجنوب، ١٤٢٤هـ ص١١.

(٣) عسيري، علي أحمد آل عمر، أبها في التاريخ والأدب، نادي أبها الادبي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ص٤٧.

العسيري الحديث، في محاولة للادعاء بأنها معلومة متوارثة، فقد ادعى عبدالرحمن آل حامد أن هنالك حروباً خاصة كانت تخوضها بني مغيد وعلكم وبني رزام دون سواهم من قبائل عسير لأنهم يلتقون في الانتساب إلى ثمالة[1]، دون أن يورد أي مصدر لهذا السبق التاريخي، أو يخبرنا عن هذه الحروب التي كانت تخوضها "ثمالة العسيرية" دون البقية، كما استدل على أن عسير حلف قبلي من الأزد، وعلى عدم صحة عدنانيتها بأن قبيلتي مغيد وعلكم لم يأت ذكرهما في تسلسل قبائل عسير العدنانية، ولا أعلم ما وجه الاستدلال فيما ذكره، خاصةً وأن مغيد وعلكم لم تذكرا في قبائل الأزد ولا حتى في القبائل اليمنية كافة على الإطلاق، بينما ذكرت مغيد كفرع من فروع قبيلة عسير في القرن العاشر للهجرة، كما نقل الضمدي عن الأشعري في القرن الخامس إشارته إلى المغيد بن أسلم كأحد بطون قبيلة عسير بن عبس من عك بن عدنان.

ويبدو من خلال السياق وكأن الأستاذ حامد يرغب في الإشارة إلى انفصال هاتين القبيلتين بنسب مستقل عن البقية، لعدم ورود ذكرهما لدى الهمداني أو الكلبي، بينما الحقيقة أن هنالك فروع حالية كثيرة في عسير لم تذكر لديهما، وهو أمر لا يقدم ولا يؤخر في مفهوم نسب البطون الحالية للقبيلة الأم "عسير" التي ذكرت في موقعها الحالي منسوبة إلى قبيلة واحدة تنتمي إلى عسير بن أراشة بن عنز بن وائل، فالأسماء القديمة معظمها تبدلت وسادت أسماء الفروع على الأصول في كل القبائل العربية ولكن ذلك لا يشفع لنا في إنكار صلة الخلف بالسلف إلا بالدليل القاطع.

وفي نفس الوقت فإننا نجد في رواية الأشعري في القرن السادس الذي ورد لديه ما يدل على انتماء قبيلة بني مغيد إلى "أسلم" الذي أشار إليه كواحد من فروع قبيلة "عسير" - كما نقل عنه الضمدي - ما يدل على أن أسلم الذي ورد لدى الأشعري هو تصحيف لـ "سلمة" الذي ورد لدى الكلبي والهمداني، وما يؤيد ذلك أن في بني مغيد تكثر الإشارة إلى مسمى "السَلَمِي"، والمسمى حسب نطقه العامي يدل على الانتماء إلى رجل اسمه "سلمه"، وهو ما يجعلنا نرجح أن أسلم المقصود عند الأشعري هو تصحيف لـ "سلمة" بن تيم بن عسير الوارد لدى الكلبي والهمداني، الذي نسبت له علكم وبني مغيد في المصادر الحديثة، فوحدة نسب بني مغيد وعلكم قد تكون مقبولة عندما تحال إلى "سلمة بن تيم بن عسير" وهذا يتوافق مع تواتر النقل منذ القرن الرابع بانتماء هاتين القبيلتين إلى عسير.

---

(١) آل حامد، المصدر السابق، ص٧٤٢.

ولو كان لثمالة وهي القبيلة المعروفة ذائعة الصيت وجود في جهات بلاد عسير لما أهملها الهمداني عندما مر ببلاد عسير ووصفها.

وقبيلة ثقيف التي تنتمي إليها ثمالة في الوقت الحاضر يوجد بها العديد من الأسماء التي ربما تدل على حدوث تداخل بطريقة ما في التاريخ الحديث بين العسيريين وتلك المناطق، فهنالك فرع يقال له "العسران"، وهنالك "آل يعلى" و"آل جاهل" و"آل يوسف" و"المغدة" (وكلها خارج قبيلة ثمالة)، وهذه الأسماء النادرة هي أسماء بطون وعشائر في قبيلة عسير أيضاً، ولعل هذا التداخل كان في عهد إمارة طامي بن شعيب وعثمان المضايفي حيث تشارك العسيريون وبعض قبائل الطائف في الكثير من المعارك حول مكة والمدينة المنورة والطائف وتربة، وافتراض وجود التداخل لا يعني الالتزام به كتفسير للحالة، إذ ليس بالضرورة أن نحيل تشابه الأسماء إلى وحدة النسب.

فالتعويل فقط على تشابه الأسماء في فرض الأنساب القديمة قد يقودنا إلى متاهات كثيرة، فمثلاً ورد في الإكليل في نسب صعب بن دومان من بكيل أن معاوية بن دومان أولد سبعة نفر ومنهم "علكم"، و"مالك"، و"ربيعة"، و"يزيد"، وقد يغري ذلك من يعتمد فقط تتبع تشابه الأسماء إلى القول بأن قبائل عسير هي من بطون قبيلة بكيل الهمدانية، بناء على وجود "علكم" و"مالك" و"ربيعة" و"يزيد" أبناء معاوية، فكل هذه أسماء بطون عسيرية كبيرة، كما ورد في قبائل بني تميم في الجاهلية بطن "عسير بن ذكوان بن السيد بن مالك بن سعد بن ضبة" والذين منهم فارس العرب "دلف بن حبيش"[(١)]، وقد يغري وجود قبيلة بني ربيعة وبني رزام في بني مالك من تميم، ووجود قبائل بني مازن وبني حبيش وبني يعلى وعلقم (علكم) في الطرفين المتابع إلى اعتبار قبيلة عسير إحدى البطون التميمية، وهم بنو عسير بن ذكوان، في ظل وجود هذه الأسماء في عسير وتسلسلها بنفس الطريقة، ولكن كل ذلك لا يصح البناء عليه، لأن ما بين أيدينا من شهادات معاصرة لما كان العسيريون يعرفون عن أنفسهم منذ البعثة النبوية، ويؤيدهم فيه مجاوريهم هو أنهم من عنز بن وائل، مما يعني أن الذكر التاريخي لعسير فوق هذه الأرض ارتبط بانتسابها لعنز بن وائل بغض النظر عما يمكن أن يكون قد حدث قبل ذلك، ولا يمنع ذلك أنه في حالة ظهور ما يشير إلى اختلاف الوضع فيما قبل ذلك فلنا أن نذكره بتجرد لمعرفة المزيد عن أخبار هذه الأرض.

ومن ثم فهذه الأسماء في قبيلة ثقيف والتي لا ينتمي أيها هنالك إلى قبيلة ثمالة هي في

---

(١) أبو البقاء الحلي، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، مكتبة المصطفي، ص٦٢.

الغالب مجرد تشابه أسماء، مثلها مثل تلك في صعب بن دومان في بكيل ومثل بطون تميم، أو لعل كونها جميعاً لم ترد كأسماء بطون في قبيلة ثقيف في المصادر القديمة التي أشارت إلى ثقيف وبطونها، يعود لكونها حديثة التواجد على تلك الأرض، ولكن من غير المنطقي أن نقفز إلى القول أن عسير من ثقيف أو أن بني مغيد وعلكم وبني رزام من ثمالة.

كما أنه لم يتعارف الناس على أن أي من قبيلتي بني مغيد أو علكم هي مجموعة قبائل أو عشائر متحالفة، كما أوردوا في كتاب تاريخ عسير، وإن كنا نعلم أن وجود البطون الداخلة في القبيلة الأم هو أمر شائع في كل القبائل، وحتى التحالف أمر وارد ولكن لا يوجد أثر يفيد بذلك حتى الآن، ولا تحمل الذاكرة الجمعية في عسير مثل ذلك، فقبيلة بني مغيد مثلاً ذكرت في القرن العاشر في موقعها الحالي كواحدة من بطون قبيلة عسير لها مشيخة موحدة في أسرة آل مدحان من قرية مناظر[١]، مما يدل على أنها قبيلة حقيقية معروفة منذ القدم، وكون مسمى مغيد وعلكم من الأسماء النادرة لا يعطي الضوء لنفي وجودها كقبائل حقيقية دون مستند، فكل قبائل إقليم السروات الجبلية نادرة الذكر تاريخياً رغم كثرة ذكر أعيانها وبطونها في المراكز الحضارية الإسلامية، ما عدا المستطرقة بلادها من قبل الحجاج في السفوح الشرقية لهذه الجبال، أو جهات السهول الساحلية في تهامة، كما أن ذكر بقية القبائل ذات الأسماء المتداولة بكثرة كـ"ربيعة" و"مالك" قد يكون فيه إشكال من نوع آخر، وهو عدم إمكانية الاستدلال عليها بناء على ذكر أسماء تشابهها.

كما أن "مالك بن الكلاع" الذي نسبوا له قبيلة بني مالك عسير لم يرد له ذكر في كتب الأنساب والتاريخ القديمة، وكان ورود أول ذكر لهذا الإسم في إحدى النقوش اليمنية المكتشفة في مدينة مأرب عام ١٣٧٧هـ، ونشر عام ١٣٨٨هـ أي أنه لم يكتشف إلا بعد وفاة المؤلف المزعوم "شعيب الدوسري" بأكثر من عشرين سنة ولم ينشر إلا بعد أكثر من ثلاثين سنة فاقتطف منه المزورون الاسم وأوصلوه بإحدى قبائل عسير، وهو ما لا يعرف له أصل في ذاكرة أهل المنطقة ولم يذكره أحد قبل ذلك، وهذا نص ما قاله المؤرخ اليمني أحمد حسن شرف الدين حول اكتشاف النقش الذي سرقوا منه مسمى مالك بن الكلاع:

" جرش... مدينة تجارية على طريق نجران - الطائف - مكة تضم عدداً من مصانع النسيج ودبغ الجلود واشتهر فيها من ملوك الأزد مالك بن الكلاع ملك الأزد. وكان معاصراً للملك السبئي شمر يرعش (٢٧٥-٣٠٠م)، وقد ذكره في نقشه الذي عثرت

---

(١) انظر مخطوط التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية لمحمد المؤيدي، ورقة ٣٢٢.

عليه عام ١٣٧٧هـ بمأرب، كواحد ممن التقى بهم وتضامن معهم في محاربة الفرس الذين يذكر في النقش أنه غزاهم في عقر دارهم وهاجم "كوك وقط وصف بمملكتي فارس" وقد سبق نشر هذا النقش مترجماً سنة ١٩٦٨هـ (١٣٨٨هـ) مع غيره من النقوش المعينية والحميرية والسبئية"[١].

ولا شك أن إشارة كتاب إمتاع السامر للاسم تدل على أن تزويره كان بعد تاريخ صدور الكتاب الذي أورد الكشف عن النقش والذي كان في عام ١٣٨٨هـ.

أما مالك بن النصر بن الأزد الذي ربطوا به مسمى بني مالك في مواقع أخرى فهو اسم جامع لعدد كبير من قبائل الأزد، ولا مجال للتصديق أن له عقب يحمل اسمه في عسير ثم لا يشير أي المؤرخين إلى ذلك حتى القرن الرابع عشر الهجري.

كما لم يرد أن هنالك رفيدة بن عمرو أو ربيعة بن عمرو بن عامر في كل كتب التاريخ والأنساب، وهذا ما ورد في كتاب "أنساب معد واليمن" للكلبي حول أبناء عمرو بن عامر:

فولد حارثة بن امرئ القيس: عامراً، وهو ماء السماء والتوأم، وعدياً

فولد عامر بن حارثة: عمراً، وهو مزيقيا، وعمران وكان كاهناً (عاقراً لا يولد له، ويقال هو عمرو مزيقيا).

فولد عمرو بن عامر: جفنة، منهم الملوك الذين كانوا بالشام.

والحارث، وهو محرق، أول من عاقب بالنار، وثعلبة، وحارثة، وأبا حارثة، وعمران، ومالكاً وكعباً، ووادعة، دخلوا في همدان.

وعوفاً، وذهلاً، وهو وائل، فوقع ذهل إلى نجران، فمنهم : أليا أسقف نجران.

وعبيداً، وحلاً، وقيساً، درج هؤلاء الثلاثة، ولم يشرب عمران بن عمروا ولا حارثة، ولا وائل الماء."[٢]

---

(١) شرف الدين، أحمد حسين، المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ص٦٨.

(٢) الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق الدكتور ناجي حسن، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ج١/ ص٣٦٣

ومثله ذهب كل من تحدث عن عمرو بن عامر وبنيه من النسابة فأنقص بعضهم وزاد آخرون ولكن أيهم لم يورد بينهم ربيعة ولا رفيدة، فكيف اكتشفهم شعيب بعد هذه القرون؟

أما بخصوص قبيلة رجال ألمع والتي تعتبر فرعاً من فروع قبيلة عسير على أرض الواقع بينما تشير كتب الأنساب إلى قبيلة ألمع كإحدى قبائل الأزد، فقد أدى وجود هذه الإشارة إلى توجه بعض المؤرخين إلى اعتبار قبيلة ألمع قبيلة مستقلة[١] ورجح أحدهم أن دخولها في عسير كان بعد مشاركتها إلى جانبها في حروبها خلال القرن الثالث عشر[٢]، والحقيقة أن هنالك شواهد تدل على أن القبائل المعدودة في ألمع كانت معدودة من قبائل عسير لدى أهلها على غير ما كان يتحدث به بعض رجال العلم الذين يفصلون في الأمر على أساس ما تحمله كتب السيرة، فقد ورد في رسالة محمد بن هادي العجيلي عام ١٢٢٠هـ إلى عبدالوهاب المتحمي مهنئاً له بالنصر بعد معركة السعدية قوله:

"فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته تعم البركات، ومن دقائق هذه الفضيلة أن خص بها عسير، والثانية أن الله أخرج العدو إلى أرض الخلا ليقضي الله أمراً كان مفعولا.. وأن هذه الغزوة فسيبلغ خبرها إلى أقصى بلاد الروم وإلى أقصى بلاد المغرب.. ولكنها تحتاج لشكر الله العظيم"[٣]

ونلاحظ هنا أنه اعتبر الجيش كاملاً جيش عسير بينما كانت قبائل ألمع مشاركة في المعركة ضمن القبائل العسيرية كما ذكر في الظل الممدود[٤]، مما يدل على أن ألمع كانت معدودة من عسير، كما أن محمد بن أحمد المتحمي قال في إحدى قصائده:

سقى الله أوطاناً تحف بتهلل ... وجاد عليها هاطل متراكم
قبائل حلتها مغيد وعلكم ... ومالك والأحلاف من عهد آدم
سقى الله أوطاناً تحف بتهلل ... وجاد عليها هاطل متراكم
قبائل حلتها مغيد وعلكم ... ومالك والأحلاف من عهد آدم

---

(١) رفيع، في ربوع عسير، ص٥٠، ٩٣

(٢) عسيري، عسير دراسة تاريخية، نادي أبها الأدبي، ١٤٠٧هـ ص٩١، ٩٢

(٣) آل فايع، دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها، مطابع الحميضي، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ص١٨٦.

(٤) العجيلي، الظل الممدود، تحقيق عبدالله أبو داهش، ص٤٢.

وقيس بن مسعود وبكر بن وائل وأكرم بشحب في ثراها وظالم
وقحطان فيهم نخوة وحمية وشهران هم أهل الحجى والعزائم
وبللسمر لا تنس تذكار فضلهم وبللحمر حلف القنا والصوارم[١]

ونجد الشاعر هنا قد فصل في بطون عسير بما فيها بطون رجال ألمع ولم يشر إلى عسير ولا حتى لألمع بينما أشار إلى بقية القبائل بأسمائها مثل قحطان وشهران وبللحمر وبللسمر، وهو ما يعني خصوصية انتماء الفروع التي ذكرها في البداية وجميعها من عسير السراة وتهامة، مما يدل على وجود جامع قبلي قديم لهذه القبائل.

كما أنه في عام ١٢٨٥هـ عندما تمردت قبائل تهامة كل من قبيلة رجال ألمع وقبائل قنا وولد أسلم والمنجحة كانت أهازيجهم تقول:

عسير نسمع للملك حد الرضى واذا غوى هبنا يذري في البطاح[٢]

وإشارتهم إلى أنفسهم بمسمى عسير يدل على أنهم كانوا يعرفون عن أنفسهم الانتماء إلى عسير، بينما جزء كبير منهم عاصر بداية تكوين الإمارة العسيرية قبل الدخول في الحروب اللاحقة مما يدل على قدم انتمائهم إلى عسير عن مرحلة بداية الإمارة العسيرية.

وأيضاً فإن ما ذكره الأشعري من فروع لقبيلة عسير في القرن السادس والتي كانت تحوي عددا من القبائل المعدودة في قبيلة ألمع الآن مثل شديدة وهازم وزيد والغلب يدل على قدم انتماء هذه القبائل إلى عسير، فلماذا كان هذا اللبس في انتماء هذه القبيلة.

فسر أحد الباحثين ذلك بأن قبيلة رجال ألمع قد دخلت في قبيلة عسير في القرن الرابع للهجرة[٣]، وأجد في ذلك شيئاً من التبسيط، فالأمر أكثر تعقيداً من أن نورده بهذه البساطة، فلا بد من وجود علاقة خاصة حقيقية بين الطرفين أدت إلى كونهما قبيلة واحدة، فما هي هذه العلاقة.

---

(١) النعمي، تاريخ عسير، طبعة المئوية، ص٢٠١.

(٢) النعمي، تاريخ عسير، طبعة المئوية، ص٢٠١.

(٣) عسيري، الملتقى العلمي الثاني عشر للجمعية التاريخية السعودية بأبها، حول تاريخ عسير وحضارتها عبر العصور المختلفة، عام ١٤٣٠هـ، بحث بعنوان "قبيلة الأزد وفروعها في منطقة عسير" ألقي بتاريخ ١٧/٥/١٤٣٠هـ.

الحقيقة أن الحديث عن نسب ألمع إلى الأزد يفرض علينا الكثير من الأسئلة، فقبيلة بارق التي تقطن غير بعيد عن رجال ألمع ربما لا يتجاوز عدد أفرادها ١٠٪ من عدد أفراد ألمع في الوقت الحالي، ومع ذلك فبارق لها في تاريخ قبائل الأزد ذكر كبير وتداول الرواة نسبها الأزدي وذكروا بطونها ودخلت بقوة على خط الخصام مع القيسيين في القرنين الهجريين الأول والثاني، ومثلها الكثير من فروع الأزد حتى تلك المنقرضة، بينما ذكر ألمع في الأزد أتى مقتضباً ولم يتجاوز ذكر كلمة "ألمع" عند تعداد قبائل الأزد، ثم تداوله المؤرخون عن بعضهم، بينما لم يتطرق أحد إلى بطون ألمع ولا إلى موطنها بما فيهم الهمداني الذي مر بجوارها من كل الاتجاهات ولكنه لم يذكر شيئاً عنها سوى أن أشار لاسمها كإحدى قبائل السراة، وهذا يدلنا على أن ألمع إما أنها لم تكن معروفة لهؤلاء، أو أنها كانت أصغر مما هي عليه الآن عدداً ومساحة بكثير.

ومن جهة أخرى فإن معظم قبائل ألمع لا زالت تتوارث نسبها البكري أو التغلبي وتحمل نسبها الألمعي العسيري في نفس الوقت، وقد أشار لذلك فؤاد حمزة عندما حضر إلى بلاد عسير في بداية العقد السادس من القرن الهجري الماضي، فذكر المستفيض حينها حول ادعاء بعض قبائل رجال ألمع انتمائها إلى بكر بن وائل[1]، ثم جاء محمد رفيع في العقد السادس من القرن الهجري الماضي واستوطن رجال ألمع وأعاد الإشارة إلى القبائل البكرية المذكورة، وأشار إلى قبائل بني مسعود وهما "قيس بن مسعود"، و"بني جونة" في ألمع اليمن، بينما أشار النعمي عام ١٣٨١هـ إلى أن بني مسعود وبني جونة وبني زيد هي قبائل تغلبية، وبكر بن وائل قبيلة بكرية.

ونلاحظ هنا قدم الإشارة إلى الحديث المتوارث لدى هذه القبائل المحسوبة على ألمع حول انتمائها إلى بني وائل الذي تنتمي إليه أيضاً قبيلة عسير، وهي إشارة عمرها ثمانون عاماً في مجتمع كان يتصف في تلك المرحلة بالتلقائية، قبل حضور وسائل الإعلام في تلك المنطقة، كما نلاحظ أن هذه الإشارة ليست الأولى فقد أشار محمد المتحمي إلى وجود بني بكر بن وائل وقيس بن مسعود في عسير منذ مائتي عام حين قال:

وقيس بن مسعود وبكر بن وائل وأكرم بشحب في ثراها وظالم

وهذه الأسماء هي أسماء مركبة لأعلام من بني وائل لا زالت تحملها قبائل تتجاور في مساكنها الواقعة ضمن الديار القديمة لقبيلة ربيعة، وتتوارث أنسابها الوائلية، وهو ما يدلنا على

---

(١) حمزة، فؤاد، في بلاد عسير، ص١٥١، ١٥٤.

وجود أصل متوارث لهذه المعلومة، ووجود قبائل أكثر مما ذكر من بني وائل دخلت في قبيلة عسير التي تحتوي بقية بني وائل في تهامة والسراة.

أيضاً فإن هنالك إشارة أوردها محمد الحفظي ومحمد العجيلي عام ١٢٢٠هـ حول تقسيم جيش عبد الوهاب بن عامر إلى رتب نقلها احمد آل فايع فقال:

"ومن ذلك ترتيب الجيوش رتبة بعد رتبة أولهم رجال ألمع وبني بكر وأمر عليهم مانع، ومطوعهم إسماعيل"[1].

والإشارة إلى ألمع وبني بكر كقبيلتين مختلفتين مع أنهما في رتبة واحدة يعني أن بكر لم تكن معدودة كجزء من ألمع في تلك المرحلة المبكرة جداً، بل كانت "بني بكر" قبيلة مستقلة و"ألمع" قبيلة أخرى، قلت ولعل بني مسعود التي تحمل بطونها أسماءً مركبة لقبائل بكرية وتغلبية كانت أيضاً قبيلة مستقلة.

ويؤيد ذلك قول احمد بن عبدالخالق الحفظي:

وتلك ديار قد تسامت بأهلها وهل مثل قومي ألمع وبني بكر[2]

كما نجد أن استخدام المؤرخين لكلمة "عسير السراة" للدلالة على الأربع قبائل المعروفة في السراة منذ بداية القرن الثالث عشر[3]، يدل على وجود قبائل أخرى في تهامة تنتمي لعسير لعل إحداها قبيلة ألمع، وهنا فإن مجموعة قبائل تهامة لم تكن كلها معدودة كجزء من ألمع، ولعل دخول كل قبائل تهامة عسير في مسيرة واحدة مع ألمع التي تتقدمها أسرة آل الحفظي ذات المكانة الخاصة في تهامة عسير خلال تلك المرحلة، وحَّد المسمى تدريجياً لقبائل تهامة عسير تحت مسمى "رجال ألمع".

ومن هنا يمكننا أن نؤكد على أن ألمع تحوي جزءاً كبيراً من قبائل أراشة بن عنز بن وائل مثل جندلة بن أراشة، والعوص، وآل هازم، وشديدة، وتغلب بن وائل مثل بني زيد بن سوادة بن حبيب بن عبدالله بن عدي بن أسامة من تغلب، وأخيه جون بن سوادة بن حبيب...، وبكر بن وائل مثل قيس بن مسعود بن قيس بن خالد، وبني ظالم بن بن الحارث بن سدوس من بكر، وبني بكر بن وائل، فإذا كنا وجدنا لأسماء هذه القبائل المتجاورة والتي تدعي انتسابها إلى بكر

---

(١) آل فايع، ص١٧٨.

(٢) الحفظي، محمد بن ابراهيم زين العابدين، نفحات من عسير، ص١٥٨.

(٣) العجيلي، الظل الممدود، ص٤٢.

وتغلب منذ القدم ما يدل على انتمائها إلى بكر وتغلب وعنز بن وائل بن قاسط، فلا شك أن هنالك غيرها ممن فقدت أسماءها القديمة.

ووضوح وجود بقية لقبائل بني وائل بكثرة في ألمع، وتداول ذلك من قبل أهل الشأن منذ القدم يجعلنا نرجح وائلية هذه القبائل على ما ذكر عن أزدية ألمع، وهو ما يجعلنا نقول إما أن ألمع في الأساس هي واحدة من القبائل التي أصبحت مشمولة بالإسم وليست شاملة لها، أو أن نقول بأن ألمع هو في الأساس اسم موقع تقطنه بعض قبائل عسير التهامية، وليس اسم قبيلة، وما ورد عند الكلبي ونقله عنه النسابون كان وهماً نتج عن انخراط القبائل القادمة من ألمع في جموع الأزد أثناء الهجرات والفتوحات الإسلامية، فاسم "المعا" ورد في الشعر العربي القديم جداً اسماً لموقع، كما هو "بارق" المجاورة لها أيضاً هو في الأصل اسم موقع قديم في الشعر العربي، ولعل ألمع هو تصحيف لاسم "المعا"، فالتسمية بالموقع هو أمر قديم في جهات تهامة وقد قال الشيخ حمد الجاسر في ذلك التالي:

"وتحسن الإشارة إلى أمور قد يحتاج إلى معرفتها الباحث في هذا الكتاب منها أن كثيراً من عشائر تِهامة وما يقرب منها من سفوح السروات قد تنتمي إلى الأماكن التي تعيش فيها أو حولها، وتهمل انتماءها إلى الجِذْم الذي يربطها بأصل معروف، فتشتهر بانتسابها إلى الموضع أكثر من اشتهارها بانتسابها إلى الأصل الذي يربطها بأحد الأصول المعروفة، وهذا معروف منذ القدم، مثل "بارق و"غسان" ولهذا فليس أمام من يعنى بتدوين أحوال العشائر - ممن يجهل الجِذْم الذي ينتمي إليه - سوى ذكر الموضع الذي تحله، وهذا ما فعلته، فذكرت عشائر تهامة بأسماء بلادها مثل "بيش" و"جازان" و"صبيا" و"فَيفَا" و"المِخلاَف" و"الْموسم"، وغيرها، ولا شك أن كثيراً ممن ذكرت ذات أصول معروفة كغيرها من القبائل"[1]

ومن ثم فلنا أن نقول بأن عسيرية القبائل المدرجة في ألمع وبقية تهامة لها أصل تاريخي قديم جداً، وليست وليدة التاريخ الحديث.

أما بقية فروع عسير في تهامة والتي تتعارف على عسيريتها فلا شك أن لهذا الانتماء أصل واضح فيما ذكره الأشعري الذي أورد في القرن السادس عدداً كبيراً من هذه القبائل التهامية ضمن الفروع المنتمية إلى عسير كولد أسلم وثوبان والمنجحة وغيرها كما ورد معنا.

(١) الجاسر، حمد، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، مكتبة شبكة مشكاة الإسلامية، ص٢.

٨- هشاشة المكاسب التاريخية في إمتاع السامر

من أهم الوسائل التي استخدمت في مصادر مجموعة إمتاع السامر لفرض الأفكار كأمر واقع، محاولة تسخير الذاكرة الشعبية والحماس العشائري الضيق كداعم لهذه الآراء من خلال توزيع المكاسب التاريخية التي تغري العامة وبعض الخاصة بالمصادقة ودعم الفكرة، ومن ثم يصعب إقناع من حصلوا عليها بالتخلي عنها، ومن ذلك إطلاق الأسماء على المواقع الجغرافية على غير المستفيض، فمثلاً من رحم كتاب "السراج المنير" المنسوب لعبدالله بن مسفر، ولد في بلاد بني مالك عسير وعلكم ما يسمى بجبل شنوءة الذي أشار الكاتب فيه بطريقة هامشية إلى وجوده في قرية شوحط[١].

وقد أشار الكثير من المؤرخين بعد ذلك إلى وجود جبال شنوءة في بلاد عسير حسب ما تحدث به إليهم بعض أهالي المنطقة، مما يوحي بوجود التواتر حول المسمى، بينما الحقيقة هي أن مسمى جبال شنوءة لم يحدد حتى هذه اللحظة موقعه، ولا يطلق الناس في الواقع على أي جبل أو مجموعة من الجبال مسمى شنوءة على أرض الواقع حتى هذه اللحظة، فقد كانت أول إشارة وردت تحدد موقعه في شوحط كما أسلفنا، ولكني وجدت أن محمد حسن حريري في محاولته إثبات القبائل الأزدية يذكر بأن أحد أبناء قبيلة بني رزام ذكر له أن جبل شنوءة معروف في قبيلة بني رزام[٢]، بينما حدد أحد أبناء المنطقة موقعه جنوب باحة شعار شمال أبها بـ (١٥) كيلاً، ثم أشار في موقع آخر إلى أن قرى (المصنعة) و(آل عاصم) في بلاد علكم تقع على نفس الجبل[٣]، بينما على الطبيعة لا يوجد جبل جامع لهذه القرى ولا توجد سلسلة جبال تمتد بشكل طولي من الشرق إلى الغرب بين هذه القرى المتباعدة بل إن السلاسل الجبلية المتلاصقة في هذه المواقع لها طابع الامتداد من الجنوب إلى الشمال بشكل متتالي ومنفصل ويتباعد كلما اتجهنا شرقاً، فمنذ بداية ظهور فكرة جبل شنوءة وتداولها بين الناس في العقد الأول من هذا القرن الهجري لا زال هنالك ارتباك شديد في فهمها، ولعل هذه التباينات تظهر لنا حقيقة جهل الناس بموقع الجبل وباسمه، وأنه لم يكن هنالك أي سيرة لوجود جبل أو جبال شنوءة في بلاد عسير قبل ورودها في هذه المصادر فاستقبلتها الذاكرة الشعبية بحماس وأعادت تغذية المصادر الأخرى بها،

---

(١) ابن مسفر، عبدالله، السراج المنير في سيرة أمراء عسير، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، ص١٢٢.

(٢) ابن عفتان، بنو رزام تاريخ وحضارة، نادي أبها الأدبي، مطابع الجنوب، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ص١٢.

(٣) آل حامد، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، نادي أبها الأدبي، ١٤٢٦هـ، ص١٠٠، ١٧٢.

ولعل المزورين اتكأوا في هذه البدعة على قول علي الحفظي في النصف الثاني من القرن الهجري الثالث عشر:

بأيدي رجال من شنوءة جدهم ... رقى بهم للمجد حذوة فرقد[١]

والذي يعتبر رأياً حديثاً في عرف التاريخ، بالإضافة إلى أنه يشكل إشارة مبهمة عابرة وضعها دون تعليل من باب الافتراضية والقياس الشخصي بصفته أحد رجال العلم الشرعي الذين قرؤوا في السيرة عن وجود الأزد في السراة وارتباط مسمى شنوءة بأزد السراة فربطوا عسير بها حسب اجتهادهم، ولكن رجال العلم في العصر الحديث لا يعتد باجتهاداتهم لإثبات المتواتر لدى أهل الشأن، كما أن رأيه المقتضب والمبهم لا يرقى إلى أن يعتد به في تحديد النسب إذا ما وضعنا إلى جواره بقية الإشارات، والأهم من كل ذلك أنه مجرد رأي قابل للأخذ والرد، وتأييده لا يعطي الحق في التمادي إلى الكذب والتلاعب بالجغرافيا والتاريخ وتغيير المعالم على الأرض لإثبات صحته.

بينما أشاروا في إمتاع السامر إلى أن الصرد بن عبدالله ينتمي إلى قبيلة تلادة علكم[٢] وأشاروا إلى وجود قبره بقرية المصنعة، وقد كان لهذه الاستدلالات أقوى الأثر في تبني الكثير من أبناء المنطقة لهذه الآراء حتى أصبح الكثير منهم يتحدث عن وجود هذين المعلمين كحقيقة ثابتة.

ويحاول البعض استدراج القبائل المعنية للتشبث بالفكرة، بينما هذا القبر والآثار التي ذكرتها المجموعة والتي أصبحت محددة بموقع معين اسمه (الموقع) في قرية المصنعة[٣] ومثله جبل شنوءة لم يذكرهما "فيلبي" الذي حضر وتجول في بلاد عسير وكتب عنها بالتفصيل في كتابه "مرتفعات الجزيرة العربية"، وأشار لقبر ذي القرنين وكل القبور والنقوش الإسلامية وغير الإسلامية والآثار التي عاينها والتي كان الناس يتحدثون عنها[٤]، كما حضر بعده "فؤاد حمزة" عام ١٣٥٢هـ وتحدث عن عسير وما سمعه ورآه فيها من مشاهدات ومنها قبر ذي القرنين في كتابه "في بلاد عسير"[٥]،

---

(١) رفيع، في ربوع عسير، ص٥٢.

(٢) ن د، ص٨٧.

(٣) آل حامد، المصدر السابق، ص١١٢، ١١٣.

(٤) فيلبي، هاري (عبدالله) سانت جون، مرتفعات الجزيرة العربية، ترجمة وتعليق، غيثان بن جريس، مكتبة العبيكان، ج١/ ص٢٦٥ - ٣٣٠.

(٥) حمزة، فؤاد، في بلاد عسير، ص١٣٦.

ومثلهم كان "محمد رفيع" الذي استوطن عسير وعمل في سلك التعليم فترة من الزمن فكتب عنها كتابه "في ربوع عسير" الصادر عام ١٣٧٢هـ ولم يترك صغيرة ولا كبيرة مما كان متداولاً في حينه إلا ورصده وصوره كقبر ذي القرنين[١]، والمناطق السياحية والأثرية حتى أنه رصد بعض القبور في قرية "تمنية" التي كان يتداول عنها بعض الأساطير فشد رحاله إليها وقام بتصويرها، وقد بحث في كتب التاريخ المتوفرة في حينه بشكل جيد واطلع على وثائق تاريخ المنطقة ومن ثم دوّن كل ما وجده، وكل هؤلاء لم يرد لديهم خبر وجود قبر الصرد بن عبدالله كما لم يرد لديهم أي معلومة عن أنه معروف النسب أو أن هنالك من ينتسب إليه كما لم يرد خبر وجود جبل شنوءة في بلاد عسير، بل إن هاشم النعمي الذي ولد ونشأ وعاش في قرية العكاس الملاصقة لقرية المصنعة لم يشر في الطبعة الأولى التي أصدرها عام ١٣٨١هـ من كتابه "تاريخ عسير..." إلى أن الصرد ينتمي إلى المصنعة أو إلى بلاد علكم أو أن هنالك علاقة لقبيلة تلادة علكم بالصرد بن عبدالله ولا لعسير كاملة بأي حال من الأحوال، رغم أنه أورد قصته في جرش كما وردت في كتب السيرة أكثر من مرة[٢] بصفتها تعني بقصة دخول الإسلام إلى المنطقة، ولم يحدد أي انتماء للصرد سوى بقوله أنه قدم من أحواز جرش[٣]، ولا أشار لقبره، فلماذا غابت هذه المعلومة المتداولة كما يفترض عن كل مؤرخي عسير حتى ظهرت في مجموعة إمتاع السامر، بل وحتى أول كتب هذه المجموعة وهو كتاب "عسير" لمحمود شاكر عام ١٣٩٦هـ والذي كان ينقل شفهياً من نفس المصادر، نقل قصة الصرد بن عبدالله، وأفرد لها فصلاً من عدة صفحات[٤] ولكنه لم يشر إلى انتمائه إلى أي قبائل عسير، ولا أن له عقب في عسير، ولا إلى وجود قبره، مما يدل على أن بداية نشوء هذه الأفكار وتأثر الذاكرة الشعبية بها مرتبط بتطورها في مجموعة كتب إمتاع السامر، فتلقفتها الذاكرة الشعبية في حدود الموقع بأثر رجعي وبحماس، ولكن الأمر لم يكن كذلك خارج إطار الموقع المعني فقد رجح فائز بن سالم الشهري[٥] وسعيد آل رداد الأسمري[٦] أن الصرد بن عبدالله ينتسب إلى قبيلة الحجر غير آبهين بما كتب في هذه المصادر، وهو ما يدل على أن أي قول حول ذلك لا يمكن أن يكون

---

(١) رفيع، في ربوع عسيرن ص٤٤، ٤٥.

(٢) النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ط١، ١٣٨١هـ، ص٩٦.

(٣) النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ط١ ١٣٨١هـ، ص١٣، ٩٦.

(٤) شاكر، شبه جزيرة العرب ١ - عسير، المكتب الإسلامي، ط٣ - ١٤٠١هـ، ص١١٦، ١١٧.

(٥) الشهري، سالم بن فايز آل زاحم، الوجيز في تاريخ وجغرافية بلاد بني شهر، ط١، ١٤١٨هـ، ص٧٠، ١١٩.

(٦) الأسمري، سعيد عوض آل رداد، نافذة الفكر على وطن ونسب رجال الحجر، مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٧، ص١١١، ١١٣.

حاسماً بناءً على ما تحمله الذاكرة الشعبية فقط، في ظل عدم وجود أسس مدونة لذلك فيما قبل ظهور المعلومة في مجموعة كتب إمتاع السامر.

وفي نهاية هذا المبحث نقول بأن عسير هي قبيلة حقيقية ولها نسبها الخاص كبقية القبائل في المنطقة، ومن حق كل شخص ينتمي إلى عسير حسب العرف أن يعتبر نفسه عسيرياً أو أن لا يعتبر نفسه عسيرياً، ولكن لا شك أنه لا يحق لأي شخص أن يعارض المتوارث وما ورد في المصادر القديمة حول نسب هذه القبيلة أو أي بطونها إلا بالدليل من خلال المنهج العلمي والتحليل الواضح المعالم لا أن يتبع هواه ويمارس الوصاية على سواه مدعياً تحقيق المصلحة.

الباب السابع

إقليم عسير
والمعايير التاريخية
بين تاريخ الدولة والتاريخ القبلي

الفصل الأول

المعايير والتاريخ وقيام الدول

١- مصداقية المعايير بين السائد والمفترض

المعايير هي المقاييس التي نقرر استخدامها كمحددات لتمييز الفروقات الوصفية بين الحالات، وهي تمثل في صورتها البسيطة جزءاً من سلوكنا البشري، فهي الوسيلة التي نستخدمها لتقييم الصفات العليا أو الدنيا في تقييمنا لما حولنا أو حتى لذواتنا مادياً أو معنوياً، وقد تحدد المعايير مادياً من خلال النظريات والأبحاث المعملية التي تعني بإيجاد وسيلة للقياس لكل حالة، أو قد تكون متوارثة من خلال الإرث الناتج عن التراكم المعرفي الذي تكوَّن في البيئة الاجتماعية المحيطة لتحديد المعايير المثلى للإنسان والحيوان والمناخ والأرض أو الجمال أو الخير والشر أو غيرها، وتحديد المعيار في الحالتين اختيار بشري مرن جداً اختياراً وقياساً على كل مستوياته، فقد يتغير بين حالة وأخرى وبين شخص وشخص وبين بيئة وبيئة ومرحلة ومرحلة، وليست أمراً ثابتاً أو قطعياً، فلا زالت مصداقية المعايير رغم التقدم العلمي والتقني في محاولة تقنينها من أهم آفات البحث العلمي حتى على مستوى التقنية المتقدمة التي وصلت بالإنسان إلى آفاق جديدة كالطب وعلوم الذرة والفضاء والجينات والأحياء الدقيقة والهندسة الوراثية وتخطيط المدن وغيرها، فكل النظريات العلمية الحديثة التي استخدمت فيها أحدث وسائل التقنية بنيت على اختبارات معملية أو ميدانية صحتها مرهونة دائماً بمصداقية المعايير التي استخدمت فيها، وكثيراً ما يعيد الدارسون إجراء البحث بمعايير أخرى فتتغير النتائج، وحديثاً لجأ العلماء إلى ابتكار أدوات إحصائية مقننة للقياس وتحديد المعايير في الدراسات العلمية المختلفة، فأنشأوا مفهوم "المعيارية" والتي هي فكرة إحصائية فلسفية لا زالت تدور حولها الرؤى والأفكار، فأصبحت النتائج تقاس إحصائياً على أجهزة الحاسب بضغطة زر، ورغم نجاح هذه الطريقة في الكثير من الحالات إلا أننا نجد أنه قد يحدث كثيراً أيضاً أن تخطئ، فنتائج هذه الطريقة في القياس قد تعمم كنظرية أو نتيجة بحث بينما قد لا تكون ممثلة للحالة بشكل كامل، لذا فاستبدال المعايير العلمية بأخرى بين فترة وأخرى أمر بديهي ومألوف.

وإذا كان الخطأ في المختبرات العلمية لقياس ظاهرة ربما تكون محسوسة بشكل جلي أمراً وارداً، فإن معاييراً كثيرة متوارثة بين أيدينا لو أعدنا النظر فيها وأعدنا دراسة حقيقتها لوجدنا أنها لم تعد صالحة للاستخدام، منها معايير مادية وأخرى معنوية.

فالمعايير تختلف باختلاف ثقافات الأمم المتوارثة عبر التاريخ، فنحن نجد مثلاً لكل أمة من الأمم معايير لتقييم الإنسان منها ما يقوم على صفات بشرية متوارثة كالذكاء والمواصفات الجسمانية كالطول والقصر أو لون البشرة أو لون الشعر أو العينين أو غير ذلك، ومنها ما يستند إلى صفات مكتسبة كالشيم والكرم والشهامة والشجاعة والفروسية والفصاحة أو غيرها من الصفات، ومنها ما يقوم على المهنة أو وسيلة الكسب.

وهنالك معايير أشمل تطال الأمم والشعوب وتقييمهم وهي معايير فضفاضة دائماً لوجود المتكلمين في كل أرض ممن يحاول اعتماد المعايير التي تشير إلى تفوقه، فهنالك من ينظر لمعايير تقييم الشعب من خلال واقعه الحالي وهنالك من ينظر إلى تاريخه وما أقامه من دول واسعة النفوذ، بغض النظر عن دور هذه الدول في تاريخ البشرية، وهنالك من ينظر إلى ما قدمه هذا الشعب عبر تاريخه من إبداع في أي مجال سواءً كان أدبياً أو فنياً أو معمارياً وما تدين له الإنسانية به من إضافات للإرث البشري عبر التاريخ، وبين هذا الجدل نجد مكمن الصراع والتنافس البشري على التفوق عبر التاريخ.

وفي العصر الحديث نجد أن الدراسات الحديثة في الدول الغربية بدأت في تغيير معاييرها القديمة فاتجهت لإعادة قراءة التمايز بين الشعوب من خلال اختبارات مقاييس الذكاء، والتي عادة ما تكون أكثر ملائمة للبيئة الأوروبية المتحضرة والغنية منها في دول العالم الثالث والبيئات الفقيرة الأقل تعليماً وصلة بالتقنية المتقدمة، وربما نرى في المستقبل معاييراً جديدة مختبرية تعيد عملية الحديث عن التفوق إلى تحاليل مختبرية بحتة، ولكن نعود لنقول أنه قد تتجدد المشكلة في المعايير المستخدمة في تقرير الاستنتاجات حتى مختبرياً، لأن من يملك التقنية المتقدمة سيستأثر بانفراده بميزة فرض المعايير المناسبة لإثبات تفوقه على من هو خارج اللعبة من الأمم النائمة.

لذا فمن المهم أن تتفهم المعايير التي يمكنها أن تبرز مكامن قوتك، وأن تمسك بزمامها لا أن يفرض عليك الآخرون معاييرهم التي تضع مكامن قوتهم هي الفيصل، فكل البشر لديهم مكامن قوة وأخرى تعد مكامن ضعف، ومن يستطع أن يفرض مكامن قوته كمعايير للتمايز هو من يمكنه أن يحقق لذاته التوازن، ويتلافى مواقع القصور لديه حتى لا يشعر بالدونية أمام الآخرين.

ولا شك أن من أهم محققات التوازن وبواعث التفوق للمجتمع تاريخه، فالتاريخ يحقق للإنسان إشباع جزء مهم من شعوره بالندية للآخرين، خاصةً إذا كان يعاني من تراجع على

أرض الواقع، لذا يجب الاهتمام بمعايير كتابة التاريخ وطريقة عرضه للأجيال والإشارة إلى مكامن قوته بشكل صحيح.

٢- تقييم التاريخ من خلال ربطه بقيام الدول

من المعلوم أن تكوين المدينة يشكل آخر مراحل تطور المجتمعات البشرية فيما قبل مرحلة القرية الكونية الذي نعيش على أعتابه، وقد ارتبطت المدينة في تطورها بوجود القيادة الموحدة كضرورة لا بد منها لكل التجمعات البشرية، ولكن المدينة طورت مراحل نمو هذه القيادة إلى أن وصلت بالإنسان إلى مرحلة تكوين الحكم المركزي الشامل الذي يتجاوز حدود المدينة كمجتمع صغير إلى بسط نفوذ القيادة المدنية على حيز جغرافي تتعدد تحته أشكال المجتمعات.

وبنظرة شاملة لمسار التاريخ ونشوء الحضارات وأثرها في تطور المعارف البشرية، فلا جدال أن نشوء الأحكام المركزية واسعة النطاق فوق الأرض كان أمراً إيجابياً للشعوب التي أقامتها وللبشرية على المستوى العام، حيث وفرت مثل هذه الدول بما تملكه من إمكانات وتنوع أثني وثقافي لا تتوفر على مستوى الكيانات الصغيرة المتفرقة الاستقرار والفرصة للتواصل، ومن ثم الانطلاق للتجديد والإبداع ومن ثم الإضافة للخبرات البشرية، فكانت مفتاحا للتطور البشري والإنتاج والإثراء العملي، ففي ظل وجود الدولة ذات الإمكانيات الكبيرة نشأت الحضارات الكبرى التي علمت البشرية الكثير من الابتكارات وأحدث تواشجها وتتابعها وتنافسها انتقال هذه الابتكارات والفنون بين الشعوب مما وفر تراكما معرفياً عبر الزمن، فعن طريقها تعلم الإنسان سن القوانين وابتكر فكرة الكتابة وطورها وتفنن في العمران، وطور الكثير من وسائل الحياة بما يتلائم مع متطلبات الإنسان في كل عصر، وأقام المعالم الحضارية الكبرى التي لا زالت تمثل إعجازاً بشرياً.

ولكن السؤال الأهم هو: هل كل الدول والأحكام المركزية الشاملة التي قامت عبر الزمن حققت ذلك أو شيئاً من ذلك؟

لا شك أن هنالك الكثير من الدول التي قامت في الشرق والغرب لم تضف للخبرات البشرية شيئاً يذكر لا على المستوى العملي ولا المعنوي، ولم تترك على الأرض إلا خبر وجودها وأخبار طقوسها وعاداتها، أو بعض صراعاتها مع المحيطين، حتى وإن استفادت من الخبرات الحضارية السابقة أو المجاورة من خلال إمكانياتها المادية في البناء والنحت أو خلافه.

فهل قطع قيام مثل هذه الدول خطى أخرى على طريق التطور البشري، وهل يعتبر نشوء مثل هذه الدول ذا قيمة معنوية لتلك الشعوب التي أقامتها، ودليل على تفوق إنسانها وعلو

شأنه على مجاوريه، أم أنه قد يكون ذا دلالة مختلفة في ظل توفيرها الفرصة للإضافة والإبداع لهذه الشعوب التي لم تتمكن من استغلالها.

ويفرض هذا السؤال آخراً على الناحية المقابلة وهو: هل الشعوب التي لم تقم فوق أراضيها الدول والأحكام المركزية القوية هي شعوب خاملة جينياً ولم تساهم في إثراء الإرث البشري لا مادياً ولا معنوياً ولا تستحق أن يدرس تاريخها ؟.

ولإجابة هذا السؤال فمن المهم أن نمر بنظرتنا التقييمية لمفهوم تكوين الدول الكبرى من خلال آفاق مرنة تستطيع التواصل مع الوضع في جميع مستوياته، وأن لا نحصر تقييمنا على النظرة الشاملة فقط.

فمثلاً إذا كان نشوء الدول له دور إيجابي في مراحل التطور البشري بشكل عام، فإنها قد لا تكون كذلك على المستوى الأدنى وأعني هنا المستوى الفردي، فنشوء الدولة الشاملة بأنظمتها القديمة سيعني انتقال جزء من المال الخاص إلى العام ما يعني في حقيقته تقاسم المال الخاص بين صاحبه والسلطة، بينما قد لا يعلم صاحبه فيم ينفق ماله الذي جاهد في سبيل الحصول عليه، أو قد يعلم من خلال مظاهر البذخ على الحاكم وحاشيته، ولكنه في كل الأحوال سيدفع، كما أنه قد يضطر إلى الدخول في حرب ليست من شأنه لتوسيع نفوذ خزنة الحاكم الذي ربما يكون قد استولى على وطنه للتو على حساب حياته، فيدفعه إلى الموت دفاعاً عن مصدر ترفه وسلطته ومجده الشخصي والأسري، وهنا فلا شك أن هنالك الكثير ممن خضعوا لسلطة مركزية قوية عبر التاريخ تمنوا لو أنهم تخلصوا منها، وعاشوا بعيداً عن التسلط على حقوقهم، ولكن دون حيله.

كما يجب أن نفرق بين عملية إقامة المدينة في طوره الأول كسبق لأولئك الفاتحين في التاريخ البشري الذين أقاموا المدينة الأولى فسارت البشرية على أثرهم، وبين عملية إنشاء المدن كتقليد بشري لاحق لتلك المدينة.

وأيضاً يجب أن نتذكر دائماً ن شرارة نشوء الدول القديمة فيما عدا فترة النبوة والخلافة الراشدة تحكم اشتعالها وامتداد أجيجها زماناً ومكاناً أمور أخرى غير الإنسان، فالحضارات الكبرى عبر التاريخ قامت في المواقع الأكثر وفرة للمياه ووسائل الزراعة والأنسب مناخاً، وفي المواقع الإستراتيجية الواقعة على الطرق التجارية الهامة، فنجد مثلاً في المحيط العربي الشرقي أن مصر والشام والعراق هي الأكثر وفرة بالماء وغنى للأرض وتقع في منطقة متوسطة بين قارتي آسيا وأفريقيا وأوروبا وعند نقطة اتصال دول شمال البحر المتوسط بجنوبها، وبالتالي نجد أن هذه المواقع احتضنت حضارات ودول وولايات لم تنقطع عن ترابها منذ العهود الأولى لبداية

الاستقرار البشري إلى الآن، وفي أوروبا نجد دولاً مثل اليونان وإيطاليا ذات المناخ الأقل تطرفاً من الشمال الأوروبي هي المراكز الأقدم في صناعة التاريخ الحضاري في أوروبا وبمراحل كثيرة عن تلك في الشمال.

وحتى عندما أقامت الشعوب الأقل حضاً في المصادر الطبيعية الدول فإنها سرعان ما اتجهت إلى نقل المركز إلى حيث البيئة الغنية ونجد ذلك في تاريخنا العربي الإسلامي، حيث انتقلت الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلى دمشق بعد أربعين عاماً فقط من قيامها ومن هنالك بدأت تتنقل بين الشام والعراق ومصر والمغرب العربي والأندلس لقرون متعاقبة بينما همش دور البيئة الأصلية لقيام هذه الدولة في الجزيرة العربية، لذا نجد الجزيرة العربية بما فيها مكة والمدينة تكاد تخلو من أثر الحضارة العربية الإسلامية مقارنة بالبقية وهي التي حمل إنسانها أعباء انطلاقتها، بينما تغص بغداد ودمشق ومصر وقرطاجة وأشبيليا وغرناطة وإستانبول وغيرها بهذه الآثار، ومثل ذلك أيضاً نجده في تاريخ الدولة المغولية التي أقيمت على أكتاف أبناء تارستان وكافة منغوليا في وسط آسيا حيث البيئة لم تكن غنية بما يكفي فنشتت هذه الدولة وأصبحت مراكزها الكبرى في المناطق الغنية كخوارزم وأذربيجان وبغداد والهند وفارس وهمش دور المركز إلى حد كبير في تاريخ هذه الدول، فنحن نجد آثار هذه الدولة وما تركت من فنون العمران الراقية في بومباي وأذربيجان وخوارزم وغيرها، بينما تخلو تارستان (الوطن الأم) من أي أثر معماري ذا شأن لتلك الدولة، بل إن مواطن تلك الأرض عاد ليمارس الرعي والصيد بطريقته القديمة حتى العصر الحديث.

ولكن لا توجد أي دراسات تدل على تفوق الإنسان الذي يعيش في بيئة غنية في قدراته العقلية وهمته وطموحه على ذلك الذي يعيش في بيئة فقيرة في مواردها، فالأرض هنا أفرزت بيئة صالحة للاستقرار وقيام الحكم الشامل المستمر فوق الأرض بينما تلك لم تفرز هذه البيئة، بل إن هنالك مقولات في الاتجاه الآخر، فأحد أشهر فلاسفة هذا العصر يقول بأن الأراضي ذات المناخ الجاف أكثر ملائمة لنمو الذكاء[1]، ولن نقف عند ما قاله هذا أو ذاك، ولكن يكفي أن ندرك من كل ذلك بأن الإنسان رهين لهذه المقومات الخارجة عن إرادته في مدى إمكانية إقامة المدينة والدولة القوية من عدمها.

فالإنسان فوق تلك المناطق الفقيرة بيئياً أثبت عندما وجد الفرصة أنه يملك طاقة كامنة كبيرة وأنه قادر أيضاً على المنافسة والتفوق والتصدر والإضافة للحضارة البشرية، وعلى سبيل

---

(١) نيتشه، فريدريك، هو ذا الإنسان، ٤٢.

المثال، فقد ظلت الكثير من القبائل العربية التي تقطن الجزيرة العربية خارج إطار المدنية رغم أنها تملك من الذكاء النادر والفروسية والقيم الأخلاقية ما لا تملكه الكثير من الشعوب التي خدمتها البيئة في السبق إلى إقامة الدول وتنظيم الجيوش وتوحيد طاقاتها ومن ثم كان لها أن تغزوا العرب في عقر دارهم، بينما هذه القبائل البدوية تعتبر أعلى مقاماً من تلك الغازية في قيمها وآدابها وهو ما شهد به كل من درس هذه الآداب والفنون وعرف عن عاداتها وشيمها يقول "ول ديورانت":

" قد تكون قبيلة البدو - كبدو بلاد العرب - على درجة نادرة من الفتوة والذكاء وقد تبدي من ألوان الخُلق أسماها كالشجاعة والكرم والشهامة لكن ذكاءها بدون الحد الأدنى من الثقافة التي لا بد منها وبغير اطراد موارد القوت، ستنفقه في مخاطر الصيد ومقتضيات التجارة بحيثُ لا يبقى لها منه شيء لوشْي المدينة وهُدابها ولطائفها وملحقاتها وفنونها وترفها[١]"

ولكن هذه الطاقة الذهنية والهمة التي أشار لها كل من درس آداب وقيم العرب قبل الإسلام ظلت كامنة في هذه الأمة حتى بزوغ الإسلام، لتبرز جزءاً من إرثها الأدبي العالي الذي أنتجته عبر القرون السابقة والذي كان مغموراً في تلك الحقبة، وتقيم واحدة من أرقى الحضارات البشرية لعدة قرون، وتعيد صياغة النظام الكوني عقائدياً وحضارياً وقيمياً مرة أخرى، لتفتح بذلك باباً إلى عصر النهضة الكونية الحديثة، فماذا لو لم يظهر الإسلام وتقم الدولة فوق هذه الأرض والتي عرف خلالها أبناؤها أهمية التدوين فوثقوا تراثهم الأدبي وأساطيرهم؟، ما من شك أن تراثها كان سينسى وسيعد إنسانها في مقام أقل مقارنة بمن حوله، ولنا أن نقيس على ذلك الكثير من الأمم التي لم تحظ بفرصة اشتعال شرارة نشوء الدولة فوق أراضيها لفقر بيئتها أو لتطرفها المناخي أو لأي ظرف آخر، بينما كانت لها فنونها وآدابها التي اندثرت مع الزمن واختفت وفقدت أي صلة لها بها.

لذا فتقييم الشعوب من خلال السبق إلى إقامة الدول والأحكام القوية تاريخياً فيه الكثير من التجني على المعايير الاعتبارية لقيمة الإنسان، والتي فرقته عن الحيوان، كمخلوق متميز بالذكاء والمبادرة عن بقية المخلوقات وليس بالنظام الذي تتميز فيه الكثير من المخلوقات عن الجنس البشري بكثير.

ولمزيد من الإيضاح فإنه في عصرنا الحالي نجد دولاً كالسويد التي تعد إحدى الدول السبع

---

(١) ديورانت، ويل، قصة الحضارة، ١٤.

الكبرى اقتصادياً وصناعياً في الكون رغم صغرها وكفنلندا التي تكتسح تقنية الاتصالات والنرويج وهولندا وغيرها من الدول الاسكندنافية أو دول الشمال الأوروبي التي تعد من أغنى دول العالم وأكثرها استقراراً وتطوراً وإنتاجاً ومساهمة في النهضة التقنية الحديثة كانت قبل أقل من عشرة قرون عبارة عن مجاميع من القبائل المتناحرة جزء منها من أكلة لحوم البشر[١]، بل إن أكل لحوم البشر كان شائعاً بين البريطانيين لدرجة أن يباع في الدكاكين بينما كان شائعاً بين الدانماركيين قبل تسعمائة عام وبين الإيرلنديين حتى قرون متأخرة[٢]، في وقت كانت المدينة قائمة قبل تلك المراحل بقرون عديدة في اليونان والحبشة واليمن والهند وإيران وغيرها من دول العالم الثالث، فأين هذه الدول من تلك في عصرنا الحالي.

فالسبق إلى إنشاء الدول وإقامة المدن فوق الأرض في حد ذاته لا معنى له في الاستدلال على تميز الإنسان وبراعته بقدر أهمية ما ترك الإنسان فوق هذه الأرض من أثر مادي أو معنوي، أو بقدر واقع الإنسان الحضاري في العصر الحالي، فماذا تعني دول الفراعنة المتعاقبة في مصر لولا آثارهم المذهلة وما تركوه من وسائل للكتابة والهندسة والعمارة والفنون والنظم، وماذا تعني دولة بابل في العراق لولا ما وجد من أثرها كالحدائق المعلقة وقوانين حمو رابي وغزوات نبوخذ نصَّر، وهل كانت ستطلق كلمة حضارة على دول اليونان لولا أثر الفلاسفة والشعراء اليونانيين وغزوات الإسكندر بالإضافة لما تركته من فنون وعلوم وآثار على الأرض، فلا شك أن البشرية كاملة مدينة لتلك الحضارات التي تعلمنا منها الكتابة والكثير من الصناعات والنقوش والنحت وطرق الزراعة وطرق البناء، ولكنها ليست مدينة بشيء للكثير من الدول التي قامت دون أن تترك للبشرية ما يضيف إلى معارفها وفنونها في أي مجال، فمجرد وجود مركزية للحكم في موقع ما هو أمر متحقق لأقل الشعوب إنتاجاً فكرياً وأضعفها أثراً في التاريخ، ومن ثم فهذه المركزية لا يمكن أن نسحبها على العموم لتحمل إعلاءً لقيمة الإنسان في تلك المواقع أو تعطيه قيمة حضارية أو اعتبارية تفوق واقعه الحالي، فتكوين الممالك على أسسها القديمة هو أمر فطري متحقق حتى للحشرات والحيوانات كالنمل والنحل وغيرها، وتكوينها بطابعها التقليدي لا يعني التفوق بأي حال من الأحوال.

فلو سلمنا جدلاً بأن أقدمية الحكم والحضارة المادية والنقوش والتماثيل وما إليها من الآثار المدنية المتكررة في كل موقع هي فقط معيار المفاضلة بين الأمم وتاريخها، فإن المواطن

---

(١) البقالي، احمد عبدالسلام، مغامرات سفير عربي في اسكندنافيا منذ ألف عام، ط١، ١٤٢٤هـ، مكتبة العبيكان.

(٢) ديورانت، قصة الحضارة، ج١ ص٢٩.

البريطاني حري به أن يشعر بالدونية أمام صنوه الحبشي أو الهندي، فقد كانت هنالك دولة وحضارة في الحبشة منذ القرن الأول للميلاد وقد غزت هذه الدولة سواحل البحر الأحمر وجنوب الجزيرة العربية عبر السفن عدة مرات[١] وقد وجدت الكثير من الآثار لتماثيل ونقوش وقصور من آثار ملوك الحبشة، في الحبشة وفي اليمن[٢]، بينما كانت بريطانيا طوال تلك الفترة عبارة عن مجاميع قبلية منعزلة في الجزر البريطانية، ولم تعرف التاريخ حتى عام ١٠٦٦م عندما انتقل إليها النرمنديون فأقاموا حكماً مركزياً شمل كل بريطانيا، وامتد حتى العصر الحالي، وربما لو لم ينتقل النرمنديون إلى بريطانيا حاملين خبرتهم في إقامة الحكم المركزي لتأخرت بريطانيا في دخول الحضارة عن ذلك بكثير، أي أن إنسان الحبشة له أسبقية في دخول عالم التحضر على إنسان بريطانيا بألف عام.

ولكن هل يقبل المنطق مثل هذا المعيار للمقارنة، عندما ننظر إلى واقع البلدين والهوة الكبيرة بين المواطنين في وقتنا الحالي، وعندما نقارن بين مساهمة كل منهما في دفع عجلة التقدم البشري، أو لو حاولنا أن نقيم دور كل منهما في الإضافة للإرث الحضاري البشري على وجه العموم؟.

لذا فعندما نريد تقييم تاريخ أمة من الأمم مثلاً فعلينا أن ندرس فنونها وآدابها وأنظمتها وقيمها بالإضافة إلى واقعها قبل النظر فيما بنته هذه الأمم من الدول والأحكام المركزية والنفوذ، فقد يستعصي الإنسان على قيام الحكم المركزي لأنفته لا لدعته وخموله، فمما لا شك فيه أن البشرية مدينة أيضاً لتلك الشعوب غير المنظمة بالكثير من الخبرات والقوانين الاجتماعية الرفيعة التي سمت بطريقة حياة الإنسان ربما أكثر بكثير جداً من هذه الدول، ويكفي أن نتذكر أن كل الحضارات عبر التاريخ مدينة لتلك المرأة شبه العارية في فلسطين أو الأردن أو وسط الجزيرة العربية[٣] التي كانت تخرج كل يوم من كهفها لتلتقط الحب من الأشجار وتعود به لأطفالها إلى أن اكتشفت بعبقريتها نمو النباتات في طريقها من وإلى هذه الأشجار فألقت بذرة في الأرض وراقبتها وإذا بها تنبت مكانها شجرة من نفس النوع لتكون بذرة الحضارة البشرية، فتنقل البشر من الصيد والتنقل في الكهوف إلى الزراعة والاستقرار وإقامة المدن.

وحتى عندما نريد الأخذ بمعيار التمايز بين مجموعات بشرية محددة من خلال إقامة المدينة

---

(١) علي، جواد، المفصل..، ط٢، ١٤١٣هـ، ج٣/ ص٤٥٢.

(٢) سمسم، عبدالمعطي، شبه الجزيرة العربية والحبشة، ص٧٣ - ١٢٧.

(٣) هاوكس، جاكيتا، ووولي، لونارد، ما قبل التاريخ وبدايات المدينة، ترجمة يسري الجوهري، دار المعارف، ص٢٥، ٢٨.

والدول القوية والذي أصبح أمراً تقليدياً في التاريخ فيجب أن لا يكون بأقدمية ولا بطول فترة قيامها، بل بماذا قدمت للبشرية من إضافات جديدة.

٣- بين تكوين الإنسان وتكوين الدولة - نظرة تاريخية

يشترط لتحقق نشوء الدولة توفر ثلاثة عناصر رئيسية وهي أرض وشعب وسلطة، وتختلف الآراء والأطروحات في تعريف مفهوم الدولة بين من يعرضها في صورتها الأولى فيرى أنها: "جماعة من الناس تربط أفرادها رابطة سياسية هي الاشتراك في الخضوع لسلطة مركزية أوامرها مطاعة"(١) بينما يذهب آخرون إلى تعريفات أكثر عصرية فهي مثلاً: "شعب له سيادة على إقليم شرعي معين وتسهر على تمثيله سلطة حاكمة تنوب عنه في ممارسة تلك السيادة في ظل القانون الدولي"(٢)، ونحن هنا معنيون بالتعريف الأول بصفته يمثل الحالة التاريخية تقريباً.

في ضوء التعريف التاريخي للدولة، فإن إمكانية تحقيق مسمى الدولة في مفهومها التاريخي القديم في ظل وجود البشر فوق الأرض لم يكن يحتاج أكثر من السلطة القادرة على إخضاع الطرفين الآخرين لقوتها ومن ثم رضوخهما لها، وهذه السلطة غالباً ما كانت تتجسد في شخص واحد حوله مجموعة من المنتفعين يتمكن من السيطرة على الشعب فوق أرضه لتحقيق مسمى الدولة في كامل صورتها، بغض النضر عن طريقة وصول هذا الشخص للسلطة، والتي قد يلعب المال أو تداعي الأحداث أو الصدف أو القوة المحضة أو التبعية للغير أو نجاح الداعي إلى نفسه على أسس عقائدية مذهبية دوراً في إلتفاف أي العصبيات المحلية حوله في مرحلة ما ثم تستمر سلالته فوق الهرم لفترة زمنية، ولعل سذاجة المجتمع وسرعة انقياده للدعاوى الجديدة وميله إلى الاتكالية تلعب دوراً مهماً في تسهيل ذلك، وهذا هو جل الإرث الموجود بين أيدينا حتى الآن عن الدول عبر التاريخ فيما قبل العصر الحديث، بل إننا نجد في الكثير من الحالات خروج الحكم من أسرة الحاكم المؤسس إلى أحد الخدم في قصر الحكم واستسلام الناس له، ولكأن السلطة عبر الزمن قد تجسدت في كرسي الحكم وليس في شخص الحاكم بما يشبه الوثنية التي تكرس هذا "الكرسي" الجماد كأسطورة لإله القوة والجبروت الذي يبعث الخوف في القلوب، فاستحال المقربون منه إلى كهنة المعبد العارفين بأسراره وحقيقته فمن سبق إليه منهم امتلك زمام الأمة، كما كان حال المماليك الذين ورثوا الدولة العباسية، وكافور الإخشيدي الذي ورث المماليك، وحسين بن سلامة وجياش وبني

(١) ماهر بيك، علي: القانون الدولي العام، مطبعة الإعتماد،١٣٤٢هـ -١٩٢٤م، ص١، ١٢٠.

(٢) أبو سلطان، محمد، مبادئ القانون الدولي العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٤م، ج١/ ص٩٨.

نجاح الذين ورثوا دولة بني زياد في اليمن[١]، أو خميس الذي ورث حكم مدينة الرياض عن سيده في بداية القرن الثاني عشر[٢] وغيرهم، فأي قيمة حملتها تلك الدول للإنسان غير العمل على تدجين المجتمع للقيام بأعمال السخرة ودفع الإتاوات الجائرة، وتقبل الخلل في نظام الحكم المتبع على مدى الزمن حتى ألفوه، بل حتى قبول الغزو الأجنبي والاستسلام لقيادته بسهولة.

لذا فلنا أن نفترض بأن الشعوب الوديعة كانت تاريخياً تشكل بيئة قابلة لقيام الدول والأحكام المركزية القوية واستمرارها، أما الشعوب الأقل وداعة فهي تلك التي استعصت على قيام الدول، ولكن كل هذا بلا جدال يختلف كثيراً عن مفهوم الدول في العصر الحديث، حيث أصبح قيام الدول ضرورة للدخول في عصر النهضة والتقنية والقوة، فلا شك أن نظام الدول المعمول به حالياً في أغلب المواقع قد يعكس مدى رقي الأمم وعلو شأنها، حيث الأنظمة المؤسساتية والدساتير الشاملة الصارمة التي تحقق للفرد حرية المشاركة في الاختيار والتنظيم من خلال صوته ومن خلال اندماجه في المؤسسات التي تخدم أهدافه، كما أن اعتراف المجتمع الدولي بوجود وشرعية النظام تشكل شرطاً أساسياً لوجود الدول، ومن ثم فإننا لا نستطيع تخيل شعباً بلا دولة شاملة في العصر الحديث، حتى ولو كانت ناقصة البناء حسب مفهومها العصري، ولكن الأمر تاريخياً لم يكن كذلك، فنظام الحكم في كل الدنيا كان في معظمه يتكئ على الكهنوت وتكتل المنتفعين حوله في ترسيخ مركزية الحاكم التي تفرض بما بين الترهيب والترهيب.

لذا فمجرد وجود مركزية قوية للحكم وإنشاء المدن على امتداد الزمن في إقليم ما لا يصح التعويل عليه كدليل على التفوق، فكل الأجناس البشرية أقامت الأحكام المركزية والمدن منذ فجر التاريخ، ولكن قليل هم من تمكنوا من الإضافة للمعارف البشرية، وكم كان أحد فلاسفة التاريخ بارعاً عندما قال:

"وليست تتوقف المدينة على جنس دون جنس، فقد تظهر في هذه القارة أو تلك، وقد تنشؤ عن هذا اللون من البشرة أو ذاك وقد تنهض مدن في بكين أو دلهي، في ممفيس أو بابل، في رافنا أو لندن، في بيرو أو يوقطان، فليس هو الجنس العظيم الذي صنع المدينة بل المدينة العظيمة هي التي تخلق الشعب، لأن الظروف الجغرافية والاقتصادية تخلق ثقافته والثقافة تخلق النمط الذي يصاغ عليه."[٣]

---

(١) الحكمي، نجم الدين "عمارة اليمني"، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد الأكوع، المكتبة اليمنية، ص٦٩، ٨٣، ٨٤.

(٢) ابن غنام، حسين، روضة الأفكار، ص٩٥.

(٣) ديورانت، قصة الحضارة، ج١ ص١٦.

ولا نبالغ عندما نقول أن إنشاء الأحكام المركزية القوية في معظم الحالات لم يكن مبدأه الأهداف السامية بقدر ما هو الرغبة في التملك والسيطرة على الآخرين والتي هي فطرة بشرية، فعند نجاح أي شخص في الوصول لإخضاع المجتمع لرغباته فإن تلك هي شرارة قيام الدولة، ويبقى دور الجغرافيا والمناخ والبيئة في استمرارية هذه الدولة أم لا هو الفيصل، أما إذا فشل في إخضاعه فلن تقوم الدولة، فالأمر رهن بتفوق العناصر الانقيادية في المجتمع على تلك الحرة، فقيام الأحكام المركزية القوية قد تكون في بعض حالاتها رهن بالقدرة على تدجين الإنسان ذاته لتقبل هذا النوع من نمط الحياة.

ولو نظرنا في تاريخنا العربي لوجدنا الكثير من الأمثلة التي تدل على أن قيمة التاريخ في حياة الشعوب لا ترتبط بوجود الدول ولا بطول مدتها وتعاقب حكامها وقوتهم بقدر ما ترتبط بمبادرات وإبداعات الإنسان حتى في ظل عدم وجود الدول، فالشعر الجاهلي مثلاً يعتبر أهم المفاخر العربية لفترة ما قبل بعثة المصطفى ﷺ، والأكثر حضوراً في كتب التاريخ العربي لأنه دليل على التفوق العقلي والإبداع للإنسان العربي، ولأنه حمل كل تاريخ الأساطير العربية، من الشنفرى إلى امرؤ القيس إلى عنترة إلى المهلهل إلى طرفة بن العبد وغيرهم، فهو ديوان العرب كما يقول ابن خلدون، بينما هذا الشعر لم يكن يعبر إلا عن حالة من الفوضى السياسية، بل لم يزدهر هذا الشعر إلا في ظل انعدام النظام حيث حمل الرعاة والصعاليك أجمل وأهم ما قيل من الشعر الجاهلي، ومن المدهش أن هذه القبائل وفي ظل انعدام النظام السياسي الموحد في الجزيرة العربية نظمت مسابقات أدبية على مستوى راقٍ في أكبر أسواقها ووضعت لجاناً للتحكيم وثقت أهم ما قيل من الشعر العربي، ووضعت جوائز معنوية راقية المفهوم بتعليق القصائد الفائزة، فظلت هذه القصائد معلقة على ناصية المفاخر العربية حتى الآن، لأنه إجراء يحمل دلالة معنوية كبيرة، فهو ترف فكري لم تصل إليه الكثير من الدول التي قامت حولهم حينها، مثل الغساسنة في الشام وملوك لخم في الحيرة ومملكة كندة في الفاو، ولا حتى في حمير والتي لم يكن يعنيها جميعاً الأدب والشعر إلا من خلال صرف أموال الإتاوات على مرتزقة الشعر في بلاط الحكام، لذا فقد اهتم العرب منذ عرفوا التدوين بتوثيق كل ما قيل من هذا الشعر ولاحقوا الرواة في كل مصر لتحقيق ذلك، بينما أهمل الكثير من المؤرخين أخبار تلك الدول العربية القديمة التي قامت بنفس البيئة، فلم يكتب عن أخبارها إلا النزر اليسير أو ما تطرق له الشعر الجاهلي، لأنهم رأوها فقيرة القيمة التاريخية والحضارية في حياة الشعوب العربية لكونها لم تترك أثراً ذا قيمة على الأرض لا حضارياً ولا أدبياً ولا عسكرياً، لذا رأينا حتى الهمداني ودعبل ونشوان وغيرهم يروون شعراً عربياً وبنفس اللغة السائدة بعد الإسلام على ألسنة ملوك حمير القدماء الذين كانت أسمائهم غير عربية، وكأنهم يقرون بذلك أن هذه الحضارة وقيمة ملوكها ستكون ناقصة إذا لم

تتوج بالشعر العربي الذي كان ذا صبغة قبلية بدوية تختلف جذرياً عن طابع الممالك الحميرية.

ولكي نرى مثالاً أكثر وضوحاً فلنبحث كم هو حجم ما يتردد في تاريخنا وأساطيرنا عن يوم ذي قار وتغني العرب بموقف الوفاء والصمود لإحدى القبائل العربية في تلك المعركة ومغامرتها أمام إحدى القوتين العظميين في الدنيا في ذلك العصر كأحد أهم المفاخر العربية قبل الإسلام التي تدل على عمق قيم الوفاء والمبادرة والصمود والعزيمة العربية، ونقارن ذلك بما حملته الكتب التاريخية من إهمال تفاصيل أحداث تداول ملوك المناذرة للحكم في الحيرة على مدى أربعة قرون والذين قامت هذه المعركة إثر سقوط آخرهم، وهنا سرّ قيمة المبادرة التي دائماً ما تستفز رواية التاريخ دون أن نعي أنها تكمن خلف ذلك الإشعاع، فنهملها ونبحث في تخليد سيرة الحكام وإثبات تميزهم عن بقية شعوبهم.

وعلى مستوى الشعوب العالمية، وعندما ننحي التمثيل بقصة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، والتي تعد حالة خاصة جداً في تاريخ الأمم والشعوب بل أهم الأحداث التاريخية البشرية بصفته حمل رسالة سماوية، فإن لنا في المغول مثلاً وما تركوه من أثر في الذاكرة البشرية خلال فترة بسيطة مقارنة بأعمار الممالك والإمبراطوريات الأخرى في العالم آية في ذلك وعبرة من عبر الزمن وإحدى علاماته وعجائبه التي انهارت أمامها كل قوانين الفلاسفة، فيظل ذلك الشعب وذلك القائد البدوي المبادر المغامر "جنكيز خان" الذي ارتبط اسمه باسم قومه الذين خرج بهم من عششهم الفقيرة التي لا تحمل معتقداً راسخاً ولا تاريخاً حضارياً معروفاً في الدنيا إلى التربع على أوسع صفحات التاريخ على أشلاء أعتى الإمبراطوريات في زمنه في وقت قياسي واحداً من أعظم القادة في التاريخ البشري وأشهرهم، بينما يجهل الكثير من البشر تاريخ وأسماء ملوك الهند، أو ملوك الحبشة، أو أباطرة الصين، أو اليابان، رغم أن هؤلاء ملوك ممالك أعرق وأقدم وأكثر ترفاً وغناً وحضارة من هذه، بل الكثير لا يهتم بمعرفة شيء عن بقية الممالك المغولية الخمس الأكثر تنظيماً وارتباطاً بالعمران والتي انبثقت عن تلك الإمبراطورية الأم، فأمة لا يحمل أبناؤها روح المبادرة هي أمة خاملة حتى وإن حوت مركزية للحكم قروناً من الزمان.

فعندما نقرأ مثلاً عن رجل من أرض ما خرج من خيمته البدوية أو من مزرعته الصغيرة في قريته وحمل مبادرة إعجازية لينقل قومه إلى مقارعة أكبر قوى الأرض فسترتسم في أذهاننا صورة رائعة حول هذه الأمة المبادرة التي أنجبت هذا الرجل، وأولئك القوم الذين اجتمعوا حول أحدهم وصادقوا على هذه المبادرة المغامرة ليصنعوا المعجزات، وستبقى سيرة هذه الأمة أسطورة خالدة عبر التاريخ، مهما صغر الحيز الزمني لمبادرتها، ولكن عندما نقول أن ملكاً هرب من

ملك آخر ولجأ إلى قوم في أقصى الأرض فكوّن دولة بديلة لتلك، فهنا سنكرس القيمة الملكية لهذا الرجل وللأرض التي خرج منها، ولكن بديهياً فإن الجموع التي استجابت لطموحه لم تفعل شيئاً يجعلها تستحق أن توصف بالمبادرة، فلا شك مثلاً أن كل منا قرأ الكثير مما كتب بإعجاب عن عبد الرحمن الداخل "صقر قريش" الذي هرب من مجازر العباسيين فسار إلى أقصى الأرض بمفرده وأنشأ مملكة له في الأندلس، ولكن قليل هم الذين يهتمون بمعرفة من هم الذين ناصروه هناك ليصبح ملكاً على الأندلس، فالإعجاز كان في تمكنه من تكوين الكتلة حوله في غير أرضه وغير قومه وقيادتها لإعادة ملك آبائه، لذا حاز الألقاب والإعجاب بمفرده وربطت هذه الألقاب بقبيلته هو لا بالقبائل التي ناصرته فهو "صقر قريش"، ومثله كان الحسين بن قاسم الرسي (الحسني) من أهالي "ترج" عندما رحل من جبال عسير فامتلك اليمن وأنشأ دولة كرس بها ملكاً له ولأسرته على كافة اليمن امتدت ما بين ٣٨٨ - ١٣٨٢هـ ولكن دولته وامتداداتها في اليمن لم تترك أثراً حضارياً أو عسكرياً يعتد به خارج إطار المحيط اليمني، لذا لا يمكن أن تكون من مفاخر الإنسان اليمني ودلائل تحضره أو همته، لذا تبرأ منها اليمنيون أخيراً واعتبروها فترة تخلف واستبداد، وكذلك كان الكثير ممن تمكنوا من الصعود وأنشأوا الدول على غير أرضهم فبزوا البلاد وتاريخها ولم يضيفوا له شيئاً.

ومن هنا فإن الحديث عن التاريخ القبلي عندما يكون قبلياً وإيراده على حقيقته هو جزء أساسي من المفاخر القومية للأمة ويجب أن نظل نرويه كما هو بتحزباته وتعصباته ونستنطق كل حالة من حالاته لنصل إلى طريقة تفكير الإنسان وأثرها في مجريات تاريخه، فمن المهم معرفة مكامن تحرك الشعوب في الوطن ومحفزات تحريكها، ونقاط قوتها وضعفها وإصاباتها وأخطائها، فالتاريخ القبلي تداخل مع الدول والحضارات على امتداد التاريخ، ويحمل الكثير من المفاخر القومية، فلا منطقية للتقليل من مكانة تلك القبائل التي أسقطت روما أو التي أسقطت فارس أو تلك التي أسقطت الصين وجدارها العظيم أو ملك اليمن أو الخلافة في بغداد، والتعامل مع تاريخها بفوقية لمجرد أنها قبائل بدائية، فبين تلك المجموعات البشرية وجدت طاقة من الاعتزاز والثقة والصمود والمبادرة والذكاء ما يجعل مبادراتها أهم بكثير من كل النقوش والتماثيل التي استنسخ النحاتون فكرتها ممن قبلهم لتخليد ذكرى الدكتاتورية فوق ترابهم، ففي تاريخ القبيلة الكثير من العبر العميقة في دلالاتها.

من كل ما سبق فإننا نستشف أن الحديث عن حقيقة من حملوا زمام المبادرة وفرسان المقاومة الأول في عسير على مدى قرن من الزمان وعن تبادل كرسي الحكم بين أبناء القرى الفلاحين المعجونين بطينة الأرض وجبالها ووديانها وقدرتهم على صناعة المستحيل، وتنقل

الإمساك بزمام المبادرة بين قروي وآخر وبين قرية وأخرى ليهزوا عرش الإمبراطورية العثمانية العظمى في ذلك العصر، والحديث عن فنون إنسانها وتميزه ونمطه الخاص في فن العمارة وهندسة الري والنقش والتطريز وآدابه وتراثه وأساطيره وحكاياته، لهو أوفى لإثبات تميز أرضها وإنسانها من التمسك بالنواجذ بخرافة دولة مزعومة عمرها قرون يرفض وجودها التاريخ الحقيقي حُمِلَت من أقصى الدنيا على يد رجل واحد إلى أرض لا ينتمي إليها فسلمته زمامها، ثم لم تتمكن هذه الدولة رغم هذه القرون من ترك أي أثر على الأرض ولو بحرف في صفحة شاردة في كتاب تاريخي هنا أو هناك على يد أي معاصريها على مدى ١٢٠٠ عام ممن أفردوا الكثير من الصفحات لقبائل صغيرة داخل هذه الدولة (المزعومة) أو مجاورة لها ذكروا الكثير عن أحداثها وحكاياتها وأبطالها وشعرائها، والبحث عن كل ما أنتجته الأرض ذاتها من مفكرين وشعراء وفقهاء، ومنع تلاعب الأهواء بهم لهو أولى بكثير من التغني بأكذوبة تعطي كل تبر الأرض لبلاد أخرى جاء منها الغيث بنسلٍ مزعوم فرض على الناس الحكم وأصلح حالهم المتردي قبله فتولى قروناً عديدة لم يعارضه أو ينافسه أحد منهم، فقرضت سلالته الشعر الفصيح لوحدها فوق أرضهم وبنوا القصور والحدائق واستقدموا لها أهل العلم والشعر من كل أرض، بينما تحمل الحكاية ضمنياً بين طياتها أنه لم تستطع الجبال التي يقيمون عليها أن تحاكي إبداعاتهم بإنتاج فقيهاً أو شاعراً واحداً، فتصرف بها بنو يزيد كيفما شاءوا فنظموا القبائل، وحموها، وعلموهم أبسط قواعد الجوار وشيم العرب، وغيروا في طبقات المجتمع، وأسكنوا من يرغبون به ورحلوا من لا يرغبون به، وكأن الناس بها لم يكونوا إلا دمى لهم.

كما أن البحث على العموم عن تاريخ الإنسان ذاته وإبداعاته ومآثره وأساطيره أولى بكثير من احتكاره في البحث عن التاريخ السياسي فقط ليختزل الوطن في أشخاص من تسنموا السلطة فتروى نزاعاتهم وأخبارهم التي نمقها المتزلفون بشيء من التهويل والتمجيد الفارغ، فأي المفاخر قد تحمل للشعب اليمني مثلاً من إقامة بني زياد وبني الطاهر الأمويين وبني الرسي وبني المهدي الهاشميين وبني رسول الغزيين وبني نجاح الأحباش لعدد من الدول فوق التراب اليمني واستنزاف الدماء اليمنية في نزاعاتهم على مدى إثني عشرة قرنا، ثم لم تترك أيها أثراً على الأرض يستحق الذكر سوى بضعة كتب تاريخية كلها تتحدث عن نزاعاتهم على حساب أهل الأرض، وأي قيمة حملها هذا التاريخ الذي لم يحمل سوى أخبار الصراع الذي لم يتجاوز صعدة وتعز وصنعاء وزبيد ويقوده مهاجرون حلوا تلك الأرض، فتاريخ مثل هذه الدول التي حاول المؤرخ القدير محمد الأكوع أن يلمز مجاوريه بالدعة والخمول لعدم قيام أمثالها فوق أرضهم

خلال تلك المرحلة[١] لا يمكن اعتباره من المفاخر مطلقاً، بل هو يحمل إشارة مخالفة لما رمى إليه، فهو لا يعدو عن إخبار بسهولة تسلط الآخرين على أهل الدار.

ولعلنا نجد الفهم الحقيقي لتقييم تاريخ الدول التي قامت على الأرض في توجه مؤرخي بلاد اليمامة حول دولة بني الأخيضر التي قامت فوق ترابها في أواسط القرن الثالث الهجري فقاسمت اهلها خير بلادهم ودمرت اقتصادها ما أدى لرحيل جزء من سكانها إلى مصر والحجاز بمجاميع كبرى بينما لم تضف أي مكاسب حضارية أو أدبية لها[٢]، مما حدا بمؤرخيها إلى البحث في تاريخ بلادهم المحلي، منفرداً عن هذه الدولة، بل اعتبروا فترتها ذات أثر سلبي على تاريخ بلاد اليمامة[٣].

ولكن لا شك أن لليمن الحق في الفخر بتاريخ دولة سبأ وقتبان ومعين وأوسان وحمير وغيرها من الدول التي تركت لها إرثاً حضارياً رائعاً مثلما أن لها الحق في الفخر بالهمداني ونشوان وابن خلدون وغيرهم من أعيان اليمن الذين اثبتوا قدرة الإنسان اليمني على التفوق، كما أن لبلاد اليمامة حق المفاخرة بالأعشى والفرزدق وجرير والكثير غيرهم من أعلامها عبر التاريخ، وبالشيخ محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود والعديد من أحفاده وبقيام الدولة السعودية فوق ترابها.

كما يحق لبلاد السراة أيضاً أن تفاخر بتميز الإنسان الجرشي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام في الإنتاج والصناعات الحربية المتقدمة عن بقية أقطار الجزيرة العربية وأن تفاخر بأعلامها من الشعراء الجاهليين كالشنفرى وعمرو بن معدي كرب وتأبط شراً وحاجز الثمالي وغيرهم، وأعلامها في العصر الإسلامي من الصحابة كأبي هريرة وعامر بن ربيعة وعبدالله بن عامر وعمرو بن الطفيل والصرد بن عبدالله أو في العصور الإسلامية اللاحقة كابن دريد والخليل بن احمد الفراهيدي والمبرد والطحاوي والكثير غيرهم ممن خرجوا من هذه الجبال إلى الحواضر الإسلامية، وبالأمراء والقادة الذين ولدوا من رحمها أمثال الأمراء محمد بن عامر المتحمي وعبدالوهاب بن عامر المتحمي وطامي بن شعيب المتحمي ومحمد بن أحمد المتحمي وسعيد بن مسلط الناجحي وعلي بن مجثل الناجحي وبخروش بن علاس وسالم بن شكبان

---

(١) الأكوع، محمد، اليمن الخضراء، ١٥٨.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ٥٨.

(٣) الناصر، صالح بن سليمان، ولاية اليمامة دراسة في الحياة الإقتصادية والاجتماعية حتى نهاية القرن الثالث، ص١٧٣، ١٧٤.

وعثمان المضايفي وابن حرملة وابن دهمان والشاعر الأمير مداوي بن محمد المتحمي وبالعلماء الكبار أمثال محمد بن أحمد الحفظي ومحمد بن هادي العجيلي وعبدالقادر الحفظي وسحمان بن مصلح وسليمان بن سحمان وأحمد أبو عزمة المثوب والكثير غيرهم من الأعلام، وبالإمارة العسيرية التي أقامها أبناؤها في العصر الحديث.

ولكن لا شك مطلقاً أنه لا وجه إطلاقاً للمفاخرة بعلي بن محمد بن عبدالرحمن بن يزيد بن معاوية "المزعوم" وذريته حتى لو افترضنا جدلاً صحة خبره.

الفصل الثاني

غياب الدول عن أرض عسير

في القرون الإسلامية الوسيطة

يقارن البعض من المؤرخين ما بين منطقتي مكة المكرمة واليمن كمناطق استمرت الولايات قائمة فوقها خلال القرون الوسطية في الإسلام من جهة وبين منطقة جبال السروات (عسير) كمنطقة متوسطة بين الطرفين لم تتكون بها الدول منذ القرن الخامس وحتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، وقد دفع هذا الوضع بعض الكتاب المجاورين لعسير إلى تفاخر غير متزن تمادى إلى انتقاص إنسان هذه المنطقة ووصمة بالدعة والخمول لاختفاء الأحكام المركزية الشاملة عنه خلال هذه المرحلة، بل وحاولوا تعميم حالته في هذه المرحلة على كافة تاريخه، فهذا مؤرخ اليمن القاضي محمد بن علي الأكوع يقول:

" تاريخ عسير والسروات

معلوماتنا التاريخية عن هذه المخاليف ضئيلة بالنسبة لأحواله السياسية وأحداثه ووقائعه والأيام وغامض كل الغموض.

وكأن المؤرخين الذين تواريخهم تحت أيدينا والتي حملتها كتب المعاصرين، سالفي الذكر، قد أهملوا الكلام عنه بالكلية إلا نتفاً ليست ذات بال.

ولعل مرجع ذلك إلى استغنائهم بما جاء ويجيء في المخلاف السليماني الذي يجود لنا أخباراً جمة عن هذه السروات، ومن ناحية أخرى أنه بمجرد الاستيلاء على المخلاف السليماني تتداعى تلك القمم الشماء ساجدة وتتنازل عن كبريائها وشموخها إلى مستوى الأرض اللينة السهلة: أرض تهامة، لتعانقها معانقة الحبيب لحبيبه، وذلك لاحتياج السروات إلى موانيها الطبيعية الواقعة على البحر الأحمر فتصدر منتوجاتها، وتمتار من وارداتها ولو ظلت صامدة في كبريائها لاغتالت حياتها بيدها وفي عقر دارها.

يضاف إلى هذا أن هذه السروات المذكورة غير منجبة لزعماء ورؤساء يقتادون الصحاب ويمسكون الزمام، ويقاومون الغزاة، ويكبحون جماحهم، وسر ذلك غلبة الجهل وعدم الطموح وبعدهم عن مجرى السياسة واحتكاكهم برجالها فهم أشبه بالرعاع، ورعاء الشاة والإبل، فلا يعرفون من دنياهم غير السراح والرواح لماشيتهم وإلى ومن حقولهم ومزارعهم"[1].

ومن خلال ما قاله الأكوع فإنه قد تطاول على الإنسان والأرض في عسير والسروات كما تطاول على أبناء البادية، فقط لأنهم لم يقيموا دولاً كتلك التي قامت في بلاده في القرون الوسيطة، فوصمهم بالجهل والدعة والخمول وشبههم برعاة الإبل ازدراءً للطرفين، ولا شك لدينا أن الأكوع قد اخطأ في معاييره وفي تقييمه وفي تقصي المصادر حول منطقة عسير المجهولة في التاريخ اليمني والتي أصر على يمنيتها بينما حاول تجهيل تاريخها وازدرى أهلها، فهذه المنطقة لم تكن خارج التاريخ كما يوحي كلامه، ولم تعدم قيام الحضارات القديمة التي أثرت التاريخ العربي والبشري منذ العهود السحيقة، وإذا كانت لم تحض بعناية علماء الآثار كأولئك الذين مروا باليمن خلال العقود السابقة فأظهروا الكثير من خفايا التراث اليمني، فلا شك أن التشدد الديني في بداية تكوين المملكة العربية السعودية الحديثة والذي جعل جماعة الأخوان تدمر جميع التماثيل التي وجدت في مدائن صالح والبدع وتهدم قبر ذي القرنين في أبها كان له دوراً في ذلك، ومن ثم فلم يكن هنالك مجال للتنقيب عن آثار تاريخية في ظل هذه النزعة المتشددة خلال الفترة الماضية، ثم كان لإهمال وكالة الآثار في وزارة المعارف لهذه المنطقة لعشرات السنين دوراً في ذلك، ما أدى لتلف جزء كبير من هذه الآثار والنقوش تحت جنازير المعدات الثقيلة التي تكاد تكون قد حولت كل شبر في هذه الأرض إلى منشآت وطرق وأراض زراعية وسكنية، ولكن المصادر التاريخية العربية القديمة تحمل لنا خبر وجود حضارة مشرقة فوق هذه الأرض في العهود السحيقة، بل وحتى النقوش التي كشف عنها علماء الآثار في الجزيرة العربية دلت على وجود حضارة مستقلة ومنتجة وممالك قامت فوق هذه الأرض منذ ما قبل الإسلام بقرون عديدة، إلا أن هذه الأرض كسائر مناطق الجزيرة العربية الأخرى توقفت عن مسايرة الحضارات منذ انتقال الخلافة إلى خارج الجزيرة العربية ما أدى إلى إهمالها كاملة ما عدى مكة المكرمة واليمن لاعتبارات كثيرة لا تتعلق باختلاف إنسان هذين الإقليمين عن البقية، فمكة المكرمة كانت محط أنظار كل الدول الإسلامية منذ البعثة وحتى الآن، فكانت كل منها تحاول السيطرة الحرمين الشريفين لدعم شرعية قيادتها للعالم الإسلامي، لذا

---

(١) الحوالي، اليمن الخضراء، ص١٥٨.

ظلت مكة ولاية عامرة على امتداد التاريخ الإسلامي ولكنها في كل عصورها كانت تابعة للدول الإسلامية خارج الجزيرة العربية، ولم تكن مستقلة بحال من الأحوال على الإطلاق، أما اليمن فإن الموقع الجغرافي المطل على باب المندب والمطل على بحر العرب المتصل بدول جنوب شرق آسيا كالهند وغيرها، والكثافة السكانية التي تميزت بها اليمن، كانت مغرية لكل الدول الإسلامية للسيطرة عليها كأكبر تجمع سكاني في الجزيرة العربية، ومن ثم كان للولايات التابعة للدول الإسلامية أن تقوم وتتصارع فوق تراب اليمن، ولكن وجود هذه الدول لم يؤدِ إلى ارتفاع مستوى الحضارة والقيم في تلك المناطق عنها في بقية أنحاء الجزيرة العربية بما فيها عسير، فهذا مفرح الربعي وابن بطوطة والقلقشندي تحدثوا عن ما كان الناس يقومون به من إقراء لقوافل الحجاج في منطقة عسير في ما ين القرن الخامس والثامن عندما أتى كل منهما، والتي كانت تفتقر إلى الحكم المركزي القوي الشامل في تلك المرحلة، ثم يتحدث ابن المجاور عن الطرق المتحضرة للناس في هذه القرى في إدارة شئونهم الشرعية والاقتصادية، وعن تنوع محاصيلهم وفواكههم[(١)]، وتحدث القلقشندي عن شدة تدينهم وسلامة منهجم العقدي وعن كرمهم وأخلاقهم[(٢)]، وتحدث تاميزيه عن ملابسهم وتحضرهم وأسهب في ذلك، بينما تحدث الريحاني عن الحالة الاجتماعية في اليمن في عهد الإمام بما يدل على أنها لا تزال تعيش حالة قبلية فقيرة إلى الكثير من القيم، ولا تمت للحضارة في أبسط صورها بصلة.

ومن هنا فكلام القاضي الأكوع رحمه الله لا يحمل أي دواع الفخر خاصةً إذا علمنا أن كل الدول التي قامت فوق التراب اليمني كانت ولايات تابعة للخلافة الإسلامية ثم للدولة الأموية ثم العباسية ثم للقرامطة ثم للمماليك ثم للدولة العثمانية، وكان حكامها من خارج اليمن، ومن ثم فلا معنى لهذه الولايات ولا اختصاص للمواطن اليمني ولا تميز بإقامتها عن جيرانه، الذين لم يمتلكوا المؤهلات الجغرافية والديموغرافية والبيئية التي امتلكتها اليمن.

فتكوين السلطة المركزية الواسعة يعتمد دائماً على ثلاثة عناصر وهي الأرض والإنسان والسلطة، وللعنصرين الأول والثاني الدور الأبرز في إطلاق شرارة تكوين الدولة، فللعنصر الأول مثلاً وهو "الأرض" في بناء الدولة رأيه أحياناً في مدى قبول الخضوع لسلطة مركزية واسعة تتصل بالآخرين في أنحاء الوطن أم لا، فالتكوين الجغرافي والمناخي للأرض قد يكون سبباً في صعوبة تكوين الدولة الشاملة للإقليم، وحتى عند تكوين الدولة فإن الأرض بجغرافيتها

---

(١) - الربعي، سيرة الأميرين، ص١٢٣،
- ابن بطوطة، تحفة النظار، ص٣- ٣٧، ٣٨، ١٤٨، ٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) القلقشندي، أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية ١٣٣٣هـ(١٩١٥م)، ج ٥/ ص٣٨.

ومناخها على قدر كبير من الأهمية في القدرة على مقاومة الانهيار عندما تتعرض لأي المصاعب، كأن تكون الأرض شديدة جبلية أو تكون صحراوية قاحلة وممتدة ذات تخلخل سكاني بحيث يصعب التواصل مع أو بين ولاياتها عند توسع رقعتها، كما أن فقر الأرض أو غناها له دور رئيسي أيضاً حيث نجد الدول المركزية المستقرة تأرز إلى حيث الأراضي الغنية بالأنهار ذات الإنتاج الوافر القادر على سد حاجة الجيوش المتحركة عبر الآفاق عبر الزمن.

وقد تكون الأرض ذات موارد جيدة ولكنها غير ثابتة، بحيث يرتبط غنى البلاد أو فقرها بنزول كميات كبيرة من الأمطار واستمرار جريان المياه في الأودية، ولكنها في نفس الوقت عرضة للجفاف في أي السنين، فتخلو الأودية من المياه، ويتراجع إنتاج البلاد الزراعي والحيواني بدرجة كبيرة بين فترة وأخرى ما يؤدي إلى سرعة تكون الدول وامتدادها خلال فترات من تاريخها ثم تراجعها تحت طائلة قلة الموارد كما هو حال منطقة عسير مثلاً، بل وكامل جبال السروات الواقعة بين الطائف وصعدة، وقد تحدث أحد المؤرخين الذين زاروها عن هذه الحالة من التقلب المناخي في المنطقة[1]، لذا نجد أن هذه المنطقة سطرت حضارة جيدة في العصور الغابرة في مدينة جرش وكانت متميزة في إنتاجها الصناعي حيث كانت مهد الصناعة الحربية المتقدمة كالمنجنيق والدبابات والعرادات في الجزيرة العربية بالإضافة إلى تميزها في صناعات النسيج ودباغة الجلود ناهيك عما ذكر من تميزها الزراعي حيث اشتهرت بإنتاج العنب الجرشي والزبيب وبالإنتاج الحيواني حيث كانت الإبل الجرشية من أشهر الإبل العربية كما ورد في كتب السيرة وكتب التاريخ، وسنتحدث عن ذلك بإسهاب في موضعه، وكان لها قوة ونفوذ واستقلالية حتى أن أحد ملوكها غزا بلاد فارس متحالفاً مع الملك اليمني شمر يهرعش (٢٧٥ - ٣٠٠م) الذي مر به وتضامن معه في محاربة الفرس كما يقول أحد النقوش الذي يفيد بذلك في مدينة مأرب[2].

وقد استمرت هذه الحضارة حتى اندثرت منذ القرن الخامس الهجري ولم تعد لقوتها إلا مع نهاية القرن الثاني عشر الهجري بقيام الحكم المركزي في عسير على يد محمد وعبدالوهاب ابني عامر أبو نقطة المتحمي.

كما أن العنصر الثاني وهو المجتمع قد يفرض رأيه، فنوع ومزاج البشر فوق الأرض قد يكون سبباً لعدم تكوين الدول فوقها.

---

(١) حمزة، في بلاد عسير، ص١١٢.

(٢) شرف الدين، أحمد حسين، المدن والاماكن الأثرية في الجزيرة العربية، ط١، ١٤٠٤هـ، ص٦٨.

وفي إقليم عسير نجد أن السببين قائمان، حيث تقلب المناخ، وصعوبة التضاريس نظراً لجبلية الأرض وامتدادها طولياً كشريط جبلي يمتد من الشمال إلى الجنوب بمسافة تتجاوز ٥٠٠كم تشقه طولياً هوةٌ عالية على طول هذه المسافة ارتفاعها حوالي ٢٠٠٠م تفصلها إلى جزأين متباينين جغرافياً وبيئياً، فيليها غرباً منطقة دافئة تتكون من جبال شديدة الوعورة تتخللها أغوار تتصل بالسهول الساحلية، ويليها من الشرق منطقة باردة نسبياً تتكون من هضبة جبال السروات المتصلة جغرافياً في الشرق بمناطق السهول الشرقية مشكلةً هضبةً تمتد حتى مشارف صحراء الربع الخالي، ما جعل هذه الهضبة معزولة عن السهول والموانئ الغربية جغرافياً وبيئياً، وقد أوجد هذا الوضع الجغرافي نوعاً من الصعوبة في التواصل بين الجانبين فكان التواصل متحققاً للمناطق الجبلية في السراة مع جهة الشرق حيث مناطق البادية أكثر مما هو بينها وبين السواحل المقابلة أو مع بقية بلاد السراة، مما جعل الكيانات القبلية المحلية المتفرقة تشكل بديلاً عملياً للكيان المركزي الشامل وتحقق لها الكفاية من الناحية الأمنية، وكان ذلك هو حال بقية أقاليم وسط الجزيرة العربية.

كما نجد أن مزاجية الإنسان القبلية وميله إلى الحرية فوق الأرض لها الدور الأكبر في رفض إمكانية الاستسلام للسلطة المركزية القوية، حيث لم يعتد الإنسان الجبلي الخضوع للسلطة المركزية التي تحد من حريته أو تأخذ جزءاً من عرقه لصالح الحاكم وذويه بسهولة، حيث يذكر التاريخ أن هذه الأرض ومع أنها أرض حضرية مستقرة في غالبيتها بقيت خلال القرون الإسلامية الوسيطة منيعة لا يدفع أهلها الخراج لأحد وينعمون بمحاصيلهم وقوتهم لا يشاركهم فيه أحد كما يقول ابن المجاور[1] رغم أنها كانت إسمياً تتبع للحكم في مكة، وقد تبخرت طموحات ذوي الطموح والدعاة الحالمين بمركزيتهم الدينية فوقها، حتى أن بعض القبائل كانت تأنف من أن يوضع عليها رئيساً له صفة الديمومة أو التوارث، فكانوا يختارون شيخاً منهم ذا عقل وفطنة[2] ليسترشد الناس بتوجيهاته، وقد لفت انتباه المؤرخ محمد رفيع رحمه الله وضع إحدى قبائل المنطقة في هذا الخصوص فقال في كتابه "في ربوع عسير":

"وكانوا قبل وصول دعوة ابن عبدالوهاب أهل عز ومنعة يحمون الجار والذمار، وما كان أمرهم إلى رجل منهم لعظمة نفوسهم، كل رجل يرى نفسه أميراً"[3].

(١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٣٧.

(٢) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص ٣٨.

(٣) رفيع، في ربوع عسير، ص١٢١.

ورغم أن هذه الأرض لم تكن على امتداد تاريخها مطمعاً لحكام الدول اليمنية التي كان نزاعها في حدود وطنها المنتهي شمالاً بصعدة، فإنها لم تغب عن محاولات شريف مكة الذي كان يراها امتداداً لنطاق ملكه فكرر حملاته عليها لإخضاعها للنفوذ الكامل لحكمه دون جدوى، كما سيأتي معنا.

وحتى عندما أقام العسيريون منذ بداية القرن الثالث عشر فوق أرضهم الحكم المركزي القوي الذي اتسع ليحوي جزءاً كبيراً من اليمن ومن الحجاز ونجد وتهامة فوق هذه الأرض فقد ظل الإنسان فوقها حراً منيعاً على حكامها، تحول نخوته وشيمته دون أن يتخلى عن حماية المستجير من حاكم ظالم مهما كان الثمن، بل ويتدخل الأهالي في شئون الحكم بشكل سافر فيشنون الحروب ضد الغزاة أو مع المجاورين دون إذن الحاكم، بل إن معظم الحروب كانت تبدأ قبلياً ثم يتم استحضار الحاكم كرمز لجموع الجيوش، وكأن الحرب كانت قراراً شعبياً جماعياً يفرض على الحاكم.

وهنا سننقل بعض ما ذكره المؤرخون من أحداث تشي بتفاصيل نظام حياة ومزاج الإنسان ونظام الحكم الذي ساد فوق هذه الأرض في كتب التاريخ لتوضيح بعض ملامح الصورة:

١- يقول ابن المجاور في وصف جبال السروات ما بين الطائف وصعدة ما يلي:

"ما بين الطائف وصعدة

جميع هذه الأعمال قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر والصغر وكل قرية منها مقيمة بأهلها، كل فخذ من فخوذ العرب وبطن من بطون البدو في قرية ومن جورهم لا يشاركهم في نزلها وسكنها أحد سواهم. وقد بنى في كل قرية قصر من حجر وجص وكل من هؤلاء ساكن في القرية له مخزن في القصر يخزن جميع ما يكون من حوزة وملكه وما يؤخذ منه إلا قوت يوم بيوم. ويكون أهل القرية محتاطين بالقصر من أربع ترابيعه. ويحكم على كل قرية شيخ من مشايخها كبير القدر والسن ذو عقل وفطنة فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشيره عليهم ويحكمه فيهم. وجميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان ولا يؤدون خراجا ولا يسلمون قطعة إلا كل واحد منهم مع هوى نفسه"[1].

- ومن خلال وصف ابن المجاور لهذه الأرض في القرن السابع نجد أن المجتمع كان يعيش حياة آمنة، وفي منأى عن العدوان الخارجي حيث أشار أنه لا يشاركهم أحد في قراهم ولا في محصولهم، ولا يدفعون إتاوة لأحد من السلاطين، ومن هنا فوجود الدولة أو الحكم المركزي واسع النطاق الذي يحقق الحماية من الأعداء، أمر لم تدع الحاجة إليه في تلك الحقبة، لعدم وجود

---

(١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٣٧، ٣٨.

الأعداء الخارجيين، عدى الحروب القبلية المحلية التي أشار إليها، والتي لا تدعو إلى قبول تسلط الحاكم البعيد مقابل صدها نظراً لمحدوديتها، كما أن ما أورده من إشارة لوجود حاكم لكل قرية، ونظام اقتصادي صارم وشامل في كل قرية من القرى التي أشار لها يدل على وجود النظام الذي يحترمه السكان، ونستفيد من ذلك أن هذه الكيانات القبلية كانت عبارة عن دول مصغرة بديلة، لها أنظمتها وعلاقاتها الخارجية وقوانينها الأمنية والاقتصادية الصارمة، بحسب ما تدعو له الحاجة، ولكن لم يكن لقياداتها حق جمع الإتاوات من الناس.

٢- ذكر محمد بن فهد أنه عام ٧١٤هـ لجأ الشريفان حميضة ورميثة إبنا أبي نمي ببلاد السراة هرباً من أخيهما أبي الغيث بن أبي نمي وتكرر ذلك في أحداث سنة ٧٦٢هـ[1].

- وما ذكره ابن فهد هنا يعطينا فكرة عن سيطرة القيم القبلية على تصرفات سكان هذه الجبال كالإجارة وإعطاء حق "اللجوء السياسي"، بعيداً عن الاهتمام بقوانين الولاة، وهو ما عرضهم للكثير من المتاعب، وهو ما سنجد تفاصيلاً أكثر عنه في الفقرة رقم "٥".

٣- ذكر عزالدين ابن فهد أنه عام ٨٣٧هـ قاد الشريف رميثة بن عجلان حملة على شهران (إحدى قبائل بلاد السراة) فانكسر جماعته وقتل هو وجماعة من القواد والعبيد[2].

- وهنا نجد إشارة قوية إلى محاولات أشراف مكة المتتالية فرض سيطرتهم على هذا الإقليم وما واجهته هذه الحملات من مقاومة لطموحاتها أمام قبائل محلية ليس بها كيان سياسي، بينما الشريف كان أكبر قوة في الجزيرة العربية.

٤- يقول عز الدين بن فهد:

"وفي أول ٩٠٧هـ سافر السيد بركات وعسكره إلى جده،لأجل التوجه لزبيد، وخلف أخاه السيد قايتباي بمكة، ثم لحقه وجاء عسكر من عرب اليمن، دوس، وأوس وغيرهما إلى مكة فأرسل لهم الشريف عنقاء فوجد بعضهم يضارب مع عبد للمحتسب، فشكوه له، فضربه وأرضاهم، فلم يقنعهم ذلك، وتوجه جماعة منهم لربيع التوريزي، فخرج لهم جماعة من الترك فتناوشوا وإياهم، ورموهم بالنشاب"[3].

---

(١) ابن فهد، محمد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٣/ ص٢٧٥.

(٢) بن فهد، عز الدين، غاية المرام بأخبار البلد الحرام، ج٢/ ص٤٨٣؛ وانظر: "أهل السراة في القرون الوسيطة" لعبدالله أبو داهش، ص٥٤.

(٣) ابن فهد، غاية المرام بأخبار البلد الحرام، ج٣/ ص١٢٠؛ وانظركتاب أهل السراة في القرون الوسيطة لعبدالله أبو داهش، ص٥٥، ٥٦.

• ونجد بين هذه القصة إشارة للنزوع إلى القانون القبلي الذي جعلهم يرفضون إجراء الشريف في ضربه لخصمهم ويهاجمونه بذاتهم في عقر دار الشريف ويخوضون حرباً مع الجنود الأتراك في مكة غير عابئين بسلطة الشريف فوق أرضه.

٥- حاول شريف مكة في نهاية القرن العاشر بسط نفوذه على أجزاء من إقليم بلاد السراة في بلاد زهران، وقد قال العصامي في وصفهم قبل المعركة ما يلي:

"إن من عادة هذه الجهات أنهم يمنعون كل من وصل إليهم خصوصاً العصاة لولاة الأمور، والذين يأكلون أموال الناس بالفجور"

لذا شن حملة على بلاد زهران في سوق الخميس بقيادة ابنه الحسين، وبعد معارك تمكن الشريف من النصر فنصب عليهم أميراً وحاكماً شرعياً ونقل خراجها لخزائن الدولة، ولكنه ما أن خرج حتى قتلوا الوالي والحاكم حيث يقول:

" إن أهل تلك الجهات من السرويين قتلوا القاضي والحاكم اللذين نصبا هناك، مما أفضى لغضب شريف مكة نفسه ونهوضه في جيش جرار لتأديبهم، حيث عزم على غزو سوق الخميس لفعلهم المذكور، فقصدهم بنفسه الزكية افتتاح سنة سبع وثمانين وتسعمائة فاجتمع بسوحه من بادية مكة المشرفة طوائف هذيل، وغطفان، وعدوان، وبني سعد، وما اتصل بهم من المؤلفة، فاجتمعوا بناديه الفسيح رحابه، المنيع جاره وأحزابه، فنظر إليهم أمير دار المضيف، فاستكثر ما يجب لهم من المصاريف، فقال على لسانهم لمولانا الشريف: لعل سيدي يعجل بالمسير، فإن الجيش كبير، فقال له الشريف: أجبهم عني بأني أطعم صغيرهم حتى يشب، وشابهم حتى يشيب، ثم سار بهم بعد مدة، فلما وصل واديهم، ونزل مخيمه المعظم في ناديهم، قال لهم بعض عقلاء الرجال: أطلبوا من مولانا الصلح، فأجابوا جواب أهل الغرور والهوس، على سبيل التهكم: اسألوا عن الصلح جبل ملس، فقبل تمام القال صعدت الرجال الجبال، وعم القتل معظم الرجال.. إلى آخره" وكان ذلك عام ٩٨٧هـ[١].

• ومن خلال هذه القصة نجد عادة إغاثة اللاجىء السياسي دون اعتبار لمن خلفه حتى ولو كان خصماً للوالي وهي من العادات العربية الأصيلة، بل هي من أعلى القيم البشرية التي لا زالت تتبناها الأمم المتحضرة فتعطي حق اللجوء السياسي لكل من يترك وطنه بسبب الاضطهاد

---

(١) العصامي، عبدالملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٤/ ص٣٦٨.

السياسي، وقد اشتهر أهل السراة بذلك كما يقول العصامي، ثم نجدهم يأنفون من المثول لحكم الشريف لبلادهم وأخذه بعض قوتهم لخزنته، ويقاومون وجوده بكل ما يستطيعون دون اكتراث بحجم قوته، وعندما يتمكن بجيوشه منهم ويضع عليهم والياً وحاكماً ليجمع منهم الخراج يتجهون لقتلهم فوراً رافضين الانصياع لحكمه الذي سيقاسمهم خير أرضهم، ثم عندما حضر الشريف بجيش جرار كما يقول العصامي يرفضون الصلح بتهكم وأنفه رغم التفوق العددي الكبير القائم أمامهم لجيش العدو.

- ورد في إحدى الوثائق المصرية أنه عندما تمكن أحمد باشا من تحقيق انتصار مؤقت وسيطر على عسير عام ١٢٣٤هـ فقد حاول أن يقوم بجمع أسلحة القبائل في عسير إلى أن تقول الوثيقة على لسان أحمد باشا:

"فلا يقتضي بعد الآن أن يوجد بيدكم بنادق، فلتهبوا بأدبكم وشرفكم لتسلموها، وعندما فهم كل منهم هذه الكلمات الشديدة أجابوا جميعهم نرضى بقتلنا ولا نعطي بنادقنا، وفر كل منهم إلى اتجاه في الجبال"(١).

٦- يقول موريس تاميزيه الذي رافق القوات العثمانية في إحدى حملاتها عام ١٢٤٩هـ أثناء وجود الحملة في الجنفور وكان ذلك في عهد حكم عايض بن مرعي:

"ومن وادي شهران أرسل جاسوساً إلى عسير. ذهب هذا البدوي على عجل إلى خميس مشيط، وقدر قوة مواقع العدو، ومن هناك لجأ إلى قرية في بلاد قبيلة بني مالك. وأخبر عايض عن وصوله، فأرسل في الحال عشرين فارساً وأمرهم بالقبض عليه وإحضاره.

شاهد بعض البدو من بني مالك وعددهم ثلاثون فارساً أولئك الفرسان فسلموا أنفسهم وأجبروا خدام الأمير عايض على الهرب، ورافقوا "الرجل" حتى وصل إلى (طبب) عاصمة رفيدة... سالماً"(٢).

- وفي هذه القصة إشارة واضحة إلى أن الإمارة العسيرية في حينه لم تكن قادرة على فرض قوتها على العسيريين الذين أنفوا من أن يقبض جنود "عايض بن مرعي" الذي عينوه "وصياً على أمير عسير الطفل" حينها على أحد أفراد أسرة "آل المتحمي" مهما كان الوضع، ونجد في

---

(١) دار الوثائق القومية، القاهرة محفظة ٩ بحر برا، رقمها ١٢، مؤرخة في ٢١ رجب ١٢٣٩هـ، انظر "عسير دراسة تاريخية" لعلي عسيري، ص١٤٢.

(٢) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، تحقيق د. محمد آل زلفه، ص٢٦٦.

ذلك إشارة للحالة التي كانت عليها الدول التي قامت على أرض عسير في القرن الثالث عشر، كما توضح هذه القصة ضمنياً من خلال المشاركة في جيش الحاكم ومواجهته في نفس الوقت وطرد جنوده عندما تجاوز حدود الأنظمة القبلية، ضعف سلطة الحاكم أمام الأنظمة القبلية، مما يدل على أن الناس كانوا يشاركون في الحروب بدافع الحمية القبلية فقط، أو الخوف من سيطرة العثمانيين على بلادهم، لا امتثالاً لأوامر الحاكم الذي زعمت بعض المصادر المجهولة أنه كان لديه القدرة على التغيير في الطبقات الاجتماعية للقبائل.

٧- أورد تاميزيه حول خبر معارك الحملة العثمانية في مدينة أبها مع العسيريين ما يلي:

"في حوالي الساعة الثالثة من بعد الظهر، هاجم البدو مركزاً متقدماً يقع إلى الجنوب الشرقي، ووصلت قذائف نيرانهم إلى المعسكر.

استغرب الباشا من اقترابهم فأرسل لملاقاتهم خيالة محمد بك فانسحبوا بسرعة فائقة، ولكن الترك تمكنوا من أسر اثنين من المهاجمين كانا في طريقهما عائدين إلى مراكزهما، وكان أحدهما لا يزال في سن المراهقة.

طوق الجنود هذا الشاب واستمات في قصفهم بنيران بندقيته، ولكنه لم يحقق هدفه إذ ضربه أحدهم ببندقيته من الخلف في ظهره، وتمكن من تصفيده، وفي المعسكر عجز الباشا عن الحصول على أي معلومات منه، فأمر بحبسه."[١]

• لسنا هنا أمام قصة أسطورية بل أمام شاهد عيان يحكي عن حب الوطن الذي يرضعه أبناء هذه البلاد من أثدائها منذ الولادة، هو ذلك الحب الذي جعل هذا الطفل يقاتل دون وطنه ثم يستعصي على رجال الحملة بما فيهم الباشا عندما أسروه أن يحصلوا منه على أي معلومات عن جيش وطنه.

٨- أورد تاميزيه في كتاب رحلة في بلاد العرب حول وصول مندوب من عسير للتفاوض مع قائد الحملة العثمانية أحمد باشا أثناء تحركها من الطائف مايلي:

"بدأ المندوب حديثه بقوله:

حقيقة أن (عسير) ارتكبت أخطاء ضد محمد علي باشا باعتدائها على بلاد حليفه (أبو عريش) الذي هو تحت حمايته. ولقد فوضني الأمير عايض بتقديم مبلغ مليونين

---

(١) تاميزيه، مصدر سابق، ص٣٣٤.

وخمسمائة ألف ريال "فرانس" ٢,٥٠٠,٠٠٠ فرانك تعويضاً عن خسائركم لقاء التعهد منكم بالعدول عن مواصلة حملتكم لغرض قتالنا.

فكان جواب أحمد باشا:

لم يبعثني محمد علي لأجمع نقوداً من هذه البلاد، وإنما بعثني لأكون سيد عسير، لذلك، إذا كنتم أقوياء فاصمدوا لقتالنا وإذا كنتم ضعافاً فأعلنوا خضوعكم لحكم محمد علي. ويجب أن تتذكر أنه في أي الحالتين فإن العلم ذا النجمة الهلالية سيرفع عالياً على سواري أبراج قلاعكم خلال ثلاثة أشهر.

أجاب المندوب العسيري:

نستطيع أن نضحي بأموالنا، ولكننا لن نضحي باستقلالنا والمستقبل سوف تقرره قوتنا الحربية، والله سيقف مع الحق.

ثم قفل المندوب العسيري عائداً إلى بلاده."

ثم أورد في نهاية الكتاب حول مفاوضات استسلام الحملة العثمانية للجيش العسيري عام ١٢٥٠هـ وفرحهم بالحصول على الأمان على أنفسهم مقابل توقيع اتفاقية تعترف باستقلال عسير، ووصفه للوفد العسيري الذي قدم للمفاوضة ما يلي:

"كان الوفد يتكون من ثلاثة أشخاص هم أقرب إلى الشيخوخة منهم إلى الشباب، تزينهم لحاهم الطويلة وعيونهم الحادة، ويرتدون الكوفيات على رؤوسهم تغطيها معاطف كبيرة.

أما ملابسهم فشبيهة بملابس البدو، ولكن (المآزر) - جمع مئزر - الملونة فيرتدونها فوق ملابسهم، تنم عن مكانتهم ومراتبهم الرفيعة التي تميزهم عن بقية البدو العاديين.

وأما الباشا المبتهج والذي خرج لمسافة طويلة إلى الأمام فقد فاتته لحظة وصولهم، عاد بعدها بوقت قصير واستضاف المبعوثين في داخل خيمته، وحالما تفضلوا بالجلوس، أبقى الباشا فريقاً من رجاله المهمين الذين يثق بهم.

وبعد انتظار دام ثلاث ساعات ظهر الجنرال والمبعوثون إلى خارج الخيمة حيث صرح القائد قائلاً:

لقد تم توقيعنا على معاهدة السلام.

أظهر العسيريون اعتزازاً كبيراً في طريقة تعبيرهم، ولكن اعتباراً للظروف الراهنة يجب أن لا نظهر أي شكوى عنهم."[1]

- من خلال ما أورده الكاتب في النص الأول، فإننا نرى روح التحدي والثقة بالنفس العسيرية في ذلك الرجل الذي حضر ورأى تلك الحملة الكبيرة جداً ولم تثنه عن أن يتحدث بالصوت العسيري المتغطرس والمتحدي المعتاد والذي يتحدث دائماً من موقع القوة، فيفاوض الباشا على تعويضه عن خسائره التي سببوها له بمبلغ مالي مقابل تراجعه عن غزو بلادهم بهذا الجيش الجرار، وعندما لم يجبه الباشا يصر على أن العسيريين مستعدون للتضحية بالمال ولكن ليس باستقلال الوطن الذي أعلن نيابة عنه بأنه لن يستسلم، وفي ذلك الموقف من الشموخ كما تروي قصة الحملة ما صغر أمامه الكثير.

ثم نرى في النص الثاني ثبات الوفد العسيري المفاوض في النهاية على التفاوض من موقع القوة وليس من موقع الضعف، مع أنه لم يكن خلفهم في السلطة إلا أمير طفل بالإضافة إلى ذلك الراعي الذي وضعوه وصياً عليه بصفة مؤقتة، فجاء الوفد الذي كان يراسل الباشا بإسم الأمير المزعوم في النهاية محتفظين بكامل غرورهم واعتزازهم الكبير بذاتهم أثناء المفاوضة مع قادة جيش دولة عظمى، وتقبل الطرف الآخر والذين كان الكاتب ضمن مجموعته لهذه الغطرسة على مضض كما يوحي كلامه.

فكم بين أولئك الرجال وهم يفاوضون الدولة العظمى في ذلك العصر بذلك الشموخ والزهو بالذات والثقة بالنفس، التي جعلتهم يفرضون شروطهم على الباشا فيوقع على وثيقة استقلالهم وحدود بلادهم مقابل الأمان لحملته، متخلياً عن كل غروره وغطرسته التي كانت تتنكبه قبل أن يصل إليهم ويقع في يديهم، وبين ما نحن فيه في هذا العصر من صغار على أعلى مستويات الأمة.

٩- أورد الشيخ هاشم النعمي في أحداث عام ١٣٣٨هـ في عسير أنه عندما رفض شيخ قبيلة علكم الحضور أثناء التجهيز لمواجهة جيش الإدريسي في أحد رفيدة تحرك حسن بن عايض من أبها لمهاجمته فطلب من قبيلته الحضور فرفضت جميع قبائلها ما عدا كفلاء مشيخته وهم آل قصير الذين أجبرتهم هذه الكفالة قبلياً للحضور، وبعد أن استسلم ابن حامد نجد أن قبائل علكم توجهت طائعةً لخوض الحرب في المغوث ضمن بقية قبائل عسير ضد الإدريسي[2].

---

(١) تاميزيه، مصدر سابق، ص٣٤٩.

(٢) النعمي، تاريخ عسير بين الماضي والحاضر، طبعة احتفال المئوية ١٤١٩هـ ص٣٤١، ٣٤٣.

• وما أورده الشيخ هاشم يدل على أن الحمية القبلية المحركة لهذه القبائل كانت هي الدافع لدخول الحرب ضد الإدريسي القادم من صبيا لاحتلال عسير، بينما لم تحركها اعتبارات الامتثال لأمر شيخ القبيلة للحضور لحمايته، عندما رفض المشاركة ضد الغزاة.

١٠- نقل أحد المؤرخين عن أحد أهالي السقا حادثة حدثت قبل معركة عام ١٢٨٩هـ تدل على أن دخول الحرب كان دائماً قراراً شعبياً، تفرضه القبائل على السلطة، وهذا نص ما أورده نقلاً عن أحد أبناء قرية السقا:

"تبدو العلاقة السياسية بين المجتمع والسلطة السياسية في هذه الفترة تشاورية، وكان باستطاعة المجتمع إخضاع الحاكم السياسي للمساءلة عند اتخاذ مواقف تمس كيان الجميع. ومما جعلنا نتبنى هذا الرأي، تلك الحادثة التي حدثت في عهد الأمير محمد بن عايض فقد اتجه مجموعة من قبيلة بني مغيد إلى سوق الشعبين لحضور السوق الإسبوعي على عاداتهم، وفي أثناء وجودهم في السوق، ذكر لهم بعض رجال المع أن الأمير محمد بن عايض قد بعث القائد أبو سراح، وأن الأخير قد اتصل بالأتراك في القنفذة، واتفق معهم على أن يسلم لهم بلاد عسير،في مقابل حمولة بغلتين من الذهب، وحين عاد المتسوقين إلى قبيلتهم وأخبروهم بذلك، اجتمع رجال هذه القبيلة، وقصدوا الأمير محمد بن عايض وهم يرددون قول شاعرهم معنى الناجحي:

يا بو سعد نسمع من المع لا يكون	*اللـــوم والذمان فـي مغيد الخطـــا*
يقولون ملك الترك لا عاده يزول	*قد سنعت لاصلاح واهبوا لك عطا*

وأخذوا في مسائلة الأمير محمد بن عايض عن صحة هذه الأنباء، فأكد لهم أن هذا الأمر غير صحيح وبالفعل استمر الأمير محمد بن عايض وقبائل عسير كافة في مقاومتهم للأتراك حتى قتل الأمير محمد بن عايض ومعه الكثير من كبار عسير ورجالها على يد القوات التركية في عام ١٢٨٩هـ عندئذ احتلوا الأتراك عسير[١]".

• ومن خلال هذه القصة فما نستفيده منها هو أن قرار الحرب لم يكن رسمياً بقدر ما هو قبلي، ونلاحظ هنا رفض القبيلة التي كانت فيها العاصمة العسيرية في حينه أن تُسلم البلاد للمحتل عن طريق الأمير الذي كان محسوباً عليها فيكون في ذلك ذم لها ومنقصة أمام قبائل عسير الأخرى، فتوجهت للحاكم لتتهمه بالرشوة وبيع الوطن بكل جرأة لوقف عملية

---

(١) آل حامد، العادات والتقاليد في إقليم عسير، نادي أبها الأدبي ١٤٢٦هـ، ص٩٧٧، ٩٧٨.

التسليم مما اضطره لإنكار ذلك والمثول للرغبة الشعبية التي أودت بحكمه، وهنالك الكثير من القصص الشبيهة بهذه مما تحمله الذاكرة الجمعية في عسير، ولعل فيما رواه محمد رفيع حول حادثة الثورة عام ١٣٤٠هـ وهو ما سيأتي ذكره في الفقرة رقم ١٢ ما يؤكد هذه الحالة.

١١- شنت قوات محمد علي باشا عدة حملات على عسير من عام ١٨١١م إلى عام ١٨٤٠م ولم تتمكن جميعها من تحقيق النجاح، ثم شنت القوات العثمانية عدداً من الحملات التي استمرت حتى عام ١٢٨٨هـ الموافق ١٨٦٩م حيث قادت عسير خلال هذه المرحلة أطول وأقوى مقاومة ضد القوات الغازية في الجزيرة العربية، ثم حشدت الدولة العثمانية أكبر حملة عسكرية تشنها في الجهات الشرقية من الإمبراطورية في التاريخ الحديث[١] وقد سهل لها مهمتها هذه افتتاح قناة السويس عام ١٢٨٦هـ الموافق ١٨٦٩م[٢]، وبعد حرب كبرى استمرت بين مد وجزر تمكن العثمانيون من هزيمة عسير بعد أن عملت المدفعية العثمانية دوراً كبيراً في تدمير الحصون العسيرية، وكان لانفجار مخزن الذخيرة في قصر مسمار واحتراقه بمن فيه أثره في مسار المعركة، ثم غدر القادة العثمانيين بمحمد بن عائض بعد أن أعطوه الأمان فسلم نفسه لهم فقتلوه وهو ما أثار موجة من الهلع في أنحاء اليمن المصالية لعسير من الجنوب، حيث وصلت الحملة العثمانية إليها قادمة من عسير فاستقبلها الإمام معلناً الطاعة لها فوراً، وهذا هو ما قاله أحد مؤرخي اليمن عن هذه الحادثة وأثرها على اليمن ومن ثم استسلامه:

"وما أن انتشر خبر هذا الغدر الفظيع في صنعاء حتى عظمت الفتنة وعمت صنعاء"

ويقول في موضع آخر:

"ثم خرجت الأتراك إلى عسير، وقد تقدم ذلك في ذكر عسير. ثم لما وصلت الأتراك مناخة، أرسل إلى الوالي أحمد مختار باشا الإمام علي ابن المهدي، طائفة من السادة والعلماء لاستقباله وهم (ثم يسرد الأسماء) وعند وصول المذكورين مناخة شاهدوا سطوة العساكر الشاهانية، فسرهم ذلك غاية السرور، إلا أنهم، اقشعرت جلودهم، ووجلت قلوبهم من غدر الأتراك. أولاً: ما حصل لأمير عسير"[٣].

---

(١) آل زلفه، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ص٨.

(٢) رضوان، نبيل عبدالحي، الدولة العثمانية وغرب الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس، تهامة للنشر، ط١، ص٦٤.

(٣) المصدر السابق، ٢٥٧.

١٢- يروي محمد رفيع قصة ثورة أهالي عسير عام ١٣٤٠هـ على الدولة السعودية فيقول:

"لم يبق ابن مساعد وجيشه كثيراً في أبها بل رحل عنها وأقيم شويش الضويحي أميراً ومعه حامية من بعض الأخوان، شكا أهالي أبها من بعض تصرفاتهم فأبدل عظمة السلطان عبدالعزيز الشويش بعبدالله بن سويلم وتكررت شكوى أهالي أبها فأبدله بفهد العقيلي. دامت الحامية النجدية وأميرها بضعة أشهر في طمأنينة وسلام إلا أن أسباب شكوى الأهالي لم تنقطع بتعديل الأمراء، فقد كان بعض الجند من متعصبة الإخوان ينالون أهالي أبها بالإحتقار والإهانة، مما ضاقوا معه ذرعاً واستهانوا بأمر الحامية فثاروا عليها وحصروها في القصر الذي هي فيه، **ثم ذهب بعض رجالات عسير إلى الحسن في حرملة وما زالوا لديه حتى وافقهم على المجيء إلى أبها ومشاركتهم فيما فعلوه. جاء الحسن إلى أبها وكان خائفاً من وخامة العاقبة**، وكان الجند المحاصر من الحامية قد سئم الحصار وضاق به فعرض أميرهم العقيلي على الحسن الصلح بأن يرفع عنهم الحصار ويتركوا له أبها على شرط أن يدعهم يخرجون بسلاحهم، فوافقوهم على ذلك وأن يأخذوا ما أرادوا على شريطة أن لا يبقوا حتى ولا في حدود بلاد عسير، ولا يتعرضوا لأحد من قبائلها بغزو ولا قتال، فوافقوه على ما اشترط، وبارحوا أبها ولكنهم لم يفوا بما تعهدوا به، بل ظلوا في شهران وهي موالية لهم على مقربة من أبها وأخذ أميرهم العقيلي يجمع الجموع من موالي آل سعود في الجهة التي هو بها ويتعرض لقبائل عسير بالغزو والإغارة في الوقت بعد الوقت. وفي إحدى الوقائع التي كانت تجري بينهم استطاع العسيريون القبض على العقيلي وأسره وحرق قرية خميس مشيط..."[1].

• ونجد في هذه القصة التي تتوافق مع ما يتداوله كبار السن في عسير عن أخبارها، والتي نقلها رفيع عام ١٣٧٠هـ عن من عاصروا جزءاً من أحداثها، حول ثورة عام ١٣٤٠هـ وإرهاصاتها التي كانت كلها شعبية بحتة، ما يؤيد ما ذكرناه من أن الحروب ضد الدولة العثمانية والثورات لم تكن كلها موجهة من الحاكم، بل كانت معظمها إرادة شعبية تفرض على الحاكم أو ربما نتج عنها ظهور حاكم جديد، وهو ما يتوافق أيضاً مع الإشارات الكثيرة التي ذكرها شهود العيان للكثير من الأحداث من المؤرخين العرب أو المستشرقين كما أوردنا، وهو دليل على عدم انتظام الحكم في هذه المنطقة بوسيلة الإخضاع بقدر ما كان الإيمان

---

(١) رفيع، في ربوع عسير، ص٢٥٧، ٢٥٨.

الراسخ والعصبية والنخوة والحمية القبلية ورفض وجود المحتل الأجنبي من قبل الجميع ومن ثم الحاجة إلى توحيد الجهد مما يستدعي توحيد القيادة هي التي تحمله إلى السدة في تلك المرحلة.

١٣- يذكر تاميزيه أنه خلال مسيرة الحملة المصرية إلى بلاد عسير فقد جمع عايض بن مرعي مشائخ القبائل التي كانت موالية لسلفه ممن يشك في ولائها له وكان يعتزم اخذ رهائن من القبائل قبل الحرب على غرار ما يقوم به حكام بعض الأقاليم المجاورة فقال لهم:

"إذا دافعتم عن هدفنا المقدس بكل شجاعة فستصبحون إخواني، وإذا حدث غير ذلك، فسأقوم بقطع رؤوس هؤلاء الذين سيكونون ضحية حنثكم بقسم الولاء والطاعة"

فكان ردهم بقولهم:

"نحن مسلمون مخلصون، والله وحده يعلم أن عزمنا هو أن نحارب حتى الموت أو هزيمة جيش المشركين الذي يتقدم نحونا، وهذا يجب أن يكون كافياً لك" يقول تاميزيه: "وبهذا اكتفى عايض ولم يذهب لما هو أكثر من ذلك". [١]

• وفيما تقدم إشارة لعجز السلطة عن فرض إرادتها بشكل قسري وأنفة الناس مما كان معمول به في بعض الأقاليم المجاورة لعسير من إجراءات حاول من حول عايض بن مرعي دفعه لأن يستنها في منطقة عسير فلم يتمكن، حيث كان الحاكم في بعض المناطق المجاورة كإمام اليمن يأخذ رهائناً على جميع القبائل لضمان الولاء.

ومما سبق فمن الواضح أن إدارة مجاميع قبلية من هذه النوعية الصعبة المراس، والتي تخضع لقيمها القبلية قبل الخضوع للحكم أمر غير متحقق إلا في ظل قناعة عقدية تحملها هذه الجموع، وهو ما تمثل في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والتي تمكنت من قلوب الناس لأنها حملت العقيدة الإسلامية النقية التي كان من أهم مبادئها حرية الإنسان وانعتاقه من تقديس الآخرين من البشر، وإفراد العبادة لله الواحد الأحد، فلم ينتظروها لتصل إليهم في منازلهم، بل بادروا بالرحيل إلى مقرها معلنين مناصرتها ثم استماتوا في الدفاع عن نقاء عقيدتها، بينما نلاحظ أنهم لم يخضعوا لتعاليمها الفقهية الجانبية، التي تختلف مذهبياً عنهم، فظل العسيريون شافعيو المذهب في حياتهم وفتاواهم وكتب علمائهم الدينية، حتى وهم مناصرون لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية الحنبلية، فعندما وصلت الدعوة في البداية على يد محمد وعبدالوهاب ابني

---

(١) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، ص٢١٢.

عامر الرفيدي العسيري كان من تعاليمها حلاقة رؤوس مناصريها الذين كانوا يفدون من كل مكان، ولكن الأمر لم يرق للسكان فتوقفوا عن الانضمام إلى الدعوة مما اضطر الدعاة للتوقف عن طلب حلاقة الرؤوس من الأنصار في عسير، يقول شاعر عسير في ذلك:

حنا عسير مزرقـة الارماح — والدين مدينـــه بلا درماح[١]

وقد نلاحظ إشارة تاميزيه إلى شعورهم الطويلة عام ١٢٤٩هـ[٢] أثناء حربهم مع الدولة العثمانية، رغم أنهم كانوا وهابيين في مفهوم الجيش العثماني، بل كانوا يحملون مبادئ الدعوة ويرون أنفسهم مجاهدين لنشرها حتى نهاية عهد الأمير علي بن مجثل الذي أزال الكثير من القباب في جهة المخلاف السليماني وتهامة اليمن، وأوقف الإدريسي في بداية نشاطه في نشر التعاليم الصوفية في تلك الجهة.

بينما نجد أن محاولات غيرها في اختراق قناعات أهلها العقدية قد سقطت ومن أمثلة ذلك، القاسم بن علي العياني الذي بدأ الدعوة الزيدية فوق جبال عسير في ترج من أرض خثعم فدعا لنفسه لوقت قصير عام ٣٨٣هـ فلما لم يجد استجابة من أهلها اتجه إلى اليمن فتمكن من بلوغ مرامه ونجحت دعوته ففتح صعدة واستولى على صنعاء عام ٣٨٨هـ وكون دولته فوق أرض اليمن[٣]، ومثله عبدالله بن علي المؤيدي الذي حضر للمنطقة في نهاية القرن العاشر ودعا لنفسه وحاول إقامة دولة له فوق هذه الأرض وحضي بحسن الضيافة لدى احد شيوخ القبائل، وفي النهاية حثه الجميع على غزو اليمن للتخلص منه ووعدوه بالنصرة حتى عندما توجه إلى الرحيل تخلوا عنه وأرسلوا معه نفر قليل لضمان عودته إلى أرضه في اليمن[٤].

وعسير ليست بدعاً في ذلك في تلك المرحلة من التاريخ بين أقاليم الجزيرة العربية الأخرى، فكل الأقاليم في الجزيرة العربية وخاصة الوسطية عاشت فراغاً سياسياً في مرحلة القرون الإسلامية الوسيطة، وتأخر فيها العمران وظلت المشيخات القبلية أو الكيانات القروية الصغيرة هي البديل لتكوين الدولة، ومن الأقوال الجميلة في هذا الشان ما قاله الأستاذ محمد عمر رفيع عندما قال:

---

(١) محمد آل زلفه، دراسات في تاريخ عسير الحديث، ص٢٣ (الدرماح: حلاقة شعر الرأس كاملاً في اللهجة العسيرية).

(٢) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، ص٢٨٦.

(٣) الربعي، مصدر سابق، ص٧، ٨.

(٤) المؤيدي (أبو علامة)، مخطوط التحفة العنبرية، الاوراق من ٣٢١ - ٣٢٧.

"وليس هذا الشان في عسير وحدها فالجزيرة العربية جميعها بعد عهد الخلفاء الراشدين لم تلق من الحكومات الإسلامية منذ فجر تاريخها "لافرق بين عربيها وأعجميها" ما تستحق من العناية مما جعلها في هذا التأخير المشين وأبعد الشوط بينها وبين بقية ممالك العالم الأخرى فيما وصلت إليه في هذا العصر من حضارة ومدنية ورقي"[1].

ورغم ذلك فإن هذا التوقف عن التواشج مع أسباب إقامة الدول لا يعني الخمول والدعة وضعف الهمة، أو البدائية، أو الهمجية، أو هامشية التاريخ وعدم أهميته، فقد كانت مناطق الجزيرة العربية القبلية بما فيها منطقة السراة تضج بالأحداث والشعر والفنون وتنتشر فيها بيوت إقراء الحجيج والمساجد والخطب الدينية والأوقاف الشرعية، حتى وإن هجرتها مراكز الدول الإسلامية، والجزيرة العربية أيضاً ليست بدعاً في ذلك فقد كانت الكثير من الشعوب الرائدة في الإمساك بزمام النهضة الحديثة في الوقت الحالي ليست سوى تجمعات قبلية، بينما كانت هنالك بلاد بها أحكام مركزية ودول قوية في تلك المرحلة، ولكن تلك الشعوب عندما أقامت الدول في عصر متأخر غيرت التاريخ خلال فترة بسيطة وصنعت الحضارة البشرية الحديثة التي بدلت صورة الكون، بينما بقي أصحاب الدول القديمة لا يحملون إلا الأحاديث البالية عن دولهم واتساعها وغزواتها وإشغال غيرهم بالمطالبة باستعادة ما تحويه أساطيرهم عن امتداداتهم المزعومة على بلاد الغير.

ولكن عسير رغم ما قلنا من تراجعها خلال فترة التدوين في القرون الإسلامية الوسيطة عن قيام الدولة الشاملة فوق أرضها، فليست بلاد خالية من المساهمة في الحضارة البشرية فالتاريخ يحدثنا عن أن هذه البلاد كانت ومنذ فجر التاريخ بلاد حضارة وإنتاج متميز وأدب راق، مما يدل على براعة إنسان هذه الأرض وعلو كعبه في الفنون والشعر والصناعات المختلفة وأنفته في الوقت نفسه، ولا شك أن كل ما ذكرنا من أحداث تثبت علو همة إنسان هذه الأرض وشموخه وارتفاع شأنه والتي لا تمثل كل ما هنالك، ولكنها تحقق الكفاية لمن رام التاريخ الحقيقي الذي يعطينا فكرة عامة عن نوعية البشر فوق الأرض وليس فقط عن نوعية السلطة.

---

(١) رفيع، في ربوع عسير، ص١٦٨

الباب الثامن

علاقة عسير باليمن

الفصل الأول

عسير واليمن إشكالية بلا مشكلة

١- لماذا عسير واليمن

اليمن أو "العربية السعيدة" كما أطلق عليها الرومان، كانت من أغنى البلاد العربية في العصور القديمة جداً، ويرى بعض الباحثين في التاريخ أن اليمن هي مصدر كل الأجناس السامية، بل يقال أن اللغة السامية الأم لا زالت تستخدم في بعض المواقع في اليمن كلهجة محلية، وبالرغم من تراجع مكانة اليمن القديمة في العصر الحديث، بل ربما كانت بداية هذا التراجع منذ ما قبل الإسلام بحوالي قرن ونصف، إلا أن الوضع في اليمن على العموم ظل وضعاً مستقراً حيث اليمن بلاد خصبة وفيرة الزرع وموقعها الجغرافي المتميز والمطل على باب المندب وعلى بحر العرب وخليج عمان شجع على نشاط التجارة عبر بحر العرب مع الجهات المقابلة ذات الثقافات المنتجة حيث بلاد الهند وجنوب آسيا لجلب أنواع المنتجات الهندية إلى الجزيرة العربية أو لتصديرها إلى أوروبا، وكانت صادراتها إلى أوروبا من البخور واللبان العربي متصلة عن طريق الرحلات التجارية بين اليمن وميناء غزة عبر الجزيرة العربية فيما يسمى لدى الأوروبيين "طريق البخور" أو ما يسمى عند العرب "رحلة الشتاء والصيف"، ومن ثم تتجه بحراً إلى أوروبا، وهو ما كان له أثر كبير في نشوء الكثير من الحواضر العربية على طريق هذه التجارة في وسط وغرب وشرق وشمال بلاد الجزيرة العربية الفقيرة الموارد، لذا فقد ظلت اليمن بلاداً تتخالف عليها الولايات طوال تاريخها المعروف، متميزة بذلك عن بقية الأقطار في الجزيرة العربية ما عدا مكة المكرمة لوجود الحرم الشريف بها.

وتاريخ اليمن المدون في القرون الإسلامية الوسيطة يعتبر الأغنى في الجزيرة العربية من حيث رصد أحداثه وولاياته ونزاعاتها، فقد عني المؤرخون في اليمن بتسجيل وقائع تاريخهم أولاً بأول، لذا فالتاريخ اليمني في العصر الإسلامي واضح كل الوضوح بحيث لا يعاني اليمنيون من تشويش في معرفة أحداثهم وحدود وطنهم وتمدده وتراجعه على مدى القرون الماضية، كما أن

الحدود اليمنية ظلت هي الحدود الواضحة المحددة منذ عهد النبوة وحتى الآن، ولا يحتاج اليمنيون للكثير من الجهد لمعرفة حدود بلادهم القديمة والحديثة، فكل الأحداث اليمنية تشي بمناطق التفاعل فوق هذه الأرض، كما أن جميع الجغرافيين اليمنيين والعرب عنيوا بتحديد بلاد اليمن، مما يجعل اللبس مستحيلاً حول معرفة المناطق اليمنية وغير اليمنية خلال قراءة هذا التاريخ.

وعلى الجانب الآخر فإن إقليم السروات "عسير"، المجاور لليمن من جهة الشمال هو كذلك إقليم حضاري في فترة ما قبل الإسلام، حيث عرفت به عدد من الحواضر الشهيرة أهمها جرش (مركز الإقليم)، وتبالة، وبيشة، ونجران، وعثر، وحباشة، وجاش وغيرها، إلا أن هذا الإقليم الوسطي لا يمتلك المميزات الجغرافية اليمنية، لذا فقد توقف عن التواشج مع الحضارات وتحول إلى مناطق قبلية مستقلة كغيره من مناطق الجزيرة العربية الداخلية فيما بعد القرن الرابع للهجرة، مما جعل تاريخه أقل حضوراً من التاريخ اليمني خلال هذه المرحلة التي حظيت بالتدوين في المناطق العربية والإسلامية خارج الجزيرة العربية، وقد كان لهذا التمايز في الذكر بين منطقتين متجاورتين خلال هذه الفترة أثره في فهم علاقة تاريخه السياسي بجارته، فذهب البعض إلى اعتباره جزءاً من اليمن، عطفاً على مجاورته لها وتراجع ذكره خلال هذه المرحلة ما قد يوحي أن ذكره دخل في ما ورد عن التاريخ اليمني، بينما الحقيقة أن ما يعرف حالياً بإسم إقليم عسير والذي يمثل منطقة الحجاز فيما بين طلحة الملك والطائف وما يحاذيه من تهامة في الغرب والسهول الشرقية (نجد) من الشرق، كان منفصلاً سياسياً في تاريخه القديم عن بقية المناطق المجاورة، وإن ظل إسميا تابعاً لحاكم مكة[١] في بعض المراحل من التاريخ الإسلامي، وحتى هذه التبعية عندما نقرأ الأخبار التاريخية حول حقيقتها، فسنجد أنها لم تكن إلا تبعية اسمية، فلم يكن أهل السراة يدفعون له الخراج ولم تمتد يده فعلياً إلا لبعض المناطق الطارفة من خلال حملات شنها عليها، فشلت بعضها، وبعضها حققت نجاحاً مؤقتاً[٢]، ولكن في العموم ظل هذا الإقليم على مدى التاريخ منفصلاً بذاته، ولا يوجد بين أيدينا في كل الكتب التاريخية ما يدل على تبعيته تبعية حقيقية لليمن أو ما هو أكثر من التبعية الإسمية لمكة فيما قبل قيام الدولة السعودية، وقد أدرك الكثير من المؤرخين والمهتمين هذه الحقيقة خلال العقود الماضية فبدأت الأمور تأخذ توجهها الصحيح حول هذه الصلة وحتى داخل اليمن ذاتها.

---

(١) ابو داهش، أهل السراة في القرون الوسيطة، ص٥٣: وانظر المزيد من التفاصيل في باب "عسير عبر التاريخ نبذة موجزة" في هذا الكتاب.

(٢) ابو داهش، أهل السراة في القرون الوسيطة، ص٥٣، ٥٤، ٥٥.

إلا أننا أمام معلومة تاريخية جديدة طرحتها بعض الكتب المجهولة المصدر التي بدأت في الصدور منذ منتصف التسعينات في محاولة لإعادة خلط الأوراق، فهي تشير إلى ارتباط وثيق لإقليم عسير بتاريخ اليمن السياسي، وهو ما أدى إلى إعادة النقاش حول الموضوع وبطريقة مختلفة حتى في داخل منطقة عسير تحت تأثير ما ورد في هذه الكتب، ما يعني الكثير من الخطورة على مستقبل المنطقة والتي قد تجعل احتمال الدخول في دوامة النزاع مع المجاورين جراء ذلك ماثلة في المستقبل، خاصةً ونحن نسمع بين فينة وأخرى أصوات مثل هذه الدعاوى في اليمن، وليس التنظيم الحوثي وتصريحات مسؤوليه وما قاموا به من عمليات داخل الحدود السعودية عنا ببعيد، خاصةً وأنها جاءت بعد الزيارة الغريبة التي قام بها رئيس مصلحة تشخيص النظام في إيران لمنطقة عسير مباشرةً.

فدعونا نبدأ من آخر المراحل التي قد يرسمها الخيال، ونفترض تحقق ما وراء ذلك من نتائج يوماً ما، وعودة الفرع للأصل المفترض حسب ما يفترض، ونتصور مثلاً أن هذا الإقليم تم ضمه بطريقة ما لليمن والتي لها تاريخها الواضح والذي لا يملك العسيريون فيه أي دور أو أثر اعتماداً على ما ورد في هذه المصادر المحسوبة على العسيريين.

لا شك أنه سيكون في ذلك إجحاف وظلم وانتقاص لمواطنة المواطن العسيري اليمني، فماذا نتوقع أن يكون عليه الحال للإنسان العسيري في ظل انتمائه لبلاد لا يجد له في تاريخها أي قيمة، ولم يذكره مؤرخوها كجزء من بلادهم على الإطلاق، بينما يجد لبقية الأقاليم جميعاً في تاريخها أدواراً تاريخية على امتداد تاريخ الوطن، ثم يقرأ في كتب التاريخ عن الحدود التاريخية للوطن الذي ينتمي إليه والتي حددها الرسول ﷺ بطلحة الملك[١] والواقعة في بلاد وادعة[٢] والتي لا زالت معروفة باسمها على الحدود اليمنية السعودية حالياً كما هو معلوم حتى لدى اليمنيين[٣]، والتي تضعه تاريخياً خارج هذا الوطن الذي ينتمي إليه قسراً، بل ويرى تحديد مؤرخي اليمن وجغرافييها القدامى بما فيهم المتعصبين لليمن كالهمداني وغيره، والذين اعتبروا كل ما وقع شمال "طلحة الملك" و"حمضة" و"جبل كدمل" فهو خارج اليمن، ويقرأ ما كتبه

---

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١/ ص٤٣٣٩.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٧٢.

(٣) علق المحقق محمد الاكوع على ما ذكره الهمداني في كتاب "صفة جزيرة العرب الذي حققه في الحاشية بتعريف طلحة الملك بأنها: "قرية كبيرة بقرب ظهران الجنوب شمال صعدة"، صفة جزيرة العرب، ص٣٧٢، وهي كذلك بالفعل، إلا أن هنالك موقعين متجاورين على الحدود السعودية اليمنية، أحدهما داخل الحدود السعودية ويسمى "الطلحة"، والآخر مجاور له من الجنوب داخل حدود اليمن شمال صعدة ويسمى (سوق الطلح).

مؤرخو اليمن الذين كانوا يطلقون على بلاد عسير والسروات مسمى "الحجاز"[١] وعلى قبائلها القبائل الحجازية[٢] وأحياناً يسمونها بالنجدية[٣] تمييزاً لها عن اليمنية، ثم يقرأ الطريقة التي كتبت بها الكثير من الرموز اليمنية عن عسير، وما حوى من انفعال ونبرة عدائية، خاصة في مرحلة ما بعد دخول العسيريين على خط دعم الدعوة السلفية، رغم إصرارهم فيما بعد منتصف القرن الهجري الرابع عشر على الحديث عن تبعيتها لبلادهم.

لا شك إذن أنه سيكون هنالك شعور بالدونية لدى كل عسيري في هذه الدولة وسيتكرس شعور بالفوقية لدى البقية في الوطن أمام كل عسيري يحمل مسمى يمني، وستظل يمنيته محل اشتباه وتشكيك على مدى التاريخ.

وعندما نقول عسير واليمن بالذات، فلأن هنالك الكثير من المستجدات في كتابة التاريخ في هذا العصر حول علاقة هذين الإقليمين، وهي:

أولاً: لأن مجموعة من الكتب المجهولة المصدر والخبر كما أسلفنا والتي خرجت من الظلام خلال العقود الأخيرة والتي تعني بتاريخ عسير وتحمل أسماءً عسيرية لمؤلفيها المزعومين، قد شوشت على الحقيقة بشدة في هذا الخصوص، فقد أوزدت الكثير من الأخبار غير المسبوقة عن تواشج وتفاعل وتنافس مستمر بين الممالك اليمنية المختلفة وبين أمراء عسير المزعومين الذين أوردت أسمائهم، بل لقد أقرت بسيطرة بعض هذه الممالك على قلب عسير في بعض المراحل، والتي كان أهمها "إمتاع السامر" بجزئيه لشعيب الدوسري و"عسير" لمحمود شاكر و"تاريخ عسير" تحقيق محمد بن مسلط، و"عسير في مذكرات سليمان الكمالي" تحقيق أحمد النعمي "وأخبار عسير" والسراج المنير" لعبدالله بن مسفر، وتحقيق كتاب "الدر الثمين" المنسوب لعبدالله بن حميد والتي نحت هذا الاتجاه الخاطئ في كتابة التاريخ حول هذين الإقليمين، فأحدثت أثراً كبيراً على المفهوم بما في ذلك داخل منطقة عسير، بل واتخذت كمراجع في كتب أخرى لإثبات هذه التبعية من خلال ما أوردته من أخبار عن تداخل التاريخ العسيري مع الممالك اليمنية عبر التاريخ، مما يعني أننا أمام مشكلة حقيقية كرست أمامنا مثل هذه الحالة من التظليل.

ثانياً: لأن هنالك بالفعل العديد من الكتب العربية في اليمن وغيرها – وخاصةً إبان نشاط

---

(١) انظر: ١- جحاف، درر نحور الحور العين، ص٤٠٣؛ ٢- حوليات يمانية، مؤلف مجهول، تحقيق عبدالله الحبشي، دار الحكمة اليمانية، ص٦٣.

(٢) انظر: الأكوع، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ص١٠٣.

(٣) انظر حوليات يمانية، مؤلف مجهول، تحقيق عبدالله الحبشي، دار الحكمة اليمانية، ص٦٣.

التوجهات الشيوعية الاشتراكية في بعض البلدان العربية في مراحل الخلاف الحدودي السعودي اليمني - بالغت في دعم الموقف اليمني، فدونت الكثير من الأخطاء حول هذه القضية، ولا زالت كتاباتهم ماثلة عبر الزمن، بينما في الجهة المقابلة في المملكة العربية السعودية وبالذات من مؤرخي إقليم عسير لم يصدر للرد على ذلك سوى كتاب واحد، وهو كتاب "العلاقات السعودية اليمنية" للمؤلف صالح بن عون بن هاشم الغامدي الذي سرد فيه مراحل النزاع والاتفاقيات السعودية اليمنية وملاحقها في تسعة وخمسون صفحة هي كامل صفحات متن الكتاب، دون أن يتطرق للوضع التاريخي للعلاقة[1]، بالإضافة لكتاب عبدالواحد دلال "البيان في تاريخ جيزان وعسير ونجران" والذي تطرق للمسألة في حدود تاريخ الدولة العثمانية وما بعدها حتى توقيع معاهدة الحدود السعودية اليمنية بالطائف عام ١٩٣٤هـ فقط.

وعدم التوازن في تناول القضية بين الطرفين يعني أن مسار فهمها سيسير باتجاه خاطئ، ما لم يتم تصحيح المعلومة لدى القارئ، حتى لا تظل هذه القضية محل سوء فهم في المستقبل.

لذا سنضع هنا قراءة تاريخية حول التاريخ السياسي لمنطقة عسير وعلاقتها باليمن عبر التاريخ، ونطرح الآراء الجديدة للتمحيص وخاصة تلك التي وردت في الكتب المجهولة التي ذكرنا وما تبعها من إشارات، ليكون القارئ على بينة من أمره في هذا الخصوص، وحتى لا تظل الأفكار الخاطئة هي المسيطرة على الساحة بينما لا يوجد ما يقابلها في الجانب الآخر.

٢ - أصل الإشكال حول التاريخ السياسي لعسير وعلاقته باليمن

لم يرد في التاريخ القديم مسمى "عسير" للدلالة على إقليم كامل، فقد كان هذا المسمى يشير إلى قبيلة من قبائل جبال الحجاز تقطن حوالي مدينة أبها وما يصاليها من تهامة بمسمى "عسير"، ولكن هذا الاسم أصبح اسماً شاملاً لإقليم يمتد فيما بين نجد والحجاز واليمن والبحر الأحمر حسب الموسوعات والكتب الجغرافية الحديثة، خاصةً بعد قيام إمارة في هذه القبيلة شمل نفوذها كامل الإقليم، ومن ثم فعسير كإسم لإقليم كامل لم يكن مذكوراً في كتب التاريخ كثيراً، وذلك لكونه أساسا يخص جزءاً صغيراً من المنطقة.

والمنطقة تنقسم بين بيئات جغرافية انفرد كل جزء منها بالذكر في التاريخ القديم مستقلاً عن الآخر، وهي تهامة والحجاز ونجد، إلا أن انفصال المسمى في المفهوم العام خارج الإقليم

---

(١) الغامدي، صالح عون هاشم، العلاقة السعودية اليمنية دراسة وثائقية، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية، ١٩٩٢م، ص٥ - ٦٤.

تدريجياً عبر القرون السابقة عن الجزء الثاني والثالث أدى إلى جهل المؤرخين بتاريخ الإقليم في العهد القديم، لذا سهّل ذلك على البعض القول بأن أراضي إقليم عسير كانت جزءاً من اليمن قبل ذلك، وبالتالي فإنها لم تأخذ تعريفاً خاصاً بها لكونها جزء من أحد أقاليم الجزيرة العربية الكبرى.

وبدأ ترسيخ هذه الفكرة بشكل جدي كان بعد أحداث ما بين عامي ١٣٥٠ - ١٣٥٣هـ عندما اندلع النزاع بين الملك عبدالعزيز وإمام اليمن حول بلاد الإدريسي التي كان يطلق عليها "عسير" كمسمى سياسي أطلقه الإدريسي على إمارته، وكان الإدريسي بدأ نشاطه الديني السياسي في أبي عريش عام ١٣٢٧هـ معتمداً على الدعم الإيطالي والبريطاني، حيث وقع معاهدات معهما تضمن مناوأته للدولة العثمانية مقابل إعطائه هذه المناطق وتوفير الدعم العسكري والحماية له، فمد نفوذه على جزء من السواحل الجنوبية في تهامة منطقة عسير بالإضافة لكامل سواحل اليمن على البحر الأحمر من خلال معاهدة مع بريطانيا، وأطلق على نفسه حاكم عسير، وهو مسمى خاطئ إذ لا يرتبط المسمى بالمنطقة التي يحكمها سوى ارتباطاً جزئياً بينما كانت معظم البلاد التي تحت يده من خارج عسير وبالضبط كامل سواحل اليمن على البحر الاحمر كالحديدة والمخا وغيرها، فقد دخلت عسير بمعظم مناطقها تحت حكم الملك عبدالعزيز منذ عام ١٣٣٨هـ، بينما بقي الإدريسي رغم علاقته الجيدة بالملك عبدالعزيز مستقلاً حتى عام ١٣٤٥م حيث وقع حينها اتفاقية مع الملك عبدالعزيز تعطي الأخير السيادة مقابل توفير الحماية للإدريسي في حروبه مع إمام اليمن حول السواحل اليمنية، ومن ثم فقد انتهى المطاف باستيلاء الجيوش السعودية على أبي عريش بعد نقضه للاتفاقية، وهنا بدأت الأمور بين الملك عبدالعزيز والإمام تأخذ طابع المواجهة بسبب وجود بعض المناطق اليمنية الشمالية داخل حدود الملك عبدالعزيز، ولكون بقية سواحل اليمن التي كان الإمام بسط نفوذه عليها قبل ذلك بقليل تعتبر جزءاً من بلاد الإدريسي التي وقع مع الملك عبدالعزيز اتفاقية لحمايتها، وبدأت الحملات الإعلامية والتصريحات تأخذ بعداً آخراً بين البلدين حول الحدود، وكان طابعها المبالغة في الادعاء فكان الجانب السعودي يدعي بشرعية امتداده على كامل السواحل اليمنية بما فيها التي استعادها الإمام من الإدريسي قبل اتفاقيته مع الملك عبدالعزيز بصفتها جزءاً من بلاده بموجب معاهدته مع الإدريسي فيما اتجه الإمام إلى الادعاء بأحقيته بكامل بلاد الإدريسي المسماه "عسير" مضيفاً لها كامل عسير الحقيقية[1] والتي تمتد شمال بلاد الإدريسي

---

(١) انظر: الواسعي، عبدالواسع، فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٨٤م، ص٣٩٣. حيث ورد في نص معاهدة الطائف توقف الجانب السعودي عن المطالبة بما كان في يد الأدريسي مما أصبح بموجب المعاهدة تابعاً لليمن وفي المقابل توقف الطرف اليمني عن المطالبة بما كان في يد الإدريسي أو آل عايض أو في نجران ويام.

إلى ما دون الطائف[١]، واستمرت المفاوضات ودخل البلدين في حروب في منطقة نجران وجبل العرو والحديدة وباقم انتهت بمعاهدة الطائف التي رسمت الحدود بين البلدين، إلى أن جاءت الثورة اليمنية مدعومة من مصر الثورية التي كانت على علاقة غير ودية مع المملكة العربية السعودية التي دعمت الإمام، فبدأت تصريحات قادة الثورة في اليمن العدائية ضد السعودية والحديث عن تصدير الثورة لها منذ البداية[٢]، ودخلت وسائل الإعلام الثورية في أنحاء الوطن العربي على الخط لدعم الموقف اليمني والتركيز عبر إذاعة صوت العرب على الحديث عن الأراضي اليمنية المغتصبة في جنوب المملكة (عسير)، وكان مسمى "عسير" حينها قد أعيد إلى مفهومه الحقيقي إذ أصبح كامل الإقليم الجنوبي يطلق عليه عسير ومركزه مدينة أبها، ولكن تغير قيادات الثورة في اليمن غيرت من لغة القيادة وعادت الأمور إلى الهدوء، ثم عاد الحديث عن الحدود مرة أخرى بعد توحيد اليمني الشمالي والجنوبي عام ١٩٩٠م، حيث لم تكن هنالك معاهدات حدودية مع اليمن الجنوبي بل كان هنالك نزاع مستمر حول الحدود، وهو ما أعاد الحديث عبر وسائل الإعلام المقروءة عن عسير اليمنية، متكئاً على إرثٍ من المدونات السياسية الداعمة خلال المرحلة السابقة من النزاع.

فهل يصح القول بأن هذه المنطقة المجهولة في التصنيف الحديث لأقاليم الجزيرة العربية جزء من اليمن تاريخياً بالفعل، خاصةً وأنه توجد إشارات في بعض المراجع التاريخية تصف بعض حواضرها مثل تبالة وجرش وبيشة ونجران والعقيق وتثليث باليمنية، ونكون بذلك قد وصلنا للحقيقة.

قد يكون تسليم البعض بذلك مسترشدين بهذه الإشارات مقبولاً لولا أننا وجدنا أن هنالك كتباً أخرى أشارت إلى هذه المناطق كجزء من الحجاز[٣] أو من نجد[٤] أو من تهامة[٥]، ووجدنا أيضاً أن الإشارة لليمن قد تجاوزت التخصيص ببلاد اليمن إلى أن أطلقت مجازاً على كل ما وقع إلى الجنوب عن من يطلقها، فالمدينة المنورة ومكة المكرمة وكل تهامة والدرعية بل وكل اليمامة وهجر (وغيرها كثير) أطلق عليها اليمن، ومن ذلك مثلاً ما ذكره الإمام ابن حجر من أن البعض قد حرفوا حديث النبي ﷺ (الإيمان يمان والحكمة يمانية) عن ظاهره فقالوا أن

---

(١) سالم، سيد مصطفى، تكوين اليمن الحديث.. ا- اليمن والإمام يحي، دار الأمين للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٩٩٣هـ، ص٣٤٤ .

(٢) الشامي، أحمد بن محمد، رياح التغيير في اليمن، ص٣٢.

(٣) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢ / ص١٥.

(٤) - الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج١ / ص٥٢٩.
- البكري، عبيد الله، معجم ما استعجم، ج١ / ص٩.

(٥) الحموي، معجم البلدان، ج٢ / ص٩.

المقصود باليمن المدينة المنورة ومكة المكرمة لأن الرسول ﷺ قد ذكر ذلك وهو في تبوك حيث كانت مكة والمدينة إلى جهة اليمن عنه فذكر أن الإيمان يماني في إشارة لهما[١]، وبغض النظر عما إذا كان هذا التفسير قد انحرف عن مقصد الحديث من الناحية الفقهية كما أشار لذلك الإمام ابن حجر رحمه الله أم لا، إلا أن هذا التفسير على درجة من الأهمية من الناحية التاريخية لبحثنا هذا، فهو توثيق للمستفيض حول المعنى اللفظي في التاريخ القديم للمفردة، حيث يفيد الحديث هنا أن كلمة اليمن لم تكن في المفهوم العام تدل على بلاد اليمن خاصة، بل كانت تحمل الدلالة على كل ما كان إلى الجنوب لذلك خلط المفسرون في فهم المعنى هنا، ومن ذلك أيضاً ما نجده في تاريخ ابن خلدون عندما أطلق على هجر التي تقع في الأحساء "باب اليمن"[٢]، ومن ذلك أيضاً ما نجده لدى الكاتب لويس دوكورانسي الذي كان يكتب عن الدعوة الوهابية بلسان عراقي حيث اعتبر الدرعية في اليمن وكان يتحدث عن بلاد اليمامة على أنها من اليمن على امتداد صفحات كتابه[٣]، ولا شك أن المقصود في هذا وفي كل ما سلف ليس بلاد اليمن على وجه التحديد بل هو الجهة اليمانية، فقد كانت العرب تقول في شق اليمن، وفي جهة اليمن ومدينة يمانية وغيرها من الأوصاف التي قد تخلق خلطاً لدى من ينقل عنهم ممن لم يعرفوا تفاصيل اللغة العربية القديمة، وهنالك الكثير جداً من الأمثلة على مثل هذه الإشارات إلى مواقع عدة في وسط وشمال وجنوب الجزيرة العربية كما هو معروف، ليس المجال لسردها هنا، ونكتفي بما ذكرناه من أمثله لإشارات تاريخية قديمة إلى مواقع متفرقة من الجزيرة العربية لكفايتها في الدلالة على شمولية المقصد، فكلمة اليمن تعني عند العرب اصطلاحاً جهة الجنوب والشام تعني اصطلاحاً جهة الشمال، ولا زالت هذه المصطلحات تستخدم في جزء كبير من الجزيرة العربية إلى عصرنا الحاضر، فمثلاً في إقليم عسير ومكة المكرمة وما بينها درج الناس على استخدام مصطلحي شام ويمن كمصطلحات بديلة للفظي "شمال" و"جنوب" حتى في الوثائق الرسمية والوثائق التاريخية، فيقال شاميها أي شماليها ويمانيها أي جنوبيها، ويقال الحي الشامي والحي اليماني أي الحي الشمالي والحي الجنوبي، وهناك في عسير ألمع الشام وألمع اليمن وعمرو الشام وعمرو اليمن، وفي الطائف ثقيف الشام وثقيف اليمن، والركن الجنوبي للكعبة المشرفة يسمى الركن اليماني والركن الشمالي يطلق عليه الركن الشامي.

---

(١) ابن حجر، فتح الباري في صحيح الإمام البخاري، ج٦/ ص٥٣٢.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد الثاني، ص٣٥٤.

(٣) دوكورانسي، لويس، الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ، ص١٨، ٤٤، ٤٧، ٥٩، ٦٠.... إلخ، ويذكر المحقق ص٤٧ أن جان ريمون كان يطلق نفس المسمى على بلاد نجد..

ومما تقدم فإننا نجد صعوبة في التأكيد على انتماء أي المناطق التي وصفت في بعض المراجع بيمنيتها إلى بلاد اليمن مستندين على هذه الإشارات فقط وذلك بسبب وجود الخلط بين الإشارة إلى اليمن كبلاد وبين الإشارة لها كجهة الجنوب، مما أحدث لبساً لدى بعض المؤرخين الذين نقلوا عن سواهم وربما لم يدرك بعضهم الغاية، خاصةً وأن كل من أوردوا هذه الإشارات كانوا يكتبون وهم شمال هذه البلاد، كما أن ما يزيد الأمر تأكيداً على عدم دلالة هذه الإشارات أن نفس المناطق العسيرية التي تمت الإشارة لها كمناطق يمنية أشير إليها كجزء من الحجاز أو من مكة أو من نجد في مواضع أخرى.

ولأن تاريخ اليمن مدون بشكل جيد ومرتبط بحدود سياسية عبر التاريخ، فنحن بحاجةٍ للرجوع إلى المراجع التاريخية لمعرفة مدى وجود ذكر لهذه المنطقة أو أي حواضرها كجزء من الأراضي اليمنية عبر التاريخ المدون، ففي ذلك قطع للشك باليقين، فإذا كانت هذه المنطقة الكبيرة جزءاً من اليمن فلا بد أن نجدها مذكورة بقوة في التاريخ اليمني وأحداثه وتفاعلاته على امتداده وهو ما سيأتي معنا.

وهنا سنعرض نبذة عن علاقة الطرفين عبر مراحل التاريخ بدءاً من العصور القديمة ثم العصور الإسلامية ثم العصر الحديث، ثم سنتطرق إلى ما يرد حول ذلك ومواقع الاشتباه، وأثر المصادر المجهولة في محاولة تغيير المفهوم.

الفصل الثاني

علاقة عسير باليمن عبر التاريخ

١- علاقة عسير باليمن في فترة ما قبل الإسلام

في الحقيقة لا يمكننا إثبات أن أي جزء من الجزيرة العربية لم يدخل تحت نفوذ التبابعة اليمنيين منذ فجر التاريخ، فقد نقل الرواة أن التبابعة في مأرب قد امتد نفوذهم في بعض المراحل إلى كل أنحاء الجزيرة العربية، فقد وجد في نقش مريغان حول تثليث أن أبرهة الحبشي عندما امتلك اليمن قد غزا قبائل بني عامر حتى وصل حلبان في شمال شرق الطائف ووضع عليهم ملكاً من طرفه[١]، مما يدل على صلة السلطة في اليمن بهذه المناطق فيما قبل ذلك، كما ورد أن أحد ملوك اليمن غزا بلاد اليمامة في عهد طسم وجديس[٢]، وذكرت بعض المصادر التاريخية أن بعض السبئيين قد أقاموا دولاً في شمال الجزيرة العربية، بل وتجاوزوا ذلك كما تروي أخرى إلى منطقة الهلال الخصيب وبلاد فارس، واعتبر بعض المؤرخين أن مملكة لحيان في الحجر كانت من الممالك اليمنية، وربما كان هنالك نوع من التبعية غير المباشرة من كل سكان الجزيرة العربية لحكام اليمن قبل الإسلام دون وجود النفوذ المباشر، وهذا ما نجده فيما نقلته السير من توجه الوفود ومنهم جد النبي ﷺ عبد المطلب من مكة إلى اليمن لمبايعة سيف بن ذي يزن بعد تمكنه من استعادة الحكم في اليمن[٣]، إلا أن كل ما قيل حول امتداد الممالك اليمنية على الأقاليم الأخرى في الجزيرة العربية أو العراق أو الشام أو بلاد فارس هو مما لا نستطيع نفي ولا إثبات تفاصيله في الوقت الحالي، حيث انقسم المؤرخون حوله.

---

(١) الأنصاري والأسمري، عسير حصن الجنوب الشامخ، ص٣١، ٣٢.

(٢) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن عبدالكريم الشيباني، الكامل في التاريخ، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٤٢٦هـ، ج١/ ص١٢٦.

(٣) الخزاعي، دعبل، وصايا الملوك، ص٢٦.

ولكن مثل هذه التبعية الضمنية إن صحت فليست هي المقصودة في هذه الجزئية من بحثنا هذا، فسقوط بلاد السروات تحت حكم تبابعة اليمن خلال فترات توسع الممالك اليمنية، لن يكون مختلفاً عن سقوط بلاد اليمامة أو بلاد بني عامر، أو مكة، أو الحجر، أو غيرها من مناطق الجزيرة العربية خلال أي فترات توسع الممالك الحميرية، فنحن نبحث في انتماء عسير السياسي والجغرافي والسكاني لليمن كجزء أساسي فاعل ومتفاعل مع بقية أجزائه على مد العصور كسائر أجزاء اليمن الأخرى، خاصةً وأن اليمن لم تنقطع عنها الولاية على امتداد تاريخها المعروف، وهذا ما لم نجده مطلقاً.

وأبعد من ذلك فإننا نجد أن النقوش اليمنية المكتشفة التي تكشف حقيقة التاريخ اليمني القديم لم تورد أي نص يدعم وجود أي نوع من التبعية لإقليم عسير إلى اليمن في العهود القديمة، بل إن ما كشف عنه حتى الآن يشير إلى استقلالية جرش (إسم منطقة عسير قديماً) تاريخياً عن أقوى الملوك اليمنيين وهو الملك "شمر يهرعش"، حيث كشف المؤرخ اليمني أحمد حسين شرف الدين عن نقش في مأرب يفيد بأن هذا الملك اليمني قد تضامن مع الملك الجرشي "مالك بن الكلاع" كأحد الملوك الذين تضامنوا معه لغزو فارس[(١)]، والنص يفيد ضمنياً باستقلالية هذا الإقليم بملك ومملكة تخصه عن أكبر ملوك اليمن التاريخيين، لذا كانت علاقة الملك اليمني بنظيره الجرشي علاقة تضامن لغزو بلاد فارس عندما مر به، وبالإضافة إلى ذلك فإن الروايات التاريخية القديمة والتي ارتبط بها تقسيم العرب إلى قبائل قحطانية وأخرى معدية عدنانية، والتي تربط الأولى تاريخياً باليمن، بينما تفصل الثانية عرقياً وتاريخياً عن أي علاقة به تشير في سيرتها التي تروي سيرة ملوك اليمن إلى جرش (حاضرة الإقليم قديماً) كأرض كانت تسكن بها قبائل معدّ مستقلةً بها حتى عهد التبع اليمني "أسعد كليكرب" والذي كان حكمه قبل البعثة النبوية بعدة قرون، حيث روى ياقوت أن تبع أسعد كليكرب أثناء رحلته التي خرج فيها إلى شمال الجزيرة العربية مر بجرش (حاضرة الإقليم في ذلك الزمان) "وكانت معد حلول حواليها فنزل بعض من كانوا معه بها"[(٢)]، وبغض النظر عن مدى مصداقية هذه الأسطورة التي لا نستطيع الوصول إلى اليقين بصحتها أو بخطئها إلا أنها كأثر مدون يدل على المتداول في عصره، فهي تشي بما كان مستفيضاً بين الناس حول انتماء هذا الإقليم وسكانه منذ القدم، كما تفيد بخبر مهم، وهو انفصال هذا الإقليم عن ملك الملك اليمني الذي مر بها أثناء رحلته إلى الشمال فعرفها اليمنيون فنزلوا بها إلى جانب سكانها، وقد نجد رابطا بين هذا وما ذكره الهمداني في بداية القرن الرابع الهجري من وجود مجموعة من "النزاريين" كانت

---

(١) شرف الدين، أحمد حسين، المدن والأماكن الأثرية في الجزيرة العربية، ط١، ١٤٠٤هـ، ص٦٨

(٢) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢/ ص١٢٦

رابطاً لعنز بن وائل على العواسج وصفها بقوله "من الغرباء" دون أن يحدد لهما نسباً دون نزار[١] مما يمكن أن يستدل به على أنهم ربما يكونون بقية القبيلة الأم قبل تفرقها إلى بطون ثم قبائل، ولا زالت كلمة "نزار" تطلق في بعض النواحي من الإقليم على بعض القبائل كقبيلة بكر في بلاد بني شهر، وهو أمر قد يحمل دلالة تاريخية حول بداية وجود قبيلة نزار.

وأيضاً فإن مما يؤيد هذا التوجه هو ما ذكره ابن حزم من أن صهبا بن الحارث قد غزى معد بن عدنان يوم "الشرى"[٢] في زمن التبابعة اليمنيين، و"الشرى" تقع في الجزء الغربي من سراة منطقة عسير، وهذا أيضاً يؤيد الفكرة.

ولعل ما أورده الهمداني[٣] ثم مفرح الربعي في القرن الخامس من إشارات ووصف يدل على وجود قبيلة عنز بن وائل الربعية واستقرارها وتمددها على مساحة كبيرة من هذه الأرض تتوسطها مدينة جرش، وامتلاكها لحمى يخصها وحدود ثابتة معروفة مع مجاوريها[٤] يحمل الدلالة على قدم وجودها في هذه الأرض، كما نجد فيما نقل عن أحداث العرب ومواقع سكناهم القديمة جداً ما يفيدنا بتكتل المعديين في هذه المنطقة في المراحل الأولى من تاريخ ظهورهم[٥]، بينما لم يكن لهم وجود فيما وقع شمالي مكة المكرمة، حيث كانت تقطن قضاعة فيما بين مكة وسيناء وتيماء منذ العهود القديمة، بينما نجد أن كنانة التي منها النبي ﷺ أقصى بلادها شمالاً مكة المكرمة حيث قريش، بينما تمتد بقية كنانة على سواحل عسير فيما بين مكة إلى حمضة[٦] (على حدود اليمن الحالية) حيث اعتبر الهمداني حمضة نقطة انتهاء بلاد قبيلة كنانة إلى الجنوب وبداية بلاد اليمن، ولا زالت حمضة معروفة حتى الآن في اليمن في تهامة بلاد خولان وهي حالياً بمحافظة حجة، وفي حدود هذه المنطقة أشار المؤرخون والرحالة إلى وجود قبيلة كنانة كابن المجاور وابن بطوطة والهمداني.

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٢٩.

(٢) ابن حزم، محمد، جمهرة أنساب العرب، مراجعة وضبط عبدالمنعم خليل ابراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م، ص٤٣٤.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٢٩ - ٢٣١.

(٤) الربعي، سيرة الأميرين الجليلين، ص١٢٣.

(٥) للمزيد من التفاصيل: راجع باب "عسير عبر التاريخ نبذة موجزة" ثانياً: أسماء بعض قبائل وأحداث إقليم عسير القديمة".

(٦) قرية في تهامة اليمن في محافظة حجة بلاد خولان تقع إلى الشرق من قرية الموسم بالقرب من الحدود السعودية اليمنية.

ومن كل ذلك يتضح لنا انفصال إقليم عسير عن اليمن وقدم استيطان قبائل معدّ فيها. وهو ما يؤكد لنا الانفصال العرقي والذي هو أهم ما يميز به مؤرخوا اليمن الانتماء لليمن في حديثهم عن بلادهم بصفتها منبع العرب العاربة تمييزاً لهم عن العرب المستعربة والذين هم العدنانيون.

٢- علاقة عسير باليمن في التاريخ الإسلامي

أشارت المصادر المجهولة في مجموعة إمتاع السامر إلى وجود إمارة قوية لأمراء من بني يزيد بن معاوية خلال العصور الإسلامية، وقد أسهبت هذه المصادر في ذكر التنافس على النفوذ بين هذه الإمارة وبين الممالك اليمنية، وتداول الولاية على عسير بين أئمة اليمن وأمراء آل يزيد الذين يقاومون نفوذ الأئمة على إمارتهم، مما يوحي بوجود إمارة في عسير مرتبطة بأئمة اليمن بشدة.

ولكن الكتب التاريخية اليمنية التي أوردت تفاصيل التاريخ اليمني وأحداث الممالك اليمنية لم تورد أي هذه الأخبار، ولم يأت فيها أي خبر عن وجود هذه الإمارة، وأكثر من ذلك فإننا نجد أن اليمن لم تكن معنية بما يحدث في عسير، كما أن المصادر التاريخية الأخرى لا تؤيد وجود هذه الإمارة بل تشير إلى عسير "جرش" بصفتها كانت ولاية إسلامية مباشرة ولى عليها النبي ﷺ وخلفائه عددا من الولاة، واستمرت كذلك حتى القرن الهجري الرابع حيث دمر مركز هذه الولاية، وتحولت القيادة السياسية في المنطقة إلى قيادات قبلية متفرقة، ثم استمرت على هذا الوضع حتى بداية القرن الثالث عشر للهجرة عندما انضمت هذه المنطقة إلى الدولة السعودية في تأييد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

ورغم أن المصادر اليمنية عبر التاريخ الإسلامي جميعها تنطق بوضوح بما يؤكد على عدم وجود الإمارة اليزيدية التي زعمت هذه المصادر أن آل عايض هم آخر أمرائها، إلا أنها بدأت تظهر بعض الإشارت في كتب يمنية معروفة حققت حديثاً تدعم ضمنياً فكرة إمتاع السامر حول الإمارة اليزيدية المزعومة وارتباطها بالإمامة في اليمن، ورغم ورود هذه الإشارات في مواقع هامشية، إلا أنها تمثل ألغاما تاريخية تزداد قوتها مع مرور الزمن لتقلب كل الحقائق التاريخية، فهذه مثلاً إشارة في هوامش أحد الكتب اليمنية تؤيد حقيقة وجود وقدم ما سمي بـ"الدولة اليزيدية" في عسير وارتباطها باليمن في كتاب "درر نحور الحور العين" للطف الله جحاف الصادر عام ١٤٢٥هـ بتحقيق "ابراهيم بن أحمد المقحفي" حيث أورد في قصيدة للحسن بن خالد الحازمي المتوفي عام ١٢٣٤هـ عند سقوط "حمود أبو مسمار" على يد أمير عسير "عبدالوهاب أبو نقطة المتحمي" عام ١٢١٧هـ قصيدة هذا هو ما ورد من مقدمة لها ونصها وتعليق المحقق:

المجلس الثاني: قال عند طلوعه صنعاء بعد رحيله من أبي عريش (يقصد الحسن بن خالد) إلى الإمام المنصور عن أمر حمود، يذكر فيه أن رحيلهم غيرة على المذهب

ومحبة في الاستنصار له بقبائل همدان بن زيد وأشراف الجوف والزاهر، ويحث الكل على طاعة الخليفة، ويذكر كبر صيته وسعة مملكته وكثرة ماله وعدده فقال:

كن يا نسيم الصبا في الرسول إلى ... من لا أسميه تنزيهاً وتمكينا
بألف ألف سلام من متيمة ... وحسن شكر لما قد كان يولينا
إذا تذكرت أيامي بساحته ... أشاهد الموت في بعض الأحايينا
ولم يزل طيفه بالليل يطرقنا ... بالحزن في غالب الأحوال يأتينا
فالقلب من بعدكم مستوحش قلق ... ومن عنا الضيم ما جفت أماقينا إنساً
إن الزمان الذي قد كان يضحكنا ... بقربكم قد صار يبكينا
وما رحلنا من الأوطان عن ملل ... وإنما بغض أهل البيت يثنينا
وإن تباعدت الأشباح وافترقت ... عن الأحبة لا تخشى تجافينا
فالحمد لله حمداً غير منحصر ... مضاعف حين نجانا منجينا
لما تغيرت الأحوال وانهدمت ... قواعد الدين فارقنا ذرارينا
حمية دون آل البيت إن لهم ... حقاً علينا إلى هذا يؤدينا
وحسن ظن بذي غيلان إنهم ... في أهل بيت رسول الله حامينا
وإنهم من قديم الدهر شيعتنا ... بالنص يرضيهم ما كان يرضينا
يا آل عائض كم هذا التقاعد عن ... نصر البقية من آل النبيينا
إن قلت ذلاً فما والله عادتكم ... أو قلت قلاً فلستم بالأقلينا
شنوا النكاية في همدان والتمسوا ... كل القبائل لا زلتم مطاعينا
ثم ابلغوا زاهر الأشراف إن به ... ليوث حرب لدى الهيجاء مطاعينا
وعاضدوا يام بالإمداد إنهم ... سدوا المشارق فاقوا أسد وادينا
فأنتم أهلها من سابق ولكم ... عند الشدائد تحريكاً وتسكينا
وآثروا طاعة المنصور إن له ... حقاً به آية الفرقان تنبينا
خليفة الله حبل الله حجته ... على البرية قاصينا ودانينا
سلالة المصطفى المنصور من خضعت ... لهيبة منه أعناق السلاطينا
تجهز الروع قبل الجيش هيبته ... وتحقر الخطب إصغاراً وتهوينا[1]

(١) جحاف، درر نحور الحور العين، ص٥١١، ٥١٢.

... إلى آخر القصيدة.

ورغم أن القصيدة واضحة من حيث توجيهها إلى إمام اليمن والاستنصار بقبائل همدان ضد العسيريين إلا أن المحقق فسر معنى كلمة "آل عائض" التي وردت في البيت ١٤ بقوله في الحاشية:

"أمراء عسير من أسرة آل عائض التي حكمت عسير بين عامي ١٢٣٣ - ١٢٨٨هـ"

وبدا وكأن الإشارة تدل على استنجاد الحسن بن خالد بآل عايض في عسير بصفته (حسب المفترض) يقف وإياهم في تلك المرحلة على نفس الخط ضد آل أبو نقطة الذين أزاحوهم عن الحكم في عسير(حسب رواية مجموعة إمتاع السامر)، مما يعني أن آل عايض كان لهم حكم قديم في المنطقة منذ القدم مرتبط بالإمامة في اليمن حسب سياق الأبيات.

والحقيقة أن مسمى "آل عايض" الوارد في أبيات الحسن بن خالد واضح المغزى في سياق الأبيات الواردة في النص، وبما لا يخفى على عاقل، فهي تشير إلى "آل عايض" الذين هم بيت رئاسة في قبائل "ذي غيلان"، وهم بطن من "دهم" من "همدان"، وهي القبيلة التي استُشهد الأمير عبدالوهاب بن عامر أبو نقطة رحمه الله لاحقاً على يد مقاتليها أثناء معركة بيش بين جيشه وجيش حمود أبو مسمار في عام ١٢٢٤هـ عندما اخترق صفوفهم وأسقط الراية التي كانوا يحملونها وقتل حاملها برمحه فوجهوا بنادقهم إليه ورموه حتى سقط شهيداً كما روى جحاف[1].

ولكن المحقق هنا ورغم وضوح الصورة، يشير إلى أن الحسن بن خالد وجهها إلى آل عايض في عسير ليستغيث بهم لإعادة الأمور لنصابها، ومن ثم فإن سياق الأبيات يشير إلى أن الشاعر استنصر بآل عايض في عسير ووصاهم بطاعة الخليفة إمام اليمن المنصور وإعادة عسير إلى الحضن اليمني كما كانت في عهدها معهم، وكل ذلك كان في عام ١٢١٧هـ أي قبل أن يولد الرجل المسمى "عايض بن مرعي" وقبل أن يصل للحكم بفترة طويلة، بل قبل أن يولد مسمى "آل عايض" في عسير من الأساس، حيث بدأ بوصول عايض بن مرعي في نهاية عام ١٢٤٩هـ وليس عام ١٢٣٣هـ، كما أن المحقق بهذه الإشارة يصادق بذلك بالتمام على ما انفردت به مجموعة إمتاع السامر والتي تروي عن وصول آل يزيد (آل عايض) إلى الحكم عام ١٢٣٣هـ فيما ادعوا أنه بداية المرحلة الثانية من حكمهم، بينما جميع المصادر الموثوقة المعاصرة تفيد أن الفترة ما بين عام ١٢٣٤ - ١٢٣٨هـ هي فترة سيطرة الحكم العثماني تحت ولاية شريف مكة، وبعدها كانت فترة إمارة سعيد بن مسلط ثم علي بن مجثل ما بين عامي ١٢٣٨-١٢٤٩هـ، ثم تلتها فترة

---

(١) جحاف، المصدر السابق، ص٨٠٦.

وصاية (ثم ولاية) عايض بن مرعي ثم ابنه محمد ما بين عامي ١٢٥٠-١٢٨٨هـ.

ونحن وإن كنا نحتمل أنه لم يكن هنالك ما هو أبعد من التفسير الخاطئ للكلمة، إلا أنه يجب توضيح الصورة هنا ووضع اليد على موضع الخطأ قبل تفاقم أثره، نظراً لما تحمله العبارة من دلالة في حالة تركها دون توضيح في هذه المرحلة، خاصة وهي قد أقحمت ضمن تحقيق وثيقة تاريخية قديمة ومهمة، وحتى لا تستخدم في وقت لاحق لتمرير الأفكار الخاطئة لمجموعة العبث بالتاريخ، وحتى تكون أنموذجاً توضيحياً لما قد تضعه (أو ربما وضعته بالفعل) الأيدي العابثة من تدليس سيظهر لنا في المستقبل في المصادر التاريخية المختلفة.

فخطورة العبارة هنا على التاريخ العسيري وعلى هوية أرض عسير في حالة تمريرها أنه سيمكن القول لاحقاً بعد تهيئة الوضع من خلال طرح المزيد من الإشارات المماثلة بأن قصيدة الحسن بن خالد والتي قالها عام ١٢١٧هـ بعد سقوط (أبو عريش) على يد عبدالوهاب أبو نقطة كانت من باب التمني والحث لآل عايض الذين أزاحهم آل أبي نقطة عن إمارة عسير (كما تقول مجموعة إمتاع السامر) بأن يثوروا على حكم أبي نقطة ويستعيدوا حكمهم وينصروا إمامهم في اليمن، وبالتالي يكون ذلك داعماً لما ورد في إمتاع السامر من أن مسمى آل عائض هو مسمى قديم سابق لوصول عايض بن مرعي، فهو نسبة إلى من أسموه "عائض بن أحمد بن سالم"[1]، ومن ثم يكون ذلك أحد الأدلة التي ستستخدم في المستقبل لإثبات مصداقية أخبار الكتب المزورة والتي جاءت بفكرة وجود الدولة اليزيدية التي لم تكن إلا إحدى الممالك اليمنية - سب سياق رواياتهم، ودليلاً على ارتباط تاريخ عسير السياسي بالتاريخ اليمني، وتداخلها معه في عهد أجداد آل عايض، وسيكون بين أيديهم حينها عدد كبير من الإشارات التي مررت عبر الكتب التاريخية المختلفة، وفي ذلك تحريف لمسار الحقيقة التاريخية، ومزاد يقام على هوية الوطن.

فإن تكون هذه القصيدة وجهت لآل عائض في عسير أثناء حكم عبدالوهاب أبو نقطة كما ورد في النص والتعليق، أو حتى قبل وفاة الشاعر "الحسن بن خالد" المتوفي عام ١٢٣٤هـ أي في عهد آل المتحمي ووجهت باسم آل عايض في عسير، فهذا أمر مستحيل، حيث لم يصل أول آل عايض إلى الحكم وهو عايض بن مرعي الذي نسب له اسم الأسرة إلا في نهاية عام ١٢٤٩هـ عندما كلف بالوصاية على أمير عسير الذي كان صغير السن حينها، أي بعد وفاة الشاعر "الحسن بن خالد الحازمي" ووفاة المؤلف "لطف الله جحاف"، علماً بأن عايض بن مرعي لم يحمل مطلقاً إسم "آل عائض" لأن اللقب نسب إلى اسمه هو، وأيضاً فإننا عندما نحاول أن نقبل

---

(١) ن أ، ص٥٠، ٦٧.

كون الإشارة موجهة إلى آل عايض في عسير لوجود حكم لآل عايض سابق لحكم آل المتحمي فإن ذلك يتعارض مع موقف الحسن بن خالد ذاته، وأشراف المخلاف في حينه، والذي يتجرد في رأي البهكلي الذي أورده في كتاب "نفح العود في سيرة الشريف حمود"، حيث أشار ضمنياً لعدم وجود أي نوع من السلطة السياسية الشاملة في بلاد السراة قبل الدعوة الوهابية[١]، (وقد نقلنا نصه في هذا الكتاب في باب "هل كان هنالك دولة يزيدية في عسير قبل عام ١٢١٥هـ")، بل ويتعارض مع ما أورده المؤلف نفسه (لطف الله جحاف) من أخبار عن اليمن في نفس الكتاب، حيث أقدم خبر ورد فيه عن الإمارة في عسير كان في عام ١٢١٢هـ عندما تقبل عبدالوهاب أبو نقطة مبادئ الدعوة السلفية في الدرعية وبدأ يلقي الخطب ويدعو لها في بلاده "عسير" فاجتمعت حوله الناس صغيرهم وكبيرهم ورئيسهم وعامتهم[٢]، ثم عام ١٢١٥هـ أشار لها عندما اتجه علي بن حيدر أمير "أبو عريش" إلى طبب في محاولة لتحريض أبي نقطة على غزو عرار بن شار في الدرب[٣]، ثم توالت أخبار عسير في الكتاب في عهد أسرة آل المتحمي حتى عام ١٢٢٤هـ فقط[٤]، بل ولم ترد أي إشارة إلى وجود إمارة في عسير لآل عائض قبل "عائض بن مرعي" في أي المصادر اليمنية أو مصادر المخلاف السابقة أو المعاصرة لآل عائض مثل زبارة في كتاب "نيل الوطر"، ولا لدى البهكلي في "نفح العود"، ولا لدى الشوكاني الذي أشار إلى عدم وجود أي حكم مركزي ذا صفة سياسية في منطقة عسير قبل وصول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إليها على يد محمد وعبدالوهاب أبو نقطة، وإلى عدم تبعيتها لليمن لا ولاية ولا مذهباً قبل انتشار دعوة ابن عبدالوهاب فيها، وذلك عندما قال في رسالة للشريف غالب:

"ومن جلة ما اشتمل عليه كتابكم إهداء النصيحة من أجل هذا الناجم الذي نجم من جهات نجد فلتلحظ علومكم أنه لم يقرب شيئا من بلادنا ولا حام حول أغوارنا وأنجادنا بل معظم تسلطه على عوام أغتام لا يعرفون رسوم الإسلام ولا يدرون بحلال ولا حرام، وهم أهل الشام القاطنين بيننا وبين الحجاز، ولم يكونوا داخلين تحت ولايتنا ولا هم أهل ملتكم وملتنا بل جاهلية جهل على نمط العرب الأولى فرعاً وأصلاً"[٥]

---

(١) البهكلي، نفح العود، ١٦٤.
(٢) جحاف، درر نحور الحور العين، ص٤٠٠.
(٣) جحاف، درر نحور الحور العين، ص٤١٨.
(٤) جحاف، درر نحور الحور العين، ص٤١٨.
(٥) محمود، صلاح رمضان، ذكريات الشوكاني، وزارة الثقافة بجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية - عدن ودار العودة - بيروت، ١٩٨٣م، ص٩٥، وانظر ا آل فايع، درر آل المتحمي...، ص٤٩، وانظر محمد آل زلفة، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ص١٥٨، ١٦٠.

ولا لدى الكبسي في كتاب "اللطائف السنية" - والذي أشار إلى دخول علي بن مجثل للحديدة والمخا وهزيمته لتركجة بلماز، وأطلق على الأمير علي بن مجثل لقب "العسيري"[1] ثم أشار إلى سقوط محمد بن عائض على يد الأتراك عام ١٢٨٩هـ وكان يسميه "محمد بن عائض العسيري" واستخدم في إحدى إشاراته إلى "محمد بن عايض" كلمة (هذا) قبل اسمه من باب التنكير[2]، مما يدل على مجهوليته تماماً في التاريخ اليمني، بينما نجد أن المحقق يعزي إلى الحسن بن خالد هنا الاستنجاد بآل عائض العسيريين كأعلام معروفة مشهورة في متن قصيدة موجهة إلى إمام اليمن الذي ينتمي مثله إلى (العترة الزكية) التي فقدت سلطانها في أبي عريش، ويحضهم في نفس الوقت على اتباع الإمام في اليمن مع أنهم غير موجودين على أرض الواقع حينها.

والجميل في مرحلة ما بعد البعثة النبوية وحتى بداية العصر الحديث أن اليمنيين قد أسهبوا في كتابة تاريخهم فيها وتدوين أحداثه وأخباره بما لم يتسنى لسواهم في الجزيرة العربية وهو ما يثير الإعجاب فعلاً بهذه الأمة التي عرفت قيمة التدوين وأهميته في توثيق مسار التاريخ بما يحفظ للأجيال المتعاقبة حقهم في معرفة تاريخ وطنهم وحوادثه ومواطن القوة والضعف فيه وفهم حدوده على مدى التاريخ، ولأخذ العبر من أحداثه، لذا فإننا لا نجد صعوبة في الوصول إلى تفاصيل تاريخ اليمن وحدوده وامتداداته وعلاقته بمناطق الجوار عبر العصور المتعاقبة، وعند تصفحنا للكتب التاريخية اليمنية الشاملة التي تناولت التاريخ اليمني ومجرياته وأخباره منذ البعثة النبوية وحتى الآن مثل كتاب "المفيد في أخبار صنعاء وزبيد" لعمارة اليمني الذي كتبه في القرن السادس، أو كتاب "قرة العيون في تاريخ اليمن الميمون" لعبدالباقي الديبع، أو كتاب "البرق اليماني في تاريخ الفتح العثماني" لقطب الدين النهزوالي، و"تاريخ اليمن" لحسام الدين بن القاسم، و"اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية" لمحمد بن إسماعيل الكبسي و"المقتطف من تاريخ اليمن" لعبدالله عزب والذي جمعه عبدالله بن عبدالكريم الجرافي و"حوليات يمانية" مجهول المؤلف الذي حققه عبدالله الحبشي أو حتى المتن الأساسي لكتابي "فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن" لعبد الواسع اليماني و"اليمن الخضراء" لمحمد الأكوع الحوالي (الكتابان الأخيرين كتبا بعد المشاكل الحدودية السعودية اليمنية التي بدأت عام ١٣٥١هـ)، أو غيرها من الكتب اليمنية القديمة فإننا لا نجد من خلال السرد التاريخي أي ذكر لمنطقة عسير ولا حواضرها ولا لمدنها ولا لأوديتها كجزء من اليمن منذ البعثة النبوية وحتى الآن، ولم يحدد أي

---

(١) الكبسي، اللطائف اللسنية، ص٤٠٦.

(٢) الكبسي، اللطائف السنية، ص٤٢١.

هذه المصادر اسم أي والي على أي حواضرها كما فعل مع كل مدن وحواضر اليمن في كل المراحل، فقد كان مؤرخو اليمن في العصر الإسلامي عندما يكتبون عن اليمن وأخباره يشيرون إلى اليمن التي نعرفها حالياً ولا يتجاوزونها ولا يتطرقون إلى ما يحدث في بلاد السراة مما وقع شمال طلحة الملك، فهذا مؤرخ اليمن "عبدالرحمن الديبع" مثلاً يعدد ولاة النبي ﷺ على اليمن فيقول:

"ولما فشى الإسلام باليمن بعث ﷺ عماله إليه.

وهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاذ، وأبو موسى، وخالد بن الوليد، وزياد بن لبيد، وخالد بن سعيد بن العاص، والطاهر بن أبي هالة، ويعلى بن أمية، وعمروا بن حزمن وعكاشة بن ثور، وعلي بن معاوية من كندة، وجرير بن عبدالله، وعامر بن شهر، وشهر بن باذام، فوصل علي رضي الله عنه إلى صنعاء ثم عاد.... إلخ"[1]

أما الكبسي فيقول:

"كان عمال النبي ﷺ: أبان بن سعيد بن العاص على صنعاء وأعمالها، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه على الجند وأعمالها، وزياد بن لبيد الأنصاري على حضرموت وأعمالها، وقيل أن رسول الله ﷺ استعمل المهاجر بن أمية على كندة وحضرموت فمرض في المدينة فكتب رسول الله ﷺ إلى زياد بن لبيد أن يقوم على عمل المهاجر، فلما توفي رسول الله ﷺ أقره أبو بكر الصديق وأمره أن يقاتل أهل الردة، واستعمل أبو بكر على الجند ومخاليفها عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي وعلى صنعاء وجهاتها يعلى بن أمية ويقال ابن أمينة، نسبة إلى أمه، وهو من بني أمية بن عبد شمس"[2].

ومما تقدم نجد أن الديبع والكبسي لم يعددا ولاة النبي ﷺ على جرش وبلاد السراة والأزد وعنز بن وائل، كسعيد بن القشب، وعبادة بن الأشيب، وعبدالله بن ثور، وأبو سفيان بن حرب، وحميضة بن النعمان، ضمن ولاة النبي ﷺ على اليمن، وهو ما يدل على انقطاع هذه البلاد عن اليمن في مفهوم أهل اليمن منذ ما قبل البعثة النبوية وما بعدها، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه جعل طلحة الملك حداً بين الحجاز واليمن[3]، وهي التي لا زالت حداً بين الحجاز (سراة عسير) واليمن حتى وقتنا الحالي.

---

(١) الديبع، قرة العيون بتاريخ اليمن الميمون، ص٥٨-٦١.

(٢) الكبسي، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، ص٢٦.

(٣) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله، المسالك والممالك، ص١٣٥، ١٣٧، ١٨٩.

كما لم يشر مؤرخو اليمن الذين كتبوا التاريخ اليمني من داخل اليمن إلى أي قبائلها في تفاعلات الأحداث اليمنية على الإطلاق ما عدا ما ورد عن مشاركة قبائل جنب وسنحان ويام[١] في أحداث الدولة الصليحية حيث تمكن الكامل الصليحي من إقناع هذه القبائل بالوقوف إلى جانبه بعد اجتماعه معهم أثناء الحج في مكة[٢] وعقده اتفاقية معهم على نصرته كما يقول عمارة، وقد درج المؤرخون اليمنيون على إطلاق اسم "القبائل الحجازية" أو "الحجازيون" على هذه القبائل كما يقول القاضي محمد الأكوع[٣]، وعلى بلاد إقليم عسير مسمى الحجاز[٤].

إلا أن هنالك إشارة يتيمة في كل التاريخ اليمني وضعها عمارة اليمني في كتابه "تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد" وهو الكتاب الذي كتبه عندما كان قاضياً للدولة الفاطمية في مصر كما يقول في المقدمة حين قال: "أما صاحب بيحان ونجران وجرش فهم أيضاً تحت طاعة ابن زياد" وقد نقل عنه ذلك بعض المؤرخين من خارج اليمن كابن المجاور في كتابه "تاريخ المستبصر"، وقد وهم عمارة في ذلك، وقد كفانا محقق الكتاب وهو مؤرخ اليمن القاضي محمد الأكوع الذي حقق معظم الكتب اليمنية القديمة وكتب عن اليمن واطلع على تاريخه بما لم يتحقق لسواه التفصيل في خطأ عمارة في ذلك عندما علق على هذه الجملة في الحاشية بقوله:

"لم يملك ابن زياد هذه المخاليف، راجع تاريخنا (اليمن في عهود استقلاله)"[٥]

---

(١) الحكمي، نجم الدين (عمارة اليمني)، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد علي الأكوع، ص١٠٣.

(٢) عمارة اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد علي الأكوع، ص١٠٩.

(٣) الحكمي، عمارة، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد علي الأكوع، حواشي سفلية، ص ١٠٣، ١٠٩.

(٤) انظر:

- جحاف، درر نحور الحور العين، ص٤٠٣،
- حوليات يمانية، مؤلف مجهول، تحقيق عبدالله الحبشي، دار الحكمة اليمانية، ص٦٣.

(٥) الحكمي، نجم الدين (عمارة)، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد الأكوع، المكتبة اليمنية، ط٢، ١٣٩٦هـ ص٥٧.

ولعل كون عمارة مصرياً يكتب عن اليمن من بعد عندما كتب كتابه هو ما جعله ينظر إلى اليمن بأفق آخر لا يراه أهل اليمن من داخل بلادهم، فأدخل بعض المناطق المجاورة لليمن في ملك بني زياد ومواليهم الذين كان متحيزاً لهم، فقد رصد له محقق الكتاب عشرات الأخطاء التاريخية التي لا تخلو منها صفحة من صفحات كتابه، كلها تصب في خانة التحيز لبني زياد ومواليهم الحسين بن سلامة وجياش ونجاح وبني نجاح على حساب غيرهم، وكان أولها في أول صفحة من الوثيقة وهي دعواه أن ابن زياد هو من اختط زبيد[١] بينما هي مدينة معروفة منذ ما قبل الإسلام وورد لها ذكر في حديث وفد الأشعريين على النبي ﷺ عندما قال: "اللهم بارك في زبيد"[٢]، كما أن التاريخ المدون لدى غير عمارة يثبت لنا خطأه في هذه المعلومة، لأن فترة ابن زياد كانت فيها نجران وجرش واليمامة تحت حكم آل أبي الجود، منذ عهد أبي العباس السفاح قبل منتصف القرن الثاني للهجرة وحتى بداية القرن الرابع للهجرة[٣] حيث انفصلت بعدها اليمامة وبعض نجد تحت حكم بني الأخيضر[٤] وانفصلت قبائل عنز بن وائل بجرش، وبقيت نجران تحت حكم بني عبدالمدان إلى نهاية القرن السابع[٥] لذا نجد لدى المؤرخين النزوع إلى الربط بين تاريخ جرش ونجران أو ربط تاريخ نجران واليمامة على أثر هذه الفترة من التاريخ وما أحدثته في ذاكرة المجتمع، كما أن الفترة التي تحدث عنها عمارة كانت في نهاية القرن الثالث الهجري وهي فترة عاصرها الهمداني، وكتب كتابه صفة جزيرة العرب وأخرج جرش وأحوازها تماماً من حدود اليمن عندما وصف حدودها، وما كان الهمداني ليفعل ذلك وهي جزء من إحدى الممالك اليمنية.

وقد يكون الأمر أكثر وضوحاً حول علاقة عسير باليمن عندما نقرأ ما كتبه المؤرخون القدامى بما فيهم مؤرخي اليمن عن حدود بلاد اليمن،، ولنبدأ بما قاله الهمداني أشد المتعصبين لليمن الذي وضع حدود اليمن على أساس عرقي صرف فقال:

"سميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها، والبحر مطيف بها من

---

(١) عمارة اليمني، نفس المصدر السابق، ص٤٥.

(٢) ابن حنبل، أحمد بن محمد، فضائل الصحابة، حققه وخرج احاديثه، وصي الله بن محمد بن عباس، دار ابن الجوزي - الدمام، السعودية، ط٢، ج١، ح ١٦٥٩، ص١١١٣.

(٣) تاريخ ابن خلدون، المجلد الرابع ص٢٨٩.

(٤) الناصر، صالح بن سليمان، ولاية اليمامة دراسة في الحياة الإقتصادية والاجتماعية حتى نهاية القرن الثالث، ص١٧٣، ١٧٤.

(٥) ابن الحسين، يحي، غاية الأماني، ج١/ ص٤٥٨ ؛ وانظر أبو داهش، أهل السراة، ص٦٨.

المشرق إلى الجنوب فراجعاً إلى المغرب، ويفصل بينها وبين باقي الجزيرة العربية خط يأخذ من حدود عمان ويبرين إلى حد ما بين اليمن واليمامة فإلى حدود الهجيرة وتثليث وأنهار جرش وكتنة، منحدراً في السراة على شعف عنز، إلى تهامة على أم جحدم، إلى البحر حذاء جبل يقال له كدمل، بالقرب من حمضة، وذلك حد ما بين بلد كنانة واليمن من بطن تهامة"[١].

وقد نجد أن هذه الحدود واضحة المعالم في الفصل بين إقليم عسير واليمن، فجرش كان إقليماً مستقلاً بأحوازه التي فصل الهمداني نفسه فيها إلى بلاد وادعة جنوباً، وأنهار جرش تبدأ من جنوبها بمسافات متفرقةً إلى طلحة الملك رغم أنها لم تحدد بنقطة معينة في هذا النص، ومثلها وادي تثليث الذي يبدأ بالقرب من طلحة الملك على الحدود اليمنية الحالية، ولكن الأوضح هو ما اتفق عليه الجغرافيون بما فيهم الهمداني في نصوصه الأخرى من أن "طلحة الملك" هي حد أعمال ما بين مكة واليمن منذ عهد النبي ﷺ[٢]، وهذا يتوافق إلى حد ما مع قوله، حيث تبدأ بالقرب منها أنهار جرش ووادي تثليث، ثم اتجه في تهامة إلى أم جحدم والحمضة وجبل كدمل واعتبرها حد اليمن الشمالي الذي يفصل بينها وبين كنانة، وجبل "كُدَمُل" كما حدده مؤرخ اليمن القاضي محمد الأكوع محقق الكتاب في الحاشية السفلية هو جبل في عرض البحر يقع إلى الغرب من مدينة "الموسم" التي تقع على وادي حرض[٣]، وهو يصب من اليمن جنوب غرب جازان على الحدود السعودية اليمنية الحالية، وذكر الأكوع بأن الجبل يسمى حالياً "كتنبل" ومقابلهما تقع "حمضة"[٤] والتي تقع في تهامة بلاد خولان والتي تقع داخل اليمن حالياً، وهذه الحدود التي ذكرها الهمداني بناها على التوزيع العرقي الذي عادة ما يتجه له مؤرخو اليمن وليس على التاريخ السياسي لليمن، حيث نلاحظ أنه اعتبر نهاية بلاد عنز بن وائل من الجنوب ونهاية أنهار جرش (إحدى مدن عنز بن وائل) في السراة الممتدة إلى جنوبها، ونهاية بلاد كنانة من الجنوب في تهامة هي حدود اليمن، وكأنه اعتبر حدود اليمن حدود عرقية محضة، في محاولة لإثبات خصوصية القبائل غير المعدية بالانتماء لليمن وخصوصية اليمن بالقبائل غير المعدية، ورغم اختلاف طريقة تسميته للحدود مع ما أورده سواه، إلا أن كل المواقع التي ذكرها تقع

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الاكوع، ص٩٠، ٩١.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٨٩.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الاكوع، حواشي سفلية، ص٩٢.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الاكوع، حواشي سفلية، ص٩٠.

على الحدود اليمنية السعودية الحالية، بعضها داخل اليمن وبعضها داخل السعودية، مما يؤكد أن الحدود الحالية وضعت على أسس تاريخية يعرفها اليمنيون، وهو ما يستبعد معه الحديث عن منطقة عسير كمنطقة يمنية، بالإضافة إلى أن هنالك أيضاً الكثير غيره ممن أوردوا كلاماً أكثر دقةً عن حدود اليمن وخاصةً في جهة السراة والشرق، فقد أورد البكري حدود اليمن من الشرق واعتبر مأرب وشبوة وطلحة الملك هي حد اليمن من الشمال، وأوفى الأقوال في ذلك هو ما نقله ابن خرداذبة عن قدامة في كتاب "الخراج" من أن النبي ﷺ حدد "طلحة الملك" كحد فاصل بين اليمن ومكة[١]، وهي قرية تقع على الحدود السعودية اليمنية حالياً ويحمل اسمها موقعان على الحدود أحدهما في الحدود اليمنية والآخر في الحدود السعودية.

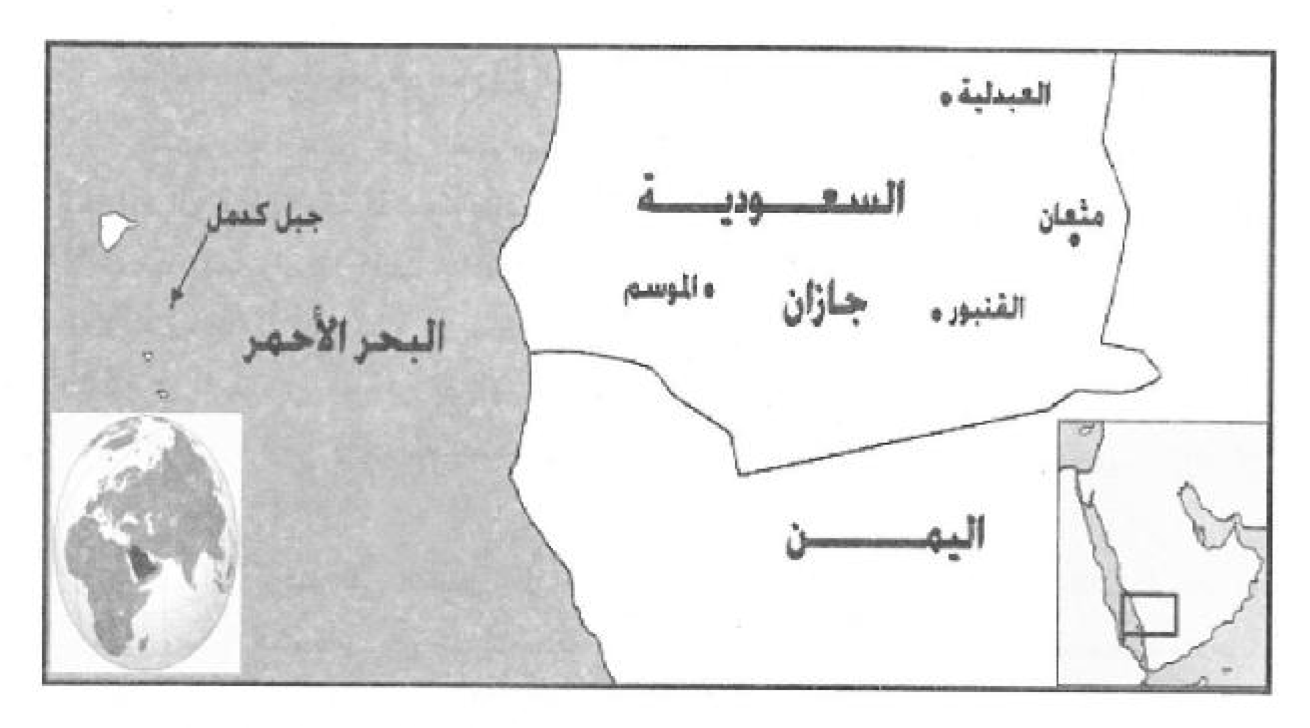
ومن ثم فإن تحديد المؤرخين لشمال اليمن بهذه المواقع التي تقع على حدود إقليم عسير الجنوبية مع اليمن حالياً[٢]، وعدم خضوع هذه المنطقة لأي الولايات اليمنية منذ فجر الإسلام، واقتصار نفوذ هذه الممالك على ما وقع بين طلحة الملك وعدن كما يظهر مما كتبه مؤرخو اليمن[٣]، وهذا الإهمال اليمني التام لهذه المنطقة الكبيرة الخصبة ذات الكثافة السكانية العالية والتي توازي مساحتها أكثر من ٥٠٪ من مساحة اليمن، وعدم ذكرها ضمن تاريخهم على مدى أربعة عشر قرناً، بالإضافة لإشاراتهم إلى قبائلها المصالية لليمن بإسم القبائل الحجازية أو النجدية، يجعلنا نستبعد أن تكون هذه المنطقة محسوبة كجزء من اليمن تاريخياً، وإن كنا نؤمن بوجود اتصال ثقافي لهذه المنطقة باليمن عبر التاريخ يفرضه واقع الجوار والتداخل الذي لا بد منه في هذه الحالة، ولكنه لم يكن اتصال تبعيةٍ يجعلنا نعتبرها جزءاً من اليمن في الانتماء التاريخي ضمن تقسيم أقاليم الجزيرة العربية.

---

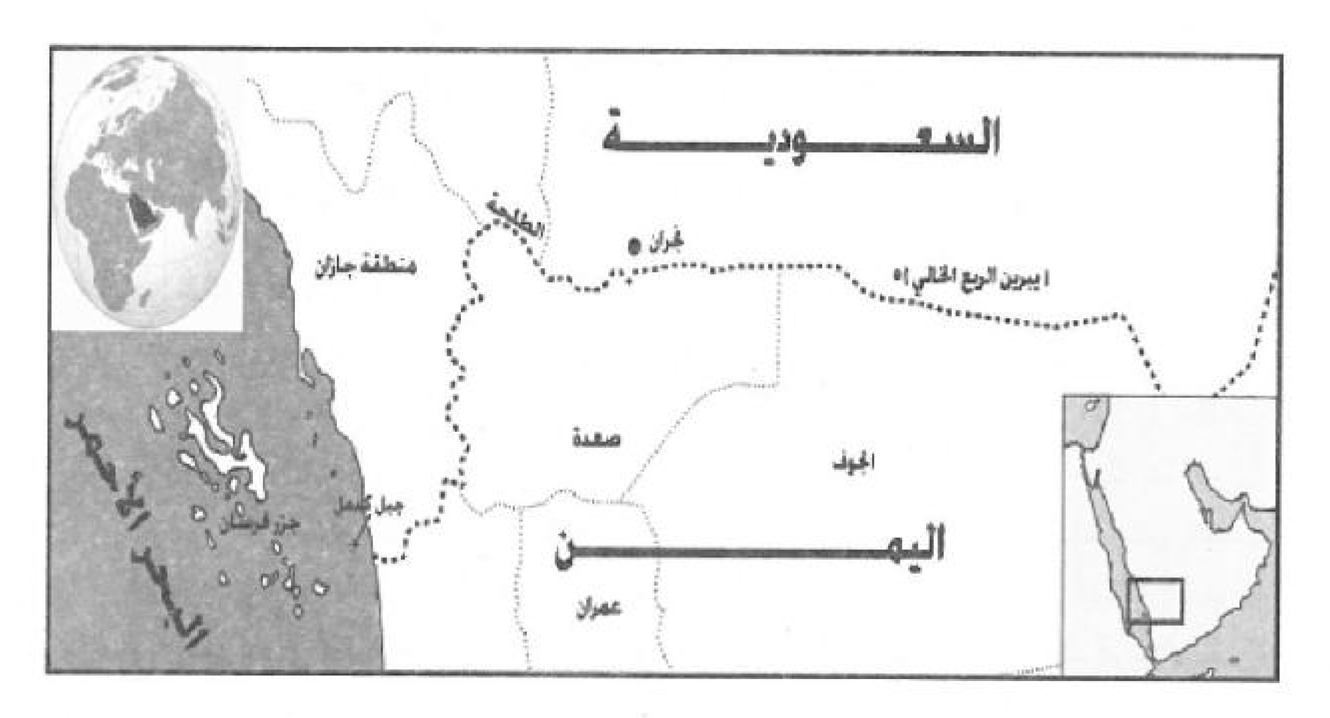
(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٨٩.

(٢) لمزيد من التفاصيل اقرأ باب: "عسير في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، بين جغرافيا الشعر العربي وجغرافيا المؤرخين" في هذا الكتاب.

(٣) عمارة اليمني، المصدر السابق، ص٥٦.



مدينة الموسم على الحدود السعودية اليمنية ويقابلها في البحر جبل كدمل



موقع يبرين، وطلحة الملك، وجبل كدمل
كما هي معروفة حتى الآن على حدود اليمن الشمالية
بينما تقع الحمضة في محافظة حجة في اليمن على الجانب الآخر من الحدود

٣- علاقة عسير باليمن في التاريخ الحديث

كانت منطقة عسير قبل انضمامها إلى الدولة السعودية منطقة يحكمها شيوخ القبائل المحلية، ولها اتصال بمنطقة مكة المكرمة، وتتبع بعض جهاتها لحكم شريف مكة مباشرةً وبعضها الآخر لا تصلها يده، ولكنها كانت منقطعة تماماً عن اليمن من الناحية السياسية والمذهبية، فيما عدا العلاقات الخاصة التي تنشأ بين بعض رجال العلم في الجهات المستطرقة من قبل قوافل الحج اليمنية في المنطقة وبعض من يقابلهم من اليمنيين أثناء مرور قوافل الحج اليمنية عبر المنطقة في السراة وتهامة، ومن ذلك ما نجده في قصيدة مناع الخثعمي في رثاء الشيخ حسين بن مهدي الكبسي سنة ١١٩٦هـ[١].

ولعل مما يؤكد على انفصال إقليم عسير السياسي والمذهبي عن اليمن في تلك المرحلة ما ورد في رسالة الشوكاني إلى شريف مكة مع بداية دخول العسيريين على خط مناصرة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في بداية القرن الثالث عشر الهجري والتي قال فيها:

"ومن جملة ما اشتمل عليه كتابكم إهداء النصيحة من أجل هذا الناجم الذي نجم من جهات نجد فلتلحظ علومكم أنه لم يقرب شيء من بلادنا ولا حام حول أغوارنا وأنجادنا بل معظم تسلطه على عوام أغنام لا يعرفون رسوم الإسلام ولا يدرون بحلال ولا حرام، وهم أهل الشام القاطنين بيننا وبين الحجاز، ولم يكونوا داخلين تحت ولايتنا ولا هم أهل ملتكم وملتنا بل جاهلية جهل على نمط العرب الأول فرعاً وأصلاً"[٢]

ورسالة الشوكاني هنا واضحة كل الوضوح في إثبات انفصال إقليم عسير تاريخياً عن اليمن عبر التاريخ من وجهة النظر اليمنية بصرف النظر عن محاولة الانتقاص التي اتبعها الشوكاني مع خصوم مذهبه كرد فعل متوقع من شخص ينتقد الدعوة ومناصريها، أما ما بعد هذه المرحلة من التاريخ الحديث والذي تناول الجزيرة العربية منذ بداية القرن الهجري الثالث عشر حيث بدأ التوثيق يأخذ منحى أكثر أهمية، فإن ما بين أيدينا من مصادر تشير بشكل جلي إلى أن منطقة عسير تتابعت فيها الإمارات المحلية وشكلت إقليماً واحداً مترابطاً وله حكم محلي تداخل مع الدولة السعودية الأولى، فكان أمراء عسير خلال هذه المرحلة يحكمون ما بين الطائف وطلحة الملك في بلاد السراة

---

(١) أبو داهش، عبدالله، أهل السراة في القرون الوسيطة، ص١٨٠.

(٢) محمود، صلاح رمضان: ذكريات الشوكاني، وزارة الثقافة بجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية - عدن ودار العودة - بيروت، ١٩٨٣م، ص٩٥؛ وانظر: آل فايع، دور آل المتحمي...، ص٤٩؛ وانظر: آل زلفة، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ص١٥٨، ١٦٠.

أما في تهامة فقد امتد نفوذهم فيما بين مكة والموسم، وامتد نفوذهم في بعض المراحل على السواحل اليمنية حتى حدود عدن، وبعد سقوط طبب والدرعية على يد قوات محمد علي باشا واجهها العسيريون سريعاً بعدد من الثورات حتى أجلوها تماماً من ديارهم وأعادوا بناء إمارتهم المستقلة وأعادوا نفوذ حكمهم ليشمل كامل المناطق التي كانت تحت حكمهم وكانت طموحات شريف مكة الذي يقف خلفه محمد علي باشا والدولة العثمانية تترصدهم طوال هذه الفترة، بينما نجد أن اليمن لم تكن معنية بما يحدث في هذه المنطقة على الإطلاق، وهذا ما تنطق به الوثائق العثمانية ويؤكده المعاصرون لتلك الفترة من مؤرخي المناطق المجاورة كاليمن مثل جحاف[١] والشوكاني[٢]، ونجد مثل ابن بشر[٣] وابن بسام[٤]، والحجاز مثل دحلان[٥] ومصر مثل الجبرتي، ومؤرخي الدولة العثمانية مثل سليمان شفيق باشا[٦]، أو المستشرقين مثل بوركهارت[٧] وكورنواليس[٨] وتاميزيه[٩] وفيلبي[١٠]، وكذلك مؤرخي نفس الإقليم مثل محمد الحفظي ومحمد العجيلي[١١] والبهكلي وعاكش[١٢] وغيرهم.

---

(١) جحاف، لطف الله، كتاب درر نحور الحور العين، تحقيق ابراهيم المقحفي، خلال الكتاب كان المؤرخ يشير إلى قبائل عسير والسروات بمسمى الحجاز وقد ذكر بداية أحداثها ودخولها على الخط في نصرة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وكان يذكرها كجزء مستقل عن اليمن يطلق عليه الحجاز أو القبائل الحجازية، انظر ص٤٠٣.

(٢) انظر رسالة إمام اليمن التي كتبها وزيره الشوكاني إلى الشريف غالب الواردة في كتاب صلاح رمضان محمود: ذكريات الشوكاني، وزارة الثقافة بجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية - عدن ودار العودة - بيروت، ١٩٨٣م، ص٩٥.

(٣) ابن بشر، كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد، وقد ذكر ابن بشر على امتداد كتابه تفاصيل الأحداث العسيرية في تلك المرحلة والحروب العسيرية مع الدولة العثمانية أثناء تحالفها مع الدولة السعودية وما بعدها.

(٤) البسام، محمد، كتاب الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر.

(٥) أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام من النبي ﷺ إلى وقتنا هذا بالتمام، مخطوط، ص٣٠٩، ٣١٠.

(٦) مذكرات سليمان شفيق باشا، جريدة الأهرام، ربيع الثاني - جماد الأخرة ١٣٤٣هـ.

(٧) بوركهاردت، "ملاحظات حول البدو الوهابيين" و"مواد لتاريخ الوهابيين".

(٨) كيناهان كورنوالس، عسير قبل الحرب العالمية الأولى
Cornwallis, sir, kinahan, Asir before world war 1, A hand book, Cambridge, England

(٩) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب.

(١٠) فيلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ترجمة حسن مصطفى حسن، مكتبة العبيكان.

(١١) العجيلي، محمد بن هادي بن بكري، الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود الأولين، تحقيق عبدالله أبو داهش، ١٤٠٨هـ.

(١٢) البهكلي وعاكش، نفح العود في سيرة الشريف حمود، تحقيق محمد بن أحمد العقيلي.

وحتى عندما سقطت تحت الحكم العثماني فقد كان هذا الإقليم يتبع لحكم شريف مكة بشكل مباشر في الفترة الأولى ما بين عامي ١٢٣٥-١٢٣٨هـ والذي عين أخيه راجح بن عون حاكماً لعسير[١] تابعاً له، حتى ثار عليه العسيريون، أما الفترة الثانية والتي بدأت عام ١٢٨٩هـ فقد كانت عسير تحت حكم الدولة العثمانية كلواء ثم متصرفية تحت الحكم العثماني مباشرةً مستقلةً عن اليمن وعن مكة، وحكامها يعينون من الدولة العثمانية مباشرة، ولم يعط الإمام اليمني أي صلاحيات على عسير خلال هذه الفترة، وقد كانت عسير تتبع القيادة العثمانية مباشرة مع إعطاء يد لشريف مكة للتصرف إلى جانبه في شئون عسير، ويدل على ذلك الشكوى المتكررة من قبل أحد متصرفي الدولة العثمانية في عسير من التدخل المباشر والمستمر لشريف مكة في شئونه ما جعل المتصرف يكاتب الباب العالي مطالباً أن لا يتدخل أحد من الخارج في شئون عسير ولا سيما أمراء مكة الذين "يجب أن تنقطع كل علاقة لهم بهذه الجهة"[٢] (يقصد عسير)، وكان متصرف عسير سليمان باشا يتهم شريف مكة بأنه يخطط لوضع يده على عسير وإبعاده (أي سليمان باشا) عنها[٣]، وكان يحاول إقناع الباب العالي أن مساعدة الحجاز للعثمانيين في عسير إنما هو ضرب من الخيال، ويواصل مكاتباته للصدر الأعظم مؤكداً رغبته في أن تكف أيدي أمراء مكة عن التدخل في عسير[٤]، إلا أن الحكومة العثمانية لم تؤيده في فصل شريف مكة عن عسير فقد ردت على المتصرف برسالة من الصدر الأعظم تقول بأن الحكومة الدستورية هي التي اختارت الشريف حسين لإمارة مكة، وأنها ترى أن أي مفاوضة مع عسير لا بد أن تتم عن طريق الحجاز، وطلبت منه أن يتعاون مع الشريف حسين ويتناسى ما بينهما من خلاف[٥].

وعندما حوصرت أبها عام ١٣٢٨هـ من قبل قبائل المنطقة بمشاركة الإدريسي والتي كانت شرارة انطلاق حركته فإن المدد لفك الحصار كان من شريف مكة (كما جرت العادة) الذي حضر على رأس جيشه لفك الحصار رغم معارضة المتصرف[٦]، بينما لم يتحرك أي جندي من اليمن[٧]

---

(١) رفيع، في ربوع عسير، ٢١٣، ٢١٤.

(٢) العارف، يوسف، أضواء على مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا متصرف عسير من ١٣٢٦ إلى ١٣٣٠هـ نادي أبها الأدبي، الطبعة الأولى، ص٩٧.

(٣) العارف، نفس المصدر، ص٩٩.

(٤) العارف، نفس المصدر، ص٩٨.

(٥) العارف، نفس المصدر، ص٩٨.

(٦) العارف، نفس المصدر، ص١٠٣.

(٧) راجع تفاصيل الأحداث وحملة شريف مكة في كتاب الرحلة اليمانية للشريف البركاتي.

والتي كانت تحوي عدداً من الفرق العثمانية، كما أنه عندما قامت الثورة اليمنية ضد العثمانيين فإن عسير لم تكن معنية بها على الإطلاق ولم تتحرك أي قوة من عسير للوقوف ضد الثوار حتى أن متصرف عسير يقول في مذكراته أنه "سمع أن الإمام يحي قد ثار على الدولة في اليمن وأن عزت باشا قادم إلى اليمن بقوات عظيمة"(١) ومن ذلك الجهل بأحداث اليمن الرئيسية نستنتج بالضرورة عدم وجود أي صلة أو روابط إدارية بين القيادة العثمانية في اليمن والقيادة في عسير حتى تاريخه، إلا أن هنالك روابط عسكرية كان لا بد أن تطرأ بين الطرفين منذ ما بعد عام ١٣٣٠هـ يفرضها ظهور حركة الإدريسي المدعومة من إيطاليا وبريطانيا والتي امتدت على الجزء الجنوبي من سواحل عسير وعلى السواحل الغربية لليمن كاملة، مما فرض مواجهة الدولة العثمانية معه في الجهتين في عسير وفي اليمن، وبالتالي كان لابد أن يكون هنالك تنسيق بين الجهتين لمواجهته، وحيث أن تسلسل الرتب العسكرية يعطي لأحمد عزت باشا القائد في اليمن رتبة أعلى من متصرف عسير سليمان باشا ما يفترض معه أن الثاني سيكون تابعاً لقيادة الأول خلال هذه المرحلة، إلا أنه لم يمارس هذه الصلاحية في خارج إطار التنسيق في العمليات العسكرية بل وحتى في القيادة العسكرية فإنه لم يمارسها بشكل كامل، ما عدا ما ورد عن التنسيق لمواجهة الإدريسي في إحدى الحملات وهو أمر يتعلق بتدرج الرتب العسكرية أكثر منه بالسيادة السياسية، وقد ووجهت رسالة عزت باشا بالانتقاد من قبل متصرف عسير(٢)، بل نجد أن عزت باشا عندما اقترح أن يقوم متصرف عسير بمهمة ما ضد الإدريسي داخل حدود عسير لإضعاف موقفه لم يتمكن من التوجيه المباشر له، لذا فقد كاتب الباب العالي يطلب التوجيه لمتصرف عسير بمهاجمة محايل التي كانت تحت يد خصمهما (الإدريسي)، فكان رد متصرف عسير هو الرفض، بل طالب متصرف عسير من الأستانة إقناع عزت باشا بعدم التدخل في الشئون العسيرية(٣) مما يدل على استقلالية متصرف عسير في شئونها عن القيادة العسكرية العثمانية في اليمن وارتباطه بالأستانة مباشرة حتى في النواحي العسكرية.

وقبل الجلاء العثماني كانت الحكومة العثمانية بصدد تغيير القيادة في عسير إلى ولاية وضم نجران إليها(٤)، إلا أن الحرب العالمية الأولى وأثرها أوقفت كل الطموحات العثمانية في المنطقة،

---

(١) العارف، المصدر السابق، ص١١٦.

(٢) العارف، المصدر السابق، ١٢٣.

(٣) العارف، المصدر السابق، ١٢٤.

(٤) تقرير مفصل عن ولاية اليمن مكون من سبعة عشر صفحة في أرشيف رئاسة الوزراء في إستانبول، نقلاً عن آل زلفة، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ط١، عام ١٤١٥هـ، ص٢١.

فانسحبت الدولة العثمانية من عسير وسلمت لوكيل المتصرف والذي كان واحداً من أبنائها السلطة، وهي حقيقة لم تنازع حول صحتها حتى الجهات المتحمسة لربط تاريخ عسير باليمن، ولم يكن إمام اليمن معنياً بذلك لا من قريب ولا من بعيد.

ولكن مصادر مجموعة إمتاع السامر قد أوردت أخباراً أخرى تدل على ارتباط عسير باليمن عبر التاريخ ومنه العصر الحديث الذي أوردت عنه الكثير من الأخبار التي تدل على ارتباط الإمارة العسيرية بالإمامة في اليمن بطريقة أو أخرى، واستمرار تدخل الإمام اليمني في الشئون العسيرية حتى بعد انضمامها للدولة السعودية الثالثة عام ١٣٣٨هـ وهو ما أعاد النقاش إلى النقطة الأولى، فأصبحت هذه المصادر مراجع جديدة حمست الكثير من ا لمؤيدين للفكرة لإعادة الكتابة حول الأمر.

وقد نجد أثر هذه الكتب من خلال اتجاه بعض الكتب اليمنية الحديثة التي صدرت بعد هذه الكتب إلى الاتكاء عليها كمستند رئيسي لدعوى تبعية عسير التاريخية لليمن خلال فترة الخلاف الحدودي الذي سبق اتفاقية الحدود النهائية الأخيرة، فمثلاً صدر عن أحد الأكاديميين المرموقين في اليمن وهو "د. عبدالرحمن الوجيه" الأستاذ بجامعة صنعاء كتاباً يعني فقط بإثبات تبعية عسير لليمن سماه "عسير في النزاع الحدودي السعودي اليمني" وكان الكتاب خالياً من أي استدلال أو إشارة تحمل جدية الطرح يمكن أن يركن إليها في الاستدلال على تبعية عسير لليمن عبر التاريخ سوى ما نقله عن الكتاب المزور "تاريخ عسير" المنسوب تحقيقه لمحمد بن مسلط، حيث تمكن الكاتب من العثور على إشارات قوية تدعم توجهه بينما كانت بقية الاستدلالات الانتقائية التي أقتطفها من المصادر الأخرى عائمة وهشة جداً، فلا يوجد تاريخياً أي أثر يدل على تحرك يمني في عسير أو للدفاع عن عسير أو لضم عسير ولا توجد أي مراسلات بين أي حاكم يمني وآخر عسيري في الوثائق اليمنية تثبت تبعية ولاة عسير لليمن ما عدا ما حصل عليه الكاتب من نصوص في الكتاب المذكور والذي هو أحد كتب مجموعة إمتاع السامر المزورة، فالتقط منها أهم استدلالاته على يمنية عسير[(١)]، واستخدمه كمرجع في الأبواب المهمة في الكتاب أكثر من خمسة عشر مرة، وقد جاوز هذا الكتاب المزور الحد في تحريف التاريخ حتى ما كان منه معلوماً ومدوناً ومتداولاً عبر الوثائق التاريخية مما وقع في العصر الحديث، فنجد الوجيه يستدل مثلاً على يمنية عسير بما ورد في الكتاب من أن إمام اليمن رغب في المحافظة على آل عائض ليحكموا عسير نيابة عنه[(٢)]، وبما ورد فيه عن رسائل الأمير عائض بن مرعي إلى

---

(١) الوجيه، عبدالرحمن محمد محمود، عسير في النزاع السعودي اليمني، ص٣٩.

(٢) الوجيه، نفس المصدر، ص١٠٧.

القبائل اليمنية والتي يستحثهم فيها للوقوف معه في مقاتلة الأتراك بقوله "نحن نقاتلهم لندافع عن أرضنا ولم نخرج عن الخلافة"[١] ويقصد بالخلافة الإمامة اليمنية، كما يستشهد بما أورد ابن مسلط في قوله: "ولما استأنف الإمام المقاومة وأرسل إلى آل عائض في ١٣٢٣هـ انطلقوا للمقاومة"[٢]، كما يستشهد بما أورده عن دور الإمام اليمني في الدفاع عن عسير أمام قوات الملك عبدالعزيز ودخول قوات الإمام إلى سراة عبيدة أثناء المعارك وطلبها من القوات السعودية الخروج من عسير من نفس المصدر[٣]، ويعود ثانية للاستدلال بالخطاب الذي زعم أن إمام اليمن أرسله عام ١٣٣٨هـ وذكر فيه تأهبه للدفاع عن عسير اليمنية[٤]، ثم يقول الوجيه في أحد صفحات كتابه ما يلي:

"لم يحدث في أي مرحلة تاريخية أن عسير كانت إمارة مستقلة"

ويستدل على ذلك في الحاشية السفلية بكتاب "تاريخ عسير" لمحمد بن مسلط ثم يدافع في الحاشية عن توجه الكاتب (ابن مسلط) والكتاب (تاريخ عسير) فيقول:

"تقتضي الأمانة العلمية أن نشير إلى أن محمد بن مسلط البشري في تحقيقه للكتاب المذكور سابقاً يعارض هذه الوجهة من النظر، فكان تارة يحاول إثبات استقلال عسير، وتارة أخرى يحاول إثبات أنها المركز الموجه للأحداث في اليمن، وقد أثبت بقصد أو بدون قصد أنها جزء من اليمن:

١- *تحدث عن أسرتين قال أنهما حكمتا عسير ثم أضاف "وقد تعرضت كتب تاريخ اليمن إلى هاتين الأسرتين وما جرى لليمن في عهد رجالها" ص٤١.*

٢- *ذكر في ص ٤١، ٥٢ أن أبناء عسير شاركوا في صد الغزو البرتغالي في ساحل الخليج وفي ساحل اليمن ثم ذكر أن "سلوى" في قطر كانت تسمى "خور اليمن" لكثرة تمركز القوات العسيرية فيها، وأن الذين استشهدوا على ساحل اليمن بالقرب من يافع لا زالت مقبرتهم تعرف بإسم شهداء عسير، وهذا تأكيد*

---

(١) الوجيه، المصدر السابق، ٣٩.

(٢) الوجيه، المصدر السابق، ٤١.

(٣) الوجيه، المصدر السابق، ١٢١.

(٤) الوجيه، المصدر السابق، ١٤٤.

إضافي على أن عسير جزء من اليمن، ففي داخل اليمن ذكروا باسم بلدتهم "عسير" وفي خارج اليمن ذكروا باسم بلدتهم الأم "اليمن"." (١)

ثم نجده يستدل على يمنية عسير بما ورد لدى محمد بن مسلط أيضا من أن قبائل اليمن من حاشد وبكيل كانت تشارك مع عسير ضد الحملات العثمانية(٢)، مع أن هذا لا يوجد له أي مستند تاريخي، لا في التاريخ العسيري ولا اليمني ولا السعودي.

ثم يعود المؤلف ليستشهد على عدم دلالة تسليم العثمانيين الحكم في عسير لحسن بن عايض على استقلالية عسير عن اليمن ما يلي:

"والمعروف أن صلة آل عائض بصنعاء لم تنقطع سواء قبل تزعمهم مقاومة العثمانيين في عسير أو بعدها، فمن صنعاء يستمدون الدعم قبل أن يستولي العثمانين عليها ومن صنعاء - بعد استيلاء العثمانيين عليها - كانت ترسل الإمدادات العثمانية لمواجهتهم والقضاء على مقاومتهم، وإلى صنعاء أخذوا أسرى بعد هزيمتهم فاستقبلهم الوالي احمد فيضي باشا وأكرم نزلهم وأسكنهم قصراً فخماً من قصورها وإلى صنعاء توجهوا بعد استلامهم مقاليد الأمور في عسير عقب الانسحاب العثماني"

ولم يكن له من مصدر في الحاشية لهذه المعلومات المغلوطة إلا كتاب محمد بن مسلط المذكور(٣).

وكل هذه الإشارات وردت بالفعل في الكتاب المزور "تاريخ عسير" لمحمد بن مسلط، والعجيب أن الوجيه لم يتطرق في تاريخ عسير الحديث لإثبات التبعية لليمن سوى لآل عايض مع أن فترة وجودهم في السلطة اقتصرت على وصول عايض ثم ابنه محمد للسلطة في آخر مراحل الإمارة، بينما لم يتطرق إطلاقاً إلى فترة حكم آل المتحمي أو سعيد بن مسلط أو علي بن مجثل، وكأنه اطمأن إلى شيء ما في هذه الفترة.

وكان خطأ كبيراً ارتكبه المؤلف عندما استند لهذا الكتاب مع وضوح أخطائه، وما أورده من أخبار مما لا أساس لها، بل وتتعارض تماماً مع كل المصادر الأخرى، وليس لها أي مستند في الوثائق اليمنية، مما يظهر ضعف مصادره المحلية في القدرة على دعم موقفه فلجأ لمثل هذه الكتب، وهو ما سيفقد جهده أي قيمة علمية بمجرد الكشف عن تزوير الكتاب.

---

(١) الوجيه، المصدر السابق، ص١٩٥، ١٩٦.

(٢) الوجيه، المصدر السابق، ص٢١٠.

(٣) الوجيه، المصدر السابق، ص١٩٩، ٢٠٠.

ويكفي للدلالة على خطأ ما ورد فيه من روايات ما أورده محمد رشيد رضا في مجلة المنار عندما شاع استعداد الإمام لحرب الملك عبدالعزيز أثناء النزاع الحدودي بين البلدين عندما قال متهكماً على إمام اليمن:

"فكيف يعقل أن يتصدى هذا الإمام السلمي الإسلامي الاقتصادي لقتال ابن السعود بعد أن آتاه الله تعالى هذا الملك العظيم الممتد من حدود اليمن إلى حدود الشام ومن البحر الأحمر إلى خليج فارس، وله فيه السلطان الذي لا ينازع، والأمر الذي لا يرد.

لقد استولى هذا السلطان على منطقة أبها المجاورة لليمن ولم ينازعه الإمام يحيى فيها بالسيف والسنان ولا بالقلم أو اللسان، ولقد قتل الجند النجدي هنالك - مع الأسف - جمًا غفيرًا من اليمانيين - خطأ - ولم يتخذ الإمام الحكيم الرشيد ذلك ذريعة لقتال النجديين، ولا حجة على وجوب إخراجهم من تلك المنطقة من عسير، ولقد استغاثة الشريف علي بن حسين أيام كان محصورًا في جدة على السلطان عبد العزيز بن السعود وعرض عليه جعل الحجاز تحت سيادته، وتابعًا لمملكته وأن يكون هو فيه عاملاً من عماله ؛ فأبى الإمام الحكيم أن يغيثه بالرجال أو المال، وإنما نصح له بما اقتضته الحال من المقال، وقد كان ابن السعود يومئذ في بؤس وضنك يجلب إليه المال والقوت من الإحساء ونجد، فهل يعقل بعد هذا أن يهاجمه الآن ؟"[1]

وهذه شهادة معاصرة للأحداث تنبي عن عدم وجود أي علاقة لإمام اليمن بالأحداث في عسير فيما قبل النزاع حول بلاد الإدريسي، وأن إمام اليمن لم يكن معنياً البتة بما يحدث في عسير من أحداث بصفتها منطقة أخرى لا تخصه، ولكن الحال لم يكن كذلك مع السواحل اليمنية التي أثاره استيلاء الإدريسي عليها منذ أول وهلة فدخل معه في حروب حولها، ثم بدأت مشكلته مع الدولة السعودية مع توقيعه اتفاقية مع الملك عبدالعزيز تعطي للثاني السيادة على بلاده مقابل الحماية، مما يعني احتمالية خضوع السواحل اليمنية للدولة السعودية.

كما عرض "محمد رضا" رسالة الإمام اليمني إليه أثناء النزاع الحدودي بينه وبين الملك عبدالعزيز حول إرث بلاد الإدريسي المسماة في حينه "عسير" والتي يشير فيها الإمام إلى أنه لم

---

(١) رضا، مجلة المنار، محمد رشيد، نص رسالة الإمام والتي يقول فيها أن كل من ابن عايض وشريف مكة قد طلبا مساعدته عند غزو الملك عبدالعزيز ديارهم فلم يجبهم، المجلد ٢٧ ص ٧٩١.

يكن معنياً بعسير ذاتها والتي كانت تحت سلطة حسن بن عايض وإلا لكان تدخل في الأمر منذ استنجد به كل من ابن عايض وشريف مكة قبل دخول القوات السعودية إلى عسير والحجاز وهذا نص رسالته:

" وقد أوضحتم ما لأجله كان حشد الجنود، من الملك عبد العزيز بن سعود. وكان يكفي لدفع تلك التوهمات، ونفي اتخاذ الحالة الراهنة فرصة تذكر الحالات الماضية، وهي كثيرة الصور دالة على أنا لا نتحين فرصة، ولا نبغي له غصة، وإلا فما الحامل على ترك إعانة ابن عايض ومخالبه ناشبة فيها من أقصاها إلى أدناها، ولم تطأها قدم نجدي إذ ذاك، وعلى ترك إعانة الأشراف في الحجاز بعد التوسل إلينا في كلتا الحالتين بما هو فوق المرغوب[(١)]"

فعندما نقرأ هذا الكلام الواضح من الإمام اليمني الذي ينفي عن نفسه التدخل في شئون عسير فيما قبل مرحلة الخلاف الحدودي حول بلاد الإدريسي الذي طرأ عام ١٣٥١هـ والذي يحمل إشارة ضمنية واضحة - وفي ذروة النزاع - إلى أنه غير معني بعسير ذاتها في نزاعه مع الملك عبدالعزيز، ثم كلام الشيخ رضا الذي يشير إلى عدم تدخل الإمام اليمني في شئون عسير فيما قبل مرحلة هذا الخلاف، ونقارنه بما أوردته مصادرنا المجهولة في هذا الكتاب التي حاولت إعطاء أصحاب مثل هذه الدعوى هناك الحجة اللازمة من خلال هذه الإشارات، نعي أن هنالك من يحاول استمالة المجاورين لخلق المزيد من الإشكالات لعسير بخصوص هويتها.

٤- علاقة أهل السراة بأهل اليمن

من أكثر الأمور التي تدل على صلة الأمم ببعضها الترابط النفسي بين الأقاليم والتشابه في الفنون والعمران والمعتقدات واللغة، وعندما نبحث عن هذه القواسم بين عسير واليمن فإننا نجد أنها لا تدل على خصوصية العلاقة بين الطرفين، فكل ما يمكن أن نجده بينهما من هذه القواسم لا يتجاوز ما قد نجده بين أي إقليمين من أقاليم الجزيرة العربية.

فمثلاً عندما نقرأ ما أورده اليمنيون عن هذا الإقليم وما ورد على ألسنة شعراء إقليم عسير عن اليمن ومنذ فجر التاريخ فإننا سنجد أنه لم يكن هنالك تقارباً نفسياً بين الطرفين فقد وردت الكثير من عبارات التجهيل والازدراء لكل منهما على ألسن الطرفين مثل الشوكاني

---

(١) رضا، محمد رشيد، مجلة المنار، المجلد ٣٤ ص٣٩، مجموعة رسائل من إمام اليمن والملك السعودي.

عندما قال في بداية القرن الثالث عشر مخاطباً شريف مكة مع بداية ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودخول العسيريين في سلكها ما يلي:

"ومن جملة ما اشتمل عليه كتابكم إهداء النصيحة من أجل هذا الناجم الذي نجم من جهات نجد فلتلحظ علومكم أنه لم يقرب شيء من بلادنا ولا حام حول أغوارنا وأنجادنا بل معظم تسلطه على عوام أغتام لا يعرفون رسوم الإسلام ولا يدرون بحلال ولا حرام، وهم أهل الشام القاطنين بيننا وبين الحجاز، ولم يكونوا داخلين تحت ولايتنا ولا هم أهل ملتكم وملتنا بل جاهلية جهل على نمط العرب الأولى فرعاً وأصلاً"(١)

وهنا نجد الشوكاني يحمل روحا متحاملة على هذه الأرض لاعتناقها مبادئ الدعوة، ويفيد بشكل جلي وهو علامة اليمن ومؤرخها بأن هذا الإقليم لا يمت لليمن بصلة ويؤكد على انقطاعه عن ولايات اليمن منذ الأزل.

وحتى مؤرخي اليمن الذين تحدثوا عن يمنية عسير بحماس فيما بعد أحداث عام ١٣٥١هـ عندما نبحث فيما قالوه فإننا نجد أن دعواهم لم تكن أكثر من دعم لموقف بلادهم في المشكلة الحدودية التي كانت حول السواحل اليمنية الواقعة تحت حكم الإدريسي فيما قبل ذلك على طريقة المثل الشعبي العسيري "إطلب الغوى عله يجيك القدا" أي بالغ في ادعاء المطالبة بالباطل لتحصل على الحق، فهذا مؤرخ اليمن القاضي محمد الأكوع في كتابه "اليمن الخضراء" الذي نشره بعد وفاته ابنه عبدالله عام ١٤٢٩هـ تحدث عن يمنية عسير وتشدد في ذلك، وعارض ما قاله الهمداني حول وجود قبائل معدية فيها واسترسل في ذلك ولكننا نجده يقول عنها في فصل "عسير" ما يلي:

" تاريخ عسير والسروات

معلوماتنا التاريخية عن هذه المخاليف ضئيلة بالنسبة لأحواله السياسية وأحداثه ووقائعه والأيام وغامض كل الغموض.

وكأن المؤرخين الذين تواريخهم تحت أيدينا والتي حملتها كتب المعاصرين، سالفي الذكر، قد أهملوا الكلام عنه بالكلية إلا نتفاً ليست ذات بال.

---

(١) محمود، صلاح رمضان، ذكريات الشوكاني، وزارة الثقافة بجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية – عدن ودار العودة – بيروت، ١٩٨٣م، ص٩٥، وانظر آل قايع، دور آل المتحمي..، ص٤٩، وانظر آل زلفة، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ص١٥٨، ١٦٠.

ولعل مرجع ذلك إلى استغنائهم بما جاء ويجيء في المخلاف السليماني الذي يجود لنا أخباراً جمة عن هذه السروات، ومن ناحية أخرى أنه بمجرد الاستيلاء على المخلاف السليماني تتداعى تلك القمم الشماء ساجدة وتتنازل عن كبريائها وشموخها إلى مستوى الأرض اللينة السهلة: أرض تهامة، لتعانقها معانقة الحبيب لحبيبه، وذلك لاحتياج السروات إلى موانيها الطبيعية الواقعة على البحر الأحمر فتصدر منتوجاتها، وتمتار من وارداتها ولو ظلت صامدة في كبريائها لاغتالت حياتها بيدها وفي عقر دارها.

يضاف إلى هذا أن هذه السروات المذكورة غير منجبة لزعماء ورؤساء يقتادون الصحاب ويمسكون الزمام، ويقاومون الغزاة، ويكبحون جماحهم، وسر ذلك غلبة الجهل وعدم الطموح وبعدهم عن مجرى السياسة واحتكاكهم برجالها فهم أشبه بالرعاع، ورعاء الشاة والإبل، فلا يعرفون من دنياهم غير السراح والرواح لماشيتهم وإلى ومن حقولهم ومزارعهم"[١].

ومن خلال ذلك نجد أن الأكوع الذي حقق معظم المخطوطات اليمنية الأساسية القديمة وكتب عن تاريخ بلاده العديد من الكتب، ولم يف تاريخ اليمن أحد كما أوفاه، ولم يسبر خفاياه أحد كما سبرها، حتى قال عنه الشيخ حمد الجاسر:

"أستاذنا الأكوع، وارث علم الهمداني ومحيي آثاره ومؤرخ القطر اليماني في هذا العصر"[٢]

لا يعرف شيئاً عن إقليم عسير ولا تاريخه بل ولم يورد عنه أي شيء على الإطلاق خلال سرده لتاريخ اليمن سوى هذا التجهيل والشتائم والانتقاص لأهلها والتي تدل على أنه لم يشعر للحظة واحدة أن من يكتب عنهم هذا الكلام يجمعهم أو جمعهم به وطن أو قاسم مشترك واحد تاريخي أو سياسي أو عرقي عبر التاريخ، كما يدعي.

وفي المقابل نجد المزاج لأهالي إقليم عسير يحمل نفس الصبغة منذ أقدم العصور، فلم يشعر سكان إقليم عسير منذ القدم أنهم جزء من اليمن، فهذا أحد شعراء هذه الأرض يكتب عن اليمن في بداية عهد الإسلام وبنفس طريقة الشوكاني والأكوع، وهو الشاعر الأموي/ عبدالله بن الدمينة الخثعمي، والذي كانت بلاده فيما بين جرش وبيشة وتبالة يقول عندما زار صنعاء:

---

(١) الأكوع، اليمن الخضراء، ١٥٨.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، مصدر سابق، مقدمة الشيخ حمد الجاسر، ص٦.

مللت بصنعاء الأحاديث والمنى — وأبغضت قصراً فوق قصر مشيدا
وأبغضت أصواتا بها أعجمية — وزرقـا لرايات الإمـارة ذودا[1]

وفي هذه الأبيات نجد أن ابن الدمينة الخثعمي كان يشعر بأنه غريباً في اليمن ما جعله يبدي نفوراً من وجوده بينهم، وينكر كلامهم ويعتبره أعجمياً، ويزدري أمراءهم الذين وصفهم بالزرق، وهذا يدلنا على أنه لم يكن هنالك تقارباً بين سكان إقليم عسير واليمن منذ عهود مبكرة، وهذا لا يعني أن هنالك عداوة بين الإقليمين، ولكنه يدل على عدم وجود خصوصية في العلاقة أو في الثقافة بينهما فقد كان الناس هنا وهناك ينظر كل منهم إلى الإقليم الآخر كجزء غريب عنه ثقافياً وتاريخياً.

أيضاً فإن هنالك اختلاف كبير في العادات والتقاليد وفي المذهب الديني بين الناس في إقليم عسير وبين اليمنيين، فالأهازيج والفنون ونمط البناء في عسير يختلف عنه في اليمن، فالألوان الفلكلورية العسيرية كالعرضة والخطوة واللعب والدمة غير معروفة بتاتاً في اليمن، ونمط البناء العسيري لا يوجد له أي أثر في اليمن.

وعبر التاريخ فإننا نجد أن وفود الأزد مثلاً قدمت إلى النبي ﷺ منفردة عن وفود اليمن، وقد عين النبي على جرش والياً خاصاً بها وهكذا فعل الخلفاء الراشدين بعده، بينما أرسل إلى اليمن معاذ بن جبل، وأيضاً فإننا نجد القبائل الرئيسية في منطقة عسير كعنز بن وائل، والأزد، وخثعم، وكنانة لا علاقة لها بقبائل اليمن، ولا يوجد لها أي امتداد في اليمن، بينما نجد أن لها امتداد إلى الشمال في بقية المناطق العربية، بينما قد نجد القبائل التي لها امتداد في اليمن في بلاد العراق مثل لخم وتنوخ وجذام، وفي اليمامة ودول الخليج مثل العجمان وبني مرة من همدان وقحطان نجد من مذحج وقبائل قضاعة كبني زيد وفي الحجاز مثل حرب وجهينة أكثر نسبياً في مجموعها من تلك الموجودة في عسير.

ومن كل ما سبق فإن عسير واليمن جارتان تجمعهما الكثير من القواسم التاريخية والجغرافية والعرقية وتنتميان إلى الجزيرة العربية، ولكن لكل منهما شخصيتها المستقلة، وتاريخهما السياسي منفصل تماماً، ولا صحة لكل ما ورد في مجموعة المصادر المجهولة وغيرها من الكتب الصفراء اللامسؤولة.

---

(١) ديوان أبي السري ابن الدمينة، شرح وضبط محمد الهاشمي البغدادي، مطبعة المنار بمصر، ط١، ١٣٣٧هـ، ص٤٢.

الباب التاسع

عسير
عبر ترف المشهد
بين الجغرافيا والتاريخ

الفصل الأول

تاريخ يحكيه غنى المشهد

قد لا نحتاج لمعرفة حقيقة ماض الحضارة في أرض ما إلى أكثر من أن نشاهد واقعها لنرى من خلال ذلك عراقة هذه الأمة فيما نرى من أنظمة معمارية وفنون وفلكلورات ولباس وطرق الزراعة السائدة، لنشاهد من خلال ذلك ماضيها ماثلاً أمامنا في هذا الإرث الذي ينطق بما كانت عليه الحال في الماضي.

وماضي إقليم عسير وما حمله من حضارة لا يحتاج إلى أكثر من مشاهدته عياناً على الأرض بين مدرجات جبلية مذهلة عمرها آلاف السنين، ونمط عمراني فريد مفرط في الترف، وأسواق وفنون وتراث جميل عريق متفرد في كل واجهاته بكل ما تحمل الكلمة من معنى، مما يجعله في غنى عن المحسنات الخارجية (انظر الصور في نهاية الكتاب).

ففي مجال الهندسة المعمارية والزخرفة في المباني، فإن المشهد أكثر من أن يوصف بأنه رائع، فهو يدل على تفرد منقطع النظير في حيز صغير وإمعان في الترف في بيئة قبلية.

فقد أثارت المباني العسيرية القديمة بجمالها وتفردها دهشة كل زوارها من الرحالة الغربيين أمثال "فيلبي" الذي طاف أنحاء الجزيرة العربية والهند وشرق آسيا وأوربا واليمن، فقال عندما رأى إحدى القرى المجاورة لأبها:

"كانت مساكنهم منتشرة على انفراد بين مساحات مزارعهم..- وجذامية في هذا الوقت التي كانت غريبة كأي شيء لم أر مثله، ومعلماً تقدمياً إلى إسلوب جديد في فن العمارة، كان كل منزل وكأنه برج مراقبة وليس بمنزل - طويلاً جداً بالقياس إلى قطره - إسطواني الشكل وبه - وعلى فترات على طول امتداده - شرائح صخر اردوازي بارزة ومنحدرة قليلاً إلى الأسفل، لكي تقي الجدران من الأمطار العنيفة في هذه الأجزاء، أكسبت هذه الشرائح الأبراج مظهراً شرقياً فبدت كأنها الهيكل أو المعبد الصيني"[1]

---

(١) فيلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١/ ص٢٦٨.

ولم يكن فيلبي الوحيد الذي أدهشه هذا النمط المعماري الفاره المتفرد بجماله في بلاد عسير، فقد كان هذا النمط من العمارة الذي لا يشبه غيره مثار دهشة كل من رآه، فهذا أحد الرحالة العرب وهو المؤرخ/ فؤاد حمزة أثارته هذه المنازل عندما رآها في نهاية الستينات الهجرية فقال:

"حينما أشرفت على حجلة شاهدت منظراً غريباً لم يكن لي سابق عهد بمثله. شاهدت البيوت والقصبات ذات رفارف خلتها لأول وهلة مصنوعة من الصفيح، وإذا بي حينما اقتربت منها وأمعنت النظر فيها، يتضح لي أنها مصنوعة من الإردواز الحجري، ذلك أن طراز البناء في عسير مختلف عنه في بلاد شهران وسواها مما شاهدته من البلاد، فأساس البناء وجدره إلى ارتفاع حوالي متر عن سطح الأرض مبنية بالحجارة، وما فوق ذلك مبني بالطين أو اللبن المجفف بحرارة الشمس، وكلاهما قليل المقاومة لا يستطيع تحمل التأثيرات الجوية والأمطار الغزيرة، ولذلك عمد أهل هذه البلاد إلى طريقة يدفعون بها خطر الأمطار ويدرؤون بها سقوط الجدران، بأن أحاطوها من جميع أطرافها برفرف من الأردواز، على أبعاد متفاوتة لا تزيد في معظمها على متر واحد، ولا تكاد تبلغ أحياناً نصف متر، وعلاوة على أن هذا الطراز يكسب البناء شكلاً غريباً فإنه يدل على استفادة القوم من الأسباب التي يملكونها لدرأ أخطار الطبيعة وحماية البيوت من الانهيار"(١).

للمزيد انظر "الصور" في نهاية هذا الكتاب.

وحتى الملبس العسيري له خصوصيته التي تظهر إبداعات وتميز إنسان هذه الأرض، فقد عني العسيريون بلباسهم وذوقه بنفس الطريقة التي عنيوا فيها بمنازلهم، فاللباس العسيري يحمل سمات الترف والتوافق مع البيئة المحلية، فقد كان الرجل العسيري قديماً يلبس الثوب الحجازي المعروف في جهة بلاد الحجاز (جبال السراة)، وهو الثوب الذي أصبح يمثل الزي السعودي الحالي، ويلبس فوقه العمامة التي يلفها على رأسه إما بشكل مستدير أو يفردها على رأسه، أو ربما لبس عمامتين إحداهما مفرودة والأخرى مطوية فوقها بما يشبه العقال، ويلبس علية القوم العقال، أو ربما وضع أيهم العمامة أثناء العمل على شكل الحرف الإنجليزي (X)، ويلبس الرجل العسيري في الشتاء "الشملة" وتسمى محلياً (الغامدية)، وهي عباءة مصنوعة من الوبر وتتكون من طبقة واحدة غير مبطنة، وتختلف بذلك عن "الفروة" المستخدمة في شمال الجزيرة العربية وبلاد الشام، وكان بعض أبناء البادية في منطقة عسير يستخدمون الثوب "المدولق" ذي الأيدي

---

(١) حمزة، في بلاد عسير، ص٩٧.

الواسعة على غرار ما هو في بقية جهات الجزيرة العربية، أما في تهامة والأصدار المحاذية لها فيلبسون الإزار القصير وقميص مقلم ويلفون فوق رؤوسهم الأكاليل، ويحتزم الرجل العسيري بالجنبية كنوع من الزينة، وأثناء العمل يلبس الرجال والنساء "الطفشة" وهي قبعة عريضة مصنوعة من الخوص لتقيهم من لفح الشمس.

أما النساء فيلبسن "الثوب العسيري" الذي يعد من أشهر الأزياء الخليجية في وقتنا الحاضر، وهو مزين بالتطريز العسيري في منطقة الصدر والجانبين والأيدي وتكون أكمامه ضيقة، ويلبسن فوقه حزاماً من الفضة، ويلبسن فوق ظهورهن عباءة نسائية تصنع من الجلد وتزين بخيوط ملونة وتبطن بالصوف من الداخل ويسمى "النطع"، كما يلبسن فوق رؤوسهن "المسفع" وهو عبارة عن قطعة من القماش الأصفر الذي تلفه المرأة على رأسها وتغطي به شعرها ورقبتها، ولا يغطي النساء العسيريات وجوههن تبعاً لمذهبهم الشافعي الذي كان شائعاً في المنطقة، أما الحلي النسائية فلا تختلف كثيراً في عسير عنها في بقية مناطق الجزيرة العربية، وتكون في غالبها مصنوعة من الفضة.

وحتى الأدب والفنون والأهازيج العسيرية لها نفس الخصوصية، حتى أنك لا تجد نمط ألوانهم وطريقتهم في الشعر ورقصاتهم في أي موقع آخر، فهنالك الكثير من أنواع الشعر كالقاف والمنظومة وشعر الدمة وشعر العرضة وشعر الخطوة وألحانها، والتي تعد متميزة جداً، مع أنها مهملة مع الأسف، فهنالك رفض شديد ومقاومة لإظهار هذه الألوان بقالب حديث مقبول رغم جمالها وتفردها، لذا بقيت هذه الألوان مجهولة على الكثير من الناس، ما عدا من يقتبسون من ألحانها دون أن يشيروا إليها، وهنا المشكلة.

وبين هذه الألوان ألوان عامة كالعرضة التي تؤدى في كافة أنحاء المنطقة مع اختلاف في نمطها بين موقع وآخر، واللعب الذي يؤدى أيضاً في كافة أنحاء المنطقة ويطلق عليه في الأجزاء الشمالية مسمى الشهري، بينما يسمى في بعضها البيشي ويطلق عليه في مواقع أخرى الزيفة أو اللعب، وهنالك ألعاب خاصة تؤدى في مناطق أو قبائل دون البقية ومن ذلك لون الدمة وهو لون تختص به تهامة عسير والأجزاء المصالية لها من السراة، وهنالك خطوة عسير وهو لون خاص بقبيلة عسير، وهنالك لون القزوعي وتختص به قبيلة عبيدة قحطان وهنالك الزامل وهو لقبيلة قحطان ما عدا رفيدة، وهنالك المسحباني وتختص به قبيلة غامد وهذا اللون يؤدى في عسير كلون من ألوان الخطوة مع فارق في طريقة أداءه وغرضه بين الطرفين، وهنالك الربخة وهي تختص بالجهات التهامية، وهنالك البدوية والمزمار وهي ألوان تهامية، وهنالك الهجيني وهو خاص بالبادية، وهنالك المجالسي وغيرها من الألوان، ومن الملاحظ وجود شبه كبير بين

هذه الفنون وبين الكثير من أنواع الفنون في مناطق عربية أخرى، فمن الملاحظ أن هنالك تشابه في مطلع بعض ألحان الخطوة مع الألحان الحجازية المكاوية القديمة، بينما تتشابه حركات الدبكة الشامية إلى حد كبير مع حركات الخطوة واللعب والقزوعي، وهناك أيضاً شبه في ألحان الصوت الخليجي مع بعض ألوان الخطوة، وهو ما يدل على تأثير هذه الألوان في تطور الفن العربي عبر الزمن، ولا غرابة في ذلك إذا عرفنا أن عدداً من أبناء عسير كانوا من رواد هذه الفنون في تلك الديار أمثال ابراهيم عسيري في مكة الذي ترك بصماته على الألحان المكاوية، والشاعر عبدالرحيم بن صالح العسيري الذي رحل إلى البحرين ثم إلى الهند عام ١٩١٣م بعد أن ترك بصماته في فن الصوت الخليجي في الخليج العربي، لذا رأينا الصوت الخليجي يغنى بنفس التوشيحات المثلوثة للحن الخطوة العسيري[(١)].

ويبدو أن هذه الألوان كانت منذ القدم مثار اهتمام الأدباء، فكان هنالك اقتباس من هذه المنظومات العسيرية وألحانها منذ أكثر من ألف عام، فنحن نجد أن الموشحات الأندلسية تكاد تكون نسخة من ألوان الخطوة والدمة والمسحباني والعرضة والقزوعي ومناظيم القاف التي لا زالت تؤدى بتلقائية وكما هي في حالتها القديمة حتى هذه اللحظة، وسنعرض هنا جزءاً من هذا التشابه الذي يرينا كم هو دور هذه الأرض في التأثير على مسار الأدب والفنون في العالم العربي.

عندما نقرأ قصائد الخطوة والدمة والعرضة واللعب في منطقة عسير فإننا نجدها تمثل خروجاً على خط الشعر التقليدي في الجزيرة العربية سواءً الفصيح أو حتى الشعبي حيث أن هذا النمط من الشعر يعتمد على توزيع القصيدة إلى أغصان وأسماط وأقفال تشكل في مجموعها الأبيات، مما يجعل القصيدة عبارة عن مقطوعات متعددة القوافي والأوزان، وقد ظهر مثل هذا الفن في عصر الترف الشعري العربي قبل حوالي ألف عام، وخاصة في الأندلس فيما عرف بالموشحات، ثم توارى، إلا أن هذا اللون من القصائد يؤدى بشكل تلقائي متوارث في عسير حتى اليوم، والغريب أن التشابه بين المناظيم العسيرية والموشحات الأندلسية ليس في قوام القصيدة وفي معانيها فقط، بل إن تشابه شعر الخطوة مع الموشحات يستمر إلى الغرض، فقصائد الخطوة هي قصائد خاصة بالتطريب أي أنها لا تستعمل في المنظومات الشعرية الخاصة بالمدح أو الفخر أو حتى الغزل غير المغناة فعادة ما يكتب العسيريون القصائد العمودية التقليدية إذا لم يكن الهدف أداءها ملحنة بينما القصائد الغصنية خاصةً بالتطريب فقط.

فهل الموشحات الأندلسية خرجت من عسير إلى الأندلس مع المهاجرين الأول؟

---

(١) العنزي، صبار، جريدة الرياض ٦/ ٨/ ٢٠٠٤م، صفحة مقالات اليوم، الشوق تيه بالهوى عنتر.

بدايةً لنرى الأقوال المختلفة حول أصل الموشحات وهل هنالك توافق حول تحديد أصل نشأة هذه الموشحات.

الحديث حول أصل الموشحات الأندلسية ذو شجون، فقد ورد العديد من النظريات في البحث عن أصل هذا الفن الرفيع فقد أرجعها البعض إلى أغاني الفلامنكو الشعبية التي كانت موجودة في الجزيرة الأيبيرية الأندلسية ومغنيّ التروبادور الفرنسية ومن ثم أخذ العرب منهم هذه الألوان وطوروها، إلا أن آخرون كـ- "خوليان ريبيرا" رفضوا الفكرة وقالوا بأن مغني التروبادور هم من نقلوا هذا الفن من العرب لأن هذا النوع من الفن غريب عن أوروبا وكان أول شاعر يؤدي هذا النوع من الفن من مغني التروبادور هو جيوم التاسع (١٠٧١-١١٢٧م) الذي رحل إلى المشرق ثم إلى الأندلس بعد ظهور الموشحات العربية بحوالي مائتي سنة[١]، وهنالك من يرى بأن الموشحات هي مزيج من الغناء الكنسي السرياني والفنون الشعبية في الجزيرة العربية مثل سلمان علي التكريتي، وآخرون قالوا بأنه عربي أندلسي المنشأ وقال بعضهم أن الموشحات هي فن عربي شرقي المنشأ، وهنالك من رأى بأنه نشأ متزامناً في الأندلس والمشرق العربي[٢].

وهذا اللبس والاختلاف في معرفة مصدر فن الموشحات رغم الاهتمام بدراسة ذلك منذ القدم يقودنا إلى أن هذا الفن لم يخرج من أي العواصم العربية المعروفة ولا من حواليها في الأندلس والشام والعراق ومصر، وإلا لما خفي الأمر على العرب في حينه، ولكان أكثر وضوحاً، خاصة وأن هذا الفن ظهر مكتمل البنية في الأندلس ولم يمر بمراحل تطور معروفة، لذا فلا بد أن تكون أصول هذا الفن انتقلت من موقع بعيد عن أعين الدارسين وعن الأندلس، وهو ما ينطبق على مناطق الجزيرة العربية الداخلية، ومنها منطقة عسير.

فهل خرجت هذه الموشحات مع المهاجرين الأول من بلاد عسير إلى الأندلس، فخفي على الدارسين هناك منبعها النائي في عمق الجزيرة العربية.

دعونا نستعرض سوياً أوجه الشبه بين قصائد الموشحات ومناظيم الخطوة العسيرية والدمة وغيرها من الألوان الفلكلورية المحلية في عسير لنتعرف على مدى قبول هذه الفكرة:

---

(١) القاضي، محمد، الاستعراب الإسباني والتراث الأندلسي من خلال نماذج: خوان أندريس - غانيوس - ريبيرا، بحث بموقع التاريخ العربي.

(٢) عناني، محمد زكريا، ٣١ الموشحات الأندلسية، سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٠م، ص١٤ - ١٩.

إن أهم المعالم التي تميز الموشحات عن غيرها من الشعر العربي التقليدي هي:

أ- التنوع في الأوزان والقوافي.

ب- تتابع الأجزاء بنظام مخصوص.

ج- العناية بالصنعة والزخرف اللفظي والتانق في المعنى.

د- التنويع الموسيقي الدقيق.

ونحن نجد هذه المواصفات موجودة وبتميز في المنظومات وقصائد الخطوة والدمة والعرضة والألوان العسيرية المختلفة بشكل واضح، وهو ما سيظهر لنا من خلال عرض بعض الأمثلة.

وهذه بعض معالم التشابه في بناء الموشحات مع بناء قصائد الخطوة والدمة والمناظيم العسيرية:

١- يتكون {البيت} في الموشح من الدور والقفل الذي يليه ويتكون الدور من عدد من الأسماط بوزن وقافية موحده بينما القفل يتكون من غصن أو أغصان بوزن وبقافية واحدة أو أكثر لكل غصن ولكن تتكرر قافية كل غصن في الغصن المقابل له في بقية الأقفال ويسمى القفل الأخير (خرجه)، وهذا هو نفس تركيب {البيت} في قصائد الخطوة والمناظيم العسيرية كما نجد في هذا الموشح التام:

{(أيها الناس فؤادي شغف ← سمط

وهو من بغي الهوى لا ينصف ← سمط

كم أدرته ودمعي أتكف ← سمط) دور

غصن غصن

أيها الشادن من علّمكا *بسهام اللخط قتل السّبعِ* ← قفل} بيت

ذاب قلبي في هوى ظبي عزيز ← سمط

وجهه في الدجن صبح منير ← سمط

وفؤادي بين كفيه أسير ← سمط

لم أجد للصبر عنه مسلكاً *فانتصاري بانسكاب الادمعي* ← خرجة

ونجد نفس التركيبة في منظومة الدمة العسيرية التقليديه هذه من حيث توزيع {البيت} إلى أدوار تتكون من أسماط موحدة الوزن والقافية ثم أقفال تتكون من أغصان متشابهة أو مختلفة الأوزان والقوافي كما في هذه المنظومة العسيرية:

نحمد الله ذا فتح نور البصيره ← سمط
كل حي عرّفه ما هو مصيره ← سمط) دور
والصلاة على الرسول (غصن) ذا نشر دينه بتبليغ الرساله (غصن) ← قفل} بيت

* * *

يا ابن عايض فانت شيخ من شيوخ ← سمط
في مجال العلم والتقوى شموخ ← سمط
أصل واجدادك أصول يشهد التاريخ وعلوم الجمالة ← قفل} بيت

* * *

ما صلك حق وكل الجمع قاله ← سمط
لو يحول الطور وجبال العقاله ← سمط
لا مناص من الوصول لأنها حق المخوة والزماله ← {خرجه} بيت

(الخرجه وضعت على افتراض أن القصيدة انتهت هنا)

٢- تتميز الموشحات بتنوع أوزانها فقد تأتي على وزن واحد أو على عدة أوزان وهذه تتفق مع منظومات القاف والخطوة العسيرية والدمة:

ومن الأمثلة على الخطوة ذات الوزن الواحد:

ربت صقراً لم يطاوع كل صقار
كل طير يرتجف منه لما طار
تاقف الغزلان لا سمعت دويه
ابتسم واعرف إن الدهر جوار
واعرف إن الورد سيد كل الأزهار
واعرف إن أرضى بلا خل سنية
... الخ

ومن أمثلة متعددة الأوزان هذه المنظومة العسيرية وهي على وزنين:

جربت والدنيا تجارب تهدي العبر
تبغى بصير في المعاني ثاقب النظر
فطين منتبه

من كثر ما جربت هيضت النصايح
من لعب به قلبه وصار السر بايح
فالناس تنشبه

٣- تتفق الطروق والمناظيم العسيرية مع الموشحات في المبالغة في التنويع مع التقابل والتناوب في الأوزان والقوافي المركبة والمسبوكة بشكل هندسي رائع فكأنك تقرأ عدة قصائد متداخلة مع بعضها البعض بطريقة فنية كما نرى في هذا الموشح:

ما أخجلَ قدُّه غصونَ البان
بين ال-ورق
إلا سلب المها مع الغزلان
حسنَ الحدق
قاسوا غلطاً من حاز حسن البشر
بالبدر يلوح في دياجي الشَعر
لا كيد ولا كرامة للقمر
الحب جماله مدى الأزمان
معناه بقي
وازداد سناً وخُصَّ بالنقصان
بدر الأفق
الصحة والسقام في مقلته
.والجنة والجحيم في وجنته
من شاهده يقول من دهشته
هذا وأبيك فرّ من رِضوان
تحت الغسق
للأرض يعيذه من الشيطان
ربُّ الفلق

وهو ما نراه أيضاً في هذا اللون من الدمة، والتي تحمل منتهى ما يمكن أن تحمله المعالم المحددة للموشح من تنوع الأوزان وتتابع الأجزاء بنظام مخصوص، والتقابل، والتبادل، والعناية بالصنعة، والزخرف، والتأنق في المعنى، والتنويع الموسيقي، وهي متعددة البحوْر على وزنين وبخمسة قوافي متداخلة ومتقابلة ومتبادلة بشكل هندسي زخرفي جميل نوردها كمثال:

يالله ياذا من طوى كلم نبيه
ياسلامي يالقصور الويمنيه
للشعف واهل الشعف
لابتي سم التلف دحر المعادي
يوم نشر البيض في روس المبادي
مقدماً لبني مغيد
والبيارق
كالبوارق
ساليه
من نصاكم في الشدايد ياهنيه
علمكم يغشى مذالف كل نيه
ايمنين معترف
زاعنا التقدير عزماً والتهادي
جابنا رد الجمايل لآل هادي
وانت يايحيى وسعيد
في المقادي
والمبادي
والميه

• ومن أنواع بناء الموشح هذا اللون الذي يتكون البيت فيه من عدد من الأغصان بعدة قوافي متبادلة ومتقابلة في الأبيات على امتداد الموشح:

وغزال مُ-شنَ-ن-فِ
قد رثى لي بَعدَ بُعدي
لما رأى ما لقيتُ
*****
مثل روض مُفَوَّفِ
لا أبالي وهو عندي
في حُبِّهِ إذ ضَنيتُ

ويقابل هذا اللون المناظيم العسيرية المسماة بالقاف وهذا مقطع من منظومة (قاف) قديمه باللهجة التهامية العسيرية، وهي من بحر واحد أيضاً وبعدة أغصان وعدة قوافي متقابلة متبادلة بنفس طريقة الموشح السابق:

طيفي مخيضر واخذ في نوضو حدود
زف الموبن من نواصي الجابلي
واختج قلب الفسل يوم يليما
زلّن بجرّ امسيل بعد لو جديف

*****

والبرق في تالي نصوبه والرعود
وقال راعي المال خيرٍ واقبلي
وكل معطال بمايوه يزّما
ويرحم البيدا برزّاع القنيف

٤- من أوجه الشبه بين الموشح والشعر العسيري المغنى أيضاً الجمل الوسطية الداعمة للحن وهي مقطع مبتور الوزن يوضع قبل أو بين شطري بيت متناظرين في الوزن فيحشر بينهما هذا المقطع بحيث لا يؤثر على سلامة اللحن بل يزيده تناغماً وجمالاً وهذا النوع من التزيين للقصيدة لا نراه في غير الموشحات الأندلسية وفي الطروق والمناظيم العسيرية ومن أمثلة ذلك من الموشحات موشح الشهاب العزازي حين يقول:

*يا ليلة الوصل وكاس العقار ** دون استتار ** علّمتماني كيف خلع العذار*

إلى أن يقول:

*على خدودٍ تنبت الجلّنار ** ذات احمرار ** وفاح كالعنبر نشر العرار*

وهنا نجد أن البيت بدون إضافة المقطوعة الوسطية تاماً على وزن:

*مستفعلن مستفعلن فاعلن *** مستفعلن مستفعلن فاعلن*

إلا أنه أضاف بين الشطرين مقطوعة داعمة للحن على وزن مستفعلن فكان الوزن الجديد:

*مستفعلن مستفعلن فاعلن *** مستفعلن *** مستفعلن مستفعلن فاعلن*

ومن أمثلة ذلك أيضاً هذا الموشح للأعمى التطيلي:

*في زهـرة وطيـب ** بستاني ** من أوجهٍ ملاح*
*أجلو على القضيب ** ريحانـي ** والورد والأقاح*

بينما نجد في الخطوة نفس الطريقة في إضافة الجملة الوسطية الداعمة بين شطري البيت الكامل كما في حالة:

*يا صغيّر صغيّر لا تعذب حياتك ** وانت تدري باه ** العسل سايل سيل سايلٍ من شفاتك*

فالبيت أساساً جاء على وزن:

*فاعلاتن فعولن فاعلاتن فعولن *** فاعلاتن فعولن فاعلاتن فعولن*

فأضيف بين شطريه مقطع داعم على وزن "فاعلن فعلن" فأصبح البيت:

*فاعلاتن فعولن فاعلاتن فعولن ** فاعلن فعلن ** فاعلاتن فعولن فاعلاتن فعولن*

٥- ومن أوجه الشبه أيضاً هذه الألوان من قصائد الخطوة والموشحات والتي يكتفى فيها بوجود قافية للأسماط الداخلية في الدور وعدم الاهتمام بقافية القفل فتكون الأسماط ذات قافية موحدة داخل كل دور بينما لا يكون هنالك قافية موحدة للأقفال ويكتفى فقط بالوزن كما في هذا الموشح:

في حماك ربنا... في سبيل ديننا
لا يروعنا الفنا... فتولّ نصرنا = واهدنا إلى السَّنن
نحن عصبة الإله... دينه لنا وطنْ
نحن جند مصطفاه... نستخف بالمحنْ
ولنا الكتاب جاه... نهجه هو السَّننْ
فلنعشْ على هداه... سادة أعزةً = أو نمُتْ له فدىً

وكما في هذا الموشح:

عيدنا عيد سعادة
بعد نسك وعبادةْ

بعد تهذيب النفوس.... قد حظينا بالسيادة
قد أطعنا للإلهِ
واجتنبنا كل لاهِ
ربنا فينا يباهي.... كل أملاك السماءِ

ويشابهه في ذلك بعض طروق الخطوة العسيرية مثل:

حطت الحنا على كفيها
والعباية من على كتفيها.... واقبلت ريانة العود
الهدب غطا على عينيها
لا مشت اتراقصت نهديها... فانتشى قلبي وغنا

٦- ومن أوجه الشبه بين الطروق العسيرية والموشحات استخدام الدعامة اللفظية لإتمام اللحن، والشائع هو إستخدام اللالات قبل أوبين الأبيات في بعض الألوان كالبدوية أو اللعب أو الخطوة عند أدائها كقولهم في اللعب:

ياللا لا لا له تعبان حاله
وابن ناصر يقول في ذا السنة تعبان حاله
ماحدٍ قال الا ياهل الهوى ومجار ومجار
بينما تستخدم الواوات كدعامة لفظية في الخطوة مثلاً كقولهم:
المغني وي يقول ياصاحبي.....إلخ

وهذا مما اشتهر به أيضاً فن غناء الموشحات دون الغناء التقليدي بالقصائد العربية العمودية.

وفي هذا الخصوص فقد قسّم ابن سناء الملك الموشح إلى قسمين:

- قسم يستقل التلحين به ولا يفتقر الى ما يعينه عليه.
- قسم لايحتمله التلحين ولا يمشي به إلا بأن يتكئ على لفظة لا معنى لها تكون دعامة للتلحين وعكازا للمغني، ومثاله قول ابن بقّي:

من طالب.... ثار قتلي
ظبيّات الحدوج.... فتانات الحجيج

فاللحن لا يستقيم إلا أن يقال" لالا" بين الجزئين الجيميين من هذا القفل.

ومن أمثلة ذلك أيضاً في الموشحات هذا الموشح الشعبي:

يا شـــادى الألحـــــان....آه أســمعنا... رنـة العيـدان.. ياللالّي
واطـــرب من فـــي الحان.... واحسبنا... من ضمن الندمـان.. ياللالّي
ياللالّي آه ياللالّي آه واطربنا

٧- ولا ينتهي التشابه بين المناظيم العسيرية والموشحات عند القالب والبناء الشعري بل يتجاوز ذلك إلى الأوزان والألحان، فهذا موشح من الرجز الموجز:

يا ذا القوام السمهري حاوي الرضاب السكري عن ثغرك الباهي اللمي

يروي صحاح الجوهري

كم ذا التجافي والبعاد أحرمت أجفاني الرقـــاد بادر وجد وارع الـــوداد

يا ذا الجبين الأنور

وهذا الموشح على نفس وزن لون الخطوة المسحباني ومنه هذا اللون المغنى:

يا اغلى مـــن اللولـــو والماس في الحب ما لـــك وللنـــاس
في حبنا لا تبالي
قل للعواذل أحبه واموت واحيا بقربه
مال العواذل ومالي

ومن ذلك هذا الموشح لصفي الدين الحلي:

دارت على الدَوح سلافُ القَطْرِ فرنّحتْ أعطافَه بالسُكرِ
ونَبّـــه الوُرْقَ نسيمُ الفجـرِ فغردتْ فوقَ الغصونِ الخُضرِ
تُغني عن العودِ وصوتِ الزَمـــرِ

تبسّمـــــتْ مباسمُ الأزهـــارِ وأشـــرقَ النُوارُ بالأنـــوارِ
وظَـــلَ عِقــدُ الطلِّ فـــي نِثارِ وباكرتْهـــا ديـــَمُ الأمطـــارِ
فكللـــتْ تيجانَهـــا بالـــدُرِ

ويقابله في اللحن من ألوان الخطوة هذا اللون:

يـــا ســـلام الله عليكم عشرا عد من هو في المدارس يقرا
يـــا بصـــر عينـــي وماهـــا
قلتها مـــن خاطـــري مثنيـــة يا رجـــال والشيم مبنيـــة
يوم جـــا الداعي مـــن ابهـــا

من الواضح أن درجة التشابه بين هذه القصائد وقصائد الخطوة والدمة وغيرها من الألوان المحلية في عسير تدل على أن أحدهما اقتبس من الآخر، أو ربما كان مصدر أحدهما الآخر، ولا يمكن أن نتوقع أن يكون هذا التشابه التام نشأ صدفة، بل من المؤكد أن هذان النوعان من القصائد لهما نفس المنشأ، وإذا علمنا أن قصائد الخطوة والدمة والعرضة واللعب وغيرها من الألوان المحلية في عسير هي ألوان فلكلورية موروثة تلقى بتلقائية كاملة في بيئة طاردة لم تكن بها مراكز حضارية كبرى خلال مرحلة نشوء الموشحات وما بعدها حتى بداية القرن الثالث عشر، ومن ثم فلم تكن بيئة تتمازج فيها الثقافات كما هو حال الأندلس التي رحل إليها جزء كبير من هذه المنطقة، فإننا نستطيع القول وباطمئنان بأن الموشحات الأندلسية لها جذور في بلاد عسير.

ولا شك أن هذا المشهد الغني حد الترف الذي نراه على أرض الواقع في العمران والنقوش والزخرفة واللباس والأدب والفنون يدلنا على أننا أمام أمة لها عمق ودور تاريخي جيد قبل أن نقرأ عن تاريخها أي حرف، ولعل ذلك يثير الحماس فعلاً للبحث في تاريخ هذه الأرض.

الفصل الثاني

إقليم عسير والجزيرة العربية في العصر الجاهلي

إن من أهم الأمور التي يجب أخذها في الحسبان عند قراءة تاريخ ما قبل الإسلام أن نتذكر أن تاريخ العرب الجاهلي وأخباره نقلت عن أمة أمية لا تعرف التوثيق وتميل إلى الأسطورة والتعصب وتحكمها العاطفة في رواية أخبارها، فرغم القيمة الأدبية العالية لما حملته تلك الفترة فإن العرب لم يدونوا هذا الإرث الأدبي إلا في زمن متأخر معتمدين على ما يتناقله الرواة هنا وهناك، كما أن الشعر الذي يكاد يكون المصدر الأهم لقراءة التاريخ الجاهلي انفرد أهل الوبر (البادية) بالجزء الأعظم منه، فكان لطابع حياتهم غير المستقرة أثراً كبيراً على رواية التاريخ، بينما كان إنتاج أهل المدر والزراعة من الشعر أقل لظروفٍ اجتماعية وعملية تخص نمط معيشتهم، فالبيئة التجارية والزراعية في الجزيرة العربية تختلف عنها في مصر والشام والعراق، فهي بيئة فقيرة تستلزم حياة كادحة لا تترك مجالاً للتفكر والتدبر والبحث عن الذات حيث ارتباط المزارع بالأرض يجعله أقل قدرة على الحركة لمواجهة ما تفرضه طبيعة أرضه الجافة من حالة وهو ما يجعله يعيش بين حالتي قلق وأمل في انتظار غيث السماء، ناهيك عن أنه يحتاج للعمل الدؤوب في مزرعته بدءاً من الحرث وبذر الحبوب إلى ري حقله وأشجاره التي يستخرج لها الماء من أعماق الأرض بواسطة أدوات بدائية تأخذ من وقته الكثير جداً إلى أن يدخل في مرحلة الحصاد التي تأخذ وقتاً آخر ليبدأ موسماً جديداً ودورة جديدة وهكذا، كما أن التجارة في هذه البيئة الفقيرة هي أيضاً عمل كادح فأعداد السكان في أي الحواضر وحالتهم المادية تكاد لا تفي لظهور تجارة معقولة ينتج عنها ذوي مال ونفوذ وترف وقصور فارهة، بالإضافة لقلة منتوج الأرض، وهو ما يستلزم التنقل المستمر ما بين هذه الحواضر وما بينها وبين المناطق المجاورة لجلب المنتوجات الأخرى التي يحتاجها السكان، وهنا فإن التجارة أيضاً عمل مضني في هذه البيئة يحتاج إلى ما تحتاج إليه زراعتها من العمل والجهد والإنشغال بها، بينما تعتبر حياة البادية أقل جهداً وكدحاً من اجل الحصول على المزيد من الرزق فهنالك قوانين معروفة للانتقال خلف الماء والكلأ، ومن ثم يطلق الأعرابي إبله وأغنامه لتقوم بمهمة تغذية نفسها، ولا قلق بشأن

منتوج الأرض، أو كساد التجارة، لذا يمتلك أبناء البادية الكثير من وقت الفراغ والتأمل أثناء رعي ماشيتهم وإبلهم، وهو ما جعلهم أكثر قدرة على التفكر والبحث عن الذات وعن ما يشغل فراغهم فينظمون القصائد ويتفاخرون بها، كما أن هجراتهم المستمرة بين مناطق الجزيرة العربية وخارجها خلف المطر وبحثاً عن المرعى نقل معهم قصصهم وأساطيرهم عبر الآفاق، بالإضافة إلى أن هذه الهجرات أوجدت الكثير من حالات الاحتكاك بين القبائل البدوية أثناء تزاحمهم على المراعي وتنازعهم عليها، ما أغنى حياتهم بقصص التقاء الأحبة وافتراقهم والحروب والغزو والثأر فزاد وقع بكائهم على الأطلال وحروبهم وارتباط شعرهم بهذه الحروب من تلقي الذاكرة الجمعية في الجزيرة العربية لأحداثهم وما قيل فيها من شعر وهجاء بين الأطراف، لذا نجد أن القبائل التي تحضرت وانتقلت إلى حالة الاستقرار انقطعت أخبارها وقل إنتاجها للشعراء كقبيلة عنز بن وائل في عسير وبني حنيفة في اليمامة ولحقت بهم تميم التي كانت من أكثر القبائل العربية إنتاجاً للشعراء أثناء ترحالها خلف الماء والكلأ حتى استقرت في القرون الإسلامية الوسيطة فانقطعت أخبارها وتوقف إنتاجها الأدبي، وكذلك نجد أن قبائل الأزد من القبائل القليلة الإنتاج الشعري لكونها قبائل مستقرة، لهذه الأسباب نجد أن سكان الحواضر في الجزيرة العربية بقي تاريخهم في الفترة الجاهلية أقل حضوراً في الذاكرة العربية ومن ثم في كتب التاريخ ما عدا اليمن كأرض ارتبطت بوجود الدولة وعرفت التدوين منذ وقت مبكر فنقشت تاريخها وتركت له أثراً جيداً على الأرض، بالإضافة إلى مكة ويثرب اللتان لقي تاريخهما بعض الاهتمام من الرواة لخروج الإسلام منهما وإن يكن قد غلب طابع الإسطورة على ما كتب عنهما إلا أن حالهما أفضل من البقية في هذا الخصوص، فنحن لا نجد أخباراً شافية عن بقية حواضر الجزيرة العربية مثل نجران، وجرش، وتبالة، وأبها، وحباشة، وعثر، وحلي، وحجر اليمامة، وهجر، ودومة الجندل، وتيماء، وغيرها مما وجد له أثراً في بعض السير أو في الكتب السماوية بينما لا يوجد لدينا ما يمكننا أن نضيفه لها إلا القليل جداً من الأخبار معظمها عن قصص قبائل البادية التي سكنتها، أو بعض ما رواه هشام بن الكلبي من أساطير ربطها بملوك اليمن وغزواتهم ورحلاتهم عبر هذه البلاد، ومن ثم فإن أخبار الجزيرة العربية المنقولة لنا قد تكون قابلة لإعادة الصياغة في المستقبل مع المزيد من الدراسات والتنقيب عن الآثار والبحث عن النقوش القديمة داخل وخارج الجزيرة العربية.

ومن الأقوال الجميلة في هذا الخصوص قول أحد الباحثين:

"ومما يزيد الصعوبة في تأريخ هذه الحقبة أن قدامى المؤرخين المسلمين لم يبذلوا أي جهد في تحقيق وتمحيص ما وصلهم من أخبار عرب الجاهلية، تلك التي رووها كما

سمعوها من أفواه الرواة، على ما فيها من تناقض ومن قصص خيالية مليئة بالأساطير، أو أخذوها من أهل الكتاب، وبخاصةً منهم اليهود، أو وضعوها في الإسلام ـ بما جاء فيها من تهديم للوثنية ولأخلاق الجاهلية... قد قضت بعدم الاهتمام بما يمت إلى الجاهلية بصله، لا بل شغل المؤرخون المسلمون بالتأريخ للإسلام، فدونوا كل وقائعه وأشبعوها تدقيقاً وتمحيصاً، وانصرفوا عن التأريخ لما قبل الإسلام، ولم يفطن أحد منهم إلى ما يمكن أن تنبثق عنه الدراسات الموضوعية من تصحيح لما ذخرت به الروايات من تلفيق ومجانبة للواقع في تأريخ حقبة التاريخ العربي القديم الذي طمست مفاخره عن قصد أو عن غير قصد من قبل الأخباريين" (١)

وقول آخر:

"لعل من الأمور الغريبة أن المؤرخين الإسلاميين قد انصرفوا عن التاريخ العربي القديم، إلا أن يكون مقدمات لم تكن مفصلة ولا دقيقة، وربما كان السبب في ذلك أنهم لم يعتمدوا فيما كتبوه على سند مدون، أو مأخوذ من نص مكتوب، وإنما كان عمادهم في ذلك أفواه الرجال وهو أمر لا يمكن الاطمئنان إليه، ذلك أن رواة الأخبار، حتى وإن كانوا بعيدين عن الميول والأهواء، وحتى إن كانوا من أصحاب الملكات التي وهبت القدرة على التمييز بين الغث والسمين، فإن للذاكرة آماداً ليست بقادرة على تجاوزها" (٢).

ومن هنا ففي هذه الدراسة حول إقليم عسير سنحاول تسليط الضوء على بعض ما ذكرته المراجع العربية من تقسيم وتعريف لأقاليم الجزيرة العربية، وبعض ما ورد في الشعر العربي من إشارات وأسماء وأوصاف للمواقع والمناخ والنبات، وموقع إقليم عسير منها، وسيكون بحثنا مكوناً من جزئين:

أولاً: تحديد إقليم عسير في التقسيم الجغرافي للجزيرة العربية.

ثانياً: أسماء بعض قبائل وأحداث إقليم عسير قبل الإسلام.

---

(١) برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، دار الفكر المعاصر ـ بيروت، ط٣، ١٤٢٢هـ، ص١٢.

(٢) مهران، بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، ط٢، ٢٠٠٥م، ص٣.

أولاً: تحديد إقليم عسير في التقسيم الجغرافي للجزيرة العربية

التقسيم الجغرافي لإقليم عسير

عسير محل الدراسة هو اسم حديث لإقليم يقع جنوب غرب المملكة العربية السعودية، حددته الموسوعات والأطالس والدراسات التي تناولت الجزيرة العربية منذ بداية القرن الهجري الثالث عشر وحتى الآن بما وقع بين الحجاز واليمن ونجد والبحر الأحمر[١]، وهو إقليم يمتد من حدود الطائف ومكة شمالاً وحتى حدود اليمن جنوباً بطول حوالي ٦٥٠كم، ومن تخوم الربع الخالي ومنطقة الرياض شرقاً، وحتى البحر الأحمر غرباً بطول حوالي ٤٠٠كم.

وتنقسم عسير إلى جزئين رئيسين متباينين في البيئة الجغرافية والمناخية ومتداخلين قبلياً، وهما "تهامة" و"السراة" حيث تبدأ السراة من قمم جبال السراة إلى الشرق حيث هضبة واسعة تمتد حتى مشارف الربع الخالي بينما تمتد تهامة من الأغوار الغربية والأودية الساقطة من جبال السراة إلى الغرب حيث سهول تهامة حتى سواحل البحر الأحمر، ويمكننا إعطاء نبذة عنهما فيما يلي:

١- السراة: وهي الهضبة المرتفعه فوق جبال السروات، والتي تمتد شرقاً حتى تخوم صحراء الربع الخالي، وتنقسم السراة جغرافياً حسب المفهوم المحلي إلى جزئين وهما:

أ- الشعوف (الحجاز): وهي عبارة عن شريط ضيق من القمم المترابطة المطلة في سفوحها الغربية على تهامة والمتصلة بالسهول الشرقية التي تنحدر بدءاً من هذه القمم بشكل تدريجي غير محسوس إلى الشرق، ويمتد هذا الجزء طولاً من الشمال للجنوب ويشكل السلسلة الجبلية المرتفعة المطلة مباشرة على تهامة وتعتبر هذه المناطق العمود الفقري لإقليم عسير حيث الكثافة السكانية العالية والمراكز الحضارية الأكبر، وهي مناطق باردة شتاءاً معتدلة مائلة للبرودة وممطرة في فصل الربيع (يبدأ الموسم من بداية الثلث الأخير من شهر مارس ويستمر حتى منتصف شهر يونيو) والصيف (ويبدأ من منتصف شهر يوليو ويستمر حتى ما قبل منتصف شهر سبتمبر) وأول الشتاء (في النصف الثاني من شهر يناير)، ويسكنها قبائل مستقرة يعمل جلهم في الزراعة والتجارة وطابعها هو طابع المناطق الزراعية عامة، إلا أن زراعتها تختلف عن بقية مناطق الجزيرة العربية حيث لا يعتمد السكان هنا على زراعة النخيل كأساس للزراعة بل

---

(١) مجموعة من المختصصين والأكاديميين العرب، الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٥٩م، ص١٢١٢.

يزرعون الحبوب والخضار وفواكه المناطق الباردة كالتفاح واللوز والخوخ والمشمش والرمان والكمثرى والبخارى والتين والبرشومي، وهي زراعتهم منذ أقدم العصور كما ذكر ذلك الرحالة الذين مروا بها كالهمداني[1] وابن المجاور[2] وغيرهم، ومن مدنها أبها، وخميس مشيط، وأحد رفيده، وسراة عبيده، والحرجه، وظهران الجنوب، وصبح، واثنين بللسمر، وتنومه، والنماص، وسبت العلايا، وباشوت، وشرى، وبلجرشي، والباحه، والمندق.

ب- السهول الشرقية (نجد): وتشكل السواد الأكبر من مساحة بلاد السراة وغالبية سكانها من أبناء البادية الذين يعملون في تربية الأغنام والجمال بالإضافة للقبائل المستقرة والتي تعمل في زراعة النخيل والتجارة، ومن مدنها وادي بن هشبل، والعرين، وطريب، والمضة، والصبيخة، وجاش، وخيبر، وبيشة، وتثليث، وتباله، وترج، والقوباء، وتخترقها أودية أهمها بيشة وترج وتبالة وهرجاب.

٢- تهامة: وتنقسم إلى قسمين هما:

أ- السهول الساحلية: وتمتد في الإقليم على طول ساحل البحر الأحمر؛ من حدود الليث شمالاً، وحتى شواطئ بيش وجازان جنوباً، ومن ساحل البحر غرباً وحتى بداية جبال السروات في الشرق. وهي مناطق دافئة ذات طابع ساحلي شبه استوائي، ويعمل السكان المجاورين للسواحل في التجارة والزراعة البعلية والصيد، أما قبائل البادية التي تعيش إلى الشرق فتعمل في تربية الأغنام والجمال ومن مدنها جازان، وأبو عريش، وصبيا، وبيش، والدرب، والشقيق، وخميس البحر، والحريضة، والقحمة، والبرك، وعمق، والصوالحة، وحلي، والقوز، والقنفذه، والمظيلف، وماوان.

ب- تهامة الجبلية (الصدر): وهي المناطق الواقعة أسفل جبال السروات، وفي الجبال والصدر والأودية والشعاب المنحدرة منها جهة الغرب، ويتدرج أهلها ما بين بادية يعملون في تربية الماشية والإبل، وحاضرة يعملون في الزراعة والتجارة، ومن أشهر مدنها الداير، والفطيحة، والشعبين، ورجال، والبتيلة، ومحائل، وبارق، والمجاردة، وسبت شمران، ونمره، والمخواة، وقلوة.

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد ـ صنعاء، ط١، ١٤١٠هـ، ص٢٣٤.

(٢) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٣٨.

إقليم عسير والتقسيم الحديث للجزيرة العربية

كما نلاحظ فإن عسير تحتل مساحة كبيره من الجزيرة العربية، حيث تبلغ مساحتها حوالي ٣٠٠ ألف كيلو متراً مربعاً، وهي تقع في جنوب الوسط للجزء الغربي من الجزيرة العربية، ورغم تباين تضاريس ومناخ بيئات عسير في الغرب والوسط والشرق عن بعضها إلا أن أراضي هذا الإقليم على العموم تعتبر من أكثر أراضي الجزيرة العربية خصوبة وأوفرها مرعى وأكثرها مطراً حيث معدل هطول الأمطار يقع ما بين ٣٥٠-٥٥٠ مل سنويا وقد يصل في بعض المناطق إلى ٩٠٠ مل بينما يتراوح المعدل في بقية المناطق (ما عدا اليمن) ما بين ٣٠-٩٠ مل سنوياً كما أن مناخها أكثر مناطق الجزيرة العربية اعتدالاً في الصيف خاصةً في الجزء السروي منها.

وفي مثل هذه الحالة فمن المؤكد أنه كان لهذه المنطقة حضوراً قوياً سياسياً وثقافياً وحضارياً في الجزيرة العربية عبر التاريخ يفوق بكثير ما نسب لهذه المنطقة في الكتب الحديثة التي عنيت بها حتى هذه اللحظة والتي اقتصرت في غالبها على قصص الشعراء الصعاليك أو أخبار شعراء وأعلام قبائلها الحالية مثل الأزد وخثعم، وعنز، ومذحج وغيرهم، أو بعض القصص حول الهجرة العربية الأولى من اليمن إلى أو عبر بلاد السراة وما صاحبها، أو أخبار الوفود التي توجهت للمدينة المنورة للدخول في الإسلام في عهد النبوة، فلا شك أن ما احتضنته هذه المنطقة من أحداث وأخبار يتجاوز ذلك بكثير، ويكفي أن نعرف عمق أثر هذه المنطقة في التاريخ العربي أن نرى تأثيرها على اللغة العربية حتى أن جزءاً كبيراً من الأساطير القديمة جداً والمبهمة ترتبط بجبالها وأوديتها وحواضرها، فشدة الذكاء توصف بالعبقرية وهذا اللفظ منسوب إلى وادي عبقر أحد أودية قبيلة بجيلة فوق جبال السروات المحاذية لقبيلة زهران من الشمال، ويضرب المثل في الشجاعة والضراوة بأسد الشرى والتي نقرأها كثيراً في الشعر العربي وهي نسبة إلى جبال الشرى الواقعة في حجاز منطقة عسير ما بين أبها والباحة بالقرب من سبت العلايا، وضربت العرب المثل بأسود تبالة وترج وعثر وعتود وكلها من أودية بلاد السراة التي تنحدر من جبال الحجاز إلى وادي بيشة شرقاً في إقليم عسير، بل وحتى الإبل كان العرب يضربون المثل بالنوق الجرشية، كما كانت تضرب الأمثال في الشعر العربي ببيشة وتبالة وتيمن في ظلها وشجرها واخضرارها، وهو ما يجعلنا على يقين بأن هذا لم يكن إلا لارتباط العرب بهذه الأرض في عهودهم القديمة، فحملوا أساطيرهم القديمة معهم في كل مكان، حتى أصبحت أساطيرهم وأسماء جبالهم وأوديتهم مفردات وصفية في اللغة العربية، ومن الملاحظ أننا عند البحث عن هذه المنطقة في المعروف من أقاليم الجزيرة العربية لنتمكن من كشف اللثام عن أحداثها وأخبارها عبر التاريخ، فإن المشكلة الأولى التي ستواجهنا هي أن هنالك عدم وضوح في تعريف هذه المنطقة في التقسيم

الجغرافي والتاريخي لأقاليم الجزيرة العربية حسب المتعارف عليه في العصر الحديث، حيث أجزاء الجزيرة العربية الرئيسية والتي تعزى إليها معظم الأخبار والأحداث في جزيرة العرب هي نجد والحجاز والأحساء واليمن، والمتعارف عليه في عصرنا أن الحجاز تمثل منطقتي مكة المكرمة والمدينة المنورة بجميع مدنها، بينما نجد هي منطقتي الرياض والقصيم، أما الأحساء (البحرين) فتشمل المنطقة الشرقية، أما اليمن فهي دولة اليمن، فأين هذه المنطقة الإستراتيجية من هذا التقسيم؟ مع أنها المنطقة الأكثر ملائمة للتواجد البشري، ومن ثم الإنتاج الحضاري والثقافي المادي والمعنوي للحاضرة والبادية، بل إنها المنطقة الأكثر كثافة سكانية بعد اليمن في كل أنحاء الجزيرة العربية، فهل هي جزء من أحد هذه الأقاليم فاختزل ذكرها من خلال ذكره مثلاً؟.

عسير بين المفاهيم المحلية المتوارثة والحديثة

إن من عاش في عسير منذ ما قبل بداية القرن الهجري الخامس عشر، ثم شهد هذا الزمان، فإنه لا شك سيرى كيف أن المفاهيم لدى الناس قد بدأت تتغير مع الزمن، وبدأت المنطقة تفقد الكثير من أعرافها ومسمياتها وأساطيرها التي كانت سائدة بها، وأخذوا في استبدالها بمفاهيم جديدة قدمت إليهم من الآخرين وكأنهم اعتبروها هي الحقيقة، وتنازلوا عن مفاهيمهم المحلية. فمثلاً لو أتيت إلى شرقي منطقة عسير قبل ثلاثين عاماً، وقلت لهم أنك قدمت من الحجاز، فإنهم فوراً سيفهمون أنك أتيت من الشعوف الموالية لهم والمطلة على تهامة، ولو قلت أنك أتيت من نجد، لفهم أهل النماص - مثلاً- انك قادم من شرقي بلاد بني شهر، جهة ترج ووادي بيشة، ولفهم أهل تهامة قحطان أنك قادم من سراة عبيده؛ أي أن الحجاز ونجد هي جزء من بلادهم، ومنه ما نجده في هذه (الدمة) العسيرية التي قيلت عام ١٣٣٧هـ، وكان ذلك فور خروج الدولة العثمانية، وقبل بدأ احتكاك عسير بالدولة السعودية الثالثة سياسياً في تلك المرحلة:

هو نقا ذا هو يقول في الحرب ميدي   وان عندي لابة طلقان الايدي

تفتـــح البـــاب العسيـــر

خبروا النجدي واللي في تهامه[1]

بل إن هنالك إشارات تاريخية، تدل على أنه في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي كان مسمى "الحجاز" متداولاً لدى أهل مكة وما حولها، للدلالة على ما وقع جنوب الطائف من جبال السروات.

---

(١) آل حامد، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، ص١٧١، ١٧٢.

فهذا بوركهاردت الذي عاش في مكة ما بين ١٨١٤ـ ١٨١٦م، يعدد الإمارات الأساسية والتي تعد من مناطق نفوذ الحكم (الوهابي)، ويشير إلى مفهوم كلمة "الحجاز" لدى العامة حين يقول:

"وجبل شمر والحرمين (مكة والمدينة) أو الحجاز الاسم الشائع لدى البدو وهي الجبال الواقعة جنوبي الطائف".

وبالمثل فقد كانت تروى في المنطقة الكثير من الأساطير المرتبطة بالتاريخ القديم؛ كالسيرة الهلالية التي كانوا يتداولونها شرقي المنطقة، ويربطون أسماء جبالهم وقبائلهم بها وغيرها، أما في المرحلة اللاحقة وحتى الآن فقد بدأ الناس يؤمنون أكثر بحقيقة أن الحجاز ونجد تقع عنهم شمالاً كما هو مفهوم العامة في وقتنا هذا، وتراجعوا كثيراً عن روايات أبو وزيد وسيرته، بعد أن ظهر لهم أن هلال بن عامر قبيلة بذاتها وليست إحدى قبائل إقليم عسير المعروفة حالياً، حيث تتداول القصص، وتخلى الكثير منا عن مفاهيمهم القديمة، فلماذا كان ذلك؟ وهل كانت هذه المفاهيم صحيحة أم أنها مفاهيم خاطئة بالفعل؟

الخلط في تأريخ وجغرافية الجزيرة العربية

عند التمعن فيما ورد في الكتب العربية القديمة، سواءً التاريخية أو كتب السيرة أو الشعر العربي القديم، ورصد مدلولات المواقع في الشعر الجاهلي أو شعر صدر الإسلام، فإنها ستتكون لدينا قناعة بأن هنالك تناقض واختلاف في الكثير من الإشارات إلى المواقع ومسمياتها، وأن هنالك تغير في مدلولها بشكل عام في العصرين الأموي والعباسي، وما تلاهما عن مفهومها في العصر الجاهلي، فالمواقع المذكورة والأحداث ورواياتها، نجد فيها الكثير من الثغرات؛ التي لا نستطيع أن نرتقها إلا من خلال إعادة قراءة منطقية، تعتمد الجغرافيا الحديثة والقديمة، وإعادة استقراء الأحداث العربية والشعر العربي في العصر الجاهلي، وفي عهد الخلافة الراشدة، وما بُعَيدها، والمعاجم اللغوية، وحتى درجة الطبقات الصوتية، وتكرار الحروف في الأسماء على السواء، للوصول إلى حقيقة الوضع وفهم جغرافية ومواقع أحداث الجزيرة العربية القديمة، وطريق الهجرات فيها، فهنالك الكثير من المواقع المذكورة في الشعر العربي القديم مثلاً أحيلت إلى أسماء وصفية، وهنالك أسماء وصفية أسقطت خطأ على مواقع لا تمت لها بصلة، فكلمة العراق تكررت في الشعر الجاهلي ضمن أحداث لا تمت للعراق التي نعرفها بصلة ولكنها أصبحت كلها تفترض على سواد العراق أو ما بينها وبين اليمامة لدى المؤرخين بينما كلمة العراق قد تعني سيف البحر في بعض الإشارات وليس العراق الذي نعرفه، وغيرها كثير، وهناك أماكن فقدت أسماءها التي ارتبطت بمواقع الهجرات الجديدة ومنذ وقت مبكر، ويكفي أن نرى ما دار من جدل وخلاف في

الصحافة المحلية حول موقع سوق عكاظ والذي ذكر كأحد أشهر الأسواق في الجزيرة العربية، مما يفرض سؤالاً مشروعاً، وهو، ماذا لو لم يكن عكاظ بالقرب من مكة المكرمة وفي موقع مستطرق من قبل حجاج العراق بالإضافة إلى حجاج نجد واليمن الذين يمرون بالطائف، وحظي من ثم بتحديد معقول لموقعه؟، يمكننا هنا أن نجيب على التساؤل وبكل اطمئنان بأنه ربما كان هنالك لبس أكبر مما حدث حول تحديد موقعه بين أقاليم الجزيرة العربية كاملة، كما هو حال سوق حباشة، وقس على ذلك الكثير من الأسماء في عمق الجزيرة العربية والتي لم تكن مجاورة لمكة والمدينة ولا مستطرقة من حجاج المراكز الكبرى للخلافة الإسلامية في الشام والعراق، فهنالك أسماء لأماكن حدث أخطاء في تحديد مواقعها منذ القدم، فمثلاً "الشرى" والتي يضرب بها المثل للأسد الضارية؛ فيقال أسد "الشرى"، هي في حقيقتها موقع جبال معروفة في إقليم عسير تمتد مابين مصبات ترج وتبالة تقع فوقها مدينة "شرى"، حيث عرفت الأسود عند العرب وفي شعرهم في أودية السراة القادمة من جبال الحجاز مثل أودية بيشة وعتود وترج وتبالة، بينما ادعى الهمداني في القرن الرابع أن أسد الشرى نسبة إلى الشرى في بلاد لخم باليمن[1]، وما هذا الخطأ إلا واحداً من الكثير.

ويرجع هذا اللبس في جغرافية الجزيرة العربية فيما نرى لثلاثة أسباب رئيسية:

أ- قال مركز الخلافة من الجزيرة العربية إلى الشام ثم العراق ثم تشتتها خارج الجزيرة العربية، حيث بدأ تدوين التاريخ الجاهلي وما قبله وما بعده فيها في القرن الهجري الثاني بعد انتقال المركز إلى هناك، ومن ثم فقد كان لانكفاء أقطار الجزيرة العربية الداخلية خاصة الواقعة في العمق عن التأثير أو التفاعل أو التواصل مع الحضارة لابتعادها عن مراكزها أثراً كبيراً في التشويش على تاريخها القديم خاصةً فيما يتعلق بالجغرافيا التاريخية للشعر العربي الجاهلي وتحديد المواقع المعنية في شعر العرب، فقد انحصر الاتصال بالجزيرة العربية في حدود الاتصال بالمناطق المتاخمة للشام والعراق أو الاتصال بمكة والمدينة والمستطرق من البلاد فيما بينها وبين مراكز الخلافة في شمال الجزيرة العربية، ومن ثم فقد أسقطت كل المواقع القديمة والأحداث التي جرت بها على تلك المناطق بالخطأ، فكان جل المؤرخين هناك يتجهون إلى تعريف مناطق تاريخيه ذكرت في الحجاز أو نجد أو تهامة على أساس المقاربة مع ما يعرفونه وما يصلونه من مناطق الجزيرة التي ذكرنا أو ربما رمى بعضهم جزافاً بوجودها هنالك فقلده غيره، حتى تكونت فكرة عامه بأن مناطق أحداث الجزيرة العربية كلها تقع هنالك في أقصى شمال الجزيرة العربية.

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٤٠

ب- هجرات القبائل العربية البادية سواءً الهجرة الأولى في الجاهلية حيث هاجرت أجزاء كبيرة من قبائل العرب خلال العصر الجاهلي وخاصةً القرن الأول قبل البعثة من منطقة تهامة والحجاز وشرقي جبال السراة إلى الشمال والشرق وكان لسقوط آخر ملوك اليمن في يد الأحباش عام ٥٢٥م[١] (أي قبل الهجرة النبوية بحوالي ثلاثة وتسعون عاماً) أثراً في ذلك حيث نجد أن العرب بدأت في التوجه إلى ملوك الحيرة في العراق أو للغساسنة في بلاد الشام ونلحظ ذلك في الشعر العربي حيث ورد عن عنترة توجهه إلى ملوك اليمن ومدحهم، ثم نلحظ توجه لبيد والأعشى بعده واللذان عاصرا ظهور الإسلام إلى الملوك الغساسنة والمناذرة ومدحهم، حيث كان بروز الممالك العربية الشمالية في الشام والعراق كمراكز بديلة لملوك اليمن ومن ثم بدأ اتجاه هجرات القبائل العربية إلى جهة الشمال والشمال الشرقي، مثل هجرة ربيعة وتميم وإياد وغطفان وغيرهم، وقد نلاحظ أنه لم يذكر أسماء ملوك اليمن الذين قدم لهم عنترة ولا حتى قصائده في مدحهم بينما نجد القصائد التي قيلت في ملوك الحيرة من المناذرة أو في ملوك الشام من الغساسنة محفوظة لقرب عهدها ولقربها من المواقع التي بدأ فيها التدوين، ونلاحظ أيضاً أن الشاعر طرفة بن العبد الذي توفي بهجر يشير في قصائده إلى ذكرى فترة مبكرة من حياته في هذا الإقليم كما سيأتي معنا، ثم جاءت الهجرة الثانية والتي بدأت خلال القرن الهجري الأول "والحديث هنا ليس عن هجرة الفتوحات الإسلامية ولكن عن هجرات قبائل البادية في الجزيرة العربية داخلها" حيث كانت هجرة قبائل هوازن وبني عامر بن صعصعة إلى بلاد اليمامة، وكان لهذه الهجرات أثراً كبيراً في التباس الأمر على المؤرخين حول المواضع التي عناها الشعراء في شعرهم بعد انتقالهم إلى تلك المناطق إذ كان الكثير من الشعراء قد انتقلوا من شرقي بلاد السراة إلى ديارهم الجديدة فعرفوا لدى الجمهور بسكناهم تلك الديار التي ماتوا بها أو التي انتقلت قبائلهم لها، ومن ثم فقد أسقطت كل المسميات التي وردت في شعرهم على مواقع سكناهم الأخيرة، بل زاد الأمر تشويشاً أن هذه القبائل المهاجرة حملت أسماء مواقعها القديمة إلى مواقعها الجديدة وهي عادة سائدة في بلاد العرب بل وفي كل البشر، لذا رأينا الكثير من المؤرخين يعزي بعض الأسماء المعروفة في جبال السروات وشرقها أو في تهامة إلى جبال أو مواقع في بلاد اليمامة أو البحرين أو العراق أو غيرها ولم يشر إلى وجود نفس الأسماء في هذا الإقليم، وربما كانت هذه الأسماء التي ذكروا غير موجودة فعلياً في

(١) الأكوع، اليمن الخضراء، ص٣١٢.

البلاد التي نسبوها إليها أو ربما كانت اتخذت أسماءها من المواقع الأصلية التي قصدها الشاعر في قصيدته فنجد الإشارات إلى أسماء مواقع في إقليم عسير بعضها لا زالت تحمل أسماءها كما هي حتى الآن مثل الراكس، والقضه، والهرير، والبتيله، وعتود، وبيض، وقنا، والرهوة، والقرعاء، وتهلل، والعقيق، والدخول، والسلان، والردهة، ومعبج، ورياض الرباب، والماوين، وذي الرمث، والبردان ويبمبم، وشواحط، والبرك، والشقيق، وبارق، وخيبر وأثب، والشرى، والنهي... وغيرها كثير، لم يشر لها الرواة في هذا الإقليم بل اكتفوا بذكر مواقع تحمل نفس الأسماء في اليمامة أو البحرين أو في شمال الجزيرة أو في العراق، أو ربما أشاروا لها في نجد أو في الحجاز دون تحديد في أي أرض من نجد أو من الحجاز، بينما هي أسماء مواقع في إقليم عسير لا زالت معظمها تحمل أسماءها حتى الآن، ناهيك عن الأسماء التي تبدلت واختفت، فأسقطت بذلك حتى أسماء الأقاليم التي ينتمي إليها الشعراء والتي وردت في شعرهم على المواقع الجديدة، فرحلت نجد والحجاز وتهامة بكاملها مع من رحل من أهلها من البادية إلى حيث تعهد ذاكرة سكان دمشق والبصرة ومصر وما حواليها من أرض العرب، وأصبحت كلها تقع حيث مواطن سكانها فأصبح كلّ يقارب ويزن ويقيس لتحديد المواقع فيما بين تلك المناطق فقط متجاهلاً مناطق العمق المجهولة بالنسبة له ثم يقلده غيره... وهكذا.

ج- التقسيم الإداري في مراحل تاريخية معينة بناءً على ما تقتضيه المصلحة كان له أثراً كبيراً أيضاً في ترسيخ اللبس الذي وقع في أسماء أقاليم الجزيرة العربية، حيث أن التقسيم الإداري عادة ما يؤدي إلى اعتماده من قبل العامة فيرسخ في الذاكرة الجمعية للمجتمع ومن قبل الجغرافيين الذين يوثقون هذا التقسيم من خلال نقل ما تحمله الذاكرة الجمعية لجيلهم مما يؤدي إلى تغير في المفاهيم على المدى الطويل ومن أمثلة ذلك ما ذكره البكري في القرن الخامس الهجري من أن نجد من أعمال اليمامة[1]، أي أنها كانت تتبع لليمامة إدارياً في عصره، وذلك راجع لكون إمارة آل أبي الجود امتدت على نجران وجرش واليمامة وما بينها من بلاد نجد إلى أن سيطر بني الأخيضر على اليمامة في القرن الثالث[2] فأخذوا ما بيد أبي الجود من بلاد اليمامة وشرقي نجد الواقع بين اليمامة ومكة ما جعل

(١) البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي، معجم ما استعجم، ص١٣.

(٢) الناصر، صالح بن سليمان، ولاية اليمامة دراسة في الحياة الإقتصادية والاجتماعية حتى نهاية القرن الثالث، ص١٧٣، ١٧٤.

اليمامة ترتبط بنجد في الذاكرة الجمعية لقرنين من الزمان، لذا رأينا ياقوت بعده في القرن السادس ينفرد بقوله أن اليمامة معدودة من نجد[1] بعد أن رسخ هذا المفهوم في ذاكرة جيله، ومن الأمثلة على ذلك أيضاً التقسيم الإداري في عهد الدولة العثمانية حيث كان مسمى منطقة مكة المكرمة في ذلك الحين هو "إقليم الحجاز"، وكان يبدأ حده جنوباً من مكة المكرمة وجدة والطائف ثم يتجه شمالاً حتى حدود الأردن الحالية، بينما كانت الأجزاء الجنوبية في عسير مستقلة بحكمها المحلي في تلك المرحلة ولم تدخل تحت إدارة شريف مكة حقيقةً إلا فترات قليلة في نهاية عهد الدولة العثمانية، مما كرس الاسم على مكة وجدة وما حولها وعزل الأجزاء الجنوبية من جبال السروات عن مسمى الحجاز في العقلية الجمعية العربية إلى حد كبير، بينما أهلها في الواقع يتداولون بينهم حسب مفهومهم أن الحجاز هو الخط الذي تمتد عليه القمم المطلة على تهامة من سراة وطنهم كما هو تاريخياً بالفعل.

ومن ثم فمن الواضح أن مسمى الحجاز ونجد وتهامة قد ارتبطت بمسميات إدارية خلال القرون الإسلامية الوسيطة، مما أوقع الكثير من الخلط لدى الجغرافيين والمؤرخين حول تحديدها نظراً لاختلاف المواقع عن الموروث في الأساطير والشعر العربي ومما زاد الأمر سوءاً كثرة ظهور المنحول من الشعر العربي الذي كان ينسب إلى شعراء الجاهلية فيسقط مبتدعو هذا الشعر مفاهيم عصرهم على المراحل السابقة له مما أدى إلى تشويش كبير في فهم التاريخ العربي الجاهلي على وجه العموم، بالإضافة إلى تعصب بعض المؤرخين ومحاولة بعضهم تسخير الجغرافيا والتاريخ والشعر العربي القديم لدعم رواياتهم كما هو حال الهمداني الذي اتهمه الكثير من المؤرخين بانتحال شعر حسان بن ثابت وباستحداث أسماءً من خياله لفرض فكرة فصل العرب إلى عرقين مختلفين وغيره..

الحجاز ونجد وتهامة و (إقليم عسير)

كنتيجة لما تقدم فقد انفرد شمال الجزيرة العربية خاصةً ما وقع بين الشام والعراق من جهة وبين مكة والمدينة من الجهة الأخرى بوجود أقاليم العرب الثلاثة الحجاز ونجد وتهامة فأحال بعضهم المواقع التي ذكرت في الحجاز إلى المنطقة التي تبدأ جنوباً من مكة أو الليث وتمتد شمالاً حتى حدود الشام، وزعم الهمداني أنه سمي حجازاً لأنه يحجز بين الشام واليمن[2] وقد نقل

---

(١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٥/ ص٤٤٢.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الاكوع، مكتبة الإرشاد ـ صنعاء، ص٩٠.

القزويني عنه ذلك[١] ونقل البكري عن الخليل قوله "لأنها حجزت بين الشام والغور"[٢]، واعتبر بعضهم مكة وجده وما شمالهما حجازاً، وهذا وهم لا شك، لأن جدة ومكة والليث في تهامة، ومناطق تهامة ليست من الحجاز لأنها منطقة سهل وساحل ولا تكون حاجزاً بين أرضين فهي لا تحجز بين الشام واليمن، بالإضافة إلى أن الحجاز في تكوينها حقيقةً (أو حتى حسب تعريفهم) هي عبارة عن منطقة مستطيلة تشبه الشريط الممتد من الشمال إلى الجنوب في غرب الجزيرة العربية، وهذا يتنافى لغوياً ومنطقياً مع مفهوم الحجز بين الشام واليمن اللتان تقعان شمالها وجنوبها فالحاجز يفترض فيه أن يكون ممتداً بالعرض بين المنطقتين اللتان يحجز بينهما فتكونان على جانبيه لا على طرفيه لذا فلا منطقية لكون الحجاز يفصل بين الشام واليمن، كما أن الحجاز جزء من الجزيرة العربية ولا يكون حاجزاً بين الغور والشام لأنه بذلك يكون خارج الجزيرة العربية فغور الشام في فلسطين والأردن ولبنان وسوريا وليس في الجزيرة العربية، ولكن تعريف الحجاز اللغوي والمنطقي متوافق تماماً مع كون الحجاز يحجز بين نجد وتهامة كما هو العرف عند ساكنيه أهل عسير والباحة والطائف، وكما ذكر المتقدمون من الجغرافيين والمؤرخين العرب، وكما يشير استنطاق القصائد العربية القديمة، فهي ممتدة على طول المنطقتين وتعترض كحاجز جبلي طبيعي بين المنطقتين وعلى امتدادهما من الشمال إلى الجنوب، ولا زال أهل منطقة عسير يطلقون على المرتفعات الغربية من جبال السروات المتاخمة لتهامة اسم الحجاز فيقال (أهل الحجاز) و(طريق الحجاز) ويطلقون على سكانها الحجازيين (الحِجَزَة باللهجة المحلية وواحدهم حجازي) ويطلقون على السهول الشرقية المحاذية لقمم السراة اسم (نجد) وهذا لا ينفي أنه قد أطلق على المنطقة الواقعة شمال مكة والمدينة حتى تخوم الشام مسمى الحجاز وعلى ما بين مكة والعراق اسم نجد خلال فترات من التاريخ كتقسيم إداري.

وأيضاً فقد وهم من قالوا بأن إقليم نجد هو بلاد اليمامة، فهذا مجانب لحقيقة المسمى في العصر الجاهلي وفي بداية صدر الإسلام حتى القرن الخامس حسب ما يتبين مما ذكره الجغرافيون القدامى ومن دراسة الجغرافيا التاريخية للشعر العربي القديم ومناطق سكنى القبائل التي ذكرت في نجد، ومن المعنى الحرفي للكلمة، فنجد في التعريف اللغوي هي الهضبة المرتفعة عن سطح الأرض المشرفة على ما حولها، ولا تسمي العرب الحز (الجبل أو سلسلة الجبال شديدة التحدب) بالنجد بل تسميها حجازاً، وحيث أن الناس لم يكن لديهم أجهزة لقياس الارتفاعات فإن

---

(١) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٨٤.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ص١٢.

المفترض أن تكون هذه الهضبة واضحة البروز عما حولها لتكون مشرفه وهذا لا يكون واضحاً في أي موقع كما هو في هضبة السراة المحاذية لشعوف الحجاز من الشرق، حيث تكون هضبة نجد مرتفعة عن تهامة بوضوح يفهمه ويراه الناس، ونجد تاريخياً هي بالفعل المنطقة الواقعة إلى شرق قمم جبال السروات، أي أنها تحوي الجزء الشرقي والأكبر من إقليم عسير ومن محافظة الطائف، ولا زال مسمى نجد يستخدم في بعض أجزاء إقليم عسير للدلالة على المناطق الشرقية المحاذية لقمم جبال السروات، ولكن نجد في المفهوم المحلي في الجزيرة العربية وخاصة في تهامة والحجاز ومنذ زمن مبكر أصبحت تدل على الجهة الشرقية مثلما يدل اليمن على الجهة الجنوبية والشام على الجهة الشمالية.

أما تهامه فهي المنطقة الواقعة ما بين هضبة نجد وجبال الحجاز من جانب والبحر الأحمر من الجانب الآخر، وتمتد من عسفان وذات عرق وقيل الجحفة[١] شمال مكة شمالاً إلى بلاد عك وزبيد جنوباً، حيث اعتبر المؤرخون ذات عرق هي نهاية تهامه ونجد والحجاز شمالاً[٢]، ففي ذات عرق تنتهي هضبة السراة ومن ثم تلتقي الحجاز ونجد وتهامة عندها، وقد حدد بعض الجغرافيين تهامة من الشمال بعسفان وذات عرق[٣]، وآخرون عدوا الجحفة وذات عرق منتهى تهامة من الشمال[٤] (وكلها متقاربة)، وهذا هو الأصوب حيث أن الوصف الجغرافي واللغوي لتهامة المتعارف عليه في العربية ينقطع بعد أن نتجاوز عسفان إلى الشمال حيث تكون المنطقة بعدها عبارة عن مجموعة من الحرار والجبال المتقطعة ذات الأودية العميقة التي بها عدة مستويات ولكنه لا يلاحظ وجود انحدار من الشرق للغرب بشكل واضح كما هو في عقبة الهدا وجنوبها على امتداد جبال السروات، وبشكل أوضح يمكن أن نقول بأنه لا توجد سراة تقابلها تهامة منذ أن تتجاوز ذات عرق (شمال السيل الكبير) شمالاً، وتقع ذات عرق شمال الطائف بمسافة ٩٨كم متوسطة بين مكة والطائف والمدينة المنورة والتي تعد كلها من مدن الحجاز حسب الشائع في وقتنا الحالي، وحيث أن تهامة يفترض أن تكون إلى الغرب كما هو معروف فنجد والحجاز بالتالي تكون شرقها، فإما أن نقول أن الحجاز يقع شمالاً ونجد جنوباً أو أن نجد في الشمال والحجاز في الجنوب وهذا ما لم ترد به رواية ولا تؤيده الجغرافيا، ومن ثم فلا أجد مجالاً

---

(١) الحموي، معجم البلدان، جزء٢/ ص٦٣.
(٢) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٩، ١٣.
(٣) الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص٦٣.
(٤) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٩.

لفهم أن تكون ذات عرق حداً بين نجد وتهامة والحجاز كما ذهب معظم الجغرافيين[١] إلا بصفتها نقطة انتهاء امتداد الثلاثة أقاليم إلى الشمال أو امتدادها إلى الجنوب، وفي حالة اعتبارها نهاية الثلاثة أقاليم من الجنوب فإننا نكون بذلك قد أخرجنا الطائف ومكة وجدة من الأقاليم الثلاثة، لذا فلا مجال أمامنا إلا أن نقول بأن ذات عرق هي نقطة نهاية الأقاليم الثلاثة من الشمال لذا تلتقي عندها الأقاليم الثلاثة، حيث أن ذات عرق تمثل نهاية طبيعية لهضبة السراة بالفعل فتنقطع عليها شمالاً نجد وتنقطع تهامة وبالتالي ينقطع الحد الفاصل بينهما وهو الحجاز فتلتقي الثلاثة الأقاليم في نقطة انقطاعها حيث تبدأ منطقة "جلس" الممتدة ما بين المدينة المنورة وجبال أجا وسلمى وغرباً تمتد إلى ما قبل سواحل "جناب" من بلاد قضاعة التي تمتد حتى شبه جزيرة سيناء، ومسمى (جلس) هو مسمى متلائم مع الواقع الجغرافي لهذه المنطقة التي يمكن أن نقول بأنها لا هي نجدية ولا تهامية، أي إنها في وضع الجلوس الذي يمثل نقطة بين الوقوف والاستلقاء، أما حد تهامة من الجنوب فهي تمتد حتى تصل إلى ديار عك والأشاعرة[٢]، وقد يشكل على البعض فهم أن يكون جزء من تهامة داخل في اليمن فيكون من منطقتين وهذا الإشكال صحيح من الناحية الجغرافية ولكنه راجع لكون اسم اليمن له بعد سياسي ربط حدودها بامتداد نفوذ حكامها على الجزء الجنوبي من تهامة، ولعل العصور الغابرة والسابقة لخضوع هذا الجزء من تهامة لحكام اليمن الذين كانوا في مأرب وظفار وما حولهما لم تكن معدودة من اليمن، فتهامة هي موطن العدنانيين القديم في عرف أهل الأخبار[٣]، فنحن نجد أنه حتى تهامة اليمن تغلب عليها قبائل عك المنسوبة إلى العدنانية منذ القدم، لذا فالأرجح أن اليمن هي في الأساس تعني الجبال الممتدة من الشرق إلى الغرب والتي تبدأ من ما بين مدينة صعدة وعدن إلى جبال عمان، بالإضافة لسواحلها الممتدة على بحر العرب.

وهذه الحدود التي ذكرنا ليست حدوداً سياسية محددة لذا فهي ليست قطعية ولا واضحة المعالم فهي تقديريه يختلف دائماً حولها المؤرخون ما عدا حد تهامة من جهة الشرق فهو خط جغرافي واضح، وحد اليمن مع الحجاز فهو محدد بنقاط معينة تشكل خطاً يمتد ما بين جبل كدمل في وسط البحر إلى طلحة الملك التي حددها النبي ﷺ كحد بين الحجاز واليمن[٤] ثم إلى

---

(١) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٩.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ص٩.

(٣) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٥/ ص٣٤٥.

(٤) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله، المسالك والممالك، ص١٨٩.

بطن يبرين، لذا فإننا نجد هنالك خلط وتناقض لدى بعض المؤرخين بين مرة وأخرى عندما يشيرون إلى بعض القرى والجبال والأودية، فتجدهم يحددونها مرة في الحجاز ومرة في نجد ومرة في تهامة، فتجد هذا يحدد تبالة في نجد وذاك يحددها في تهامة وذاك يوردها في الحجاز، وحتى الأقاليم نفسها تجد من يقول أن الحجاز من نجد، ومن يقول أن نجد من الحجاز، ومن يقول أن الحجاز ونجد واحد(١).

ولكن ما يعنينا هو تحديد الجهة المركزية للموقع المقصود بكل قسم من أقسام الجزيرة العربية الرئيسية على وجه العموم، وليس تعيين الحدود بدقة.

تقسيم الجزيرة العربية عند الجغرافيين وفي الشعر العربي

قسم المؤرخون والجغرافيون القدامى جزيرة العرب إلى خمسة أقسام رئيسية وهي:

أ- تهامة: وهي السهول الواقعة بين جبال الحجاز (السروات) والبحر الأحمر.

ب- الحجاز: وهي مرتفعات جبال السراة الغربية التي تحجز بين تهامة ونجد.

ج- اليمن: وهي المنطقة الواقعة في الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية.

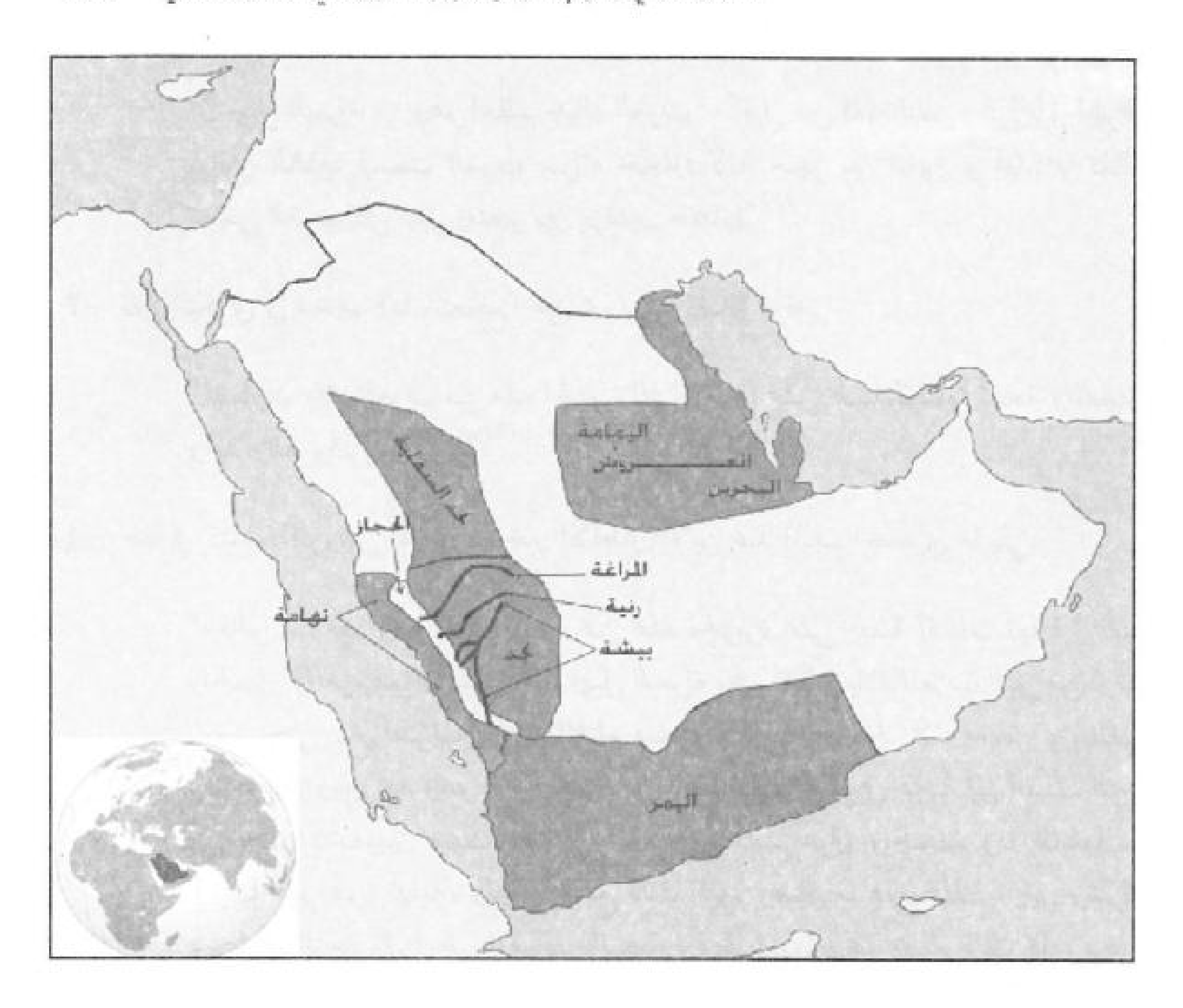
د- العروض: وتشمل اليمامة والبحرين.

هـ- نجد: وهي الهضبة التي تبدأ من قمم سلسلة جبال الحجاز وتمتد إلى الشرق.

وجمهور المؤرخين على اتفاق على هذا التقسيم المتقدمين منهم والمتأخرين ما عدى ياقوت في أحد أقواله، وممن روي عنه هذا التقسيم الصحابي الجليل/ عبدالله بن عباس رضي الله عنه، مما يدل على قدم واستفاضة هذا التقسيم فيما قبل الإسلام.

---

(١) البكري، معجم ما استعجم، ص ٨.



ونورد هنا بعض أقوال المؤرخين في تقسيم مناطق الجزيرة العربية:

١- جاء في صفة جزيرة العرب للهمداني ما يلي:

"فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوا بها وتوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب وفي أشعارها: تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن" (١)

٢- جاء في كتاب (أدب الخواص) للوزير المغربي (توفي ٤١٨هـ) ما يلي:

"و نبدأ بقول أبي جعفر محمد بن حبيب مولى بني هاشم و الذي بلغنا عنه أن جزيرة العرب خمسة أقسام، و هي الحجاز و تهامة و نجد و العروض و اليمن، قال: و ذلك

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد بصنعاء، الطبعة الأولى -١٤١٠هـ ص٨٥.

أن جبل السراة - وهو أعظم جبال العرب - أقبل من قعر اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام، فسمت العرب سراته حجازا لأنه حجز بين الغور و نجد. و كذلك تسمي العرب كل جبل يحتجز بين أرضين حجازاً"(١).

٣- نقل البكري في معجم (ما ستعجم) عن محمد بن فضالة قوله:

"فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوها على خمسة أقسام: تهامة والحجاز، ونجد والعروض، واليمن"(٢).

٤- جاء في كتاب (الروض المعطار في خبر الأقطار) لابن عبد المنعم الحميري ما يلي:

"وقالوا:... فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة على خمسة أقسام: تهامة والغور والحجاز والعروض واليمن، لأن جبل السراة وهو أعظم بلاد العرب أقبل من أرض اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازاً، لأنه حجز بين الغور وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعك وكنانة وغيرها إلى ذات عرق والجحفة وما طابقها من أرضها فهو غور تهامة، وتهامة تجمع ذلك كله، وصار ما دون ذلك الجبل وشرقيه صحاري النجد إلى أرض العراق والسماوة وما يليهما ونجد يجمع ذلك كله، وصار الجبل نفسه وما احتجز في شرقيه من الجبال وانحاز إلى ناحية فيد إلى المدينة ومن بلاد مذحج تثليث وما دونها إلى ناحية فيد حجازاً، والحجاز يجمع ذلك كله، وصارت بلاد اليمامة وما والاها العروض"(٣).

٥- نقل ياقوت الحموي في معجم البلدان ما يلي:

"جزيرة العرب قد اختلف في تحديدها وأحسن ما قيل فيها ما ذكره أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب مسندا إلى ابن عباس قال اقتسمت العرب جزيرتها على خمسة

---

(١) المغربي، الوزير أبو القاسم الحسين بن علي، أدب الخواص، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٩٣، ٩٤.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٦، ٧.

(٣) الحميري، محمد بن عبدالمنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية ـ ١٩٨٤م ص١٦٤.

أقسام قال وإنما سميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة الأنهار والبحار بها من جميع أقطارها وأطرافها فصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر ...... إلى أن قال: فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوها وتوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب في أشعارها وأخبارها تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن"[(١)].

٦- نقل القلقشندي في كتاب قلائد الجمان في التعريف بعرب الزمان عن المدائني قوله:

"وجزيرة العرب هذه تشتمل على خمسة أقسام: تهامة، ونجد، وحجاز، وعروض، ويمن"[(٢)].

٧- جاء في كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ما يلي:

"وقد قسموا جزيرة العرب إلى خمسة أقسام: الحجاز، وتهامة، واليمن، والعروض، ونجد. ويرجع الرواة أقدم رواياتهم في هذا التقسيم إلى عبد الله بن عباس"[(٣)].

٨- ذكر محمد مهران في كتاب تاريخ العرب القديم ما يلي:

"وأما الكتاب العرب فقد قسموا شبه الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام هي: اليمن وتهامة والحجاز ونجد واليمامه (وتسمى أيضاً العروض)"[(٤)].

٩- يقول توفيق برو في كتاب تاريخ العرب القديم:

"لقد قسم جغرافيو العرب القدماء شبه جزيرة العرب إلى خمسة أقسام هي: تهامة، الحجاز، اليمن، نجد، اليمامة والعروض. غير أنني (والكلام هنا لتوفيق) أفضل أن أسير في دراسة جغرافيتها حسب تقسيم حديث يكون أسهل للفهم"[(٥)].

---

(١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٢/ ص١٣٧.

(٢) القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ص٩.

(٣) علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ط٢، ١٤١٣هـ ج١/ ص١٦٧.

(٤) مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، ط٢، ٢٠٠٥م، ص٨٥.

(٥) برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، دار الفكر المعاصر ـ بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ، ص٢٠.

١٠- قسم "لطفي عبدالوهاب يحي الجزيرة العربية حسب تصور العرب لها في العصور القديمة إلى خمسة أقسام وهي الحجاز وتهامة واليمن والعروض ونجد"[١].

إذن فنحن أمام ما يشبه الإجماع على استفاضة وأصالة هذا التقسيم في العهود القديمة.

وهنا فإننا أمام تقسيم مختلف عن ما هو متعارف عليه في العصر الحديث، فقد عزل هذا التقسيم تهامة عن الحجاز وعزل بلاد اليمامة عن نجد وذكر اسماً غير معروف في هذا الزمان وهو العروض يضم اليمامة والبحرين !.

لنبدأ إذن بمعرفة تحديد المؤرخين والجغرافيين العرب لكل من هذه الأقسام أولاً بأول.

أ- تهامة:

تهامة موضع معروف على العموم من بلاد العرب إلا أن هنالك في عصرنا تداخل بين مدلولها التاريخي وبين الحجاز حيث درج الناس على أن تهامة هي ما وقع في منطقة عسير فقط وعدّوا الجزء الشمالي من تهامة والذي به جدة ومكة وما حولها جزءاً من أرض الحجاز بينما الحقيقة أن جدة ومكة محسوبة تاريخياً كجزء من تهامة ولم تعرف في العصر الجاهلي ولا في زمن الرسول ﷺ ولا في زمن الخلافة الراشدة كجزء من الحجاز، وربما بدأ الخلط بعد أن أصبحت مكة والمدينة اسمين مرتبطين ببعضهما سياسياً بعد انتقال الخلافة إلى الشام وحروب الأمويين مع ابن الزبير والأنصار في مكة والمدينة، فقد كان يشار للنبي ﷺ بالنبي التهامي في كل كتب السيرة ولم يكن يشار له بالحجازي ولا لمكة بالحجازية، ونجد الدلالة على ذلك فيما روته كتب السيرة والشعر القديم ومنها:

- جاء في تاريخ أبي الفداء للملك المؤيد إسماعيل بن أبي الفداء:

"التهامي منسوب إلى تهامة وهي تطلق على مكة ولذلك قيل للنبي ﷺ تهامي لأنه منها"[٢].

---

(١) يحي، لطفي عبدالواحد، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٠٠ - ١٠٣.

(٢) أبي الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر، ص٢٩٣.

• جاء في نثر الدر للآبي (ورواها أبو حيان التوحيدي في البصائر والذخائر بسند آخر):

"حدثنا الصاحب كافي الكفاة رحمة الله عليه عن الأبجر عن ابن دريد عن عمه عن ابن الكلبي عن أبيه قال: ورد بعض بني أسد من المعمرين على معاوية فقال له: ما تذكر؟ قال: كنت عشيقاً لعقيلة من عقائل الحي أركب لها الصعب والذلول، أتهم وأنجد وأغور لا آلو مرباة في متجر إلا أتيته، يلفظني الحزن إلى السهل، فخرجت أقصد دهماء الموسم، فإذا أنا بقباب سامية على قلل الجبال مجللة بأنطاع الطائف وإذا جزر تنحر، وأخرى تساق، وإذا رجل جهوري الصوت على نشز من الأرض ينادي: يا وفد الله: الغداء، الغداء إلا من تغدى فليخرج للعشاء. قال: فجهرني ما رأيت فدلفت أريد عميد الحي، فرأيته على سرير ساسم على رأسه عمامة خز سوداء كأن الشعرى العبور تطلع من تحتها، وقد كان بلغني عن حبر من أحبار الشام أن النبي التهامي هذا أوان مبعثه. فقلت: عله. وكدت أفقه به. فقلت: السلام عليك يا رسول الله... الخ[1]".

• قال المتنبي في بائيته التي مدح بها أبا القاسم طاهر بن الحسين العلوي:

وأبهر آيات التهامـــي أنــه ... أبوك وأجدى ما لكم من مناقب[2]

• قال جمال الدين محمود بن الأمير الحلبي (المصدر: العقود الدرية لمحمد بن قدامة) في مرثيته لابن تيمية رحمهما الله:

هـــو في رتبة النبيين فاعلم ... هكذا أخبـــر النبـــي التهامـــي
قدته الدنى مع الدين والعلـ ... ـــم كل الزهـــاد والأيتـــام[3]

• يقول ابن الجوزي في المدهش:

"لما بعث الملك إلى نبينا برسالة "اقرأ" فتر الوحي بعدها مدة، مات قوس الشوق فرمت الكبداء الكبد، بكبد أعجز المكابدة، فكان يهم لما يلقي بإلقاء نفسه من ذروة

---

(١) الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين، نثر الدر، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ، الجزء ٦/ ص٥.

(٢) ناصيف اليازجي، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، دار القلم ـ بيروت، ط٢، ص٢٣٣.

(٣) محمد بن أحمد بن عبدالهادي المقدسي، العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ص٤٩٤.

الجبل، فإذا بدا له جبريل بدله، ثم رميت الشياطين عند مبعثه بأسهم الشهب، عن قوس "ويُقذفون من كل جانب" فمروا إلى المغارب، ومشوا إلى المشارق، ليقطعوا سبسب السبب، فجرت ريح التوفيق، بمراكب بعضهم إلى تهامة، فصادفوه في الصلاة، فصاد فوه قلوب القوم، فصاحت ألسنة الوجد "إنّا سمعنا قرآناً عجبا"[(١)] "

والأمثلة على ذلك كثيرة، ولكننا سنكتفي بما أوردنا مما يحمل التأكيد على أن النبي ﷺ كان معروفاً بانتمائه إلى تهامة.

ونتجه لمعرفة رأي الجغرافيين في هذا الخصوص.

ما قاله الجغرافيون في تحديد تهامة

١- يقول الهمداني في صفة جزيرة العرب:

"وذلك أن جبل السراة........ إلى أن قال: فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعكٍّ وحكم وكنانة وغيرها ودونها إلى ذات عرق والجحفة وما صاقبها وغار من أرضها - الغور غور تهامة وتهامة تجمع ذلك كله"[(٢)].

ذكر البكري في معجمه ما يلي:

"وطول السراة ما بين ذات عرق إلى حد نجران اليمن.... إلى أن يقول: فصار ما خلف هذا الجبل في غربيه إلى أسياف البحر، من بلاد الأشعريين وعك وكنانة، إلى ذات عرق والجحفة وما والاها وصاقبها وغار من أرضها: الغور غور تهامة، وتهامة تجمع ذلك كله، وغور الشام لا يدخل في ذلك).... إلى أن يقول: وذات عرق فصل ما بين تهامة ونجد والحجاز. وقيل لأهل ذات عرق: أمتهمون انتم أم منجدون؟ قالوا: لا متهمون ولا منجدون... إلى أن قال: ومن المدينة إلى طريق مكة، إلى أن تبلغ الاثاية مهبط العرج: حجاز. وما وراء ذلك فهو تهامة، إلى مكة، إلى جدة، إلى ثور وبلاد عك وإلى الجند، وإلى عدن أ بين، هذا غور كله من ارض تهامة... ثم يقول: وأما تهامة، فإنك إذا هبطت من الأثاية إلى الفرع وغيقة، إلى طريق مكة، إلى أن

---

(١) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي، المدهش، نسخ وتنسيق وترتيب مكتبة مشكاة الإسلامية، ص٧٤.

(٢) الهمداني، الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد صنعاء، ط١، ١٤١٠هـ، ص٨٥.

تدخل مكة: تهامة، إلى ما وراء ذلك من بلاد عك، كلها تهامة، والمجازة وعليب وقنوني ويزن، كلها تهامة، وأنت إذا انحدرت في ثنايا ذات عرق متهم إلى أن تبلغ البحر، وكذلك إذا تصوبت في ثنايا العرج إلى أقصى بلاد بني فزازة أنت متهم[١].

٣- جاء في معجم البلدان لياقوت ما يلي:

"ثم تخرج من مكة فلا تزال في تهامة حتى تبلغ عسفان بين مكة والمدينة وهي على ليلتين من مكة ومن طريق العراق إلى ذات عرق هذا كله تهامة"[٢].

٤- جاء في مغجم البلدان لياقوت:

والجحفة أول الغور إلى مكة وكذلك هي من الوجه الآخر إلى ذات عرق وأول الثغر من طريق المدينة أيضاً الجحفة وحذف جرير الهاء وجعله من الغور، فقال:

قد كنت أهوى ثرى نجد وساكنه ... فالغور غورا به عسفان والجحف
لما ارتحلنا ونحو الشـــام نيتنا ... قالت جعادة هـذي نـية قـذف[٣]

٥- قال ياقوت:

"وقال الشرقي بن القطامي تهامة إلى عرق اليمن إلى أسياف البحر إلى الجحفة وذات عرق"[٤]

٦- قال ياقوت:

"فمكة من تهامة والمدينة والطائف من نجد والعالية"[٥].

---

(١) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٩، ١٣.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٤٧٥.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٤٧٥.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٤٤٠.

(٥) الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٤٩٥.

ب ـ الحجاز:

الحجاز حسب تعريف قدامى الجغرافيين العرب هي تلك المنطقة التي تحجز بين هضبة نجد وسهول تهامة وقد اتخذت اسمها من ذلك كما سيأتي معنا، وهي عبارة عن سلسلة من الجبال المترابطة التي تشرف على تهامة مباشرة والممتدة من الشمال إلى الجنوب، وتتسع وتضيق هذه المنطقة بين موقع وآخر، والحجاز يسكنها في الغالب أهل القرى والزراعة المستقرون عبر التاريخ، وهذا حالها منذ العصر الجاهلي يقول الأخنس بن شهاب التغلبي:

ونحن أناس لا حجاز بأرضنا   مع الغيث ما نلقي ومن هو عازب[١]

وهذا يدل على استفاضة سكنا أهل المدر والزراعة في الحجاز، لذا نجدها أقل أثراً في الشعر العربي الجاهلي، لذلك كانت محط الاختلاف في تحديدها، والمؤرخون حول حدود الحجاز من الشمال على رأيين فهي عند بعضهم تنتهي في الشمال في قرية ذات عرق[٢] الواقعة على طريق وادي السيل الواصل من الحوية إلى مكة والمار من شمال الطائف وهي ميقات أهل العراق وذكر بعضهم أن ذات عرق تقع شمال طريق وادي السيل ولكنها ليست قرية السيل الكبير بذاتها وهما على نفس المسافة من مكة (على مرحلتين من مكة)، وتبعد ذات عرق مسافة ٩٨كم شمال غرب الطائف[٣]، مما يدل على تقاربهما ومنهم من قال أن الحجاز يمتد حتى المدينة المنورة[٤]، وبعضهم ذكر امتداده إلى تخوم الشام دون تحديد لنقطة تنتهي بها هذه التخوم[٥]، ولكن الراجح أن ما وقع شمال وشرق المدينة المنورة حتى جبال أجى وسلمى كان يسمى "جلس"[٦]، ويقابلها إلى الغرب من المدينة المنورة في جهة البحر من بلاد كلب وبقية قضاعة "جناب"[٧] والتي تمتد شمالاً إلى حدود الأردن، وبعضهم قسم الحجاز إلى قسمين الحجاز الأسود وهو ما وقع بين الطائف وجرش (حاضرة عسير قديماً وتقع على بعد ٢٧كم جنوب

---

(١) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٨٦.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٩ ـ ياقوت، معجم البلدان، ص٤٩٥.

(٣) جريدة الرياض، العدد١٥٢٤٨، بتاريخ ٨ ربيع الأول ١٣٣١هـ، صفحة تحقيقات وتقارير، عنوان المقال: "ميقات ذات عرق مهجور ومغيب عن برامج الحج والعمرة".

(٤) البكري، معجم ما استعجم، ص١٣.

(٥) الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٥٥٥.

(٦) البكري، المصدر السابق، جزء١/ ص١١.

(٧) البكري، المصدر السابق، ج١/ ص١٣.

شرق أبها) وحجاز المدينة وهو المدينة المنورة وما حولها[١]، وقد ربط الجغرافيون مسمى السراة بمسمى الحجاز فأطلقوا عليها السراة أو الحجاز وقد تسمى أيضاً بالطود[٢]، أما من جهة الجنوب فقد انقسم الجغرافيون بين من اعتبر الحجاز ينتهي بجرش[٣]، ومن اعتبره ينتهي بنجران[٤]، وبعضهم قال أنه يبدأ من قعرة أو بطن اليمن[٥] دون تحديد النقطة المقصودة، والأصوب أن الحجاز بالتحديد يبدأ من طلحة الملك الواقعة في أقصى جنوب أحواز جرش والتي تمثل حداً بين الحجاز واليمن، حيث أن النبي قد جعلها حداً بين الإقليمين[٦]، وهي على الحدود السعودية اليمنية حالياً كما سيأتي معنا في فصل "اليمن"، وتقع نجران ضمن امتدادها الشرقي حيث تنكسر هضبة السراة عندها إلى اتجاه الشرق وتنتهي عند نجران، حيث بداية صحراء يبرين (الربع الخالي) من الشرق وبداية جبال صعدة جنوباً التي تليها نجد اليمن، ونعرض الآن بعض ما قيل في تعريف الحجاز لدى قدماء الجغرافيين.

ما قاله الجغرافيون في تحديد الحجاز

١- ذكر ياقوت في معجم البلدان:

"وقال الأصمعي في موضع آخر من كتابه الحجاز من تخوم صنعاء من العبلاء وتبالة إلى تخوم الشام وإنما سمي حجازا لأنه حجز بين تهامة ونجد فمكة تهامية والمدينة حجازية والطائف حجازية[٧]".

---

(١) البكري، معجم ما استعجم، ص١٣.

(٢) دعبل الخزاعي، وصايا الملوك، ص٣٦.

(٣) دعبل الخزاعي، وصايا الملوك، ص٣٦.

(٤) البغدادي، عبدالقادر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ ص٣٨٥.

(٥) ١ـ الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٨٥، ٢ـ محمد بن عبدالمنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية ـ ١٩٨٤م، ص١٨٨، ٣ـ أبى عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري الاندلسي، معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ الجزء الأول/ ص٨.

(٦) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله، المسالك والممالك، ص١٨٩.

(٧) الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٥٥٥.

٢- يقول الهمداني:

"*وذلك أن جبل السراة وهو أعظم جبال العرب وأذكرها أقبل من قعرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازاً لأنه حجز بين الغور وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر*"[١].

٣- جاء في كتاب (الروض المعطار في خبر الأقطار) لابن عبد المنعم الحميري ما يلي:

"*الحجاز: وجبل السراة هو الحد بين تهامة ونجد، لأنه أقبل من اليمن، وهو أعظم جبال العرب حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازاً*"[٢].

٤- جاء في معجم ما استعجم للبكري ما يلي:

"*وأما نجد، فما بين جرش إلى سواد الكوفة، وآخر حدوده مما يلي المغرب الحجازان: حجاز الأسود وحجاز المدينة، والحجاز الأسود سراة شنوءة*"[٣].

٥- نقل عبدالقادر البغدادي في كتاب (خزانة الأدب ولب لباب النسب) عن أبو عبيد قوله:

"*وطول السراة: ما بين ذات عرق إلى حد نجران اليمن... إلى أن قال: وصار الجبل نفسه سراته وهو الحجاز. وما احتجز به في شرقيه من الجبال وانحاز إلى ناحية فيد والجبلين إلى المدينة ومن بلاد مذحج تثليث. وما دونها إلى ناحية فيد فذلك كله حجاز*"[٤].

٦- يقول دعبل الخزاعي(١٤٨ـ٢٤٦هـ) في كتابه (وصايا الملوك):

"*الطود، وهي البلاد التي يقال لها السراة، وهي فيما بين الطائف وجرش*"[٥].

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٨٥.

(٢) الحميري، محمد بن عبدالمنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م، ص١٨٨.

(٣) البكري، معجم ما استعجم، ص١٣.

(٤) البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ص٣٨٥.

(٥) دعبل الخزاعي، وصايا الملوك، ص٣٦.

٧- نقل النويري في فنون الأدب عن محمد بن السائب الكلبي قوله:

"أن الله عز وجل لما خلق الأرض، مادت بأهلها. فضربها بجبل السراة فاطمأنت. وهو أعظم جبال العرب وأكثرها خيرا، ويسمى الحجاز. وهو الذي حجز بين تهامة ونجد. فتهامة من جهته الغربية مما يلي البحر، ونجد من جهته الشرقية"[١].

٨- جاء في كتاب آثار البلاد وأخبار العباد لزكريا بن محمد بن محمود القزويني ما يلي:

"وبها جبل السراة قال الحازمي: انها حاجزة بين تهامة واليمن وهي عظيمة الطول والعرض والامتداد ولهذا قال الشاعر: قال ابو عمرو بن العلاء: افصح الناس أهل السروات أولها هذيل ثم بجيلة ثم الأزد أزد شنوءة"[٢].

٩- يقول البكري في معجمه:

"وجبل السراة هو الحد بين تهامة ونجد. وذلك أنه أقبل من قعرة اليمن، وهو أعظم جبال العرب، حتى بلغ أطراف بوادي الشام، فسمته العرب حجازاً"[٣].

١٠- وقال أيضاً:

وذات عرق فصل ما بين تهامة ونجد والحجاز. وقيل لأهل ذات عرق: أمتهمون أم منجدون؟ قالوا: لا متهمون ولا منجدون. وقال شاعر:

ونحن بسهب مشرف غير منجد ولا متهم فالعين بالدمع تذرف[٤]

١١- وجاء فيه أيضاً:

"وقال محمد بن سهل عن هشام أبيه: حدود الحجاز: ما بين جبلي طيء إلى طريق العراق، لمن يريد مكة، إلى سعف تهامة، ثم مستطيلا إلى اليمن. قال: والجلس: ما بين

---

(١) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قمحية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ج١/ ص٢٠٧.

(٢) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٨٤.

(٣) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٨.

(٤) البكري، مصدر سابق، ج١/ ص٩.

الجحفة إلى جبلي طيء. والمدينة جليسة. ويشهد لك أن المدينة جليسة قول مروان بن الحكم للفرزدق، وتقدم إليه إلا يهجو أحدا، ومروان يومئذ والى المدينة لمعاوية:

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس

يقال: جلس إذا أتى الجلس، أي أئت المدينة لأن تركت الهجو[١].

١٢- ونقل البكري عن الزبير بن بكار قوله:

"سألت سليمان بن عياش السعدي: لم سمي الحجاز حجازا؟ فقال: لأنه حجز بين تهامة ونجد. قلت: فما حد الحجاز؟ قال: الحجاز ما بين بئر أبي بكر بن عبد الله بالشقرة، وبين اثاية العرج. فما وراء الاثاية من تهامة"[٢].

١٣- ورد لدى البكري قوله:

وقال طرفه، وهو يومئذ بناحية تبالة وبيشة وما يليها:

ولكن دعا من قيس عيلان عصبة يسوقون في أعلى الحجاز البرابرا[٣]

وقول البكري أن طرفة كان بناحية تبالة وبيشة عندما أشار إلى أعلى الحجاز توحي بمجاورة هذه المواقع للحجاز الذي يقصده في الأبيات، كما أن قول طرفة "في أعلى الحجاز" تدل على أنه يتحدث عن الحجاز كما يعرفه الناس في إقليم عسير وهو قمم جبال السروات المطلة على تهامة، حيث يتجه الارتفاع تدريجياً من الشرق حيث أسفل بيشة وتبالة إلى الغرب حيث مصباتها من قمم جبال السراة التي تنحدر شرقاً على بيشة وتبالة وترج وتنحدر غرباً على تهامة بحدة.

١٤- نقل البكري من المأثور:

" أطيب البلاد: نجران من الحجاز، وصنعاء من اليمن، ودمشق من الشام، والري من خراسان"[٤]

---

(١) البكري، المصدر السابق، ج١/ ص١١.

(٢) البكري، المصدر السابق، ج١/ ص١١.

(٣) البكري، المصدر السابق، ج١/ ص١٦.

(٤) البكري، المصدر السابق، ج٢/ ص٤٧٩.

١٥ - ويقول البكري:

"تثليث: بكسر اللام وياء ساكنة وثاء أخرى مثلثة موضع بالحجاز قرب مكة، ويوم تثليث من أيام العرب بين بني سليم ومراد"[١].

ومما تقدم نجد أن الجغرافيين العرب قد حددوا بلاد الحجاز بالمنطقة التي تحجز بين تهامة ونجد والواقعة ما بين الطائف وجرش وقيل من نجران أو طلحة الملك إلى ذات عرق وقال بعضهم من اليمن حتى بوادي الشام، ولا شك أن مفهوم اليمن فيما ورد لا يعني اليمن بمفهومها السياسي إذ اعتبر الكثير من المؤرخين ما وقع جنوب مكة (يمن) اصطلاحاً، ولا يخرج المعنى في أساسه عن كونه إشارة إلى الجهة اليمانية (الجنوبية)، وكذلك الشام لا نملك تحديده بدقة إلا أن هنالك من المؤرخين من تلبس عليه الأمر وهو ينقل عن سواه، وإذا نظرنا إلى المساحة الواقعة في إقليم عسير من جبال السراة والتي تمتد من نهاية منطقة الطائف حتى طلحة الملك من عمق جبال الحجاز أو إلى نجران في نهايتها الجنوبية الشرقية، نجد أنها تمثل جزءاً رئيسياً من منطقة الحجاز.

ج- اليمـــن

اليمن هي الإقليم الأكثر كثافة سكانية وتنظيماً إدارياً والأكثر ارتباطاً بمركزية الحكم في تاريخ الجزيرة العربية، فهو الإقليم الوحيد الذي ظل يملك حدوداً سياسية واضحة حيث بقي هذا الإقليم له ولاية إدارية على امتداد تاريخه، لذا نجد أنه حتى وإن كان هنالك تشويش من ناحية مفهوم كلمة اليمن والخلط بين اليمن كإقليم وبينها كجهة يمانية، إلا أن هنالك دائماً وضوح في حدود اليمن مع الأقاليم المجاورة خاصةً في فترة ما بعد الإسلام وحتى الآن في كتب التاريخ لمن يعرف المواقع هنالك.

واليمن من الناحية الجغرافية تبدأ عند بداية انعطاف امتداد جبال السروات إلى الشرق لتمتد جبال اليمن من الشرق إلى الغرب، ونجد في التاريخ أن الحدود اليمنية الإدارية التي عرفت بين مكة واليمن قد حددت من جهة جبال السروات بطلحة الملك[٢]، والتي تقع في بلاد وادعة على قول الهمداني، وهنالك قريتان متقاربتان تحملان نفس الاسم "الطلحة" إحداهما تقع داخل الحدود اليمنية شمال صعدة وتسمى "الطلح" والأخرى لا زالت معروفة باسمها "الطلحة" على

---

(١) الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص١٥، ١٦.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣٥، ١٣٧، ١٨٩.

الحدود السعودية اليمنية، وقد حدد المؤرخ اليمني محمد الأكوع محقق الكتاب في الحاشية "طلحة الملك" بأنها الواقعة شمال صعدة بالقرب من ظهران الجنوب، وهذا ينطبق على أي الموقعين فكلاهما مجاورين للحدود السعودية اليمنية ولظهران الجنوب، أما من جهة تهامة فقد حددها الهمداني بأم جحدم وحمضة وجبل كدمل[1]، وقد حدد الهمداني جبل حمضة بأنه في تهامة بلاد خولان[2]، ولا زالت الحمضة (الحميضة) معروفة في محافظة حجة في اليمن قرب الحدود السعودية اليمنية، كما حدد مؤرخ اليمن محمد الأكوع (محقق الكتاب) موقع جبل "كدمل" بأنه الجبل الواقع غربي قرية الموسم التي تقع على الحدود السعودية اليمنية حالياً من جهة البحر[3]، كما حددت المصادر التاريخية بين اليمن وبين اليمامة بصحراء يبرين (الربع الخالي) وهي صحراء فاصلة منقطعة، أما من الجنوب فيحدها بحر العرب ومن الغرب البحر الأحمر ومن الشرق خليج عمان.

وبلاد اليمن تعتبر الأرض الأكثر خصوبة وكثافة سكانية في الجزيرة العربية لذا فقد أطلق عليها الرومان والإغريق اسم العربية السعيدة أثناء رحلات التجارة الأوروبية المتجهة لليمن، حيث كانت اليمن تصدر اللبان العربي والبخور وفي مراحل متأخرة تصدر البن إلى أوروبا، لذا فلا غرابة أن اليمن بما تملكه من ميزات جغرافية وطبيعية هي الأعلى في الكثافة السكانية في الجزيرة العربية، والأكثر ارتباطاً بإقامة المدينة، وحدود اليمن الجنوبية والغربية والشرقية واضحة من حيث كونها بحاراً ثابتة، أما من الشمال فيمكن أيضاً معرفة حدوده من خلال ما ذكرناه سابقاً عن الحدود الجنوبية للحجاز، بالإضافة لما سننقل هنا مما قيل عن حدود اليمن.

ما قاله الجغرافيون في تحديد اليمن

١- يقول الهمداني:

"سميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها، والبحر مطيف بها من المشرق إلى الجنوب فراجعاً إلى المغرب، ويفصل بينها وبين باقي جزيرة العرب خط يأخذ من حدود عمان ويبرين إلى حد ما بين اليمن واليمامة فإلى حدود الهجيرة وتثليث وأنهار جرش وكتنة، منحدراً في السراة على شعف عنز، إلى تهامة على أم

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٩٠.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٢٥.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٩٠.

جحدم، إلى البحر حذاء جبل يقال له كُدُمُلْ، بالقرب من جِمَضَة، وذلك حد ما بين بلد كنانة واليمن من بطن تهامة"[١].

٢- ذكر القلقشندي في صبح الأعشى:

"اليمن قال في اللباب بفتح المثناة التحتية والميم وفي آخرها نون قال وينسب إليه يمني ويماني وهو قطعة من جزيرة العرب يحدها من الغرب بحر القلزم ومن الجنوب بحر الهند ومن الشمال بحر فارس ومن الشرق حدود مكة حيث الموضع المعروف بطلحة الملك وما على سمت ذلك إلى بحر فارس"[٢].

وقال في موضع آخر:

"وفيما بين سروم راح والمهجرة طلحة الملك: وهي شجرةٌ عظيمة، وهناك حد ما بين عمل مكة المشرقة وعمل اليمن"[٣]

٣- يقول جواد علي في المفصل:

"وفيما بين "سروم راح" والمهجرة طلحة الملك، شجرة عظيمة تشبه الغرب، غير أنها أعظم منه، وهي الحد ما بين عمل مكة وعمل اليمن. وكان النبي حجز بها بين اليمن ومكة"[٤].

٤- جاء في كتاب معجم ما استعجم للبكري قوله:

"وحد اليمن مما يلي المشرق: رمل بني سعد، الذي يقال له يبرين، وهو منقاد من اليمامة حتى يشرع في البحر بحضرموت، ومما يلي المغرب: بحر جدة إلى عدن أبين، وحدها الثالث: طلحة الملك إلى شرون وشرون: من عمل مكة، وحدها الرابع: الجوف ومأرب، وهما مدينتان[٥]".

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٩٠.
(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥/ ص٦.
(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥/ ص٤٤.
(٤) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٧/ ص٣٦٢.
(٥) أبي عبيد الله البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص١٦.

٥- يقول ابن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك نقلاً عن نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي:

"ومن شروم راح إلى المهجرة وهي قرية عظيمة جبلية كثيرة العيون والأهل، وفيما بينها وبين شروم راح شجرة تسمى طلحة الملك وهذه الشجرة حد ما بين اليمن والحجاز وهي شجرة تشبه شجر الغرب إلاّ أنها أعظم وكان النبي ﷺ حجز بها بين اليمن ومكة"(١).

ويقول في موضع آخر:

"ثم إلى سروم راح قرية عظيمة فيها عيون وكروم وجرش منها على ثمانية أميال، ثم إلى المهجرة قرية عظيمة فيها عيون، وفيما بين سروم راح والمهجرة طلحة الملك شجرة عظيمة تشبه الغرب غير أنها أعظم منه وهي الحد ما بين عمل مكة وعمل اليمن"(٢).

ثم يحدد ابن خرداذبة مخاليف اليمن إلى أن يقول في مخلاف صعدة:

"فمن صنعاء إلى خيوان أربعة وعشرون فرسخاً، ومن خيوان إلى صعدة ستة عشر فرسخاً، ومن صعدة إلى المهجرة وهي تحت عقبة المنضج عند طلحة الملك التي هي أول عمل اليمن عشرون فرسخاً، فبين المهجرة وصنعاء ستون فرسخاً."(٣)

٦- حدد الهمداني في صفة جزيرة العرب موقع طلحة الملك بقوله:

"والطلاح موضع طلحة الملك، وكل هذه المواضع في بلد وادعة من همدان"(٤).

كما حدد موقع "أم جحدم" في بلاد خولان حين قال:

"فهذه بلد خولان على حد الاختصار وأغوارها داخلة في تهامة ابزان وأم جحدم وفي أعلى السراة إلى سراة جنب وفي نجدها يتصل بوادعة"(٥).

---

(١) أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٨٩.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣٥.

(٣) ابن خرداذبة، المرجع السابق، ص١٣٧.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، ص٣٧٢، وقد علق المحقق محمد الأكوع في الحاشية بقوله: "طلحة قرية كبيرة بالقرب من ظهران الجنوب شمال صعدة".

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٢٥.

٧- كما حدد مؤرخ اليمن القاضي محمد بن علي الأكوع في العصر الحديث الحد المسمى "طلحة الملك" بقوله:

"قرية كبيرة قرب ظهران الجنوب شمال صعدة"[١]

وحدد الموقعين المسميين "كُدُمُلْ" و"حِمَضَه" بقوله:

"كُدُمُلْ جبل في عرض البحر الأحمر أراه من قريه الموسم ويسمى الآن (كتنبل) وحمضة ـ بفتح الحاء وكسر الميم آخره هاء ـ لا يزال هذا الموضع حياً لهذه الغاية"[٢].

ولا زالت حدود اليمن هي نفسها منذ ذلك التاريخ، حيث يقع حدها الشمالي الغربي في جبل كُدُمُلْ (كتنبل) الواقع بالغرب من قرية الموسم الواقعة على زاوية الحدود السعودية اليمنية من الجهة الغربية بينما أم جحدم وحمضة تقع في الجهة اليمنية من الحددود، ومن جهة السراة يقع حدها في طلحة الملك الواقعة بالقرب من ظهران الجنوب، حيث لا تزال تقع قرية "الطلحة" في ظهران الجنوب على الحدود اليمنية السعودية، بينما هنالك موقع يقال له الطلح يقابلها داخل الحدود السعودية اليمنية، والحد الشرقي في بطن الربع الخالي (يبرين) كما هو حتى الآن.

د ـ العروض

نصل الآن إلى القسم المجهول لدينا في هذا الزمان من هذا التقسيم وهو العروض.

الجغرافيون القدامى حددوا العروض بأنها منطقتي اليمامة والبحرين المعروفتين، واليمامة هي المنطقة الواقعة ما بين الأفلاج حتى جنوبي منطقة القصيم ثم منها باتجاه الشرق حتى الصمان والدهناء حيث تتصل بمنطقة البحرين التي تمثل المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية وقطر والبحرين والكويت.

وسننقل بعض ما أورده المؤرخون والجغرافيون في تعريف إقليم العروض ما قاله الجغرافيون في تحديد العروض:

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، حواشي سفلية، ص٣٧٢.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٩٠.

١- يقول الهمداني:

"وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاها العروض وفيها نجد وغور لقربها من البحار وانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيها والعروض يجمع ذلك كله"[١]

٢- نقل البكري:

"وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاهما العروض، وفيها نجد وغور، لقربها من البحر، وانخفاض مواضع منها، ومسايل أودية فيها، والعروض يجمع ذلك كله"[٢].

٣- نقل ياقوت عن أبو المنذر هشام الكلبي نقلاً عن ابن عباس قوله:

"وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاهما العروض".

٤- ذكر القلقشندي في صبح الأعشى نقلاً عن البيهقي قوله في تعريف إقليم اليمامة التي اعتبرها أحد الأقطار الخمسة الرئيسية في الجزيرة العربية ما يلي:

"اليمامة قال في تقويم البلدان بفتح المثناة من تحت والميم وألف وميم وهاء في الآخر وهي قطعة من جزيرة العرب من الحجاز وعليه جرى الفقهاء فحكموا بتحريم مقام الكفر بها كما بسائر أقطار الحجاز وهي في سمت الشرق عن مكة المشرفة قال البيهقي وهي ملك منقطع بعمله ويحدها من جهة الشرق البحرين ومن الغرب أطراف اليمن ومن الشمال نجد والحجاز وأرضها تسمى العروض لاعتراضها بين الحجاز والبحرين وطولها عشرون مرحلة وهي في جهة الغرب عن القطيف وبينهما نحو أربع مراحل وبينها وبين مكة أربعة أيام وسميت اليمامة باسم امرأة وهي اليمامة بنت سهم بن طسم"[٣].

٥- نقل القلقشندي في قلائد الجمان عن المدائني قوله:

"والعروض هي اليمامة إلى البحرين"[٤].

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب تحقيق الأكوع، ص٨٥، ٨٦.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ج١ / ص٩.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥ / ص٥٨.

(٤) القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ص١٠.

٦- يقول جواد علي في المفصل:

"وأما العروض، فيشمل اليمامة والبحرين وما والاها"[١].

٧- ذكر محمد مهران في كتاب تاريخ العرب القديم ما يلي:

"العروض: وتشمل اليمامة والبحرين وما والاهما، وسميت العروض لأنها تعترض بين اليمن ونجد والعراق"[٢].

هـ- نجد

من خلال ما ذكره المؤرخون والجغرافيون ومن خلال كثير مما ورد في الشعر العربي القديم فإن الإشارة إلى بلاد نجد في العصر الجاهلي كانت تعني هضبة السراة، وهي المنطقة الواقعة شرق قمم جبال السروات والتي تمتد حتى تخوم صحراء الربع الخالي ووادي الدواسر شرقاً وتخوم بلاد اليمامة والأرجح فيما وجد من أثر في هذا الخصوص أنها الممتدة ما بين ذات عرق شمالي عكاظ إلى جرش، وتنتهي هضبة نجد غرباً بمشارف جبال السراة حيث تقف شعوف (قمم) جبال الحجاز حاجزاً بينها وبين تهامة إلا أن العرب دأبت على اعتبار الحجاز جزءاً من هضبة نجد مجازاً على اعتبار أن الحجاز خط من القمم التي تمتد فوق حافة هذه الهضبة، لذا يقابلون نجد بتهامة في شعرهم، وتنتهي هضبة نجد شمالاً بذات عرق (شمال وادي السيل) بين الطائف ومكة والمدينة، وسنسلط الضوء الآن على ما ورد من أقوال حول تحديد منطقة نجد القديمة.

ما قاله الجغرافيون في تحديد نجد

١- جاء في تاج العروس:

"نجد: (النَّجْدُ: ما أَشْرَفَ من الأَرْضِ) وارْتَفَعَ واسْتَوَى وصَلُب وغَلُظَ"[٣]، *"والنَّجْدُ: المُرْتَفِع من الأَرْضِ"*[٤]

---

(١) جواد علي، المفصل، نفس المرجع السابق، ج١/ ص١٧٤.

(٢) مهران، المرجع السابق، ص٩٠.

(٣) محمد الحسيني المعروف بمرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، جزء٩/ ص٢٠١

(٤) نفس المرجع السابق، جزء٩/ ص٢٠٥.

٢- ذكر ابن خلدون في وصف جزيرة العرب ما يلي:

"و في الجزء السادس من غربيه بلاد نجد أعلاها في الجنوب جرش وتبالة إلى عكاظ من الشمال و تحت بلاد نجد بقية أرض الحجاز و على سمتها في الشرق بلاد نجران و جند وتحتها أرض اليمامة وعلى سمت نجران في الشرق أرض سبأ و مأرب ثم أرض الشحر و ينتهي إلى بحر فارس وهو البحر الثاني الهابط من البحر الهندي"(١).

٣- جاء في معجم ما استعجم للبكري ما يلي:

"واعراض نجد هي بيشة، وترج، وتبالة، والمراغة، ورنيه"(٢).

٤- أورد الهمداني في صفة جزيرة العرب ما يلي:

"أعراض نجد بيشة وترج وتبالة والمراغة"(٣)

٥- يقول الهمداني:

"معرفة تفصيل هذه الجزيرة عند أهل اليمن
هي عند أهل اليمن يمن وشأم فجنوبها اليمن وشمالها الشأم ونجد وتهامة، فالنجد ما أنجد منها عن السراة، وظهر من رؤوسها ذاهباً إلى المشرق في استواء دون ما ينحدر إلى العروض"(٤)

٦- قال ياقوت في معجم البلدان:

" فمكة من تهامة والمدينة والطائف من نجد والعالية"(٥)

---

(١) عبدالرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق المسترق الفرنسي، أ.م. كاترمير، مكتبة لبنان، عن طبعة باريس سنة ١٨٥٨م، طبع عام ١٩٩٢م، المجلد الأول/ ص١٠٣، انظر تاريخ ابن خلدون، الجزء الأول/ ص٧٤.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ص٩.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٣١.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٩٠.

(٥) الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص١٣٧.

٧- يقول البكري في معجمه:

"وأما نجد، فما بين جرش إلى سواد الكوفة، وآخر حدوده مما يلي المغرب الحجازان: حجاز الأسود وحجاز المدينة، والحجاز الأسود سراة شنوءة"[١].

٨- جاء في نفس المصدر ما يلي:

"وقال عمارة بن عقيل: ما سال من الحرة: حرة بني سليم وحرة ليلى، فهو الغور، وما سال من ذات عرق مقبلا فهو نجد، وحذاء نجد أسافل الحجاز، وهي وجرة والغمرة. وما سال من ذات عرق موليا إلى المغرب فهو الحجاز"[٢].

٩- وقال البكري أيضاً:

"وذات عرق فصل ما بين تهامة ونجد والحجاز. وقيل لاهل ذات عرق: أمتهمون انتم أم منجدون؟ قالوا: لا متهمون ولامنجدون"[٣].

١٠- ذكر ابن سعيد المغربي في كتاب الجغرافيا ما يلي:

"وبين اليمامة وتهامة، بلاد نجد يسكنها في الخيم رجالة العرب، وبين نجد وتهامة السروات وهي جبال ممتدة من جنوب اليمن إلى شمال الحجاز كثيرات الغرس ينزلها فصحاء العرب"[٤].

١١- جاء في كتاب تاج العروس من جواهر القاموس للمؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي مايلي:

"وقيل: حدّ نجد هو اسمٌ للأرض الأَرِيضة التي (أعلاه تهامة واليمن، وأسفله العراق والشّام)، والغور هو تهامة، وما ارتفعَ عن تهامة إلى أرض العراق فهو نجد وتشرب

---

(١) البكري، معجم ما استعجم، ص١٣.

(٢) البكري، المصدر السابق، ص١٤.

(٣) البكري، المصدر السابق، ج١/ ص٩.

(٤) ابن سعيد الاندلسي، الجغرافيا، ص٢٧.

بتهامة (وأوّله) أي النّجد (من جهة الحجاز ذات عرق). وروى الأزهريّ بسنده عن الأصمعيّ قال: سمعت الأعراب يقولون: إذا خلّفت عجلزاً مصعداً وعجلز فوق القريتين فقد أنجدت. فإذا أنجدت عن ثنايا ذَت عرق فقد أتهمت، فإذا عرضت لك الحرار بنجد قيل: ذلك الحجاز، وروي عن ابن السّكيت قال: ما ارتفع من بطن الرّمّة (والرّمّة وادٍ معلوم) فهو نجد إلى ثنايا ذات عرق، قال: وسمعت الباهلي يقول: كل ما وراء الخندق أي خندق كسرى على سواد العراق فهو نجد إلى أن تميل إلى الحرّة، فإذا ملت إليها فأنت بالحجاز. (شَمِرٌ: إذا جاوزتَ عُذَيْباً إلى أن تجاوز فَيْدَ وما يليها) وعن ابن الأعرابيّ نَجْدٌ ما بَيْنَ العُذَيْبِ إلى ذاتِ عِرْق، وإلى اليَمامَةِ وإلى اليَمَن، وإلى جَبَلَيْ طَيِّءٍ، ومن المِرْبَدِ إلى وَجْرَةَ، وذاتُ عِرقٍ أوّلُ تِهَامَةَ إلى البَحْرِ وَجُدَّةَ. والمدينَةُ لا تِهَامِيَّةٌ ولا نَجْدِيَّة. وإنها حِجَازٌ فوقَ الغَور ودُونَ نَجْد، وإنها جَلْسٌ لارْتِفَاعِها عن الغَوْر. وقال الباهليُّ: كُلُّ ما وَرَاءَ الخَنْدَقِ عَلَى سَوادِ العِرَاقِ فَهو نَجْدٌ، والغَوْرُ: كُلُّ ما انْحَدَرَ سَيْلُه مَغْرِبِيًّا، وما أسْفَل منها مَشْرِقِيًّا فهو نَجْدٌ، وتِهَامَةُ: ما بَيْنَ ذاتِ عِرْقٍ إلى مَرْحَلَتَيْنِ مِن وَرَاءِ مَكَّةَ، وما وَرَاءَ ذالك مِن المَغْرب فهو غَوْرٌ، وما وراءَ ذالك مِن مَهَبِّ الجَنُوبِ فهو السَّرَاةُ إلى تُخُومِ اليَمَنِ. وفي المَثَل (أنْجَدَ مِنْ رَأَى حَضَناً) وذلك إذا عَلاَ مِن الغَوْرِ، وحَضَنٌ اسمُ جَبَلٍ"[١].

ورغم صحة ما أورده الحسيني في تاج العروس من وصف لنجد حسب المفهوم اللغوي وتحديده له بأنه ما ارتفع عن تهامة و اليمن، فإننا نلاحظ أن حديثه الذي استند فيه إلى حديث بعض المؤرخين الذين يكتبون من العراق في استشهادهم حول أقسام الجزيرة العربية بين نجد وتهامة والحجاز يقتصر على ذكر جبلي طي وفيد وعجلز وذات عرق وضرية وعسفان والربذة وغيرها مما يقع على طريق الحج بين العراق ومكة أو بين العراق والمدينة المنورة وهنا نجد اقتصارهم في مفهوم نجد والحجاز وتهامة على ما يعرفونه من المستطرق من البلدان بينهم وبين مكة والمدينة المنورة، فهم يعرِّفون تهامة والحجاز ونجد بطريقة صحيحة حسب المأثور من القول لدى سابقيهم ثم يتجهون فوراً إلى توزيع المواقع المستطرقة والمعروفة بالنسبة لهم من الجزيرة العربية افتراضاً على الأقاليم الثلاثة، وكأن هذه فقط مواقع الجزيرة العربية، فكل القرى التي يذكرونها تقع على خط واحد يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي مابين العراق ومكة، مع أن شرحهم لمفهوم نجد بأنه الأرض المرتفعة المشرفة ونقلهم لحدودها كما تلقفوها ممن

---

(١) الحسيني، محمد (مرتضى الزبيدي)، تاج العروس، نفس المرجع السابق، ج٩/ ص٢٠٢، ٢٠٣.

قبلهم، وإيرادها مقابلة لتهامة، ونقلهم ما ورد من الشعر وفي الأثر حولها يختلف عن ذلك، فما بين العراق ومكة لا ينطبق عليه مفهوم الأرض المشرفة، وهم يجدون تهامة بعد ذات عرق إلى مكة ولكن لا تهامة غرب المدينة المنورة ولا هضبة إلى شرقها ولكنهم يضعون قياسهم حول تلك المواضع افتراضاً.

١٢- ذكر البكري في معجمه ما يلي:

"تربه... وهو موضع في بني عامر؛ قاله ابن الأعرابي. وهو معرفة؛ لا تدخله الألف واللام وقاله بن سهل الأحول: تربة: من مخاليف النجدية وهي الطائف وقرن المنازل ونجران وعكاظ وتربة وتبالة والهجيرة وكتنة وجرش والشراء"[١].

- وهنا نجد ابن سهل الأحول صاحب كتاب "الخراج" الذي عاش في القرن الثالث يعدد المخاليف النجدية فيحصرها في مدن كلها تقع في محافظة الطائف ومناطق الباحة وعسير ونجران.

١٣- جاء في معجم البلدان لياقوت ما يلي:

"غزائل: بضم أوله وبعد الألف همزة ولام. قال الأصمعي: ماء بنجد لعبادة خاصة يقال له ذو غزائل"[٢]

- غزائل: موقع معروف حتى الآن في بلاد بالحارث إلى الجنوب من الطائف بحوالي ١٠٠ كم على طريق الحجاز (الطائف - أبها)، وهنا نجد الأصمعي الذي عاش في القرن الهجري الثاني يشير إلى أحد مدن هضبة السراة بأنها في نجد ما يدل على أنه حتى القرن الثاني والثالث الهجري لم يزل مفهوم نجد مرتبطاً بمفهومها في العصر الجاهلي، وهو ما أوقع الكثير من اللبس في كلام المتأخرين حيث يحاولون الجمع بين مفاهيم عصرهم وبين ما تحمله النقولات القديمة فحدث خلط كبير في فهم تقاسيم الجزيرة العربية، خاصةً لساكني العراق والشام.

١٤- قال ابن خرداذبه في المسالك والممالك:

"مخاليف مكة بنجد الطائف، ونجران قال الشاعر:

---

(١) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٣٠٨، ٣٠٩.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ج٤/ ص٢٠١.

وكعبة نجران حتم عليك حتى تناخي بأبوابها

وقرن المنازل، قال الشاعر:

ألم تسل الربع أن ينطقا بقرن المنازل قد أخلقا

والفتق، وعكاظ، والزيمة، وتربة، وبيشة، وتبالة، والهجيرة، وثجة، وجرش، والسراة"[١].

- ويستوي قول ابن خرداذبة هنا مع ما نقله البكري عن ابن سهل حول مدن نجد وما ورد لدى البكري والهمداني وغيرهم عن عروض نجد، ويدل على اختصاص المدن التي تقع فيما بين ذات عرق (شمال الطائف) ونجران والتي تقع جميعها فوق هضبة السراة بصفتها النجدية والأودية التي تمر بهذه البلاد بمسمى أعراض نجد في المراحل الأولى من التاريخ الإسلامي.

١٥- جاء في معجم ما استعجم للبكري قوله: قال الهمداني:

"تثليث: واد بنجد، وهو على يومين من جرش، في شرقيها إلى الجنوب، وعلى ثلاث مراحل ونصف من نجران، إلى ناحية الشمال"[٢].

١٦- يقول الهمداني في صفة جزيرة العرب:

"جرش هي كورة نجد العليا وهي من ديار عنز"[٣].

١٧- جاء في تاج العروس لمرتضى الزبيدي:

"قال أبو ذؤيب (شاعر مخضرم "جاهلي أسلم"):

في عانة بجنوب السي مشربها غور، ومصدرها عن مائها نجد

قال: وما ارتفع عن تهامة فهو نجد، فهي ترعى بنجد، وتشرب بتهامة"[٤].

والسي موقع من شعوف جبال السراة المطلة على تهامة يدل على ذلك قول الراجز:

لما بدا شعف بأعلى السيّ وحضن مثل قرا الزنجي[٥]

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣٣.

(٢) البكري، مرجع سابق، ج١/ ص٣٠٥.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٢٩.

(٤) الحسيني، تاج العروس، ج٩/ ص٢٠٢.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٧٨.

وكلمة "شعف" هي إحدى المفردات المستعملة في إقليم عسير للدلالة على القمم المتاخمة لتهامة، وإن تكن وردت في بعض المعاجم للدلالة على أعلى الجبل إلا أن استعمالها الشائع جداً في هذه المنطقة يدل على أن المعنى اللغوي قد اقتطف منها، فنحن نجد أن هذه الكلمة تكاد تكون شائعة في الدلالة على القمم المصالية لتهامة دون غيرها في المنطقة الواقعة إلى جنوب الطائف ولا يطلق على القمم الأخرى كلمة شعف، بينما نجد أنه في الطائف يستخدم الناس هنالك كلمة "شفا" للدلالة على هذه المناطق كبديل لكلمة "شعف".

١٨ - جاء في معجم البلدان لياقوت ما يلي:

> *"وعن أبي زياد خير ديار بني سلول بيشة وهو واد يصب سيله من الحجاز حجاز الطائف ثم ينصب في نجد حتى ينتهي في بلاد عقيل وفي بيشة بطون من الناس كثيرة من خثعم وهلال وسواءة بن عامر بن صعصعة وسلول وعقيل والضباب وقريش وهم بنو هاشم لهم العمل"*[١].

ورغم وضوح الأمر من حيث تحديد المؤرخين لنجد بالهضبة المتصلة بقمم جبال السروات (الحجاز) من الشرق مباشرةً ووضوحه من الناحية الجغرافية والتاريخية لدى المؤرخين"على اختلاف بينهم حول نهايتها شمالاً"، إلا أنه لا يمكن تجاهل أن كلمة نجد أطلقت اصطلاحاً في نهاية العهد الأموي وفي العهد العباسي وما بعده أيضاً على المناطق الشمالية لغرب الجزيرة المتاخمة للمدينة المنورة من الشرق وما وقع شمالها وشمال شرقها حتى سواد العراق، ولاعتلال الرواية وتناقضها مع الآثار المنقولة عما قبلهم، فقد استحدث الجغرافيون مسمى "نجد السفلية" الذي أطلق على المنطقة الواقعة من بطن وادي الرمة ومنه غرباً حتى المدينة المنورة ومنها إلى ذات عرق، بينما أطلقوا على بلاد نجد القديمة مسمى "نجد العالية"، وأيضاً فإن نجد ككلمة لغويه تعني الهضبة المرتفعة المشرفة من الأرض، ومن ثم فلا شك أن هنالك أنجداً أخرى مصغرة في بقية الأقاليم، فنحن مثلاً نجد أن في الكثير من قرانا مواقع يطلق على الواحد منها نجد أو النجود، وقد ذكر الهمداني في هذا الخصوص أن في العروض نجد وغور، وفي اليمن نجد وغور، كما ذهب بعضهم إلى الإشارة إلى أنجد أخرى اعتبرها أنجداً ثانوية بناءً على إشارات في الشعر العربي كنجد كبكب، ونجد مريع، وغيرها، مستشهدين ببعض الشعر العربي، لذا يجب أخذ ذلك في الحسبان.

ولكن نجد التي نتحدث عنها هنا ونريد تحديدها هي نجد إحدى الأقاليم الخمسة الرئيسية،

---

(١) الحموي، معجم البلدان، ج١/ ص٥٢٩.

ذلك الإقليم الذي عرف باسم نجد في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي، والتي في طرفها الغربي قمم جبال الحجاز التي تحجزها عن تهامة كما ذكر المؤرخون، والتي ذكرها الشعراء العرب وتغنوا بصباها وهوائها العليل وقابلوها بتهامة، والممتدة طولاً من الشمال إلى الجنوب وتقطعها بالعرض أعراض نجد الخمسة التي تتجه من الغرب إلى الشرق كل من بيشة وترج وتبالة ورنية والمراغة، وهي صفات لا تستوي لغير هضبة السراة في الجزيرة العربية.

وسنورد في التالي بعض الإشارات إلى نجد في الشعر العربي الجاهلي أو صدر الإ‍سلام حيث كان لا زال مفهوم نجد يدل على سواد بلاد السراة مما وقع شرق قمم جبال السروات فور تفرق الجبال واستواء الأرض مباشرة مما سال ماءه باتجاه الشرق:

- يقول طرفة بن العبد:

أتعرف رسم الدار قفراً منازله ... كجفن اليمان زخرف الوشي ماثله
بتثليث أو نجران أو حيث نلتقي ... من النجد في قيعان جاش مسائله[1]

والإشارة هنا واضحة الدلالة على مواقع في شرقي وجنوب شرقي إقليم عسير حددها طرفة في النجد في الجاهلية وهي تثليث ونجران وجاش.

- يقول ابن مقبل:

تأمل خليلي هل ترى ضوء بارق ... يمان مرته ريح نجد ففترا
مرته الصبا بالغور غور تهامة ... فلما ونت عنه بشعفين أمطرا
يمانية تمري الرباب كأنه ... رئال نعام بيضه قد تكسرا
وطبّق لبوان الرباب كأنه ... رئال نعام بيضه قد تكسرا
فأمسى لبوان القبائل بعدما ... كسا الوزن من صفوان صفواً وأكدر
فأمسى يحط المعصمات حبيه ... وأصبح زياف الغمامة أقمرا
كأن به بين الطراة ورهوة ... وناصفة السوبان غاباً مسعرا
فغادر ملحوباً تمشى ضبابه ... عباهيل لم يترك لها السيل محجرا
أقام بشطآن الركاء وراكس ... إذا غرق ابن الماء في الوبل بربرا
أناخ برمل الكومحين إناخة الـ ... يماني قلاصاً حط عنهن أكورا[2]

---

(١) ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدمه محمد مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط٣، ١٤٢٣هـ ص٦٤.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٣٥٣.

يقول الشاعر هنا تأمل هل ترى السحابة القادمة من الجنوب كيف استدرجتها ريح نجد وصبا تهامة فأقبلت إليها حتى إذا وصلت إلى الشعف (الحجاز) كلت هذه الريح والصبا عنها فأمطرت فوق الشعف (الحجاز)، ثم يصف كيف أسقت البلاد كما في القصيدة.

- الشاعر / عبدالله بن الدمينة الخثعمي شاعر مخضرم (وقيل أنه عاش في القرن الهجري الأول في العصر الأموي)، كان يعيش منتجعاً مع قبيلته ما بين جرش وبيشة وتبالة، وشعره كله كان يدور حول المواطن التي تنتجع فيها قبيلته وما حواليها مثل "خيبر" حين يقول:

كأن هاديه والعيـــس تطلبه   *جذع بخيبر من جبّاره شذبا*[1]

و "خيبر" التي عناها الشاعر هنا، ليست خيبر الشهيرة في المدينة المنورة، فهي وادي في بلاد شهران شرق أبها وشمال الخميس بمنطقة عسير يصب في وادي بيشة، ولا زال يحمل نفس الاسم، وعلى ضفافه مدينة تحمل اسمه حتى هذه الساعة.

و "راحة" حين يقول:

هاجك البرق اليماني موهنا   *فله نومك تغميـــر سهـــد*
راح للعيـــن بأعلى راحـــة   *فجنـــاب حبذا ذاك البلـــد*[2]

و"راحة" تعرف حالياً بـ "راحة سنحان"، وهي بالقرب من الحرجة في جنوبي منطقة عسير.

والقرعاء في قوله:

ألا فاحملاني بارَكَ الله فيكُمَا   *إلى حاضرِ القَرعاءِ ثُم ذراني*[3]

والقرعاء هي القرعاء حتى هذه اللحظة وهي قرية كبيرة في منطقة الشعف.

---

(١) عبدالله بن الدمينة، نفس المصدر السابق، ص٣٣.

(٢) عبدالله بن الدمينة، نفس المصدر السابق، ص٢٩.

(٣) عبدالله بن الدمينة، نفس المصدر السابق، ص٢٠.

وحجلاء حين يقول:

وما نطفة صهباء خالصـــة القذى	بحجلاء يجري تحت نيق حبابها
سقاها من الأشراط ساق فأصبحت	يسيل مجاري سيلها وشعابهـا
يحوم بهـــا صادٍ يرى دونها الردى	محيطاً فيهوى وردهـا ويهابهـا
بأطيـــب من فيهـــا ولا قرفيـــة	يشاب بماء الزنجبيـل رضابها[1]

وحين يقول:

وما ماء حزن في حجيلاء دونه	مناكب من شم الذرى ولهوب[2]

وقد أوردت بعض المعاجم أن الحجلاء هي الماء الجاري تظله الأشجار، ولكن سياق المعنى هنا يحمل الدلالة على موقع محدد، وقد أشار لذلك محقق ديوان ابن الدمينة[3]، والوصف هنا يتوافق مع حجلاء التي تقع على مشارف بلاد عسير من جهة بلاد شهران، حيث يمر بطرفها الشمالي وادي أبها في الموقع المسمى "المحالة" والذي عرف بغزارة الماء الجاري فيه وكثافة الأشجار المحيطة بالمجرى منذ القدم في المنطقة.

ومما ذكره في شعره "الواديين" يقول:

أحب هبوط الواديين وإنني	لمستهتَر بالواديـــن غريـــب[4]

ونجران:

خَليلَي لَيسَ الرأيُ في صَدرِ واحدٍ	أشيرا عَلَيَّ اليَومَ ما تَريـَـان
أَأَركَبُ صَعبَ الأَمرِ إن ذُلولَـــهُ	بِنَجرَانَ قَد أعيا بِكل مَكَــانِ

وهذه المواقع أكثر من ذكرها في قصائده وهي حواضر معروفة في سراة إقليم عسير، مما يؤكد أن موطنه كان بينها حيث تقيم خثعم وفرعها شهران منذ العصر الجاهلي، ونجده في نفس الوقت يشير إلى موطنه باسم نجد في شعره كثيراً، ومن ذلك ما قاله وهو في تهامة:

---

(١) عبدالله بن الدمينة، نفس المصدر السابق، ص٤٦.

(٢) عبدالله بن الدمينة، نفس المصدر السابق، ص٨.

(٣) عبدالله بن الدمينة، نفس المصدر السابق، ص٨.

(٤) عبدالله بن الدمينة، نفس المصدر السابق، ص٩.

بِكُل تَدَاوَيْنَا فَلَم يُشفَ مَا بنَا | عَلَى أن قُربَ الدار خَيرٌ مِنَ البُعـدِ
هوايَ بهَذَا الغَور غَور تهَامَة | وَلَيسَ بهَذَا الحَي مِن مُستوَى نجـدِ

إلى أن قال:

ألا يا صَبا نَجدٍ مَتَى هِجت مِن نَجدِ | لَقَد زَادَني مَسرَاكِ وَجداً عَلَى وَجدِ
أأن هَتَفَت وَرقاءُ في رَونق الضُحـى | عَلَى فَنَن غَض النبات مِنَ الرنـدِ
بَكيتَ كَما يَبكي الوَليدُ وَلَم تكـن | جَليداً وأبديت الذي لَم تَكُن تُبدِي
وَحَنت قَلُوصي مِن عَدَانَ إلى نَجـدِ | وَلَم يُنسِها أَوطَانَهَا قِدَمُ العهـد[1]

وهنا إشارة من الشاعر إلى حنينه وحنين ناقته لوطنه "نجد" حين يقول: "ولم ينسها أوطانها قدم العهد".

ويقول في غزله لمحبوبته أميمة السلولية:

ودعت نجداً بعد هجر هجرتـه | قديماً فحيَّاني سقته الغمائـم
ألا يا أميم القلب يرضى إذا بدا | لنا منك ودٌّ مثل وديك دائـمُ
هجرتك أياماً بذي الغمر إنني | على هجر أيام بذي الغمر نادم[2]

ويقول:

قد كنـت أحسبني بالبين مضطلعاً | ما بي سفاه ولا من ذاك تغمير
حتى استهام فؤادي بعد ما طلعت | نجداً مولية تحدى بها العيـر

وقوله "طلعت نجداً" هنا يدلنا أنه قال هذه الأبيات عندما صعد من تهامة إلى السراة.

ويقول في موضع آخر:

أيا أَخَوَيَ بالَمدينَـة أشرفـا | بيَ الصمدَ أنظُر نَظرَةً هَل أرى نَجدَا
فَإن بنَجـدٍ مَن بَراني حُبُّـه | فَلَم يَتَرِكْ مِنـي عِظَاماً ولا جِلـدَا
فَمَا زَادَنِي الإشرافُ إلا صبَابَةً | وَلا ازددتُ إلا عَـن مَعارفها بُعـدَا
فَقالَ الَمدينيان أنتَ مُكلـفٌ | فداعِي الهَوى لا تَستَطِيـعُ لـهُ رَدا

---

(١) عبدالله بن الدمينة، نفس المصدر السابق، ص٢٩.

(٢) عبدالله بن الدمينة الخثعمي، ديوان ابن الدمينة، تحقيق محمد الهاشمي البغدادي، ط١، سنة ١٣٣٧هـ ص١٩.

• مما قاله عبدالله بن الصمة القشيري:

أقول لصاحبي والعيس تهوى — بنا بيـــن المنيفـــة فالضمـار
تمتع من شميم عـــرار نجـد — فما بعـد العشية من عـــرار

يقول الهمداني:

"وقتل عبد الله ابن الصمة أخو دريد بخليف دكم من أعلى حبونن قتله بنو الحارث بن كعب وفيه يقول القائل: أشجع من الماشي بترج، وفيه يقول دريد:

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارساً — فقلت أعبدالله ذلكم الردي"[1]

وهذا يدل على أن ابن الصمة كان ينتجع وقبيلته "قشير" ما بين حبونن (حبونه) وترج وما حواليهما وكلها تقع في وسط سراة إقليم عسير محل الدراسة، وهناك كانت نجد التي عناها في قصيدته، ولا زالت قبيلته (بني قشير) تقيم حول وادي ترج حتى هذه اللحظة ؟.

يقول الهمداني:

الشرى: جبل قال القشيري:
رأى وهو في رأس الشرى متمنعاً — مصادر نجد والفضاء فرجع[2]

الشرى يقع فوق قمم جبال السروات (الحجاز) إلى الغرب من مدينة سبت العلايا، في أعلى مصبات وادي تبالة ووادي ترج، وهو يطل على تهامة من جهته الغربية وعلى نجد من جهته الشرقية حيث وادي تبالة وبطن ترج ولا زال معروفاً بنفس الاسم وفيه تقع مدينة "شرى" حالياً، وهو موقع مأسدة حيث اشتهرت ترج وتبالة بالأسود التي كانت ترد من جهة هذا الجبل، لذا قالت العرب "أسود الشرى" نسبة لهذا الموقع.

• أورد البكري في معجم ما استعجم ما يلي:

المريع بفتح أوله وكسر ثانيه بعده الياء أخت الواو والعين المهملة موضع مذكور في رسم نجد ورسم جاش.

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٣٠٥.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٩٨.

قال أبو حاتم هو واد باليمن وأنشد لابن مقبل:

أم ما تذكر من أسماء سالكة   نجدي مريع وقد شاب المقاديم[1]

مريع أحد بلاد نهد جوار جاش وتبالة والبردان على طريق حاج اليمن، ذكرها الهمداني في صفة جزيرة العرب[2]، وقد ذكر ياقوت نجد مريع كأحد الأنجد في الجزيرة العربية والصحيح أن مريع موقع في نجد على طريق حاج اليمن شرق جرش وجنوب غرب تثليث.

- يقول الشريف الرضي:

وانــي لأغرى بالنسيم إذا ســرى   وتعجبنـــي بالابرقين ربـــوع
ويحنـي على الشوق نجدي مزنـــة   وبـــرق بأطراف الحجاز لمـــوع
ولا أعرف الأشجان حتى تشوقني   حمائم ورق في الديار وقـــوع[3]

وحيث أن الشاعر كان يتحدث عن حنينه إلى وطنه وهو في العراق فإن قوله نجدي مزنة وبرق بأطراف الحجاز يحمل الدلالة على تجاور الحجاز ونجد في مفهومهم في تلك المرحلة.

- يقول الغزي:

يا حبذا العرعر النجدي والبان   ودار قوم بأكناف الحمى بانوا[4]

- وجاء فيه أيضاً:

محت بعدكم تلك العيون دموعها   فهل من عيون بعدهـا نستعيـــرها
رحلنا وفي ســر الفؤاد ضمائـر   إذا هــب نجــدي الصبـا يستثيرها
أتنسى رياض الغور بعد فراقهـا   وقـد أخـــذ الميثاق منك غديرها
جعـــده مـــر الشمال وتـــارة   يغازلـــه كـــر الصبـا ومرورهـــا
الا هل إلى شم الخزامى وعرعر   وشيح بوادي الأثل أرض نسيرها[5]

---

(١) البكري، مصدر سابق، ج٤/ ص١٢٢٠، ١٢٢١.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٢٨، ٣٠٥.

(٣) ديوان الشريف الرضي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ ج١/ ص٦٢١.

(٤) ابن الجوزي، أبي الفرج جمال الدين بن علي، المدهش، تحقيق د. مروان قباني، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط٢، ١٩٨٥م، ص٢٣٠.

(٥) ابن الجوزي، المدهش، ص٢٦٣.

العرعر من النباتات الخاصة بغربي بلاد السراة من الطائف حتى تمنية ولا وجود له في غيرها من الجزيرة العربية، بينما ينمو الشيح والخزامى في الجهات الشرقية منها بالإضافة إلى ما وقع شرقيها إلى العارض، مما يدل على أن نجد المعنية هنا تقع فوق هضبة السراة حيث يوجد العرعر.

- قال أبو المطهر إسماعيل بن رافع الأنصاري، أحد بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس:

فلما هبطنا بطن مكة أحمدت	*خزاعة دار الأكل المتحامل*
فحلت أكاريسا وشتت قنابلا	*على كل حي بين نجد وساحل*
نفوا جرهما عن بطن مكة واحتبوا	*بعز خزاعي شديد الكواهل*[1]

وهنا يفتخر الشاعر بأبناء عمومته قبيلة خزاعة الأزدية التي كانت تسكن مكة وماحولها من أرض تهامة ممتدةً من أسفل جبال السراة حتى البحر، والشاهد هنا إشارته إلى هضبة السراة باسم نجد عندما يقول (بين نجد وساحل).

- يقول عروة بن الورد العبسي:

فيوما على نجد وغارات أهله	*ويوما بأرض ذات شث وعرعر*
يناقلن بالشمط الكرام أولي القوى	*نِقَابَ الحِجَازِ في السَّرِيحِ المُسَيَّرِ*[2]

وعروة في قصيدته يروي رحلاته وغاراته بين جبال الحجاز حيث العرعر والشث وبين نجد فيوم هنا ويوم هناك، ولا شك أن مثل هذا الوصف لا يستوي لمن يريد بنجد بلاد اليمامة أو سواد العراق أو ما بينهما حيث ذكر بعض الرواة مواطن عبس" فالمسافة بينها وبين بلاد الشث والعرعر والتي تنحصر فيما بين الطائف وجرش يتجاوز سبعمائة كيلومتراً فلا عرعر ولا شث فيما وراء الطائف شمالاً.

ومن الملاحظ دائماً عند العرب أن مفهوم كلمة نجد يقابله تهامة مباشرة متجاهلين الحجاز لكون الحجاز تعتبر مجازاً جزءاً من هضبة نجد حيث تمثل الشريط الأخير الواقع على طرف هضبة نجد من جهة تهامة وهو ما جعل بعض المؤرخين يعتبرون الإقليمين إقليماً واحداً[3]، لذا

---

(١) ابن الجوزي، المدهش، ص٢٦٣.

(٢) ديوانا عروة بن الورد والسموأل، دار صادر بيروت، ص٣٨.

(٣) البكري، معجم ما استعجم، ص٨.

كانت العرب تتحدث عن نجد وتهامة كما نتحدث اليوم عن السراة وتهامة إذ السراة هضبة مرتفعة باردة وتهامة منخفضة حارة وبالتالي فهي مقابلة لها جغرافيا ومناخياً ومجاورة لها موقعاً فتكون هذه ضداً لتلك، ومن ذلك قول المهيار:

بالغــــور دار وبنجــد هــوى *يا لهـف من غـار بمـن انجـدا*(1)

وقول أبو علي الفرج بن محمد بن الأخوة ما يلي:

نعــم هــذه الدار والأنعــم *أتنجــد يــا قلــب أم تتهــم*

وقول الشاعر:

وأصبحت نجدي الهوى متهم النوى *أزيــد اشتياقــا أن يحـن بعيـر*

وقول ابن أحمر:

وأكبادهم كابنــي سبات تفــرقوا *سبا ثم كانوا منجــدا وتهاميــا*(2)

وقول زهير:

تهامــون نجديون كيــدا ونجعــة *لكـل أناس من وقائعهم سجــل*(3)

وقول بعضهم:

فإن تتهموا أنجــد خلافا عليكم *وإن تعمنوا مستحقبي الحرب أعرق*(4)

وقول الراجز:

الا إتهمــاها إنهــا متاهيــم *وإننــا منــاجيــد متاهيــم*(5)

---

(١) ابن الجوزي، المدهش، ص٢٥٥.

(٢) الحموي، معجم البلدان، جزء٢/ ص٦٤.

(٣) الحموي، نفس المصدر والصفحة.

(٤) الحموي، معجم البلدان، جزء٢/ ص٦٤.

(٥) الحموي، نفس المصدر والصفحة.

وقول حميد بن ثور الهلالي:

خليلي هبا عللانـــي وانظـــرا ... إلى البرق ما يفري سنـــا وتبسمـــا
عروض تعدت من تهامة أهديت ... لنجد فتاح البرق نجدا وأتهمـــا[1]

ولازالت ذاكرة المجتمع وشعره وأمثاله وأساطيره وتندراته في إقليم عسير والباحة تقابل تهامة بالسراة كضدين متباينين حتى هذه اللحظة، ولا شك أن مفهوم نجد الحالي والذي يشير إلى بلاد اليمامة لا يستوي مع المقارنة بتهامة كضدين متباينين مطلقاً، فاليمامة منقطعة عن تهامة ولا تمثل ضداً لها، فكيف يتجاهل القائل بذلك البلاد الواقعة بين اليمامة وتهامة، والتي هي منطقة شاسعة ومتباينة جغرافياً ومناخياً مع منطقة تهامة.

ومما سبق فإنه جلي لنا أن نجد التي عناها الشعراء الجاهليون ومعظم شعراء صدر الإسلام والجغرافيون هي المناطق الواقعة في شرقي سراة إقليم عسير ومحافظة الطائف حيث عكاظ ورنية وبيشة وتبالة وترج وجاش ونجران وما إليها.

ومن كل ما تقدم فإنه من الواضح لنا أن إقليم عسير منقسم بين ثلاثة أقاليم رئيسية من أقاليم الجزيرة العربية وهي تهامة والحجاز ونجد، وكان كل جزء من الأقسام الجغرافية في إقليم عسير يشكل الجزء الرئيسي من كل من هذه الأقاليم الثلاثة في العصر الجاهلي وصدر الإسلام.

ثانياً: أسماء بعض قبائل وأحداث إقليم عسير القديمة

بعض القبائل التي كانت تستوطن إقليم عسير

تحدثت الكثير من المصادر في العصر الحديث عن نقاء العرق في منطقة عسير على أسماء القبائل الحالية منذ القدم، وأرجعوا كل سكان هذه الأرض إلى أجذام محددة، وهذا فيما أراه مجانب للحقيقة التي تفرضها القراءة المتفحصة للتاريخ، فقبائل العرب كلها ـ أو جلها ـ استوطنت هذه الأرض عبر التاريخ ولا زال لكل منها بقية فوق هذه الأرض، وهنا نعرض بعض مما قيل عن القبائل التي استوطنت هذه المنطقة قديماً، والمقصود بهذه الدراسة تاريخ الأرض ذاتها وعلاقتها بكل القبائل العربية منذ العصور القديمة، وليس معنياً بتاريخ قبائلها الحالية، ولا بدراسة القبائل الأخرى التي استوطنت هذه الأرض ممن سنشير لها، فالمهم هو

---

(١) ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق عبدالعزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والكتب ـ القاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٣٧١هـ، ص٢٧.

توضيح ارتباط جزء كبير من العرب بما يعرف اليوم بإقليم عسير، ما يعني وجود علاقة ما لسكان هذا الإقليم بهذه القبائل، لأن ذلك يحمل معنى كبيراً حول هوية الأرض ذاتها.

ومن هذه القبائل:

العماليق

ذكر البكري في معجم ما استعجم:

"تبالة من أعمال مكة، سميت بتبالة بن جناب بن مكنف من بني عمليق"(١).

مدين

نقل ياقوت عن الكلبي زعمه أن تبالة سميت بتبالة بنت مدين بن ابراهيم.(٢)

معد

ومعد تشمل العديد من القبائل التي سنوردها ولكن هنا نشير لمعد بصفته ورد ذكرها بنفس الاسم كأقدم ذكر ورد لاستيطان القبائل العربية في هذا الإقليم حيث جاء في معجم البلدان لياقوت:

" وذكر بعض أهل السير أن تبعا أسعد بن كليكرب خرج من اليمن غازيا حتى إذا كان بجرش وهي إذ ذاك خربة ومعد حالة حواليها فخلف بها جمعا ممن كان صحبه"(٣).

كما ذكر ابن حزم أن صهبا بن الحارث قد حارب معد بن عدنان يوم "الشرى"(٤).

والشرى هو اسم الجبال التي تقع في أعلى وادي تبالة وترج من جبال السراة غربي مدينة "سبت العلايا".

---

(١) البكري، معجم ما استعجم، نفس المرجع السابق، ج١/ ص٣٠١.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج٢/ ص١٠.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص١٢٦.

(٤) محمد ن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، مراجعة وضبط عبدالمنعم خليل ابراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٧م، ص٤٣٤.

الأزد

من المعلوم أن في منطقة عسير حالياً عدد من قبائل الأزد، وقد أوردت المصادر العربية القديمة خبر هجرة الأزد من مأرب إلى بلاد السراة ويثرب وتيماء والشام قبل دخول الأحباش لليمن، وهي رواية ارتبطت تفاصيلها بالأساطير التي لا يقبلها المنطق، فبلاد السراة تمثل أكبر مواقع تجمع قبائل الأزد في البلاد، وتمتد قبائل الأزد من بلاد السراة شمالاً إلى الشام والعراق منذ العصور الجاهلية الأولى ما قبل الإسلام، وهنا سنلفت الانتباه إلى بعض الإشارات التي تدل على أن منطقة عسير هي منبع كل الأزد الذين توجهوا إلى البلاد الأخرى وليست مأرب كما ورد في بعض المصادر، حيث لا وجود للأزد في كل بلاد اليمن حالياً ولا يوجد ما يشير إلى نزوحها من اليمن سوى أسطورة رحيل الأزد بقيادة عمرو بن عامر التي ابتدعها الكلبي فتناقلها المؤرخون عنه، كما لا يوجد أثر في النقوش اليمنية يشير إلى وجود الأزد في اليمن، بل إن النقوش اليمنية تشير إلى وجود الأزد منذ عهود قديمة جداً في إقليم عسير وليس في اليمن:

١- خزاعة

جاء في معجم البلدان ما يلي:

قال بديل بن عبد مناة (الخزاعي):

ونحن منعنا بين بيض وعتـــود ... إلى خيف رضوى من مجر القبائل(1)

ويدل هذا أن خزاعة كانت تسكن تهامة عسير بين وادي عتود ووادي بيض المعروفين والمتجاورين.

٢- الأوس والخزرج

يقول سعد بن الحصين جد النعمان بن بشير:

يا بنت آل معاذ إنني رجل ... من معشر لهم في المجد بنيـــان
شمُّ الأنوق لهم عز ومكرمة ... كانت لهم من جبال الطود أركان
أما سألت فإنا معشر نجب ... الأزد نسبتنا والمـــاء غســـان(2)

والطود التي ذكرها الشاعر لا تنطبق على ما ذكر من هجرتهم من مأرب إلى يثرب مباشرةً فمأرب لا ينطبق عليها مسمى الطود جغرافياً ولا تاريخياً، فالطود هو جبل السراة ما بين الطائف

---

(١) الحموي، معجم البلدان، ج١/ ٥٣١.

(٢) الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج٤/ ص٢٠٤.

وسروم على إجماع المؤرخين حيث موقع سكن قبائل الأزد الرئيسي التي كان المؤرخون يطلقون عليها بلاد الأزد، مما يدل على أن قبائل الأزد كانت مستقرة بها، ومن ثم خرج بعضهم، كما أن ذكره لغسان كأصل تفخر به الأوس والخزرج يحمل دلالة على أن الغساسنة الذين بالشام خرجوا أيضاً من نفس الطود.

ومن الملاحظ أن يثرب هو اسم مشابه لأسماء عدة مواقع في منطقة عسير مثل جبل أثرب في تهامة بني شهر أو في تهامة الباحة، كما أن الكثير من أسماء المواقع في المدينة المنورة موجودة في إقليم عسير مثل خيبر وبدر والعيص مما يدل على وجود هجرات قديمة اتجهت إلى هنالك ومنها الأوس والخزرج.

٣- كشف حديثاً عن نقش يفيد بأن الأزد في عهد الملك الحميري الشهير "شمر يهرعش" كانت تقيم في إقليم عسير حول جرش، ولها مملكة وملك مستقل، وهذا ما ورد لدى الباحث اليمني أحمد حسين شرف الدين في هذا الخصوص:

"جرش... مدينة تجارية على طريق نجران ـ الطائف ـ مكة تضم عدداً من مصانع النسيج ودبغ الجلود واشتهر فيها من ملوك الأزد مالك بن الكلاع ملك الأزد. وكان معاصراً للملك السبئي شمر يرعش (٢٧٥-٣٠٠م)، وقد ذكره في نقشه الذي عثرت عليه عام ١٣٧٧هـ بمأرب، كواحد ممن التقى بهم وتضامن معهم في محاربة الفرس الذين يذكر في النقش أنه غزاهم في عقر دارهم وهاجم "كوك وقط وصف بمملكتي فارس"[1].

وهذا الكشف يؤكد خطأ الرواية التي تناقلتها كتب التاريخ حول هجرة الأزد من مأرب قبل دخول جيش الحبشة لليمن، حيث أن الملك اليمني "شمر يهرعش" كان ملكه في النصف الثاني من القرن الميلادي الثالث[2]، بينما غزا الأحباش مكة المكرمة في عام الفيل أي عام ٥٧٠م، في عهد أبرهة بن الصباح الذي مات في هذه الغزوة وكان قد مضى على دخولهم لليمن حينها ثلاثة وأربعون عاماً[3]، أي أن الأحباش دخلوا لليمن بعد ملك شمر يرعش بأكثر من مائتين وثلاثة وثلاثون عاماً، وهي فترة أطول بكثير مما تحتمله منطقية الرواية، فالأحباش على ذلك دخلوا لليمن في عهد الجيل السادس من أحفاد ملك الأزد عمرو بن عامر، مما يجعل

---

(١) شرف الدين، المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية، ط١، ١٤٠٤هـ ص٦٨.

(٢) الأكوع، اليمن الخضراء مهد الحضارة، ص٣١١.

(٣) الأكوع، اليمن الخضراء مهد الحضارة، ص٣١١.

الرواية الأسطورية التي تقول بأن الكاهن سطيح تنبأ للملك عمرو بن عامر بغزو الأحباش لليمن واحتلالهم لها فقرر الهجرة كي لا يرى ذلك بعيدة عن الواقعية، كما أن وجود الأزد في عهد شمر يهرعش والذي يعد من أكبر ملوك حمير يدلنا على سبق وجود الأزد واستقرارهم في جبال السراة على انهدام سد مأرب بفترة طويلة وهو ما يسير بنا إلى عدم قبول الروايات العربية المرتبطة بهذه الحادثة، خاصةً وأن النقوش اليمنية لم تشر إلى أي ملوك الأزد الذين ذكرهم الرواة إطلاقاً ولا إلى وجود الأزد كإحدى القبائل اليمنية فيما قبل الإسلام.

ربيعة

تعتبر ربيعة من أكثر القبائل تواجداً وأقدمها ذكراً في إقليم عسير حيث ذكرت هذه القبيلة في هذه المنطقة منذ وقت مبكر في بلاد تهامة وفي السراة، وقد نلاحظ في التاريخ أن هذه القبيلة أكثر القبائل المعدية تواجداً وقرباً من قبائل المنطقة الحالية عبر التاريخ حيث تحالفت مع الأزد لفترة طويلة في حروبهم مع القيسيين وكانت القيادة موحدة ومتداولة بين الطرفين على مدى عدة قرون، ومن الراجح أن هذا الحلف هو امتداد لحلف جاهلي قديم حيث ظهر ذكره منذ أول الحروب في الإسلام أيام الخلافة الراشدة، ثم على امتداد العصر الأموي ثم استمر الحلف في العصر العباسي حتى عهد المنصور[1]، ونجد أن الكثير من القبائل الربعية لا زالت تقيم في المنطقة حتى الآن من بطون تغلب وبكر ولا زالت تعرف بربعيتها كما هو حال قبائل بني شعبة في الدرب و بني زيد مناة وبني جونة ابني حبيب بن سوادة بن عبدالله بن عدي من تغلب في بلاد ألمع، وقبائل بكر بن وائل التي لا زالت تحمل اسمها حتى اليوم في بلاد ألمع وقيس بن مسعود بن قيس بن خالد، أو قبائل عنز بن وائل التي ذكرها الرواة منذ زمن متقدم في بلاد السراة وتهامة، ولا زالت بها حتى هذه اللحظة، أو قبائل أكلب في بيشة، كما أن الكثير من المؤرخين أشاروا إلى وجود قبائل تغلب في فرسان منذ عهود مبكرة، ومما يدل على ارتباط ربيعة بهذه الأرض، ومما يؤيد ذلك أنه عرف عن قبائل ربيعة الكشكشة في لغتها منذ القدم أي بقولهم "لش" و"بش" و"عنش" بدلاً من "لكِ" و"بكِ" و"عنكِ"[2] وهي لهجة دارجة في إقليم عسير حتى اليوم، كما أننا نجد انتشاراً لقبائل ربيعة في بلاد السراة وشرقيها من خلال تتبع الشعر العربي القديم، ومن ذلك:

---

(١) ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ٢٠٠٧م، ص٣٨٠.

(٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، ١٤١٣هـ، ج٨ / ص٥٧٠، ٥٧١.

١- جاء في معجم ما استعجم للبكري:

"عروى" بفتح أوله، وإسكان ثانيه، بعده واو مفتوحة، مقصور، على وزن فعلى. وهى قارة في بلاد ذهل. هكذا قال أبو عبيدة. وقال الأصمعي: هي هضبة: قال المسيب بن علس الضبعى:

عديـة ليـس لهـا ناصـر	وعروى التى هدم الثعلـب
في الناس مـن يصل الأبعدين	ويشقى به الأقراب الأقرب

وكانت ضبيعة قد حالفت بنى ذهل على هذه القارة، أنهم متحالفون ما بقيت، فنقضوا حلفهم، فضرب هدم الثعلب لها مثلا لضعفه. وعدية: هي أم بنى عمر بن ذهل، وهى من بنى ضبيعة بن ربيعة"[١]

وعروى وردت في شعر مزاحم عندما قال:

أليست جبال القهـر مكانهـا	وأكناف عروى و الوحاف كما هيا[٢]

إذن فعروى التي تحالفوا عليها هي إما أنها ذاتها عروى الواقعة على طريق أبها الطائف ببلاد بلحارث أو أنها أخرى بالقرب من جبال القهر.

٢- يقول الهمداني في صفة جزيرة العرب (ومثله جاء في كتاب الكامل لابن الأثير):

"مما ذكرت العرب مواضع من نجد قال طرفة في تبالة:

رأى منظرا منها بوادي تبالة	فكان عليه الزاد كالمقر أو أمر[٣]

وقال طرفة يذكر الشريف:

لهند بحزان الشريف طلول

---

(١) البكري، معجم ما استعجم، ج٣/ ص٩٣٦.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ج٣/ ص٩٣٦.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٨٨.

وقال بعض العرب:

"من قاظ الشريف وتربع وشتا الصمان فقد أصاب المرعى"[(١)]

مما يعني أن الشريف التي بكى طرفة على أطلال محبوبته بها، تنعم أرضها في القيض، أي أن مطرها صيفي وهذا لا يكون إلا في إقليم سراة عسير ما بين جرش وعكاظ فلا مطر ولا مرعى في صيف غيرها من بلاد الجزيرة العربية عدا غرب اليمن، وهو ما يساير قول طرفة في أبيات أخرى يتذكر فيها صباه ويبكي على أطلالها في مواقع معروفة في منطقة عسير كما في الفقرة التالية.

٣- قال طرفة:

أتعــرف رسم الدار قفراً منازلــه	*كجفن اليمان زخـرف الوشي ماثله*
بتثليـث أو نجران أو حيث نلتقي	*من النجد في قيعـان جاش مسائله*
ديار لسلمى إذ تصيـدك بالمنـى	*وإذ حبل سلمـى منك دان تواصله*
وإذ هي مثل الرئـم صيد غزالهـا	*لها نظر ســاج إليـك تواغلـه*
غنينا وما نخشـى التفرق حقبـة	*كلانا غـرير، ناعم العيش بأجلـه*
ليالـي أقتـاد الصبـا ويقودنـي	*يجـول بنـا ريعانـه ويحاولـه*
سما لك من سلمى خيـال ودونها	*ســواد كثيـب عرضه فأمايلـه*
فذو النير فالأعلام من جانب الحمى	*وقف كظهر الترس تجري أساجله*[(٢)]

والقصيدة هنا تحمل ذكرى ريعان الشباب لطرفة وهو يحضى بالوصال من محبوبته عندما كانوا فيما بين تثليث ونجران وجاش إلى ذي النير حيث ترى الجبال حوله كالقف وقممها متجاورة كأسنان طرف الترس. ولعل استخدامه فاء العطف في قوله (فذي النير) بعد ذكره لتثليث ونجران وجاش التي وصفها بالجفن اليمان وهو عنها آنذاك شمالاً شرقاً في بلاد هجر يفيد في السياق بأن "ذو النير" المقصود هنا كان في العمق فيما بعد هذه المناطق أي بالقرب من شعوف جبال السراة التي كان يصف قممها الواقعة في الشعوف المطلة على تهامة كما تبدو له، ويدل على ذلك قول العجاج:

لو أن عصم شعفات النير	*يسمعنه باشرن للتبشيـر*[(٣)]

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٨٩.

(٢) ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدمه محمد مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط٣، ١٤٢٣هـ، ص٦٤.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، المرجع السابق، ص٢٨٩.

فالشعفات هي القمم المطلة على تهامة حيث يطلق على أيها الشعف ولا زالت كذلك حتى الآن فيقال شعف آل ويمن وشعف آل يزيد وشعف لجوان وشعف جارمة وهكذا، مما يمكن أن يستأنس به إلى أن "شعفات النير" أو "ذي النير" المقصود هنا هو أحد المواقع المصالية لتهامة من سراة عسير.

٤- وقال المُهلهل يرثي كُليباً :

بت ليلي بالأنعميــــن طويلاً	أرقب النجم ساهــــراً أن يزولا
كيف أهدا ولا يـــزال قتيل	من بني وائل ينسي قتيلا
غَنِيت دارنا تهامة في الدهـ	ـر وفيها بنو معد حلولا
فتساقَوْا كأساً أمرت عليهم	بينهم يقتل العزيز الذليلا
فصبحنا بني جليم بضرب	يترك الهام وقعه مغلولا
لم يطيقــوا أن ينزلوا ونزلنـا	وأخو الحرب من أطاق النزولا
انتضوا معجس القسي وأبرقـ	ـنا كما توعد الفحول الفحولا
قتلوا ربهم كليبـاً سفاهـة	ثم قالوا ما إن نخاف عويلا
كذبوا والحرام والحل حتى	يسلب الخدر بيضة المحجولا
ويموت الجنين في عاطف الرحـ	ـم وتروي رماحنا والخيولا[١]

ومن خلال القصيدة فإن المهلهل يروي قصة حرب قبيلته بني وائل بينها (تغلب وبني شيبان) فيبدأ بالإشارة إلى موقع الحدث وهو ديارهم في تهامة من خلال البيت الذي يقول مطلعه: "غنيت دارنا تهامة"، ثم يأتي البيت الذي يليه حاملاً الحدث حيث الفاء في "فتساقوا" هنا فاء الاستئناف التي تفيد بربط الحدث والذي هو قتل أخيه كليب كحادث لاحق بما قبله أي أن قبيلته كانت تسكن تهامة حيث تسكن قبائل معد عندما قتل كليب ثم يروي ما تسبب فيه ذلك حيث أتت بعدها فاء السببية في قوله (فصبحنا بني جليم بضرب) حيث بدأت حرب البسوس ويسرد ما حدث بعد ذلك من تراشق بينهم إلى أن يقول معللاً ما يقومون به "قتلوا ربهم كليبا سفاهة ثم قالوا"، وهنا فالقصيدة من سياقها واضحة المعنى وتدل دلالة واضحة بأن كليب كان مقتله في تهامة وبدأت حرب البسوس هنالك ثم انتقلت إلى حيث هم.

---

(١) ابن عبد ربه، أحمد محمد الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق محمد عبدالقادر شاهين، المكتبة العصرية ـ بيروت، ٢٠٠٤هـ، ج٦/ ص٦٥.

٥- روى ياقوت خبر يوم الهرير لبكر على تميم (وقد أوردنا النص في الجزء الخاص بأيام العرب).

والهرير في مدينة خميس مشيط ولا زال يطلق على جزء كبير من مدينة الخميس حالياً.

٦- قال ياقوت:

"سوق الذنائب: قرية دون زبيد من أرض اليمن وبه قبر كليب وائل"[1]

والذنائب أيضاً أحد مواقع حرب البسوس في بدايتها، وقد جاء أن الذنائب وقع به أيضاً يوم بين غسان ولخم ونجران[2] ما يدل على أن الذنائب موقع في حدود هذا الإقليم حيث توجد نجران وحيث كانت تقطن غسان إلى جوار عك في تهامة مما يصالي نجران ومثلها لخم.

٧- قال الهمداني:

"وفرسان قبيلة من تغلب وكانوا قديماً نصارى ولهم كنائس في جزائر الفرسان قد خربت وفيهم بأس، قد يحاربهم بنو مجيد ويعملون التجارة إلى بلاد الحبش".

٨- أورد ياقوت الحموي في معجم البلدان:

"فَرَسَانُ: بالفتح والتحريك وآخره نون. من نواحي فَرَسَانَ ويقال سواحل فرَسان. قال ابن الكلبي: مال عُنُق من البحر إلى حضرموت وناحية أبَيَنَ وعدَن ودهلَكَ فاستطار ذلك العنق وطعن في تهائم اليمن في بلاد فرسان والحكَم بن سعد العشيرة وكل ذلك يقال له سواحل فرسان. **قال ابن الكلبي فرسان منهم من ينتسب إلى كنانة ومنهم من ينتسب إلى تغلب".**

ومما سبق فإن ربيعة كانت تسكن تهامة إقليم عسير ما بين وادي خيطان إلى العارضة إلى جزر فرسان وفي السراة مابين بلاد عسير والخميس وسراة عبيدة حتى تثليث ومنه شمالاً حتى تبالة وجنوباً حتى نجران.

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٨.

(٢) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٢٦٣.

عامر بن صعصعة

عامر بن صعصعة هي بطن من هوازن إلا أننا أفردناها عن هوازن نظراً لكثرة ذكرها في الإقليم وامتدادها من أقصى شماله حتى حبونا بين ظهران الجنوب ونجران.

١- قال ابن الأعرابي:

"كان عروة قد سبى امرأة من بني هلال ابن عامر بن صعصعة، يقال لها: ليلى بنت شعواء، فمكثت عنده زمناً، وهي معجبة له، تريه أنها تحبه، ثم استزارته أهلها فحملها حتى أتاهم بها، فلما أراد الرجوع أبت ترجع معه، وتوعده قومها بالقتل، فانصرف عنهم، وأقبل عليها وقال لها: يا ليلى أخبري صواحبك عني كيف أنا ؟ فقالت: ما أرى لك عقلاً، أتراني قد اخترت عليك، وتقول خبري عني ! فقال في ذلك:

تحن إلى سلمى بحـر بلادهـا ... وأنت عليها، بالملا، كنت أقـدرا
تحل بوادٍ من كـراء مضلـةٍ ... تحاول سلمى أن أهاب وأحصرا
وكيف ترجيها وقد حيل دونها ... وقد جاورت حياً بتيمن منكرا[1]

قال البكري:

"تيمن: ارض قبل جرش، في شق اليمن؛ وثم كراء[2]".

وقال ياقوت:

"تيمن: بالفتح وآخره نون. موضع بين تبالة وجرش[3]".

وقال لبيد يذكر البراض وفتكه بالرحال وهو عروة بن ربيعة بن جعفر بن كلاب بهذا الموضع وهاجت حرب الفجار:

وأبلغ إن عرضت بني كلاب ... وعامر والخطوب لها موالـي
بـأن الوافد الرحال أمسـى ... مقيما عند تيمن ذي ظـلال[4]

---

(١) ديوان عروة بن الورد والسموأل، دار صادر ـ بيروت، ص٣٣.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٣٣١.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص٦٨.

(٤) الحموي، نفس المصدر والصفحة.

فتيمن كما أوردنا هي موقع ذي ظلال بين جرش وتبالة، وقيل هي قبل جرش، وهي أقرب إلى جرش كما يظهر من إشارة البكري لها.

٢- جاء في معجم ما استعجم ما يلي:

"تثليث " بفتح أوله، وإسكان ثانيه، وكسر اللام، بعدها ياء، وثاء مثلثة: موضع ببلاد بني عقيل؛ قال مزاحم يذكر رجلين من قومه:

فسارا من الملحين: ملحى صعائد ... وتثليث سيرا يمتطي فقر البزل
فما قصرا في السير حتى تناولا ... بني أسد في دارهم وبني عجل"[1]

٣- يقول لبيد:

فصوائق إن أيمنت فمظنة ... منها وحاف القهر أو طلخامها

ويقول لبيد أيضاً:

فالضيف والجار الجنيب كأنما ... هبطا تبالة مخصب آكامها

ويقول لبيد أيضاً:

حفزت وزايلها السراب كأنها ... أجزاع بيشة أثلها ورضامها

ويقول لبيد أيضاً:

منها حوي والذهاب وقبله ... يوم ببرقة رحرحان كريم

وحاف القهر قرب تثليث، والذهاب على طريق حاج صعدة اليمني بالقرب من يعرى الواقعة إلى شرق مدينة أبها بمسافة حوالي خمسين كيلومتراً، وبيشة وتبالة واديان معروفان.

٤- قال الجعدي:

"كطاو بعروى الجنه عشية ... لها سبل فيه قطار وحاصب

وفي شعر بن مقبل عروى: هضبة بالعالية، متاخمة بلاد اليمن. قال ابن مقبل:

فجنوب عروى فالقهاد غشيتها ... وهنا فهيج لى الدموع تذكرى

---

(١) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٣٠٤.

وقال مزاحم العقيلي:

أليست جبال القهـر مكانـــها	*وأكناف عروى و الوحاف كما هيا*

٥- جاء في معجم البلدان:

"والعبلاء وقيل العبلات بلدة كانت لخثعم بها كان ذو الخلصة بيت صنم وهي من أرض تبالة و عبلاء زهو ذكرت في زهو وهي في ديار بني عامر"(١)

٦- جاء في معجم البلدان:

"كويمح " بضم أوله، وفتح ثانيه، وكسر الميم، بعدها حاء مهملة، مصغر: موضع قبل بيشة، قال حرام بن الحارث الضبابي يذكر غزوهم لخثعم، واصابتهم من أصابوا منهم:

نحن جلبنا الخيل من ارض دي حسا	*تغيب أحيانـــا وحينا ظواهـــر*
رفعن لهم شد الضحـــى بكويمـــح	*فظل لهم يــــوم ببيشة فاجــر*

٧- جاء في كتاب الأغاني للأصفهاني ما يلي:

"ألا ليت شعري عن عوارضتي قناً	*لطول الليالي هل تغيرتا بعـــدي*
وهل جارتانا بالبتيـل إلى الحمـــى	*على عهدنا أم لم تدوما على العهد*

وهي من أبيات نسبت لمجنون ليلى قيس بن الملوح وقنا والبتيلة مدينتان قريبتان من بعضهما في تهامة عسير وكلاهما تتصلان بالسهل".

٨- جاء في معجم ما استعجم ما يلي:

"فرياض الرباب رياض معروفة لبني عقيل لأنها ترب الندى فلا يزال بها ثرى وإذا سمعت رياض بني عقيل فهي رياض الرباب قال الشاعر

أقول لصاحبي ببراق شعـر	*تبصر هل ترى برقا أراه*
حرى منه رياض بني عقيل	*وأورال وناصحة حـراه*

---

(١) الحموي، معجم البلدان، ص٨٠.

وهي قبل تثليث[١]"

٩- أورد الهجري في كتاب التعليقات والنوادر ما يلي:

"هيج: وهما هيجان، جبلان بالحرة، حرة بني هلال، أسودان بسواء الحرة، ومعنى سوا: أوسط شيء منه".

وبنو هلال يسكنون في حرة مشهورة حول البرك وتسمى حالياً حرة البرك، وتنتشر بنو هلال حولها ويتوسطها جبلان حيث تقع مدينة البرك، وفيها يقول حميد بن ثور الهلالي:

أم استطالت بهم أرض لتقذفهم — إلى المويرج أو يدعوهم البرك[٢]

والبرك موقع معروف في تهامة تقطنه بنو هلال حتى الآن وقد كانت تسمى في الجاهلية "برك الغماد" ولا زالت تحمل نفس الاسم، وقد أورد البكري أنها في "هجر"[٣] ثم أردف بقوله:

"وفي حديث هجرة النبي ﷺ لما ابتلي المسلمون، خرج أبو بكر مهاجراً إلى أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد، لقيه ابن الدغنة، وهو سيد القارة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ قال أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض، وأعبد ربي. فقال ابن الدغنة: إن مثلك لا يخرج ولا يخرج، أنت تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرئ الضيف، وتعين على نوائب الحق، وأنا لك جار، ارجع إلى بلدك فاعبد ربك في بلدك. فرجع أبو بكر. وذكر باقي الحديث.[٤]"

إلى أن قال البكري:

"والبريك مصغراً لبني هلال بن عامر"

ولا شك أن برك الغماد لا صلة لها بهجر التي تقع في شرق الجزيرة العربية وهو ما يؤيده تعليق المحقق في الحاشية في نفس الصفحة، فالطريق من مكة إلى الحبشة قد يمر على ساحل

---

(١) البكري، معجم ما استعجم، ج٢/ ص٦٣١.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ص٢٤٥.

(٣) البكري، معجم ما استعجم، ص٢٤٣.

(٤) البكري، معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب - بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ، ص٢٤٣، ٢٤٤.

البحر الأحمر جنوب مكة حيث تقع برك الغماد التي يسكنها بنو هلال، ولكن لا منطقية لأن يمر بهجر في شرق الجزيرة العربية، ولعل هذا يقودنا أنه كان هنالك موقع اسمه "القارة" بالقرب من البرك.

و"البرْك" هي نفسها "البريك" وهي ذاتها "البَرَك" والتي لا زالت تقطنها بنو هلال، وإن ورد اسمها مصغراً أو محركاً فقد يكون ذلك لضرورة الشعر، كما أنه أمر مألوف في أسماء المواقع كقولهم "حبونا" و"حبونن" و"كامح" و"كويمح" و"ضارج" و"ضويرج"، وتقع البرك إلى الغرب من بلاد تهامة عسير، وكانت مرسى بحري، يبدأ منه الطريق البري إلى مدينتي طبب وأبها وبلاد عسير السراة للقادم من البحر، أشار له مداوي المتحمي في توجُّده على وطنه عندما كان في مصر:

وبعـــد عشـــر تكن للبرك رواح ... برك الغماد الذي من جاه يرتاح
مرسى البحر يوم ترسي بين حيطانه
وودعه عند مأمـــون من الضيع ... ولا تبيعه ولا يستاهـل البيـــع
واركب من الفلك ما يزهاه دقلانـه
وخذ بها يا نديبـــي غير مـــلال ... تنصى بلاد المحبة طيـب الفـال
تلقى التراحيب من شيبـه وشبانـه
جبل عسيـر الـذي لـم يخلـق الله ... في الأرض مثله ولو قلت قوايـاه
يا ما أعظم النار من زنده وصوانه[١]

١٠- جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي ما يلي:

"وعن أبي زياد خير ديار بني سلول بيشة وهو واد يصب سيله من الحجاز حجاز الطائف ثم ينصب في نجد حتى ينتهي في بلاد عقيل وفي بيشة بطون من الناس كثيرة من خثعم وهلال وسواءة بن عامر بن صعصعة وسلول وعقيل والضباب وقريش وهم بنو هاشم لهم المعمل نذكره في موضعه إن شاء الله تعالى"[٢].

١١- أورد ياقوت في معجم البلدان:

قال حميد بن ثور (الهلالي):

إذا شئت غنتني بأجزاع بيشة ... أو النخل من تثليث أو من يبمبما

---

(١) النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ط١، ١٣٨١هـ، ص١٧٠.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ج١/ ص٥٢٩.

١٢- وجاء في نفس المصدر أيضاً:

وقال بعض بني عامر:

يا جارتي وقد أرى شبهيكما بالجزع من تثليث أو بيمبما

يمبم تقع على بعد أربعة عشر ميلاً من جرش[١]، والذهاب ذكرها الهمداني على طريق حاج صعدة بالقرب من يمبم.

١٣- يقول الهمداني:

"وقتل عبد الله ابن الصمة (القشيري) أخو دريد بخليف دكم من أعلى حبونن قتله بنو الحارث بن كعب وفيه يقول القائل: أشجع من الماشي بترج[٢]".

وهنا إشارة لسكنى قشير في حبونن وهي (حبونة) المعروفة ببلاد يام، كما يدل ذلك على سكناها بترج، كما أن دريد بن الصمة كان له أخ اسمه "عبد يغوث"[٣] ويغوث كان صنماً مشهوراً في "جرش"[٤] غير البعيدة عن ترج، وهي ما نعرفه حالياً بأحد رفيدة والتي تقع داخل النطاق العمراني لمدينة أبها، ويدل على استيطان قشير بترج قول الهمداني:

الشرى: جبل قال القشيري:

رأى وهو في رأس الشرى متمنعاً مصادر نجد والفضاء فرجع[٥]

والشرى جبال في سراة منطقة عسير يقع بالقرب منها وادي ترج، ولا زالت قبيلة بني قشير حتى هذه اللحظة تقطن حوالي ترج وتحمل نفس اسمها القديم.

١٤- أورد البكري في معجم ما استعجم ما يلي:

"المريع بفتح أوله وكسر ثانيه بعده الياء أخت الواو والعين المهملة موضع مذكور في رسم نجد ورسم جاش وقال أبو حاتم هو واد باليمن وأنشد لابن مقبل:

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣٥.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٠٥.

(٣) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦/ ص٢٦٢

(٤) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦/ ص٢٦١ـ ٢٦٢.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٩٨.

أم ما تذكر من أسماء سالكة نجدي مريع وقد شاب المقاديم(١)"

ومريع أحد بلاد نهد بين جاش وتبالة والبردان ذكرها الهمداني في صفة جزيرة العرب.

١٥- قال ياقوت:

"تثليث:... : ويدلك أنها أرض شجيرة قول ابن مقبل:

كأنهن الظباء الأدم أسكنها ضال بتثليث أو ضال بدارينا"

تميم

١- يقول أوس بن حجر التميمي:

بَكيْتم على الصُّلحِ الدُّماجِ ومنكمُ بذي الرِّمْثِ من وادي تَبالةَ مِقْنَبُ(٢)

٢- قال سلامة بن جندل التميمي:

ساهدي وإن كنا بتثليث مدحة إليك وإن حلت بيوتك لعلعا(٣)

قال البكري:

فدل قوله أن تثليث من ديار بني تميم(٤)

٣- روى البكري عن مالك بن الريب (التميمي):

إذا ما حال روض رباب دونى وتثليث فشأنك بالبكار(٥)

---

(١) البكري، معجم ما استعجم، ج٤/ ص١٢٢٠، ١٢٢١.

(٢) ديوان أوس بن حجر، جمع وتحقيق د. محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ.

(٣) ديوان سلامة بن جندل السعدي، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ، ص٢٠٣.

(٤) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٣٠٤.

(٥) البكري، معجم ما استعجم، ج٢/ ص٦٣١.

٤- روى ياقوت وغيره خبر يوم الهرير لبكر على تميم[١]، "كما أوردنا في جزء أيام العرب الذي سيأتي"

والهرير موطن في خميس مشيط لا زال يحمل نفس الاسم.

٥- قال ياقوت:

ويوم ترج يوم مشهور من أيام العرب أسر فيه لقيط بن زرارة (من تميم) أسره الكميت بن حنظلة، فقال عند ذلك:

وأمكنني لسانـــي من لقيـــط *فراح القوم في حلق الحديد*[٢]

قلت ولم تزل قبيلة بني تميم تقيم بمواطنها قرب ترج وتحمل مسماها القديم

٦- أورد النويري خبر يوم نجران بين تميم وبني الحارث بن كعب.

٧- جاء في معجم البلدان لياقوت:

"*وقال أبو المنذر. كان غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن نديما لربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، فشربا يوما فعدا ربيعة على غزية فقتله فسألت قيس خندف الدية فأبت خندف فاقتتلوا فهزمت قيس فتفرقت. فقال فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك ابن كنانة بن خزيمة:*

أقمنا على قيس عشية بـارق *ببيض حديثات الصقال بواتك*

ضربناهم حتى تولوا وخليت *منازل حيزت يـوم ذاك لمالك*

قال فظعنت قيس من تهامة طالعين إلى نجد فهذا دليل على أن بارق موضع بتهامة نص"[٣]

وبارق مدينة تقع على وادٍ غزير الماء دائم الجريان يحمل نفس الاسم في تهامة عسير في بسطة أرضٍ إلى الشمال من مدينة محايل عسير الواقعة إلى الغرب من مدينة أبها بحوالي ٥٠كم، ولا زالت كنانة تقطن إلى جنوب الوادي وغربه في محايل عسير وتمتد منها إلى حلي بن يعقوب، ما يدلنا أن بارق الواقعة في تهامة عسير هي المعنية في القصة والأبيات وأن تميم كانت تقطن غير بعيد عنه والإشارة إلى قيس وخندف هنا قد يحيلنا إلى قدم الحادثة أي قبل أن تفترق قيس

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥/ ص٤٠٣، ٤٠٤.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص٢١، ٢٢.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/ ص٣١٩.

وخندف إلى بطون وقبائل متفرقة ما يجعلنا أكثر يقيناً بتكتل قبائل مضر حول هذه المناطق في الجاهلية الأولى قبل أن يفترقوا في السراة (نجد) ثم في بقية أرض العرب.

ومما سبق فإن تميم كانت تستوطن في تهامة عسير فيما بين بارق والشقيق ثم في بلاد السراة فيما بين تبالة وترج وتثليث إلى نجران والخميس (الهرير) والقرعاء.

إياد

١- قال الهمداني في صفة جزيرة العرب: "قال أبو المنذر الايادي:

تحن إلى أرض المغمس ناقتي ... ومن دونها ظهر الجريب وراكس
بها قطعت عنا الوذيم نساؤها ... وعرقت الأبناء فينا الخوارس
تجوب بنا البوباة كل شملة ... إذا أعرضت منها القفار البسابس
فيا حبذا أعلام بيشة واللوى ... ويا حبذا أخشافها والجوارس[١]

وراكس هي إحدى قرى جرش التي ذكرها الهمداني في بداية القرن الرابع من بلاد عنز وبيشة معروفة واللوى مواقع كثيرة في عسير منها "طبب" التي كان اسمها عرق اللوى حيث يقول الشاعر الأمير مداوي بن محمد المتحمي:

سلام على عرق اللوى عدد القطر ... وحياه هطال يحليه بالزهر
بلاد إذا شمت من الغيث نفحة ... تضوع فيها طيب النبت بالعطر[٢]

٢- جاء في كتاب الأعلام للزركلي:

"إياد بن نزار بن معد بن عدنان: من أجداد العرب في الجاهلية. ينسب إليه (بنو إياد) وهم قبائل كثيرة، قال الاشرف الرسولي: دخلوا على الفرس، وجهلت أنسابهم، غير أن منهم بطونا معروفة وهم: يقدم، وبنو حذاقة، وبنو دعمي، وبنو الطماح. وكانت ديار الايادين في الجاهلية جهات الحرم وما بين تهامة وحدود نجران، وخرجوا إلى العراق بعد أن تكاثر المضريون"[٣].

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٨٦.

(٢) النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ط١، ١٣٨١هـ، ص٦٤.

(٣) خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٢/ ص٤٨، ٤٩.

كنانة

كنانة تعتبر إحدى القبائل الكبرى في الوقت الحالي في إقليم عسير فهي تسكن على امتداد الساحل غرب المنطقة، وهي في نفس موقعها هذا منذ القدم ذكرها الهمداني وابن المجاور وابن بطوطة في نفس المواقع، ولكننا سنتطرق هنا لوجودها القديم في السراة.

١- جاء في كتاب أنساب الأشراف ما يلي:

"ومن بني الملوح بن يعمر (من كنانة): عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح الذي يقول:

لعمـــرك ما ليث وإن كنت منهـم ... بتاركة ليث خلافـي وعصيانـــي

هم أسلموني يوم ذي الرمث والغضا ... وهم تركوني بين هرشـى وودان

وهم أخرجـــوا من كل بيتين سيـدا ... كما أخرجت ساداتها قبل عدوان

وذي الرمث هو أحد المواقع في وادي تباله ويصب في وادي بيشه، يدل على ذلك قول أوس بن حجر التميمي:

بَكَيْتم على الصُّلحِ الدُّماجِ ومنكمُ ... بِذي الرِّمْثِ من وادي تَبالةَ مِقْنَبُ[١]

٢- جاء في معجم البلدان ما يلي:

قال ابن مقبل:

جلوسا به الشعب الطوال كأنهم ... اسود بترج أو أسود بعتودا

وهو ماء لكنانة لهم ولخزاعة فيه وقعة[٢]".

ومما تقدم فإن كنانة استوطنت شرقي إقليم عسير في ترج وتبالة وبيشة والمعمل وفي بلاد بني شهر بالإضافة لوجودها في تهامة حتى الآن.

بني أسد

١- قال ياقوت:

"ترج واد إلى جنب تبالة على طريق اليمن وهناك أصيب بشر بن أبي خازم (من بني

---

(١) ديوان أوس بن حجر، جمع وتحقيق د. محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ج٤ / ص٨٣.

أسد) الشاعر في بعض غزواته فرماه. نعيم بن عبد مناف بن رياح الباهلي الذي قيل فيه: أجرأ من الماضي بترج فمات بالردة من بلاد قيس فدفن هناك ويحتمل أن يكون المراد بقولهم أجرأ من الماشي بترج الأسد لكثرتها فيه، قال:

وما من مخدر من أسد ترج ... ينازلهم لنابيه قبيب

يقال: قب الأسد قبيبا إذا صوت بأنيابه"[١]

قضاعة

١- أورد ابن منظور في لسان العرب:

والأصل حبونن وهو المعروف وإنما أبدل النون ألفا لضرورة الشعر فأعله قال وعلة الجرمي:

ولقد صبحتكم ببطن حبونن ... وعلي إن شاء الإله ثناء

وقال أبو الأخزر الحماني بالثني من بثشة أو حبونن وأنشد ابن خالويه

سقى أثلة بالفرق فرق حبونن ... من الصيف زمزام العشي صدوق

٢- يقول الهمداني في صفة جزيرة العرب:

"بلد بني نهد: طريب ومصابة من ذوات القصص وكتنة، وأراك، واد فيه أراك، وتثليث، والقرارة والريان وجاش وذو بيضاء ومريع وعبالم وغرب والحضارة والعشتان والبرادان" إلى أن يقول: *"والذي يسكن هذه البلاد من قبائل نهد معرف وحرام وهي أكثر نهد وبنو زهير وبنو دويد وبنو حزيمة وبنو مرمض وبنو صخر وبنو ضنة، وضنة من عذرة وبنو يربوع وبنو قيس وبنو ظبيان"*.

ومنه فقد كانت قضاعة تسكن فيما بين طريب وتثليث وحبونة.

---

(١) الحموي، معجم البلدان، ج٢ / ص٢١.

غطفان

١- جاء في الأغاني للأصفهاني:

"غزوة بني عامر وما قاله الحادرة فيها من الشعر:

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني يذكر عن أبيه: أن جيشاً لبني عامر بن صعصعة أقبل وعليهم ثلاثة رؤساء: ذؤاب بن غالب من عقيل ثم من بني كعب بن ربيعة، وعبد الله بن عمرو من بني الصموت، وعقيل بن مالك من بني نمير، وهم يريدون غزو بني ثعلبة بن سعد (من غطفان) رهط الحادرة ومن معهم من محارب، وكانوا يومئذ معهم،.........، إلى أن قال: فاقتتلوا قتالاً شديداً، فهزمت بنو نمير وسائر بني عامر......، إلى أن قال: قال وهذا اليوم يعرف بيوم شواحط ".

وقد ذكر هذا اليوم الزمخشري في كتاب الجبال والأمكنة حيث قال:

شُواحط: موضع، و يوم شواحط وقعة كانت لهم شديدة، قال ساعدة بن جؤية:

غداات شواحط فنجوت شداً و ثوبك في عباقيةٍ هريدُ

وشواحط اسم لأحد المواقع في منطقة عسير على بعد حوالي ٣٥كم شمال مدينة أبها لا زالت تقطن حوله قبيلة من البادية تدعى بني ثعلبة.

٢- جاء في معجم البلدان:

"روضة بيشة قد ذكرت بيشة في موضعها قال الحارث بن ظالم (المري الذبياني):

وحل النعف من قنوين أهلي وحلت روض بيشة فالربابا"

فروض الرباب إذا يقع بالقرب من وادي بيشة كما هو واضح من البيت.

٣- وقال ياقوت:

"وقال كعب بن زهير يخاطب قومه بني عبد الله بن غطفان، فدل أن لهم بتثليث أيضاً منازل:

ولا ألفينكم تعكفون تقية بتثليث، انتم جندها وقطينها"

٤- ذكر القزويني في كتاب آثار البلاد وأخبار العباد:

"قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح الناس أهل السروات، أولها هذيل ثم بجيلة ثم الأزد أزد شنوءة. وإنها كثيرة الأهل والعيون والأنهار والأشجار، وبأسفلها أودية تنصب إلى البحر، وكل هذه الجبال تنبت القرظ، وفيها الأعناب وقصب السكر والاسحل، وفيه معدن البرام يحمل منه إلى سائر البلاد.

وبها جبل قنا، وهو جبل عظيم شامخ، سكانه بنو مرة من فزارة وحظ صاحبة قنا مشهور؛ قال الشاعر:

أصبت ببرة خيرا كثيـــرا	كأخت قنا به من شعر شاعر

وهو ما ذكر أن نصيبا الشاعر اجتاز بقنا، ووقف على باب يستسقي، فخرجت إليه جارية بلبن أو ماء وسقته، وقالت له: شبب بي ! فقال لها: ما اسمك ؟ قالت: هند. فأنشأ يقول:

أحب قنا من حب هند ولم أكن	أبالي أقربا زاده الله أم بعدا ؟
أروني قنا أنظر إليــه فإننــي	أحب قنا إني رأيت به هندا !

فشاع هذا الشعر وخطبت الجارية وأصابت خيرا بسبب شعر نصيب[1]".

ولا زالت بنو مرة تسكن قنا التي تقع في مصب جبال السروات على ما روى القزويني حتى هذه اللحظة وتعرف ببني مرة حتى الآن.

٥- قال زهير:

"ليث بعثّر يصطاد الرجال إذا	ما الليث كذب عن أقرانه صدقا

وقال أبو سعيد: عثّر: جبل بتبالة، وهذا أصح. قد تقدم ذكره في رسم ترج".

٦- يقول البكري: "تيمن بفتح أوله: موضع تلقاء جرش، قال عروة:

تحــــل بـــواد من كراء مضلة	تحاول سلمى أن أهاب و أحصرا
وكيف ترجيها وقد حيل دونها	وقد جاورت حيا بتيمن منكـــرا

---

(١) القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٨٤، ٨٥.

"تيمن: ارض قبل جرش، في شق اليمن؛ وثم كراء؛ ومن انشده: " وقد جاورت حيا بتيماء " فقد صحف"[1].

وقال ياقوت:

" تيمن: بالفتح وآخره نون. موضع بين تبالة وجرش من مخاليف اليمن.

وقيل: تيمن أرض بين بلاد بني تميم ونجران والقولان واحد لأن نجران قرب جرش. قال وعلة الجرمي:

ولما رأيت القوم يدعوا مقاعسا ... ويقطع مني ثغرة النحر حائر
نجوت نجاء ليس فيه وتيـــرة ... كأني عقاب دون تيمن كاسر

وتيمن ذي ظلال: واد إلى جنب فدك في قول بعضهم: والصحيح أنه بعالية نجد. قال لبيد يذكر البراض وفتكه بالرحال وهو عروة بن ربيعة بن جعفر بن كلاب بهذا الموضع وهاجت حرب الفجار:

وأبلغ إن عرضت بني كلاب ... وعامر والخطوب لها موالـــي
بأن الوافد الرحـــال أمســى ... مقيما عند تيمن ذي ظـلال[2]

وذكر عروة لتيمن المجاورة لجرش يعد تفصيلاً دقيقاً يدل على قربه منها إذ لو كان بعيداً عن موطنها بمسافة كبيرة لذكرها في جرش أو وادي بيشة من باب الأولى.

ويقول عروة:

قلتُ لقومٍ، في الكنيفِ، تَرَوّحوا ... عشيّةَ بتنا عند مــاوان، رُزَّحِ

إلى أن يقول:

لعلّكمُ أن تصلُحوا بعدَما أرى ... نبات العضاة الثائب المتروح[3]

---

(١) البكري، معجم ما استعجم، ج١/ ص٣٣١.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص٦٨.

(٣) ديوانا عروة بن الورد والسموأل، دار صادر بيروت، ص٢٣.

وماوان (الماوين) هو موقع في منطقة عسير شمال مدينة أبها بحوالي ٣٥كم، ونبات العضاة هي من النباتات التي اختصت بها جرش، وقد عرفت تاريخياً في منطقة جرش دون غيرها وقد ذكر ذلك أبو علي الهجري، وقال بعض أهل المعاجم أن العضاة تعني نبات الأرض من الحشائش، قلت وهي تنطق كذلك وتحمل نفس المعنى في منطقة عسير حتى الآن وقد نجد في قول الهجري ما يدل على أنها لهجة خاصة بإقليم جرش مما يدل على ارتباط عروة بهذه الأرض من خلال لغته، وقد رأينا عروة يشير إلى بعض قبائل المنطقة التهامية والسروية في شعره عندما يقول:

أخذت معاقلها اللقاح لمجلس ... حول ابن أكثم من بني أنمار
ولقد أتيتكـــم بليــــل دامس ... ولقد أتيت سراتكم بنهار[1]

واللقاح بطن من عنز بن وائل تسكن السراة أما أنمار فمن قبائل تهامة التي تسكن غور عنز بن وائل مباشرةً وكلها من القبائل التي ذكرت في جرش، وكذلك فإن قبيلة نهد الذين منهم أخوال عروة من القبائل التي كانت تسكن أحواز جرش وجبال السراة في الجاهلية كما ذكر الهمداني وغيره، وقد أكثر عروة من هجائهم في شعره مما يدل على مجاورته لهم، لذا فالراجح أن عبس كانت تسكن ما بين شرقي سراة إقليم عسير(نجد) وتهامة منطقة عسير حيث لا زالت قبائل عبس موجودة بها وتحمل نفس اسمها بجوار قبائل أنمار في تهامة حتى الآن.

ولا يمنع ذلك أن تكون عبس قد انتقلت من منازلها القديمة في تهامة والسراة إلى ما بين العراق والمدينة المنورة إما في زمن عروة أو بعده.

ويذكر الكثير من المؤرخين في عصرنا أن هذه القبيلة كانت تسكن قرب عنيزة وعيون الجواء في القصيم وما بينها وبين الصمان لورودها في شعر عنترة، بينما لا يستوي ذلك وما ذكرنا من وجود عروة في شعوف الحجاز وفي أرض جرش، وفي "عمق" التي يحمل اسمها موقعين في تهامة إحداهما إلى جنوب مكة وآخر إلى شمال البرك، وفي "قديد" الواقعة حوالي مكة، وهذا يدلنا على وجود النقص الكبير في استقراء تسلسل أحداث التاريخ وربطها بالمواقع بشكل أدق فنجد التي كان يتحدث عنها عروة ليست نجد التي نعرفها في الوقت الحالي وأزيد على ذلك بل ربما عنيزة والجواء التي ذكرها عنترة العبسي قد لا تكون هي نفسها التي نعرفها حالياً، فقد ورد في شعر الكميت بن زيد الأسدي (عاش في القرن الأول للهجرة) قوله:

---

(١) ديوانا عروة بن الورد والسموأل، دار صادر بيروت، ص٤٢.

بنو أسد أحموا على الناس وقعة ضواحي ما بين الجواء فعثَّرا[1]

وعثَّر جبل في تبالة على قول أبو سعيد الذي أيده البكري[2]، ومن المعروف أن بني أسد كانوا يحلون في وادي ترج وتبالة، وقد أنكر الهمداني أن تكون عثَّر المقصودة في جهة نجد وادعى أن المقصود بعثر عثر المخلاف السليماني والتي تقع على ساحل بيش وقال أنها هي المقصودة في قولهم أسد عثر لأنه لا أسود في تبالة، ولكن ما يثبت صحة كلام البكري وخطأ الهمداني، قول الحزازة العامري عندما استسقى عن أهل نجد فعدد أراضيها متوالية إلى أن قال:

ألقيت للسحـــاب من أرض تثليث فأرض الهجيرة الأعياء
فالشعيبات من يبنبم أحيـــن فأجزاعهـــــن فالميثـــاء
أعشب الكور كور عامر تيم حيث... هرجـــاب فالمأذاء
واتلأبت سيول بيشة فـــي أعراضها فهي لجـــة طخياء
وكأن النخيل من بطن تـرجٍ وهي حوم حنـادس ظلماء
ويحوران للأوارك والضيـــن وفي حصب عُثَّــرٍ ضوضاء
رويت قيعتـــا تبـــالة غيثاً فذوات الآصاد فالعبلاء[3]

وكل هذه المواضع تقع متقاربة في سراة إقليم عسير، مما يدل على أن عثَّر المقصود هنا ما هو إلا أحدها ما بين ترج وتبالة حسب سياق الأبيات، وبما يوافق ما ورد لدى البكري وأبو سعيد.

وقد ذكر الرواة عثر" جبل في تبالة ومن ثم فإن الجواء غير بعيد عنه بينما عيون الجوى في القصيم تبعد عنه أكثر من ٧٠٠كم، وأيضاً فقد كان لعنترة امرأة من بجيلة[4]،ولم يكن لبجيلة وجود في منطقة القصيم في العصر الجاهلي ونلاحظ هنا قول عنترة العبسي:

وخثعم قد صبحناها صباحاً بكوراً قبل ما نادى المنادي[5]

ويقول في موضع آخر:

---

(١) ديوان الكميت بن زيد، جمع وتحقيق د. محمد نبيل طريفي، دار صادر ـ بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٨٩.

(٢) معجم ما استعجم، المصدر السابق، ص٩٢١.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٣٣٤.

(٤) ديوان عنترة، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٤م، ص٣٣.

(٥) ديوان عنترة، المصدر السابق، ص١٢٢.

تركت جبيلة بن أبي عدي — يبل ثيابه علـــق نجيـع
وآخر منهم أجررت رمحي، — وفي البجلي معبلة وقيع[1]

وهنا نجد عنترة يشير إلى حروب قبيلته مع قبيلتي بجيلة وخثعم والأولى شمالي الباحة بينما الثانية ما بين جرش وبيشة المجاورتان لها، وقد ردد عنترة كثيراً اسم قبيلة عك التهامية أيضاً، ورغم أن الإشارات إلى خثعم وعك جاءت في شعره المشكوك في صحته، إلا أن التشكك قد لا يحمل محمل جدية الرفض المطلق، خاصةً وأن هنالك عامل مشترك يخص المواقع بين هذا الشعر خاصةً وأنه ذكر بجيلة التي تجاور خثعم في شعره الثابت عنه، فالشاعر لا يكون على وتيرة واحدة في قوة شعره فهو يبدأ ضعيفاً ثم يتمرس، كما أن الشعر المنسوب إليه يظل يحمل دلالة تاريخية حتى وإن اعتبرناه مشكوكاً في نسبته إلى عنترة لأنه يحمل دلالات على عصره الذي نحل فيه، ومن هنا فإما أن عبس كانت تنتجع ما بين شرقي منطقة عسير إلى شرقي الطائف إلى بلاد اليمامة وهو أمر غير متوقع، أو أنها هاجرت من هذه إلى تلك.

هــوازن

١- جاء في معجم البلدان:

قال الصمة الأكبر بن الحارث الجشمي (من جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن) وهو أبو دريد:

الا أبلغ بني ومن يليهـــم — بأن بيان ما يبغون عندي
جلبنا الخيل من تثليث إنا — أتينا آل صارات فرقد[2]

٢- جاء في كتاب الأصنام ما يلي:

"فلما فتح رسول الله ﷺ مكة وأسلمت العرب، ووفدت عليه وفودها، قدم عليه جرير بن عبد الله مسلما. فقال له: يا جرير! ألا تكفيني ذا الخلصة؟ فقال: بلى! فوجهه إليه. فخرج حتى أتى بني أحمس من بجيلة، فسار بهم إليه فقاتلته خثعم وباهلة دونه. فقتل من سدنته من باهلة يومئذ مائة رجل، وأكثر القتل في خثعم".

---

(١) ديوان عنترة، المصدر السابق، ص٥٠.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٥٧.

٣- جاء في معجم البلدان لياقوت:

"وقال أبو المنذر. كان غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن نديما لربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فشربا يوما فعدا ربيعة على غزية فقتله فسألت قيس خندف الدية فأبت خندف فاقتتلوا فهزمت قيس فتفزقت. فقال فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك ابن كنانة بن خزيمة .

أقمنا على قيس عشيـــة بـارق	*ببيض حديثات الصقال بواتك*
ضربناهم حتى تولوا وخليـــت	*منازل حيزت يـــوم ذاك لمالك*

قال فظعنت قيس من تهامة طالعين إلى نجد فهذا دليل على أن بارق موضع بتهامة نص"[1]

وبارق وادي غزير الماء في تهامة عسير إلى الشمال من محايل.

طـــيء

١- جاء في معجم ما استعجم للبكري (ومثله جاء بالتفصيل في كتاب الأغاني):

"طريب" بفتح أوله، وكسر ثانيه: واد باليمن، كان منازل طيئ قبل أن تخرج إلى الجبلين، وهو اليوم لهمدان. وقد تقدم ذكره في رسم جوف الخنقة.

وقال بعض طيئ في مخرجه من طريب:

اجعل طريبا كحبيب ينسى	*لكل يوم مصبح و ممسى"[2]*

٢- يقول الهمداني في صفة جزيرة العرب:

"والخنقة وطريب موضع طيئ الذي انتجعوا منه إلى الجبلين"[3]

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج١/ ص٣١٩.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ج٣/ ص٨٩٠.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٣٧٤.

كنـده

- ذكر القزويني في كتاب آثار البلاد وأخبار العباد:

"وبها عين ضارج، عين في برية مهلكة بين اليمن والحجاز في موضع لا مطمع للماء فيه. حدث إبراهيم بن إسحاق الموصلي أن قوما من اليمن أقبلوا إلى النبي، ﷺ، فضلوا الطريق ومكثوا ثلاثا لم يجدوا ماء ويئسوا من الحياة، إذ أقبل راكب على بعير له، وكان بعضهم ينشد:

ولما رأت أن الشريعة همها وأن البياض من فرائصها دامي
تيممت العين التي عند ضارج يفيء عليها الظل عرمضها طامي

فقال الراكب: من قائل هذا الشعر ؟ قالوا: امرؤ القيس. قال: والله ما كذب ! هذا ضارج، وأشار إليه فحثوا على ركبهم فإذا ماء عذب وعليه العرمض والظل يفيء عليه، فشربوا ريهم وحملوا ما اكتفوا، فلما أتوا رسول الله قالوا: يا رسول الله أحيانا الله ببيتين من شعر أمريء القيس، وأنشدوا فقال رسول الله، ﷺ: ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها، منسي في الآخرة خامل فيها، يجيء يوم القيامة ومعه لواء الشعراء إلى النار".

ونجد أن في الرواية إشارة لموقع ضارج التي ذكرها امرؤ القيس في أرض فلاة منقطعة فيما بين اليمن ومكة حيث يقع إقليم عسير مما يدل على سكنى كندة لهذه المنطقة في أي مراحلها.

- ويؤيد ما ذكرناه في الفقرة السابقة قول امرؤ القيس في مطلع معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

يوجد جبل الدخول في وادي شصعة شمالي رجال ألمع، وهو جبل كبير معروف باسمه حتى الآن، ومنه يحتمل أن كندة استوطنت هذا الإقليم في تاريخها الأول.

غنـي

- جاء في صفة جزيرة العرب للهمداني (ورواه ياقوت أيضاً) :

قال طفيل (الغنوي)- وذكر يبمبم من نجد العليا -:
أشاقتك أظعان بجفر يبمبم غدوا بكرا مثل النخيل المكمم[1]

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٩٠.

ويبمبم في أسفل القاعة كما ذكر الهمداني.

ومما تقدم فإنه من الواضح لنا أن معظم القبائل العربية قد استوطنت إقليم عسير في العصر الجاهلي، وأن الحديث عن أن القبائل الحالية أزلية الوجود فوق هذه الأرض خطأ كبير، كما أن محاولة اختزال الأنساب فوق هذه الأرض في قبائل محددة أو أرومة محددة خطأ كبير، ففي إقليم عسير بانوراما قبلية وتنوع لا يمكن تجاهله، فلا زالت قبائل من مضر كبني قشير حول وادي ترج والتي دخلت في بني شهر، وبني سلول ومعاوية في بيشة، وبني مرة في قنا، وتميم حوالي وادي ترج والتي دخلت في بني عمرو تحمل أسماءها حتى هذه اللحظة وتقيم حيث أشار لها المؤرخون، ولا شك أن هنالك الكثير غيرها ممن لم نلم بهم هنا أو انقطع ذكرها منذ الأزل، كما لا زالت قبائل ربيعة تمتد في بلاد عسير وقحطان حيث عنز بن وائل التي تمتد فيما بين سراة عبيدة ووادي عبل مشكلة واحدة من أكبر القبائل في المنطقة، والتي تنتمي لها عسير ورفيدة والشعف وبعض قبائل عبيدة وشمالي بني بشر، بالإضافة إلى تغلب وبكر في رجال ألمع مثل بني بكر بن وائل وبني قيس بن مسعود وبني الجون بن سوادة وبني زيد بن سوادة وبني ظالم من سدوس من بكر وتغلب وأكلب في وادي بيشة، وبني بكر بن وائل في تثليث وما حولها مثل بني جحدر بن ضبيعة، وكنانة التي مازالت ممتدة على سواحل الإقليم، ولا شك أن هنالك الكثير غيرها مما لم نلم بها هنا أو ممن انقطع ذكرها القديم هنا.

بعض أيام العرب وأحداثهم في إقليم عسير

١- يوم خزاز

وكان بين ربيعة واليمن وقد وقع في بلاد تهامة حيث كانت تسكن ربيعة قبل حرب البسوس وتنتجع في تهامة عسير ما بين وادي خيطان إلى العارضة:

- قال النويري:

"قال أبو المُنذر هشام بن محمد بن السائب: لم تُجتمع مَعد كلها إلاّ على ثلاثة من رؤساء العرب، وهم :عامر وربيعة وكُليب.... .إلى أن قال: والثالث: كليب بن ربيعة، وهو الذي يقال فيه: أعز من كليب بن ربيعة، وهو الذي يقال فيه أعز من كليب وائل، وقاد معدا كلها يوم خزار،.... إلى أن قال:، وكانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهامة... إلى أن قال: فلما قتل كليب ارتحلت بنو شيبان حتى نزلوا بماء يقال له النهى..."[1]

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج١٥ / ص٣٠٣.

• جاء في معجم البلدان لياقوت ما يلي:

وقال في الجامع السلان واد فيه ماء وحلفاء وكان فيه يوم بين حمير ومذحج وهمدان وبين ربيعة ومُضر وكانت هذه القبائل من اليمن بالسلان وكانت نزار على خزاز وهو جبل بإزاء السلان وهو ما بين الحجاز واليمن[1].

• أورد الهمداني في صفة جزيرة العرب رأيا آخر ننقله فيما يلي:

"قالوا: حمى ضرية هو حمى كليب وبين الحمى وضرية جبل النير وقد يرى قوم من الجهال أن ديار ربيعة بن نزار كانت من تهامة بسردد وبلد لعسان من عك، وأن تبعا اقطعهم هذه البلاد لما حالفوه، وهذا من الأخبار المصنوعة لأن الملوك أجل من أن يحالفوا الرعايا وإنما بنوا هذا الخبر على وهم وهوى فقالوا في المهجم، وهي خزة: خزازى وفي الأنعوم: الأنعمين وفي الذيبات الذنائب وفي العارضة: عويرض، وإنما عنى مهلهل بقوله:

عمرت دارنا تهامة في الدهـ ... ر وفيها بنو معد حلولا

مكة وما صاقبها"[2]

ولا شك أن الهمداني كان مناراً لمن خلفه من المؤرخين فنجد أن ابن كثير وابن الأثير وتبعهم القلقشندي قد نقلوا منه ما قاله بالحرف حول يوم خزاز.

ولكن الهمداني الذي كان دقيقاً في وصف اليمن ومكة وما بينهما لكونه استطرق هذه الجهات كثيراً من خلال مرافقته لأهله كدليل للحجاج في أول عهده، كان جاهلاً ببلاد اليمامة فنقل عنها من بعض من يلقاهم من أهلها كما يقول الشيخ حمد الجاسر، فأخذ يروي عن بعد عن مواقع خزازي ومواطن ربيعة متجاهلاً مواقعها التي يعرفها في تهامة والسراة، ولكنه ومن حيث لا يرغب قد وثق لنا عن المستفيض فيما قبله من أن ربيعة كانت تسكن في تهامة عسير وأن خزاز وقعت في جنوبي تهامة وأن أحداث تلك المرحلة كانت بتلك الديار، وذكره لبعض الأسماء المعروفة في تلك الجهة في زمنه مما ذكر في أحداث يوم خزاز وحرب البسوس يعد شهادة على وجود هذه الأسماء التي لا زال بعضها معروفاً باسمه حتى الآن وعلى ارتباط هذه الأسماء بيوم خزاز وحرب البسوس في ذاكرة المجتمع في الجزيرة العربية منذ ذلك التاريخ،

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٢٣٥.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٨٨.

والأهم أن بقية قبائل ربيعة لا زالت متكتلة حول نفس المواقع في فرسان والدرب ورجال ألمع اليمن، ثم نجده يصرح في تعليل رفضه لأن تكون خزاز في تهامة بأنه تنزيه لملوك اليمن من أن يكونوا طرفاً في حلف مع قبائل من عامة العرب، فاتجه إلى نفي أن تكون الحرب قد وقعت مع معد بجوارهم مع ما يحمل ذلك من إشارة تقلل من قيمة ملوك اليمن (على رأيه) فحملها بعيداً عن ديارهم لإثبات أنها لم تكن سوى حرب قبلية بين بعض القبائل اليمنية والمعدية بعيدة عن أرض اليمن، ولا علاقة لملوك اليمن بها، وبالتالي فهي هامشية في التاريخ، نافياً لكل ما قاله الرواة قبله، مع أن التاريخ يحمل الكثير من الأمثلة على سقوط الكثير من عظماء الملوك على يد بعض القبائل البدوية غير المتحضرة، فقد سقطت روما على أيدي قبائل الرعاة السكسونية الهمجية القادمة من الشمال، وسقطت الخلافة الإسلامية ومعظم أوروبا على يد قبائل التتار الهمجية القادمة من وسط آسيا، وحتى كسرى فارس شرب وهو في أوج قوته يوم ذي قار من نفس الكأس على يد بعض من شاركوا من ربيعة في خزاز، فلا أجد أي معنى للتنزه عن محالفة بعض أبناء العرب لملوكهم الذين كانوا يستفيدون منهم بتجييشهم لتوسيع النفوذ، ولا أرى أن هزيمة بعض قبائل اليمن على يد مجموعة من أبناء عمومتهم من القبائل العربية الأخرى سيعيب التاريخ والحضارة اليمنية أو يقلل من قيمتها، فالأحداث اللاحقة ودخول الأحباش لليمن تدل على أن اليمن كان أساساً في مرحلة من التراجع في تلك الحقبة، ولكننا نجد الهمداني أثناء سرده للخبر حسب رؤيته يشير إلى دخول أهل تهامة إلى جانب ربيعة مع أنه لا مجال لقبول مثل هذه الإشارة إذا كانت الحرب قد حدثت هنالك في شمال بلاد اليمامة كما يزعم حيث لا منطق في الإشارة لدخول أهل تهامة كطرف في الحرب دون غيرهم على بعد المسافة ووقوعها إلى الشمال منهم بينما الخصم قادم من الجنوب، فكان الأجدر أن تسير ربيعة ومن معها إلى حيث حلفائها في موقع متقدم لا أن تنتظر خصمها ليأتي إليها ولتأتي أحلافها من جواره، فدخول أهل تهامة هي إشارة لكون الحرب حدثت بينهم هنالك في تهامة.

أيضاً فإن سياق قصيدة المهلهل التي أشار الهمداني لأحد أبياتها توضح أن مقتل أخيه كليب كان في تهامه ـ كما أوردنا تحت عنوان "ربيعة" ـ عندما قال:

غنيت دارنا تهامة في الدهـ ... ـر وفيها بنو معـد حلـولا
فتساقوا كأسا أمرت عليهم ... بينهم بقتل العزيز الذليـلا
فصبحنا بني جليم بضرب ... يترك الهـم وقعـه مفلـولا

- روى البكري في المعجم ما يلي:

""ملحان" بكسر أوله، ولإسكان ثانيه: جبل مذكور في رسم عدنية، (قال الهمداني:

جبل ملحان: هو المطل على المهجم من أرض تهامة، والمهجم: هو خزار، نسب إلى ملحان بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سلد بن زرعة بن سبا الأصغر"[١].

٢ـ السلان

- جاء في معجم البلدان لياقوت ما يلي:

"ويوم السلان أيضاً قبل هذا بين مَعد ومذحج وكلب يومئذ معديون وشهدها زهير بن جناب الكلبي. فقال

شهدت الموقدين على خـــزاز وفي السلاّن جمعاً ذا زُهـــاءِ

وقال غير أبي أحمد قبل السلان هي أرض تهامة مما يلي اليمن... وقال في الجامع السلان واد فيه ماء وحلفاء وكان فيه يوم بين حمير ومذحج وهمدان وبين ربيعة ومُضر وكانت هذه القبائل من اليمن بالسلان وكانت نزار على خزاز وهو جبل بإزاء السلان وهو ما بين الحجاز واليمن والله أعلم"[٢].

٣ـ الهرير

قال ياقوت في معجمه ما يلي:

الهرير بالفتح ثم الكسر من هرير الفرسان بعضهم على بعض كما تهر السباع وهو صوت دون النباح، ويوم الهرير من أيامهم ما أظنه سمي إلا بذلك إلا أنه كان الأغلب على أيامهم أن يسمى بالمكان الذي يكون فيه ذلك وهو من أيامهم القديمة قبل يوم الهرير بصفين كانت به وقعة بين بكر بن وائل وبين بني تميم قتل فيه الحارث بن بيبة المجاشعي وكان الحارث من سادات بني تميم فقتله قيس بن سباع من فرسان بكر بن وائل فقال شاعرهم

وعمرا وابن بيبة كـــان منهـــم وحاجب فاستكان على الصغار[٣]

وتعليل ياقوت هنا لغوي ظني كما يفصح هو بذلك لعدم وجود البديل لديه، وقوله أن

---

(١) البكري، معجم ما استعجم، المصدر السابق، ج٤/ ص١٢٥٤.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج٣/ ص٢٣٥.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، المصدر السابق، ج٥/ ص٤٠٣، ٤٠٤.

العرب كانت تسمي معاركها باسم المكان هو الأصح حتى هنا، فالهرير اسم مكان وليس وصف، وهو بخميس مشيط ولا زال جزء كبير من الخميس معروف بهذا الاسم حتى الآن.

٤- يوم عتود

ذكر ياقوت أنه من أودية كنانة وحدثت به معركة بين كنانة وخزاعة[١].

٥- يوم الشقيق

لبكر على تميم، قال أبو عبيدة:

أغار أبجر بن جابر العجلي على بني مالك بن حنظلة، فسبى سليمى بنت محصن، فولدت له أبجر. ففي ذلك يقول أبو النجم:

ولقد كررت على طهية كـرة حتى طرقت نساءها بمساء[٢]

ولا زالت الشقيق موجودة باسمها في تهامة عسير وحيث ذكر المؤرخون أن ربيعة كانت تستوطن.

٦- يوم بارق

بين هوازن وتميم ذكره ياقوت وأشار لموقعه في تهامة[٣] انظر فصل "هوازن".

٧- يوم القرين

- ذكره القلقشندي في نهاية الأرب ـ وهو بين خثعم وكنانة[٤].

و"قرين" اسم موقع في شرقي بلاد عسير.

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، المصدر السابق، ج٤/ ص٨٣.

(٢) ابن عبدربه، العقد الفريد، تحقيق محمد عبدالقادر شاهين، المكتبة العصرية ـ بيروت، ١٤٢٥هـ جزء٦/ ص٦٢.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/ ص٣١٩.

(٤) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٢٦٢.

٨- يوم فيف الريح

- ذكره القلقشندي في نهاية الأرب - كان بين مذحج وخثعم وبني عامر[(١)] وهو يوم مشهور شرقي منطقة عسير.

٩- يوم القرعاء

- ذكره القلقشندي في نهاية الأرب - كان بين بني مالك وبني يربوع[(٢)]. والقرعاء معروفة ولا زال يجاورها قبيلة بني مالك في تمنية.

١٠- يوم نجران:

ذكره القلقشندي في نهاية الأرب - كان بين بني تميم و بني الحارث بن كعب[(٣)].

١١- يوم الذنائب:

ذكره القلقشندي في نهاية الأرب – وهو غير يوم الذنائب بحرب البسوس فقد كان لغسان على لخم ونجران[(٤)]

ويدل اسم هذا اليوم أن الذنائب التي عنيت في حرب البسوس كانت حيث توجد نجران وحيث كانت غسان ولخم في أول أمرهما، وهذا يتوافق مع ما ذكره ياقوت حين قال بأن "الذنائب" في تهامة دون زبيد وفيها قبر كليب[(٥)].

١٢- يوم شواحط:

قال ساعدة بن جؤية:

غدات شواحط فنجوت شداً و *ثوبك في عباقيــةٍ هريــدُ*

---

(١) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٢٦٢.

(٢) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٢٦٢.

(٣) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٢٦٣.

(٤) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٢٦٣.

(٥) الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٨.

وفيه هاجمت عامر بن صعصعة بني ثعلبة في ديارها ولكنها لم تنتصر، ولازالت شواحط بنفس اسمها على بعد حوالي ٤٠ كم شمال شرق مدينة أبها وإلى الشرق من مركز صبح بللحمر، وبني ثعلبة لا زالت تقيم حولها.

١٣ـ يوم ترج:

قال ياقوت:

"ويوم ترج يوم مشهور من أيام العرب أسر فيه لقيط بن زرارة (من تميم) أسره الكميت بن حنظلة، فقال عند ذلك:

وأمكنني لساني من لقيــط فراح القوم في حلق الحديد"[١]

١٤ـ يوم البيداء:

ذكر النويري في فنون الأدب:

"وعامر هو قائد معد يوم البيداء حين تمذحجت مذحج وسارت إلى تهامة، وهي أول واقعة كانت بين تهامة واليمن"[٢].

١٥ـ يوم القضة:

من أيام حرب البسوس بين شيبان وتغلب[٣]، والقضة موقع في بلاد عسير السراة.

١٦ـ يوم الستار

ذكره القلقشندي في نهاية الأرب - كان بين بكر وتغلب حلق فيه أحد الفريقين رؤوسهم لتكون علامة لهم[٤].

---

(١) الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص٢١، ٢٢

(٢) النويري، شهاب الدين بن أحمد، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ج١٥ / ص٣٠٣

(٣) ابن عبدربه، أحمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق محمد عبدالقادر شاهين، المكتبة العصرية - بيروت، ١٤٢٥هـ، ج٦/ ص٦٨

(٤) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٢٦٢

والستار هو اسم مجموعة من الجبال في وسط أرض فلاة في الشمال الشرقي من بلاد عسير وهي الفاصلة بين باحتي "شعار" و"المسوح"!.

١٧ـ يوم الذنائب: لبكر على تغلب(١)

والذنائب كما ذكر ياقوت هو موضع في تهامة قبل زبيد به قبر كليب.

وقد نجد أن معظم مواقع حرب البسوس هي أسماء مواقع في تهامة وسراة عسير لا زالت تحمل نفس الأسماء حتى الآن، وكما حددها المؤرخون غير الهمداني ومن نقل عنه، ولكن هنالك الكثير من الشواهد الأخرى التي تجعلنا نتيقن أن هذه الحرب بدأت هنا ثم تنقلت القبيلتان البدويتان بين المواقع، ولكنهما لم تبتعدا كثيراً عن هذه الأماكن فقد انتقل المهلهل بعد هزيمة قومه في يوم الستار وتفرقهم عنه إلى بلاد جنب ومعه ابنته كما أجمعت الروايات وكان مصاباً، فتزوجها معاوية الخير كما هو معروف وبلاد جنب على إجماع المؤرخين هي التي تقع فيما وراء سراة عبيدة إلى الحرجة وقد أولدت عبيدة بنت المهلهل قبيلاً كبيراً من معاوية ومن روح بن مدرك الذي ذكر الأشرف الرسولي أنه من عنز بن وائل والتي ظلت في هذه الأرض بعد رحيل بقية ربيعة إلى هجر واليمامة وسواد العراق، فاستوطن أبناء عبيدة من روح ما بين بلاد جنب وبقية عنز بن وائل، مما يدل على أن أحداث تلك المرحلة كانت فوق هذه الأرض.

١٨ـ يوم البردان:

بين كل من كندة وربيعة بقيادة حجر بن عمرو بن معاوية الكندي وقضاعة بقيادة زياد بن الهبولة(٢).

والبردان موقع في شرقي منطقة عسير بين واديي ترج وتبالة بالقرب من سبت "العلاية" على طريق حاج صعدة إلى مكة أشار له الهمداني(٣)، وقد روى بعض الرواة أن هذه الحرب كانت في الشام وأن زياد بن الهبولة كان ملكاً على الشام في تلك المرحلة، بينما يقول ابن الأثير أن بني سليح كانوا بأطرف الشام من البادية ولم يملكوا بلاد الشام، وكان زياد بن الهبولة السليحي

---

(١) ابن عبدربه، العقد الفريد، نفس المصدر السابق، ج٦/ ص٦٦.

(٢) المولى، محمد أحمد، والبجاوي، علي محمد، وابراهيم، محمد أبو الفضل، أيام العرب في الجاهلية، دار الجيل ـ بيروت، ١٤٠٨هـ، ص٤٢ ـ ٤٥.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٢٨، ٣٤٧، ٣٧٠، ٣٨٠.

ملك مشارف الشام أقدم من حجراً آكل المرار بكثير[١]، وهو ما يدل على أن الرواية حملت الكثير من المنحول والمضاف كغيرها من الروايات العربية، ومن هنا فإن إعادة استقراء مثل هذه الروايات بشيء من المنطقية وتتبع أخبارها ومواقعها قد يعيد لنا الكثير من معالم التاريخ العربي الجاهلي.

ومما تقدم نجد أن منطقة عسير منطقة استوطنتها معظم القبائل العربية عبر تاريخها، كما أنها حسب رأي الجغرافيين وحسب أقدم الروايات التاريخية والتي نقلت عن ابن عباس ومن خلال شعر العرب القديم أيضاً تحتوي الجزء الرئيسي والأكبر من مناطق تهامة والحجاز ونجد، ومن ثم فإننا أمام معطيات تدل على وجود اختلاف في الكثير من المفاهيم في عصرنا الحالي عما كانت عليه في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، وتجعلنا أكثر قناعةً بأن تاريخ الجزيرة العربية لفترة ما قبل الإسلام بحاجة إلى إعادة قراءته بشكل أكثر تمحيصاً وتدقيقاً مما حصل.

---

(١) نفس المصدر، ص٤٥.

الباب العاشر

تاريخ عسير

نبــذة موجــزة

الفصل الأول

عسير عبر القرون الإسلامية الوسيطة

صورة موجزة حول الوضع السياسي والاجتماعي

كانت منطقة عسير في بداية بزوغ فجر الرسالة المحمدية تحوي إحدى المناطق الحضارية المهمة في الجزيرة العربية حيث كانت تعرف بـ "جرش" وهي مركز المنطقة في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، وتقع حالياً بالقرب من أحد رفيدة، والتي هي جزء من امتداد النطاق العمراني لمدينة أبها، وقد اشتهرت جرش في الجاهلية بالإنتاج الحربي حيث تخصصت بصناعة المنجنيق والدبابات والعرادات، بالإضافة لاختصاصها في صناعة النسيج والأدم الجرشية، وقد ورد في السيرة أن الرسول ﷺ قد أوفد عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة إلى جرش لتعلم عمل المنجنيق والعرادات لنصبها قبل حصار الطائف وكان قد فعل مثله أهل الطائف[١]، كما اشتهرت جرش بالأديم والإبل الجرشية[٢] يقول لبيد:

بكرت به جرشية مقطـــورة   تـــروي المحاجر بازل علكـــوم[٣]

ويقول بشر بن أبي خازم:

تحدر غرب الماء عن جرشية   على جربة تعلو الديار غروبها[٤]

---

(١) الواقدي، محمد بن عمر، المغازي، ج٢/ ٢٣٤.

(٢) ـ الفيروزبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ج٢/ ٢٦٥.

ـ ابن منظور، لسان العرب، ج٦ /ص٢٧٢.

(٣) كتاب العين ج٢، ١٤٧.

(٤) ديوان بشر بن أبي خازم، ص١٤.

وكان لأهل جرش في الجاهلية صنماً اسمه يغوث كما ورد في كتب السيرة وهو على هيئة أسد، وهو من أشهر أصنام العرب وقد ورد اسمه في القرآن في قوله تعالى (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا)، وقد نقلت هذا الصنم قبيلة غطيف إلى نجران واستقر هناك حسب الرواة[١]، والطريف أنه عثر على تمثال أسد في منطقة نجران في عهد الملك عبدالعزيز وتم تقديمه هدية إلى بريطانيا، وهو موجود حالياً بالمتحف البريطاني[٢]، ولا ادري إلى أي مدى يمكننا الربط بين هذا وذاك فلربما وجدت بعض النقوش على التمثال تدلنا على قصته.

ولازالت بقايا مدينة جرش تدل على نشوء حضارة مزدهرة فوق هذه المدينة في عصور متقدمة تحتاج لكشف النقاب عنها لمعرفة المزيد من تفاصيلها، وقد بدأت فرقة من الخبراء السعوديين والأمريكان في الكشف عن آثار هذه المدينة وكانت البداية مذهلة كما يقول أعضاء الفرقة[٣].

وكان أول من حملوا الإسلام لهذه الديار من صحابة رسول الله كل من عمرو بن الطفيل الدوسي، والصرد بن عبدالله الأزدي[٤]، وعبادة بن الأشيب العنزي[٥]، حيث رفع أهلها راية الجهاد منذ اللحظة الأولى لدخولهم الإسلام، فكانوا أوائل المجاهدين خارج المدينة المنورة، وقد تداول عليها الولاة بدءاً من عهد الرسول ﷺ حين ولى عليها سعيد بن القشب[٦]، ثم في عهد الخلفاء الراشدين، كأبي سفيان بن حرب[٧]، وعبدالله بن ثور[٨] وغيرهم، واستمرت حاضرة معروفة يتداول عليها ولاة الدولة الإسلامية حتى نهاية القرن الرابع[٩]، وكان منها عدد من المحدثين[١٠].

---

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، نسخة إلكترونية، ج٣/ ٧٥٠.

(٢) شرف الدين، احمد حسين، اليمن عبر التاريخ، بدون ناشر، ط٢، ١٣٨٤هـ، ص١١٢.

(٣) جريدة عكاظ السعودية، ١١/ ٨/ ١٤٣٠هـ.

(٤) ابن إسحق، السيرة النبوية، ص٦٥٦، ٦٥٧.

(٥) ـ ابن ماكولا، الإكمال، ج٧/ ص٤٤.
ـ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤/ ص٢٦.

(٦) العصفري، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ج١/ ص٦١.

(٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص٧٠

(٨) النويري، نهاية الأرب، ج١٩/ ص٩٢

(٩) النعمي، هاشم، عسير قبيلة وبلاد، مجلة العرب،ج٣، ٤ السنة السابعة والعشرون (عام ١٤١٢هـ.

(١٠) الفيروزبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكرن بيروت، ج٢/ ٢٦٥.

أما في العصر الإسلامي ما بين نهاية القرن الرابع وبداية الثالث عشر الهجري[١] فإن ما بين أيدينا من نقولات خلال هذه المرحلة تدل على أن الإنسان فوق جبال السروات ومنذ اندثار مدينة جرش، ظل حراً لم يسلم لدولة ولا لحاكم ولم يدفع إتاوة لأحد، حيث كانت هذه الجبال مكتفية بذاتها تعيش في منعة وسعة، تحت سلطة شيوخ القبائل المحلية كما يقول ابن المجاور في القرن السابع عنها[٢]، وكما وصفها عبدالله بن علي المؤيدي في القرن الحادي عشر[٣]، وكان لجغرافيتها ذات التضاريس الصعبة وتمددها الطولي أيضاً أثرها في ابتعادها عن تكوين الحكم المركزي الشامل في ظل الهجرات المتتالية منها إلى البلاد العربية الأخرى التي استأثرت بمراكز الحضارة الإسلامية، كما كان للمزاج القبلي العربي لأهلها دور في رفض التبعية للولايات التي قامت في مكة والتي حاولت التمدد عليها، شأنها في ذلك شأن بقية أقاليم وسط الجزيرة العربية ذات الجغرافيا الصعبة سواءً الجبلية أو الصحراوية، والتي نأت عن تكوين المراكز الحضارية الكبرى في العصر الإسلامي مع انتقال ثقل الحضارة العربية الإسلامية إلى بلاد الشام والعراق ومصر والمغرب العربي، ولكنها كانت على اتصال دائم ببقية أنحاء الجزيرة العربية والوطن العربي من خلال امتدادها البشري المستمر باتجاه الشرق والشمال والغرب وهجرات أبنائها المستمرة إلى مراكز الخلافة، وما تصدره للأقاليم الأخرى حيث المراكز السياسية في العراق والشام ومصر وبلاد المغرب العربي وبلاد الأندلس ومكة من أطيب البشر والفواكه والثمار، فخرج منها منذ بدأ الرسالة عدد من أهم الصحابة أثراً ممن شدوا الرحال من هذه الجبال إلى حيث مهبطها كأبي هريرة وعمرو بن الطفيل والصرد بن عبدالله وعامر بن ربيعة وعبدالله بن عامر وعبادة بن الأشيب ﷺ، وغيرهم كثير ممن لا مجال لسردهم هنا، كما ظلت تنطلق منها الهجرات المستمرة، فخرج منهم الكثير من رجال العلم والأدباء والشعراء والنحويين كابن دريد والخليل بن أحمد الفراهيدي والمبرد والطحاوي والكثير غيرهم ممن تغص بأسمائهم الكتب والدواوين فبدا أثرهم على الأدب والثقافة العربية واضحاً ومتميزاً.

ورغم انقطاع الولاية عن هذه الأرض ودخولها في دهر من الحياة القبلية البسيطة، إلا أن إنسان هذه الأرض ظل متمسكاً بتدينه الشديد، فقد نقل القلقشندي بعض ما جاء في الأخبار عن شدة تمسك أهل السراة بالعقيدة السليمة وتدينهم ومنه قوله:

---

(١) النعمي، هاشم، عسير قبيلة وبلاد، مجلة العرب، ج٣، ٤ السنة السابعة والعشرون (عام ١٤١٢هـ).

(٢) ابن المجاور، صفة بلاد العرب ومكة وبعض الحجاز، ٣٧، ٣٨.

(٣) المؤيدي، محمد بن عبدالله، التحفة العنبرية ...، مخطوط، ورقة ٣٢٣ وما بعدها.

"قال: وأهلها أهل سلامة وخير وتمسك بالشريعة ووقوف معها، يعضون على دينهم بالنواجذ، ويقرون كل من يمر بهم، ويضيفونه مدة مقامه حتى يفارقهم"[١]

ونجد ذلك فيما رصده المؤرخون والرحالة كالهمداني في بداية القرن الرابع الذي أشار إلى مساجدها المنتشرة في القرى وابن المجاور في القرن السابع وابن جبير وابن بطوطة في القرن الثامن الذين أشاروا لحملات أهل السراة إلى العمرة وأدعيتهم التي تميزوا بها ما جعل عبدالله بن عمر رضي الله عنه وبعض الصحابة والتابعين يحرصون على الدخول في جمعهم عند الطواف ويحرصون أهل مكة على تعلم الدعاء منهم اقتداءً بما جاء في الأثر عن النبي ﷺ[٢]، وقد نجد دلالة هذه النزعة القوية بين أيدينا فيما وجدناه فوق هذه الأرض من عشرات الألوف من الأوقاف المتوارث احترامها عبر القرون والتي تغص بها كل قرى المنطقة، واحترام الناس لهذه الأوقاف والخوف من تداخل أملاكهم معها بل وحرص الأهالي على زراعتها وتقديم منتوجها للمساجد بشكل مستمر، مع أن جلها من القدم بحيث لا يعلم من الذي أوقفها ولا متى، وهذه النزعة الدينية فوق هذه الجبال جعلت أهلها من أوائل المتحمسين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عندما انطلقت، والمبادرين للتواصل مع مصدرها والحاملين لوائها عبر الآفاق طواعية لما وجدوا فيها من نقاء العقيدة، كما سيأتي معنا.

لذا ففترة ما بين القرن الرابع وبداية القرن الثالث عشر لم تحض بالعناية التي تستحقها في نقل أخبارها وحالتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، لكونها لم تكن تمثل إحدى مراكز الحكم الشاملة التي تثير اهتمام المؤرخين لتتبع أخبارها، مما جرأ بعض الأطراف على ملئ هذا الفراغ بشكل خاطئ من خلال بعض الكتب المجهولة المصدر، لذا لزم البحث عن المصادر الموثقة التي تثبت الحالة العامة في بلاد السراة.

ولكي نعرف الوضع السياسي والاجتماعي في عسير خلال هذه الفترة فيجب أن ندرس كل ما ورد عنها من أخبار حملها شهود العيان والرحالة الذين مروا بها أولاً بأول منذ البعثة النبوية فيما وقع بأيدينا حتى الساعة مما تم تحقيقه من الكتب القديمة أو ما لم يتم تحقيقه حتى الساعة، ولا نستبعد أن يظهر المزيد من الإشارات التي ستغني هذه المنطقة لاحقاً، ولكننا في هذا المبحث لن نتعمق في الدراسة حول أحداث المنطقة خلال هذه المرحلة، بل سنكتفي بعرض ما قاله واحداً من الرحالة المشهورين عن عسير خلال كل قرن هجري في الفترة الواقعة ما بين

---

(١) القلقشندي، أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية ١٣٣٣هـ (١٩١٥م)، ج ٥/ ص٣٨.

(٢) ابن بطوطة، أبو عبدالله بن محمد اللاواتي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص٧٤.

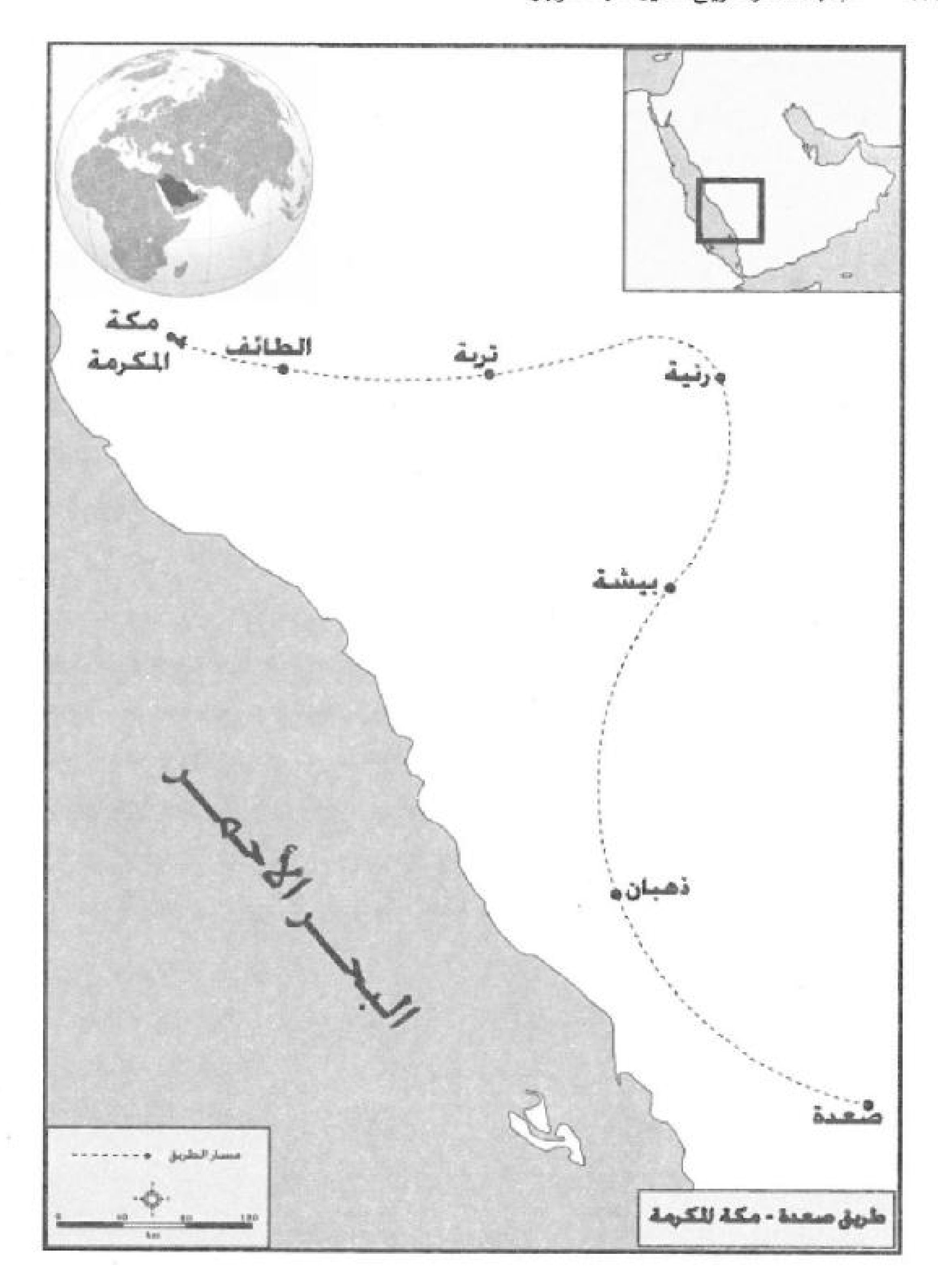
الرابع وحتى بداية الحادي عشر، مما يعطي صورة عامة عن الوضع الاجتماعي والسياسي فيها ثم نبدأ في استقراء ما ذكره كل منهم عن هذه المنطقة.

ما ورد لدى الهمداني في القرن الرابع:

كان الهمداني أحد الذين عرفوا إقليم عسير وعاينوه تكراراً من خلال رحلاته المستمرة بين مكة واليمن خلال نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع، حيث كان في صعدة يعمل مع أهله في نقل حجاج بيت الله الحرام من صعدة إلى مكة[١] عبر سراة منطقة عسير، ومن ثم فإن أكثر ما يمكن أن يكون قد عرفه من خلال هذه الرحلات هي المنطقة الواقعة فيما بين صعدة والطائف حيث يمر طريق قوافل الحج اليمنية من عمق منطقة عسير إذ تخرج هذه القوافل من صعدة عبر بلاد وادعة إلى طلحة الملك ومنها تمر عبر بلاد سنحان ثم عبيدة ثم رفيدة حتى جرش الواقعة في أحد رفيدة (استبدلت بعد القرن الخامس بذهبان) ثم تعبر القوافل عبر بلاد بني مالك عسير إلى أن تقف في أراضي قبيلة التلادة بجوار قرية "الحدبة" التاريخية (مسلت) وبالضبط فيما بين قرى "الطحل" و"صعبان" و"المجزعة" وتقيم هنالك سوقاً لها فترة من الزمن ثم تتحرك عبر منطقة شعار فالمسوح وتستمر في سيرها محاذية لجبال الحجاز من الشرق حتى تتوقف في بيشة ثم في رنية ثم في تربة حتى تتوقف أخيراً في الطائف ومن هنالك إلى مكة المكرمة، وتأخذ نفس الطريق ونفس الوقفات عند العودة، ومن هنا فإن الهمداني ذو خبرة جيدة بالمنطقة وجغرافيتها مما يجعل وصفه لقراها ووضعها السياسي ذو أهمية بالغة لمعرفة تاريخ هذه المنطقة.

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٩.



طريق الحج القديم الواصل بين صعدة ومكة المكرمة
والمار بمنطقة عسير عبر بلاد السراة

المصدر: أ.د.عبدالرحمن الأنصاري، أ.فايز الأسمري، "عسير حصن الجنوب الشامخ"

وهنا نورد ما جاء عند الهمداني الذي عاش حتى عام ٣٣٤هـ تحت عنوان "جرش وأحوازها" حيث قال:

" *جرش وأحوازها*

جرش هي كورة نجد العليا وهي من ديار عنز ويسكنها ويترأس فيها العواسج من أشراف حمير وهو من ولد يريم ذي مقار القيل ولهم سؤدد وعود وجابة اليمانية في أرض نجد إليهم وهم يقومون معهم بحرب عنز وفي شق قرية جرش فرق من النزارية يدعون الجزارين من موالي قريش والغاز من نزار من الغرباء وهم رابطة لعنز على العواسج ويملي إليهم عنز بصرخها ونجدتها وجرش في قاع ولها أشراف غربية بعيدة منها تنحدر مياهها في مسيل يمر في شرقيها وبين حومة ناصية تسمى الأكمة السوداء حومة وحمة وكولة ثم يلتقي بهذا المسيل أودية ديار عنز حتى تصب في بيشة بعطان، فجرش رأس وادي بيشة ويصالى قصبة جرش أوطان حزيمة من عنز ثم يواطن حزيمة من شاميها عسير قبائل من عنز، وعسير يمانية تنزرت، ودخلت في عنز فأوطان عسير إلى رأس تية وهي عقبة من أشراف تهامة، وهي أبها وبها قبر ذي القرنين فيما يقال عثر عليه على رأس ثلاثمئة من تاريخ الهجرة، والدارة والفتيحا واللصبة والملحة وطبب وأتانة وعبل والمغوث وجرشة والحدبة هذه أودية عسير كلها.

ومن النجدي أوطانها الرفيد بلد حصون وزروع لعنز ووادي هذا وسعيا ويسكنها البشريون من الأزد، وقد يقال أنهم من بلحارث، ثم يصلاها عنقة ويسكنها بنو عبد الله بن عامر من عنز ثم تندحة وهي العين من أودية جرش وفيها أعناب وآبار وساكنه بنو أسامة من الأزد ورأيت بعضهم ينجذب إلى شهران العريضة، والعيبا بلد مزارع لبني أبي عاصم من عنز، ويليها وادي طلعان كثير المزارع لبني أسد من عنز، والقرعا لشبية من عنز ولهم قرية كبيرة ذات مسجد جامع يقال لها المسقى وهم مسالمون للعواسج.

والذي يصالي جنب من ديار عنز الرفيد والغوص وأداي وعنقة والراكس والعين عين الرفيد وتمنية والعقالة فالرفيد يسكنه حازمة من عنز والغوص يسكنه بنو حديد من عنز، والراكس يسكنه بنو غنم من عنز والعين يسكنه بنو العراص من عنز، وتمنية يسكنها بنو مالك من عنز والمسقى لشبية من عنز، وطلعان لبني أسد من عنز، والعيبا لبني أبي عاصم من عنز، ذو الينيم يسكنه بنو ضرار، والدارة وأبها والحللة والفتيحا فحمرة وطبب فاتانة والمغوث فجرشة بالإيداع أوطان عسير من عنز وتسمى هذه أرض طود، وأما أغوارها إلى ناحية أم جحدم فالذيبة والساقة لبني جابرة من شببة، ورأس العقبة لبني النعمان وهي عقبة ضلع، ومن جرش إلى رأس العقبة ثم إلى أسفل

عقبة ضلع ثم إلى ياسبين ثم إلى سبتين ثم إلى عفرانين وإلى القوائم ثم إلى أم جحدم ومن جرش إلى بلد بني نهد وخثعم شرقيا وشماليا: تنداحة، ثم ذات الصحار لكود من عنز، ثم الشقرة لبني قحافة، ثم بنات حرب لجليحة، ثم حسد لبني الهزر ثم بلد نهد من جرش إلى كتنة: الهجيرة ثم يتلو سراة عنزو سراة الحجر بن الهنو ابن الأزد ومدنها الجهوة ومنها تنومة والشرع من باحان، ثم يتلوها سراة غامد، ثم سراة دوس ثم سراة فهم وعدوان، ثم سراة الطائف، بلد خثعم: أعراض نجد بيشة وترج وتبالة والمراغة وأكثر ساكن المراغة قريش بها حصنان أحدهما القرن مخزومي والثاني البرقة سهمي، بلد هلال: الواديان رنية وأبيدة ومن القرى القريحا وقد خربت، والعبلاء والفتق وقد خربت، انقضت نجد وحضر موت."[1]

ثم يقول تحت عنوان "أرض السراة" ما يلي:

" أرض السراة: ثم يتلو معدن البرام ومطار صاعداً إلى اليمن سراة بني علي وفهم، ثم سراة بجيلة والأزد بن سلامان بن مفرج وألمع وبارق ودوس وغامد والحجر إلى جرش. بطون الازد:مما تتلو عنز إلى مكة منحدراً الحجر، باطنها في التهمة، ألمع ويرفى ابنا عثمان في أعالي حلي وعشم وذاك قفر الحجر، وتنومة والأشجان ونحيان ثم الجهوة قرى لبني ربيعة بن الحجر وعاشرة العرق وأيد وحضر، ووراءه قرى لبني ربيعة من أقصى الحجر أيضاً ن وحلبا قرية لبني مالك بن شهر قبلة الحجر على هذا يمانيها مصال لعنز ومن شاميها بلد ألوس والفزع من خثعم وشرقيها ما جاور بيشة من بلد خثعم وأكلب وغورها بلد بارق فآل عبيدة من الأزد حلالهم حرام بن كنانة.

فأول بلاد الحجر من يمانيها عبل واد فيه الحبل ساكنه بنو مالك بن شهر، وباحان به القرى والزرع وساكنه بنو مالك وبنو ثعلبة وبنو نازلة من بني مالك بن شهر ابن الحجر، وذبوب واد لبني الأسمر من شهر، ثم الرهوة رهوة بني قاعد من العدميين من بلاد شهر قرية شعيفة على رأس من السراة ن ثم سدوان وادٍ فيه قرية يقال لها رحب لبني مالك بن شهر، تنومة وادٍ فيه ستون قرية أسفله لبني يسار وأعلاه لبلحارث بن شهر، ثم الأشجان قرية كبيرة ليس في السراة قرية أكبر منها بعد الجهوة وساكنها بنو عبد من بني عامر بن الحجر، ثم نحيان وادٍ مستقبل القبلة فيه التفاح واللوز والثمار وصاحبه علي بن الحصين العبدي من بني عبد بن عامر وابن عمه

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٢٩-٢٣١.

الحصين بن دحيم وهم الحكام عى نحيان والأشجان والحرا، ووراء ذلك الجهوة مدينة السراة أكبر من جرش وصاحبها الجابر بن الضحاك الربعي من نصر بن ربيعة بن الحجر، ووراء الجهوة زنامة العرق وهي لجابر بن الضحاك قرية فيها زروع، ثم بعدها أيد ووراءه وادٍ فيه الجيرة القرشيون، ثم الباحة والخضراء قريتان لمالك بن شهر وبني الغمرة.

وحلبا قرية لبني مروان من بني مالك بن شهر، انقضت قرى الحجر. ثم ريما وادٍ ذو عيون كثيرة هو من صدور ترج، ثم يمح وهي أقصى حد الحجر وأهلها الحارث بن ربيعة ثم قطع بين الحجر وبين بلد شكر بطنان من خثعم يقال لهما الوس والفزع فقطعتاه إلى تهامة وسعد الهمام نزارية. ثم بلد شكر سررى، ثم غامد، ثم بلد دوس من وراء ذلك، من بلد بجيلة، ثم بلد عدوان وفهم ونبت بن عكل في صدور أبيدة وبحذاء بلد الحجر أعلى ترج وجوانب بيشة التي تلي السراة فيها قرية مما يصلى بيشة يقال لها نضة لبني الأصبغ من الحجر، والصحن مراع لبني شهر نجداها مما يصلى بيشة حيث تنبطح هي وخثعم وغوراها شامي ترة ويمانيها عنزي، والذي يلي تية من غوائر الحجر مرة واد ينصب في الكفيرة وحلي، والشرى في شرقي ضنكان أسدي ليرفا بن عثمان، ومن أوديتها الغورية فرشاط وصدوره حجرية وأسافله عبيدية من كنانة، وقرب وادٍ أهله من الحجر زيد بن الحجر به ساكنه إلى تهامة ووادي ساقين إلى تهامة ووادي ساقين إلى تهامة فيه محجة الحجر التهامية إلى خاط وادٍ وساكنه بنو عامر الغورية من الحجر. وبخاط نخلات وبسراة الحجر البر والشعير والبلس والعتر واللوبياء واللوز والتفاح والخوخ والكمثرى والأجاص والعسل في غربيها والبقر وأهل الصيد وشرقيها من نجد أهل الغنم والإبل وخيل للأصابغة لا غير."[1]

ثم يصف "ما بين جرش إلى صعدة" فيقول:

"من جرش إلى صعدة: تخرج من جرش قصد صعدة على بلد جنب في سعيا وادي بني بشر ذي أعناب وزروع وأسفل أنيس ثم وادي طرطر ثم وادي منع ثم جزعت منه في وادي نحيان وهي الخنقة ثم ظلامة ثم سراة جنب ومنها الكبيبة والجبل الأسود منه موضع يقال له القريحا والقريحا أيضاً رنية ثم طلعت في وادي النحي إلى سروم والحمرة ووقعت في محجة مكة."[2]

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٢٣٣-٢٣٥.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، ص٣٣٥.

من خلال هذا السرد للمواقع والقبائل نجد أن الهمداني كان دقيقاً جداً في ذكره للمناطق المستطرقة لدرب القوافل اليمنية حيث السفوح الشرقية لجبال الحجاز بينما كان أقل إلماماً بالعمق الجبلي في المنطقة وخاصة الأصدار الغربية للسراة المطلة على تهامة والأصدار الشرقية لتهامة المصالية للسراة فقد وصف قرى جرش وقبائلها بدقة كاملة ومنها بلاد عسير السراة الشرقية، إلا أنه لم يأت بالكثير حول المناطق الجبلية الداخلية البعيدة عن طريق القوافل اليمنية، فقد ذكر من بلاد عسير مجموعة القرى القريبة من طريق القوافل الواقعة في بلاد بني مالك مثل الدارة والحدبة وجرشا والملاحة وفي مغيد الوطا مثل أبها وفي علكم الشرقية مثل حمرة واكتفى من بلاد ربيعة ورفيدة بذكر طبب والمغوث، وبالمثل نجده فعل في جهة السراة الشمالية مثل بلاد الحجر وزهران وغامد وغيرها، فبينما أطنب في كتابه في ذكر القرى والقبائل الشرقية أو الأقل وعورة مثل حلبا وتنومة وترج وبلاد الفزع ولم يأت على ذكر النماص ولا اثنين بللسمر ولا صبح ولا باشوت ولا سبت العلايا ولا بلجرشي ولا الباحة، كما لم يأت على أي قرى بلاد غامد ولا زهران ولا بجيلة حيث يبتعد طريق الحج عنها شرقاً بينما أطنب في قرى ومواقع بلاد عدوان وفصل بدقة في المواقع الشرقية المستطرقة لقوافل الحج مثل تربة ورنية وبيشة وتبالة وترج، وعلى قلة ما ذكر عن الجبال الغربية (الحجاز) فإنه قد ارتكب الكثير من الأخطاء في وصفه لها وقد نبه لبعضها عبدالله بن حميد[1]، ومن ذلك أنه اعتبر الشرى من بلاد بني أسد وهذا خطأ فهي من بلاد خثعم، وقال بأن الجهوة مدينة كبيرة وصفها بأنها أكبر من جرش بينما وصفها ابن حميد بأنها "قرية صغيرة بها عدة بيوتات على وادي النماص واقعة على تل صخري محدود وتحف بها المزارع وليس بها أو بقربها ما يدل على وجود مدينة قديمة"[2]، واعتبر الهمداني باحان (بيحان) من بلاد بني ثعلبة ونازلة من بني شهر بينما هي من بلاد آل محمد من بللحمر، مما يدل على أنه كان ينقل عن الآخرين بخصوص ما أورده عن مناطق الأصدار الغربية (الحجاز) ولم يزرها، لذا لا يمكن الاستناد إليه بشكل كامل بخصوص المناطق الغربية من بلاد السراة وخاصة تلك المناطق الجبلية غير المستطرقة، ولا يصح إعطاء اعتبار لما أهمله من هذه المناطق أو أخطأ في وصفه، ولكن رغم ذلك فكتابه يظل على درجة كبيرة من الأهمية، بل هو أهم الكتب التي وصفت الجزيرة العربية بما فيها إقليم عسير، فيما بعد البعثة النبوية وإلى القرن الثالث عشر حتى هذه اللحظة.

---

(١) عبدالله بن علي بن حميد، أديب من عسير، جمعه ابنه محمد، ط١، ١٤٠٠هـ ص٤٨ ـ ٥٨.

(٢) ابن حميد، عبدالله بن علي، نفس المصدر السابق، ١٤٠٠هـ ص٥٠.

ما أورده مفرح الربعي في القرن الخامس

وبعد الهمداني جاء المصدر الثاني وهو مفرح الربعي في كتابه "سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين" الذي وصف رحلة أبناء القاسم العياني من اليمن إلى ترج بعد استيلاء الصليحي على كامل اليمن وهذا نص ما قاله:

"قال سلامة بن علي: "ولما عزم الشريف الفاضل عليه السلام على النقلة من بلد بني بحر أعمل الحيلة في التخلص مما وقع فيه فكاتب أهل رزاح ونبا لقاء لهم ولبني بحر ولقبائل القد إلى بدر وأمر بزاده وأثاثه فقدم إلى بدر شيئاً شيئاً حتى صار ببدر عن غير علم ولا اشتهار فلما أحكم ذلك نهض معه مشايخ البحرين فيهم الذين نسبت المعاملة فيه.وكان الشريف الفاضل قد رتب مع ذلك الرجل المنتحل أنه يضيف إليه وينزل عليه ويكون من معه من بني بحر عند سائر أهل بدر.

فلما صرنا إلى بدر لقونا ورحبوا بنا واقتسموا فأخذنا ذلك الرجل فصرنا عنده وصار الباقون عند أهل بدر. فلما كان على جزء من الليل نهضنا وعنا ذلك الرجل فبتنا سارين وارتقى بنا جبلاً صعباً حتى صرنا إلى قرية تسمة / أنافية فسألهم الشريف الصحابة إلى الخطاب بن يعيش الجماعي ففعلوا حتى أوصلونا إلى جانب بلاده ولقيونا إلى جانب منها فرحب وقرب، وعرض على الشريف الإقامة في بلده فكره ذلك الشريف وعزم على المصير إلى ترج من بلد خثعم فصحبنا حتى أوصلنا بلاد وادعة فسألهم الصحابة فأنعموا بذلك وأجزنا ببلاد سنحان معنا رجل سنحاني قد استصحبه لنا الوادعيون وكنا خوفاً من سنحان لأنها أصل الدعوة والأصل منها شواحط فسرنا بلدهم حتى أصبحنا بالراحة من بلد بني شريف فلبثنا بها زهاء ثمانية أيام فطمعنا فيها بالمقام وإذا فيها لبني الصليحي الجاب وأهل العهد والأصحاب فاستوحش الشريف لذلك فسألهم الصحابة إلى الأخرق الجنبي ففعلوا حتى اوصلونا إليه فوجدناه بأرض فيحاء إلا أنها جدية منقطعة عن القرى، وإذا عنده القننة شحيحة وخطمه مشيخة فقدمنا وأكرمنا وواجهنا بابشاشة في السلام والبشر والإكرام، ثم ذبح لنا هزلاء وهيأ لنا طعاماً غثاً صنع البادية مع أنه قد بالغ في مقدراته إلى الكرامة وبعد عن الذم والملامة.

قال سلامة بن علي: فتعوفت ذلك الطعام فصاح علي الشريف وقال: تعاف ما لا يعاف وتأكل ما يكره ويعاف، أنسيت موائد بني الصليحي على ما تعرف من الحال وتعاف الطعام الطيب الحلال ؟ قال: ونفذ ما كان معنا من الزاد ووقعنا في مقطعة محطومة من البلاد. ثم سأله الصحابة فأرسل معنا رجلين من بني عمه، فصاروا بنا إلى صرم لبني عبيدة من جنب، فما شعروا بنا إلا بين أبياتهم، ولقد هموا بنا لعظم

البغضة، فلم يجدوا بداً أن أضافونا، وفرشوا لنا فرأيت نساءهم تأتي الواحدة تشرف في وجه الشريف وهو مرخ عليه جلبابه فتقول: ما أداك ها هنا يا شريف ؟ فيميل بوجهه عنها فتأتي الأخرى من الناحية الأخرى فتقول كذلك. ثم سأل الشريف منهم الصحابة، فانتدب منهم لذلك رجلان، وسرينا من ليلتنا تلك، وندموا علينا، ومضوا على أثرنا يريدون الفتكة بنا وبصاحبهم. فلما أصبحنا صلينا، والقوم قد لزموا لنا الطريق، فشددنا للفتنة، فمضى أحد صاحبيهم، حتى نحاهم جانباً، ومضى صاحبهم الآخر جانباً، **فلما قربنا من بلاد عنز بن وائل** جعلوا يلحقون بنا فارساً واثنين حتى لحقنا منهم ثمانية فرسان، وتحقق للشريف أنهم يريدون بنا المكيدة، فنزل، فصلى وصنوه محمد بن جعفر، وحشمر بن عبد الأعلى راكبان، فلما صلى ركب ونزل صنوه فصلى، فلما فرغ ركب ونزل حشمر فصلى، والقوم في خلال ذلك يديرون الرأي ويشتورون. فلما فرغنا من الصلاة أقبل القوم بأجمعهم إلينا، ثم استفتح شيخ لهم الكلام فقال: يا شريف والشريف الله، ها هنا حد، وإلى ها هنا صحابتنا، وفي نفوسهم الغدر والخديعة والمكر، فلما سمع الشريف ذلك منهم قال لهم: يا وجوه العرب! لست بحراث ولا تاجر فترغبون في، أو تهولون علي، أنا رجل من بني الحسن، أنا القاسم بن جعفر من أخذني ها هنا أخذته بمكة. ثم قال لنا: امضوا فمضينا غير بعيد، إلا وتبعونا يقولون: يا شريف أنتم صحابتنا! ثم مضينا نحن وهم، ونحن على أحزم أمورنا، حتى انتهوا بنا إلى **قرية من بلد عنز مما يليهم**، فلقينا أهل تلك القرية بالترحيب، فقال لهم الشريف: ما أردتم من إكرامنا فاجعلوه الصحابة لنا إلى إمامنا، فصحبونا حتى انتهوا بنا إلى البذاخ وهو رجل من جذيمة من عنز بن وائل، وهو دليل الحاج، فرحب وأجمل وقرى، وأجزل وعرفنا أنه مفاتن للعواسج بجرش. وكانت كتب بني الصليحي قد تقدمتنا من ناحية تهامة إليهم فهم على مسرة الصليحي بمساءتنا حراص، ونحن لهم خوف، وكان وصولنا بالبذاخ ليلاً، فأمرنا فكمنّا في دربه صبيحة يومنا ذلك، فلما كان من الليل ركب معنا حتى **استصحب لنا رجلاً رفيدياً من عنز**، فسار بنا الرجل من فوره حتى إذا صرنا في بعض الطريق تبعنا من عشيرته خيل ورجال يريدون الغدر فينا، وقدموا منهم رجلين إلى مضيق قدامنا يعرفونه، وأمروا هذين الرجلين بلزم رفيقهم إذا مر بهما في المضيق، فلما صرنا إلى ذلك الطريق وثب الرجلان فلزما رفيقهم، فلما رأى ذلك الشريف الفاضل حمل هو وصنوه محمد بن جعفر على الرجلين بالسيوف، فخليا عن شكيمة فرس صاحبنا، **ومضينا على حالنا حتى انتهينا إلى الشقرة من بلد شهران حتى صرنا إلى ترج بالسلامة** بعد مشقة من الخوف وانقطاع من الزاد. فلما أفضينا إلى ترج مضى

الشريف قاصداً إلى معافى بن بدر. وأقمنا هنالك في أحسن حال وأنعم بال، وليس لنا اشتغال إلا بقراءة كتاب أو صلاة أو مدارسة. وتزوج الشريف الفاضل امرأة من آل صهيب. فلما أرادوا الخروج إلى اليمامة طلقها."(١).

وقد روى بعد ذلك قصة استقراره بترج لمدة ثمان سنوات وخلالها رحلته إلى مكة ثم إلى المدينة المنورة حتى ورده مقتل الصليحي فعاد إلى ترج وفي ذلك يقول:

"وصحت الأخبار بمقتل الصليحي، وبنى الشريف على الإقامة بترج لخبرته بتمكن الصليحي باليمن وكثرة أموالهم وأعوانهم وضعف همم الكثير من الناس وخذلانهم، ثم ذكر من خلّفه من آله وأوليائه وشيعته وأحبابه فأزعجه ذلك عن المقام فعزم على السفر وبقينا نتوقع الرفيق، فنحن بذلك إذ قدم ذلك الجمع الذي لقينا بتربة قد وصلوا مكة وصحت لهم الأخبار وعادوا، فسألهم الشريف الصحابة فأنعموا ونهضنا معهم من ترج حتى إذا صرنا على بريد من ترج اجتمع رؤساؤهم فاشتوروا من أجلنا فأشار بعضهم بقتلنا، وأشار بعضهم بردنا. ثم أقبل القوم إلينا بعد إجماعهم على ردنا فواجهونا بذلك. فقال الشريف: إذا كرهتم صحابتنا فنحن نكثر من خيرة الله سبحانه فانثنى منهم ومعنا رفيق لنا خثعمي. ثم بنى الشريف الفاضل على المضي إلى بلد نهد ثم منها إلى نجران. فبينا نحن في الطريق إذ عرض لنا ثلاثة ركبان فاستعرضناهم فإذا هم من آل صهيب من خثعم فعرفهم الشريف الفاضل وعرفوه للمصاهرة التي كانت بينه وبينهم. فسألهم الصحابة إلى أكلب بأسفل بيشة فسأله الرجل الصهيبي عن غرضه فلم يخبره فلج عليه وقال: لعل عندي فيما تؤمل رأياً فأخبره الشريف فقال: معي وحباً ونعماً فأهلي على سعف من الطريق مما يلي بلد عنز بن وائل، وعليَّ لكم الصحابة إلى أن تصلوا العوسجي بجرش فمضينا معه ثلاثة أيام لا نلقي أنيساً حتى أفضينا إلى أهله فقرى وأجزل. ثم وجه معنا رجلين فسارا بنا نهاراً ثم ليلاً حتى وقفا بنا على باب العوسجي بجرش قرب الصباح فظهر إلينا فرحب وقرب ثم سأله الشريف الصحابة فأنعم فإننا لكذلك إذ ورد علينا علي بن عبدالقادر الجنبي فقال: يا شريف قد أتى الله بالرفيق فواجه لنا ذلك الرجل وسأله صحابتنا فأنعم. فنهضنا مع رجل أكرم به مصاحباً.

فلما كان يوم ثاني صادفنا سوقاً يجتمع الناس إليه فكلما رآنا ناس هشوا إلينا، وأغاروا علينا، وتلقاهم رفيقنا فيدفعهم عنا ويكتم من يغير إلينا شأننا. فلم نزل من ناس في

---

(١) الربعي، مفرح، سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين، ص١٢٠-١٢٤.

ناس ونتخلص من ناس حتى أشرف بنا على الراحة فصلى الشريف في صلاحه وخُفّيه من الخوف والعجلة، وقد بنى صاحبنا على أن يسري بنا بلد جنب خوفاً علينا فمضينا حتى أفضينا إلى عقبة صعبة قد لزمنا فيها الليل فسقط الشريف من راحلته فصار ذلك الرجل يتلهف للشريف وسقطته ثم أقسم لا زدت سرت بكم الليلة بعد سلامة الشريف فلله الحمد. ثم أمسى بنا عند رجل من بني عمه فأخبره بمكاننا ولم يكتم عنه شيئاً من شأننا. فلما كان من الغد نهضنا ونهض معنا نهاراً حتى وصلنا إلى مكانه ظهراً فقرب لنا طعاماً وسألنا أن نقف عنده أياماً فتخوفنا أن يقع علمنا مع حسين بن عمر الشواحطي وهو بشواحط يومئذ فلم نقف. ومضينا من فورنا حتى وصلنا أدنى بلاد وادعة"[١].

ومن خلال وصف الربعي فإن من الواضح أن جرش كانت لم تزل مدينة عامرة في تلك المرحلة ولكن لم تكن بها إمارة قوية شاملة، بل كانت تحت السيادة القبلية، كما نجد من خلال السرد أن بلاد السراة في تلك المرحلة كانت منطقة قبلية مستقلة سياسياً عن المناطق المحيطة في اليمن وفي مكة سوى بعض مناطقها الطارفة مثل بلاد سنحان التي كانت على اتصال بالكامل الصليحي في اليمن بصفتهم بايعوه وتعاهدوا على نصرته عندما التقى بهم في مكة أثناء الحج كما يقول عمارة[٢]، أو ترج التي كان عليها والٍ من قبل شريف مكة، كما أن من الواضح وجود قبائل جنب وعنز بن وائل كقبائل كبرى في تلك المرحلة حوالي جرش، كما أن الربعي يصادق على ما أورده الهمداني من وجود عداء بين بعض قبائل عنز والعواسج حول السيادة في جرش إلا أنه يشير ضمنياً إلى عدم وجود علاقة للقبائل الأخرى بهذا العداء، كما أن النص يؤكد انتماء قبيلة رفيدة "قحطان" لقبيلة عنز بن وائل حسب المستفيض حتى تلك الحقبة من خلال إشارته إلى انتداب رجل رفيدي من عنز بن وائل لصحابته عندما كان في بلاد عنز بن وائل المجاورة لبلاد عبيدة، ومن الملاحظ عدم وجود ما يسمى بقبيلة قحطان في تلك المرحلة حيث لم يورد ذكرها رغم مروره عبر ديار القبائل المنضوية تحتها لاحقاً، بل وأطلق على القبائل مسماها منفردة كسنحان وشريف وبلاد جنب وعبيدة، بينما كانت رفيدة تعد من قبائل عنز بن وائل، كما لم يورد ذكراً لبلاد عسير ربما لأنه لم يمر بها أو لأنها كانت جزءاً من بلاد عنز التي ذكر مروره بها.

---

(١) الربعي، مفرح، سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين، ص١٤٠ ـ١٤٢.

(٢) اليمني، عمارة، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد علي الأكوع، حواشي سفلية، ص ١٠٣، ١٠٩.

كما نلاحظ قدم وجود الأسواق المحلية، كما هي معروفة في المنطقة حيث أشار في رحلة العودة إلى توقفهم في أحدها.

وفي العموم فمن الواضح من خلال النص عدم وجود حكم مركزي في منطقة عسير وخاصة حوالي جرش في تلك المرحلة.

ما أورده ابن جبير في القرن السادس

أما المصدر الثالث فهو الرحالة محمد بن أحمد بن جبير الكناني الذي زار مكة المكرمة وما حولها في القرن السادس للهجرة فأشار لها وللقبائل المصالية لها وكتب ملاحظاته عنها ومما قاله عن أهالي السروات ما يلي:

"السرو المائرون

ومن لطيف صنع الله، عز وجل، لهم في اعتناء كريم سبحانه بحرمه الأمين، أن قبائل من اليمن تعرف بالسرو، وهم أهل جبال حصينة باليمن تعرف بالسراة، كأنها مضافة لسراة الرجال، على ما اخبرني به فقيه من أهل اليمن يعرف بابن الصيف، فاشتق الناس لهم هذا الاسم المذكور من اسم بلادهم، وهم قبائل شتى كبجيلة وسواها، يستعدون للوصول إلى هذه البلدة المباركة قبل حلولها بعشرة أيام، فيجمعون بين النية للعمرة وميرة البلد بضروب الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب إلى اللوبياء إلى ما دونها، ويجلبون السمن والعسل والزبيب واللوز. فتجمع ميرتهم بين الطعام والإدام والفاكهة. ويصلون في آلاف من العدد رجالاً وجمالاً موقرة بجميع ما ذكر. فيرغدون معايش أهل البلد والمجاورين فيه. يتقوتون ويدخرون، وترخص الأسعار، وتعم المرافق، فيعد منها الناس ما يكفيهم لعامهم إلى ميرة أخرى. ولولا هذه الميرة لكان أهل مكة في شظف من العيش.

ومن العجب في أمر هؤلاء المائرين أنهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم، إنما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل، فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الأقنعة والملاحف المتان وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب ليبايعونهم به ويشارونهم. ويذكر أنهم متى أقاموا عن هذه الميرة ببلادهم تجدب ويقع الموتان في مواشيهم وأنعامهم، وبوصولهم بها تخصب بلادهم وتقع البركة في أموالهم. فمتى قرب الوقت ووقعت منهم بعض غفلة في التأهب للخروج اجتمع نساءهم فأخرجنهم. وكل هذا لطف من الله تعالى لحرمه الأمين.

وبلادهم على ما ذكر لنا خصبة متسعة كثيرة التين والعنب واسعة المحرث وافرة الغلات، وقد اعتقدوا اعتقاداً صحيحاً أن البركة كلها في هذه الميرة التي يجلبونها، فهم من ذلك في تجارة مع الله عز وجل.

والقوم عرب صرحاء فصحاء جفاة أصحاء، لم تغذهم الرقة الحضرية ولا هذبتهم السير المدنية ولا سددت مقاصدهم السنن الشرعية، فلا تجد لديهم من أعمال العبادات سوى صدق النية، فهم إذا طافوا بالكعبة المقدسة يتطارحون عليها تطارح البنين على الأم المشفقة لائذين بجوارها متعلقين بأستارها فحيثما علقت أيديهم منها تمزق لشدة اجتذابهم لها وانكبابهم عليها. وفي أثناء ذلك تصدع ألسنتهم بأدعية تتصدع لها القلوب وتتفجر لها الأعين الجوامد بتصوب. فترى الناس حولهم باسطي أيديهم مؤمنين على أدعيتهم متلقين لها من ألسنتهم، على أنهم طول مقامهم لا يتمكن معهم طواف ولا يوجد سبيل لاستلام الحجر.

وإذا فتح الباب الكريم فهم الداخلون بسلام، فتراهم في محاولة دخولهم يتسلسلون كأنهم بعض ببعض مرتبطون، يتصل منهم على هذه الصفة الثلاثون والأربعون إلى أزيد من ذلك، والسلاسل منهم يتبع بعضهم بعضاً، وربما انفصمت بواحد منهم، يميل عن المطلع المبارك إلى البيت الكريم، فيقع الكل لوقوعه، فيشاهد لذلك مرأى يؤدي إلى الضحك.

وأما صلاتهم فلم يذكر في مضحكات الأعراب أظرف منها، وذلك أنهم يستقبلون البيت الكريم فيسجدون دون ركوع وينقرون بالسجود نقراً، ومنهم من يسجد السجدة الواحدة ومنهم من يسجد الاثنتين والثلاث والأربع ثم يرفعون رؤوسهم من الأرض قليلاً وأيديهم مبسوطة عليها، ويلتفتون يميناً وشمالاً التفات المروع ثم يسلمون أو يقومون دون تسليم ولا جلوس للتشهد، وربما تكلموا في أثناء ذلك، وربما رفع أحدهم رأسه من سجوده إلى صاحبه وصاح به ووصاه بما شاء ثم عاد إلى سجوده، إلى غير ذلك من أحوالهم الغريبة.

ولا ملبس لهم سوى أزر متسخة أو جلود يسترون بها، وهم مع ذلك أهل بأس ونجدة، لهم القسي العربية الكبار كأنها قسي القطانين لا تفارقهم في أسفارهم، فمتى رحلوا إلى الزيارة هاب أعراب الطريق الممسكون للحاج مقدمهم وتجنبوا اعتراضهم وخلوا لهم الطريق. ويصحبهم الحجاج الزائرون فيحمدون صحبتهم. وعلى ما وصفنا من أحوالهم فهم أهل اعتقاد للإيمان صحيح، وذكر أن النبي ﷺ ذكرهم وأثنى عليهم خيراً، وقال: "علموهم الصلاة يعلموكم الدعاء". وكفى بأن دخلوا في عموم قوله، ﷺ: "الإيمان يمان" إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في اليمن وأهله.

وذكر أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، كان يحترم وقت طوافهم ويتحرى الدخول في جملتهم تبركاً بأدعيتهم. فشأنهم عجيب كله.

وشاهدنا منهم صبياً في الحجر قد جلس إلى أحد الحجاج يعلمه فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص. فكان يقول له: "قل هو الله أحد" فيقول الصبي: "هو الله أحد" فيعيد عليه المعلم، فيقول له: " "ألم تأمرني بأن أقول: هو الله أحد ؟ قد قلت". فكابد في تلقينه مشقة، وبعد لأي ما علقت بلسانه. وكان يقول له: " بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين " فيقول: " بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ". فيعيد عليه المعلم، ويقول له: "لا تقل: والحمد لله، إنما قل: الحمد لله". فيقول الصبي: "إذا قلت: بسم الله الرحمن الرحيم، أقول والحمد لله للاتصال، وإذا لم أقل بسم الله، وبدأت قلت الحمد لله". فعجبنا من أمره ومعرفته طبعاً بصلة الكلام وفصله دون تعلم.

وأما فصاحتهم فبديعة جداً، ودعاؤهم كثير التخشيع للنفوس، والله يصلح أحوالهم وأحوال جميع عباده بمنه"[(١)].

ومن خلال وصف ابن جبير لهم، فمن الواضح أن البيئة التي تحدث عنها، هي بيئة قبلية فطرية بحتة، لا يوجد بها مراكز حكم قوية، ولا شك أن بيئة كتلك من المتوقع أن تكون بها أجزاء أقل تحضراً وأقل اتصالاً بالبقية من الأخرى وأقل فهما بالشعائر الدينية إلى حد ما، ولكن مشاهدات ابن جبير هذه لا يمكن تعميمها كحالة عامة على جبال السراة، إذ أن بقية الأخبار لمن اتصلوا بهذه الأرض ووقفوا على واقعها تختلف نقولاتهم عما قاله ابن جبير، فلا شك انك تجد الكثير من أبناء البادية في كل موقع ممن يقل تفقههم في الدين، وعادة ما ترسخ مثل هذه المشاهدات في الذاكرة وتظل مرتبطة بموقعها وأهلها على العموم لمن يشاهد من بعد.

ولكن من المهم الإشارة هنا إلى ما تطرق له عن فصاحتهم التي أدهشته وعن أدعيتهم التي ترق لها القلوب، مما يدل على بلاغتهم وفصاحتهم ونقاء عقيدتهم كما وصفهم.

---

(١) الكناني، محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادر بيروت، بدون تاريخ، ص١١٠ـ ١١٣.

ما ورد لدى ابن المجاور في القرن السابع

أما المصدر الرابع فهو الرحالة ابن المجاور الذي زار الجزيرة العربية واستقر بمكة ثم انتقل منها إلى اليمن عبر تهامة وتحدث عن بلاد السراة فيما بين الطائف وصعدة ومدنها وحالتها الاجتماعية في عصره فقال:

"ما بين الطائف وصعده

.. جميع هذه الأعمال قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر و الصغر و كل قرية منها مقيمة بأهلها، كل فخذ من فخوذ العرب و بطن من بطون البدو في قرية و من جورهم لا يشاركهم في نزلها و سكنها أحد سواهم. و قد بنى في كل قرية قصر من حجر و جص و كل من هؤلاء ساكن في القرية له مخزن في القصر يخزن جميع ما يكون من حوزة و ملكه و ما يؤخذ منه إلا قوت يوم بيوم. و يكون أهل القرية محتاطين بالقصر من أربع ترابيعه. و يحكم على كل قرية شيخ من مشايخها كبير القدر و السن ذو عقل و فطنة فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشيره عليهم و يحكمه فيهم. و جميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان و لا يؤدون خراجا ولا يسلمون قطعة إلا كل واحد منهم مع هوى نفسه"[1].

ومن خلال وصف ابن المجاور الذي لم يزر بلاد السراة ولكنه كان ينقل عن الكرماني فإننا لا نستطيع الأخذ بما ورد فيه من تفاصيل، ولكن حديثه بصفته شاهد عصره يؤكد لنا أن هذه المنطقة كانت تدار عن طريق المشيخات المحلية ولا يوجد بها أي أثر لحكم مركزي قوي حتى تاريخه، فلم يكن مثل ذلك ليخفى على أهل مكة ولا على حجاج اليمن الذين يمرون بهذه البلاد بشكل مستمر، ولكنه على كل حال يشير إلى الأنظمة الاقتصادية والإدارية السائدة محلياً، وإن كنا نرى ابن المجاور لم يستوعب الحالة القبلية والاجتماعية فيها بشكل وافٍ، إلا أن تعداده للمدن المهمة تدلنا على الحواضر المشهورة في بلاد السراة في حينه والتي يبدو أنها أسماء المدن الواقعة على طريق الحج اليمني، ولعل في إسهابه في وصف "ذهبان" بالذات ما يفيدنا أن ذهبان قد أخذت مكانة مدينة جرش المجاورة لها بعد اندثارها، ولعل في وجود العواسج بجوارها ما يفيدنا عن طبيعة التنافس القديم بين العواسج في شمال غرب جرش وبين جذيمة من عنز بن وائل التي كانت تقيم في مدينة جرش ذاتها، والذي يبدو أنه كان ذا طابع اقتصادي أيضاً.

---

(١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ٣٧، ٣٨.

ما جاء لدى ابن بطوطة في القرن الثامن

والمصدر الخامس لدينا هو ابن بطوطة في رحلته إلى مكة وبعض مناطق الجزيرة العربية خلال القرن الثامن والتي تحدث فيها عن أهل السراة في قوله:

"وأهل البلاد الموالية لمكة مثل بجيلة وزهران وغامد يبادرون لحضور عمرة رجب، ويجلبون إلى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب والزيت واللوز، فترخص الأسعار بمكة، ويرغد عيش أهلها، وتعم المرافق ولولا أهل هذه البلاد لكان أهل مكة في شظف من العيش. ويذكر أنهم متى أقاموا ببلادهم، ولم يأتوا بهذه الميرة أجدبت بلادهم ووقع في مواشيهم، ومتى أوصلوا الميرة أخصبت بلادهم، وظهرت فيها البركة، ونمت أموالهم، فهم إذا حان وقت ميرتهم وأدركهم كسل عنها، اجتمعت نساؤهم فأخرجنهم، وهذا من لطائف صنع الله تعالى وعنايته ببلده الأمين، وبلاد السرو التي يسكنها بجيلة وزهران وغامد وسواهم من القبائل مخصبة، كثيرة الأعناب وافرة الغلات، وأهلها فصحاء بالألسن، لهم صدق نية وحسن اعتقاد، وهم إذا طافوا بالكعبة يتطارحون عليها، لائذين بجوارها، متعلقين بأستارها، داعين الله بأدعية تتصدع لرقتها القلوب وتدمع العيون الجامدة، فترى الناس حولهم باسطي أيديهم، مؤمنين على أدعيتهم، ولا يتمكن لغيرهم الطواف معهم، ولا استلام الحجر، لتزاحمهم على ذلك. وهم شجعان أنجاد، ولباسهم الجلود. وإذا وردوا مكة هابت أعراب الطريق مقدمهم، وتجنبوا اعتراضهم، ومن صحبهم من الزوار حمد صحبتهم، وذكر أن النبي ﷺ ذكرهم وأثنى عليهم خيراً وقال: "علموهم الصلاة يعلموكم الدعاء". وكفاهم شرفاً دخولهم في عموم قوله ﷺ: "الإيمان يمان والحكمة يمانية". وذكر أن عبدالله بن عمر رضي الله عنه كان يتحرى وقت طوافهم، ويدخل في جملتهم، تبركاً بدعائهم، وشأنهم عجيب كله، وقد جاء في الأثر "زاحموهم في الطواف، فإن الرحمة تنصب عليهم صباً""[1].

ونلاحظ هنا تشابه ما قاله ابن بطوطة مع ما ورد لدى ابن جبير ربما لأن المصدر واحد حيث كانوا في مكة عندما تحدثوا عن السراة أو لعل ابن بطوطة كان ناقلاً عن ابن جبير، ولكن نلاحظ أنه قد أضاف إلى ما قاله ابن جبير بأن حدد المناطق المقصودة بـ"السرو" بشكل أوسع

---

(١) محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، اعتنى به وراجعه د. جرويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣١هـ، ص١٤٨.

وهو ما لم يرد لدى ابن جبير مما يدل على أن ابن بطوطة اقتبس من أهل مكة أيضاً ولم يقف عند ما قاله ابن جبير فقط.

ما أورده القلقشندي عن أهل السراة في القرن التاسع

أما المصدر السادس فهو أحمد القلقشندي في كتاب صبح الأعشى الذي كتبه في بداية القرن التاسع للهجرة حيث تحدث حول انقسام اليمن بين الأشراف الحسنيين في الجبال وبقية الممالك في تهامة إلى أن تطرق إلى بلاد السراة، فقال:

"قال: وحدثني أبو جعفر بن غانم: أن بلاد الشرفاء هؤلاء متصلة ببلاد السراة، إلى الطائف، إلى مكة المعظمة. قال: وهي جبال شامخة، ذات عيون دافقة ومياه جارية، على قرى متصلة، الواحدة إلى جانب الأخرى، وليس لواحدة تعلق بالأخرى بل لكل واحدة أهلٌ يرجع أمرهم إلى كبيرهم، ولا يضمهم ملك ملك، ولا يجمعهم حكم سلطان، ولا تخلوا قرية منها من أشجار وعروش ذوات فواكه أكثرها العنب واللوز، ولها زروع أكثرها الشعير، ولأهلها ماشية أعوزتها الزرائب، وضاقت بها الحضائر. قال: وأهلها أهل سلامة وخير وتمسك بالشريعة ووقوف معها، يعضون على دينهم بالنواجذ، ويقرون كل من يمر بهم، ويضيفونه مدة مقامه حتى يفارقهم. وإذا ذبحوا لضيفهم شاة، قدموا له جميع لحمها ورأسها وأكارعها وكبدها وقلبها وكرشها، فيأكل ويحمل معه ما يحمل. ولا يسافر أحد منهم من قرية إلى أخرى إلا برفيق يسترفقه منها فيخفره، لوقوع العداء بينهم."[1]

وما ذكره القلقشندي يدلنا على عدم وجود الدولة أو الحكم الشامل على امتداد تاريخ بلاد السروات فيما بعد اندثار جرش في القرن الخامس، حيث ذكر أنه لا ترجع قرية من قراهم إلى الأخرى بل كل قرية لها شيخها، وأفاد بأنهم لا يخضعون لملك ملك ولا يجمعهم حكم سلطان، إلا أنه أشار إلى حالتهم الدينية والاجتماعية حيث كان الناس شديدي التدين على العقيدة السليمة، وأنهم أهل كرم ونخوة، ولكنه أشار إلى كثرة الحروب والعداوات المحلية بين القرى.

وقد حضر بعد هؤلاء عبدالله بن علي المؤيدي واستقر في المنطقة في نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر وكان لرحلته أهمية قصوى في معرفة الحالة الدينية والسياسية في إقليم

---

(١) القلقشندي، أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية ١٣٣٣هـ (١٩١٥م)، ج ٥/ ص٣٨.

عسير، خاصةً وأنه استقر في المنطقة وتعامل مع أهلها ووصفهم ووصف عاداتهم وحالتهم الدينية والاجتماعية والسياسية، ولكننا سنفرد لهذه الرحلة عنواناً خاصاً في مرحلة ما قبل حكم آل المتحمي، نظراً لأهميتها في تحديد إرهاصات مسار تاريخ عسير الحديث والذي بدأ مع بداية القرن الثالث عشر.

الحالة السياسية والاجتماعية في عسير فيما قبل إمارة محمد بن عامر أبو نقطة

من خلال ما أورده الهمداني في النصف الأول من القرن الرابع ثم ما أورده مفرح الربعي في منتصف القرن الخامس للهجرة ثم ما أورده ابن المجاور في القرن الثامن وما أورده القلقشندي في القرن التاسع كما جاء معنا، بالإضافة إلى ما ورد من إشارات لدى عز الدين ابن فهد ولدى دحلان حول بعض الأحداث التي جرت لشريف مكة مع بعض القبائل في المنطقة مثل شهران وزهران وغامد وبجيلة وبني المنتشر وبني عمر، ولدى جحاف والبهكلي حول الحالة السياسية في المنطقة قبل إمارة محمد بن عامر أبو نقطة المتحمي كما ورد معنا، والتي تتشابه جميعاً في وصف الحالة السياسية والاجتماعية في منطقة عسير، فمن الواضح أن هذه المنطقة كانت منطقة قبلية تدار عن طريق مشائخ القبائل المحليين، وكانت القوى القبلية متفرقة في المنطقة وتملك كل منها استقلالها الكامل، ولكن هل حصل أي جديد على هذه الحالة فيما بعد القرن التاسع وبداية القرن الثالث عشر حيث بداية عهد الإمارة العسيرية على يد محمد بن عامر أبو نقطة المتحمي؟.

سنعرض هنا وصف أحد من أقاموا بمنطقة عسير خلال نهاية القرن العاشر للهجرة وجزء من القرن الحادي عشر، كشاهد عيان على الحالة في هذه المنطقة، بصفته حمل آخر إشارة مدونة فيما قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حتى الآن، وهو ما ذكره محمد أبو علامة في كتاب "التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية" في خبر رحلة والده عندما لجأ إلى منطقة عسير في نهاية القرن العاشر الهجري فراراً من اليمن إثر احتلال العثمانيين لها فاتجه من اليمن إلى صبيا متجهاً إلى الطائف إلا أنه غير وجهته من هنالك إلى عسير التي استقر بها حتى بدايات القرن الحادي عشر، وهذا نص ما جاء في رحلته:

"وكانت رحلته عليه السلام في آخر شهر ربيع الآخر من سنة أربع وتسعين وتسعمائة سنة واجتمع وحضر بيعته من الفريقين الزيدية والشافعية من لم يجتمع في بيعة أحد من العترة الزكية وبعد أن بايعه العلماء رغبوا انتقاله إلى السراة ببلاد قحطان مهاجر آبائه وأجداده فيما مضى من الزمان فارتحل من صبيا وتبعه العلماء إلى السلامة فتلقاهم أهلها بالإجلال والإعظام والكرامة وذلك في جمادى الأولى من السنة المذكورة ثم إلى

عتود ثم إلى درب ملوح الشهير وطلبوا جماعة من عقال عسير فوصل مشائخ بني مغيد آل مدحان فأعطوهم ما طلبوا وشرطوا عليهم أن يوصلوا الإمام إلى ذهبان فارتحل بأولاده إلى مهاجر آبائه وأجداده فلما وصل به المشايخ قريتهم مناظر فرت من العتمة القلوب والنواظرون ثم انتقل منها إلى ذهبان وهو خيار بلاد شهران وذلك في غرة شهر رجب من السنة المذكورة فلما وصل إليه تلقاه الشيخ الوفي الأمجد محب آل محمد مريع بن مانع بن ناصر بن الحفارص إلى خارج البلد وهل أصحابه ورحبوا بالإمام ومن معه كعادتهم للضيف بأصواتهم العالية الحشام. وأدخل أولاد الإمام إلى داره وما زال عند الإمام يكثر له الحمد والشكر لله على أن خصه بجواره وضيف الإمام جميع المشائخ آل الحفارص وعبدين فتكثر الإمام منهم بالخير ودعا لهم وقال نريد الانتقال إلى الوادين فلما سمع الشيخ مريع ذلك المقال ضاق ذرعاً وقال هيهات يا مولانا أن يفوز بالقيام عليك غيري من الرجال وكيف خصني إلهي بهذه الفضيلة وشرفني بهذه النعمة الجليلة وأفوتها إذا أكون أشقى البرية وأجهلهم بحقوق العترة الزكية إبحار السفينة وتابوت السكينة وابتنايات المدينة وآلا بمغلظات الأيمان لا انتقل الإمام من ذهبان إلى أن يدرج الشيخ في الأكفان أو يأتي للإمام بصر من الرحمان فأسعده الإمام وفاز الشيخ ما رام وانقطع الخوض في ذلك الكلام وبنا له الشيخ داثراً عظما وكان محله عنده المحل الأسما وقام به القيام التام وانتظم به حال الإمام وأمر الشيخ جميع من تحت يديه من قبايله بتسليم واجباتهم إليه وساق للإمام وأولاده ما تحل لهم من عين الزكوات واستمر ذلك على أحسن الحالات ووصل إليه مشائخ رفيدة وقحطان فبايعوه وألزموا قبايلهم سوق واجباتهم إليه من جميع الأوطان واهتدى على يديه أكثر أهل تلك البلدان ثم بث الإمام رسايله إلى جميع الأقطار وكانت العلماء تفد إليه وتبايعه من جميع الأمصار وأجيبت دعوته وعظمت كلمته وكان شحناً في حلوق الظالمين وقذاً في عيون الفاسقين، وكانت الأشراف بمكة المشرفة المحمية تراسله وترسل إليه شيء من الواجبات الشرعية وكان من بينهم يومئذ الشريف الحلاحل الرمز الغطريف الكامل مالك أزمة المناخر ولا أستطيع لوصف مكارمه محاصر المختص بولاية الحرمين الشريفين العالين المتبقين ببهجة الزمن وخير سادات بني الحسن شرف الدنيا والدين لؤلؤة اكليل السادة الأمجدين أبو محمد الحسن بن أبي نمي محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن جعفر بن عجلان بن رميثة بن محمد بن حسن بن أبي عتيق بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبدالله بن محمد الثامن بن موسى الثاني بن أبي محمد الإمام عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله المحصن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وكان الشريف المذكور وبعض بنيه وإخوته

يرسلون إلى الغمام ما يحتاج إليه من النقدية والكسا له ولخاصته وأقام عليه السلام العلم والدرس والتدريس واستعد بالعبادة والإقرار والتأليف في كل معنى نفيس وأنشأ الخطب والرسايل المفيدة من أبدع القصائد الفريدة فمن رسايله رسالة "الدعوة العامة الهادية إلى نهج السلامة من مسالك الخزي والندامة لطالب النجاة والفوز في يوم القيمة"، وهي:- بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل الغمامة تكملة للنبوة وختاما* وقطب رحا للشريعة الفاصلة بين الحلال والحرام تدور عليه إحقاقا وإحجاما * وصلاحاً للدين الحنيف ومثابة لأهله من الزيغ والتحريف ونظاما * رابطها قواعد من الشريعة المطهرة المرفعة وإحكاما * وتبين بها الأحكام الشرعية الواجبة والمحرمة وتوابعها التي صارت لها تماما * وأشهد أن لا إله إلا الله الحكيم في أفعاله العدل في أقواله تدبيراً وكلاما * الأول والآخر الباطن والظاهر الفرد الصمد الذي تحق له عبادة خلقه سجداً وقياما * وأشهد أن محمداً عبده الأمين ورسوله المكين أرسله رحمة للعالمين وجعله للمرسلين خاتماً وإماما * صلى الله عليه صلاة مستتبعة سلاماً دائماً وإكراما * وعلى عترته الذين ما زالوا لشرعته حفاظاً ولأئمته ذروة وسناما * وصحابته الذين وفوا بنصرته وشمروا الساق إلى طاعته أزمانا وأعواما... الخ"[1]

---

(١) المؤيدي، محمد بن عبدالله، التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية (مخطوط)، ورقة ٣٢٣ وما بعدها.

وكانت بيعته عليه السلام في شهر ربيع الآخر من سنة أربع وسبعين وتسعمائة سنة واجتمع
[illegible] وبيعته من العرب [illegible] من لم يجتمع [illegible] لأحد من العترة الزكية [illegible]
[illegible] العلماء [illegible] إلى [illegible] بلاد قحطان [illegible] فيما مضى من الزمان
[illegible] السلامة [illegible] الإجلال والإعظام والكرامة [illegible]
[illegible] المذكور [illegible] الشهرين [illegible]
[illegible] الإمام [illegible]
[illegible] المشايخ [illegible]
[illegible] ذهبان [illegible]
السنة المذكورة [illegible] الشيخ [illegible] الأعدم [illegible]
[illegible] الإمام [illegible]
[illegible] الإمام [illegible] الإمام [illegible]
[illegible] الإمام [illegible] المشايخ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] العترة الزكية [illegible]
[illegible] الإمام [illegible]
[illegible] الإمام [illegible] الإمام [illegible]
[illegible] الشيخ [illegible]
[illegible] الإمام [illegible] الشيخ [illegible]
[illegible]
[illegible] المشايخ [illegible] قحطان [illegible]
[illegible] الأوطان [illegible] الإمام
[illegible] الأوطان [illegible]
[illegible] الظالمين [illegible] الفاسقين [illegible]
[illegible] الشرعية [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] السادة [illegible] الحسن [illegible] محمد [illegible]
[illegible] علي [illegible]
[illegible] علي [illegible] عبد الكريم [illegible]
[illegible] الإمام [illegible]
[illegible] الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وكان [illegible]
[illegible] الإمام [illegible] السلام
[illegible] السادة [illegible]

[illegible]

- هذا النص يمثل شهادة شاهد عيان وتوثيق مهم من رجل استقر في إقليم عسير وتعامل مع

أهله إثني عشرة عاماً امتدت ما بين نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر، حيث انتقل مع جماعة من قبيلة جماعة إلى رازح عام ١٠٠٦هـ.

ومن خلال ما ورد في المخطوط فإننا نستنتج منه أن منطقة السراة فيما بين الطائف وصعده كان ينظر إليها كوحدة واحدة وكامتداد لبعضها، حيث نجد أن أهالي صبيا (ومثلهم ذهب المؤلف) اعتبروا صعود المؤيدي إلى بلاد عسير السراة، أو إلى ذهبان يمثل عودة إلى مهاجر أجداده، مع أن جده كان في ترج قبل أن يخرج إلى اليمن، ولم تكن هجرته في هذه الديار التي انتقل إليها بالذات.

كما يدلنا هذا النص على انقطاع الوضع السياسي في عسير عن اليمن وعن ما يحدث فيه، فقد تمكن عبدالله المؤيدي من اللجوء إلى هذه المنطقة والاستقرار فيها لمدة اثني عشرة عاماً والتواصل مع شريف مكة، دون أن يتعرض له أحد من ولاة الدولة العثمانية في اليمن في حينه.

كما يتضح من النص أن القيادات القبلية كانت تشكل مراكز القوى في المنطقة، ولم يكن هنالك سواها، وهو ما أشار له المؤيدي بوضوح، كما أن بقاء المؤيدي فيها لمدة اثني عشرة عاماً ومبايعة جزء من قبائل المنطقة له يستحيل أن يكون في ظل وجود أي نوع من أنواع الحكم الشامل للمنطقة وعلى أي درجة، ولو كان هنالك أي شيء من ذلك لكان أشار إليه في أقل الأحوال.

كما أن تمركز بعض المشيخات القبلية التي ذكرها في مناطق مناظر، وذهبان، والواديين بالذات، والتي هي مناطق أسواق كبرى في المنطقة تدل على أن هذه القوى كانت تمثل أكثر من مجرد قيادات قبلية، حيث كانت تمثل قيادات اقتصادية أيضاً، فالمشيخات القبلية يبدو أنها كانت تتركز في مواقع الأسواق المحلية في المنطقة كما هو حال آل مدحان في مناظر وآل الحفارص في ذهبان وآل عامر في الواديين، وتقوم بجمع الزكوات الشرعية، ولعلنا عندما ننزل ذلك على الوضع الحالي فسنجد أنه مطابق لما هو عليه الحال حتى العصر الحديث، فمشيخة قبائل الشعف مثلاً توجد في المسقي حيث سوق إثنين بن حموض ومشيخة شهران في خميس مشيط حيث سوق الخميس، ومشيخة بني مغيد في مناظر حيث سوق ابن مدحان، وهنالك مركز سوق أحد رفيدة حيث مشيخة جزء من رفيدة في آل صمان من أحد رفيدة، وكانت هنالك مواقع أسواق في بلاد عسير يذكر أنها كانت مراكز قوى قبلية مثل بني رزام حيث سوق سبت بني رزام.

كما نستشف من الوثيقة أنه كان هنالك عدداً من الرؤوس القيادية في قبيلة عسير من خلال قول المؤيدي بأنهم طلبوا "عقال عسير" فحظر منهم آل مدحان شيوخ بني مغيد، مما يدل على أنه راسل عدداً من القيادات في قبيلة عسير فحضر منهم آل مدحان فقط، ولعل الأغلبية لم

تجب داعية أو أنهم قد أنابوا آل مدحان شيوخ بني مغيد بصفتهم الأقرب إلى موقعه من بقية عسير السراة، ولعل في ذلك قطع للشك باليقين بعدم وجود أي صلة لآل يزيد بالحكم أو المشيخة في عسير فيما قبل نهاية عام ١٢٤٩هـ، وعلى كذب الكثير من المؤلفات التي ظهرت بهذه الدعوى، كما تدل الوثيقة على أن مشيخة شهران في بداية القرن الحادي عشر كانت بيد آل الحفارص ولم تكن بيد آل أبي السرح كما ورد في كتب مجموعة إمتاع السامر، وقس على هذه المعلومات عدداً كبيراً من المعلومات التي وردت في هذه المصادر.

كما أن الكثير من العادات التي ذكرها لا زالت كما هي مثل رفع الصوت في الترحيب بالضيف وتكرار إكرام الضيف لعدة مرات لدى الجماعة المستضيفة، والمبالغة في الإكرام كتلك التي حدثت له في ذهبان مع آل الحفارص.

وعند استقراء ما خلف السطور وأخذ تحيز المؤلف الشديد إلى والده وإلى (العترة الزكية)، فإننا يمكن أن نجد في الاقتضاب في وصف ما دار بينه وبين آل مدحان، ثم عدم ورود اسم أي شيوخ أو أعيان عسير أو أي فروعها لمبايعته أثناء وجوده في ذهبان بعد ذلك رغم مجاورتهم لها، ثم عزمه على التوجه من ذهبان إلى الواديين في أول مرحلة وصوله إلى ذهبان ما يدل على أنه لم يكن قد خطط للذهاب إلى ذهبان بذاتها وإلا لكان راسل شيخها بدلاً من أعيان عسير، وهو ما يجعلنا نقول بأنه عندما بدأ دعوته بعدد من أعيان عسير كان هدفه دعوتهم إلى مبايعته كإمام، إذ لا نتخيل أن لا يبادر بدعوتهم لإمامته وهم بين يديه، وهو ما لم يتطرق له المؤلف، ولعل العسيريين عندما لم يتقبلوا دعوته، أوعزوا له بالتوجه إلى ذهبان.

كما يتضح لنا من خلال إشاراته في قصيدته التي بعث بها إلى أحمد بن علي بن أبي القاسم المعافى في تهامة ما يدل على أنه وجد رفضاً في المنطقة لدعواه للإمامة حسب المذهب الزيدي من خلال قوله:

كتبت إلى القبائل كل حين	*وطولت الرسايل والكلاما*
دعوتهم وشيعتهـــم جميعاً	*وما قصـــرت نثراً وانتظاما*
فلبوني سوى خب حسود	*وأحمـــق عن هدايته تعاما*[1]

وهو ما يتضح منه وجود تعدد للمذاهب وحرية في تغيير المذهب في المنطقة، كما أن النص

---

(١) المؤيدي، محمد عبدالله (أبو علامة)، التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية، مخطوط بالجامع الكبير بصنعاء، ورقة ٣٢٨.

يشير إلى أن الجزء الأكبر ممن بايعوه في القبائل المذكورة لم يكونوا على مذهبه فيما قبل ذلك، ونجد دلالته في قوله: "واهتدى على يديه أكثر أهل تلك البلدان"[١].

ومن خلال هذه النصوص التي تشير جميعها إلى حالة سياسية واجتماعية متشابهة على امتداد التاريخ العسيري بداية من القرن الرابع للهجرة وحتى القرن الحادي عشر، خاصةً وأن النص الأخير كان قبل قيام الدولة السعودية بفترة بسيطة إذا ما قارناها بثبات الحالة على امتداد الفترة السابقة لها، بالإضافة إلى أن معطيات الحالة فيما قبل قيام الدولة السعودية الأولى وانضمام عسير إليها من خلال وجود الكثير من الذكر التاريخي لما حولها من مشيخات قبلية وتداخلها مع تاريخ الدولة السعودية، دون وجود أي ذكر لإمارة في عسير فيما قبل إمارة محمد بن عامر المتحمي، فإن ذلك كله يقطع وبيقين تام بعدم وجود أي شكل من أشكال الحكم المركزي في عسير فيما قبل هذه المرحلة، وبأن أول أمير شامل لقبيلة عسير هو الأمير محمد بن عامر أبو نقطة المتحمي، وأول أمير شامل للإقليم كاملاً هو الأمير عبدالوهاب بن عامر أبو نقطة المتحمي.

كما أن ما ورد في هذا النص يمنحنا مفتاحاً جديداً لمعرفة مواقع الزعامات والقيادات القبلية في منطقة عسير فيما قبل مرحلة الدولة السعودية، فهو يؤكد واقع ارتباط المشيخات أو الزعامات القبلية بمواقع الأسواق والذي نلاحظه فيما بين أيدينا من إرث في وقتنا الحالي، وذلك لارتباط وجود الأسواق بالحماية القبلية، وهو ما يلزم معه وجود النفوذ لدى من يقيم السوق ويقوم على حمايته، ومن هنا فلمعرفة مناطق الزعامات القبلية في عسير فعلينا البحث في مناطق الأسواق الأسبوعية فيها، وهنا نجد أن مناطق الأسواق في بلاد عسير كما وردت في أحد المصادر كانت كالتالي[٢]:

م	اسم السوق	موقعه	القبيلة التي كانت تحميه
١	ثلوث ابن مدحان	مناظر ـ أبها	آل مدحان من بني مغيد/ عسير
٢	سبت بني رزام	بني رزام ـ السبت	بني رزام من بني مالك/ عسير
٣	خميس آل عطاء	الشينة	آل عطاء من علكم/ عسير
٤	ثلوث مسلت	مسلت	التلادة من بني مالك/ عسير
٥	خميس ام زهران	مصاولي	ربيعة ورفيدة / عسير

(١) المؤيدي، التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية (مخطوط)، ورقة ٣٢٣ وما بعدها.

(٢) آل حامد، مصدر سابق، ص٩٤٦ ـ ٩٤٧.

م	اسم السوق	موقعه	القبيلة التي كانت تحميه
٦	اثنين آل حارث	آل حارث	آل الحارث من ربيعة ورفيدة / عسير
٨	اثنين آل عاصم	السحر	آل عاصم من ربيعة ورفيدة/ عسير
٧	اثنين زبنة	زبنة (صعبان)	آل شدادي من ربيعة ورفيدة/ عسير
٩	ثلوث بني ثوعة	المقاعد	بنو ثوعة من ربيعة ورفيدة / عسير
١١	أحد الشعبين	الشعبين	الرفق من رجال ألمع/ عسير
١٠	سبت صلب	الجبيل	بني بكر من رجال المع / عسير
١٢	خميس كسان	كسان	بنو جونة من رجال ألمع/ عسير
١٣	سوق رجال	قرية رجال	بنو ظالم من رجال ألمع/ عسير
١٤	ثلوث حسوة	حسوة	رجال ألمع/ عسير
١٥	ثلوث ريم	ريم الصواقعة	الصواقعة رجال ألمع/ عسير
١٦	ربوع البنا	الجرف	البناء من رجال ألمع/ عسير
١٧	سبت المخلوطة	سبت المخلوطة	شديدة من رجال ألمع / عسير
١٨	سبت محايل	محايل	آل موسى / عسير
١٩	خميس البحر	بحر أبو سكينة	قبائل بحر أبو سكينة / عسير
٢٠	ثلوث مراتخ	مراتخ	قبائل بحر ابو سكينة / عسير
٢١	سبت الصوالحة	سبت الصوالحة	آل موسى / عسير
٢٢	أحد الريش	الريش	قبيلة الريش / عسير
٢٣	اثنين ال دريب	ترقش	آل الدريب/ عسير
٢٤	ربوع آل مشول	آل مشول	آل مشول / عسير
٢٥	اثنين قنا	قنا	قبائل قنا / عسير
٢٦	ربوع القحمة	القحمة	المنجحة / عسير
٢٧	جمعة عمق	عمق	أهل عمق / عسير

ولا شك أن الأسواق كانت تمثل نهاية عليا للنفوذ المحلي في كل موقع، فمن الواضح أنه لم

يكن هنالك تدرجاً للسيادة، فلا نتوقع أن يقيم السوق من كان تحت نفوذ سواه، لأن الأسواق كانت تشكل منافساً تجارياً لبعضها، لذا يحرص كل من يقيم سوق على عدم وجود أسواق مجاورة خوفاً من فشل السوق، وهو ما ينتفي معه وجود نفوذ أي طرف على الآخر، كما أن وجود نفوذ لأي شخص فوق صاحب السوق يعني وجود سلطة مركزية تجمع الخراج، وهو ما يؤكد نص مخطوطة المؤيدي على عدم وجوده، حيث خاطب عقال (أعيان) عسير، ولم يخاطب أيهم بعينه، ثم بايعه بالإضافة إلى شيخ شهران شيوخ قحطان وشيوخ رفيدة مما يدل على تعدد المشيخات القبلية في كل قبيلة من هذه القبائل، وعلى عدم وجود من يملك نفوذا منهم على الآخر، كما يؤكد هذه الحقيقة أيضاً وصف ابن المجاور للمنطقة في القرن السابع[١]، حيث كان الشيوخ يتصرفون بشكل فردي، فيما عدى وجود التحالفات التي تفرضها العصبية القبلية الموحدة للقبيلة الأم والتي قد تفضي بقيادة عسكرية موحدة عندما يلزم ذلك كما في حالات معينة[٢].

---

(١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٣٧، ٣٨

(٢) رفيع، في ربوع عسير، ص١٢١

الفصل الثاني

تاريخ الإمارة العسيرية

١- المرحلة الأولى: تأسيس الإمارة على يد أمراء آل المتحمي

منذ نهاية القرن الخامس للهجرة، وبعد تدمير مدينة جرش على إثر النزاع القبلي بين العواسج من حمير من جانب وبين جذيمة من عنز بن وائل من الجانب الآخر، ظلت بلاد السروات فيما بين الطائف وصعدة تحكم بواسطة القيادات القبلية المحلية المتفرقة، ولم يكن هنالك كيان سياسي شامل طوال هذه الفترة ويبدو أنه كان هنالك اختلاف مذهبي بين قبائل ومناطق الإقليم، حيث كانت هنالك قبائل إسماعيلية مثل يام، وأخرى زيدية في جنوب الإقليم[١] حيث دخلت قبيلة قحطان على خط التشيع منذ عام ٩٠٨هـ[٢] وظل الوضع على ذلك حتى بدايات عهد الإمارة العسيرية فيما بعد عام ١٢١٧هـ حيث بدأ الأمير عبدالوهاب المتحمي العمل على إدخال الدعوة السلفية بتلك الجهات، فتعامل بعضهم بصلف مع بعض رموز المذهب الزيدي بها كأسرة أشراف آل الازهر مما حدا بهم إلى مراسلة الإمام عبدالعزيز والشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب اللذان راسلا عبدالوهاب وأوصياه بهم خيرا[٣]، بينما كانت هنالك مواقع أخرى صوفية في الجهات الجنوبية من تهامة، إلا أن السواد الأعظم في المنطقة وخاصة فوق جبال السروات كان على المذهب الشافعي[٤]، مع التسليم التام بوجود التباين في الوضع الديني والثقافي فوق جبال السراة والأصدار تبعاً للتباين الجغرافي والمناخي فيها، وكان هذا الحال من الاختلاف عاماً على كامل أنحاء الجزيرة العربية، حيث كان المذهب الزيدي قد شاع في بلاد اليمامة واليمن منذ القرن الثالث للهجرة مع

---

(١) وانظر نص مخطوطة التحفة العنبرية المنشور في هذا الكتاب في فصل "عسير في القرون الإسلامية الوسيطة".

(٢) أبو داهش، أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة، ص١٥٢.

(٣) أبو داهش، نفس المصدر السابق، ص١٥٣.

(٤) أبو داهش، نفس المصدر السابق، ص١١٩ـ ١٣٨.

قيام دولة بني الأخيضر في اليمامة[١] وسيطرة الأئمة العيانيين على جبال اليمن منذ ما بعد منتصف القرن الرابع للهجرة[٢]، وقد تخلت اليمامة عن المذهب الزيدي وعادت إلى مذاهب متفرقة كان أهمها الحنبلي وخاصة في حجر اليمامة وما حولها، بينما كان المذهب الشافعي شائعاً في مكة والطائف وما وقع جنوبها إلى جرش في جهة السراة وإلى زبيد وأحوازها من جهة تهامة، وكانت المدينة المنورة مفرقة بين المذهب المالكي والشافعي وبين الشيعية الإمامية ومثلها في ذلك كانت الإحساء والقطيف، أما الإسماعيلية فقد سادت في بلاد حراز في اليمن وفي بلاد جنب (سنحان وشريف) ويام فيما بين نجران وصعدة في القرن الخامس للهجرة[٣] ثم تراجعت سنحان وشريف عنه ودخلت في المذهب الزيدي وبقيت بلاد يام على المذهب الاسماعيلي حتى الآن، أما الصوفية فقد كانت منتشرة بشكل أساسي في مكة والمدينة وما حواليها وفي المخلاف السليماني، رغم شيوع بعض طقوس التصوف في كافة الجزيرة العربية.

وبقيت الجزيرة العربية على هذه الحالة إلى ما بعد منتصف القرن الثاني عشر للهجرة، حيث بدأت الدعوة السلفية تنتشر في نجد على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وخاصة بعد تبني أمير الدرعية الإمام محمد بن سعود لها وسعيه لنشرها، ومن ثم انطلقت جحافل نشر الدعوة من الدرعية إلى الآفاق مع بداية العقد السابع من القرن الثاني عشر للهجرة لتبشر بعقيدة التوحيد النقية على نهج السلف الصالح، وتوقف العبث بالدين واستغلاله لتحقيق المكاسب وجمع الأخماس من كواهل الفقراء، وتدمر المزارات وتوقف التبرك بالقبور والأولياء والأشجار، وتساوي بين البشر في عبادة الله، فما انتهى القرن الثاني عشر إلا ونجد كاملة تدين بهذه الدعوة.

في أواخر القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر بدأت تباشير هذه الدعوة تصل إلى أطراف بلاد السراة الشرقية حيث بادية شهران في بيشة وقبيلة سبيع في رنية والخرمة وقبيلة البقوم في تربة، ومن هنالك وصلت أخبار هذه الدعوة إلى القرى الجبلية وبلاد تهامة المصالية لها، فدخل في سلك الدعوة مع بدايات القرن الثالث عشر عدد من شيوخ القبائل المحلية مثل ابن شكبان في بيشة وعثمان المضايفي في عدوان، ومحمد بن عامر المتحمي في عسير، وقد دخلت قبائل الرمثين وأكلب ضمن القوات السعودية الساعية لنشر الدعوة، بينما ناصرت الدعوة في تهامة الجبلية

(١) الناصر، صالح بن سليمان، ولاية اليمامة دراسة في الحياة الإقتصادية والاجتماعية حتى نهاية القرن الثالث، ١٧٣، ١٧٤؛ وانظر العسيري، أحمد معمور، التاريخ الإسلامي، ص٢٦٠.

(٢) الربعي، مفرح، سيرة الأميرين ..، ص٧، ٨.

(٣) اليمني، عمارة، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ص١٠١-١٠٢؛ وانظر: الربعي، سيرة الأميرين ..، ص١٢٢.

قبائل آل موسى وبارق التي بدأت في مناوشة والي القنفذة التابع لشريف مكة المعادي للدعوة، ولكن كل هذه القوى لم تتمكن من إحداث تغيير حقيقي في الوضع السياسي في المنطقة حيث بقيت المناطق الجبلية ذات الكثافة السكانية العالية منفصلة سياسياً عن الدولة السعودية، لذا تمكن والي القنفذة من إسكات أنصار الدعوة كل من معدي بن شار وأحمد بن زاهر في تهامة[١]، بينما في الشرق كانت قوى ربيع بن زيد وابن قرملة وابن شكبان بمساعدة القوات السعودية القادمة من الدرعية في مداولة للسيطرة على منطقة بيشة وتربة مع شريف مكة[٢].

كانت بلاد قبيلة عسير في تلك المرحلة على الخط في تبني مفاهيم الدعوة وبدأ انتشار مبادئها فيها، وساعد على سرعة ذلك الخوف من تمدد نشاط الزيدية القادمة من جهة جبال اليمن منذ بداية القرن الحادي عشر للهجرة[٣] وقد كان من أوائل المعتنقين للدعوة السلفية في عسير بل وكل بلاد السراة كل من محمد وعبدالوهاب ابني عامر أبو نقطة من أهالي طبب من أسرة آل المتحمي شيوخ قبيلة ربيعة ورفيدة، إحدى بطون قبيلة عسير.

كانت قبيلة عسير قبل تلك المرحلة تدين بالمذهب الشافعي كما الحنا، كجزء من إرثها القبلي عبر التاريخ وتتحرك كوحدة واحدة رغم تعدد القيادات القبلية فيها، وكانت تحمل عصبيتها القبلية الخاصة، وكان ذلك حال غيرها من قبائل المنطقة، ورغم تعدد القبائل والمذاهب إلا أن العلاقات بين القبائل المحلية كافة كانت علاقة جيدة تقوم على احترام الجوار والخصوصية لكل طرف ويتضح ذلك من رواية مفرح الربعي (نقلاً عن حشمر بن عبد الاعلى) عن رحلة أبناء القاسم العياني عندما زارا المنطقة في القرن الخامس[٤]، ورواية محمد بن عبد الله المؤيدي عن رحلة والده عندما زار المنطقة في نهاية القرن العاشر[٥]، حيث كان هنالك احترام لحدود كل قبيلة، وحرية كاملة لاختلاف المعتقدات والتوجهات بين كل قبيلة وأخرى، ولم يكن ذلك له تأثير في العلاقة الحسنة والتواصل بين الجميع.

بدأ محمد بن عامر عام ١٢١١هـ نشاطه الدعوي بإلقاء الخطب الدينية والدروس السائرة

---

(١) دحلان، المصدر السابق، ص٢٦٧، ٢٦٨

(٢) - ابن غنام، مصدر سابق، ص٢٠٣.

- ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، دارة الملك عبدالعزيز، ص٢٣٧-٢٤٢.

(٣) المؤيدي، محمد بن عبدالله أبو علامة، التحفة العنبرية في المجددين من أبناء خير البرية، مخطوط، ورقة ٢٣ وما بعدها.

(٤) الربعي، سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين، ١٢٠-١٤١.

(٥) المؤيدي، التحفة العنبرية للمجددين من أبناء خير البرية، مخطوط، ورقة ٣٢٢-٣٣٧.

على خط الدعوة السلفية في مسجد قريته "طبب"، ومراسلة القبائل ودعوتهم للدخول في الدعوة[١]، فلم يمض عام في عسير حتى صارت تحضر درسه القبائل والرؤساء والفقهاء وأهل الأعمال، فيسمعون منه الدرس ويتحفظه السامع، فلم يبق في دياره كبير ولا صغير رجل أو امرأة حر أو عبد إلا حفظه وعرضه عليه كما يقول جحاف[٢]، فأصبح محمد بن عامر يمثل قيادة دينية تتجاوز القيادات القبلية المحلية المتفرقة في قبيلته عسير، واجتمعت حوله الناس وبدأ في مكاتبة الدرعية والتواصل مع دعاتها، وفي عام ١٢١٣هـ توجه الأخوين محمد وعبدالوهاب أبو نقطة إلى الدرعية ليستزيدا من تعاليم العقيدة السلفية وبقيا هنالك لمدة عام[٣]، وقد استفادا من وجودهما في الدرعية في التدرب على ممارسة القيادة السياسية ومعاينة أثر الجهاد في ترسيخ القيادة حسب الوجهة الشرعية، ثم عادا إلى عسير حاملين فكرة تكوين القيادة السياسية لدعم الدعوة[٤].

في ظل ما كان من أثر تركه الأخوان في عسير منذ البداية وما اكتسباه من شعبية فقد بدءا بعد عودتهما في ممارسة السلطة السياسية إلى جانب الدينية من قريتهما طبب عام ١٢١٤هـ، رغم وجود المعارضين كما يقول العجيلي كأمر طبيعي يفترض حدوثه في كل حالة كهذه خاصة من المتنفذين من شيوخ القبائل المحلية الذين سيحاولون المحافظة على مكانتهم القبلية ولكن دون جدوى، حتى أصبح الأكبر منهما وهو محمد بن عامر أميراً فعلياً لكافة قبيلة عسير في عام ١٢١٥هـ[٥]، وكان عبدالوهاب إلى جانبه منوطاً به قيادة سرايا نشر الدعوة.

وقد ذكر البهكلي أن عبدالعزيز بن سعود قد أرسل خطابات إلى شيوخ قبائل السراة يأمرهم بطاعة محمد بن عامر، ومن ضمن ما ذكره أنه شرط عليه قتال حمود أبو مسمار في أبي عريش[٦]، وهذا لا يتجاوز أن يكون مبالغة من البهكلي المتحمس لأبي مسمار والمتحيز ضد الإمارة العسيرية لا يؤيده واقع الحال في تلك المرحلة ولا حتى ما بعدها، فحمود أبو مسمار لم يتسلم السلطة في أبي عريش من علي بن حيدر إلا فيما بين عامي ١٢١٥ـ ١٢١٦هـ[٧]، ولم يكن لأبي

---

(١) جحاف، درر نحور الحور العين ...، مكتبة الإرشاد ـ صنعاء، ط١، ص٣٨٨.

(٢) جحاف، درر نحور الحور العين ...، مكتبة الإرشاد ـ صنعاء، ط١، ص٤٠٠.

(٣) العجيلي، الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود الأولين، تحقيق عبدالله أبو داهش، ١٤٠٨هـ، ص٢٣.

(٤) العجيلي، الظل الممدود ...، تحقيق عبدالله أبو داهش، ص٢٣ ـ ٢٥.

(٥) النعمي، تاريخ عسير، طبعة المئوية، ص١٣٤.

(٦) البهكلي، نفح العود، ١٢٨، ١٢٩.

(٧) ـ لطف الله جحاف، درر نحور الحور العين، ص ٤٦١، ٤٦٢، ٤٨١.
ـ إقرأ نفح العود الصفحات ما بين ١٠٧ـ ١١٣.

عريش أي أهمية خاصة ولا ذكر فيما قبل عام ١٢١٦هـ، حيث كان أميرها مجرد أحد الأمراء لإحدى قرى المخلاف مثله مثل عرار بن شار في الدرب وابن عمه منصور بن ناصر في صبيا، بل كان هنالك نفوذ قوي لسندروس عليهم، وكان أول ظهور لحمود عندما بدأ الفلقي الدعوة في بلاد المخلاف كالكثير من الدعاة المنتشرين في أنحاء تهامة للدعوة ضاماً معه عرار بن شار صاحب الدرب ثم انساق إليهما منصور بن ناصر صاحب صبيا فناوأهم صاحب أبي عريش علي بن حيدر، رغم أنه كان قد تظاهر بالدخول في الدعوة في عام ١٢١٥هـ[1]، فحاول الفلقي إرغامه على الدخول في الدعوة بالقوة، فتمكن حمود من هزيمته في بيش فاستصرخ الفلقي بالإمام عبدالعزيز في الدرعية فأرسل إليه حزام العجماني وربيع بن زيد وزبران القحطاني ومعهم ألف وخمسمائة فارس[2]، وكان حمود آن ذاك قد تولى مكان علي بن حيدر على أبي عريش، فتمكن حمود من هزيمتهم بمن معه من أهل أبي عريش ومرتزقة همدان ودهم ويام وحاشد وبكيل، فعلا شأن حمود في جهة المخلاف، وكل ذلك كان عام ١٢١٦هـ[3]، أي بعد قيام الإمارة العسيرية بأكثر من عام أو عامين، أما بخصوص إرسال الإمام عبدالعزيز بالرسائل إلى شيوخ القبائل وتكليفهم بطاعة محمد بن عامر، فقد أجد أن ذلك ممكناً في حدود قبيلته عسير، إذ ظلت سلطته ذات طابع عشائري ونفوذها لم يتجاوز حدود قبيلته عسير، ولم تتبع له بقية قبائل السراة حتى توفي رحمه الله عام ١٢١٧هـ[4]، كما أنه لم يكن لابن سعود أن يأمر شيوخ القبائل الأخرى بطاعته، فلم يكن ذلك ديدن الدولة السعودية في تلك المرحلة إذ نجد أن كل شيخ معني بقيادة قبيلته كما كان حال ابن شكبان أمير شهران بيشة وربيع بن زيد أمير الدواسر، وحزام العجماني أمير العجمان، ومحمد بن هادي بن قرملة أمير الجحادر، وعثمان المضايفي أمير عدوان، فلم تكن هنالك قيادة جماعية إلا للجيوش أثناء الحرب، ولم يكن ابن سعود ليحيل قيادة الجيوش الجماعية إلى محمد بن عامر أبو نقطة وهو مجرد طالب علم لم يمارس الحرب حتى عام ١٢١٥هـ بل حتى توفي، كما أن هنالك من هم أكثر وأقدم منه مكانة حتى تلك المرحلة لدى الدولة السعودية كابن شكبان، وحزام العجماني، كما لم يكن ابن سعود ليتجاوز هؤلاء إلى وضع أحد الشيوخ المحليين شيخاً على بقية القبائل الكبرى الأخرى بل وعلى كافة المنطقة، إذ كان كل شيخ له السيادة على قبيلته ضمن إطار الدولة السعودية، وربما يكون لتحيز البهكلي

---

(١) جحاف، درر نحور الحور العين، ص٤٨١.

(٢) جحاف، درر نحور الحور العين، ص٤٨٥.

(٣) جحاف، درر نحور الحور العين، ص٤٨٥ ـ ٤٩٠.

(٤) النعمي، تاريخ عسير، طبعة المثوية، ص١٣٥.

كما هو معروف إلى أبي مسمار ضد إمارة عبدالوهاب أبو نقطة أثره فيما أورده هنا للتقليل من شأنه وإرجاع وصوله إلى السلطة إلى مجرد أوامر من الدرعية لا مبايعة من العسيريين.

كما ذكرت بعض المصادر (الغير موثوقة) أن بعض شيوخ القبائل المحلية كابن غشام شيخ رفيدة وابن مشيط شيخ شهران قد ناصروا الدعوة فحاربهم أمير عسير المزعوم "محمد بن أحمد اليزيدي" فتوجهوا إلى الدرعية عام ١٢١٥هـ أثناء وجود محمد بن عامر وأخيه عبدالوهاب فيها[١]، وهذا لا يصح، فلا يوجد أي مصدر موثوق يشير إلى ذلك على الإطلاق، فكل المصادر النجدية كانت تشير إلى الرجلين فقط (محمد وعبدالوهاب أبو نقطة)، ومثلها كانت المصادر العسيرية المعاصرة لهما، ولم يرد في أي مصدر أن ابن غشام ولا ابن مشيط قد سبقا إلى تبني الدعوة في المنطقة قبل آل أبو نقطة، ولا أن حاضرة قحطان وشهران المستقرة في هذه الجهة قد دخلت في الدعوة في تلك المرحلة، بل ولا حتى تداخلت مع التاريخ العسيري في مراحله الأولى، فقد كان التشيع منتشراً في جهات المذكورين، فيما عدا قحطان نجد (الجحادر) وشهران بيشة (الرمثين وأكلب)، وقد اهتمت الدرعية بجهات نجران وما بينها وبين بدر وظهران الجنوب والقبائل الموجودة فيها كيام والعجمان وبني مرة ووادعة، ولم تلق بالاً كبيراً لجهات الحجاز الواقعة إلى الشمال من ظهران الجنوب فيما قبل عام ١٢١٥هـ لأنها لم تتداخل مع أحداث الدولة السعودية فيما قبل ظهور آل أبو نقطة في عسير.

كما ذكرت بعض الوثائق المحلية الغير معاصرة أن جيشاً قدم من الدرعية إلى عسير عام ١٢١٥هـ بقيادة ربيع بن زيد الدوسري وتمكن من إخضاع عسير للدولة السعودية[٢]، وقد نقل الكثير من المؤرخين هذا الخبر عن بعضهم ووثقوه في الكثير من الكتب الحديثة[٣]، وأجد ذلك عند قراءة التاريخ وبقية المصادر المعاصرة للحدث غير منطقي أيضاً، حيث أن عسير كانت قد دخلت الدعوة تلقائياً ودون جيوش نجدية كما يقول مؤرخ عسير المعاصر محمد بن هادي العجيلي[٤]،

---

(١) شاكر، عسير، المكتب الإسلامي، ص١٥٢.

(٢) وثيقة عبدالرحمن الحفظي، مجهولة التاريخ انظر: هاشم النعمي، تاريخ عسير، طبعة المئوية ١٤١٩هـ، ص ١٣٤، ١٣٥.

(٣) - رفيع، في ربوع عسير، ص١٧٧.
- النعمي، تاريخ عسير، طبعة المئوية ١٤١٩هـ، ١٣٤، ١٣٥.
- العقيلي، المخلاف السليماني، ط٢، ١٤٠٢هـ، ص٤٣٩.
- ابن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، ط٢، ١٤٠٢هـ، ص١١٥.

(٤) محمد بن هادي بن بكري العجيلي، الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود الأولين، تحقيق عبدالله أبو داهش، ١٤٠٨هـ، ص٢٣ ـ ٢٥.

ومؤرخ اليمن المعاصر لطف الله جحاف، وكان ذلك بعد أن دخلت الدعوة في قلوب أهلها منذ بدأ محمد بن عامر وعبدالوهاب بن عامر تبشير الناس بها وإلقاء الخطب والدروس الدينية التي تدعو لمبادئها في مسجد طبب ومراسلة القبائل عام ١٢١١هـ[١]، ومن المستحيل أن يتجاهل أي مؤرخي عسير المعاصرين كمحمد بن هادي العجيلي ومحمد بن أحمد الحفظي خبر هذا الجيش، ومن المستحيل أن يغفل مؤرخي نجد كابن بشر أو البسام أو صاحب لمع الشهاب أو مؤرخي المخلاف كالبهكلي وعاكش أو حتى مؤرخي اليمن المعاصرين كجحاف هذا الخبر الهام جداً عما قام به هذا الجيش وهذا القائد من دور محوري في تاريخ المنطقة وفي تاريخ الدولة السعودية عندما تمكن من إدخال عسير إلى نفوذ الدولة السعودية، وهو ما يجعلنا نعتبر إما أن الخبر لا أساس له، أو أن نقبل بأن هذا الجيش الذي وصل لعسير بقيادة ربيع بن زيد الدوسري ولم يقاتل أحداً فيها كما تقول الوثيقة، كان مروره بعسير عندما كان متوجهاً إلى بلاد وادعة في ظهران الجنوب التي غزاها بالفعل ربيع بن زيد عام ١٢١٥هـ[٢]، فمن الطبيعي أن يمر ربيع بمحمد بن عامر أبو نقطة كأحد أنصار الدعوة عندما مر ببلاده، إما لطلب الدعم أو المشورة أو للزيارة أو ما شابه ذلك، فقد تداخل أبو نقطة مع هذه القبائل بالذات في عام ١٢١٥هـ[٣]، أو لعل ذلك كان أثناء توجه جيوش الدعوة إلى تهامة لمناصرة عرار بن شار ومن معه ضد حمود أبو مسمار، لذا لم تشر كل المصادر المعاصرة إلى مرور هذا الجيش بعسير لأنه لا يعتبر حدثاً تاريخياً يستحق الذكر.

فالحقيقة أن الدعوة قد دخلت إلى عسير وتحمس لها العسيريون منذ ما قبل عام ١٢١١هـ وتمكن أنصارها في عسير من التأثير على البيئة المحيطة لتقبلها وإسكات المعارضين حتى تمكنوا من ترسيخ وجودها السياسي محلياً منذ عام ١٢١٥هـ وهذا ما تدعمه المصادر النجدية جميعها والمصادر العسيرية المعاصرة جميعها والمصادر المجاورة[٤].

كانت عسير من أكثر قبائل السراة تواصلاً مع الجهات التهامية خاصةً في المخلاف السليماني وما حوله لسيطرتها على أسهل الطرق المؤدية إلى تلك المواقع في بلاد السراة حيث عقبة ووادي ظلع المؤدية إلى الدرب ومن ثم إلى بقية مدن المخلاف، وعقبة شعار المؤدية إلى محائل وحلي

---

(١) لطف الله جحاف، درر نحور الحور العين ...، مكتبة الإرشاد ـ صنعاء، ط١، ص٣٨٨.

(٢) جحاف، المصدر السابق، ص٤٧٧.

(٣) جحاف، المصدر السابق، ص٤٨٣.

(٤) للمزيد راجع فصل «هل كان في عسير حكم مركزي شامل فيما قبل انضمامها للدولة السعودية عام ١٢١٤هـ» في هذا الكتاب.

والقنفذة وأيضاً لامتداد قبيلتهم في تهامة إلى الشمال من تلك المناطق حيث خميس البحر وقنا والقحمة ومحائل، لذا فبعد أن مد محمد بن عامر نفوذه على قبيلة عسير فيما بين أقصى بلاد بني مالك شرقاً والقحمة على ساحل البحر غربا وفيما بين درب بني شعبة وبلاد شهران وقحطان جنوباً إلى بلاد بللحمر وبللسمر شمالاً، اتخذ من القحمة ميناءً له ووضع عليها ابن عمه طامي بن شعيب، وتواصل مع جهات الدرب وصبيا وبيش والشقيق، وبدأ العسيريون في نشر تعاليم الدعوة هنالك، فدخل في سلكها كل من عرار بن شار أمير درب بني شعبة في الدرب وأحمد الفلقي أمير بيش ومنصور بن ناصر أمير صبيا وبدؤوا يدعون لها في جهاتهم منذ عام ١٢١٥هـ فحدثت بعض المناوشات بينهم وبين علي بن حيدر أمير أبي عريش، الذي كان يراوح بين مناصرة الدعوة جهراً والتواصل مع محمد بن عامر المتحمي في عسير وبين التواصل مع إمام اليمن سراً بسبب خوفه من فقد جزء من نفوذه لصالح طموح ابن عمه منصور بن ناصر الذي تمكنت الدعوة منه واكتسب شعبية في جهات صبيا.

فيما بين عامي ١٢١٥هـ -١٢١٧هـ أصبحت عسير تمثل مركزاً لنشر الدعوة في السراة وجهات تهامة والمخلاف السليماني، وأصبح أمير عسير "محمد بن عامر أبو نقطة" هو النصير الأول للدعوة في هذه الجهات، وإليه يتجه الأنصار الجدد، وبين يديه يختصمون، وبه ينتصرون، فيذكر جحاف أنه عام ١٢١٥هـ صعد أمير أبي عريش علي بن حيدر إلى أمير عسير في طبب ووشى بأمير الدرب "عرار بن شار الشعبي" وادعى أنه من أنصار سندروس[١] الحبشي والذي كان متولياً على الحديدة وكان من أشد خصوم الدعوة في تهامة، وهو ما يدلنا على أهمية أمير عسير محمد بن عامر في تلك المرحلة كمركز للسلفيين الجدد في هذه المناطق، كما ذكر أنه استنصر به أتباع الدعوة في صبيا والدرب وبيش عام ١٢١٦هـ فأرسل لهم فرقة عددها ٤٠٠ مقاتل بقيادة أخيه عبدالوهاب بن عامر[٢]، كما مارس أمير عسير أعمالاً عسكرية كقطع طرق الإمداد بين شريف مكة وإمام اليمن عبر البحر والبر[٣] عن طريق ابن عمه الذي عينه على القحمة "طامي بن شعيب"، ورغم الأثر الكبير له وارتباط أنصار الدعوة به خاصةً في الجهات التهامية، فإن نفوذ إمارته لم يتجاوز حدود قبيلته عسير حتى عام ١٢١٧هـ[٤]، ومن ثم فإن

---

(١) جحاف، درر نحور الحور العين، ص٤٨١.

(٢) جحاف، درر نحور الحور العين، ص٤٨٩.

(٣) جحاف، درر نحور الحور العين، ص٤٨٥.

(٤) - العجيلي، الظل الممدود، تحقيق عبدالله أبو داهش، ص٢٣

- النعمي، تاريخ عسير، ط١، ١٣٨١هـ، ص١٣٢

الإمارة العسيرية حتى تلك اللحظة لم تتجاوز حدود كونها إحدى العشرات من الإمارات القبلية التي تبنت مبادئ الدعوة السلفية وارتبطت بالدولة السعودية، وقد ورد في بعض المصادر أن محمد بن عامر حاول جمع الحلقة من قبائل رجال ألمع[١]، وهو أمر لا يصح إطلاقاً فلم يكن ديدن الدعوة جمع سلاح أتباعها بل كانت تدعو إلى الجهاد، ولم يكن له أن يدعو القبائل في عسير لتسليم سلاحها إذ أن السلاح كان جزءاً من الزي الرسمي للعسيريين، وما أرجحه شخصياً في أحداث تلك المرحلة هو أنه كان هنالك طموح لبعض أسرة آل الحفظي في رجال ألمع والتي كانت ترى لها حق القيادة في تلك الجهات، وهو أمر متوقع ومنطقي جداً، فقد بادرت بتأييد الدعوة في الدرعية من موقعها في تهامة وتواصل رجالها ببعض رجال الدعوة القادمين من الدرعية إلى منطقة المخلاف ودرب بني شعبة المجاورة لهم، بل لقد راسل بعض أبنائها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأبنائه والإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وكتبوا عنها القصائد قبل قيام الإمارة العسيرية، وكان ذلك هو موضع الخلاف فيما أرجح، إلا أننا لم نجد روايات محايدة تروي القصة سوى ما نقل عن بعض آل الحفظي في هذا الخصوص بعد انتهاء المشكلة مما لا يتوافق مع المنطق كما أوردنا.

في عام ١٢١٧هـ توفي الأمير محمد بن عامر فاختار العسيريون بعده أخاه عبدالوهاب بن عامر أميراً لعسير ولقي ذلك تأييد مركز الدعوة في الدرعية حيث الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

كان عبدالوهاب ذا طموح وهمة وشجاعة ونزوع إلى المبادرة والمغامرة غير محدودة، لذا فقد كانت فترة حكم عبدالوهاب بداية انطلاق الإمارة العسيرية إلى خارج حدودها المحلية، بل أصبحت عسير خلال سنتين فقط المركز الأهم للدعوة السلفية في الجهات الغربية من الجزيرة العربية، فاكتسبت هذه الإمارة سمعة كبيرة في الجزيرة العربية، فكان بحق مؤسس "عسير الكبرى" كما قال عنه بعض المؤرخين.

كانت بداية الانطلاقة عندما عزم الأمير عبدالوهاب على غزو أبي عريش وإسقاط حاكمها حمود أبو مسمار الذي أصبح أكثر قوة بعد أن أرسل إمام اليمن قوة من قبائل همدان ودهم ويام وحاشد وبكيل لتستقر إلى جانبه لتكون "أبو عريش" مركز مقاومة متقدم لإمام اليمن أمام المد السلفي الذي أصبح يشكل الخطر الأكبر على نفوذه الديني بل وعلى كل الإمارات القديمة في الجزيرة العربية، فاستعصى على جيوش الدولة السعودية تجاوزه منذ عام ١٢١٦هـ بل وتمكن من إسكات أنصار الدعوة في تلك الجهات كل من منصور بن ناصر والفلقي وعرار بن شار رغم حصولهم على دعم من عسير وبعض جنود الدولة السعودية عام ١٢١٦هـ[٢].

---

(١) النعمي، تاريخ عسير، ط١، ١٣٨١هـ، ص١٣٢.

(٢) انظر البهكلي، نفح العود، ص٩٨ ـ ١٢٨.

فتمكن عبدالوهاب عام ١٢١٧هـ من هزيمته وإسقاط حكمه، وبعد أن استسلم وسلم أمره إلى عبدالوهاب ولمبادئ الدعوة السلفية، أمر بحلاقة رأسه، ثم أعاده على أبي عريش كعامل له عليها، فشاع خبر هذا النصر، واكتسب عبدالوهاب والجيش العسيري سمعة جيدة.

عرف عبدالوهاب بعد هذه المعركة ما لديه من قوة فقرر أن يواصل استثمار هذا النصر بما يعزز ويوسع إمارته على كافة بلاد تهامة بما فيها مكة، فانطلق ومعه قبيلته (عسير) بتهامتها وسراتها وإلى جوارها بعض القبائل الصغيرة في تهامة كبني شعبة وأهل صبيا عام ١٢١٨هـ وشن مجموعة من المعارك تمكن خلالها من السيطرة على تهامة ما بين أبي عريش والقنفذة فهزم أمير القنفذة التابع للشريف ثم عسكر بها لمدة سبعون يوماً غزا خلالها ما بينها وبين الليث وشن منها عدداً من المعارك البحرية مع قوات الشريف وعاد بعدها إلى عسير، وفي نفس العام بدأ حملة أخرى على شريف مكة، وقد طلب في هذه المرة من قبائل المنطقة المجاورة في السراة وقبائل تهامة في صبيا والدرب الدخول معه في هذه العملية فرفضت كل قبائل المنطقة[1]، فانتقل بقبيلته عسير سراة وتهامة فقط إلى الليث وأخضع القبائل المحيطة بها حتى جهز له شريف مكة جيشاً من عشرة آلاف مقاتل فالتقى به عبدالوهاب ومعه ستة آلاف مقاتل في السعدية، فتمكن العسيريون من هزيمة شريف مكة ومن معه من ضباط الدولة العثمانية ورجال المدفعية وغنموا كمية كبيرة من الأسلحة والذخيرة والعتاد العسكري مما زاد من قوة جيش عسير وتسليحه، فدخل عبدالوهاب مكة عام ١٢١٨هـ وترك بها حامية عسيرية من أربعمائة مبندق بقيادة يحي بن ناشع العسيري وعاد إلى عسير[2]، ثم اتجه إلى سواحل اليمن وسيطر عليها، فاتسعت الإمارة العسيرية على المناطق ما بين مكة وسواحل اليمن وأصبح عبدالوهاب أبو نقطة أحد أشهر القادة في الجزيرة العربية، وأصبح اسم عسير يتردد بين الآفاق كأحد مواقع القوى الكبرى في الجزيرة العربية مثلها مثل مكة والدرعية واليمن، وبدأ نفوذه يمتد تلقائياً على كل المواقع المحيطة به، فلم يتحرك جيش عسيري في عهده تحت إمرة غيره، لذا فعندما قرر غزو بلاد يام عام ١٢٢٠هـ التي استعصت على الدولة السعودية منذ عام ١١٧٨هـ، بالتنسيق مع الإمام في الدرعية فقد تحرك جميع قادة الدولة السعودية في نجد ليدخلوا تحت إمرة عبدالوهاب بأمر الإمام سعود[3]، فدخل

---

(١) العجيلي، الظل الممدود ...، تحقيق عبدالله أبو داهش، ص٤٢.

(٢) آل فايع، دزر آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى، ص١٧٤، وانظر محمد العجيلي، الظل الممدود، ص١٣١.

(٣) دلال، المصدر السابق، ص٧٢.

مدينة "بدر" مركز المكرمي داعي يام وابتنى قصر المملح بها وترك به حامية عسيرية بقيادة يحي بن ناشع العسيري[١]، ثم اتجه إلى مكة التي ثارت على حاميته فاتحاً فسلم له شريف مكة، فترك على مكة حامية[٢] وعاد إلى عسير، وقد واصل عبدالوهاب جهاده في سبيل الله حتى توفي شهيداً عام ١٢٢٤هـ في معركة بيش عندما حمل رمحه وهو يهلل ودخل بين قلب صفوف جيش حمود فلم يشعروا به حتى عطف على جماعة من ذوي حسين فقتل رمحه وأرسله على حامل الراية البكيلية فقتله فثار حي بكيل وقالوا: هذا والله أبو نقطة فرموه دفعة واحدة فمزقت الرصاص ثيابه، واشتدوا عليه فسقط عن فرسه، فأقبلوا عليه بالرماح والسيوف[٣]، فاستشهد عبدالوهاب أبو نقطة المتحمي العسيري صاحب المبادرة العسيرية الأولى وأعظم قائد عسكري عرفته الجزيرة العربية في العصر الحديث، بعد أن خاض بجيشه القبلي الصغير غير المدرب عشرات المعارك البرية والبحرية أمام جيوش محترفة مدربة لم يعرف قومه في أيها طعم الهزيمة، وامتد نفوذ الدولة السعودية على يديهم على الجزء الغربي والجنوبي الغربي من الجزيرة العربية، وقد برز عدد من القادة العسيريين في صفوف جيوش عبدالوهاب ومنهم "يحي بن ناشع" و"معدي بن مهمل" و"طامي بن شعيب" و"يحيى بن شعيب".

رحل الأمير عبدالوهاب بعد أن حرك المياه الراكدة فوق جبال السروات وأصبحت عسير إلى جانب الدرعية بعده أهم مراكز القيادة لفتاً لانتباه المؤرخين في الجزيرة العربية كاملة، وقد خلفه ابن عمه الأمير طامي بن شعيب المتحمي وكان أحد قادته البارزين، فواصل تحقيق المكتسبات للإمارة العسيرية وكبد جيوش محمد علي باشا أكبر هزائم عرفتها في الجزيرة العربية في حروبه معها في القنفذة وبلاد زهران وتربة وغيرها، وأعاد أمير أبي عريش إلى الطاعة واستعاد سواحل اليمن، إلى أن تحرك محمد علي باشا بذاته من مصر إلى بلاد عسير بجيش جرار وتمكن من هزيمة جيوش الدعوة في بسل والتي كانت تحت قيادة كل من عبدالله بن سعود وطامي بن شعيب، وبعدها اتجه محمد علي باشا إلى طبب فتمكن من إسقاط الإمارة العسيرية عام ١٢٣٠هـ، بعد أن تكبد جيشه مئات القتلى في معركة الطلحة، فلجأ طامي إلى مزارعه في

(١) ـ البهكلي، نفح العود، ٢٤١.
ـ بن بشر، عنوان المجد، ج١/ ٢٨٩، ٢٩٠.

(٢) ـ البهكلي، نفح العود، ٢٤١.
ـ ابن بشر، عنوان المجد، ج١/ ٢٨٩، ٢٩٠.

(٣) جحاف، المصدر السابق، ص٨٠٦.

مسلية المجاورة لأبي عريش، فقبض عليه نائب حمود أبو مسمار هناك المدعو "الحسن بن خالد" وسلمه لجيش محمد علي باشا، فحمل إلى مصر ومنها إلى تركيا وأعدم هناك[١].

خلال مرحلة طامي بن شعيب ظهرت في بلاد السروات قوة أخرى داعمة في بلاد غامد وزهران بقيادة بخروش بن علاس الزهراني وقد لعب هذا القائد دوراً بارزاً في أحداث تلك المرحلة واشترك مع طامي في عدد من الحروب كان أهمها معركة بلاد زهران ومعركة بسل، وانتهى به المطاف إلى القبض عليه ثم إعدامه صبراً على يد القوات العثمانية بعد محاولته الهروب من الأسر وقتله لبعض الحرس، وقد تم نقل رأسه إلى مصر مع طامي بن شعيب المتحمي[٢] رحمهما الله، كما برز عدد من القادة في عهد طامي الذين شاركوا معه في حروبه ومنهم محمد أحمد (حوان) في بلاد عسير وابن دهمان في تبالة وابن مشيط في بلاد شهران وابن حرملة في عبيدة قحطان.

بعد طامي جاء دور أحد أمراء آل المتحمي ليعيد إمارة أسرته وهو/ محمد بن أحمد المتحمي الذي اتخذ من العمق الجبلي العسيري فوق جبل تهلل منطلقاً لطرد حامية محمد علي باشا من طبب عام ١٢٣٠هـ، فاستعاد الإمارة العسيرية ولكن كما كانت في عهد الأمير محمد بن عامر فقط، إذ تراجعت الكثير من المناطق عن حكمه بما فيها بعض عسير تهامة، فتمكن من إعادة البلاد العسيرية التي خرجت عنه وتثبيت الإمارة العسيرية مرة أخرى، فشنت الدولة العثمانية في عهده عدة حملات في طبب والملاحة وجبل ضمك حتى تمكنت أخيراً من أسره، وأسرت معه جميع الرجال القادرين على القيادة وأخذت بعض أبناء علية القوم كرهائن ورحلتهم إلى مصر، فانتهى بذلك عهد آل المتحمي مؤسسي الإمارة العسيرية في عسير.

وقد برز في عهد محمد بن أحمد المتحمي من أنصاره كل من سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل واللذان حملا مشعل الثورة بعد ذلك ونقلا المركز من طبب إلى السقا.

٢- حقيقة مركزية قرية السقا في التاريخ العسيري

تشير أخبار مجموعة إمتاع السامر إلى مركزية قرية السقا في التاريخ العسيري، بل في تاريخ جبال السروات كاملة، وإلى دور هام ومحوري لهذه القرية على مستوى الجزيرة العربية، منذ القرن الهجري الثاني عندما انتقل إليها أحد أحفاد يزيد بن معاوية هارباً من مجازر العباسيين بعد معركة الزاب عام ١٣٢هـ فأقام دولته التي استمرت حتى عام ١٢٨٩هـ أي أكثر من ألف ومائة

---

(١) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٨٣، ١٨٤.

(٢) بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ص١٨٣، ١٨٤.

إسم الموقع	التاريخ	الخصم	قائد عسير	عدد الجيش العسيري	المنتصر	ملاحظات	المصدر
بيش	١٢١٦هـ	أمير أبي عريش علي بن حيدر	عبدالوهاب بن عامر المتحمي	٤٠٠	لم يحدد	أرسل محمد بن عامر فرقة تتكون من ٤٠٠مقاتل من عسير بقيادة عبدالوهاب بن عامر لمناصرة أنصار الدعوة في تهامة كل من : الفلقي، وناصر بن منصور، وعرار بن شار	• لطف الله جحاف (درر نحور الحور العين) ص٤٨٩
أبو عريش	١٥/ ٨/ ١٢١٧	حمود أبو مسمار ومعه قبائل اليمن مثل حاشد وبكيل ويام وخولان	عبدالوهاب بن عامر	٦٠٠٠	عسير	انتصرت عسير واستسلم حمود أبو مسمار وتم تعيينه على ابو عريش بعد أن أبدى الطاعة لأمير عسير وكان استسلامه بتاريخ ١٧/٩/١٢١٧هـ	• عبدالمنعم الجميعي (عسير خلال قرنين، ٤٧ • عسير- علي عسيري، ١٢٥ • فايع (دور آل المتحمي)، ١٩٦-١٩٨ • جحاف - درر نحور الحور العين، ٣٥٦ • نفح العود - البهكلي، ١٦٦ - ١٦٨

إسم الموقع	التاريخ	الخصم	قائد عسير	عدد الجيش العسيري	المنتصر	ملاحظات	المصدر
معركة بحرية بالبحر الأحمر	١٢١٨ جمادى الأولى	سفن امداد للشريف غالب	طامي بن شعيب	١١سفينة ٥٠٠ مبندق	عسير	امتدت المعركة يومين بليلتين داخل البحر وغنم العسيريون ٥ مراكب وكان يوازي الحملة قوة بريه تحاذيهم بقيادة يحيى بن شعيب	• فايع١٧٥ • محمد العجيلي (الظل الممدود) • ابن زلفه ٢٧
القنفذه (الأولى)	١٢١٨	أبي بكر بن عثمان والي الشريف	عبدالوهاب بن عامر	٥٠٠٠	عسير (وتم احتلال القنفذه)	وتم بعدها مطاردة جيوش الأشراف داخل البحر ومحاصرتهم في الجزيرة حتى سلموا وتم ضم القنفذه	• جحاف٦٥٦+ ٦٥٧ • فايع ١٧٣
معركة الليث	١٢١٨	قبائل الليث الموالية للشريف	عبدالوهاب بن عامر	٥٠٠٠	عسير وتم احتلال الليث	وتم ضم الليث لعسير	• جحاف ٦٥٦+٦٥٧ • فايع ١٧٣
معركة بحريه قرب الليث	١٢١٨ آخر رمضان	سفن للشريف غالب	عبدالوهاب بن عامر	٣٠سفينه + ١٠٠٠ مبندق	عسير	غنم الجيش العسيري ٤ سفن من هذه الحمله	• فايع١٧٨ • مخطوطة نفح العود محمد الحفظي (خط) • العجيلي ٣٦+٣٧

بعض المعارك التي خاضتها عسير
في عهد آل المتحمي

معركة إدام الأولى	١٢١٨	جيش الشريف غالب المكون من مجموعة من قبائل الباديه	طامي بن شعيب	جزء من فرقة تتكون من ١٠٠٠ مبندق + ١٠٠ فارس	عسير	إستمرت المعركة من شروق الشمس حتى نحر الظهر وتمكن العسيريون من الإنتصار في هذه المعركة وهرب جيش الشريف بعد أن قتل منهم الكثير، وقد قام طامي بتوزيع قوته إلى فرقتين إحداهما توجهت لإدام والأخرى إلى عقيلا	• فايع١٧٨ • مخطوطة ابراهيم الحفظي ورقة٩ • الجميعي ٥٤ • الظل الممدود ٢٥+٢٦
عقيلا	١٢١٨	قبائل موالية للشريف غالب	طامي بن شعيب	جزء من فرقة مكونة من ١٠٠٠ مبندق +١٠٠ فارس	عسير	جزء من القوة التي توجهت لإدام هي التي خاضت هذه الحرب .	• محمد الحفظي (خط) • العجيلي ٣٦+٣٧ • فايع ١٧٨+١٧٩
حلة الثعالبه (شمال الليث)	١٢١٨	قبائل مواليه للشريف غالب وهم الأشراف الثعالبه	محمد بن عايض ومحمد بن أحمد (حوان)	٢٠٠ مبندق+٢٥خيال	عسير	على إثرها قدم الشريف راجح بن رميثه وإخوته من ذوي حسن على عبدالوهاب فنكل بهم بمائة من الإبل والف ريال ثم أعاد لهم الإبل والرقيق وقدم عليه قبيلة الجبره فغرمهم الحلقه وألف ريال	• فايع ١٨٠ • العجيلي٣٧

معركة إدام الثانية	١٢١٨	جيش الشريف غالب بقيادة السيد منديل وأبو مرامح	معدي بن مهمل	٢١٦٠ مبندق+٧٤ فارس	عسير	كان ضمن جيش الشريف قبائل هذيل وحرب وبعض القبائل البدويه	• فايع١٨١ • العجيلي٣٨+٣٩
شرق الليث	١٥/ ١٠/ ١٢١٨	قبائل بادية الموالية للشريف غالب	قوة من جيش عبدالوهاب بن عامر	٧٠٠ مبندق	عسير	وقد غنم العسيريون في هذه المعركة مغانم كثيره، وكانت قبائل جيش الشريف هي فهم وعضل	• فايع١٨١ • العجيلي٣٨+٣٩
معركة بحرية	١٥/ ١٠/ ١٢١٨	قوات إمداد يمنيه للشريف غالب مع ٣٠سفينه مزوده بالسلاح	عبدالوهاب بن عامز	١٠٠٠ مبندق +٢٥ سفينه	عسير	دارت معركة قويه استمرت طوال يوم وليله غنم فيها العسيريون ٣ سفن	• فايع١٨٢ • جحاف مجلة العرب ج٧+٨س٢٧صفر ١٤١٣ • مذكرات العجيلي٣٩+٤٠
وادي يلملم	١٢١٩	قبائل بادية تابعة للشريف غالب	معدي بن مهمل	٢٥٠٠ مبندق +٢٢٠ فارس	عسير	وتمكنت عسير من هزيمة هذه القبائل بعد معركة حاميه، وكانت هذه القبائل هي مخاشن وفهم والجحادل وبعض هذيل وآل فاضل .	• فايع ١٨٣ • مذكرات العجيلي
السعديه	١٢١٩	الشريف غالب ومعه عشرة آلاف مقاتل	عبدالوهاب بن عامر	٦٠٠٠ مقاتل عسيري	عسير	بدأت المعركة عندما أرسل عبدالوهاب جواسيس كانوا من بني مغيد وتمكن منهم رجال الشريف	• الجميعي ٤٨ • الظل الممدود

		وستمائة فارس من المغاربه والمصارية ومن أهل مكة وهذيل وكافة البدو المجاورين لمكه				وهم يصلون فقتلوا منهم ٣٤ فتحرك عبدالوهاب وجيش عسير وتلاقى الطرفان وتمكن العسيريون من إلحاق هزيمة ساحقه بجيش الشريف ومطاردتهم حتى بئر إدام ووقي لان القتلى منهم ٣٠٠٠ قتيل ووزعت الغنائم على عسير االسراة وتهامه وكان فيها ٣٠٠٠ بندق وقنبله كبيره ورصاص وأكثر من ألف سيف مذهب ودخل الجيش العسيري مكة وفتحت لهم الكعبة ونشروا حلق العلم والدرس وأمّر عبدالوهاب عليهم يحيى بن ناشع بأربعمائة مبندق وعاد إلى عسير	(محمد الحفظي) (مخطوطه)١٦+١٧ • العجيلي٤٣ • فايع١٨٤ • ابن بشر ٢٨٢ـ٢٨٤ • ابن زلفه ٢٧
بني شعبه	١٢١٩	عرار بن شار وبني شعبه	عبدالوهاب بن عامر		عسير	أعلن عرار مناهظة عبدالوهاب وانظم إلى حمود أبو مسمار وقد إنظم له بعض القبائل ممن حوله فنزل له عبدالوهاب فأحرق الدرب والشقيق وأمر عليها أمير من قبله	• البهكلي ٢١٣+٢١٥ • فايع ٢١٢ • عاكش (الذهب..٤)
حصار زبيد	١٢٢٠	قوات تابعة لإمام صنعاء	صالح العلفي	قوة من عسير مع جيش صالح العلفي	عسير	سقطت زبيد إلا أن القلعة بقيت مقاومة لوصول إمداد من إمام صنعاء	• البهكلي ٢٣٥+٢٣٧

المكيمنه	١٢٢٠	قوات إمام صنعاء	حمود أبو مسمار	قوات من يام والمخلاف وهمدان وعسير	جيش أبو مسمار ومن معه من عسير والبقية	كانت قوة من عسير مكونة من ٣٠٠ رجل في قلعة الدريهمي ببيت الفقيه عندما االتقى حمود وجيشه مع قوات الإمام وقد كانت الدائرة على جيش حمود حتى وصل ٥٠ مقاتل عسيري من القلعه ورجحوا كفة حمود .	• البهكلي ٢٤٧-٢٥١ • جحاف ٦٤٤+٦٤٥ • فايع ٢٢١+٢٢٢
بدر الجنوب	١٢٢٠	يام وهمدان بقيادة المكرمي	عبدالوهاب بن عامر ومعه عسير وقوة من الدواسر وعبيدة وسنحان وبيشه	٣٠٠٠٠	عسير	تمكن عبدالوهاب من دخول بدر والسيطرة عليها وبنى فيها قلعة المملح وأمّر عليها يحيى بن ناشع واتجه ببقية الجيش العسيري إلى الحجاز لقيادة معركة فتح مكه وذكرت بعض المصادر أنه تمكن من دخول نجران وبقي فيها شهرين قبل اتجاهه للحجاز	• ابن بشر (عنوان المجد)٢٩٠ • فايع ٢٤٢+٢٤٣ • ابراهيم جمعه٦٨
إستعادة مكه	١٢٢٠	الشريف غالب وجيشه	عبدالوهاب بن عامر		عسير والجيش السعودي	حاصر عبدالوهاب مكه حتى استسلم الشريف غالب ودخل عبدالوهاب مكه وصلى في الحرم وقابل الشريف وتم الصلح بينهما على يد مجموعة من أئمة الحرم، وكان معه بالإضافة لعسير بيشه وزهران وشمران والمضايفي .	• ابن بشر ٢٨٥+٢٨٦ • ابن عيسى ١٣١ • الفاخري ١٤٣ • الجميعي ٥٠ • ابن زلفه٢٨

معركة الريث	١٢٢٣	أهالي الريث	عبدالوهاب بن عامر		عسير	تم تأديب المتمردين ونشر مبادئ الدعوة	• فايع ٢٢٩ • البهكلي٢٧٦
وادي بيش	١٢٢٤	حمود أبو مسمار ومعه حاشد وبكيل وخولان ويام	عبدالوهاب بن عامر		عسير مع قوة من قحطان وشهران ومن نجد	انتصرت عسير إنتصاراً ساحقاً إلا أنه سقط عبدالوهاب المتحمي قتيلاً في هذه المعركة على يد جماعة من بكيل ومن ذوي حسين مستغلين هبوب عاصفة غبار قوية إنعدمت فيها الرؤيا أثناء هزيمة أبو مسمار وأقاربه وهروبهم من ميدان المعركه .	• عسير علي عسيري ١٢٧ • البهكلي ٢٨٩ • بوركهارت(رحلات..١٠٢) • الجميعي٥٢ • ابن زلفه ٢٩
ميناء جازان الأولى	١٢٢٤	قوات تتبع حمود أبو مسمار	طامي بن شعيب	قوة من عسير وصلت بالسفن	عسير	تم السيطرة على جازان	• فايع ٢٣٣ • البهكلي٢٨٩
صبيا	محرم ١٢٢٥	محسن الحازمي ومعه حاشد وبكيل ويام	طامي بن شعيب	١٠٠٠	عسير	تم استعادة صبيا وطرد جيش حمود وقبائل اليمن بعد أن دمروا ونهبوا المدينة وتم فك الحصار عن محمد المتحمي المدافع عن المدينة	*فايع ٢٥١
معركة بربر	١٢٢٥	حمود أبو مسمار ومعه قبائل اليمن من حاشد وبكيل ويام	طامي بن شعيب	٨٠٠٠	عسير	قتل في هذه المعركة الكثير من رجال حمود أبو مسمار وقد لجأ بعدها إلى حصونه بأبي عريش	• بن بشر٣١٢ • فايع ٢٥٢ • علي عسيري ١٢٩

ميناء جازان الثانية	١٢٢٥	قوات تتبع حمود أبو مسمار	لم يحدد	قوة من عسير	عسير	تم محاصرة الميناء والإستيلاء على المدينة والقلاع وضمها لعسير	• البهكلي ٣٠٣ • فايع ٢٥٣
اللحيه	١٢٢٥	يحيى بن حيدر معه قبائل حاشد وبكيل ويام	طامي بن شعيب	٢٠٠٠٠	عسير وجيش المضايفي	أعادت هذه المعركة السواحل الى السيطرة السعوديه وأذعن بعدها حمود أبو مسمار و طلب الصلح عن طريق أمير صعده محمد علي	• ابن بشر ٣١٣ • البهكلي ٣٠٦ • عاكش تكملة نفح العود ٣١١
معركة الصفراء	١٢٢٦	طوسون باشا وجيوش محمد علي	عبدالله بن سعود ومعه طامي بن شعيب	٢٠٠٠٠ـــ ٤٠٠٠٠	الجيش السعودي	كانت القوات من مختلف المناطق وكانت عسير لها مشاركة كبيره في هذه الحرب من عسير وشهران وقحطان وقد كان لعسير دوراً قويا في تحقيق النصر ذكره بوركهارت	• الجبرتي ٣٣٣ • بوركهارت١١٦ • ابن بشر ٣٢٣ • ابن بسام٤١ • ابن زلفه٣٠
حصار المدينة المنورة	١٢٢٧	طوسون باشا ومعه العربان القريبه من المدينة من قبيلة حرب وما جاورها	قوة عسيريه	٤٠٠٠	جيش طوسون باشا	حصلت معارك دامية قبل سقوط الحامية العسيريه والقلاع وكان سبب الهزيمة طول فترة الحصار دون إمداد وانتشار الأمراض والأوبئة بين المقاومين، وقد سلم العسيريون القلعة بعد اتفاق على سلامتهم وخروجهم إلى عسير إلا أن القائد التركي (بونابارت) غدر بهم وقتلهم وبنى برؤوسهم برجاً .	• بوركهارت١٢٢ • فايع ٢٦٦ • ابن زلفه٣٠

معركة تربه	١٢٢٨	جيش الأتراك	غالية البقميه ومعها البقوم بالإضافة لقوة من عسير والحجاز	غير محدد	البقوم ومن معهم ومنهم عسير	لم يشر ابن بشر إلى قيادة غاليه البقميه في هذه المعركة بينما أشار لها بوركهارت وتاميزيه .	• بوركهارت ١٤٢+١٤٣ • الجبرتي ٤٥٣ • ابن بشر ٣٣٨+٣٣٩ • موريس تاميزيه + بن زلفه(رحلة في...١٣٨)
معركة القنفذه الثانية	١٢٢٨	جيش محمد علي والأتراك	طامي بن شعيب	٨٠٠٠	عسير	تعتبر من أهم المعارك في الجزيرة العربية وقد حصل العسيريون على أكبر كمية من الغنائم الحربية يحصل عليها جيش من معركة في الجزيرة العربية حسب ما ذكر بوركهارت	• بوركهارت ١٤٥ • الجبرتي٤٦٣ • ابن بشر ٣٤٠+٣٤١ • الجميعي٥٦ • عسيري١٣٠
معركة القنفذة الثالثة	١٢٢٩	جيش محمد علي والترك بقيادة محمود بك وزعيم أوغلو وشريف باشا	طامي بن شعيب	٨٠٠٠	عسير	بعد هزيمة محمد علي السابقة أرسل قوة بحرية وأخرى برية إلى القنفذه لاستعادتها وكان بها حامية عسيرية من ٥٠٠ رجل خرجوا منها بعد القصف بالمدافع فتوجه لها طامي بجيشه وحاصر المدينة حتى تمكن من هزيمةالجيش التركي وغنم العسيريون كل أمتعة الجيش التركي ومنه ٥٠٠ خيل .	• بوركهارت ١٥٢+١٥٣ • محمد آل زلفه ٦٠+٦١ • ابن بشر ٣٦٦+٣٦٧ • عسيري ١٣٠

بلاد زهران	١٢٢٩	جيش الترك بقيادة عابدين	طامي بن شعيب	١٠٠٠٠ من عسير وقوة من شعلان ومن معه من قومه وابن دهمان ومن معه من قومه وابن حابش	عسير	حاصر عابدين بخروشبن بن علاس حتى سقطت بلاد زهران ولم يبقى إلا قلعته تحصن بها فتحرك طامي من عسير على رأس ١٠٠٠٠ مقاتل وفكوا الحصار عن بخروش الذي هاجم عابدين أثناء تراجعه هجوماً خاطفاً وبعدها اجتمعت قوات عابدين والتقت بقوات طامي الذي نصب لهم كميناً وتظاهر بالتراجع وعندما تقدم جيش الترك أطبق عليهم القصف حتى قتل الكثير منهم وبقي العسيريون يطاردونهم ويقتلونهم يومين متتاليين إلى أن وصلوا الطائف .	• بوركهارت ١٥٩+١٦٠+١٦٢ • ابن بشر ٣٦٨+٣٦٩ • احمد مرسي عباس ٨٤٥+٨٥
أعلى وادي تربة	١٢٣٠	محمد علي باشا	طامي بن شعيب	١٠٠٠٠ مقاتل	عسير	بين تربة وزهران التقى الجيشان وسقط من الطرفين ١٠٠٠قتيل وغنم الجيش العسيري ما في مخيمات جيش محمد علي من عتاد	• هاشم النعمي، ط١، ١٥٤
معركة بسل	١٢٣٠	محمد علي باشا وجيشه	فيصل بن سعود وطامي بن شعيب	٣٠٠٠٠ من عسير وقحطان وبني شهر وشهران	محمد علي باشا	كان لتأخر وصول القوات النجديه إلى أرض المعركة ثم تخليهم عن ميدان المعركة أثناء الحرب وعودتهم إلى بلدانهم أكبر الأثر في الهزيمة الكبيرة	• بوركهارت ١٦٩_١٧٥ • ابن بشر ٣٧٠+٣٧١

				وغامد وزهران وبيشه وعدوان والدواسر ونجد وشمر	وقد قتل من عسير ١٥٠٠ رجل في هذه المعركه	التي كانت عسير أكبر الخاسرين فيها حيث فقدت عدد كبير من رجالها الذين أبدوا شجاعة نادرة أشار لها بوركهارت واعتبرهم من أشجع العرب حيث بقوا في ميدان المعركة بعد فرار الجميع حتى قطعهم الأتراك إرباً، وقد توجه الجيش العثماني بقيادة محمد علي إلى عسير بعد بسل مباشرة للسيطرة عليها لما لها من أهمية في قوة الدولة السعودية .	• فايع ٢٧٧ـ٢٨٠ • ابن زلفه٣٢
حصار عسير	١٢٣٠	محمد علي باشا وجيشه	طامي بن شعيب	عسير مع قوة من بللحمر وبللسمر	محمد علي باشا وجيشه	أبدى العسيريون مقاومة عنيفة رغم ما كانوا يعانونه من إجهاد وفقد للكثير من رجالهم في معركة بسل وتمكنوا من تحقيق تفوق في بداية المعركة وقتل الكثير من جيش محمد علي إلا أن المدفعية والسلاح القوي والكثرة التي كانت تميل لجيش محمد علي رجحت كفته.	• الجميعي٥٨ • بوركهارت ١٨٠ـ١٨٣ • ابن بشر ٣٧٣ • عبدالرحيم عبدالرحمن • ٤٩٩ • فيلبي ١٩٩
معركة طبب	١٢٣٠	الحامية التركية في طبب	محمد بن أحمد المتحمي العسيري	قبائل عسير	عسير	تمكن العسيريون من القضاء على الحامية التركية وأخذ جميع ما معهم من أسلحة وعتاد فقتل من قتل	• هاشم النعمي ١٥٨ • علي عسيري ١٣٤ • عبدالمنعم الجميعي

						وهرب من هرب للقنفذه أو إلى الطائف	(عسير خلال قرنين) ٢٧
محايل عسير	١٢٣٠	الحامية التركيه واهل محايل	محمد بن احمد المتحمي		محمد المتحمي	هاجم محمد المتحمي محايل لوجود الحامية التركية فيها ولمناصرتهم للأتراك في الحرب وتمكن من القضاء على الحامية بعد حرب ضروس مع الحامية واهل محايل	• النعمي ١٥٨ • فايع ٣٠٠
الدرب الأولى	١٢٣١	حمود أبو مسمار معه قبائل حاشد وبكيل ويام وبني شعبه	محمد احمد المتحمي	عسير	الشريف حمود	انتصر حمود بعد أن سقط في المعركة ١٠٠٠ قتيل من الجانبين .	• عاكش مخطوط ٧٣+٧٤ • هاشم النعمي ١٣٥ • الجميعي٦٤
الدرب الثانية	١٢٣٢	بني شعبه	محمد احمد المتحمي	عسير	عسير	تم استعادة الدرب في هذه المعركه	• عاكش الذهب المسبوك • ٨٣، والديباج ٧٧ • فايع ٣٠١
عسير	١٢٣٢	جيوش العثمانيين والمصريين بقيادة حسني	محمد احمد المتحمي	عسير	القوات العثمانية والمصريه	قدمت القوات العثمانية عبر تهامه بقيادة جمعه آغا وقد لقيت مقاومة من أهل محايل ورجال ألمع ورجال الحجروتمكنت من التغلب عليها	• عبدالرحمن عبدالرحيم٥٨٥+ ٥٨٦ • محمد بن زلفه

		باشا ومحمد بن عون وجمعة آغا				وعبر الشرق بقيادة محمد بن عون وقد لقيت مقاومة من أكلب وبن شكبان والصعيري في بلاد شهران وتمكنت من التغلب عليها والوصول إلى سراة عسير وحاصرتها حتى سقطت عسير وكان ذلك على إثر كثرة الحروب والإنهاك والقتل الذي أصاب كل بيوت عسير خلال هذه الفترة مع قوة خصمهم الذي يحاربونه، وقد حمل الكثير من الأسرى العسيريين من بلاد عسير إلى مصر وتركيا .	(مقاومةعسير..) ٩٩ • هاشم النعمي١٥٩

وخمسون عاماً، وتمددت لتحوي بلاد السراة واليمامة والخليج العربي وتهامة وبعض اليمن وبعض الحجاز ومركزها خلال هذه الفترة قرية "السقا"، أما جل المتحفظين من مؤرخي عسير الداعمين للرواية فقد اتجهوا في المراحل الأخيرة إلى اعتبارها عاصمة منطقة عسير فيما قبل محمد بن عامر أبو نقطة وذكروا أن هنالك إمارة عسيرية سابقة لتلك المرحلة بيد آل يزيد بن معاوية كان مقرها السقا دون أن يتطرقوا إلى المراحل المبكرة من التاريخ، ومن ثم فهنالك ما يشبه الإجماع الذي لم يخرج عنه إلا الشيخ هاشم والأستاذ محمد بن حميد وإلى حد ما الدكتور عبدالله أبو داهش على مركزية السقا في التاريخ العسيري.

وقد يعلل بعضهم رأيه بأن قرية السقا لا بد أنها تمتلك عمقاً تاريخياً أدى لتقبل العسيريين لعودة الحكم لها، وأن ثورة سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل من قرية السقا وانقياد العسيريين لهما مباشرة لم يأت من فراغ، إذ أن ذلك يدل على وجود خلفية تاريخية لهذه القيادة والمركزية لقرية السقا، مما يدفع إلى تأييد وجود الدولة اليزيدية كما روت أخبارها مجموعة مصادر إمتاع السامر.

وقبل أن نخوض في مدى صحة هذه الدعوى من خطئها فهنالك عدد من الملاحظات التي يجب أن نزود بها ذاكرة القارئ حول قرية السقا.

١- تحتل السقا أحصن المواقع في بلاد عسير السراة حيث تقع فوق أعلى قمة في جبال السروات ما بين اليمن والطائف منزوية في أقصى الغرب من بلاد عسير السراة على مشارف تهامة، وتحيط بها غابات العرعر من كل الجهات، والطرق إليها وعرة جداً سواءً من جهة السراة حيث يقف ارتفاع جبل تهلل ووعورته وامتداده على مسافة ٢٥كم شرقاً وشمالاً حائلاً دون وصول المدافع والأسلحة الثقيلة إليها إلا بشق الأنفس ثم تكون حركتها فوقه محدودة جداً، وتجاورها من الغرب عقبة "ريدة" والتي تعد بغاباتها الكثيفة بما لا يتوفر في غيرها من العقبات وجغرافيتها الوعرة وانحدارها الشديد موقعاً مثالياً لإدارة حرب العصابات ضد الجيوش الكبرى، حيث يتفوق العسيريون هنا في ظل قدرتهم على الحركة السريعة في بيئتهم التي يعرفونها بينما يفقد الخصم أهم مقومات تفوقه بالمدفعية والعدد والعدة، كما أن سفحها الغربي المطل على تهامة (ريدة) يعد أعلى العقبات ارتفاعاً قياساً بارتفاع قمة جبل "الحفير" التي تبدأ العقبة من رأسها، والتي تعد مع قمة السودة المجاورة لها أعلى قمم بلاد السراة، ولا يوجد موقع مشابه للسقا وريدة المتجاورتين من حيث الحصانة الدفاعية والانزواء في بلاد عسير السراة كاملة، وهو ما جعل أحد مؤرخي عسير يقول:

"كانت ريدة حصينة بموقعها الطبيعي، لا سيما من الجهة التي تلي السراة والجهة

الزاحف منها الجيش التركي" إلى أن يقول: "وليس يظن أحد أن تغلب من قلة أو يدخل أحد حصونها، ولا يلوح في الأذهان أن يظفر عدو بفتحها[(١)]".

٢- لم يرد مسمى السقا ولا ريدة لدى كافة المؤرخين فيما قبل عام ١٢٣٨هـ على الإطلاق، بل إننا عندما نتابع كتابات المؤرخين عن بلاد عسير فيما قبل عام ١٢٣٨هـ فإننا لا نجد أي ذكر على الإطلاق لهذه القرية ضمن القرى المهمة في بلاد السروات أو حتى عند ذكر قرى بلاد قبيلة عسير، فهذا الهمداني في بداية القرن الرابع الهجري يعدد قرى قبيلة عسير فيقول:

"فأوطان عسير إلى رأس تيّة وهي عقبة من أشراف تهامة وهي أبها وبها قبر ذي القرنين فيما يقال عثر عليه على رأس ثلاثمئة من تاريخ الهجرة والدّارة والفتيحا واللصبة والملحة وطبب وأتانة وعبل والمغوث وجرشة والحدبة هذه أودية عسير كلها".

إلى أن قال:

"والدّارة وأبها والحللة والفتيحا فحمرة وطبب فاتانة والمغوث فجرشة بالإيداع أوطان عسير من عنز وتسمى هذه أرض طود وأما أغوارها إلى ناحية أم جحدم فالذيبة والسّاقة لبني جابرة من شيبة ورأس العقبة لبني النّعمان وهي عقبة ضلع ومن جرش إلى رأس العقبة ثم إلى أسفل عقبة ضلع ثم إلى ياسبين ثم إلى سبتين ثم إلى عفرانين وإلى القوائم ثم إلى أم جحدم[(٢)]".

وهنا يذكر الهمداني اثني عشر قرية من قرى قبيلة عسير ومواطنها دون أن يشير إلى السقا بل لم يشر إليها في كل كتابه رغم ذكره لكل القرى الكبرى في المنطقة في عسير وفي غيرها من مجاوريها.

كما أن ابن المجاور في القرن السابع ذكر أهم القرى فوق جبال السروات فيما بين الطائف وصعدة ولم يأت على ذكرها عندما قال:

"من الطائف إلى صعدة

حدثني محمد بن زنكل بن الحسين الكرماني قال: إن من الطائف إلى المعدن أربع فراسخ. وإلى الران ثمان فراسخ. وإلى مجرى ثمان فراسخ. وإلى الدورب أربع

---

(١) رفيع، في ربوع عسير، ٢٤٢، ٢٤٣.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، ٢٣٠، ٢٣١.

فراسخ. وإلى يافع ثمان فراسخ. وإلى عدان ثمان فراسخ. وإلى ران كسه أربع فراسخ وهو جبل ذو طول وعرض وعليه مجاز الخلق. وإلى صفى أربع فراسخ وهو سوق يقوم يوم الجمعة. وإلى خفن أربع فراسخ وإلى مدر أربع فراسخ وهو سوق يلتام فيه الخلق ليلة الجمعة. وإلى عضة عرين أربع فراسخ وإلى بلاد بني قرن أربع فراسخ وإلى بلاد بني عبد الدار عشرين فرسخا، وإلى ذهبان سبع فراسخ"[1]

٣- تقع قرية السقا فوق قمة جبل تهلل في بلاد بني مغيد، وهي نفس المنطقة التي ذكر أن طامي بن شعيب أخذ فرقة من جيشه إليها أثناء غزو محمد علي باشا لعسير عام ١٢٣٠هـ[2]، وترك فرقة أخرى تخوض المعركة الأولى في قرية الطلحة على طريق جيش محمد علي، بينما ترك في طبب ٥٠٠ مقاتل متحصنين في حصونها، وبعد هزيمة الفرقة الواقعة في الطلحة ثم تلك المتحصنة في طبب، لم يستكمل الحرب بالفرقة الثالثة، بل نزل إلى مسلية في تهامة.

٤- السقا عبارة عن قرية صغيرة، ونمط بنائها لا ينتمي إلى نمط القرى الجبلية المجاورة والتي تتشابك فيها المباني ويربط بينها طرق مسقوفة، كالسودة، والعكاس، وبني مازن، وآل ويمن، وطبب وآل الجمل وغيرها.

٥- ذكر هاشم النعمي نقلاً عن والده أن الأمير محمد بن أحمد المتحمي لم يكن على علاقة جيدة بقبيلة بني مغيد وعلكم والتي تقع السقى في طرف بلاد الأولى منهما، ونقل عن والده وجود آثار لحرق محمد المتحمي لقراها ومنها ما ذكر أنه عاينه في قريته العكاس[3].

وفي المقابل نجد كتب التاريخ تقول بأن محمد بن أحمد المتحمي كان أكثر أنصاره المتحمسين له كل من "علي بن مجثل" و"سعيد بن مسلط"، فقد نقل عاكش أن محمد بن أحمد المتحمي وعلي بن مجثل كانا يديران المقاومة "من معلقيهما ومع كل منهما جماعة من عشيرته، وباقي عسير قائمين عليهم بالحرب"[4]

٦- أول ذكر مدون لقرية السقا كان عندما انطلق منها العسيريون بقيادة سعيد بن مسلط وعلي

---

(١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٣٧، ٣٨.

(٢) - آل فايع، المصدر السابق، ص٢٨٦، ٢٨٨.
- ابن بشر، عنوان المجد ..، ص٣٧٤.

(٣) النعمي، تاريخ عسير، الطبعة الأولى عام ١٣٨١هـ، ص١٥٧.

(٤) عاكش، نفح العود، ص٢٩٨، ٢٩٩.

بن مجثل لإخراج الحامية العثمانية من طبب عام ١٢٣٨هـ بينما استمرت "طبب" عاصمة لعسير في عهد إمارة سعيد بن مسلط حتى عام ١٢٣٩هـ ويدل على ذلك توجه جيش أحمد باشا ومحمد بن عون بعد انتصارهم في معركة ذم سنون إلى طبب مباشرة[١] ولم يتجهوا إلى السقا، مما يدل على أنها كانت حتى ذلك التاريخ عاصمة لعسير، وبعد أن تمكن العسيريون من هزيمة جيش العثمانيين فقد نقلت العاصمة إلى السقا، وقد واجه قرار النقل معارضة قوية في عسير كما يقول الشيخ هاشم[٢].

٧- بعد الهجوم العثماني الثاني عام ١٢٣٩هـ وقبل نقل العاصمة إلى السقا في نفس العام فقد تفاوض سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل مع قائد الحملة المتمركز في طبب وطلبا منه أن يترك لهما النزول إلى جبال تهامة في رجال ألمع ليكونا بها إمارة بديلة حسب ما تشير إليه إحدى الوثائق العثمانية[٣]، فرفض طلبهما ولكن الباشا هزم بعد ذلك وخرج من عسير فحولا العاصمة إلى السقا.

٨- فور وصول علي بن مجثل إلى السلطة عام ١٢٤٢هـ وكان ذلك مع بداية تراجع الحملات العثمانية بانشغال محمد علي في حروبه في الشام، فقد تخلى عن السقا ونقل العاصمة شرقاً إلى أبها[٤] والتي تقع في منطقة أقل وعورة وذات اتصال جغرافي ببقية منطقة عسير وابتنى قصراً للحكم في مناظر سماه المفتاحة.

٩- ذكر ابن سحمان الذي كان أحد سكان قرية السقا حتى سن شبابه وتنتمي والدته وأخواله إلى قرية السقا أن علي بن مجثل وسعيد بن مسلط وعشيرة آل تمام هم من قبيلة بني مالك[٥] وأرجع بني مالك إلى بني مغيد.

١٠- من جهة أخرى فقد عثر على وثيقة عثمانية قديمة لأحد أجداد الأمير: علي بن مجثل يوصي فيها بوقف أحد القطع الزراعية المملوكة له ليعود ريعها لعابري السبيل والحجاج القادمين

---

(١) النعمي، تاريخ عسير، الطبعة الأولى عام ١٣٨١هـ ص١٧٣.

(٢) النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ٢٠٧.

(٣) عسيري، عسير دراسة تاريخية، ١٤٥.

(٤) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، ٣٢٩.

(٥) الألوسي، تاريخ نجد، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، إنظر تعليق سليمان بن سحمان في نفس الكتاب، ص١٢٥

من اليمن[١]، بينما لا يوجد هذا النوع من الأوقاف في قرية السقا بل وكل الشعوف الغربية من بلاد عسير، والتي تشكل جزيرة من بلاد السراة تحيط بها تهامة من الجنوب ومن الشمال ومن الغرب بعيدة عن طريق حجاج اليمن، حيث ممر قوافل الحج القادمة من جهة اليمن يبعد عن قرية السقا شرقاً وغرباً بخط مستقيم طوله حوالي خمسة وثلاثين كيلو متراً ومع الأخذ في الاعتبار الطرق الوعرة المتعرجة في أي الاتجاهات فإن المسافة ستتضاعف، وهو ما يعني مسيرة يومين بلياليهن لإيصال ناتج زرعها إلى الحجاج مما يجعل تكلفة المسير أكبر من قيمة الصدقة.

من خلال هذا التميز بالموقع الدفاعي الأكثر حصانة طبيعية والموقع الاستراتيجي المتوسط بين ثلاث قبائل فوق قمة جبل تهلل الذي تمتلكه وتنفرد به قرية السقا بالذات بين قرى عسير، فإن من الواضح أن انطلاق المقاومة منها عام ١٢٣٨هـ لم يكن مصادفة، إذ يقودنا ذلك إلى أن الأمر مدروس بطريقة أعمق مما وصل إلينا من أخبار قليلة خاصة عن أحداث هذه المرحلة بالذات، فهنالك عجز كبير في التاريخ العسيري المدون حول فترة حكم الأمير محمد بن أحمد المتحمي والأمير سعيد بن مسلط، لذا نجد الكثير من المؤرخين يشرقون ويغربون بالروايات حول هذه الفترة وملابساتها، فلا يوجد لدينا حتى هذه الساعة وثيقة عسيرية معاصرة لهذه الفترة تسرد لنا أحداثها بالتفصيل.

بالإضافة لما سبق فإن المتأمل لقرية "السقا" لا يجد بها من العمران ما يدل على عراقة حقيقية لهذه القرية، فهي مجرد قرية صغيرة معظم مبانيها حديثة ومتفرقة وبها عدد قليل من المباني الحجرية في قرية القدة لآل تمام وبعض المباني المتفرقة في القعوة والقرن والتي استوطنها بعض أفراد قبيلة آل يزيد في فترة قريبة، ومبانيها القديمة لا تنتمي إلى نمط البناء القديم في القرى المجاورة لها، فعراقة المباني وتشابهها وتشابكها في قرى مجاورة لها كالعكاس والسودة وبني مازن وآل ويمن والعزيزة يدل على أن هذه القرى أقدم من السقا وأعرق بكثير، مما يرجح حقيقة أن السقا ظهرت إلى الوجود في فترة حديثة جداً مقارنة بتلك القرى.

ونلاحظ من خلال سير الأحداث كما أسلفنا بأن أمراء عسير في المرحلة الثانية الذين نقلوا العاصمة للسقا، كل من سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل لم يكنا مرتبطين بالسقا كمركز للحكم، فقد اعتمدوا طبب كعاصمة لعسير في بداية المرحلة، كما نلاحظ أنه بمجرد وصول أول حملة عثمانية إلى عسير فقد أخذت مفاوضات الطرفين بعداً غريباً، فقد نقل علي عسيري نص وثيقة مصرية تقول بأن ابن مسلط

---

(١) آل فايع، دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها، ط١، ١٤٢٧هـ، ص٥٧.

وابن مجثل عرضا على قادة الحملة العثمانية عام ١٢٣٩هـ الأمان على أساس قبول إقامة حكماً مستقلاً لهما في بلاد رجال ألمع[1]، حيث تختص رجال ألمع بمنطقة جبلية وعرة جداً جيدة الحصانة ما يجعلها أفضل البدائل كموقع بديل لطبب بل وكل بلاد السراة، لذا فقد رشحت في البداية لاحتضان العاصمة العسيرية كجهة أشد حصانة طبيعية لبناء إمارتهم كبديل لقرية طبب وكامل سطح جبل تهلل، وهو ما يدلنا على أن قرار نقل العاصمة من طبب كان سابقاً لقرار اتخاذ السقا بديلاً لها، أي أن العسيريين قرروا البحث عن بديل لطبب يكون أكثر حصانة فكانت بلاد رجال ألمع إحدى الخيارات، إلا أن الخيار الأخير كان قرية السقا بعد هزيمة العدو وخروجه من بلاد عسير نظراً لما تتمتع به من مواصفات دفاعية جيدة، فنقلوا المركز لها فور استعادة طبب عام ١٢٣٩هـ.

ولكن السقا لم تستمر كعاصمة لعسير فعلياً سوى لفترة أقل من ثلاث سنوات، فما أن وصل علي بن مجثل للحكم وهدأت شأوة الحملات العثمانية حتى نقل العاصمة شرقاً إلى أبها.

هذه المميزات الجغرافية الخاصة بقرية السقا والمناعة الطبيعية لها والتي لا توجد في سواها من قرى بلاد عسير السراة وخاصة التي كانت مركزاً للحكم العسيري، بالإضافة إلى عدم ارتباط أمراء عسير الذين بدأوا مقاومتهم منها بها، وطرح خيارات أخرى لها طابع الحصانة الطبيعية لموقع مركز الحكم قبلها، ثم التخلي عنها فعلياً بعد ثلاث سنوات فقط بعد استقرار الأمور وتوقف الحملات العثمانية على عسير ونقل العاصمة شرقاً إلى مدينة أبها، تؤكد لنا بأن مركزيتها في تاريخ المقاومة العسيرية عندما بدأت مرحلة الدفاع عن عسير منذ عام ١٢٣٠هـ لا يمكن أن تكون أتت مصادفة، بل جاءت بطريقة مدروسة من قبل العسيريين الذين تنبهوا لأهمية البحث عن موقع حصين في بلاد عسير لإدارة عمليات المقاومة، منذ ما قبل وصول جيش محمد علي باشا عام ١٢٣٠هـ، فقد نقل علي عسيري عن فيلبي أن طامي بن شعيب كان قد وضع خطة لإدارة حرب عصابات من فوق جبل تهلل عام ١٢٣٠هـ عندما حضرت قوات محمد علي لأول مرة إلى عسير[2]، وهو ما تؤيده الرواية التاريخية عندما نعيد استقراءها بطريقة منطقية.

فعند قراءة مسيرة التاريخ في عسير، سنجد في تداعيات أحداثه ما يؤكد أن قرية السقا اختطت كحصن دفاعي عن عسير حوالي عام ١٢٣٠هـ (وربما قبله)، فمن خلال متابعة الأحداث العسيرية فيما قبل انتقال العاصمة من "طبب" إلى "السقا"، حيث تقع الأولى على السفح الشمالي لقمة

---

(١) عسيري، عسير دراسة تاريخية، ١٤٥.

(٢) آل فائع، دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها، ١٤٢٧هـ، ٢٨٦.

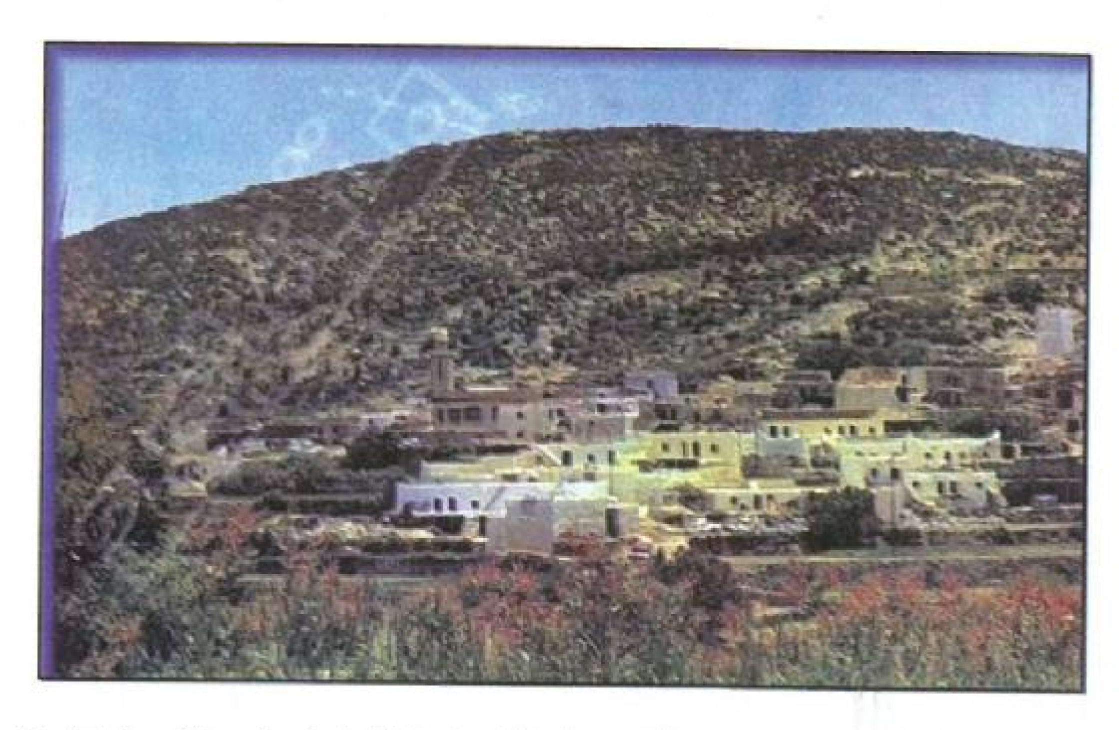
جبل تهلل ولكن الطرق إليها أقل وعورة بكثير من قمة جبل تهلل للقادم من جهة الشرق، كما أنه يحيط بها أراض تعتبر جرداء عند مقارنتها بقمة جبل تهلل الغنية بغابات العرعر مما يسهل عملية وصول الجيوش العثمانية بكامل عتادها إليها دون كبير مشقة، بينما تقع السقا على قمة جبل تهلل الغربية في منطقة شاهقة وعرة التضاريس تعتبر أعلى القمم في جبال السروات، حيث تحفها الجبال والغابات من جميع الجهات وتجاورها من الغرب عقبة ريدة المطلة على تهامة والتي تعتبر من أعلى العقبات في جبال السروات وتنفرد عن بقية العقبات في عسير بتكتل غابات العرعر الكثيفة على امتدادها من السراة إلى تهامة، كما أن الطرق إلى السقا وعرة جداً، وكانت هذه المواصفات مثالية لبقائها قاعدة للمقاومة العسيرية في ظل الهجمات المتتالية للدولة العثمانية على عسير منذ عام ١٢٣٠هـ.

فقد كانت طبب في البداية ومنذ عام ١٢١٥هـ عاصمة مستقرة لعسير في ظل جيوش عسيرية تزحف على المناطق الأخرى وتمارس الغزو لا الدفاع، حيث نجد حروبها كلها خارج عسير بل بعيدة جداً عنها فكلها كانت في أبي عريش والقنفذة والليث والسعدية ومكة والمدينة المنورة وبلاد الشام وسواحل اليمن ونجران والصفراء وبسل وتربة وغيرها، أما عندما بدأت جيوش محمد علي تتجه إلى الجزيرة العربية ومن ثم بدأت تغزو المنطقة منذ عام ١٢٣٠هـ فقد احتاج العسيريون إلى اللجوء إلى عبقرية الجغرافيا ليتمكنوا من مواصلة إقامة دولتهم الفتية، وهو أمر بديهي أن يتنبه له المقاومون منذ ذلك التاريخ، فالثورة كما يقول جيفارا تأرز إلى منطقة في منأى عن يد العدو[١]، ولكن هذه الفكرة لم تكن من ابتداع جيفارا، فقد سبقه إليها الكثير، فنحن نجد في التاريخ الكثير من الأخبار عن من تنبهوا إلى أهمية الجغرافيا واستغلوها بطريقة ذكية مما مكنهم من الانتصار في ظروف تميل للأطراف الأخرى، فالكامل الصليحي أقام دولته من قمة جبل مسار في اليمن وتمكن من تغيير مسار الأمور لصالحه من فوق هذا الجبل الشاهق المنيع، ولم يكن معه إلا ستين رجلاً يئس خصومه من الوصول إليهم فوق القمة فقبلوا تأويلهم لأهداف حركتهم، وتجاهلوا ما يقال عنها والتي كانت في حقيقتها بداية ظهور الدعوى الإسماعيلية في بلاد اليمن، فاستولي على اليمن وأسر ملوك الممالك الأخرى، وأقام دولته الصليحية الإسماعيلية على أنقاضها[٢].

---

(١) غيفارا، حرب الغوار، ٦٦.

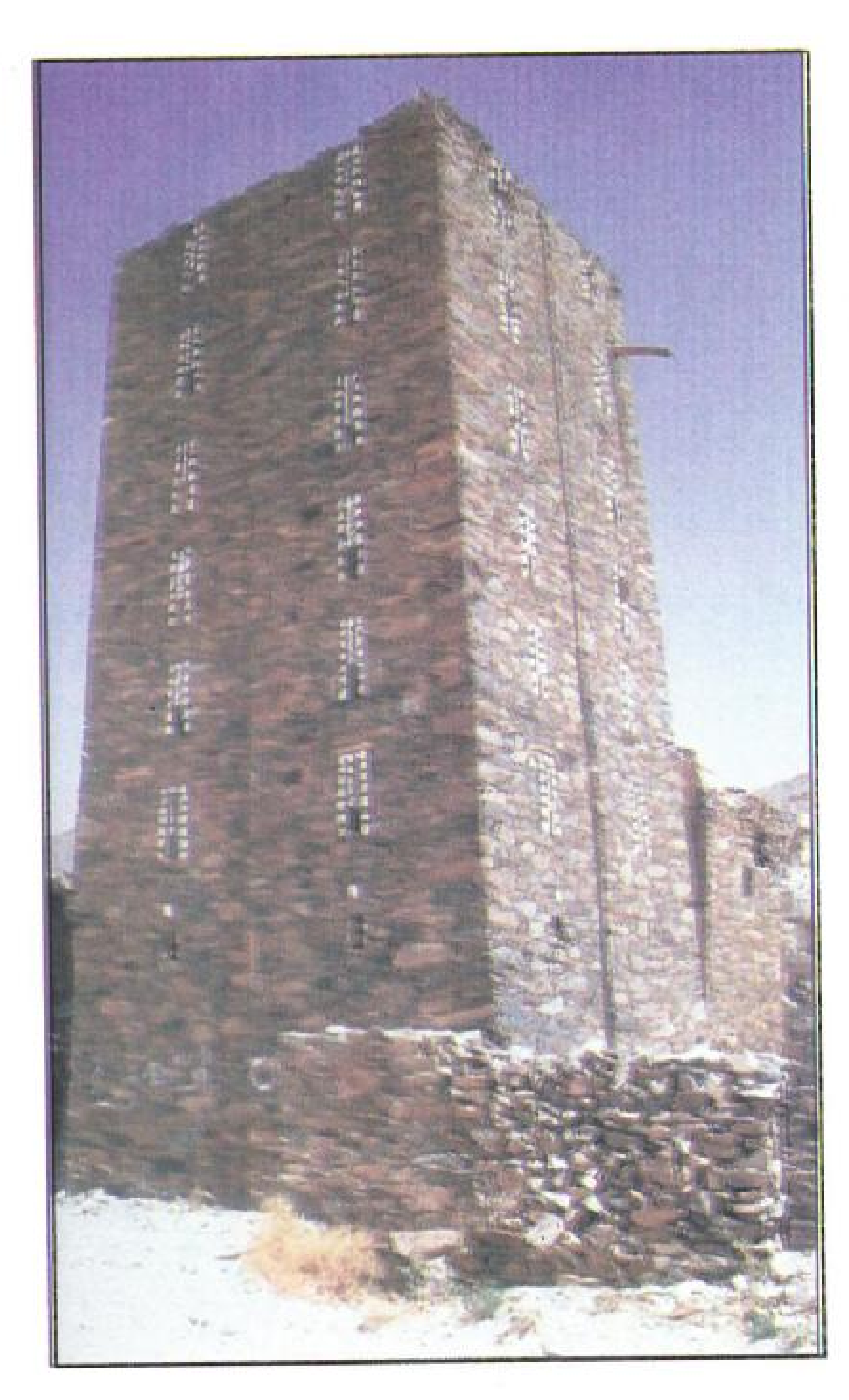
(٢) اليمني، عمارة، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد الأكوع، ١٠١، ١١٧.



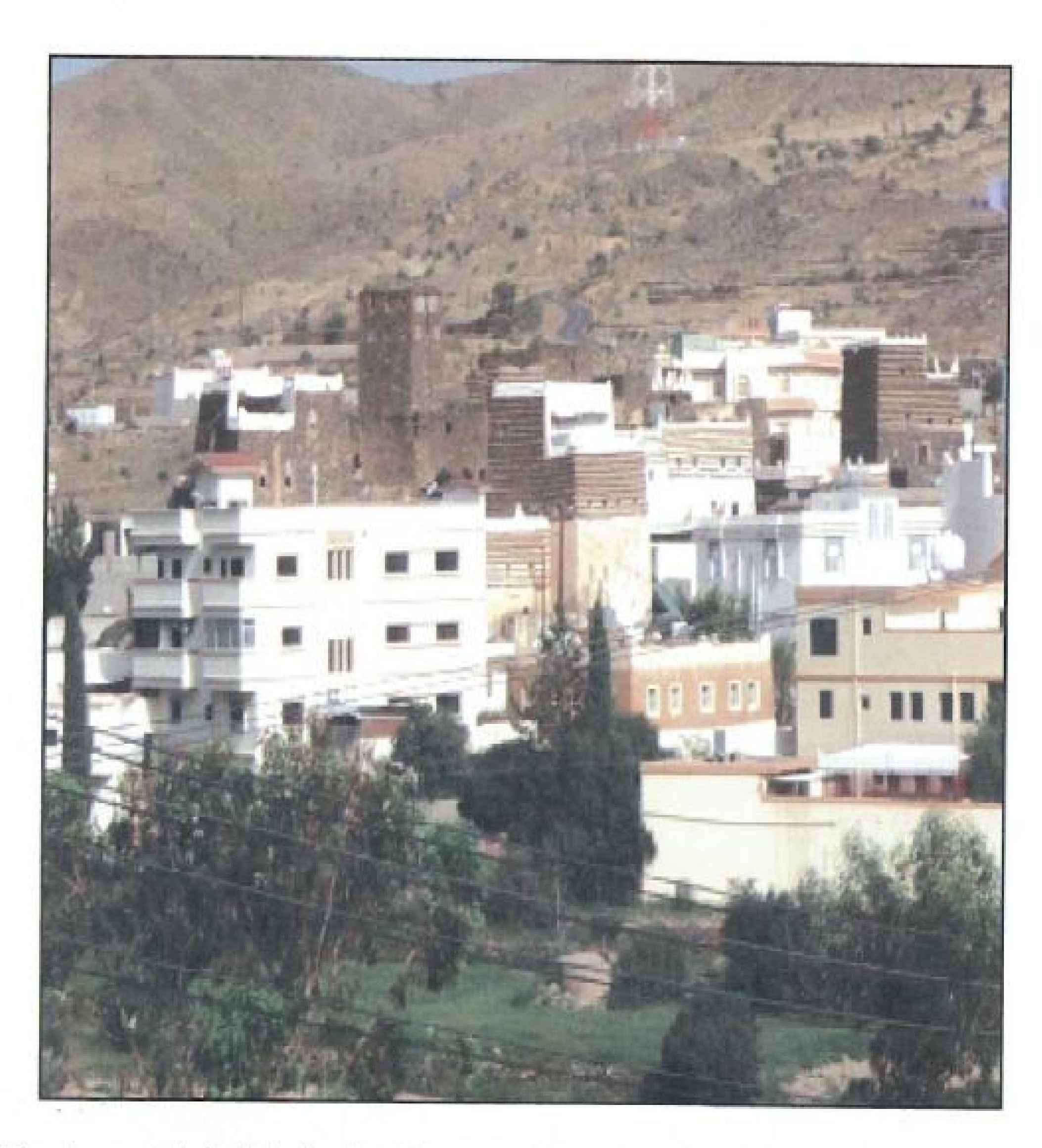
قرية السقا ويلاحظ صغر حجم القرية واختلاف نمط البناء فيها عن القرى المجاورة



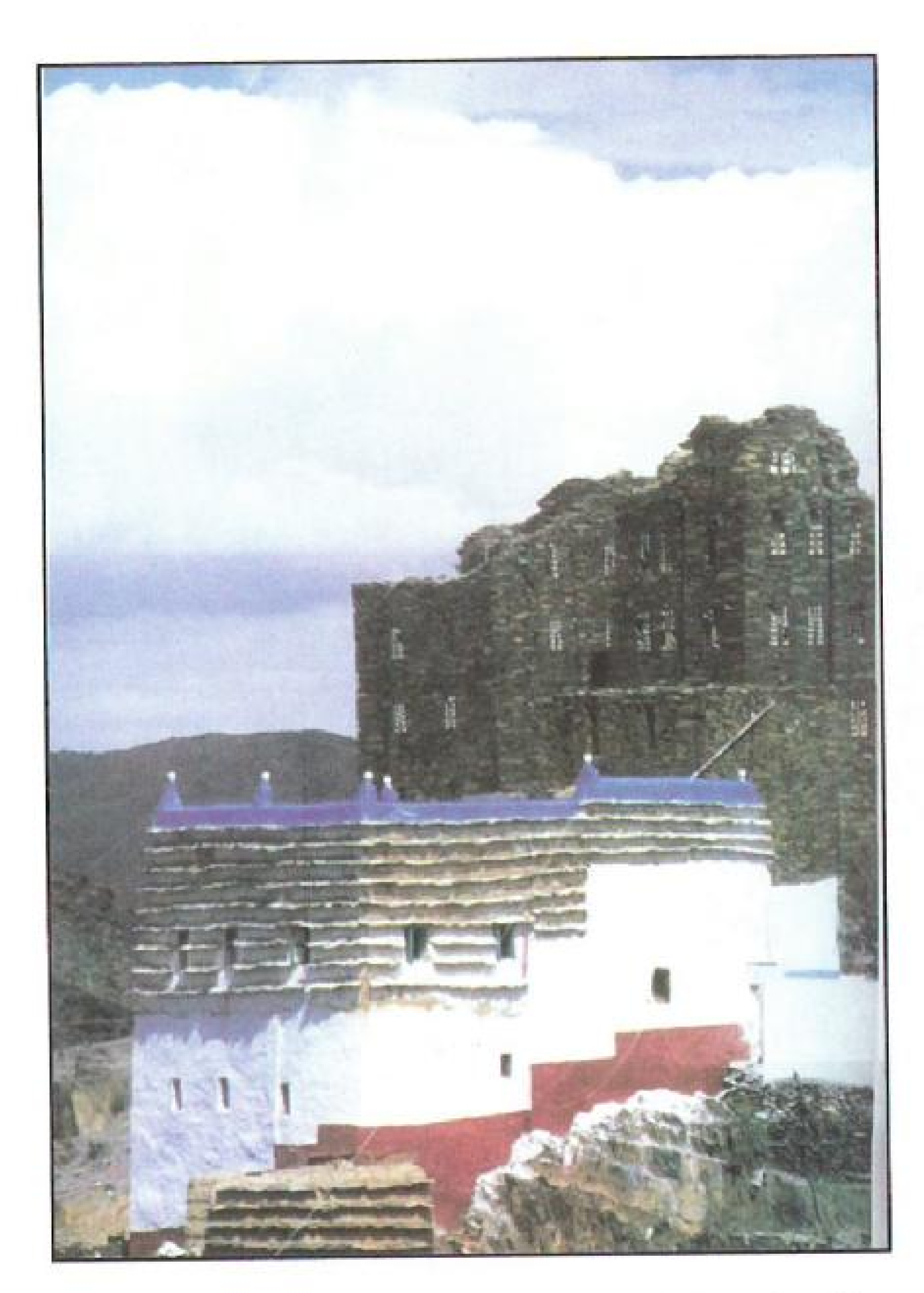
أحد الحصون الدفاعية في ريدة ويلاحظ هنا هرمية المبنى وطلاءه بالجص وهذا مخالف لنمط البناء الحجري في الجزء الجبلي الغربي من عسير



مبنى على النمط العسيري القديم ويلاحظ استقامة المبنى وتزيينه بأحجار المرو كما هي الطريقة العسيرية في البناء في تلك الجهة



جزء من قرية طبب ويلاحظ كثافة المباني القديمة وارتفاعها وتداخلها كنموذج للقرية الجبلية العسيرية في الجهة الغربية من بلاد عسير



قرية زبنة إحدى القرى الجبلية الغربية في عسير ويبدو لنا النمط المعماري لبيوت الحجر في عسير المزينة بالمرو والذي يختلف عن نمط البناء في السقا وريدة تماما

وعندما نستقرئ التاريخ العسيري بطريقة منطقية فإننا نجد أنه قد تنبه أمراؤها منذ البداية إلى الحاجة إلى استغلال الجغرافيا للمساعدة في صد الهجمات القوية التي بدأت تشنها عليهم قوات الدولة العثمانية، لذا فقد لجأوا إلى قمة جبل تهلل كموقع دفاعي متميز عندما تقدمت القوات العثمانية والمصرية بجيشها الجرار إلى عسير والذي كان محمد علي باشا على رأسه شخصياً عام ١٢٣٠هـ، فنجد طامي يضع فرقة من جيشه كان هو برفقتها فوق جبال بني مغيد التي تقع في أقصى قمة جبل تهلل الجنوبية الغربية ويضع الجزء الآخر في الطلحة على طريق العدو إلى طبب في محاولة لتغيير مسار الجيش واستدارجه إلى قمة جبل تهلل حيث ستلعب الجغرافيا لصالح العسيريين الذين تمرسوا في التنقل بين جباله وغاباته، وقد علل بعض المؤرخين ذلك بأنه رغبة في شن حرب العصابات على محمد علي وجيشه من فوق جبال تهلل[١]، وربما كانت خطته تقوم على استدراج العدو إلى قمة جبل تهلل وهذا لا يتعارض مع كونه رغب في إدارة حرب عصابات فوق جبل تهلل، ولكنها لم تحقق النجاح، حيث انتهت المعركة في الطلحة بمقتل عدد كبير من الجيش العسيري بنيران المدفعية العثمانية، فالعسيريون الذين لم يكونوا يديرون معاركهم باحترافية الجيش المصري العثماني ولا يقيمون المناورات العسكرية لتجربة نجاح الخطط وملاحظة عيوبها ظنوا بأن المعركة انتهت لصالحهم حينما تمكنوا من قتل ٣٠٠ من جيش محمد علي باشا فتقدموا إلى الأمام لمطاردة فلول المنهزمين حيث كانت المدفعية العثمانية في انتظارهم، فقتل عدد كبير منهم، ومن ثم تشتتوا[٢]، فلم يضطر محمد علي باشا إلى مطاردة الجيش العسيري فوق جبل تهلل حيث كان طامي ينتظره هنالك، بل اتجه إلى العاصمة "طبب" غير البعيدة عن الموقع فوراً والتي كان بها ٥٠٠ مقاتل فقط متحصن بحصونها بقيادة محمد بن أحمد المتحمي، فحاصرها جيش محمد علي ودك حصونها بالمدفعية الكثيفة حتى هدمها مما أدى إلى سقوطها أخيراً، فانتهت الحرب دون أن يشارك الجزء الموجود فوق تهلل فيها[٣]، ومن ثم توجه طامي من فوق جبل تهلل إلى المخلاف السليماني، ولكن خلفه الأمير محمد بن أحمد المتحمي الذي اختفى عن الأنظار بعد تلك المعركة استفاد من فكرة سلفه التي لم يطبقها، فجعل منطلق هجماته على الحامية العثمانية من قمة جبل تهلل وبالضبط من جبال بني مغيد

---

(١) آل فائع، دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها، ١٤٢٧هـ، ٢٨٦.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ، ٣٧٤، ٣٧٥.

(٣) - آل فائع، دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها، ١٤٢٧هـ، ٢٨٦.
- هاشم النعمي، تاريخ عسير، طبعة المئوية، ص١٧٦.

إسم الموقع	التاريخ	الخصم	قائد جيش عسير	المنتصر	ملاحظات	المصدر
أبي عريش	١٢٤٨هـ	علي بن حيدر	علي بن مجثل	عسير	تم ضم أبي عريش إلى الإمارة العسيرية	العقيلي، ٥٣٥، ٥٣٦
زبيد	١٢٤٩هـ	تركجة بلماز وجيشه	علي بن مجثل	عسير	كان تركجه بلماز تابعاً لعلي بن مجثل على سواحل اليمن إلا أن فساده أدى لشكوى أهل تهامة اليمن منه فقرر علي بن مجثل معاقبته وشن حملة شاركت فيها جميع قبائل المنطقة من زهران إلى ظهران	لنعمي ط١، ١٨٤
المخا	١٢٤٩هـ	تركجه بلماز وجيشه	علي بن مجثل	عسير	قتل في هذه المعركة عدد كبير من جيش عسير بالمدفعية الألبانية ولكن ذلك لم يثنهم عن مواصلة الحرب حتى انتهت بهرب بلماز منفرداً على سفينة بريطانية، بينما سقط جيشه كاملاً ما بين قتيل أو أسير بيد العسيريين	تاميزيه، ٣٨، ٣٩ النعمي، ١٨٤ محمد الكبسي، اللطائف السنية، ٤٠٦، ٤٠٧
الحديدة	١٢٤٩هـ	جيش بلماز الألباني	علي بن مجثل	عسير	بعد معركة المخا اتجه العسيريين لبقية جيش بلماز في الحديدة وتمكنوا من هزيمته وضم كامل تهامة اليمن للإمارة العسيرية	النعمي، ١٨٤، ١٨٥

العسيرية وسيطر العثمانيون على عسير وجعلوها تابعة لشريف مكة "محمد بن عون" الذي وضع أخيه "هزاع بن عون" حاكماً لها، واتخذ من العاصمة العسيرية "طبب" مركزاً له، وبقي الوضع على ذلك حتى عام ١٢٣٨هـ لتعود الثورة العسيرية للانفجار ومن نفس القاعدة المعدة لذلك في "السقا"، على يد سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل اللذان تمرسا في إدارة المقاومة من خلال وجودهما إلى جوار محمد المتحمي الذي كان يدير مقاومته من السقا ما بين عامي ١٢٣٠-١٢٣٣هـ واكتسبا بذلك الخبرة حول التعامل مع الحامية العثمانية، كما امتلكا السلاح، وامتلكت السقا العمق التاريخي في الذاكرة العسيرية كمركز لمقاومة الغزاة، فاستمرا بعد ذلك في إدارة المقاومة وبنفس طريقة محمد بن أحمد المتحمي، فسيطر ابن مسلط على العاصمة طبب وحكم عسير منها إلى أن تمكنت الحملة العثمانية عام ١٢٣٩هـ من هزيمة الجيش العسيري في ذم سنون، ودخول طبب بعد ذلك بسهولة، مما أدى لسقوط الحكم العسيري سريعاً، فتنبه قادة المقاومة كل من الأمير سعيد بن مسلط والأمير علي بن مجثل إلى أن طبب تشكل نقطة ضعف كمركز للحكم العسيري، نظراً لسهولة وصول جيوش محمد علي باشا لها، وعدم وجود مناطق صالحة للمقاومة المستمرة بجوارها في ظل قوة الأسلحة والمدفعية العثمانية، فعاود العسيريون الهجوم على الجيش العثماني، وتمكنوا من هزيمته، ومن ثم نقل ابن مسلط العاصمة العسيرية من طبب إلى السقا للاستفادة من الحصانة الدفاعية للمواقع المجاورة لها في ريدة، ونلاحظ أن نقل العاصمة من طبب إلى السقا قد أدى إلى معارضات من بقية مشائخ قبيلة عسير كما يقول الشيخ هاشم[1] تركزت في مشيختي بني مالك وعلكم، حيث لم يكن هنالك مشيخة لقبيلة ربيعة ورفيدة في تلك المرحلة نظراً لوجود معظم أبناء أسرة الإمارة الرفيدية "آل المتحمي" في الأسر في مصر، فكانت المعارضة فقط من المشائخ المعينين من الدولة العثمانية كل من "سلطان بن دراع" و"سلطان بن عبده"، ويبدو أن علي بن مجثل الرجل القوي في عهد سعيد بن مسلط سارع إلى مهاجمة المعارضين فلجأوا إلى شريف مكة كما تقول إحدى الوثائق العثمانية[2]، وهذه المعارضة تدل على أن السقا لم تكن عاصمة عسيرية فيما قبل ذلك، وإلا لما كان هنالك معارضة لعودتها إلى عهدها القديم عاصمة لعسير لو كان الأمر كذلك. ولكن من المهم هنا أن نشير إلى أن العسيريين رغم أن الدولة العثمانية جردت لهم ستة وعشرين حملة كبرى لإخضاعهم، فإنهم لم يضطروا إلى الاستفادة من هذه

---

(١) النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ٢٠٧.

(٢) محفظة رقم ٩ بحربرا ترجمة الوثيقة رقم ٨٧، مؤرخة في ١١ شعبان ١٢٤٠هـ، دار الوثائق القومية بالقاهرة، انظر عسيري، علي، عسير دراسة تاريخية، ٤٣٩.

المميزات الجغرافية ويتحصنوا بريدة في حروبهم إلا أربع مرات، وهي في عام ١٢٣٨هـ وعام ١٢٤٠هـ، وبداية عام ١٢٥٠هـ وبداية عام ١٢٥١هـ حيث كان العسيريون في هذه المعارك يلجؤون إلى ريدة عند تمكن الجيوش العثمانية من الوصول إلى طبب أو السقا أو أبها، ثم يكرون على جيوش الدولة العثمانية مستخدمين حرب العصابات فيتمكنون من هزيمتها وإخراجها من بلادهم كما سيأتي معنا، أما في المرة الخامسة وهي عام ١٢٨٩هـ فقد تمكنت جيوش الدولة العثمانية من تحقيق النصر عندما حاصرت ريدة من جهتي السراة وتهامة وقصفتها بالمدفعية حتى هدمت حصونها بعد عدة أشهر من المعارك، أما بقية المواجهات العسيرية مع الدولة العثمانية عبر قرن كامل من الزمان فكلها حدثت خارج السقا وريدة، وتمكن العسيريون من تحقيق النصر فيها دون اللجوء إلى التحصن في ريدة وهو ما سيأتي شرحه.

٢- المرحلة الثانية عهد سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل

بعد أسر محمد المتحمي وترحيله إلى مصر خضعت عسير لحكم محمد علي باشا والقادة العثمانيين وأصبحت عسير تتبع لشريف مكة ووضع عليها أخيه هزاع ثم راجح، واستمر الوضع كذلك حتى عام ١٢٣٨هـ، حيث بدأ دور أحد أنصار محمد المتحمي السابقين في عسير وهو "علي بن مجثل" (المحرك الحقيقي لأحداث الفترة اللاحقة، والمحرض الأول على الثورة في عسير)، وكان إلى جواره رفيق دربه وأخيه (من جهة الأم) "سعيد بن مسلط" الذي ولاه الشريف راجح على الجيش العسيري المنطلق إلى وادي الدواسر، فعادا من تجمع الجيش متذرعين بالنزاع مع محمد بن عون، وطرد العسيريون الحامية من طبب واستعادوا الإمارة العسيرية منطلقين من قمة جبل تهلل، ونصب سعيد بن مسلط أميراً لعسير، فشنت جيوش محمد علي باشا وشريف مكة حملات كبرى على عسير في عهده، فتمكن العسيريون من هزيمة حملتها الأولى في الجنفور" عام ١٢٣٨هـ هزيمة ساحقة، وقتل الشريف راجح بن عون[1]، ثم الحملة الأخرى عام ١٢٣٩هـ وفيها التقى بجيش عسير في ذم سنون فتراجع العسيريون بعد معركة كبرى ولجأ سعيد بن مسلط إلى الأغوار الغربية من عسير، فدخل ابن عون طبب واحتلها، فأعاد العسيريون تنظيم صفوفهم وأعادوا الكرة على الجيش الغازي في طبب وهزموه،

---

(١) - تاميزيه، المصدر السابق، ص٢٧٣.

- النعمي، تاريخ عسير، ط١، ١٣٨١هـ، ص١٧٣.

ونقل سعيد بن مسلط بعدها العاصمة العسيرية من طبب إلى السقا حيث ميزة الحصانة الطبيعية وقربها من عقبة ريدة ذات الكثافة العالية لغابات العرعر التي يستطيع العسيريون منها المقاومة بشكل أفضل وشن حملاتهم ضد الغزاة، ثم شن محمد علي باشا حملة على عسير بقيادة محمد بن عون عام ١٢٤٠هـ[١]، فرصد لها العسيريون بقيادة سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل في وادي بيشة وقد شاركت قبائل بيشة إلى جانب العسيريين، فتمكنوا من هزيمة جيش محمد علي باشا وتكبيده خسائر فادحة، مع أنه كان يحوي ستة أفواج من الجيش النظامي وآلافاً من البدو[٢]، وفي إحدى الحملات حاصر العسيريون الجيش العثماني في أحد الأودية في بلاد عسير بين تهامة والسراة، وتمكنوا بعد القتال من إجبار الجيش العثماني على الاستسلام فأخذوا عتادهم وسلاحهم وخيامهم وأطلقوهم[٣].

توفي سعيد بن مسلط عام ١٢٤٢هـ بعد أن عادت الإمارة العسيرية إلى سابق عهدها، واستعادت هيبتها وقوتها أثناء إمارته، وكان إلى جواره طوال هذه الفترة الأمير/ علي بن مجثل الذي كان يمارس القيادة بشكل عملي إلى جواره طوال هذه المدة، فاستلم الإمارة بعده بشكل طبيعي، وبإجماع كامل من العسيريين، فواصل توسيع نطاق الإمارة إلى ما كانت عليه من قبل، فامتدت سلطة الإمارة العسيرية في عهده من الطائف شمالاً إلى ميناء المخا جنوباً وإلى وادي الدواسر شرقاً وجزر دهلك قرب الطرف الثاني من البحر الأحمر[٤].

خلال هذه المرحلة ومنذ عام ١٢١٥هـ، كانت الإمارة العسيرية ترسخ نفسها تدريجياً من خلال ما تقوم به من مقاومة للوجود العثماني كمركز حقيقي لمنطقة جبال السروات وما يليها شرقاً، وما يليها من سواحل تهامة، فكل مرة يتمكن أحد أمراء عسير من هزيمة أحد الخصوم التاريخيين له أو من شن حملة على أي مواقع الدولة العثمانية أو هزيمة إحدى الحملات العثمانية على عسير، فإن ذلك يكون له وقع في انقياد بقية القوى في المنطقة له دون حرب، حتى أصبحت مركزية الإمارة العسيرية السياسية من المسلمات على مستوى الإقليم، ولم يعد هنالك أي منازع حول ذلك، فأصبح كل ما يحتاجه من يصل للسلطة بأي طريقة في بلاد عسير هو فقط

---

(١) النعمي، تاريخ عسير...، ط١، ص١٧٣.

(٢) تاميزيه، المصدر السابق، ص١٥٦.

(٣) تاميزيه، المصدر السابق، ص١٧٩.

(٤) آل زلفة، دراسات من تاريخ عسير الحديث، ط١، ١٤١٢هـ، ص٣٦.

أن يرسل حامية مكونة من حوالي مائة شخص لكل منطقة من مناطق الإقليم ليسيطر عليها بكل سهولة، ويجيش الجيوش من تلك الأنحاء عند الغزو، فأصبح الجيش العسيري في نهاية عهد علي بن مجثل يتحرك بأعداد غفيرة تصل إلى أربعين ألف في حالة الغزو[١]، ولكن هذا النفوذ نجد أنه سرعان ما يتضائل مع تحرك الحملات العثمانية على عسير، فقد كانت معظم القبائل البعيدة عن المركز سرعان ما تتخلى عن تبعيتها للإمارة العسيرية فور اقتراب أي الحملات العثمانية الكبرى منها، بل ربما تحولت كل القبائل المحيطة إلى جزء من الجيش العثماني، كما رصد ذلك تاميزيه عام ١٢٥٠هـ[٢].

أثناء عهد علي بن مجثل، حدثت حركة جيش تركجة بلماز والذي يتكون من فرقة من الألبان المتمردين الذين ارتكبوا الكثير من الأفعال الشنيعة في جهات مكة وما حواليها، عندما ثاروا على والي الإدارة العثمانية في مكة[٣]، فنهبوا ما استطاعوا نهبه من المؤن واستولوا على عدد من المراكب والسفن الشراعية وخرجوا بها جهة السواحل اليمنية[٤]، وكانت عسير خلال تلك المرحلة قد اكتسبت إمارتها شهرة واسعة كأقوى خصوم الدولة العثمانية في الجزيرة العربية على مدى ٣٥ عاماً، فقرر بلماز اللجوء بجيشه إلى عسير، وراسل الأمير علي بن مجثل وعرض عليه أن يدخل باسمه سواحل اليمن، ويقوم بحمايتها ويرفع له خراجها ويكون تحت إمرته، فوافق له على ذلك وقدم له مساعدات عسكرية مكنته من تحقيق ذلك[٥] بعد أن وضع عدداً من الشروط، إلا أن بلماز عاث في السواحل اليمنية فساداً، فشكا أهلها إلى الأمير علي من ذلك[٦]، فجهز الأمير علي حملة كبرى من كل الحجاز (بلاد السراة) في عام ١٢٤٩هـ لغزو السواحل اليمنية وطرده منها، وتمكن من احتلال زبيد وكل المدن التي في طريقه حتى وصل للمخا حيث تمترس جيش بلماز خلف الأسوار والمدافع التي كان يملكها، ولكن الجيش العسيري تمكن من هزيمة تركجة بلماز وجيشه بعد معركة كبرى في "المخا" لعبت المدافع العثمانية فيها دوراً كبيراً،

---

(١) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، ص٣٧.

(٢) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، ص٩٦، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٢، ٣١٨، ٣٣٧، ٣٣٨.

(٣) بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدري قلعجي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ص٢٥٢.

(٤) رفيع، في ربوع عسير، ص٢١٨.

(٥) تاميزيه، المصدر السابق، ص٣٨.

(٦) النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، الطبعة الأولى ١٣٨١، ص١٨٤.

مما كبد المتنصرين الكثير من الأرواح[١]، ففر بلماز أخيراً وحيداً بنفسه على أحد المراكب الانجليزية التي كانت بالمخا[٢] تاركاً بقية جيشه في يد العسيريين، الذين كروا على الحديدة التي كان بها جزء من جيش بلماز فحاصروها وتسلق الجيش أسوارها حتى سقطت ثم رتب ابن مجثل على سواحل اليمن إدارة وترك بها حامية من أربعمائة مقاتل بقيادة محمد بن مفرح وقفل راجعاً محملاً بالغنائم الكبيرة والتي كان ضمنها مجموعة من قادة جيش بلماز وضباط المدفعية والمشاة الذين سيكون لهم أثر مهم في توازنات تلك المرحلة كما سيأتي معنا، إلا أن علي بن مجثل تعرض أثناء ذلك لحادثة أدت إلى حمله على أكتاف الرجال إلى عسير[٣]، ووصل الجيش العائد ومعه مجموعة تركجة بلماز وأسلحتهم إلى عسير، وكان يقوده أحد عمال الأمير علي المقربين إليه في حينه، وأصبح الأسرى يتبعون لقصر الحكم في عسير، وكان القصر قبلها يرتبط به عدد شبيه بهؤلاء ممن تم أسرهم أو لجؤوا إلى عسير من جيش محمد علي باشا خلال الحروب معه منذ عام ١٢١٥هـ.

بعد ذلك بقليل وفي شهر شوال من عام ١٢٤٩هـ توفي الأمير علي بن مجثل في السقا على إثر إصابته، وكان ابناه قاصرين غير قادرين على خلافة والدهما[٤]، فحدث فراغ كبير في السلطة، وأعلن أمير أبي عريش الذي وقع اتفاقية حماية مع العثمانيين خلع طاعته للعسيريين، وأصبحت البلاد في موقف حرج، فليس هنالك من هو قادر على حمل أعباء الحكم من أبنائه.

---

(١) حوليات يمانية، مؤلف مجهول، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، دار الحكمة اليمانية ـ صنعاء، ط١، ١٤١١هـ، ص٦٣

(٢) ـ تاميزيه، المصدر السابق، ص٣٨.

ـ النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ط١، ١٣٨١هـ، ص١٨٤.

(٣) النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ط١، ١٣٨١هـ، ص١٨٥.

(٤) تاميزيه، مصدر سابق، ص٣٩، ـ ذكر د. محمد آل زلفه في الحاشية أن أبناء علي بن مجثل هما : "عائض"، و"محمد"، بينما بعض الوثائق تشير إلى اسم "عبدالله بن علي بن مجثل" (وثيقة محمد المنصوري الغامدي).

بعض معارك عسير في عهد إمارة سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل

إسم الموقع	التاريخ	الخصم	قائد جيش عسير	المنتصر	ملاحظات	المصدر
طبب	١٢٣٨هـ	حامية الشريف هزاع بن عون	سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل	عسير	يذكر النعمي ورفيع أن المعركة حدثت تلقائياً بسبب خلاف أثناء غزو وادي الدواسر، بينما يرى علي عسيري بأن المعركة كان مخططاً لها بناء على ما ورد في إحدى الوثائق العسيرية	هاشم النعمي، ط٢، ٢٠٨
الجنفور	١٢٣٨هـ	جيش محمد علي باشا بقيادة محمد بن عون وأحمد باشا	سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل	عسير	قتل أثناء هذه المعركة الشريف راجح قائد الحملة وأمير عسير السابق	موريس تاميزيه، ٢٧٣
عتود	١٢٣٨هـ	جيش بن عون وأحمد باشا	سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل	عسير		النعمي، ط١، ١٧٣
ذم سنون	١٢٣٩هـ	جيش محمد علي باشا بقيادة محمد بن عون وأحمد باشا	سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل	جيش الباشا	بعد معركة عنيفة تراجع العسيريين إلى العمق الجبلي واتخذوا من العمق الجبلي في الأصدار المطلة على تهامة في السقا وريدة مقراً لإنطلاقهم بينما اتجه جيش ابن عون والباشا إلى طبب	النعمي، ط١، ١٧٣ محمد رفيع، ٢١٥

إسم الموقع	التاريخ	الخصم	قائد جيش عسير	المنتصر	ملاحظات	المصدر
طبب	١٧/٦/ ١٢٣٩هـ	جيش ابن عون والباشا	سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل	عسير	اتجه العسيرين إلى تكتيك حرب العصابات فتمكنوا من تكبيد الجيش العثماني خسائر كبيرة حتى استولوا على طبب ونقلت بعدها العاصمة العسيرية إلى السقا منطلق الثورات سابقاً	النعمي، ط١، ١٧٣ رفيع٢١٥ علي عسيري١٤٦
وادي بيشة	مطلع عام ١٢٤٠هـ	أحمد باشا وابن عون يرافقهم ٦ أفواج من العسكر وآلاف البدو	سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل	عسير	تمكن العسيريون من تحقيق نصر كبير على الجيش العثماني رغم تفوقه العددي وتفوقه في نوع التسليح	تاميزيه، ١٥٦ النعمي١٧٣
بين تهامة وسراة عسير	١٢٤١هـ	جيش أحمد باشا	سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل	عسير	تمكن الجيش العسيري من محاصرة الجيش العثماني في أحد الأودية ومن ثم دارت المعركة حتى استسلم الجيش العثماني فجرد العسيريون الجيش العثماني من سلاحه وعتاده وملابسه العسكرية وأطلقه	تاميزيه، ١٧٩ علي عسيري، ١٤٧
بلاد يام	ما بين ١٢٤٢ هـ - ١٢٤٨هـ	قبيلة يام بقيادة المكرمي	علي بن مجثل	عسير	كانت يام تمارس نوعاً من النفوذ على القبائل اليمنية وقبائل تهامة، وتمتهن الحرب كوسيلة للرزق، فكمن لها جيش عسير في احد المضايق وتمكن من هزيمتها هزيمة ماحقه واجبروا على الهرب، وامتد نفوذ الإمارة العسيرية على بلاد يام	تاميزيه، ٢٠٠

إسم الموقع	التاريخ	الخصم	قائد جيش عسير	المنتصر	ملاحظات	المصدر
بلاد عبس	١٢٤٣هـ	قبيلة عبس في تهامة	علي بن مجثل	عسير	تم ضم بلاد عبس إلى الإمارة العسيرية	النعمي ط١، ١٧٧ محمد العقيلي، المخلاف السليماني، ٥٣٥
صبيا	١٢٤٣هـ	الحامية التركية بصبيا	علي بن مجثل	عسير	تم ضم صبيا للإمارة العسيرية	العقيلي، ٥٣٥
أبي عريش	١٢٤٣هـ	علي بن حيدر	علي بن مجثل		إنتهت المعركة بالصلح بين الطرفين	النعمي ط١، ١٧٨ العقيلي، ٥٣٥
وادعة	١٢٤٥هـ		علي بن مجثل	عسير	تم ضم وادعة للإمارة العسيرية	النعمي ط١، ١٧٩ العقيلي، ٥٣٥
بلاد الكلفود ووادي مور	١٢٤٧هـ		علي بن مجثل	عسير	وتم إزالة ما هنالك من قباب ومزارات وضم بلاد الكلفود ووادي مور في تهامة اليمن للإمارة العسيرية	النعمي ط١، ١٧٩ العقيلي، ٥٣٥
الريث	١٢٤٧هـ	الصهاليل والريث	علي بن مجثل	عسير	تم ضم بلاد الريث والصهاليل للإمارة العسيرية	العقيلي، ٥٣٥

إسم الموقع	التاريخ	الخصم	قائد جيش عسير	المنتصر	ملاحظات	المصدر
أبي عريش	١٢٤٨هـ	علي بن حيدر	علي بن مجثل	عسير	تم ضم أبي عريش إلى الإمارة العسيرية	العقيلي، ٥٣٥، ٥٣٦
زبيد	١٢٤٩هـ	تركجة بلماز وجيشه	علي بن مجثل	عسير	كان تركجه بلماز تابعاً لعلي بن مجثل على سواحل اليمن إلا أن فساده أدى لشكوى أهل تهامة اليمن منه فقرر علي بن مجثل معاقبته وشن حملة شاركت فيها جميع قبائل المنطقة من زهران إلى ظهران	لنعمي ط١، ١٨٤
المخا	١٢٤٩هـ	تركجه بلماز وجيشه	علي بن مجثل	عسير	قتل في هذه المعركة عدد كبير من جيش عسير بالمدفعية الألبانية ولكن ذلك لم يثنهم عن مواصلة الحرب حتى انتهت بهرب بلماز منفرداً على سفينة بريطانية، بينما سقط جيشه كاملاً ما بين قتيل أو أسير بيد العسيريين	تاميزيه، ٣٨، ٣٩ النعمي، ١٨٤ محمد الكبسي، اللطائف السنية، ٤٠٦، ٤٠٧
الحديدة	١٢٤٩هـ	جيش بلماز الألباني	علي بن مجثل	عسير	بعد معركة المخا اتجه العسيريين لبقية جيش بلماز في الحديدة وتمكنوا من هزيمته وضم كامل تهامة اليمن للإمارة العسيرية	النعمي، ١٨٤، ١٨٥

٤- السلطة (القوة المحلية المطلقة)

يهتم الكثير من المؤرخين بمن وصلوا للسلطة أياً كانت طريقة وصولهم ويعدون كل منهم رمزاً تاريخياً للوطن يجب عدم المساس به[١]، بينما الحقيقة أن الرمزية الحقيقية مرتبطة بالسلطة كإنجاز للوطن ذاته، وليست مرتبطة بمن وصل إلى هذا المنصب الذي صنعه سواه.

فللسلطة عبر التاريخ وقبل أن يتمكن البشر من إخضاعها للقوانين والدساتير الحديثة التي تحد من تفرد شخص بها قوة خفية لا يدركها إلا الراسخون في القرب منها وممارسة قبضتها، وفهم هيكلها المعنوي ومكامن الاتصال والانفصال في بنية هذا الهيكل.

فللسلطة قوة مادية نعرفها، ولكن هنالك قوة أخرى مركبة أهم منها بل ولها القدرة على إخضاع الأولى وهي القوة المعنوية التي قد لا نعرف كل خفاياها، إنها قوة جعلت من فرصة الوصول إلى الحكم لمن عرفوا مكامن هذه القوة ومن مارسوها من خلال وجودهم حول السلطة ماثلة عبر التاريخ، وفي كل الأقطار.

وفي التاريخ الكثير من الأمثلة على مطلقية القوة التي تمتلكها السلطة، فلا تكاد أمة من الأمم تخلوا من أمثلة تترجم لنا كيف أن قوة السلطة دائماً ليست في الأشخاص الذين وصلوا إليها، ولكنها كامنة في ذاتها، وفي مدى ترسيخ هيبتها روحياً ومادياً خلال المراحل السابقة، فهي القوة القادرة على أن تجعل رجلاً شبه معتوه يتسنم أمر أمة من الأذكياء لعقود، وهي القادرة على أن تجعل عبد الأمير أميراً، كما قال أحد الشعراء شاكياً من هذه الحالة يوماً ما:

عبد الأمير وقهوجي عبيده ... صاروا بقريتنا هم الأمراء

ولا جدال في أن في التاريخ الكثير من العظماء الذين صنعوا السلطة، وليس أمثال هؤلاء معنيون بسردنا هذا، فلن يستطيع شخص أن يجادل حول عظمة رجال أمثال أبو العباس السفاح، أو عبدالرحمن الداخل، أو جنكيز خان، أو جورج واشنطن، أو الإمام محمد بن سعود، أو الملك عبدالعزيز، أو الأمير عبدالوهاب أبو نقطة، فهؤلاء وغيرهم الكثير هم من صنعوا السلطة التي وقفوا على رأسها، وهذا أيضاً لا يعني أن كل من وصل للسلطة دون أن يصنعها فهو لا يستحق الذكر، فلا شك أن هنالك الكثير من رجال السلطة العظماء كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وصلاح الدين وعبدالعزيز بن محمد بن سعود وإبراهام لنكولن

---

(١) آل زلفة، لقاء مصور مع منتدى شرفات عسير على اليوتيوب.

والكثير غيرهم كانوا من العظماء في التاريخ، لأنهم أضافوا إلى السلطة فاكتسبت بريقاً آخراً بحضورهم لها وليس العكس، ولكن في المقابل فإن هنالك الكثير ممن صنعتهم السلطة التي وصلوا إليها كمنصب شاغر رمت بهم الأمواج إلى سدته وهم من غير أهله فاكتسبوا هيبته وصاروا من أهل السلطة، فنحن مثلاً نجد في التاريخ البشري الكثير جداً من الحالات لوصول أي الخدم في قصر الحكم إلى السيطرة على مقاليد الأمور، وربما كان ذلك برضا الناس واختيارهم بسبب ظرف طارئ في البداية، متوهمين بأنهم يستطيعون إزاحته عند بلوغ استحقاقات تسليم السلطة لأهلها، لأن أولئك الحكماء كانت تنقصهم حكمة التاريخ، فلو أنهم قرؤوا التاريخ جيداً لاستوعبوا أنهم لن يعودوا مؤهلين لاتخاذ هذا القرار، لأن من وضعوه أصبح يمتلك الخيار المطلق في البقاء أو الرحيل، فأصبح بذلك أحد الذين يشير لهم التاريخ على حساب من صنعوه، وربما أورث أبناءه الحكم فأصبح الخدم أسرة حكم على المخدومين، فليس بعيد عن الذكر وصول كافور الإخشيدي إلى حكم مصر والشام والجزيرة العربية، من خلال وصوله لحكم مصر، التي هي درع الأمة العربية في مراحل كثيرة، والتي بعد تلك المرحلة قادت انتصار المسلمين على الجيوش الصليبية في حطين وعلى التتار في عين جالوت، فكيف وصل هذا الرجل للحكم؟.

في رواية المؤرخين أنه تولى محمد الإخشيد مصر من قبل الخليفة الراضي، وازدهرت البلاد في عهده واستطاع أن يضم بلاد الشام، ثم ضم الحجاز، وبعد موته خلفه ابناه، وكانا صغيرين، فكانا تحت وصاية مولاه كافور الذي كان عبداً حبشياً للأخشيد، فحكم الدولة واستبد دونهما، وحارب دولة الحمدانيين، وراجت التجارة في عصره، وشجع الأدباء ومنهم أبو الطيب المتني، وبعد وفاته ضعفت الدولة حتى قضى عليها الفاطميون[1]، ومدة إمارته على مصر اثنتان وعشرون سنة، قام في أكثرها بتدبير المملكة في ولاية أبي القاسم ثم أبي الحسين ابني الأخشيد. وتولاها مستقلا سنتين، وأربعة أشهر، وكان يدعى له على المنابر بمكة ومصر والشام إلى أن توفي بالقاهرة. وقيل: حمل تابوته إلى القدس فدفن فيها. قال الذهبي: كان عجبا في العقل والشجاعة[2].

ومن ذلك أيضاً وصول موالي أمراء بني زياد كل من رشيد والحسين بن سلامة وجياش ونجاح ثم أبنائه وأحفاده وبنفس الطريقة إلى حكم اليمن، وفي قصتهم كما يرويها مؤرخوا اليمن نرى العجائب.

---

(١) العسيري، أحمد معمور، التاريخ الإسلامي، ط٢، عام١٤٢٤هـ.

(٢) الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، - أيار / مايو ٢٠٠٢ م، ج ٥/ ص٢١٦.

تقول الرواية أنه عندما توفي أبي الجيش آخر أمراء بني زياد سنة ثلاثمائة وواحداً وتسعين للهجرة وخلف طفلاً اسمه عبدالله، وقيل إبراهيم، وقيل زياد، تولت كفالته أخته وعبد حبشي لآل أبي الجيش اسمه رشيد، وكان من عبيد رشيد هذا وصيف له يدعى حسين بن سلامة، ونشأ حسين حازماً عنيفاً فلما مات مولاه رشيد وزر لولد أبي الجيش ولأخته هند بنت أبي الجيش وكانت دولتهم تضعضعت أطرافها فحارب حتى أعاد قوة دولتهم، فدان لها من تخلوا عنها، وكان عادلاً كثير الصدقات وعمر في الملك ثلاثين عاماً، شبهه عمارة بعمر بن عبدالعزيز، وقد عمر الطرق والمساجد في اليمن وما بينها وبين مكة، ومما عمر عقبة الطائف (الهدا)، وبعد موته عاد الحكم إلى طفل من بني زياد اسمه عبدالله أو ابراهيم، كفلته عمته وعبد له اسمه مرجان من عبيد الحسين بن سلامة، واستقرت الوزارة لمرجان وكان لمرجان عبدان من الحبشة أحدهما نفيساً والآخر نجاح، فتنافس العبدان على وزارة الحضرة، وكان مولاهما مرجان يميل إلى نفيس وعمة الطفل تميل إلى نجاح فقبض مرجان على سيدته وطفلها وسلمهما لنفيس فقتلهما صبراً، وتملك اليمن، فلما علم نجاح حاربه حتى قتله، ثم قتل مرجان، واستولى على تهامة وقهر الجبال وأصبح يخاطب بالملك وبمولانا واستمر الملك في أبنائه وأحفاده[١]

ومن القصص التي تحمل عمق العبرة في هذا الخصوص قصة العاصمة السعودية "الرياض"، والتي استعصت على الدولة السعودية في الدرعية لمدة عشرون عاماً وهي إلى جوارها رغم الحروب والمحاولات الكثيرة لإخضاعها، في الوقت الذي سقطت فيه بقية بلاد نجد البعيد منها والقريب خلال هذه الفترة لحكم الدرعية، وهو ما يدل على بسالة وموقف صمود يحسب لأهلها، بينما كان قد تمكن قبل هذه المرحلة بقليل أحد موالي أميرها السابق ويدعى "خميس" من الوصول إلى حكم مدينة الرياض على حساب سيده صغير السن الذي مات والده فأصبح العبد وصياً على قصر الحكم وعلى الطفل، فحكم أهل الرياض وظلم وقتل حتى أزاحه دهام بن دواس خال الطفل القادم من منفوحة، وعندما خرج من قصر الحكم وزالت عنه قوة السلطة قتله أحد أبناء الرياض في طريقه ثأراً لمقتل والده على يده[٢].

وفي مثل هؤلاء انتهى حكم العباسيين إلى مماليكهم قبل دخول التتار وبعده كما هو معلوم،

---

(١) الحكمي، نجم الدين عمارة بن علي (اليمني)، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد الأكوع، مطبعة السعادة، ١٣٩٦هـ، ص٦٧ ـ ٩٠.

(٢) ابن غنام، روضة الأفكار، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار الشروق ـ بيروت، ط٤، عام ١٤١٥هـ، حواشي سفلية، ص٩٥، ٩٦.

وانتهى حكم بني أمية في الأندلس إلى مواليهم[1]، وهنالك العشرات من القصص المشابهة في التاريخ وفي أنحاء الدنيا، لسنا في مقام سردها هنا.

ولكننا من خلال هذه الثلاث حالات التي انتقل في إحداها حكم الأمة العربية إلى أحد الموالي في قصر الحكم كوصي على الأطفال القصار، فتمكن من إدارة الأمور واستبد بالحكم لنفسه وأصبح يسوس البلاد والعباد ويدعى له على المنابر، من شرق البلاد إلى غربها، ثم في القصة الثانية نرى كيف تحول الموالي ومواليهم إلى ولاة على الأولياء، وأصبحوا يتقاتلون ويجيشون الجيوش من الأحرار للدفاع عن سيادة أي من هؤلاء العبيد عليهم ثم يورثون الملك لأبنائهم وأحفادهم، وفي القصة الثالثة نرى كيف أن هذا العبد عندما تولى على الطفل وأصبح المتصرف في قصر الحكم تمكن من ظلم الناس وممارسة القتل والفتك بهم لأنه كان يتحدث من موقع السلطة، ولم يستطع إزاحته إلا شخص قادم من موقع آخر وينتمي لبيت سلطة أخرى وله علاقة بالسلطة في الرياض، بينما نجد أن أهل الدار كانوا في الحقيقة أكفاءً لمنع هذا الخادم من السيادة عليهم لولا تلك القوة المعنوية والمادية التي تقف إلى جواره والكامنة في السلطة، لذا نجده عندما فقد هذه القوة وعاد إلى حالته الأولى يأتي فوراً من يثأر لمقتل أبيه فيقتله، مما يدلنا على أنه مارس القهر من خلال السلطة فقط ولكنه قهر فور فقده لها.

يقول التاريخ والمنطق بأن هؤلاء الذين جلهم من الخدم والعبيد أو من عبيد العبيد الذين كانوا يقومون على خدمة أسيادهم قبل وصولهم للسلطة، عندما مات أولياؤهم كانوا قبل ذلك من أقرب الناس لهم ومن ثم فقد كان لهم نفوذاً داخل القصر فآل التصرف داخل القصر إليهم تلقائياً، لذا فربما استمر الأمر كذلك تلقائياً، أو لعله قد أوكل لهم الوصاية على تركتهم ومنها أبنائهم والحكم، وهذه الثقة التي اكتسبوها تقودنا بالضرورة إلى التأكيد على أنهم كانوا قبل ذلك الأكثر طاعة ورضاً بحالهم، ولم يكن لهم طموح أبعد من ذلك، وكانت هذه الوداعة هي مكمن الرضا، إذ لا مجال لأن نتخيل عبداً أو خادماً ذو طموح بعيد وأنفة من استعباده أو استخدامه ومطيع في نفس الوقت، أو نتخيل أن لا يكون طيعاً ويكون في نفس الوقت ذا مكانة لدى سيده، مما يجعلنا نسأل عن سبب تنمرهم وتمكنهم من المحافظة على السلطة بل ومد النفوذ على الدول الأخرى، وعن سبب قبول الناس لوضعهم الجديد، وهم من اختيروا لاطمئنان من حولهم أنهم

---

(١) ابن خادون، تاريخ ابن خلدون،، ج٣ / ص٢١٤.

أبعد ما يكونون عن القدرة على الاحتفاظ بالحكم.

في الحقيقة أن إحالة ما حدث في عهد أولئك الأشخاص إليهم هو ظلم للتاريخ، ليس لأن لهم بشرة سمراء أو حمراء أو لأنهم من جنس معين، فلا شك أن الملوك الذين أسسوا مملكة الحبشة كانوا رجالاً عظماء، يفوقون في مكانتهم الكثير من ملوك العرب المعاصرين لهم، ويكفي أن مملكتهم التي أسسوها أسقطت أكبر الممالك في الجزيرة العربية التي يفصلهم عنها البحر، ولكننا هنا بصدد الإشارة للحالات الثلاث لدينا كأشخاص رضوا باستعبادهم ثم أصبحوا ولاة على ولاتهم بين عشية وضحاها لتعميم الدلالة على كل الحالات المشابهة بغض النظر عن اللون أو الجنس.

فكثيراً ما يحيل المؤرخون أحداث البلاد إلى رجال السلطة بطريقة تدل على التفرد بالإنجاز لكل ما حدث في دولهم في عهدهم، فيقولون أن كافور حارب الحمدانيين ومد نفوذه على الحجاز والشام، وكأنه كان لوحده في مصر، بينما الحقيقة أن كافور قد وصل إلى وظيفة شاغرة سهلة جداً في دولة مهيأة للتوسع، ورجال يديرون الأمور في كل مناحيها، فهنالك قادة للجيش وهنالك رجال على الخراج، وهنالك رجال العلم والخطباء الذين يوجهون إلى الجهاد وإلى طاعة السلطان "ولو كان عبداً حبشياً كأن رأسه زبيبه"، وهنالك المقربون من قصر الحكم من الأعيان، الذين ربما كان توجيه الدفة منوطاً بهم في ظل وجود من هو أقل منهم مكانة في السلطة، وهنالك الجنود ذوي الكفاءة القتالية والعدد الكافي والأرض المنتجة والإمكانيات الكبيرة، فماذا بقي لنعزيه إلى الحاكم الذي لم يصنع شيئاً من هذا بل وصل ووجد كل شيء قد هيئ له لجني المحصول.

فعندما وصل ذلك الخادم إلى منصب رأس السلطة فإنه أصبح يفكر بعقول غيره ويبطش بأيدي سواه ويشتري ويبيع العباد والبلاد والذمم بمال العباد والبلاد، ويأمر فيطاع وينهى فيمنع، يخشاه الحكيم والأحمق والعاقل والمجنون، لسلطته صفة الشرعية الروحية والمادية، بل وكل الشرعيات التي أحاط بها هذا المنصب من صنعوه قبل وصوله، فأنى لسواه أن ينتزع منه هذه القوة المطلقة؟

فربما كانت مواجهة الجيوش الجرارة أسهل على أهل البلاد من إنزال رجل واحد متسلط من موقع السلطة في بلادهم، لذا فلا انتقاص لأي أمة في أن نقول بأن أي خدم السلطان أصبح سلطاناً، فهذه كل الأمم والشعوب رضخت لقانون قوة السلطة المطلقة في الوطن، مثلما أنه لا انتقاص لأرض تعالت عن تقبل وجود السلطة في الحقب الماضية من الزمن.

٥- مرحلة اضطراب وضع السلطة وولاية الدولة العثمانية

كان قصر الأمير علي بن مجثل قبل وفاته يرتبط به عدد من العمال، جزء منهم من موالي وخدم الأمير علي بن مجثل، وجزء مرتبط بالقصر من بقية جيش محمد علي باشا، ومن الطبيعي أن يكون لهؤلاء في عهد الأمير علي نفوذ جيد بصفتهم كانوا يتحدثون باسم السلطة الحاكمة، ويتعاملون باسمها، لذا فعندما توفي الأمير علي عام ١٢٤٩هـ أصبح أحد التابعين للقصر والذي كان الأكثر قرباً من الأمير علي وأسرته قبل وفاته ويدعى "عايض" تلقائياً هو المتصرف في شئون القصر بما فيه بيت المال وفي أتباع القصر بما فيهم الوافدين الجدد من جيش تركجة بلماز[(١)]، وبدأ العسيريون في نفس الوقت المداولات حول مصير الحكم في البلاد، فلم يعد هنالك من أسرة علي بن مجثل من هو قادر على حمل أعبائه، حيث ابنيه لا زالا صغيري السن وغير قادرين على حمل أعباء الحكم كما وصفهم تاميزيه المعاصر لتلك الأحداث[(٢)]، ولكن وقبل أن يمضي على وفاة ابن مجثل عدة أيام قرر العسيريون أن يقوموا قبل كل شيء بإعادة أمير أبي عريش الذي مالأ الأتراك وتمرد على الإمارة العسيرية بعد وفاة ابن مجثل سريعاً إلى الطاعة حتى لا يشعر أحد بضعف الإمارة العسيرية بعد وفاة الأمير "علي"، فشنوا حملة عليه ولكنها فشلت مع تدخل القوات العثمانية إلى الجانب الآخر، فعاد الجيش العسيري المحاصر لأبي عريش دون أن يحقق مقاصده[(٣)]، حيث وصلت أثناء ذلك أنباء عن قدوم حملة عثمانية لغزو عسير، فازداد الوضع سوءاً، وأثناء سير الحملة العثمانية إلى عسير عاد العسيريون مرة أخرى إلى التداول في أمر الحكم لإيقاف حالة الارتباك القائمة في ظل الظروف الصعبة التي أمامهم، ووجود جدل وطموح ومنافسة بين عدد من أبناء الأسر العسيرية الكبرى للوصول إلى السلطة[(٤)]، وفي ظل اعتراض

---

(١) يذكر طامي بن شعيب خلال حديثه مع تاميزيه أنه لا يعرف عايض هذا ولم يشاهده من قبل ولكنه قال (من باب الافتراض) بأنه لا بد أن يكون ذا قلب كبير وشجاع، مما يدل على أنه لا يوجد له أي ذكر قبل ذلك، حيث كان طامي يقطن بلاد عسير حتى عام ١٢٣٠هـ ثم كان على اتصال ببلاد عسير منذ عام ١٢٤٠هـ حتى تاريخ الحملة التي كانت في بداية عام ١٢٥٠هـ.

(٢) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، ص٣٩.

(٣) عسيري، عسير دراسة تاريخية، ص١٦٠.

(٤) كانت أسرة آل المتحمي ترى أنها الوارث الشرعي للإمارة العسيرية لأنها هي المؤسسة لها، إلا أنه لم يكن هنالك في عسير من أبنائها من هو قادر على حمل أعبائها حيث كان أبناء هذه الأسرة القادرين جميعهم أسرى لدى محمد علي باشا منذ الحروب العسيرية معه ما بين عامي ١٢٣٠ ـ ١٢٣٣هـ، وقد عاملهم محمد علي باشا أحسن معاملة فاهتم بتعليمهم في أفضل المدارس، ولكن الطريق إلى عودة أيهم إلى الحكم كان يمر = =

عدد كبير من العسيريين للوضع القائم في حينه، حيث أثار حفيظة الكثير منهم وجود أحد الخدم متصرفاً في شئون قصر الحكم في عسير[١]، فقرر أهل الحل والعقد وحتى لا يستفحل الأمر تعيين ابن علي بن مجثل (الطفل) أميراً على عسير بشكل رسمي[٢]، ووضع عايض بن مرعي - والذي كان يمارس السلطة الفعلية على العاملين في قصر الأمير علي وصياً على الأمير الجديد، ومن ثم على الإمارة أي أنه أصبح حاكماً مؤقتاً لعسير (كما وصفه تاميزيه[٣])، ومع ذلك فقد بقي صوت الاعتراضات قوياً، فقد ذكر أحد شهود العيان أنه كاد الأمر في عسير أن يصل إلى حرب أهلية محلية قبل وصول الحملة[٤]، بينما اتخذت مجموعة جيش تركجة بلماز التي كانت على اتصال خاص بعايض منذ إصابة الأمير علي في أبي عريش في تلك المرحلة والتي كانت تخشى من المصير الذي ينتظرها لو سقطت عسير في يد الحملة العثمانية موقفاً متحمساً في تأييد وجود عايض بن مرعي على رأس السلطة، ربما لضمان عدم حدوث فتنة قد تؤدي إلى تسليمهم للدولة العثمانية، فالمصادر المعاصرة تشير إلى أن مجموعة بلماز كانت من أشد الموالين لعايض بن مرعي في تلك المرحلة، بل كانت آخر من يمكن أن يتخلى عنه كما أورد تاميزيه على لسان أحد العسيريين[٥]، بالإضافة لمجموعة محمد علي باشا التي أسلفنا والمرتبطة بقصر الحكم أساساً، ومن الطبيعي أن تؤيد هذه المجموعة الرجل الأقرب الذي تعاملت معه من خلال عملهم جميعاً في قصر الحكم، خاصةً وأنها لا تملك جذوراً في الأرض.

ورغم معارضة جزء من العسيريين لوجوده على رأس السلطة كما يقول تاميزيه[٦]، فإن جزءاً آخراً من العسيريين لا شك كان يقف إلى جواره على أساس أنه اتُخِذَ قراراً بوضعه

= =

بقرار محمد علي باشا وجيوشه، كما كان هنالك طموحاً لدى بعض العسيريين الذين لجأوا إلى شريف مكة بأن يتم تمكينهم من الوصول إلى حكم عسير نظير إخلاصهم وما يقدمونه من خدمات لجيوش محمد علي الموجهة إلى عسير، أيضاً فقد كان هنالك بعض القادة الذين لهم باع طويل في القيادة، ناهيك عن ابني علي بن مجثل صغيري السن.

(١) تاميزيه، ص١٥٧.

(٢) تاميزيه،، ص٣٩، ١٦٣.

(٣) تاميزيه، نفس المصدر، ص٢٩.

(٤) تاميزيه، ٢٦٤.

(٥) تاميزيه، نفس المصدر، ص١٥٥.

(٦) تاميزيه، مصدر سابق، ص١٥٧.

كحاكم مؤقت فقط، ولأنهم ربما اطمأنوا إلى استبعاد أن يأمل في الاستبداد بالحكم لنفسه بصفته كان مجرد أحد الخدم لدى علي بن مجثل[١] قبل وصوله للسلطة بقليل، والأهم من كل ذلك، أن إثارة البحث عن البديل قد تقود إلى مشكلة أكبر مما سيضعف عسير أمام الحملة العثمانية القادمة وما بعدها، وبالإضافة إلى ما تقدم يجب أن لا ننسى أثر المال الذي أمسكت مجموعة القصر بزمامه منذ اللحظة الأولى، فقد كان قصر الحكم عند وفاة الأمير علي يمتلك ثروات طائلة، كانت تصل إليه من الموانئ ومن خراج الولايات في شتى أنحاء المنطقة، ومن غنائم الحروب، وغيرها، يدل على ذلك ما نقله تاميزيه عن وجود ثلاثمائة من أجود انواع الخيول العربية لدى علي بن مجثل[٢]، وعن تكرر عرض عايض أثناء بداية وصوله للسلطة مبلغ مليونين ونصف فرانك فرنسي لقائد الحملة للتراجع عن غزو عسير[٣]، ولا شك أن المال هو السيد الأكبر الذي له القدرة على قلب كل الموازين وحني القامات المتطاولة وتليين الرؤوس المتحجرة في تقرير الولاءات فيما بعد تلك المرحلة كما هو في كل البلاد دائماً وعبر التاريخ.

ومن ثم فإن عايض بحصوله على السلطة، والتي هي مصدر القوة المطلقة في محيطها، القادرة على تغيير مسار كل الأمور، وبوجود مجموعة مؤيدة من شذاذ الآفاق المتمرسين في التمرد والخروج عن المألوف مع الدولة العثمانية من مجموعة تركجة بلماز المتمترسين بكمية جيدة من السلاح وقطع المدفعية، بالإضافة إلى بقية جيش محمد علي باشا التي تتبع لقصر الحكم حول القصر، وهو ما حوله إلى ثكنة عسكرية محصنة بالجبال والغابات المحيطة بها في السقا وريده، بالإضافة إلى قوة المال، وإلى خبرته وعلاقته برجال القصر من خلال عمله لدى الأمير علي بن مجثل في آخر حياته، ولا ننسى حنكته ودهائه العشائري كما يقول الزركلي عنه[٤]، واستفادته أيضاً مما وصلت إليه الإمارة العسيرية من قوة وهيبة ومكانة قبل وصوله إلى موضع الحكم، وتوقف الحملات العثمانية منذ عام ١٢٥١هـ كل ذلك أدى إلى استقرار الأمور له فيما بعد ذلك.

ومن ثم فقد تمكن "عايض بن مرعي" لاحقاً من القيام بما هو متوقع في مثل هذه الحالات كما يحدثنا التاريخ، إذ تمكن من مراوغة عملية إعادة الحكم إلى ابن الأمير علي، وترسيخ الغفلة

---

(١) شفيق باشا، مذكرات سليمان شفيق باشا، تحقيق العقيلي، ص٩٤.

(٢) تاميزيه، مصدر سابق، ص١١١.

(٣) تاميزيه، مصدر سابق، ص٥٢.

(٤) الزركلي، الأعلام، ج٣/ ص٢٤١، ٢٤٢.

عن استمرارية السلطة المؤقتة بيده لدى العامة في عسير، وكان له ذلك بأمور لعل أهمها لجوؤه إلى مهادنة الدولة العثمانية بعد فترة قصيرة من وصوله إلى السلطة، وحصوله من ثم على شرعية سلطته من الدولة الإسلامية العظمى والتي تمثل الخلافة في تلك المرحلة بقرار رسمي.

ويلاحظ أيضاً في هذا الخصوص مشاركة بعض القيادات المحلية في أمور الحكم أثناء وجود عايض ثم أثناء وجود ابنه محمد، حيث كانت القيادات العثمانية تقوم بمراسلة بعض الأعيان في عسير بشكل مباشر والتفاهم معهم حول الأمور الأساسية مثل "محمد بن مفرح"[١]، وكان ذلك بعلم من "محمد بن عايض"، مما يدل على مشاركة بعض الأعيان في عسير في تسيير أمور السلطة في عهد عايض بن مرعي وابنه محمد، ويبدو أن ذلك كان مما أغرى بعض الأعيان لتفضيل بقاء الحال كما هو عليه على سواه.

تمكن العسيريون الذين تمرسوا (كما أسلفنا) في مواجهة العشرات من حملات الدولة العثمانية على مدى ٣٥ عاماً من هزيمة حملتيها الأخيرتين، وكان ذلك في بداية وضعهم لعايض كوصي على السلطة، حيث طبق العسيريون نفس خطتهم أمام الحملة العثمانية عام ١٢٣٩هـ وعام ١٢٤٠هـ إذ كان هنالك مواجهة اولى ثم انسحبوا إلى العمق الجبلي وبدؤوا في محاصرة إمدادات العدو وشن حرب العصابات، مما أرهق العدو واضطره إلى توقيع بنود الاستسلام، ولكن من خلال ما أورده تاميزيه فإنه يتضح لنا أن إدارة الأمور في تلك المعارك لم تكن بيد عايض بن مرعي، فإجراءات عايض لم تكن حاسمة، كما أن العلاقة بينه وبين العسيريين لم تكن كما ينبغي، فلم يكن عايض يحظى بهيبة واحترام الحاكم، حيث أورد تاميزيه عدة أحداث تدل على أنه لم يكن سوى واجهة وضعها المتصرفون الحقيقيون في مسار تلك الأحداث، ومنها أنه جمع مشايخ القبايل التي كان يخشى العسيريون من تغير ولائها وطلب منهم أن يأخذ رهائن بشرية لضمان عدم غدرهم فرفضوا[٢]، ثم حاول أن يقبض على أحد المتواصلين مع الحملة العثمانية فمنعه العسيريون الذين كانوا في جيشه من ذلك بالقوة وطردوا جنوده ووفروا الحماية لذلك الرجل حتى أوصلوه قريته[٣]، ثم اتجهت قبيلة رجال ألمع بعد معركة الخميس إلى بلادها في تهامة دون إذنه وتخلت عنه فأخذ يتحدث إلى أبن دهبان بغضب وبما يشبه التمتمة دون أن

---

(١) عسيري، عسير دراسة تاريخية، ص٢٨٠.

(٢) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، ٢١٢.

(٣) تاميزيه، المصدر السابق، ص٢٦٦.

يتحدث إليهم أو يرسل لهم أحداً، وهو ما لا يتوافق مع كونه المتصرف الفعلي في الأمور حينها، مما حدا بتاميزيه إلى انتقاد موقفه السلبي[١]، بما يشير إلى أنه لم يكن يملك القدرة على مواجهة رجال القبائل بالطريقة الصحيحة، ولم يكن قادراً على إقناعهم بدخول الحرب أو التراجع عنها، كما أن قبيلتي رفيدة وعلكم استقبلتا دوسري أبو نقطة[٢] وسلطان بن عبده[٣] اللذان كانا ضمن الحملة العثمانية بعد معركة الخميس وقبل أن تصل إلى أبها دون اكتراث بسلطته، بل إن قبيلة بني مغيد أرسلت رسالة إلى قائد الحملة العثمانية أحمد باشا تعلن فيها التسليم بسلطته دون الرجوع إليه[٤]، ومع ذلك فقد عاد العسيريون رغم ارتباك السلطة وضعف موقفها في ظل وجود الجيش العثماني بما يملكه من عدد وعتاد مسيطراً على الأرض، وقاوموا الحملة على أثر ما قامت به من أعمال تخريبية في القرى التي مرت بها كهدم المنازل واحتطاب الأشجار وقتل الأسرى وفرض الضرائب[٥] فحاصروها وانتصروا أخيراً عليها بل وفرضوا شروطهم عليها من موقع القوة، وهو ما يسير بنا إلى أن شيوخ القبائل المحلية كانوا هم القادة الفعليين والعضو المؤثر فعلاً في أحداث تلك المعركة بمعزل عن من وضع في السلطة التي كانت في موقف ضعيف ومرتبك جداً في تلك المرحلة خاصة بعد سيطرة الدولة العثمانية على الأرض بجيوشها الجرارة، وقد نجد استمرار هذه الحالة من وجود رفض للسلطة المحلية لدى بعض العسيريين في التاريخ العسيري في مراحل كثيرة بعد ذلك، كالذي حدث عام١٢٥١هـ عندما انضم عدد من العسيريين المعارضين لوجوده إلى الحملة العثمانية القادمة إلى عسير والتي كان يرافقها احد أبناء أسرة آل المتحمي بهدف إسقاط السلطة العسيرية والتي كان عايض يتسنم المنصب فيها كحاكم مؤقت[٦]، أو ما حدث عام ١٢٨٨هـ عندما منع العسيريون محمد بن عايض من توقيع اتفاقية مع الدولة العثمانية تخضع عسير لها، وأجبر على دخول الحرب معها، وهددوا بعزله إذا لم يلتزم بذلك، فتراجع عن توقيع الاتفاقية ودخل الحرب[٧]، وأيضاً في عام

---

(١) تاميزيه، المصدر السابق، ص٢٩٣.

(٢) تاميزيه، المصدر السابق، ص٣٠٢.

(٣) تاميزيه، المصدر السابق، ص٢٩٧.

(٤) تاميزيه، المصدر السابق، ص٢٩٩.

(٥) فيلبي، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، تعريب عمر الدرديري، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، ص١٩٧.

(٦) تاميزيه، نفس المصدر، ص٢٩.

(٧) آل حامد، العادات والتقاليد في إقليم عسير، نادي أبها الأدبي ١٤٢٦هـ، ص٩٧٧، ٩٧٨.

١٣٣٨هـ عندما أجبر حسن بن عايض على دخول الحرب مع الدولة السعودية وهدد بالعزل إن لم يوافق على ذلك، ومثل ذلك في عام ١٣٤٠هـ عندما ثار العسيريون على الأمير السعودي دون علم حسن بن عايض الذي كان في الحرملة في حينها إلى أن استدعاه بعض أنصاره، ثم بعد إلحاح شديد عليه حضر وكان خائفاً من وخامة العاقبة كما نقل أحد المعاصرين للأحداث[١].

وهذا كله يدل على أن هنالك تغير جذري في علاقة العسيريين بالسلطة فيما بعد وفاة الأمير "علي بن مجثل" آخر أمراء عسير الشرعيين، حيث أصبح العسيريون يتخذون قراراتهم في أحيان كثيرة بمعزل عن السلطة التي فقدت هيبتها منذ نهاية عام ١٢٤٩هـ فتتبعهم السلطة.

ورغم ما واجهه عايض ومن حوله في قصر الحكم من مواقف في المعارك مع الدولة العثمانية في أول عام من وجوده في السلطة، إلا أنهم اكتشفوا من خلالهما أثر الحروب والانتصارات في إشغال المجتمع عن موضوع الحكم وإسكات الأصوات المعارضة، وترسيخ شرعية السلطة بوضعها الحالي عبر الزمن، لذا فلا بد للناس من المزيد من الحروب والانتصارات والغنائم حتى ولو كانت غير مبررة وغير متكافئة عند الحاجة لذلك، ولم يكن من يصل للسلطة في عسير في تلك المرحلة بحاجة إلى جهد كبير لجمع الجيوش وشن الحملات فقد نظَّم أمراء عسير عملية التجنيد من جميع مناطق جبال السروات وبيشة عند اللزوم حتى أصبحت عملية تلقائية، فكانت كل حامية تقوم بتجهيز مجموعة من المقاتلين وإرسالهم إلى المركز عند قرار الغزو بما يضمن الحصول على عشرات الألوف من المقاتلين عند اللزوم، فقد كان علي بن مجثل يحشد ما يصل إلى أربعين ألف مقاتل من كافة الإقليم[٢]، وقد حشد بالفعل عام ١٢٤٩هـ ثلاثون ألفاً لغزو سواحل اليمن من كافة جبال الحجاز، من بلاد غامد وزهران وبني شهر وشهران وبيشة وغيرها كما يقول تاميزيه[٣]، وكانت هزائم حملات محمد علي باشا في عسير على مدى أربعين عاماً قد أدت إلى توقف هذه الحملات بعد عام ١٢٥١هـ بل وإلى فراغ سياسي في مكة حيث عزل المحرض الأكبر على غزو عسير وهو شريف مكة محمد بن عون، ورُحِّل إلى مصر، في وقت فقدت فيه الإمارة في عسير الكثير من مناطق نفوذها في الشمال والجنوب والغرب، ولكن وبدلاً من أن يقوم عايض ومن حوله باستعادة الموانئ الأهم لعسير التي سيطر علي بن حيدر عليها في

---

(١) رفيع، في ربوع عسير، ص٢٥٨.

(٢) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، ص٣٧.

(٣) تاميزيه، المصدر السابق، ص٢١٩.

أبي عريش وصبيا وسواحل اليمن وطرَد الحاميات العسيرية منها بمساعدة العثمانيين، وهو ما قد يعرضه لهزيمة قد تخليه من موقعه في السلطة نظراً لأهميتها بالنسبة للدولة العثمانية، لذا فقد تجاهل ذلك واتجه بعد عامين من آخر الحملات العثمانية إلى استغلال الفراغ الذي حدث في جهة مكة والحجاز، فشن حملات على الحاميات الموجودة في بيشة وغامد وزهران[١]، ولكن القائد العثماني الموجود في جدة (أحمد باشا) تمكن من استعادة بلاد غامد وزهران سريعاً في نفس العام (١٢٥٣هـ)[٢]، مما هيأ لحاكم عسير ممارسة السلطة الأوسع فشن حملة كبيرة عليه تتكون من عشرين ألف مقاتل من كل قبائل منطقة عسير في شهر محرم من عام ١٢٥٤هـ[٣]، إلا أن الجيش العسيري الذي فقد روحه القتالية القديمة هزم هزيمة شديدة في بلاد زهران وأسر منه عدداً كبيراً رغم تفوقه العددي[٤]، وأصبح عايض في موقف حرج محلياً، فالانتصارات تنسي الناس استحقاقات السلطة ولكن الهزائم تذكر بها، فتوقف عن شن الحملات على الحاميات العثمانية، بل وعقد اتفاقية صلح مع الباشا وأرسل له عدداً من الخيل كهدية، وجرد حملة شعواء كما وصفها الشيخ هاشم[٥] على قبيلة صغيرة من قبائل البادية المعزولة في جبال تهامة وهي قبيلة "الجهرة"، ومن هناك على جارتها "الحقو" عام ١٢٥٥هـ، ولحقت المعرة في الحملة على الرجال والنساء والأطفال[٦] من هذه القبائل، وهو ما جعل أحد مؤرخي عسير المعاصرين يعلق على هذه الحملة بقوله: "الله يحكم بينهم وبينه يوم القيامة"[٧]، ومنها اتجه لغزو قبائل قحطان حتى وصل إلى سنحان، ثم أرسل حملة على بني عمرو[٨]، وقرر عايض بعدها مهادنة أحمد باشا، فوقع معه اتفاقية، وأعيد عام ١٢٥٦هـ الشريف محمد بن عون إلى مكة، فاتجه عايض إلى مهادنته ومسالمته، وأرسل له وفداً بالهدايا الثمينة بينها عدداً من رؤوس الخيل، ووقع معه معاهدة

---

(١) عسيري، عسير دراسة تاريخية، ص١٦٢، ١٦٣.

(٢) عسيري، عسير دراسة تاريخية، ص١٦٣.

(٣) النعمي، تاريخ عسير، ط١، ١٣٨١هـ، ص١٩٣.

(٤) محفظة ٢٦٣ عابدين، وثيقة رقم ١٢٣، مؤرخة في ٦ ربيع الأول ١٢٥٤هـ مرسلة من أحمد باشا إلى جانب محمد علي، دار الوثائق القومية بالقاهرة، إنظر علي عسيري، عسير دراسة تاريخية، ص١٦٤، ١٦٥.

(٥) النعمي، تاريخ عسير، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ ص١٩٥.

(٦) عسيري، عسير دراسة تاريخية، ص١٦٩.

(٧) رفيع، في ربوع عسير، ص٢٢٩.

(٨) النعمي، تاريخ عسير، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ ص١٩٥.

سلام[١]، ثم وقع اتفاقية صداقة وتحالف مع أمير أبي عريش (الحسين بن علي) عام ١٢٥٦هـ بناءً على طلب الثاني[٢]، وشاركه في غزو خصومه في قبيلة الحرث[٣]، وبدأ بعد ذلك شن عدد من الحروب ضد قبائل محلية صغيرة مثل ربيعة المقاطرة[٤]، والقهر[٥]، وعبس[٦]، وآل حدرة[٧]، وقبائل عبيدة في تثليث[٨] لينأى بعيداً عن استحقاقات الحكم مبرراً ذلك بفسادهم، فكان يحشد لها جيوشاً جرارة من قبائل المنطقة فتقتل وتنهب تلك القبائل، وكان لذلك أثره الكبير على أخلاقيات الجيوش العسيرية التي فقدت كل قيم الحرب التي عرفت بها فيما قبل، كما فقدت حماسها حتى أصبحت لا تجيد النصر إلا في مثل هذه الحروب غير المتكافئة.

وعندما شعر عايض بأن استحقاقات السلطة ربما قد تبرز إن لم يكن على لسان مستحقيها فعلى لسان سواهم، بصفة وجوده كوصي على الأمير الذي كان طفلاً قد يفتح باباً للحديث عن انتهاء مبررات شرعية سلطته، عندها تقدم عن طريق صديقه صاحب أبي عريش (حسين بن حيدر) إلى شريف مكة (محمد بن عون) بطلب التوسط لدى الباب العالي لتعيينه (شيخاً) على عسير، وكان صاحب أبي عريش يدير الأمور أيضاً بطريقته لتحقيق مآربه، وهذا نص ما ورد في الوثيقة العثمانية التي ورد فيها الطلب:

"كما طلب الأمير المذكور تعيين جاره وصديقه الشيخ عايض بن مرعي شيخاً على عسير، لأنه ملتزم بتنفيذ الأوامر السلطانية وبواجبات الطاعة والولاء، وأنه سوف يراعي تحقيق الأمن للطرق، والأمير يتمنى صدور المرسوم الخاص بذلك التعيين،

---

(١) رضوان، نبيل، الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس، تهامة للنشر، ط١، ١٤٠٣هـ، ص٣٤، وانظر النعمي، تاريخ عسير، طبعة المثوية، ١٤١٩هـ، ص٢٤٨.

(٢) النعمي، تاريخ عسير، ط١، ١٣٨١هـ، ص١٩٤.

(٣) النعمي، تاريخ عسير، ط١، ١٣٨١هـ، ص١٩٦.

(٤) - النعمي، تاريخ عسير، ط١، ١٣٨١هـ، ص١٩٦.
- رفيع، في ربوع عسير، ص٢٣١

(٥) النعمي، تاريخ عسير، ط١، ١٣٨١هـ، ص١٩٧

(٦) - هاشم النعمي، تاريخ عسير، ط١، ١٣٨١هـ، ص١٩٦.
- رفيع، في ربوع عسير، ص٢٣١.

(٧) النعمي، تاريخ عسير، ط١، ١٣٨١هـ، ص١٩٩.

(٨) النعمي، تاريخ عسير، ط١، ١٣٨١هـ، ص٤٠٠.

وقد كتب الأمير هذه الالتماسات في خطابه ـ العربي العبارة ـ إلى والي جدة، وكان شيوخ قبائل عسير قد جاؤوا قبل ذلك إلى الوالي، وأعلنوا طاعتهم وولاءهم من كل جانب، وأنهم لن يقصروا أبداً في تنفيذ أي أمر سلطانين وتعهدوا بذلك في حضرة الوالي. وقد أرسلت تعهداتهم إلى الأعتاب السلطانية، وعندما تنال هذه الكتابات شرف الوصول إليكم أرجو أن تتفضلوا بالإحاطة والأمر والتنفيذ منوط برأيكم السامي، والأمر في هذا الشأن لكم أنتم صاحب الأمر

محمد بن عون

٢٣ رجب سنة ١٢٥٨هـ"[(١)]

ويبدو أن الدولة العثمانية لم تستجب لطلبه، فألح عايض في طلب تعيينه (شيخ على عربان عسير)، وهذه المرة عن طريق والي جدة، وهذه رسالة من عثمان بك والي جدة إلى الصدر الأعظم في شهر رمضان من نفس العام في هذا الخصوص:

"... وقد أرفقت في هذه المرة مع الخطاب تقريراً عن المباحثات التي جرت مع الأمير وكذلك العريضة التي تحرأ وكتبها، وعندما يصل علمكم السامي فسوف نتحرك على الوجه الذي تأمرون به، وفي حالة صدور قراركم نأمل كتابة أمر بتعيين شيخ عربان عسير لتحقيق الأمن في الطرق، وهو قد تعهد على أية حال بالولاء للدولة العلية، وكان شريف مكة قد طلب مني ذلك من قبل، وفي هذه المرة طلبها مرة أخرى الشريف حسين، ولذلك أرجو إصدار الأمر بتعيين الشيخ عايض بن مرعي شيخاً على المناطق التي تحت يده، على أن يحفظ أمن الطرق، وكتابة أمر ثالث بفتح قنصلية (مخا)....

عثمان / عبده

٢ رمضان ١٢٥٨هـ"[(٢)]

---

(١) مسألة مهمة ـ اليمن، وثيقة رقم(١٧٩٦)، بتاريخ ٢٣ رجب ١٢٥٨هـ من الشريف محمد بن عون (أمير مكة) إلى الصدر الأعظم، إبلاغ السلطان بما تم بشأن قضية الشريف حسين حاكم مخا، إنظر: إمارة أبو عريش، أ. د. إسماعيل البشري، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٣هـ، ص٩١.

(٢) مسألة مهمة ـ اليمن، وثيقة رقم(١٧٩٧)، بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٥٨هـ، من عثمان باشا والي جدة، إلى الصدر الأعظم، عن مهمة أشرف أفندي في اليمن ورد الشريف حسين حاكم مخا، إنظر: إمارة أبو عريش، أ.د. إسماعيل البشري، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٣هـ، ص٩٥

فصدر قرار من رئيس المجلس الأعلى (حول حاكم المخا وموقف السفارة الإنجليزية) تضمن في إحدى سطوره إحالة اليمن وموانيها وأرض تهامة وجبالها إلى أمير أبي عريش وتنصيب ـ حليفه وجاره ـ (الشيخ المذكور) (شيخاً على عربان عسير) طبقاً لما جرى مع أمير نجد، وبشرط السمع والطاعة لوالي جدة وأمير مكة، بتاريخ ٢٠ محرم عام ١٢٥٩هـ بصورة رسمية وبناءً على طلبه[١] وهذا جزء من النص:

"... إنه في يوم السبت الحادي عشر من محرم قرئت الأوراق المذكورة وقد تبين منها ما يلي:

إن الشريف حسين ـ رغم طاعته وولائه ـ يطلب الإحسان عليه بإسناد إمارة منطقة اليمن وموانيها وأرض تهامة وجبالها إليه، وأنه سوف يبادر بإرسال ما هو مستحق عليه من إقطاعات القهوة، ومساهمته في المصاريف الحجازية، وأنه سوف ينفذ الأوامر الجليلة التي ستصدر بخصوص إقامة القنصل الإنجليزي، وإعادة افتتاح قنصليته، وسوف يحسن معاملته، كما طلب أمراً بتعيين الشيخ عايض بن مرعي ـ حليفه وجاره ـ شيخاً على عربان أهل عسير، مع العلم بأن هذا الشيخ يعلن الطاعة والولاء، وسيكون مستقلاً، وقد طلب والي جدة إعطاء وإرسال الأوامر المذكورة إليهم، وعلى ذلك يصدر مرسوم يقضي بإحالة إمارة المناطق المذكورة إلى الشريف حسين بشرط أن تجدد كل ثلاث سنوات، ومرسوم آخر بتنصيب الشيخ عائض المذكور شيخاً على أهل عسير طبقاً لما جرى مع أمير نجد، ولكن بشرط ألا يصدر عن الشيخ ابن مرعي ما يخالف رضاء الاثنين (الشريف ووالي جدة) وأن يراعي طاعتهما في الأوامر والنواهي، ويجب ان تضاف هذه الفقرة في المرسوم السلطاني....."[٢]

ونلاحظ من خلال تبدل المواقف عدم وجود هدف لدى السلطة في عسير فقد استمرت في مجاراة الإرث الذي وجدته في الإمارة العسيرية، وهو العداء للدولة العثمانية في البداية، إلا أنه

---

(١) البشري، إمارة أبو عريش، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٣هـ ص٦٤، ٦٥.

(٢) مسألة مهمة ـ اليمن، وثيقة رقم(١٩٧٩)، بتاريخ ٢٠ محرم ١٢٥٩هـ من رئيس المجلس الأعلى، إلى الصدر الأعظم، عرض ما تم من مباحثات في المجلس حول مشكلة الشريف حسين حاكم (مخا) وما طلب من شروط لإنهاء المشكلة وبحث موقف السفارة الإنجليزية، أ.د. إسماعيل البشري، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٣هـ، ص١٠٠، ١٠١.

تم ترويض هذا العداء تدريجياً، إلى أن تحول الحاكم في عسير إلى صديق لها ثم اتجه بطريقة غير مفهومة إلى الإلحاح في الطلب وتوسيط الخصوم التاريخيين للإمارة العسيرية كل من أمير أبي عريش (حسين بن حيدر)، وشريف مكة (محمد بن عون)، ووالي جدة، وتوالى إرسال الرسل إلى بلاطهم، للتوسط له للحصول على الشرعية في حكم عسير من الدولة العثمانية والإلحاح في ذلك، حتى ولو بتحويل الإمارة العسيرية إلى (مشيخة لعربان عسير)، مع أنه كان في أفضل حالاته، حيث توقفت الحملات العثمانية على عسير منذ عام ١٢٥١هـ، ونشأت بينه وبين شريف مكة اتفاقية حدود وسلام، ومثلها كان بينه وبين حاكم المخلاف وحاكم صعدة معاهدات كما أسلفنا، وهي حالة لم تعهدها الإمارة العسيرية التي لم يكن يقبل أمراؤها بأقل من إمارات مستقلة عن أي صلة بالدولة العثمانية في ظل حروب ومواجهات وحملات عثمانية مستمرة، خاصةً وأنه لم يكن بحاجة إلى هذا الاعتراف والتبعية.

وهذا التصرف الذي قد يستغربه من لا يعرف الحالة الداخلية في عسير لا يحمل أي غرابة، فعايض رسمياً لم يكن سوى وصي على حاكم عسير الشرعي[(١)]، حيث أنه تم انتخاب هذا الأمير (الطفل) من قبل العسيريين وكلف عايض بتصريف الأمور حتى بلوغه سن الرشد، لذا فمن الطبيعي أن يبدأ في محاولة تلافي مشكلة قد تطرأ في الداخل حول شرعية وجوده على رأس السلطة في عسير فاتجه إلى محاولة تكريس هذه الشرعية من الخارج، عن طريق الدولة العظمى في حينه، وقد تحقق له ذلك بالفعل فأصبح بعدها يخاطب باسم "شيخ عربان عسير"، بينما كان جاره في أبي عريش يخاطب باسم "ميراميان" وهو لقب يعادل لقب حاكم متصرفية[(٢)]، فورث اللقب بعد عايض ابنه محمد الذي تولى منصب "شيخ عربان عسير" ثم "قائم مقام عسير"[(٣)]، ثم "قائمقام سنجق العزيزة"[(٤)] كامتداد للدولة العثمانية في عسير، ثم وقع محمد بن عايض مع الدولة العثمانية اتفاقية تم على أثرها تتويجه بلقب "محمد عايض باشا"[(٥)]، وقد وصل

---

(١) تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، ص٢٩، ٣٩، ١٦٣.

(٢) دلال، البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، ج٢ص١٣٠.

(٣) الوثائق العثمانية بالإرشيف العثماني باستانبول، الوثيقة رقم ٢/ ٦/ ٢٥ بتاريخ محرم ١٢٨٢هـ، إنظر، دلال، البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، ج٢ص١٣٠.

(٤) الدسوقي، عبدالمنعم ابراهيم، عسير خلال قرنين، ص٨٥.

(٥) محفظة سايرة، ترجمة الوثيقة بدون رقم، مؤرخة في ١٠ جمادى الأخرة، من الجناب العالي إلى صاحب العزة، دار الوثائق القومية بالقاهرة، نقلاً عن علي عسيري، عسير دراسة تاريخية، ص٣٥٣.

به الحال من الغرور بالسلطة إلى تقريب الأشرار والاهتمام بإقامة القصور والمزارع كما يقول الشيخ هاشم مما جعل رجال العلم يناصبونه العداء حتى أن سحمان بن مصلح صارحه بأخطائه ونصحه أمام الناس في مجلسه بالرجوع عنها فلم يجد تجاوباً فرحل إلى نجد[١]، وقد ظل الوضع مستقراً له إلى أن أقدم على غزو موانئ اليمن عام ١٢٨٨هـ بتحريض من بعض العسيريين المعارضين لوجوده في السلطة في عسير، حيث تروي الوثائق العثمانية أن لاحق الزيداني عمل على تحفيزه على غزو سواحل اليمن التي كانت على درجة من الأهمية للدولة العثمانية بهدف إسقاط سلطته، وفي سبيل تحقيق ذلك فقد وظف شيخ بني شهر فايز غرم العسبلي للمشاركة في حثه على ذلك[٢]، فاستنفر محمد بن عايض الجيوش من كل أنحاء الإقليم، ووجهها إلى الحديدة، فهزمت قواته البالغ عددها حوالي عشرين ألفاً هناك، ولكن جيشه ارتكب من الفظائع أثناء ذهابه ثم أثناء عودته بالخيبة والبوار ـ كما يقول محمد رفيع[٣] ـ في القرى الآمنة التي في طريقه وخاصة في قرية الزيدية ما يكف عن الحصر حتى قال أحد مؤرخي عسير عن هذه الأحداث "اللهم إننا نبرأ إليك مما صنعوا ونعوذ بك من عواقب ما فعلوا فأنت تعلم أن عيوننا من ذلك ذارفة وقلوبنا من سطوتك خائفة"[٤]، مما أثار الدولة العثمانية، فشنت حملة كبيرة على عسير عام ١٢٨٨هـ فاستولت عليها بعد حرب شرسة مع العسيريين، وانتهى بذلك وجود ابن عايض على رأس السلطة في عسير.

والعجيب في فترة عايض وابنه محمد أن الوثائق العسيرية المتاحة جميعها لم تتطرق إلى مخاطبات عايض للدولة العثمانية، رغم أنه أرفق بعضها مع شيوخ قبائل كما ورد في هذه الرسائل، ولا حتى أشارت إلى صدور قرار بتعيينه شيخاً على عربان عسير تابعاً لها، ولا حتى أشارت لتعيين ابنه محمد بمرتبة باشا من قبل الدولة العثمانية، وهو أمر غريب جداً، فجميع الوثائق العسيرية تتحدث عنه كخصم للدولة العثمانية طوال حياته، فهل كان العسيريون مغيبين عما كان يحدث على الجهة الأخرى في الإمارة العسيرية.

وعلى العموم ورغم اضطراب السلطة في ذاتها وفي علاقتها مع العسيريين، واتجاهها إلى

---

(١) النعمي، تاريخ عسير، طبعة المثوبة، ص٢٦٦ ـ ٢٦٧.

(٢) الفريق عاطف باشا، يمن تاريخي (باللغة التركية)، ج١/ص١٢٢; انظر: علي عسيري، عسير، ص٣٥٨.

(٣) رفيع، في ربوع عسير، ص٢٣٨.

(٤) نفس المصدر والصفحة.

المناورات واللعب في الخفاء في مرحلة وصاية عايض بن مرعي على الحكم ثم وصول ابنه محمد خلفاً له، فإن تلك الفترة كانت الأكثر استقراراً في التاريخ العسيري، ويعود ذلك لما اكتسبته الإمارة العسيرية من نفوذ وهيبة في عهد أمراء عسير والذين كان آخرهم الأمير علي بن مجثل، وإلى توقف الدولة العثمانية عن شن حملات على بلاد عسير في الفترة ما بين ١٢٥١هـ إلى عام ١٢٨٨هـ نتيجة لاضطراب وضعها في الحجاز بعد عزل شريف مكة محمد بن عون وإبعاده عن الحجاز، ثم في مصر بعد عزل محمد علي باشا عن نفوذه على الجزيرة العربية، بالإضافة إلى اكتساب الحكم في عسير شرعية أكبر من خلال اعتراف الدولة العثمانية به وتعيينها لحاكم المنطقة والياً لها على عسير، وهو ما يعني تراجع طموحات شريف مكة في السيطرة على عسير.

٦- مرحلة الإدارة العثمانية المباشرة وعزل عسير

بعد أن تمكنت الدولة العثمانية من إسقاط الإمارة العسيرية عام ١٢٨٨هـ وتحويل عسير إلى متصرفية عثمانية تدار من قبل العسكر، أطلقت على المنطقة كاملة بشكل رسمي مسمى "متصرفية عسير"، وقد كانت على معرفة جيدة بالوضع في عسير والتقسيم القبلي فيها، فقد كانت أثناء حروبها مع العسيريين قبل ذلك تحاول استثمار العصبيات الخارجية والداخلية لضرب العصبية العسيرية من الداخل والخارج للحد من نفوذ أمراء عسير على المنطقة، ومن هنا بدؤوا في استكمال خططهم لتهيئة المنطقة للخضوع الكامل والتوقف عن التهديد المستمر للوجود العثماني في الجزيرة العربية، وكان العثمانيون قد بدؤوا بالفعل ومنذ وقت مبكر محاولة إعادة الهيكلة القبلية في عسير وتطبيق سياسة فرق تسد كما وصفها يحي آل فائع[1] منذ عام ١٢٣٠هـ ووضعوا حينها مشيخات جديدة موالية للترك على القبائل[2]، كما كانت تحاول استثارة العصبية لدى بقية القبائل في المنطقة ضد العصبية العسيرية، ونجد ذلك في رسائلها المستمرة للقوى المنضوية تحت الإمارة العسيرية[3] أو في مخاطبة شيوخ القبائل أثناء حملاتها ومحاولة استثارة الروح القبلية لديهم ضد العسيريين[4]، لذا فعندما عادت لاحقاً فقد واصلت تطبيق طريقتها المدروسة والموجهة في إدارة الأمور في عسير، وقد احتاجت لتحقيق أهدافها إلى

---

(١) آل فايع، دور آل المتحمي ...، ص٣٠٢، ٣٠٤.

(٢) عبدالرحمن، من وثائق الدولة السعودية الأولى، ٥٨٥.

(٣) تاميزيه، مصدر سابق، ص٤١.

(٤) تاميزيه، مصدر سابق، ص١٣٣.

توظيف عدد كبير من العرب الذين كانت تستقدمهم من مناطق نفوذها أو المناطق المجاورة في الإدارات الحكومية في أبها، واتخذت موقفاً عدائياً من العسيريين، فعزلتهم عن هذه الوظائف تماماً، وفرضت على قبائل عسير السراة الأربع في بداية عهدها ضرائب عالية دون بقية القبائل في المنطقة إذ كانت تضع عليهم فوق الزكاة المفروضة سبعة أقلام كما ورد في خطاب الإدريسي إلى هذه القبائل[١]، كما تم إعادة هيكلة التركيبة القبلية ونظام المشيخة في عسير بالضم والشطب، وإعادة توزيع القوى القبلية وتقسيمها حسب نظام الشيوخ والنواب الذي سنته فيها، وتم تعيين مشيخات جديدة للقبائل العسيرية بقرارات حكومية عثمانية، وأعطي شيوخ القبائل المعينين صلاحيات أمنية قوية كموظفين تابعين للحكومة العثمانية، ومن هنا فقد أصبحت كل قبيلة تتحدث بشكل مستقل بل وكل عشيرة تملك قرارها القبلي منفردة إلى حد ما من خلال مشيختها المعينة والمرتبطة بالدولة العثمانية.

في المقابل فقد استخدم العسيريون الكثير من الطرق لمواجهة هذه الحالة، ومن ذلك الثورات المتتالية التي استمرت من عام ١٢٩١هـ حتى عام ١٣٢٦هـ ومهاجمة القوافل الحربية ومواقع القواعد العسكرية العثمانية[٢]، وإرسال الخطابات المتتالية إلى الأستانة مباشرة ضد الحكام الذين تعينهم الدولة العثمانية[٣]، مما أدى إلى كثرة تغيير الولاة في عسير، حتى أنه تم تغيير الولاة على عسير فيما بين عامي ١٢٨٩ و١٣٢٦هـ أربعة عشر مرة،، ولكن الدولة العثمانية تمكنت أخيراً من إخماد حماس العسيريين بأن عينت أحد المحسوبين على قبيلة عسير من أبناء محمد بن عايض بمسمى (وكيل متصرف) وهو المدعو / عبدالله بن محمد بن عايض، بطلب من شريف مكة[٤]، ولكن سليمان شفيق باشا عزله سريعاً فور وصوله بسبب علاقته بشريف مكة الذي لم يكن على علاقة جيدة به[٥]، واستبدله عام ١٣٢٦هـ بالمدعو/ عبدالله بن عايض، ثم عزله عام ١٣٣٠هـ وعين بدلاً منه حسن بن علي بن عايض[٦]، فأصبح حسن بن عايض جزءاً من تركيبة الدولة

---

(١) النعمي، تاريخ عسير، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ ص٢٣٣.

(٢) النعمي، تاريخ عسير، ط١، ١٣٨١هـ، ص٢١٧ ـ ٢٣٧.

(٣) إنظر خطاب أعيان عسير إلى الصدر الأعظم والذي يطالبون فيه بتغيير متصرف عسير، كتبه: سهيل صابان، مجلة الدارة، ع٢، س٣٣ (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م) . ص١٨٥ ـ ١٩٦، الخطابات العربية في تصنيف الخارجية.

(٤) شفيق باشا، مذكرات سليمان شفيق باشا، تحقيق العقيلي، ص٣١.

(٥) شفيق باشا، نفس المصدر والصفحة.

(٦) دلال، المصدر السابق، ص١٨٥.

العثمانية، وأصبح العسيريون هم أنصار الدولة العثمانية، بينما تراجعت معظم القبائل في المنطقة عن مناصرتها وانضمت إلى تيار الإدريسي المناوئ لها في صبيا وللشريف الثائر في مكة.

وعلى الجانب الآخر فقد كانت بلاد عسير والتي كانت في الأساس مقصداً للأيدي العاملة المحلية في المنطقة نظراً لما تتمتع به بلادها من خصوبة ووفرة للماء خلال العهد العثماني مقصداً للهجرات من كافة مناطق النفوذ العثماني لتوفر فرص العمل الحكومي حيث وضعت الإدارة العثمانية في مدينة أبها بلدية ومستشفى وإدارات مدنية مختلفة، لذا فقد استوطن جزء كبير من المهاجرين والموظفين الجدد بلاد عسير وأصبحوا محسوبين كجزء منها، خاصةً في ظل وجود تخلخل سكاني أفرزته الحروب المتكررة على امتداد القرن الثالث عشر وبدايات القرن الرابع عشر الهجري، ثم دخول الدولة العثمانية لعسير مرتين، والصدامات مع القوات العثمانية المحتلة منذ عام ١٢٩٠هـ وحتى عام ١٣٢٦هـ، والتي أدت لحدوث ما يشبه التصفية العرقية والتي طالت معظم البيوت والقرى العسيرية، وهنا نشأت مجموعة جديدة من ذوي النفوذ والعلاقة والمال والثقافة الأفضل، والذين تدربوا من خلال العمل في الإدارة العثمانية على التعامل بنفس طريقتها، وقد حصل بعضهم على مراكز قبلية جيدة بأوامر حكومية، وبعد سقوط الدولة العثمانية فقد بقي معظم هؤلاء في مناصبهم وأصبحوا من المقربين للسلطة، ثم استمروا كذلك في عهد الدولة السعودية وأصبحوا من الأعيان، وقد أثر دخول هذه المجموعة على مزاجها وتعاملها مع الوضع الراهن في حينه، كما على طريقة رواية تاريخها وعلى ذاكرتها الشعبية بشكل كبير، فحدثت الكثير من الأخطاء التي وقع فيها المؤرخون حول التاريخ والمفاهيم المحلية.

والحال ما ذكرنا فقد أصبحت عسير في أواخر عهد الدولة العثمانية رغم وجود بعض مكامن المقاومة المتفرقة في أضعف حالاتها، وخاصة فترة ما بعد عام ١٣٢٦هـ وفي ظل تعرض أسرها الكبرى لما يشبه التصفية العرقية والتهجير، حيث كانت تمثل المنطقة الوحيدة الخاضعة للنفوذ العثماني بينما تحيط بها الإمارات المستقلة من كل الجهات بعد أن كانت عسير تحمل مشعل الثورة لمقاومة الوجود العثماني في الجزيرة العربية منذ بدايات القرن الثالث عشر الهجري، فقد ثار الشريف حسين عليها في الشمال الغربي واستقل بمكة والحجاز عام ١٣٣٤هـ والجزء الشمالي من المنطقة حتى بلاد بني شهر، بينما الإدريسي في تهامة يمارس مد نفوذه إلى قلب تهامة عسير وجنوبي سراة المنطقة وشمالها مناوئاً للحكومة العثمانية منذ عام ١٣٢٨هـ وإلى الشمال الشرقي أعاد الملك عبدالعزيز في نجد بناء الدولة السعودية المستقلة عن نفوذ الدولة العثمانية وامتد نفوذه إلى بيشة، وكان لهذه الحالة أثرها في ظهور أصوات عسيرية خاصةً مع

اندلاع ثورة الشريف حسين في مكة عام ١٣٣٤هـ تطالب ببدء العمل على إخراج العثمانيين من عسير[١]، إلا أن العثمانيين كانوا قد غرسوا أحد المحسوبين عليها كالإبرة المخدرة لجزء من العسيريين الذين اقتنعوا بأن في مجرد وجوده كوكيل للمتصرف مكسب يجب المحافظة عليه، لذا فعندما خرجت الدولة العثمانية وسلمته السلطة أعاد ذلك مشكلة السلطة مع العصبية العسيرية، وأثار وجوده حفيظة الكثير من المعارضين في عسير، بينما تكتل حوله بقية موظفي الدولة العثمانية وجزء من عسير، ونشأ عن ذلك تفرق في الرأي لم تعرفه عسير فيما قبل ذلك، فدخلت عسير مرة أخرى في واحدة من أسوأ فترات تاريخها لمدة سنة وثلاثة أشهر.

٧- أحداث ما بين خروج الدولة العثمانية عام ١٣٣٧هـ ودخول الدولة السعودية وأثرها على طريقة رواية التاريخ العسيري

من الواضح في توجه مجموعة إمتاع السامر وجود روح ناقمة وراء ما دونته عن عسير من روايات، وتبدو هذه الروح جلية في محاولة التشويش على تاريخها السياسي، والتشكيك في استقلاليتها التاريخية، ومحاولة إدخالها في أتون مشكلة تحديد الهوية، وفي محاولة عزلها نفسياً عن بقية الوطن، وإيجاد روح عدائية بينها وبين السلطة، ومحاولة التلاعب بالتركيبة القبلية الموروثة بها منذ القدم بشكل غير متوازن، وإثارة اللغط حول الصلات القبلية والتاريخية بين القرى المتجاورة.

وإذا كانت الأهداف السياسية معلومة من خلال ملاحظة ما تقوم به هذه المجموعة من محاولة لتكريس فكرة شرعية الحكم في أسرة آل عايض منذ القرن الثاني للهجرة على المنطقة، واستئثارها بكل المكاسب التاريخية في هذه الكتب، إلا أننا نظل جهلة بأسباب النقمة على بعض القبائل والأسر ومحاولة تجريدها من تاريخها أو لمزها الذي يصل إلى حد الشتم المباشر ما لم نلم بالتاريخ العسيري الحديث وأحداثه بشكل جيد وخاصةً المرحلة الأخيرة منه.

لكي نعرف أسباب هذه النقمة فيجب أن ندرس آخر أحداث المنطقة المتعلقة بعسير بالذات، حيث تظل دائماً الأحداث الأخيرة هي الأشد أثراً نفسياً عبر الزمن، والأكثر حضوراً في الذاكرة، وهنا سنسلط ومضاً على جزء مهم من تاريخ عسير كان له بالفعل أثراً كبيراً على الحالة النفسية في عسير، وعلى من ورثوا السلطة من الدولة العثمانية ومن حولهم، ومن ثم في فهم وطريقة سرد التاريخ العسيري، حيث تباينت الرؤى والطموحات في عسير في تلك المرحلة حتى تفرقت

---

(١) النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص٣٢٦.

عسير إلى شيع وأحزاب وهو ما كان له دوراً كبيراً في شحن الأنفس، كما تصدر الحديث عن قبيلة عسير السراة بعض من مستوطنيها الجدد ممن حققوا مكاسباً جيدة خلال عملهم كموظفين لدى الحكم العثماني في أبها، منها ما وصل إلى التنصيب على مشيخة أي البطون القبلية فيها، في الوقت الذي بدأ تقاطر المؤرخين بعد هذه المرحلة على عسير لدراسة تاريخها أمثال فيلبي وفؤاد حمزة ومحمد رفيع وغيرهم، ممن نقل عنهم من بعدهم، بل وحتى أبناء عسير لم ينجوا من هذا التأثير، فقد كان للأحداث السابقة والتكتلات القبلية المتباينة والمتذبذبة والمتقلبة التي صاحبت تلك المرحلة أثرها في طريقة سرده، فكان لذلك دوره الكبير في طريقة فهم التاريخ العسيري في تلك المرحلة، ثم في مدى اندفاع وتقبل العسيريين للروايات التاريخية الجديدة في مجموعة إمتاع السامر التي ظهرت فيما بعد والتي تمثل امتداداً لما كان عليه الوضع في تلك المرحلة.

جاءت أحداث ما بعد انسحاب الدولة العثمانية مع إعلانها إخلاء متصرفية عسير في ربيع من سنة ١٣٣٧هـ حيث تبلغ متصرف عسير "محيي الدين باشا" الأوامر السلطانية بإخلاء عسير، ومن ثم سلم المتصرف حكم عسير إلى وكيل المتصرفية "حسن بن علي بن عايض" وخرج منها الجيش التركي على متن البوارج الإنجليزية.

لم يكن حسن بن عايض رجل دولة بالمعنى الحقيقي، فقد عمل منذ تعيينه خلال فترة وجود الدولة العثمانية كرجل ثانٍ في الولاية "وكيل المتصرف" وكان المنصب صوري أكثر منه منصب قيادي، فقد كان بيد المتصرف عزله كما حدث مع سلفيه، وخبرته من خلال ذلك تتلخص في قيامه بدور الوساطة بين القادة العثمانيين وبعض القبائل أو الأسر إذا لزم ذلك، أو فيما يلاحظه من طريقة تعامل الدولة العثمانية مع المواطنين، ومن خلال علاقته القوية مع موظفي الدولة العثمانية ذوي النفوذ والمال والذين بقوا في عسير بعد رحيلها، لذا فقد كانت إدارة حسن للأمور منذ اللحظة الأولى لخروج الدولة العثمانية تشكل امتداداً لمزاج الدولة العثمانية وموظفيها وكان في نفس الوقت متذبذباً في سياسته الخارجية يتراوح بين الانهزامية غير المبررة والتخبط، وعدم الوضوح، ما جعل أحد المؤرخين ممن عاصروه يقول عنه:

"كان ميالاً إلى الدعة وحب السلامة وشعوره بالتابعية في عهد الترك لا يزال على حدته"(١)

وقد أدت هذه الحالة للقيادة غير المؤهلة إلى دخول عسير في أسوأ فترات تاريخها، حيث

---

(١) رفيع، في ربوع عسير، ص٢٥٢.

خضعت عسير لأربع إمارات خلال أقل من سنة وثلاثة أشهر، فمن الدولة العثمانية إلى الحكم المحلي الذي سارع بتسليمها إلى الإدريسي في سبيل بقاءه في السلطة، ثم إلى شريف مكة، إلى أن جاءت جيوش الملك الملك عبدالعزيز لتفرض واقعاً جديداً، وعهداً جديداً لكل الوطن، وتنهي عهد الارتباك والفتن، ولكن كان ثمن كل هذه الأحداث الكثير من الدماء العسيرية.

فعند خروج الدولة العثمانية من عسير تركت لحسن إرثاً جيداً من السلاح وعدد من ضباط المدفعية المهرة الذين تدربوا على يدها، كما أن السلطة التي استلمها كانت تشمل منطقة كبيرة كثيفة السكان من المتمرسين في القتال، ولها تاريخ من الاستقلالية والقوة والمركزية على مستوى الإقليم ما يجعل مجاوريها أجدر بالخضوع تحت رايتها كما جرت العادة، ولكنه فاجأ الجميع بنزوله إلى صبيا منذ استلامه للحكم من المتصرف التركي باحثاً عن سيد آخر، فعقد معاهدة صبيا مع الإدريسي والتي تعطي للثاني حق السيادة على عسير وجمع زكاتها، واستلام جميع الأسلحة التي تركها العثمانيون، ويكون بموجبها حسن آل عايض حاكماً باسم الإدريسي في عسير يتقاضى راتباً شهرياً قدره ألف وخمسمائة ريال فرانسي[(١)]، فسقطت قيمة حسن كحاكم مستقل لعسير سلمته الدولة العثمانية إمارة مستقلة واسعة النطاق، وشعر العديد من المشايخ بضعف القيادة وانهزاميتها السريعة، لذا تجرأ بعض من مشائخ القبائل ذوي الطموح إلى مد خطوط التواصل الخاصة مع الإدريسي الذي كان يملك المال والقوة من خلال الدعم الإيطالي ثم الانجليزي لتكريس قوتهم محلياً[(٢)]، وهو ما شعر بخطورته حسن بعد فوات الأوان، ولكن لم يكن لديه الجرأة على منع هذا التواصل بقرار مستقل في ظل تسليمه هو للإدريسي بالسلطة، فبدأ في التفاوض مع شريف مكة بإرسال ابن عمه محمد بن عبدالرحمن بن عايض لقطع الطريق على الإدريسي الذي كان يسعى لتقليص نفوذ حسن في عسير وإنشاء رؤوس أخرى فوق جبال السراة من مبدأ فرق تسد كما يقول الشيخ هاشم[(٣)] لتكريس مركزيته وإبعاد الحسن عن أي طموحات استقلالية في المستقبل، فأبرم محمد بن عبدالرحمن اتفاقية أخرى تخضع عسير لشريف

---

(١) رفيع، في ربوع عسير، ص٢٥٢ ; واقرأ بنود الاتفاقية لدى هاشم النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، طبعة المئوية ١٤١٩هـ، ص٣٣٤، ٣٣٥.

(٢) النعمي، تاريخ عسير، طبعة المئوية، ص٣٣٥.

(٣) النعمي، تاريخ عسير، طبعة المئوية، ص٣٣٥.

مكة[١]، فتحقق للشريف أيضاً طموحه القديم بالاستقلال بعسير كجزء من إمارته، وإن كان الأمر لم يتجاوز حدود الورق، وهنا أوقف حسن بن عايض في بداية عام ١٣٣٨هـ علاقته بالإدريسي الذي أقدم على احتجاز الرسل العسيريين على إثر ذلك، ومن ثم شن الإدريسي حملة عسكرية كبرى وجهت إلى عسير السراة من اتجاهين أحدهما عن طريق بلاد قحطان والأخرى عن طريق باحة المغوث في بلاد ربيعة[٢]، فبدأ حسن في استنفار الحشود العسيرية وقد اضطر إلى استعمال القوة لإعادة أحد مشائخ عسير الذين رفضوا الانضمام للجيش العسيري[٣]، وهنا بقيت ثلاث قبائل فقط من عسير السراة[٤] التي ورث حسن بن عايض السلطة فيها من الدولة العثمانية وهي كل من بني مالك وعلكم وبني مغيد بدافع الحمية القبلية العسيرية، بينما رفض بعض المشايخ والأعيان في القبيلة الرابعة وهي ربيعة ورفيدة الانصياع له، بينما كانت قبائل رجال ألمع كاملة منضوية في جيش الإدريسي الذي كان يحظى بتأييد أسرة آل الحفظي التي كان لها تأثير قوي على التوجه العام هنالك، كما انضمت قبيلة رفيدة اليمن وقبيلة قحطان إلى جيش الإدريسي، بالإضافة لعدد من فرق الجنود الصوماليين المرتزقة الذين جندهم البريطانيون مع الإدريسي[٥].

ورغم استبسال الرفيديون في قرية مصاولي بقيادة الشيخ ابن مرعي المؤيد للإدريسي في المقاومة في جهة بلاد ربيعة ورفيدة[٦]، واستبسال قبيلتي رفيدة اليمن وقحطان في البطحاء[٧] ورغم تأييد جزء من قبيلتي بني مغيد وعلكم لجيش الإدريسي منذ وصوله إلى رجال ألمع[٨]، فقد تمكن الجيش العسيري المكون من بقية عسير السراة[٩] من تحقيق النصر على جيوش الإدريسي بكاملها في الجبهتين وألحقت به هزيمة ماحقة[١٠] وسط ذهول الجميع من ذلك النصر الذي لم

---

(١) النعمي، تاريخ عسير، طبعة المثوية، ص٣٣٦.
(٢) النعمي، تاريخ عسير، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ، ص٢٤٨، ٢٥٠.
(٣) النعمي، تاريخ عسير، طبعة المئوية ١٤١٩هـ، ص٣٤١.
(٤) رفيع، في ربوع عسير، ص٢٥٣، ٢٥٤.
(٥) النعمي، المصدر السابق، ص٣٤٢.
(٦) النعمي، المصدر السابق، ص٣٤٢ ـ ٣٤٥.
(٧) النعمي، المصدر السابق، ص٢٤٢.
(٨) النعمي، المصدر السابق، ص٢٤٧.
(٩) النعمي، تاريخ عسير، ط١، ١٣٨١هـ، ص٢٤٩.
(١٠) آل زلفة، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ص٢٢.

يكن متوقعاً على الإطلاق في ظل عدم تكافؤ القوى بين الطرفين لا عددياً ولا من حيث الإمكانيات والسلاح.

على إثر هذه الهزيمة شعر الإدريسي بالخطر وبداية العد التنازلي لفترة حكمه، فهو لم يستطع تحقيق النصر في ظل تأييد جزء كبير من قبائل المنطقة له، ومع وجود انقسام كبير داخل الصف العسيري الذي سترسخ وحدته ويتوسع نفوذه لا شك بعد هذا النصر، فبدأ فوراً في مراسلة الملك عبدالعزيز وتحريضه على غزو عسير[١]، ولم يكن الإدريسي وحده الدافع إلى تحرك الجيوش السعودية إلى عسير فقد كانت الرسل تصل إلى الملك عبدالعزيز من الكثير من المشايخ في المنطقة الذين لم يكونوا على قناعة بأهلية حسن بن عايض بالحكم، وكانت شهرة الملك عبدالعزيز قد تجاوزت الآفاق بعد انتصاراته المتتالية وخاصة بعد معركة تربة مما أعطى الثقة في جوء المعارضين كافة في منطقة عسير إليه، خاصةً وأن هنالك علاقة تاريخية لعسير بالدولة السعودية منذ الدولة السعودية الأولى، وهنا حضرت الجيوش السعودية في عام ١٣٣٨هـ بقيادة عبدالعزيز بن مساعد وانضمت إليها بادية قحطان وشهران طمعاً في المغنم[٢]، بينما كان الجيش العسيري يتكون من قبائل عسير السراة الأربع فقط.

قرر العسيريون أن تكون حجلا في الركن الجنوبي الشرقي لبلاد بني مالك عسير هي موقع المعركة الأول حيث تقف حصون حجلا وبيوتها مساندة للعسيريين نظراً لتفوق الخصم العددي وتفوقه في نوعية وكمية السلاح[٣]، وكانت حجلا مهيأة لهذه المهمة تاريخياً فقد جهزت بعدد من القلاع كإحدى نقاط الدفاع عن عسير من جهة الشرق[٤]، على أن تكون أبها هي قلعة الدفاع الثانية، فبقي جزء من الجيش العسيري معظمه من الراجلة في أبها، واتجه جزء آخر من عسير إلى حجلا، وبقي الجيش العسيري في انتظار جيش ابن مساعد لمدة يومين[٥]، إلى أن وصل الجيش السعودي بعد مفاوضات ومراسلات لم تسفر عن حل، فبدأت المعركة وكانت شديدة الوقع حتى قتل الكثير من الطرفين، وقد استمرت الحرب بضراوتها لمدة يومين، إلا أن الكثرة وحسن التسليح في الجيش السعودي وانضمام قبائل المنطقة الأخرى إليه رجح بكفة الحرب، فاستمرت

---

(١) النعمي، المصدر السابق، ص٣٤٨.

(٢) آل زلفة، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ص٢٩.

(٣) آل زلفه، عسير في عهدالملك عبدالعزيز، ص٣٥.

(٤) فيلبي، المرتفعات العربية، ترجمة حسن مصطفى حسن، مكتبة العبيكان، ج١/ ص٢٦٨.

(٥) رفيع، في ربوع عسير، ص٢٥٦.

المقاومة بعدها فقط من بيوت أهالي حجلا لعدة أيام وقتل دونها عدداً كبيراً من الجيش السعودي، ولكن في النهاية انتصر ابن مساعد، وتعد هذه المعركة في نظر بعض المؤرخين واحدة من أهم المعارك في تاريخ المنطقة[1]، وكان من المفترض حسب الخطة التي وضعها العسيريون أن تكون أبها موقع المعركة التالية في حالة سقوط حجلا، فبها عدد من قطع المدفعية ومن المقاتلين المتحصنين[2]، بالإضافة لقلعة شدا الحصينة وقلعة أبو خيال وقلعة ذرة وقلعة شمسان التي بناها الأتراك على أساس دفاعي، إلا أن أفراد أسرة آل عايض الذين كان منوطاً بهم القيام بقيادة الجموع للمقاومة في أبها تخاذلوا وبدؤوا في نقل أملاكهم وأبنائهم وأهلهم للقرى الجبلية فور علمهم بالهزيمة في معركة حجلا مما أدى إلى انتشار الذعر في أبها فدخلتها الجيوش السعودية بسهولة وقامت بقتل كل من فيها من العجزة والمستضعفين الذين منعهم آل عايض من مغادرة أبها كما يقول محمد رفيع[3]، وسيطر السعوديون على أبها، ولجأ حسن بن عايض ومن معه من آل عايض إلى الحرملة في جبال ريدة، ولكنه سرعان ما اتجه إلى إيثار السلامة، فقد حضر ومن معه من أسرته وسلموا أنفسهم لابن مساعد في أبها فقام بإرسالهم إلى الرياض[4].

كان لأحداث هذه الحرب وما سبقها أثره الكبير لدى العسيريين الذين فقد عدد كبير منهم في معركة حجلا، وطاف جنود ابن مساعد في قرى عسير باحثين عمن شاركوا في الحرب، فاقتحموا المنازل كما يروي معاصروها وقتل عدد من العجزة في أبها والقرى العسيرية الأخرى في بيوتهم، ودماؤهم أعلق بذمة آل عائض الذين نجوا بأنفسهم من هذه المذابح منها بأعناق الجيش الفاتح كما يقول أحد مؤرخي عسير[5]، فقد كان آل عايض أول المنخذلين من أبها ثم سلموا أنفسهم في النهاية وآثروا السلامة على أنفسهم قبل أن تصلهم الجيوش في الحرملة وقبل أن يستهلك جهد محاربيهم في أبها رغم الهزيمة وكثرة القتلى في حجلا، وكان قائد معركة حجلا (محمد بن عبدالرحمن) أحد الناجين الذين توجهوا للحرملة فوراً منذ رجحت كفة الجيش النجدي في بداية المعركة، بينما بقي العسريون يقاومون من منازلهم في حجلا عدة أيام بدون قيادة، وقتل من الطرفين أعداد كبيرة[6].

---

(١) آل زلفه، عسير في عهدالملك عبدالعزيز، ص٣٦.

(٢) رفيع، في ربوع عسير، ص٢٥٦.

(٣) رفيع، في ربوع عسير، ص٢٥٦.

(٤) رفيع، في ربوع عسير، ص٢٥٧.

(٥) رفيع، في ربوع عسير، ص٢٥٦.

(٦) آل زلفة، عسير في عهد الملك عبدالعزيز، ص٣٥، ٣٦.

على إثر هذه الأحداث بالإضافة لوجود روح رافضة لعودة أي أسرة آل عايض إلى حكم عسير لم تزل متوارثة لدى الكثير من الأسر العسيرية، فقد أرسل مشائخ قبائل عسير السراة الأربعة كل من عبدالعزيز بن عبدالوهاب المتحمي شيخ قبيلة ربيعة ورفيدة، وعلي بن معدي شيخ قبيلة بني مالك، وأحمد بن سعد بن مفرح شيخ قبيلة بني مغيد، وأحمد بن حامد شيخ قبيلة علكم برسالة إلى الملك عبدالعزيز مطالبين بعدم إعادة حسن بن عائض وابن عمه محمد بن عبدالرحمن إلى عسير، بل وألحوا في الطلب بعدم السماح لهما بالعودة إلى عسير[١]، وسلم العسيريون للحكم السعودي تسليماً تاماً، فلهم معه تاريخ من التضامن والولاء منذ عهد الدولة السعودية الأولى والثانية، وكان حسن بن عايض في نفس الوقت يشعر بما وجه له من لوم من قبل العسيريين بعد أحداث المعركة، وبعدم ثقتهم فيه ولا في أقاربه بعد ذلك، لذا رفض العودة إلى عسير في البداية عندما عرضت عليه[٢].

أكرم الملك عبدالعزيز حسن بن عايض وأحسن مثواه، وترك له حرية العودة إلى أبها[٣] بعد أن اطمأن إلى نفور الناس في عسير من حكمه ورأى أن استسلامه طواعية إلى القيادة في أبها يدل على إعراضه عن العودة إلى الحكم في عسير واقتناعه بالتوقف عن الطموح به والتسليم للدولة السعودية، ولكن الوضع في عسير كان قد بدأ يسوء منذ ما قبل ذلك.

عندما عاد حسن بن عايض إلى عسير فقد استقر في الحرملة، وانزوى بها واعتزل الحياة السياسية في عسير[٤] بالفعل، وبقيت عسير تحكم من قبل الأمراء المعينين من الدولة السعودية، إلا أن تصرفات جماعة الأخوان والتي كانت تطوف بالقرى في بلاد عسير بجموع من الفرسان والجمالة تصل إلى مئات من الفرسان والجمالة من أهل البادية فتتعدى على أملاك الناس ومزارعهم وتتصرف بغطرسة تتجاوز ما يستحقونه من مكانة في نظر المجتمع المحلي لم تكن مرضية للسكان في عسير، ومثلها كانت تصرفات أخويا الإمارة في أبها حيث كانوا يتعدون على الناس بالإساءة في السوق، وقد أدت كثرة تجاوزات الأخوان والأخويا إلى تذمر الناس منهم، فأرسل أهالي عسير رسالة للملك عبدالعزيز وكرروا الشكوى من هذه التصرفات فاستبدل الملك عبدالعزيز أمير عسير في حينه شويش الضويحي بابن سويلم[٥]، إلا

---

(١) سليمان، حسن حسن، الأمير عبدالعزيز بن مساعد حياته ومآثره، ص٨٧.

(٢) رفيع، في ربوع عسير، ص٢٥٧.

(٣) رفيع، في ربوع عسير، ص٢٥٧.

(٤) رفيع، في ربوع عسير، ص٢٥٧، ٢٥٨.

(٥) - رفيع، في ربوع عسير، ٢٥٩.

= =

أن تصرفات جماعة الأخوان وأخويا الأمارة لم تتوقف، فرفعوا شكوى أخرى إلى الملك عبدالعزيز فاستبدل ابن سويلم بفهد العقيلي[١] إلا أن الأمر لم ينته، فكان أن تشاور أعيان وشيوخ عسير في ظل الحنق المتنامي لدى كافة العسيريين، ورؤوا أن الأمر لم يعد يطاق فقرروا طرد الأمير والحامية السعودية لما لقي الناس من ظلم وإهانة، وهنا اجتمعت قبائل عسير السراة الأربع بقيادة بعض مشايخها وأعيانها وحاصرت قصر الحكم (شدا) عام ١٣٤٠هـ حتى استسلمت الحامية[٢]، وقد اتجه بعض المقربين من حسن بن عايض لدعوته للمشاركة في الحصار[٣] رغم أن جزءاً كبيراً من الثوار لم يكونوا راغبين في ذلك، وبعد إلحاح شديد عليه حضر وكان خائفاً من وخامة العاقبة كما نقل رفيع عن أحد المعاصرين للأحداث[٤]، وأخلي سبيل الحامية السعودية بعد استسلامها للعودة للرياض وشُرِط عليها عدم البقاء في حدود منطقة عسير وعدم التعرض لأي قبائل عسير[٥]، إلا أن العقيلي لم يف بوعده فتوقفت الحامية في خميس مشيط واستقرت هناك بتأييد من الشيخ سعيد بن مشيط شيخ قبيلة شهران والشيخ ابن دليم شيخ قبائل قحطان[٦]، فبدأ العقيلي والقبائل الموالية له في التعرض لقبائل عسير بالغزو والإغارة في الوقت بعد الوقت[٧]، فغزت قبائل عسير السراة خميس مشيط، وبعد معركة دارت هناك ألقى العسيريون القبض على العقيلي وأعوانه، واستمرت قبائل عسير زحفها حتى وصلت قرية آل عابس في بلاد آل الصقر بعبيدة[٨].

= =

- العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، ط٩، ١٤٣٠هـ ج٢، ص١٧٧، ١٧٨.

(١) - رفيع، نفس المصدر السابق والصفحة.

- العثيمين، نفس المصدر السابق والصفحة.

(٢) ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، (عسير إنموذجاً)، ط١، الرياض، ١٤٢٦هـ، نص وثيقة ابن إلياس، ص٤٣٨.

(٣) - رفيع، نفس المصدر السابق والصفحة.

- العثيمين، نفس المصدر السابق والصفحة.

(٤) رفيع، في ربوع عسير، ٢٥٨.

(٥) رفيع، في ربوع عسير، ٢٥٨.

(٦) النعمي، تاريخ عسير، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ، ص٢٥٦.

(٧) رفيع، في ربوع عسير، ٢٥٨.

(٨) ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، (عسير إنموذجاً)، ط١، الرياض، ١٤٢٦هـ، نص وثيقة ابن

= =

لم تكن القبائل العسيرية التي ثارت رافضة للحكم السعودي ولم يكن قد هزها الشوق إلى حكم حسن بن عايض الذي لم يكن قادراً على قيادة البلد إلى المرفأ الآمن منذ خروج الدولة العثمانية، فقد كان الجزء الأكبر من العسيريين الذين شاركوا في هذه الأحداث من المؤيدين للحكم السعودي والرافضين لوجود حسن بن عايض على رأس السلطة في عسير، ويتضح ذلك من خلال الرسالة التي وجهها مشايخ عسير السراة قبل ذلك للملك عبدالعزيز فور وصول القوات السعودية إلى أبها ورحيل الحسن وأسرته إلى الرياض والتي يطالبون فيها بعدم عودته إلى عسير بل ويلحون في الطلب[1]، ولكن تلك الحرب كانت ثورة شعبية ضد همجية وجهل جماعة الأخوان والأخويا والتي لم يسلم منها حتى حجاج بيت الله الحرام حيث هاجمت هذه المجموعة قافلة من الحجاج اليمنيين العزل عددها حوالي ثلاثة آلاف حاج في أسافل وادي تنومة فأبادتهم تقريباً حتى أنه لم يبق منهم إلا أشخاص معدودين[2]، لذا كانت القبائل الأكثر تضرراً هي الأكثر حماساً في تلك الأحداث كما يروي المعاصرون لها، وبعد أن هدأت النفوس وأشفت غليلها بتلك العملية، فقد راسل عدد من مشايخ عسير وأعيانها الملك عبدالعزيز، فشرحوا له ما حدث من تجاوزات جماعة الأخوان وأخويا الأمارة، وأوضحوا له الصورة، فوعد بتغيير الوضع تماماً وإيقاف نشاط جماعة "الأخوان" و"الاخويا" في عسير[3]، وقد وفى بوعده فعلاً، فقد أصدر قراراً يقضي بإيقاف تجوال قوات الأخوان في قرى عسير[4]، وعدم إرسال طارفة مع الأمير في أبها منعاً لحدوث مشاكل في المستقبل[5].

في عام ١٣٤٠هـ وصلت حملة الأمير فيصل بن عبدالعزيز على عسير إلى بيشة، وكانت

= =

إلياس، ص٤٣٩.

(١) سليمان، الأمير عبدالعزيز بن مساعد حياته ومآثره، ٨٧.

(٢) أبو راس، عبدالله بن سعيد بن أحمد، رجال حول الملك عبدالعزيز ـ عبدالعزيز بن ابراهيم، ط١، ١٤١٦هـ ص١٨٤، ١٨٥.

(٣) لدى الكاتب بعض صور هذه الرسائل.

(٤) آل زلفة، عسير في عهدالملك عبدالعزيز، ٣٩.

(٥) نفس المصدر والصفحة

قبيلة بني شهر في حينها مرتبطة بالشريف حسين في مكة منذ أواخر عهد الدولة العثمانية[١] والذي كان أشد أعداء الدولة السعودية في حينه، فأوعز لها بمواجهة الحملة أثناء مرورها ببيشة، (ذكرت بعض المصادر أن بني شهر لم تكن معنية بجيش الملك فيصل بل كانت في طريقها إلى بيشة في ثارات قبلية[٢]، فخرج مقاتلي قبيلة بني شهر إلى بيشة، فهاجمهم الأمير فيصل فقتل منهم ما يقرب من مائتي قتيل وتشتت البقية[٣]، ووصلت الحملة إلى تخوم خميس مشيط، وكان حسن قد واجه رفض معظم القبائل العسيرية مناصرته ولم يستنفر معظم مشائخ القبائل مقاتلي قبائلهم حسب العرف المعتاد، فخرج ابن عمه محمد بن عبدالرحمن بن عايض ومعه أقلية من بعض قبائل عسير السراة إلى شرق حجلا بقرب وادي عتود، ولكن ما أن وصل الجيش السعودي خميس مشيط وعلم قائد الجيش العسيري بوصوله حتى انسحب الجيش وقائده دون حرب[٤]، فتقدم الملك فيصل إلى أبها التي كانت هذه المرة خالية من السكان ودخلها دون عناء[٥]، وتوجه حسن بن عايض بعدها ليتحصن في الحرملة ذات المناعة الطبيعية فهاجمته سرية من الجيش السعودي رافقها (ابن مشيبة) شيخ قبيلة بني مغيد وبعض رفقاه للوساطة في استسلام الحسن أو لمساعدة الحملة كما يقول الشيخ هاشم[٦]، أو لعلهم كانوا أدلة على الطرق للوصول إلى الحرملة، ففوجئت الحملة في جبل رهمة بكمين نصبه يحي الحياني شيخ قبيلة "بني زيد" وقبيلته فجرت معركة دامية انتهت بتقهقر المدافعين إلى سفوح الحرملة وشكل المدافعون عن الحسن خطاً أفقياً للدفاع عنه إلا أن القوة المهاجمة تكاثرت فتراجع المدافعون، وكان قد أسدل الليل، وقد تمكن الحسن بن عائض من الفرار صباحاً عندما استؤنف القتال[٧]، ومن هناك اتجه حسن بن عايض إلى شريف مكة فأرسل معه عام ١٣٤١هـ حملة بقيادة كل من الشريف عبدالله بن حمزة بن راجح والقائد حمدي بك يرافقها كل من حسن بن عايض وابن عمه محمد لإعادتهما إلى الحكم وقد انضمت للحملة القبائل الواقعة شمال منطقة عسير، وبعد وصول الحملة إلى بلاد بللحمر قرر

---

(١) Cornwallis, Asir Before world war, P. 25.

(٢) النعمي، تاريخ عسير، طبعة الدارة، ص٣٦٤.

(٣) النعمي، تاريخ عسير، ط١، ١٣٨١هـ، ص٢٥٧.

(٤) النعمي، تاريخ عسير، طبعة المتوية،٣٦٤، ٣٦٥.

(٥) رفيع، في ربوع عسير، ٢٥٩.

(٦) النعمي، تاريخ عسير، ط١، ١٣٨١هـ، ٢٥٧.

(٧) النعمي، نفس المصدر السابق، ٢٥٧، ٢٥٨.

بعض الأعيان في عسير دخول الحرب إلى جانب الدولة السعودية منعاً لعودة حسن بن عايض إلى عسير، وهنا اجتمع بعض أهالي عسير من المتحمسين في قرية مسلت إحدى قرى قبيلة التلادة شمال بلاد بني مالك عسير، وتحركت الحامية السعودية من أبها وكان معها بعض مشايخ قحطان، واتجه الطرفان إلى المسوح وكان العدد محدود جداً، ومن هنالك اتجه الجيش المكون من الحامية السعودية وبعض أهالي عسير[١] إلى الدرجة شمالي بلاد عسير، ودارت معركة رجحت الكفة فيها لصالح جيش الشريف لفارق العدد، فقتل عدد كبير من العسيريين المشاركين في تلك المعركة على يد جيش شريف مكة ومن معه، ولكن الحامية السعودية كانت قد أعدت نفسها للدفاع الطويل عن قصر شدا، فعادت لتتحصن في القصر وانضم إليها شيخ قبيلة بني مغيد ومعه نواب قرى بني مغيد الاثني عشر، بالإضافة إلى شيخ علكم وبعض رفاقه[٢]، وبدأ الشريف في قصف قصر شدا لمدة عشرون يوماً إلا أنه لم يتمكن من اقتحام القصر وقد تخلت عن حسن بن عايض وجيش الشريف المرافق له في هذه المعركة كل قبائل عسير السراة فلم تناصره أي القبائل بما فيها تلك التي لم تشارك ضد جيش الشريف في معركة الدرجة، بل واجه الجيش أثناء الحصار حرب عصابات من بعض القبائل المحلية المناوئة لعودة حسن بن عايض إلى الحكم، ففقد جيش الشريف بعض من الجنود والذخيرة على يد المهاجمين، وبعد عشرين يوماً من حصار القصر دون جدوى عاد الشريف إلى مكة متعللاً بدخول الجيش السعودي إلى مشارف الطائف وتخلى عن حسن بن عايض الذي لجأ إلى الحرملة مرة أخرى[٣] بعد أن أحرج موقفه ولم يعد له من نصير بعد أن واجه الرفض العسيري لعودته إلى عسير، ومن ثم عاد ليسلم نفسه لأمير أبها منهياً بذلك كل طموحاته وتم نقله إلى الرياض[٤] وبذلك انتهى عهد الدولة العثمانية وورثتها في عسير.

من خلال سرد هذه القصة التي يتضح لنا تفرق الرأي وتبدله في عسير حول تأييد أو رفض حكم حسن بن عايض الذي وضعته الدولة العثمانية على عسير، وما صاحب ذلك من مناكفات قبلية بين القبائل والعشائر والأسر المحلية التي انقسمت بين مؤيد ورافض، بل وحملت السلاح ضد بعضها البعض، ورغم إجماع الجميع أخيراً على التخلي عن حسن بن عايض بل والوقوف إلى

---

(١) النعمي، تاريخ عسير، الطبعة الأولى ١٣٨١، ص٢٥٩.

(٢) ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ط١، ١٤٢٦هـ، مذكرة الرحمن بن إلياس، ص٤٣٥ ـ ٤٥٠.

(٣) النعمي، تاريخ عسير، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ ص٢٥٩.

(٤) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

جانب الدولة السعودية ضده، حتى خاصته، فإنه كان لتسارع الأحداث وتغير الولاءات خلالها والتناقضات التي حملتها هذه المرحلة وما أدت إليه من ارتباك وانفراد كل قبيلة وعشرية بقرارها أثره على الحالة النفسية العامة، إلى أن دخلت الدولة السعودية عسير، وانتهت تماماً سيرة الدولة العثمانية وولاتها كل من المدعو / عايض بن مرعي وابنه محمد وحفيده حسن من ذاكرة العسيريين.

٨- عسير والدولة السعودية

منذ خروج مجموعة إمتاع السامر إلى الوجود، فقد سعت بكل ما فيها من حيل وأكاذيب إلى إيجاد فكرة خاطئة حول علاقة عسير بالوطن، ومحاولة التشكيك في انتماء أبنائها لبلادهم التي يشكلون إحدى دعاماتها الرئيسية، وتحريض العسيريين على الكراهية والتهيئة لتمزيق وحدة الوطن، بينما لم يتمكن من يقفون خلف هذا التزوير ممن نعرفهم جيداً أن يعلنوا عن أنفسهم كمعارضين حقيقيين كما يفعل الرجال، ليحضوا على الأقل ولو بشيء من الإحترام، فهم من أشد الناس نفاقاً وتملقاً، بينما على الجانب الآخر لا يتورعون عن تحريض العسيريين على استعداء الوطن.

والحقيقة هي أن انتماء عسير إلى الدولة السعودية هو الوضع الطبيعي لعسير عبر تاريخها وتاريخ الدولة السعودية، فعسير تعد جزءاً مؤسساً في الدولة السعودية، وعضواً متكافئاً مع أي بقية أعضائه دون زيادة ولا نقصان، وليست عضواً ملحقاً كما تحاول تصويرها كتب الظلام.

فالعسيريون شاركوا وبمحض إرادتهم في وضع اللبنات الأولى لبناء هذا الوطن، بل وكانوا رأس حربة لامتداد الدولة السعودية في الجهة الغربية والجنوبية الغربية من الجزيرة العربية، لذا فمنذ دخول عسير في سلك دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، ومناصرة الدولة السعودية في الدرعية في بداية القرن الثالث عشر أصبحت الحرمين الشريفين جزءاً أساسياً من هذا الوطن، ولم ينفصلا إلا فترات متقطعة بتدخل القوى الخارجية، وأصبحت الدولة السعودية مطلة بشكل طبيعي على سواحل البحر الأحمر.

فهذه الأرض هي التي اعتنق صغارها وكبارها ورؤساؤها وعامتها دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على يد بعض أبنائها كما يقول المؤرخ جحاف[1] دون أن تصل إليهم الجيوش، وهي التي بقي أهلها حاملين لواء الدعوة حتى بعد سقوط الدرعية عام ١٢٣٣هـ، بل أصبحت

---

(١) جحاف، مصدر سابق، ص٤٠٠ ـ ٤٠٣.

عسير مركز الدعوة بعد سقوط الدرعية كما يقول تاميزيه[١]، وعندما عادت الأمور في الدرعية إلى الدولة السعودية سارع أمراء عسير سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل إلى التواصل معها وأعلنوا ولاءهم لها كما تقول الوثائق العثمانية[٢]، ومن ثم فما أن انضوت عسير تحت لواء الدولة السعودية الثالثة على يد الملك عبدالعزيز رحمه الله حتى كان رجالها في مقدمة الجيوش السعودية في حصار جدة حيث شارك من منطقة عسير ألفان وخمسمائة مقاتل في حصار جدة[٣] كان لهم دوراً مشهوداً في تدمير المدفعية العثمانية وترجيح الكفة السعودية، ثم شارك العسيريون في حروب الحديدة، وباقم، والقهر الأولى، والثانية، ثم شارك بعض رجالها في جيوش الملك عبدالعزيز الفاتحة في شمال الجزيرة العربية، وفي حرب الوديعة، وفي حادثة الحرم كان رجالها مع البقية من أبناء المناطق الأخرى للذود عن مقدسات هذا الوطن، بل كان لهم أثراً متميزاً في هذه المعارك حتى أن ٢٥٪ من الشهداء و٢٥٪ من الجرحى في معركة تحرير الحرم هم من أبناء قبيلة عسير فقط والتي تشكل واحدة من قبائل المنطقة، بينما شكل أبناء المنطقة كاملة نسبة ٨٠٪ من الشهداء في هذه الحادثة[٤]، ولا زال أبناء هذه الأرض كغيرهم من أبناء الوطن يشكلون درعاً قوياً لأمنه، وجزءاً فاعلاً في تحقيق نهضته العمرانية والاقتصادية والفكرية والرياضية والفنية، فلا يخلوا مضمارٌ في التسابق إلى الرفعة والإبداع إلا وتجد لهم فيه يداً طولى في شتى الميادين.

---

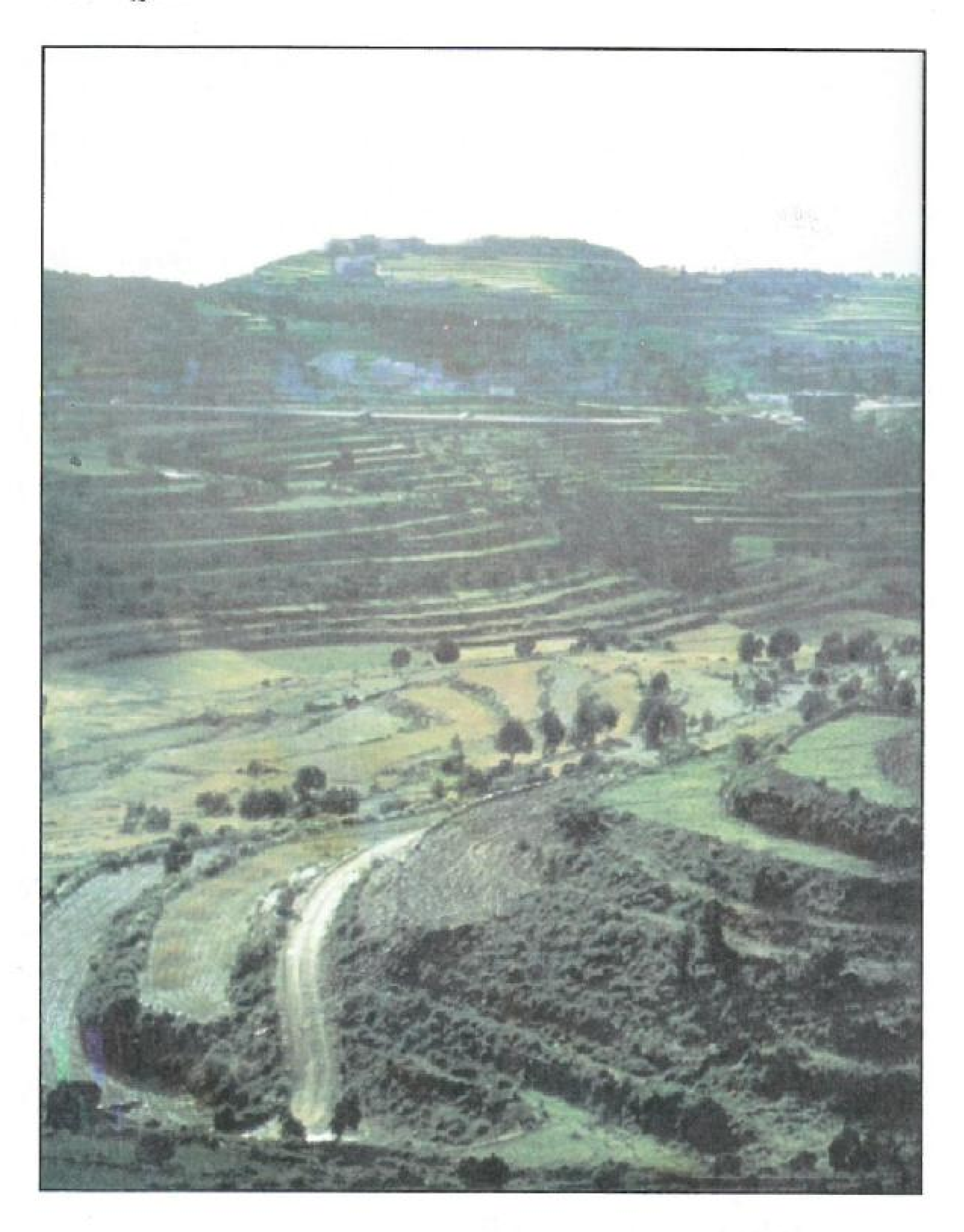
(١) تاميزيه، مصدر سابق، ص٣٢، ٣٣.

(٢) محفظة ٩ بحر برا، ترجمة الوثيقة ٦٦، مؤرخة في ٧ ربيع الأول ١٢٤٠هـ، من أحمد باشا محافظ مكة إلى صاحب الدولة والعناية ومزيد المرحمة وولي النعم، انظر علي عسيري، ص١٤٤.

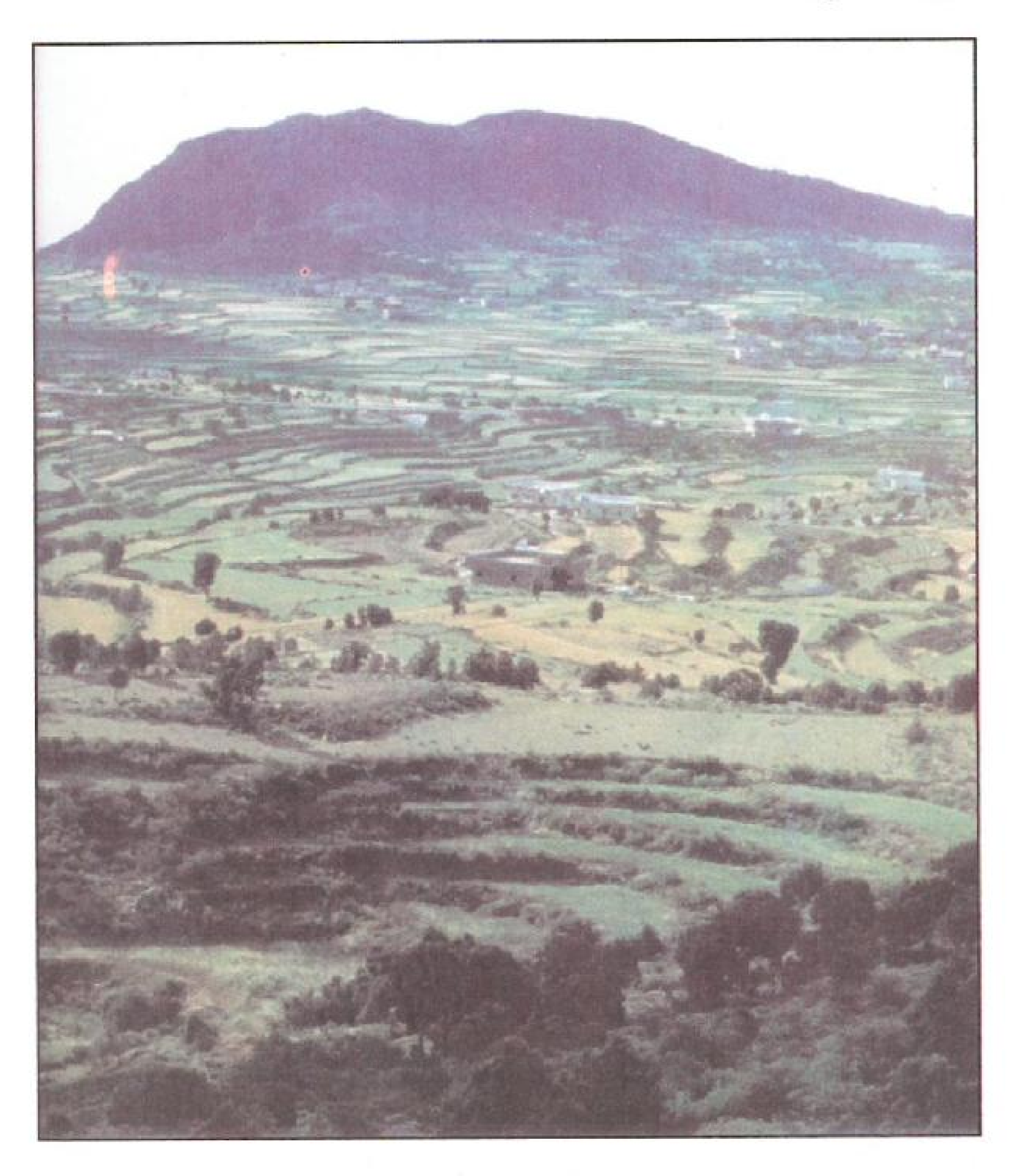
(٣) وثيقة ابن إلياس (أحد موظفي الدولة المعاصرين للأحداث)، انظر غيثان بن جريس، دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية، ص٣٣.

(٤) إنظر لقائمة الشهداء والمصابين في حادثة تحرير الحرم لدى سعود بن هذلول، ط٢، ١٤٠٢هـ، ج١ / ص٣٩٠ ـ ٤٠٦.

الصور

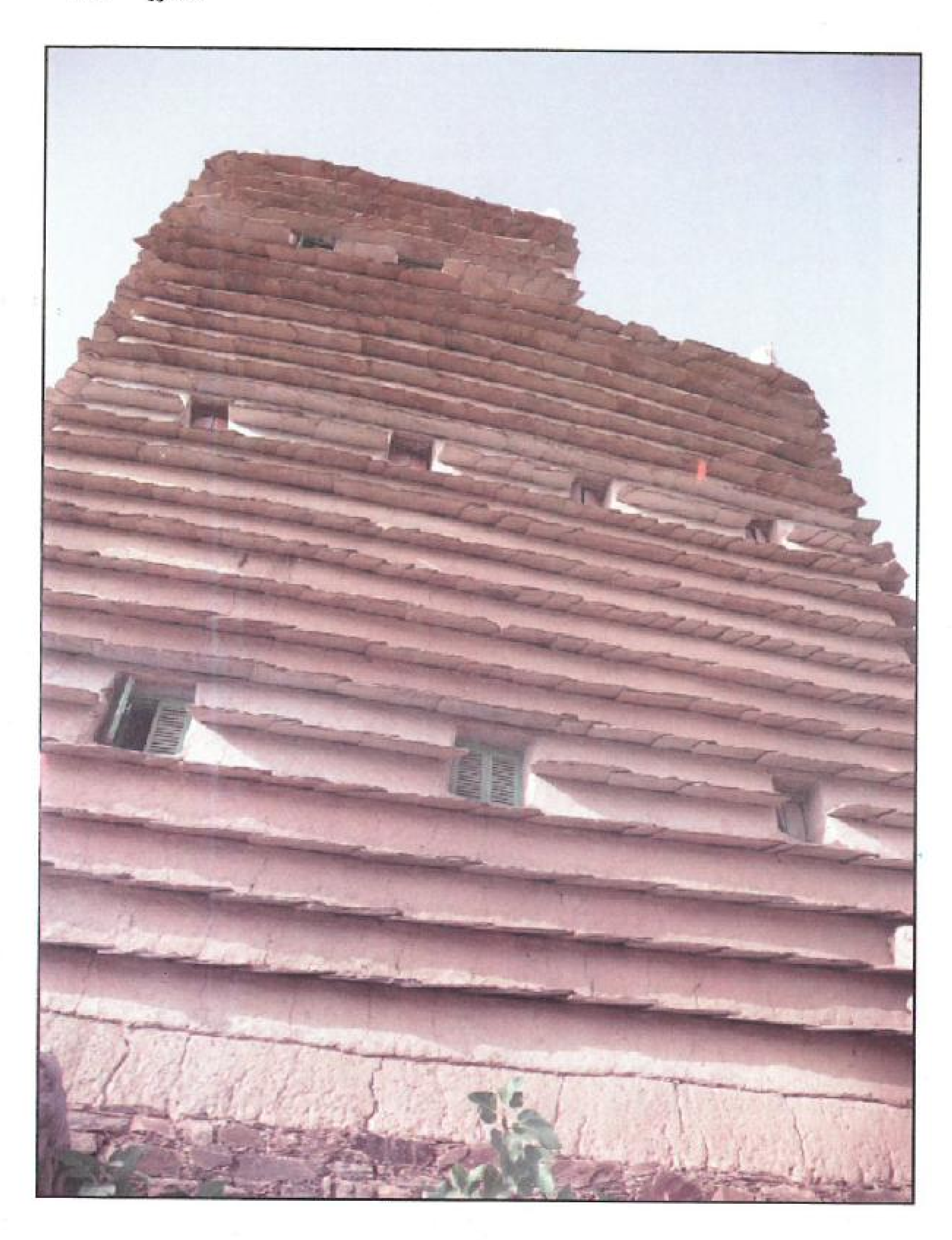


مدرجات جبلية، قرية آل النجيم، بلاد علكم
وهبي الحريري

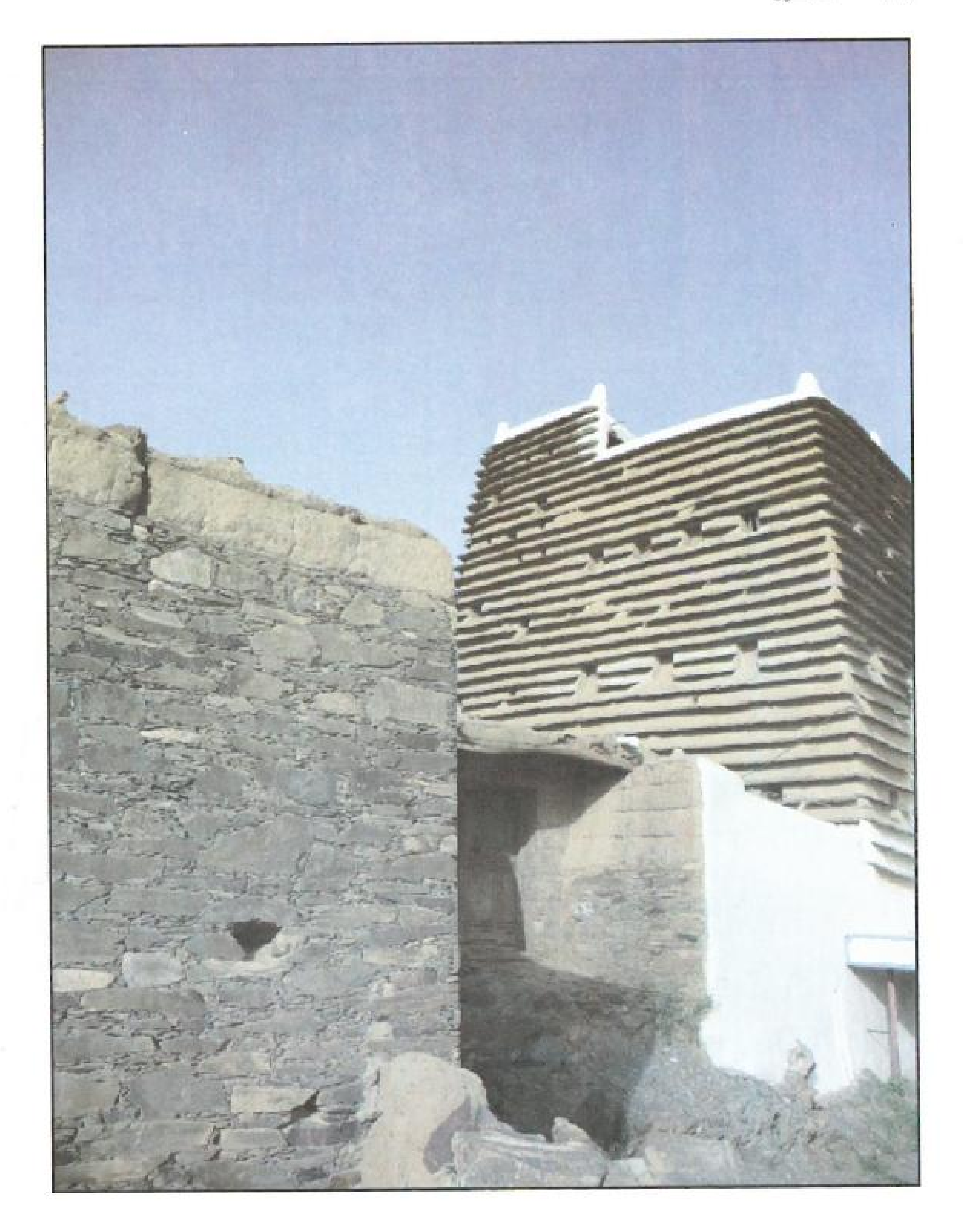


صورة مدرجات جبلية، شمال غرب مدينة أبها (باحة ربيعة)، ونرى نمط المدرجات الجبلية التي تمتد على طول جبال السروات في إقليم عسير ما بين الطائف وأبها

وهبي الحريري "عسير تراث وحضارة"



طريقة رصف الحجر الأردوازي حول المنازل في بلاد عسير (مسلت)



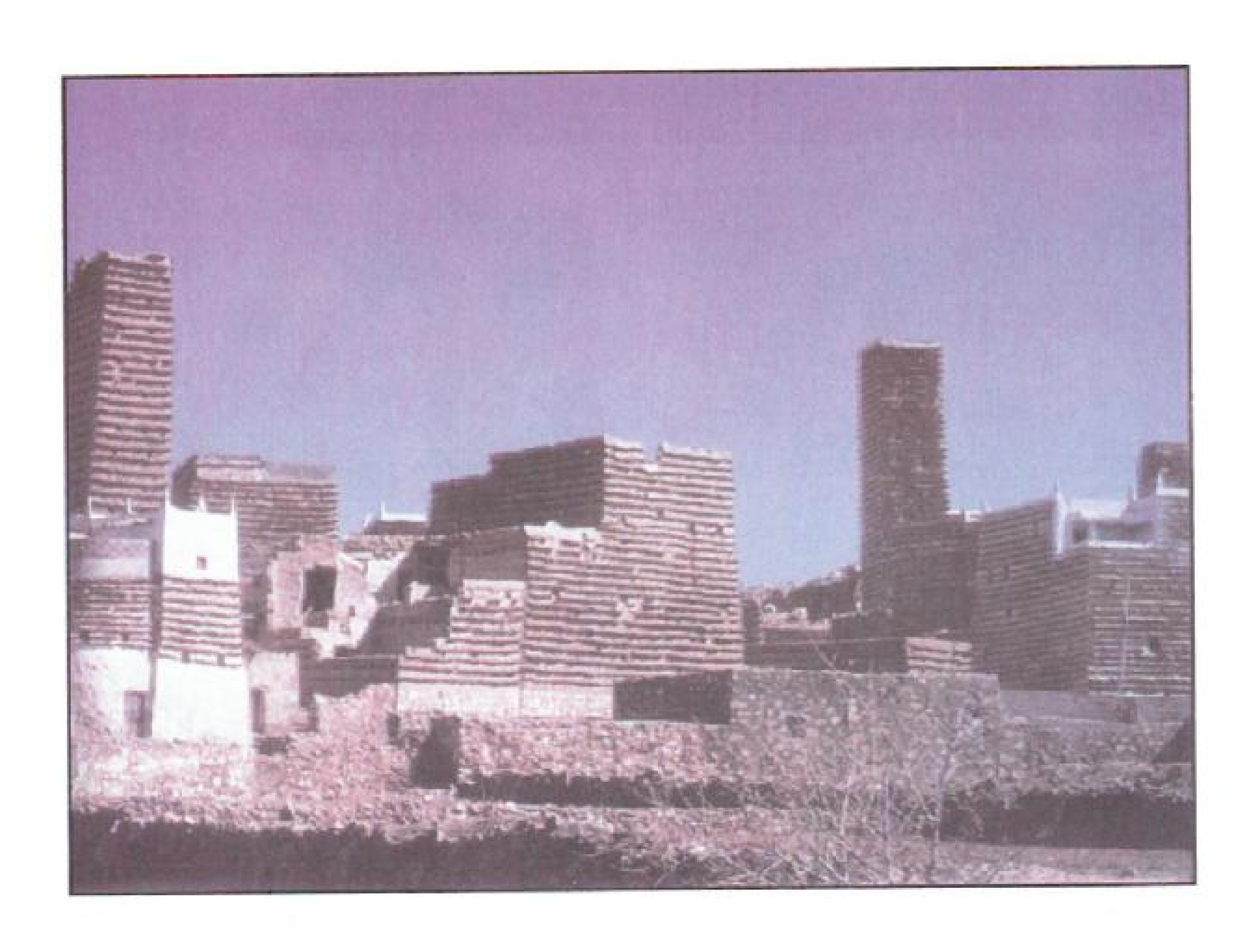
منزل يمثل النمط التقليدي للبناء في عسير (مسلت)

بكاميرة الكاتب



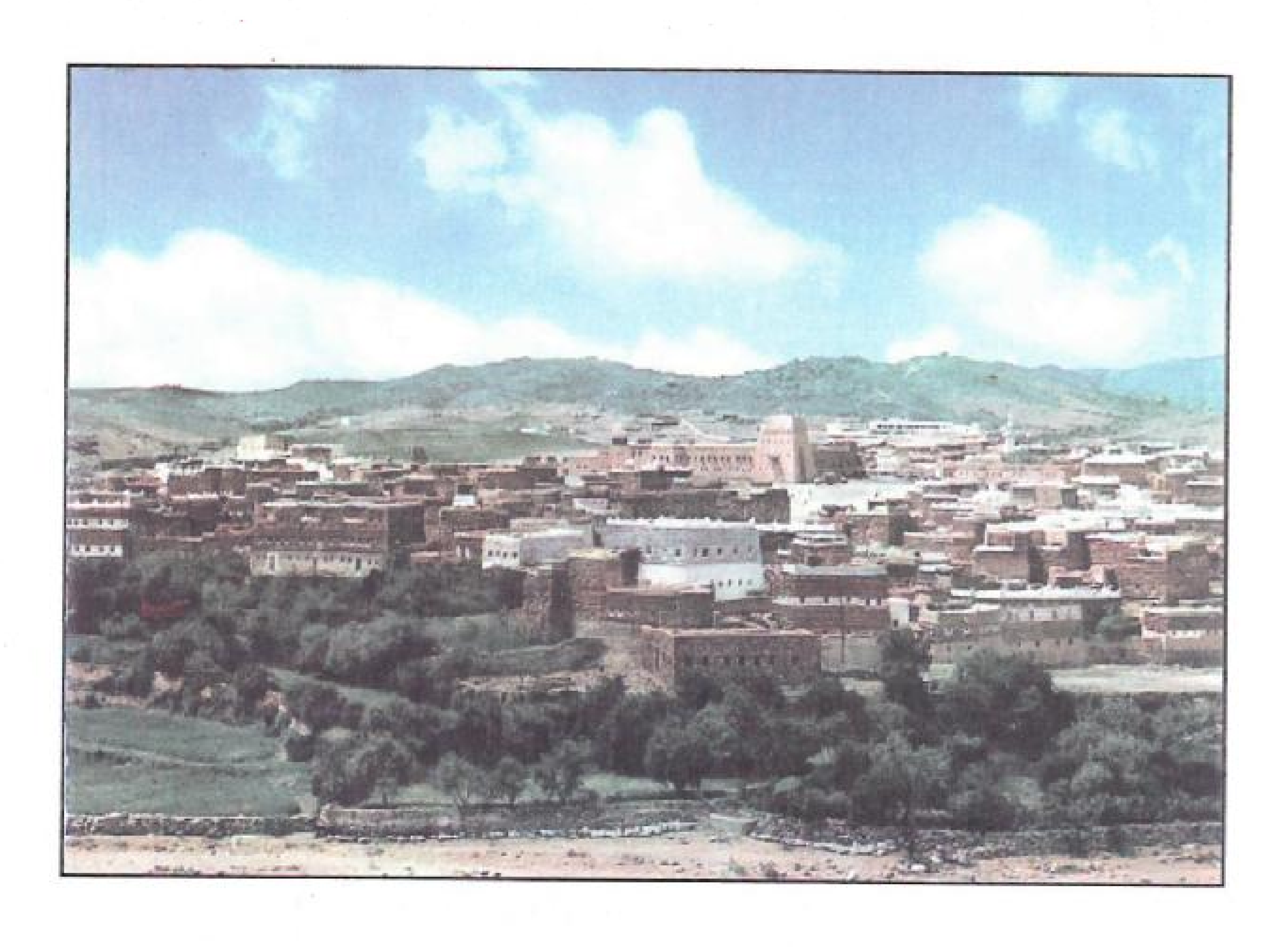
منزلين بالنمط التقليدي القديم للبناء في عسير (المجزعة)

تصوير الكاتب

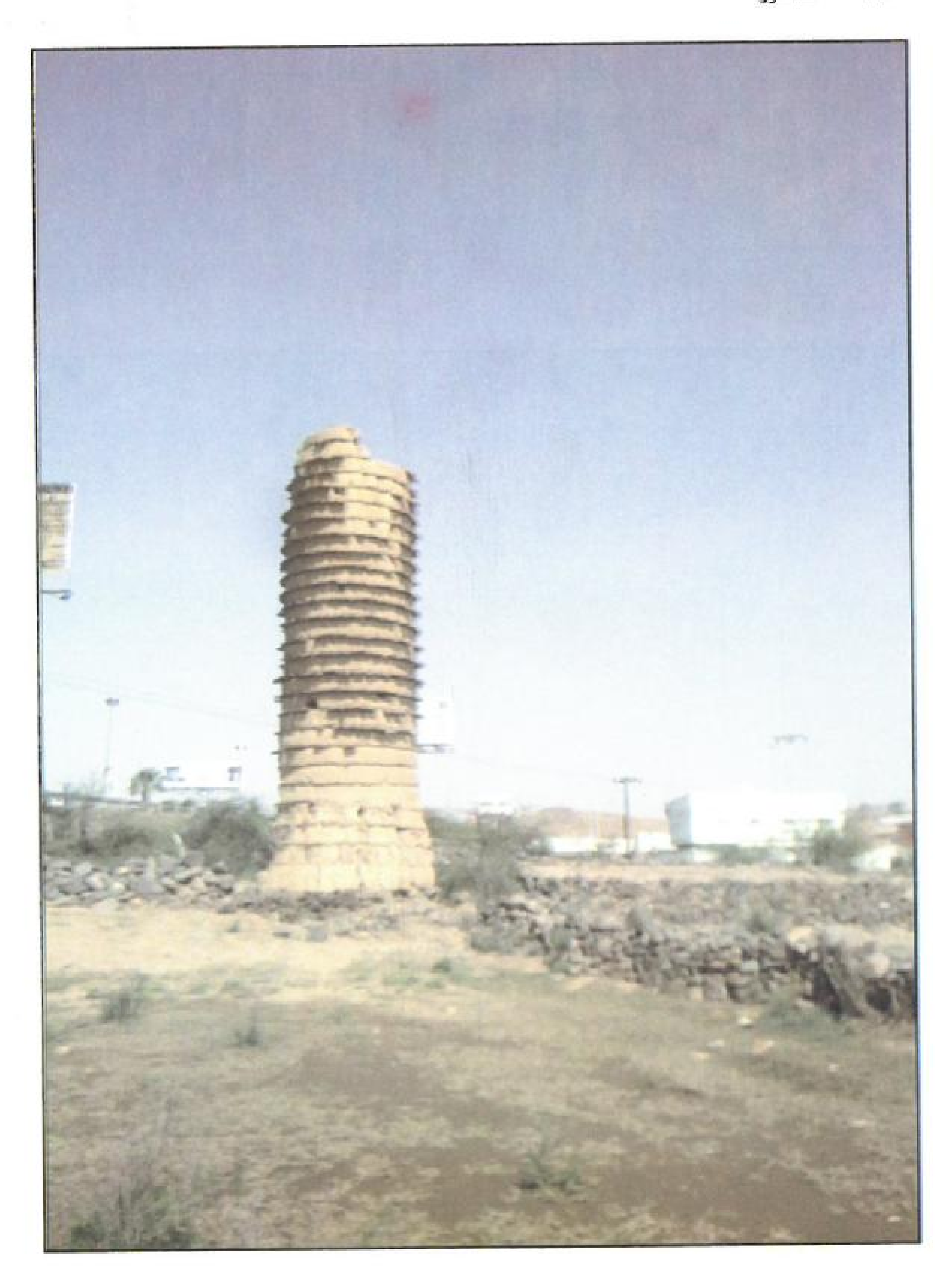


تجمع للمباني بالنمط المحلي التقليدي (آل الخلف)

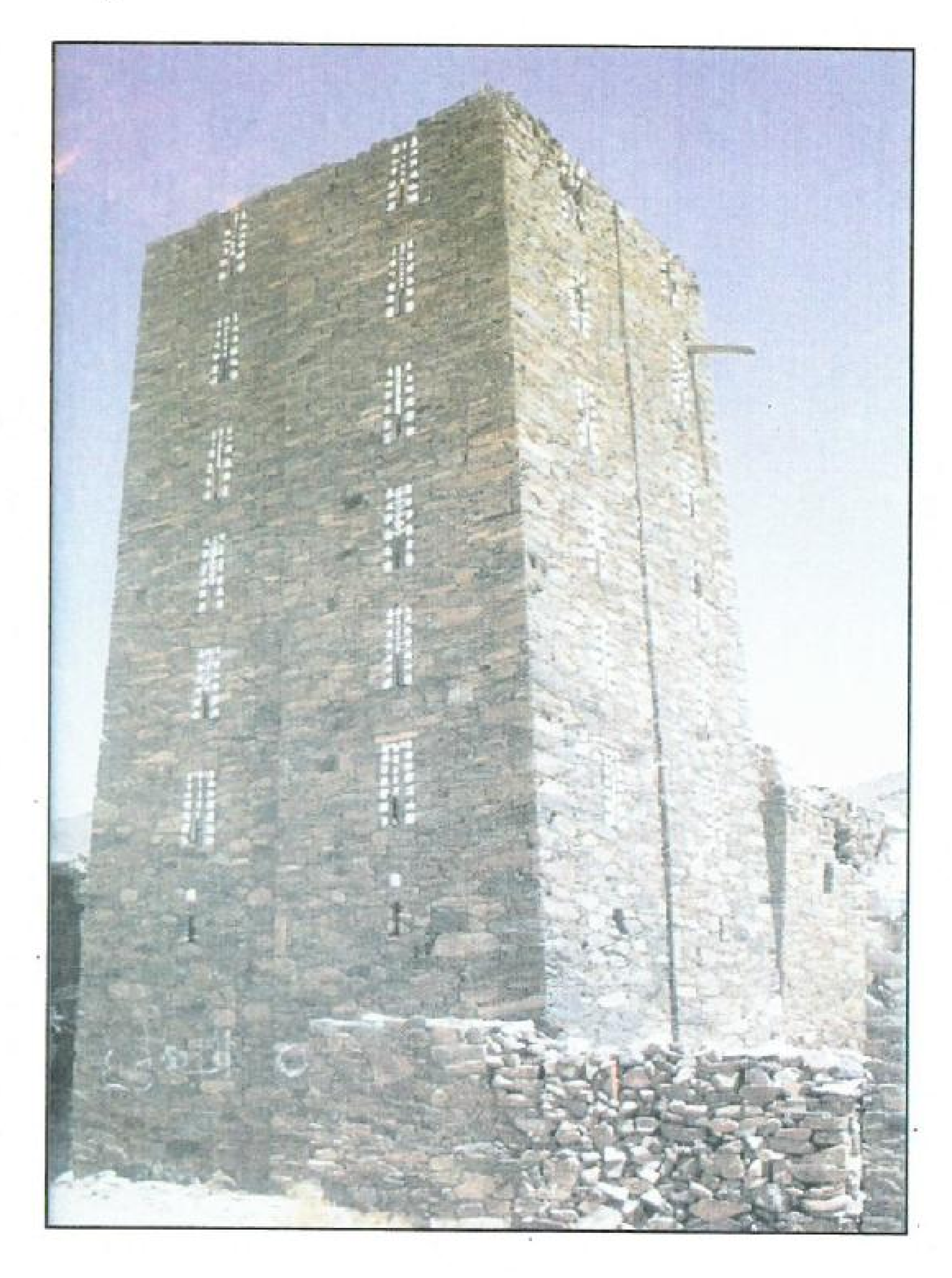
وهبي الحريري



صورة قديمة لمدينة أبها ويرى بها النمط العمراني القديم في المدينة حيث المنازل الطينية المحاطة بصفوف الأحجار الإردوازية والذي يمثل النمط السائد في بيئة الجهات الشرقية من بلاد عسير والتي تمثل -أبها- بدايتها

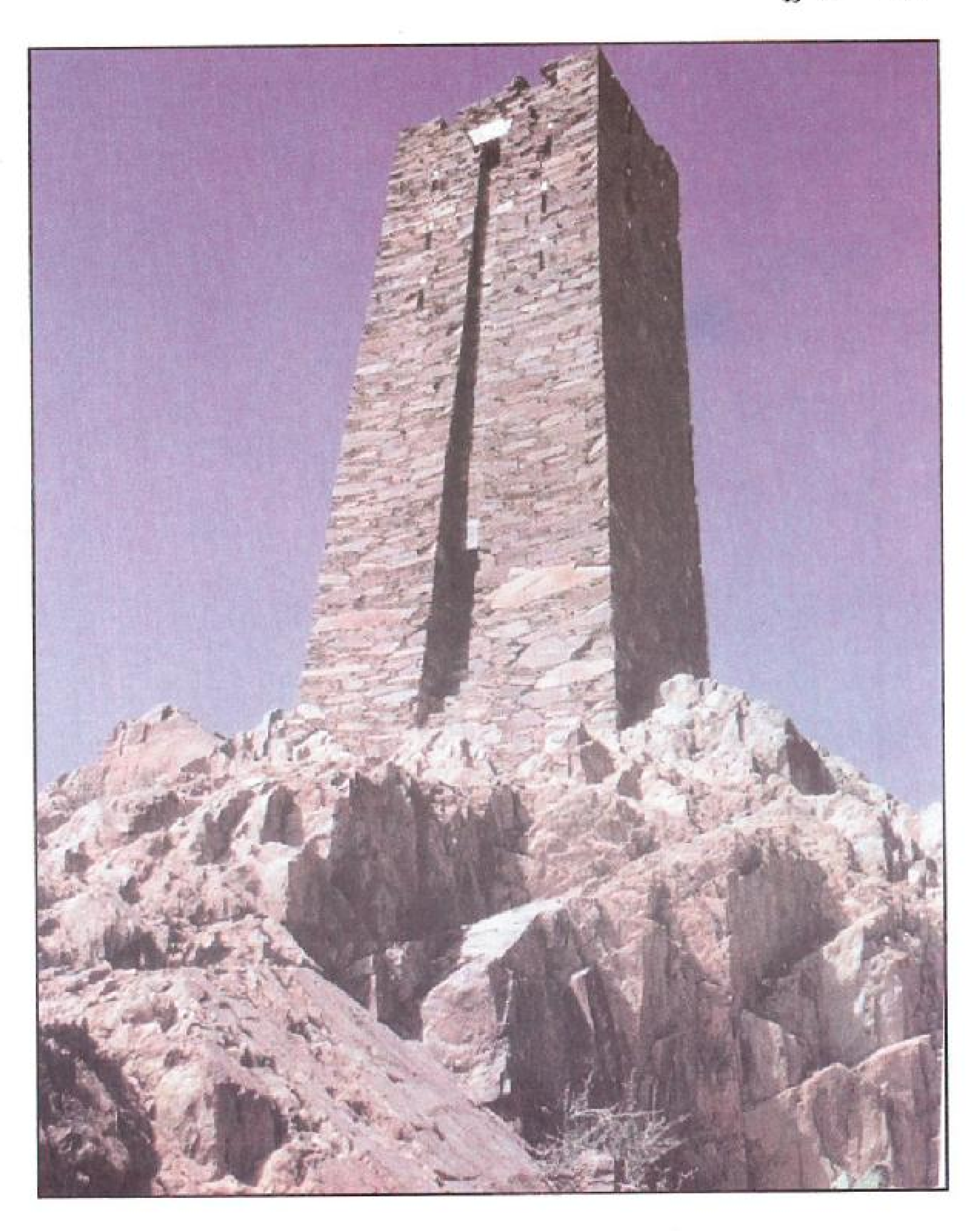


ما تبقى من أحد الأبراج المهملة في قرية حجلا



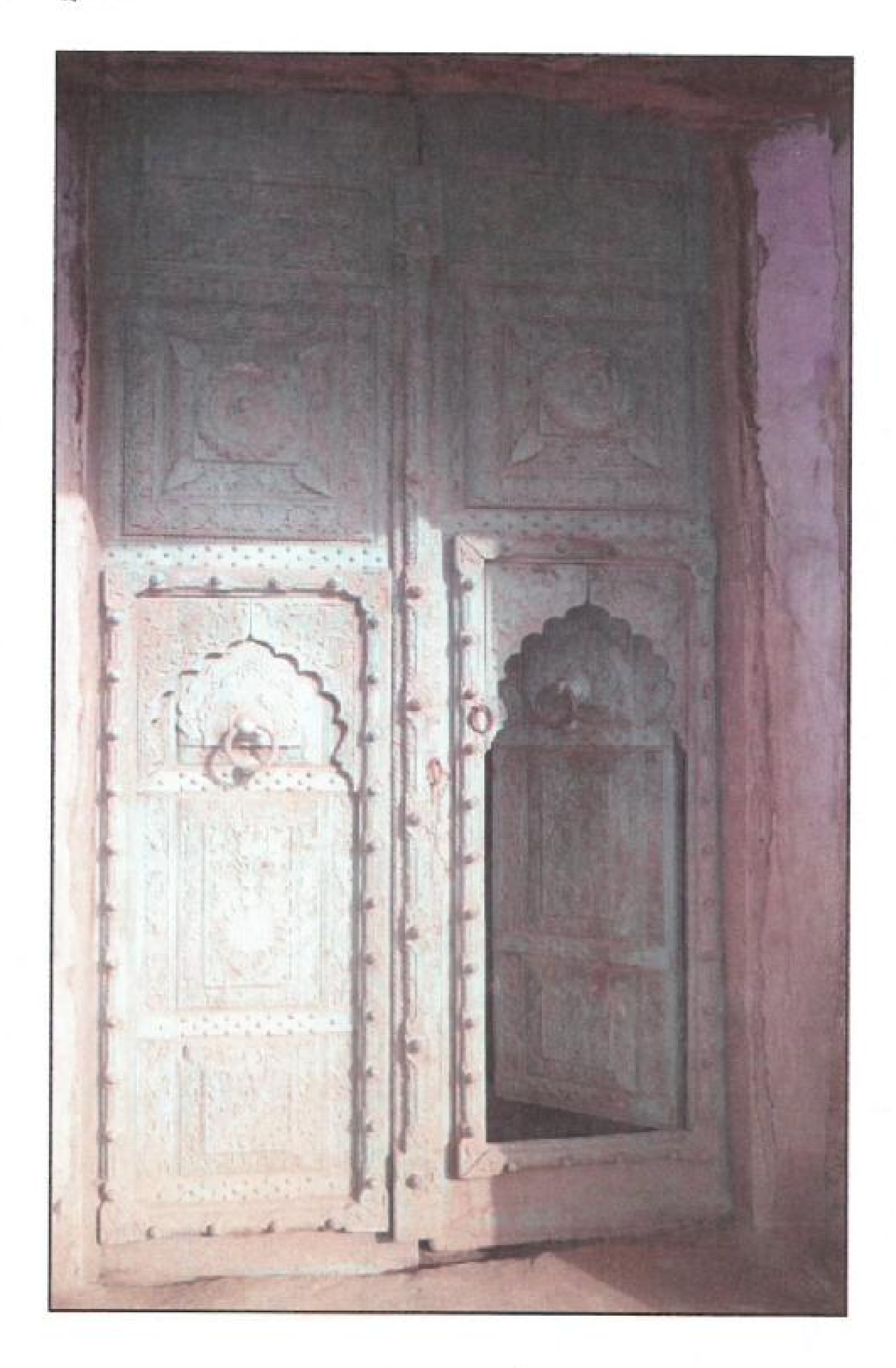
حصن يمثل النمط العمراني في الجهات الغربية من بلاد عسير ونرى استعمال المرو لزخرفة واجهات المباني، (آل مجمل)

وهبي الحريري



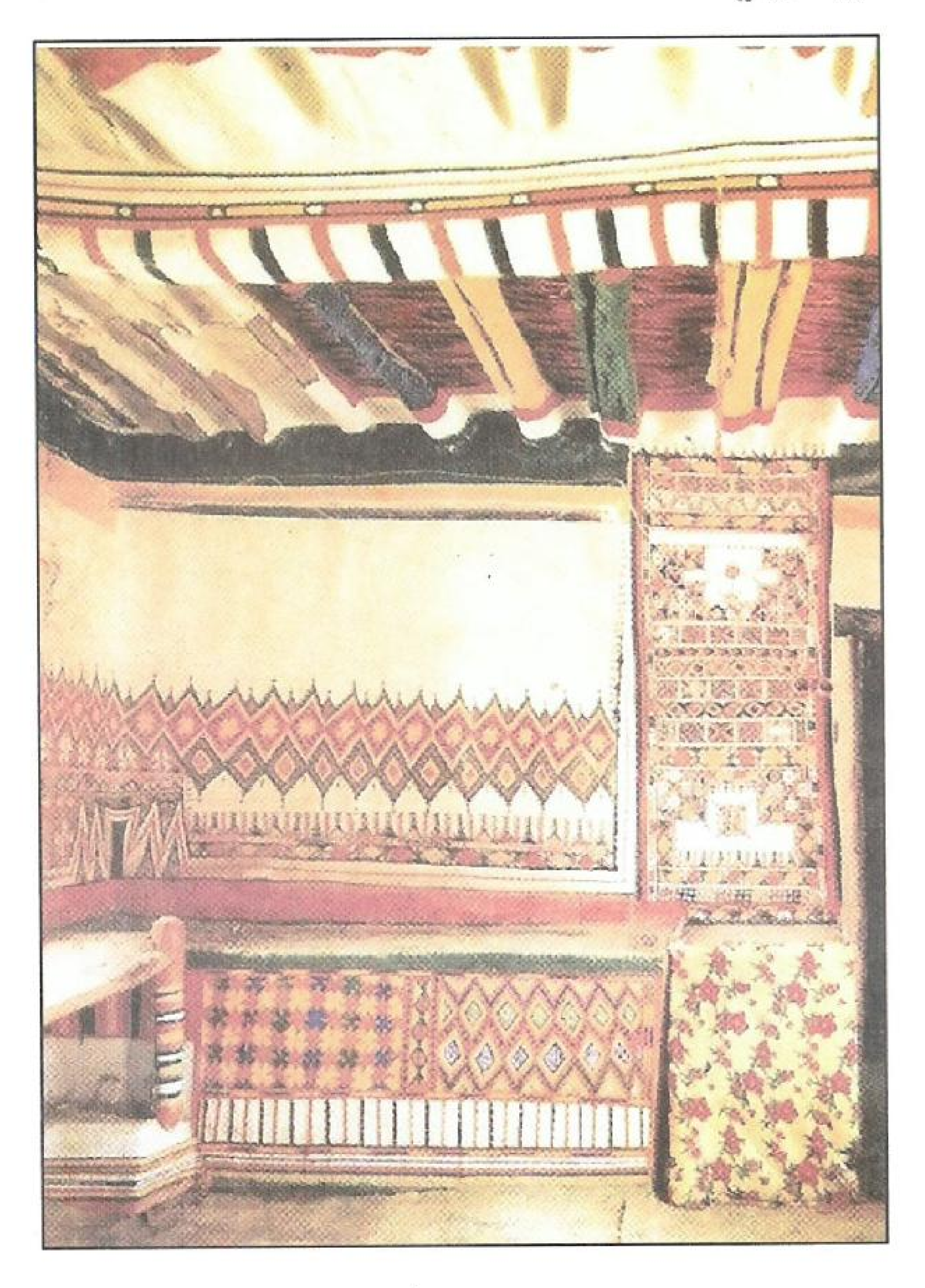
برج من الحجر شمال أبها (عين ابن مصافح)

وهبي الحريري



بوابة مزخرفة لأحد المنازل القديمة (مسلت)

تصوير الكاتب

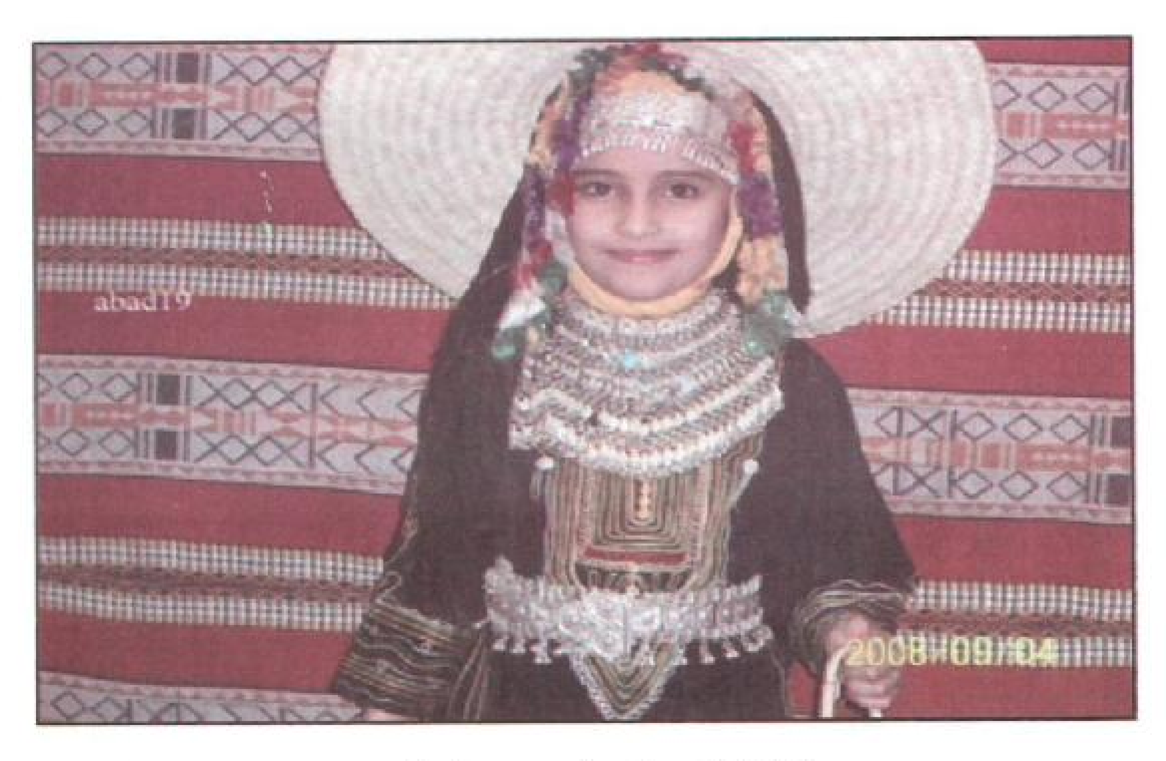




مجسم لرجل يرتدي الزي العسيري (الثوب الحجازي) والشملة (الغامدية) و(العمامة) بنمطها الحديث (الشماغ)، وامرأة ترتدي الثوب العسيري المطرز والطفشة (القبعة) التقليدية في المنطقة وبينهما طفلة بنفس اللباس العسيري و-المسفع-



نمط الزخرفة داخل المباني في الجزء الغربي من بلاد عسير (قرية رجال) برجال ألمع
وهبي الحريري



طفلة ترتدي الزي العسيري التقليدي

المصادر والمراجع

الكتب والمطبوعات

- أبو داهش، عبدالله بن محمد.

- أهل السراة في القرون الوسيطة، مطابع الجنوب بأبها، فهرسة مكتبة الملك فهد ١٤١٧هـ.

- من تراث علماء جنوبي الجزيرة ـ خطبة الشيخ أحمد بن عبدالخالق الحفظي، في حضرة السلطان العثماني عبدالعزيز بن محمود

- تاريخ اليعسوب في فكر وأدب أهل الجنوب، عبدالله أبو داهش، مطابع الحميضي، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ

- أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية، طبعة المئوية، ١٤١٩هـ

- أبو راس، عبد الله بن سعيد بن أحمد

- رجال حول الملك عبدالعزيز ١ عبدالعزيز بن ابراهيم آل ابراهيم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ

- أبو سلطان، محمد

- مبادئ القانون الدولي العام، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٤م

- الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين

- نثر الدر ، تحقيق : خالد عبد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ

- أبي الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب

- تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر، نسخة موقع المصطفى

- بن أبي خازم، بشر

- ديوان بشر بن أبي خازم، تقديم ومراجعة مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق، عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن عبدالكريم الشيباني الشهير

- الكامل في التاريخ، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ

- الأشعري، محمد بن احمد بن إبراهيم

- التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب، تحقيق د. سعد عبدالمقصود ظلام، نادي أبها الأدبي، ١٤٠٩هـ

- الأعظمي، وليد حمدي

- الكويت في الوثائق البريطانية، رياض الريس للكتب والنشر، لندن - قبرص، الطبعة الأولى ١٩٩١م

- الألوسي، محمود شكري

- تاريخ نجد، تحقيق محمد بهجة الأثري، تعليق الشيخ سليمان بن سحمان، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، تحقيق محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية،

- الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، والأسمري، خالد بن فايز

- عسير .. حصن الجنوب الشامخ، دار القوافل للنشر والتوزيع - الرياض، ١٤٣٠هـ

- البركاتي، شرف بن عبدالمحسن

- الرحلة اليمانية، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، دار الوراق للنشر والتوزيع - لندن

- البسام (التميمي النجدي)، محمد

- الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر، تحقيق سعود بن غانم الجمران العجمي، الطبعة الثانية ٢٠١٠م

- البشري، إسماعيل

- إمارة أبو عريش، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ

- البغدادي، عبدالقادر

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ

- البقالي احمد عبدالسلام

- مغامرات سفير عربي في اسكندنافيا منذ ألف عام، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ

- البكري الأندلسي، أبى عبيد، عبد الله بن عبد العزيز

- معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب - بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ

- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحي

- فتوح البلدان، تحقيق عبدالله الطباع، عمر الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م

- البهكلي، عبدالرحمن بن أحمد

- نفح العود في سيرة الشريف حمود - التكملة، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ

- الجوزي، أبي الفرج جمال الدين بن علي

- المدهش، تحقيق د. مروان قباني، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٥م

- الحريري، وهبي

- عسير تراث وثقافة، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ

- ابن الحسين، يحيى

- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق عبد الفتاح عاشور، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ

- الحسيني، محمد المعروف بمرتضى الزبيدي

  ـ تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية

- الحكمي، نجم الدين عمارة بن علي (اليمني)، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد الأكوع، مطبعة السعادة، ١٣٩٦هـ

- الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت

  ـ معجم البلدان، دار صادر بيروت، ١٣٩٧هـ خمسة مجلدات

- الحميري، محمد بن عبدالمنعم

  ـ الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية ـ ١٩٨٤م

- الحوالي، محمد الأكوع

  ـ اليمن الخضراء مهد الحضارة، صاحب الامتياز عبدالله محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد ـ صنعاء، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ

- الخثعمي، عبدالله بن الدمينة

  ـ ديوان أبي السري ابن الدمينة، شرح وضبط محمد الهاشمي البغدادي، مطبعة المنار بمصر، الطبعة الأولى ١٣٣٧هـ

- الخزرجي، علي بن الحسن

  ـ العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق محمد بسيوني عسل، مطابع الهلال، مصر، ١٣٣٢هـ

- الدبيع، أبي الضياء عبدالرحمن بن علي

  ـ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون،كتبة الإرشاد ـ صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ

- الدوسري، شعيب !

  ـ إمتاع السامر (ن د، ق١ج٢، القسم الثاني من الجزء الأول، تحقيق عبدالرحمن الرويشد ومحمد الحميد وفائز البدراني، دارة الملك عبدالحزيز، ٢٠٠٦م

- الربعي، مفرح

  ـ سيرة الاميرين ...، تحقيق رضوان السيد وعبدالغني محمود عبدالعاطي، دار المنتخب العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ

- الريحاني، أمين

  ـ تاريخ نجد الحديث، دار الجيل، بيروت، ١٣٤٥هـ

- الزركلي، خير الدين

  ـ الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة ـ ١٩٨٨م

  ـ الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م

- السعدي، سلامة بن جندل

  ـ ديوان سلامة بن جندل السعدي، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ

- الشامي، أحمد بن محمد

- رياح التغيير في اليمن، المطبعة العربية، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م

- الشريف الرضي

- ديوان الشريف الرضي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ

- الشوكاني، محمد بن علي

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت

- الضمدي، الحسن عاكش بن أحمد

- الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين محمد بن عايض، المنسوب تحقيقه إلى عبدالله بن علي بن حميد، دار الفكر بدمشق، ١٣٩٨هـ

- نفح العود في سيرة الشريف حمود (تكملة)، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ

- الطبري، محمد بن جرير

- تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ

- الطنجي، محمد بن عبدالله اللواتي (ابن بطوطة)

- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، اعتنى به وراجعه د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠م/ ١٤٣١هـ

- العارف، يوسف

- أضواء على مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير، النادي الأدبي بأبها، الطبعة الأولى ـ ١٤١١هـ

- ابن العبد، طرفة

- ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدمه محمد مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ

- العثيمين، عبدالله

- تاريخ المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، الطبعة التاسعة ١٤٣٠هـ

- العجيلي، محمد بن هادي بن بكري

- الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود الأولين، تحقيق عبدالله أبو داهش، ١٤٠٨هـ

- العسيري، أحمد معمور

- التاريخ الإسلامي، الطبعة الثالثة عام١٤٢٤هـ

- العصامي، عبدالملك بن الحسين

- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، مطبعة السلفية ـ مصر

- العصفري، خليفة بن خياط

- تاريخ خليفة، تحقيق د. مصطفى فواز، ود. حكمت فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م

- العقيلي، محمد بن أحمد

- المخلاف السليماني، دار اليمامة ـ الرياض، الطبعة الثانية عام ١٤٠٢هـ

- الغامدي، صالح بن عون

- علم من عسير ومن المسير، النادي الأدبي بأبها

- العلاقة السعودية اليمنية دراسة وثائقية، دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية، ١٩٩٢م

- الغذامي، عبدالله

- القبيلة والقبائلية هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي ـ الرباط ٢٠٠٩م

- الفدعاني، عبدالله بن دهيمش بن عبار

- أصدق الدلائل في أنساب بني وائل، الطبعة الثامنة ١٤٣١هـ

- الفيروزبادي

- القاموس المحيط، جمعها العلامة اشيخ نصر الهوريني، دار الفكر، بيروت، (بدون تاريخ نشر)

- القرآن الكريم

- سورة البقرة، سورة طه، سورة آل عمران

- ابن القاسم، أبو طالب حسام الدين

- تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مطابع المفضّل للأوفست، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ

- القزويني، زكريا بن محمد

- آثار البلاد وأخبار العباد، مكتبة مشكاة الإسلامية، بدون معلومات نشر

- القلقشندي، أبي العباس أحمد

- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، نسخة pdf، موقع المصطفى

- صبح الأعشى، ١٤ مجلد، دار الكتب الخديوية، مصر، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م

- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، نسخة pdf، موقع المصطفى

- الكبسي، محمد بن اسماعيل

- اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، مكتبة الجيل الجديد ـ صنعاء، ١٤٠٦هـ

- الكلبي، محمد بن هشام

- نسب معد واليمن الكبير، الجزء الأول، تحقيق د. ناجي حسن، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٩٨٨م

- المؤيدي، محمد عبدالله (أبو علامة)

- التحفة العنبرية في المجددين من أبناء خير البرية، مخطوط بالجامع الكبير بصنعاء

- ابن المجاور، يوسف بن يعقوب

- تاريخ المستبصر، صححه أوسكر لوفغرين، مطبعة بريل، ألمانيا، ١٣٧١هـ

- المطلبي المدني، محمد بن إسحق

- السيرة النبوية لابن إسحاق، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م

- المغربي، الوزير أبو القاسم الحسين بن علي

- أدب الخواص، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

- المغيري

- المنتخب في ذكر قبائل العرب، مكتبة مشكاة الإسلامية

- المقدسي، محمد بن أحمد بن عبدالهادي

- العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

- المولى محمد أحمد، و البجاوي، علي محمد، وابراهيم، محمد أبو الفضل

- أيام العرب في الجاهلية، دار الجيل ـ بيروت، ١٤٠٨هـ

- الناصر، صالح بن سليمان

- ولاية اليمامة دراسة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية حتى نهاية القرن الثالث

- النعمي، أحمد بن حسن

- عسير في مذكرات سليمان الكمالي، المطبعة الحديثة ـ القاهرة

- النعمي، هاشم

- تاريخ عسير بين الحاضر والماضي، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ

- تاريخ عسير بين الحاضر والماضي، طبعة المتوية، ١٤١٩هـ

- النهزوالي المكي، قطب الدين محمد بن أحمد

- البرق اليماني في الفتح العثماني، أشرف على طبعه حمد الجاسر، دار اليمامة للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ

- النويري، شهاب الدين بن أحمد

- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢٤هـ، ٣٣ جزء

- الهجري، أبو علي

- التعليقات والنوادر، الوراق، بدون معلومات نشر

- الهلالي، حميد بن ثور

- ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق عبدالعزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والكتب ـ القاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٣٧١هـ

- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب

- صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد ـ صنعاء، الطبعة الأولى ـ عام١٤١٠هـ

- صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد ابن بليهد، مطابع السعادة، مصر، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م
- الإكليل من أنساب اليمن واخبار حمير، تحقيق محمد الأكوع، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٨٣هـ، ج١ ج١٠

• الواسعي، عبدالواسع يحيى
- فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، الدار اليمنية للتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ

• الوجيه، عبدالرحمن محمد محمود
- عسير في النزاع الحدودي السعودي اليمني، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م
- انفصال جزء من إقليم الدولة دراسة في إطار القانون الدولي والفقه الإسلامي، إصدار جامعة صنعاء، ٢٠٠٥م

• ابن الورد، عروة، والسموأل
- ديوانا عروة بن الورد والسموأل، دار صادر بيروت، (بدون تاريخ نشر)

• اليازجي، ناصيف
- العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، دار القلم - بيروت ، الطبعة الثانية

• برو، توفيق
- تاريخ العرب القديم، دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ

• ابن بشر، عثمان
- عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ

• بوركهارت، جون لويس
- البدو الوهابيين، ترجمة محمد الأسيوطي، دار سويدان - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م
- مواد لتاريخ الوهابيين، تحقيق عبدالله الصالح العثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

• بيرين، جاكلين
- اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدري قلعجي، منشورات الفاخرية الرياض ودار الكتاب العربي بيروت

• تاميزيه، موريس
- رحلة في بلاد العرب، ترجمة وتحقيق د. محمد بن عبدالله آل زلفه، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ

• ابن جبير الكناني، أبو الحسين محمد بن أحمد
- رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت

• جحاف، لطف الله
- درر نحور الحور العين في سيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين، تحقيق عبدالله المقحفي، مكتبة الإرشاد بصنعاء، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

• ابن جريس، غيثان بن علي
- القول المكتوب في تاريخ الجنوب، (عسير إنموذجاً)، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٦هـ
- بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر، العويفي للدعاية والإعلان، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ

- بلاد السراة في كتاب سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر بن الإمام العياني، دراسة تاريخية، بحث بنادي أبها الأدبي

- آل حامد، عبدالرحمن

- العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، نادي أبها الأدبي، ١٤٢٦هـ

- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي

- فتح الباري في صحيح الإمام البخاري، تحقيق عبدالعزيز بن باز ومحب الدين الخطيب، دار الفكر، بيروت

- ابن حجر

- ديوان أوس بن حجر، جمع وتحقيق د. محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ

- ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي الكناني

- الإصابة في تمييز الصحابة، بدون معلومات النشر

- ابن حزم الاندلسي، علي بن أحمد

- جمهرة أنساب العرب، ضبط ومراجعة عبدالمنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٧م

- حمزة، فؤاد

- في بلاد عسير، مطبعة دار الكتاب العربي - القاهرة، ١٣٧١هـ

- ابن حميد، عبدالله بن علي

- أديب من عسير، جمعه وأشرف على نشره ابنه محمد، الطبعة الأولى عام ١٤٠٠هـ

- ابن حنبل، أحمد بن محمد

- فضائل الصحابة، حققه وخرج احاديثه، وصي الله بن محمد بن عباس، دار ابن الجوزي، الدمام - السعودية

- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله

- المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، عن طبعة ليدن بمطبعة برايل، ١٨٨١م

- ابن خلدون، عبدالرحمن

- مقدمة ابن خلدون، تحقيق أ.م. كاترمير، عن طبعة باريس ١٩٥٨م، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٢م

- تاريخ ابن خلدون، ثمانية مجلدات، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ

- ولد داده، محمد

- جزيرة العرب مصير أرض وأمة، مطابع الفرزدق، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ

- دحلان، احمد زيني

- خلاصة الكلام، المطبعة الخيرية - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٠٥هـ

- دلال، عبدالواحد محمد راغب

- البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ

- دوكورانسي، لويس

- الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ، ترجمة مجموعة من الباحثين، رياض الريس للكتب والنشر

- ديورانت، ويل

- قصة الحضارة، ترجمة مجموعة من المترجمين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م

- ابن رسول، عمر (الأشرف) بن يوسف

- طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تحقيق ك. و. سترستين، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م - ١٤١٢هـ

- رضوان، نبيل عبدالحي

- الدولة العثمانية وغرب الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس، تهامة للنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م

- رفيع، محمد عمر

- في ربوع عسير ذكريات وتاريخ، دار العهد الجديد للطباعة بالقاهرة، ١٣٧٣هـ

- آل زلفة، محمد

- دراسات في تاريخ عسير الحديث، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ

- عسير في عهد الملك عبدالعزيز، الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ

- ابن زيد، الكميت

- ديوان الكميت بن زيد، جمع وتحقيق د. محمد نبيل طريفي، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م

- سالم، سيد مصطفى

- تكوين اليمن الحديث .. اـ اليمن والإمام يحي، دار الأمين للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٩٩٣هـ

- آل سعود نوره

- أبها بلاد عسير، منشورات الأميرة نورة، الطبعة الأولى ١٩٨٩م

- سليمان، حسن حسن

- الأمير عبدالعزيز بن مساعد حياته ومآثره، (بدون تاريخ نشر)

- سمسم، عبدالمعطي بن محمد بن عبدالمعطي

- العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة منذ أقدم العصور وحتى نهاية العهد الحبشي باليمن، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ

- شاكر، محمود

- شبه جزيرة العرب -١- عسير، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة عام ١٤٠١هـ

- شرف الدين أحمد حسين

- المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ

- اليمن عبر التاريخ، بدون دار نشر، ط٢

- شفيق باشا، سليمان

- مذكرات سليمان شفيق باشا، تحقيق محمد العقيلي، النادي الأدبي بأبها، ١٤٠٥هـ

- صابان، سهيل

- مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية، في الأرشيف العثماني، من منشورات مكتبة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٥هـ

- آل عاصم، عبدالله بن محمد بن محمس

- قبائل قحطان المذحجية أصولها القديمة وتفرعاتها الحديثة، بدون دار نشر، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ

- ابن عبدربه الأندلسي، أحمد بن محمد

- العقد الفريد، تحقيق محمد عبدالقادر شاهين، المكتبة العصرية ـ بيروت، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

- عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن

- من وثائق شبه الجزيرة العربية في عهد محمد علي، المجلد الأول، دار المتنبي للنشر والتوزيع، الدوحة

- عبده، سمير

- صناعة تزييف التاريخ، دار الكتاب العربي ـ دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٩م

- عثمان، حسن

- منهج البحث التاريخي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة ١٤١٨هـ

- عرب، عبدالله

- تاريخ اليمن الحديث، تحقيق عبدالله الحبشي، منشورات المدينة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ

- عسيري، علي احمد آل عمر

- أبها في التاريخ والأدب، نادي أبها الادبي ، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ

- عسيري، علي أحمد عيسى

- عسير دراسة تاريخية، نادي أبها ا لأدبي، ١٤٠٧هـ

- ابن عفتان، عبدالله

- بنو رزام تاريخ وحضارة، نادي أبها الادبي

- علي، جواد

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بإشراف جامعة بغداد، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ

- عناني، محمد زكريا

- ٣١ الموشحات الأندلسية، سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٠م

- عنترة بن شداد

- ديوان عنترة، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٤م

- ابن عيسى، ابراهيم بن صالح

- تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم (من ٧٠٠ ـ ١٣٤٠هـ)، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ

- عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر ، تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ، طبعة المئوية ١٤١٩هـ

- ابن غنام، حسين

- روضة الأفكار، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار الشروق، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ

- غودي، جاك

- سرقة التاريخ، نقله إلى العربية : محمد محمود التوبة، مكتبة العبيكان، ١٤٣٠هـ

- فايع، أحمد يحي

- دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها، مطابع الحميضي، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ

- ابن فهد، عز الدين

- غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم شلتوت، شركة مكة للطباعة والنشر، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ

- ابن فهد، محمد بن محمد

- اتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق عبدالكريم علي باز، شركة مكة للطباعة والنشر، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ

- فيلبي، هاري سانت جون

- مرتفعات الجزيرة العربية، ترجمة حسن مصطفى حسن، مراجعة وتعليق د. غيثان بن جريس، شركة مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ مجلدين

- تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، تعريب عمر الديردري، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت

- ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء الحافظ

- البداية والنهاية، المكتبة العصرية بيروت، ١٤٢٦هـ

- كحالة، عمر رضا

- معجم قبائل العرب، دار العلم للملايين - بيروت، ١٣٨٨هـ

- ابن ماكولا، الأمير الحافظ

- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والألقاب، مكتبة مشكاة الإسلامية

- ماهر بيك، علي

- القانون الدولي العام، مطبعة الاعتماد،١٣٤٢هـ\١٩٢٤م

- مؤلف مجهول

- حوليات يمانية، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، دار الحكمة اليمانية - صنعاء، الطبعة الأولى ١٤١١هـ

- مؤلف مجهول

- لمع الشهاب في سيرة ابن عبدالوهاب، حقق الوثيقة د أحمد مصطفى أبو حاكمة

- مجموعة من المؤلفين

- موسوعة المملكة العربية السعودية، المجلد العاشر، منطقة عسير، مكتبة الملك عبدالعزيز، ١٤٣١هـ

- مجموعة من المتخصصين والأكاديميين العرب

ـ الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٥٩م

- محمود، صلاح رمضان

ـ ذكريات الشوكاني، وزارة الثقافة بجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ـ عدن ودار العودة ـ بيروت، ١٩٨٣م

- مسفر، عبدالله

ـ السراج المنير في سيرة أمراء عسير، المنسوب لنفس المؤلف، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨هـ

ـ أخبار عسير، المكتب الإسلامي

- مسلط، محمد

ـ تاريخ عسير خلال خمسة قرون (رؤية تاريخية)، الطبعة الخامسة، بدون معلومات دار النشر ولا تاريخ النشر

- مصطفى، شاكر

ـ التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م

- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي

ـ لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى

- مهران، محمد بيومي

ـ دراسات في تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الثانية ـ ٢٠٠٥م

- مورجان، مايكل هاميلتون

ـ تاريخ ضائع، ترجمة: أميرة نبيه بدوي، نهضة مصر للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية

- نهرو، جواهر لال

ـ لمحات من تاريخ العالم، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٥٧م

- نيتشه، فريدريك

ـ هذا هو الإنسان، ترجمة علي مصباح، منشورات الجمل

- هاوكس، جاكيتا ووولي، لونارد

ـ ما قبل التاريخ وبدايات المدينة، ترجمة يسري الجوهري، دار المعارف

- ابن هذلول، سعود

ـ تاريخ ملوك آل سعود، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ

- وزارة الإعلام (السعودية)

ـ كتاب "عسير الإنسان والمكان والزمان"، بدون مؤلف، بدون تاريخ، الناشر وزارة الإعلام ـ الشئون الإعلامية ـ الإعلام الداخلي

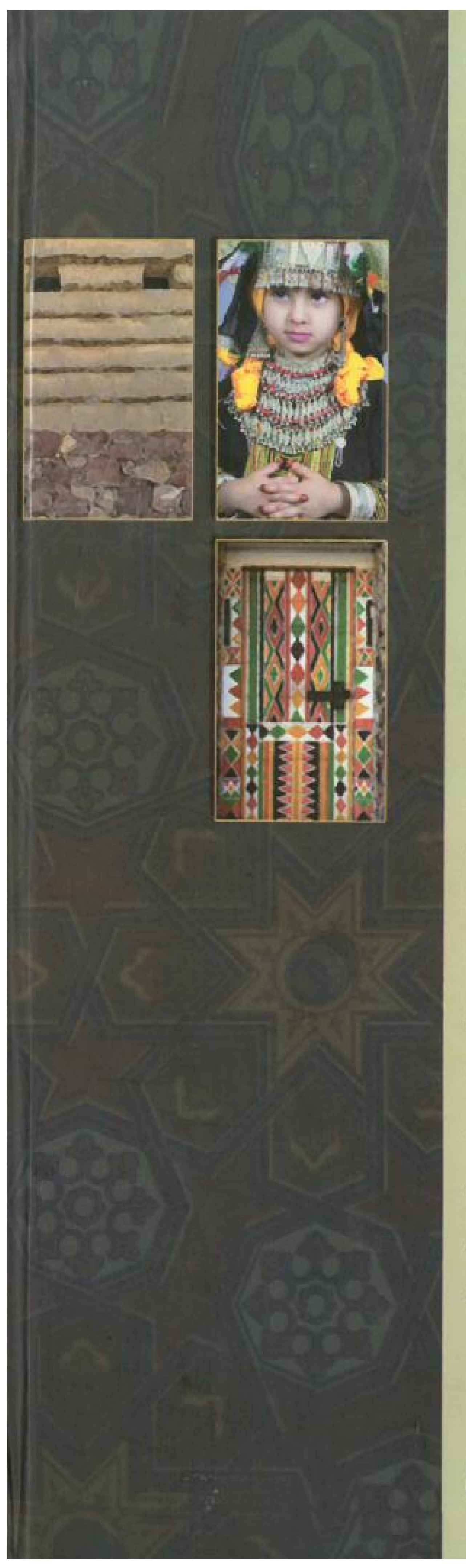
- يحي، لطفي عبدالواحد

ـ العرب في العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية ، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م

الوثائق والمخطوطات والدوريات

- سليمان شفيق باشا، مذكرات سليمان شفيق باشا، جريدة الأهرام، ربيع الثاني ـ جماد الآخرة لعام ١٣٤٣هـ، فبراير ١٩٢٤م ـ يناير ١٩٢٥م
- جريدة الجزيرة، العدد١٠٦٢، بتاريخ ١٢/ ٨/ ١٤٢٢هـ
- تركي القداح العتيبي، جريدة الرياض، العدد١٣٩٢٠، مقالتين بتاريخ ٣، ١٠/ ٧/ ١٤٢٧هـ
- عبدالله بن حميد، مجلة العرب، ج١١، ١٢السنة التاسعة، جماديان، ١٣٩٥هـ ص٩٨٣
- د. محمد منصور حاوي، محاضرة بعنوان "رحلة الإمام عبدالله بن علي المؤيدي إلى تهامة وعسير في العشر الأخير من القرن العاشر الهجري ـ دراسة وتعليق"، الجلسة الثانية من اليوم الأول للقاء العلمي الثاني عشر للجمعية التاريخية السعودية بعنوان عسير وحضارتها عبر العصور الذي عقد بمدينة أبها خلال الفترة ١٧ ـ ١٩/ ٥/ ١٤٣٠هـ
- مجلة الفيصل، عدد٢٢٥ السنة ٩، ٣٦، حمد الجاسر، مع الموسوي في رحلته
- المجلة العربية، ذي القعدة عام ١٤٠٨هـ ص٢٠
- د.محمد عبدالله آل زلفة، وقفات مع فصول من تاريخ أبها، جريدة الجزيرة، الأربعاء ٢٨ رمضان ١٤٢٠هـ العدد ٩٩٦٠
- صبار العتزي، جريدة الرياض بتاريخ ٦/ ٨/ ٢٠٠٤م، صفحة مقالات اليوم، (الشوق تيه بالهوى عنتر)
- مجلة للشيخ رشيد رضا/ المجلد ١ / العدد ٣ / ٧ ذوالقعدة ١٣١٥ / ١مارس ١٩٨٩م
- محمد رشيد رضا، مجلة المنار، المجلد ٣٤ ص٣٩، مجموعة رسائل من إمام اليمن والملك السعودي
- قناة الجزيرة الوثائقية، حجر سليمان، برنامج وثائقي
- حديث مباشر مع الشيخ علي بن مجثل نائب قرية السقا وحفيد الأمير علي بن مجثل
- لقاء للأستاذ محمد آل زلفة مع منتديات شرفات عسير منقول على اليوتيوب
- هاشم النعمي، عسير قبيلة وبلاد، مجلة العرب،ج٣، ٤ السنة السابعة والعشرون (عام ١٤١٢هـ)
- د. محمد علي عسيري، الملتقى العلمي الثاني عشر للجمعية التاريخية السعودية بأبها ، حول تاريخ عسير وحضارتها عبر العصور المختلفة، عام ١٤٣٠هـ بحث بعنوان "قبيلة الأزد وفروعها في منطقة عسير" ألقي بتاريخ ١٧/ ٥/ ١٤٣٠هـ
- موقع مقاتل من الصحراء، خالد بن سلطان بن عبدالعزيز
- سهيل صابان ، مجلة الدارة، ع٢، س٣٣ (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م) . ص١٨٥ـ١٩٦، الخطابات العربية في تصنيف الخارجية.
- جريدة الرياض، العدد ١٥٢٤٨، بتاريخ ٨ ربيع الأول ١٣٣١هـ صفحة تحقيقات وتقارير، عنوان المقال: "ميقات ذات عرق مهجور ومغيب عن برامج الحج والعمرة"
- محمد رشيد رضا، مجلة المنار، نص رسالة الإمام إلى محمد رشيد رضا، المجلد ٢٧ ص٧٩١
- محمد رشيد رضا، مجلة المنار، المجلد ٣٤ ص٣٩، مجموعة رسائل من إمام اليمن والملك السعودي
- جريدة عكاظ السعودية، ١١/ ٨/ ١٤٣٠هـ
- القاضي، محمد، الاستعراب الإسباني والتراث الأندلسي من خلال نماذج: خوان أندريس ـ غانيوس ـ ريبيرا، بحث بموقع التاريخ العربي.

ملاحظات :



عسير والتاريخ وانحراف المسار

أن من أهم الأسباب التي دعت المؤلف إلى بذل هذا الجهد البحثي الشاق هو التصدي لما تتعرض له منطقة عسير من تلاعب بالتاريخ والأعراق والهوية وتوازن الروابط الاجتماعية الموروث من قبل مصادر مجهولة أوقعت الكثير من الأثر في ذاكرة المجتمع، كما أصبحت للأسف مرجعاً للكثير من المؤلفات.ولا يستند الكاتب فقط إلى المصادر التاريخية واستقراء دلالاتها بطريقة الكاتب المتعمقة في الاستقصاء والتي تميز بها أسلوبه، بل يعتمد ايضاً على إلمامه المتفرد بالأسماء والأمكنة والجغرافيا، وبالروابط بين الأعراق القبلية على الأرض، مما مكنه من طرح رؤيا جديدة مترابطة حول تاريخ الإقليم السياسي وتسلسل أحداثه بالإضافة إلى جغرافية وتاريخ الجزيرة العربية القديم تطرح لأول مرة.

دار الطناني للنشر